أيتها المحكمة الدستورية

بقلم: جمال أحمد الزرابكي

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله عز وجل ، ونشهد أن لا اله الا هو وحده لا شريك له ونشهد أن محمدا عبده ورسوله .

وبعد

طالعتنا مجلة التوحيد ، العدد العاشر ـ شوال سنة ١٤٠٥هـ بما يفيد رفض المحكمة الدستورية العليا دعوى عدم دستورية قانون الربا الصادر سنة ١٩٤٨م ، وذلك بحجة صدور القانون المذكور فى ظل دستور لا يحرم مثل هذه القوانين ، وأن صدور دستور جديد لا يبيح مثل هذه القوانين لا يجعل هذه القوانين غير دستورية بل هو الزام للمشرع بعدم وضع تشريعات جديدة مخالفة للدستور وحسب ، على أن تظل القوانين سارية ودستورية حتى ولو خالفت الدستور الجديد . مالم يقم المشرع بالغائها .

ونحن نقول بدورنا : لا يا قضاة المحكمة الدستورية العليا لا وألف لا ، لقد أخطأ تم فى فهم واضح لا يغيب على أحد فقد نصت المادة ١٧٥ من الدستور الجديد على « أن تتولى المحكمة الدستورية العليا دون غيرها الرقابة على دستورية القوانين واللوائح ... » وجاء قانون المحكمة الدستورية العليا سنة ١٩٧٩م محددا اختصاصات المحكمة فى المادة ٢٥ ، ٢٦ ، وأول هذه الاختصاصات وأهمها « الرقابة على دستورية القوانين واللوائح » .

ومفاد ذلك أن المحكمة الدستورية تختص برقابة دستورية القوانين، بمعنى أن للمحكمة أن تراقب مدى ملائمة ما يعرض عليها من قوانين ومطابقتها للدستور ، سواء فى ذلك القوانين الصادرة قبل صدور الدستور أم القوانين اللاحقة لصدور الدستور .

والقوانين السابقة لصدور الدستور اما أن تخالف صراحة نصا صريحا فى الدستور الجديد ، وهنا يعتبر صدور الدستور الجديد الغاء ضمنيا لهذه القوانين •

مثال ذلك لو صدر الدستور الجديد متضمنا نصا صريحا يحرم الفوائد الربوية وهنا يكون الدستور الجديد بمثابة الغاء لكل القوانين التى تبيح التعامل بالربا •

أما اذا لم تخالف القوانين السابقة نصا دستوريا صريحا وقاطعا ، ولكنها تخالف روح الدستور ، بحيث يكون التعارض غير مباشر وصريح بين هذه القوانين وبين الدستور الجديد ، ففى مثل هذه الحالة لا يمكن القول بالالغاء الضمنى ، وهنا يكون من اختصاص المحكمة الدستورية العليا الحكم بعدم دستورية هذه القوانين اذا رفع اليها نزاع بشأنها •

وهذا ما أخذت به المحكمة الدستورية الايطالية حيث ذهبت الى أنها الجهة الوحيدة التى تختص بنظر مدى دستورية القوانين السابقة على الدستور •

مع العلم بأن قانون المحكمة الدستورية الايطالية يعتبر مصدرا تاريخيا لقانون المحكمة الدستورية فى مصر •

وزيادة فى الايضاح نقول :

ان عيب عدم الدستورية قد يكون عيبا أصليا وذلك فى حالة مخالفة القانون للدستور القائم عند صدوره ، كما قد يكون عيبا طارئا وذلك فى حالة مخالفة القانون لدستور جديد أو للتعديلات التى طرأت على الدستور القائم ، وهذا ما يتناسب والحالة التى نحن بصددها ، فالقانون الذى يبيح المعاملات الربوية والصادر فى عام ١٩٤٨م قد خالف التعديل الجديد الطارىء على الدستور القائم وبذلك يكون عيب الدستور فى هذه الحالة عيبا طارئا ، وهذا أمر فى غاية الوضوح ، ولا يتصور أن يقع قضاة المحكمة الدستورية العليا وهم أعلى جهة قضائية فى خطأ كهذا ، اللهم الا اذا كان هناك تأثير عليهم على أى مستوى ، وهذا مالا نرجوه •

وينبغى أن نشير فى النهاية الى أن الحكم الصادر من المحكمة الدستورية العليا ، سواء كان بتقرير عدم الدستورية أو برفض دعوى عدم الدستورية — مما يعنى دستورية القانون المطعون فى دستوريته —

حكم ذو حجية مطلقة ، بمعنى أنه ملزم للكافة ، وذلك بعكس سائر الأحكام القضائية التى تتمتع بحجية نسبية ، فلا تلزم الا أطرافها فقط .

وينتج عن ذلك مالا يحمد عقباه ، فلا يجوز الطعن بعدم دستورية هذا القانون مرة أخرى ، ولا يجوز لأى قاض أن يرفض الحكم بفوائد الديون استنادا الى مخالفتها للدستور كما حدث من بعض القضاة من قبل .

وهنا تكون المحكمة الدستورية العليا قد وضعت الحق فى غير نصابه ، فجعلت الحق باطلا ، والباطل حقا ، بل وحجرت على كل انسان أو مؤسسة أن يقرر هذا الحق فيما بعد .

وانى لأعجب من التبرير الساذج الذى استند اليه حكم المحكمة برفض دعوى عدم الدستورية ، وذلك ظنا منها أنها تتجنب سخط الرأى العام بمثل هذا التبرير .

فالحكم الصادر من المحكمة اما أن يقضى بعدم دستورية القانون واما أن يقضى برفض دعوى عدم الدستورية موضوعا ، وهو ما يعنى دستورية القانون المطعون فى دستوريته .

أما قول المحكمة بأن التعديل الطارىء على دستور ١٩٧١م والمعدل سنة ١٩٨٠ والقاضى بأن الشريعة الاسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع مؤداه أن يلتزم المشرع بعدم مخالفة الشريعة الاسلامية فيما يصدره من تشريعات جديدة ، فان التعديل يعنى أيضا أن يقوم المشرع بالغاء كل التشريعات السابقة والمخالفة للتعديل الجديد فان لم يفعل المشرع ذلك ، فلا يكون من سبيل سوى اللجوء الى المحكمة الدستورية العليا لتقضى بعدم دستورية مثل هذه القوانين المخالفة للتعديل الجديد .

والى هنا أتوقف ، ولعلى أكون قد أوضحت الأمر بعض الشىء على أن يكون حديثى القادم ان شاء الله عن الربا وتحريمه فى شريعتنا الغراء ، وأتناول شبه القائلين بجواز التعامل مع البنوك وأخذ فوائد عن أموالهم المودعة فيها .

وفقنا الله تعالى لاحقاق الحق وازهاق الباطل .

جمال أحمد السيد المراكبى

من أحكام اللقيط في الشريعة الإسلامية

الحمد لله رب العالمين .. والصلاة والسلام على خاتم النبيين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد ..

كثرت في هذه الآونة التساؤلات حول قضية التبني في الإسلام ، وكيف نعالج مشكلة اللقطاء في المجتمع الإسلامي .

الإسلام يحرم التبنى :-

والذى لا شك فيه أن الله تعالى قد حرم التبنى تحريماً قاطعاً ، لأننا لا يمكن بحال من الأحوال أن نغير حقيقة الواقع بدعوى ندعيها .

قال تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ واللهُ يَقُولُ الحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى السَّبِيْلَ . ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللهِ فَإِن لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِى الدِّيْنِ وَمَوَالِيْكُمْ ﴾ [الأحزاب ٤ - ٥] .

إن من أكبر الكبائر أن ينتسب الرجل إلى غير أبيه ، فيزاحم أبناءه ، ويطلع على عوراته ، ويجحد حق أبيه وأمه ولهذا قال النبى ﷺ : « لا ترغبوا عن آبائكم فمن رغب عن أبيه فهو كفر »[1] أخرجه مسلم .

«من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام »[2] .

(١) مسلم كتاب الإيمان باب بيان حال من رغب عن أبيه وهو يعلم ح رقم ٦٢ .

(٢) مسلم - حديث رقم ٦٣ .

بقلم
د . جمال المراكبى

زيد بن حارثة وسالم مولى أبى حذيفة

إن تحريم التبنى لا يعنى ترك اللقيط دون رعاية وحماية أو الإساءة إليه بحال من الأحوال ، أو الطعن فى شرفه أو الإزراء به ، فاللقيط مسلمٌ حرٌّ له ما للمسلمين وعليه ما عليهم ، ومن حقوقه على جماعة المسلمين أن تحفظ له نسبه إن كان معروفاً ، ولا يدعى إلى غير أبيه ، وأن تحفظ له قدره إن كان مجهول النسب ، فهو مولى للمسلمين يتمتع بمحبتهم ورعايتهم ونصرتهم ، ويبادلهم كل ذلك .

فهذا زيد بن حارثة حب رسول الله ﷺ ومولاه ينتسب إلى أبيه بعد أن كان ينتسب إلى رسول الله ﷺ ، ولا ينقص ذلك من قدره ولا يؤثر على سابقته وفضله ، ورسول الله ﷺ يقول له « أنت أخونا ومولانا »[٣] .

وهذا سالم مولى أبى حذيفة بن عتبة ، لا يعرف من أبوه ولا ينقص هذا من قدره ، فهو سالم الذى شهد بدراً وهو الذى يعلم المسلمين القرآن ، ويقول النبى ﷺ : « خذوا القرآن من أربعة- أحدهم- سالم مولى أبى حذيفة »[٤] ويقول عمر بن الخطاب عند موته « لو كان سالم حياً لوليته »[٥] .

تربية اللقيط فرض على المسلمين

فمن وجد طفلاً فى مكان يغلب على الظن هلاكه لو ترك فيه كان التقاطه فرض عين عليه لأنه نفس بشرية ضعيفة ، ولا ذنب له جناه ، وعلى كل الأحوال فالتقاط اللقيط فرض كفاية على جميع المسلمين فى البلد الذى يوجد فيه .

والإنفاق على اللقيط يكون من بيت مال المسلمين ، إن لم يكن معه مال ، فإن كان مع اللقيط مالٌ أنفق عليه منه إلا إذا أراد ملتقطه أن يربيه لوجه الله تعالى .

ماذا يصنع من وجد لقيطا ؟

من وجد لقيطاً ولم يرغب فى تربيته فعليه أن يقدمه لولاة الأمور ، وهم

٧٠

(٣) متفق عليه .
(٤) رواه البخارى ك فضائل القرآن حديث رقم ٤٩٩٩ .
(٥) أخرجه أحمد فى مسنده ، وصححه الشيخ أحمد شاكر .

يعنون بتربيته في الدور المعدة لذلك .

ومن وجد لقيطاً وكانت عنده الرغبة في تربيته ، فإنه يرفع الأمر إلى ولاة الأمور ، ويعلن استعداده لتحمل مسئولية تربيته ويحرر بذلك محضراً في قسم الشرطة .

لا يجوز للملتقط أن ينسب الطفل اللقيط إليه ، ولما كانت المصلحة تقتضي أن يستخرج له شهادة ميلاد ، فليستخرج له الشهادة ويسميه ، وينسبه إلى اسم عام كأن يقول فلان بن عبد الله ، أو يسميه باسم قريب من اسمه .

ليعلم الملتقط أن نشأة اللقيط في بيته محكومة بضوابط شرعية فلا يجوز له أن يخلو ببناته ولا بزوجته ، ولا يجوز له أن يطلع على الزينة الظاهرة التي أمرت المرأة بإخفائها عن الأجانب .

ويمكن التغلب على ذلك عن طريق الرضاع ، فإذا رضع اللقيط من زوجة الملتقط صار ابناً لهما بالرضاع ، ويصبح أمر الخلوة والاطلاع على الزينة جائزاً .

يجب على الملتقط العناية بأمر اللقيط ، وتربيته وتعليمه فيعلمه الصلاة إذا بلغ سبع سنوات ، ويضربه عليها إذا بلغ عشر سنوات لأن له الولاية عليه ، فيعامله معاملة ولده في الرعاية .

ينبغي أن يعلم اللقيط حين يدرك أنه أخ في الدين ومولى للمسلمين ، ويكون ذلك بأسلوب يحفظ له كرامته .

إذا ادعى أحد من المسلمين نسبة اللقيط إليه ، فإن نسبه يثبت ممن ادعاه من غير توقف على بينة استحساناً متى توافرت الشروط المعتبرة لصحة هذه الدعوى شرعاً سواء كان المدعي هو الملتقط أم غيره ، وذلك على التفصيل المعروف في كتب الفقه . والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

❋ الحياء :

الحياء خلق ناشئ عن حياة القلب ورؤية الآلاء (النعم الغزيرة) ورؤية التقصير في حقوق ربه ، ويثمر اجتناب المحرمات والقيام بالواجبات ولهذا قال - ﷺ - : « الحياء لا يأتي إلا بخير » متفق عليه .

موضوع العدد

الدولة الإسلامية والدينية والمدنية

الإسلام دين ودولة

منذ تفككت الدولة العثمانية - دولة الخلافة الإسلامية - فى أوائل هذا القرن تحت وطأة النفوذ الاستعمارى الغربى، وتمكن الغزو الفكرى الاستعمارى من السيطرة على كثير من رجال الفكر والثقافة فى بلاد المسلمين، ثار الجدال حول طبيعة الدولة فى الإسلام، هل هى دولة دينية أم هى دولة مدنية.

وقد بلغ هذا الجدل ذروته حين خرج الشيخ على عبد الرازق على الناس بكتابه «الإسلام وأصول الحكم» وزعم فيه أن الإسلام دين ورسالة سامية، لا علاقة له بالحكم والسياسة وقد ارتفعت أصوات العلماء بالإنكار على هذه المقولة وقائلها، وتفنيد الشبهات التى أثارها فى هذا الشأن وقامت هيئة كبار العلماء فى هذا الوقت بمناقشة الشيخ فى هذه الأفكار، وعلى أثرها تم طرد الشيخ من هذه الهيئة العلمية، وتحمس للشيخ كثير من الذين تصدوا للفكر وسيطروا على وسائل الإعلام فى هذا الوقت واعتبروه مثالاً للتحررية الفكرية، ومعولاً لهدم الفكر البالى المتمثل من وجهة نظرهم فى الفقهاء وعلماء الدين.

وهذه خطوة لبحث

بقلم
د . جمال
المراكبي
عضو لجنة الفتوى

هذا الأمر بتجردٍ وحيدة .

الرسول ﷺ يرسي دعائم الدولة :-

انطلقت الشرارة الأولى للدعوة الإسلامية فى مكة المكرمة ، وقد أبى عامة أهلها الانقياد لهذا الدين ، فأخذ النبى ﷺ يبحث عن أرض تنطلق منها دعوة الإسلام دون قيود ، فكانت هجرة المستضعفين إلى الحبشة ، وأخذ النبى ﷺ يعرض نفسه على قبائل العرب ويقول : « يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفحلوا ، وتملكوا بها العرب وتذل لكم بها العجم فإذا آمنتم كنتم ملوكاً فى الجنة »[1] .

وينبغى أن نلاحظ فى هذه الدعوة الإشارة إلى الدولة ، وإلى ملك العرب والسيطرة على العجم تحت راية هذا الدين .

وقد أثمرت هذه الدعوة ، وعقد رسول الله ﷺ عقداً مع الأنصار وذلك لتأسيس الدولة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وقد عرف هذا العقد باسم بيعة العقبة[2] .

وما أن خطت قدما رسول الله ﷺ مدينته الجديدة حتى بدأ فى تأسيس الدولة وإرساء دعائمها ، فبدأ ببناء المسجد ، وآخى بين المهاجرين والأنصار ، وعقد معاهدة مع قبائل اليهود بالمدينة وضمن ذلك كتاباً كان بمثابة الدستور للدولة الجديدة . [ابن

(١) أخرجه ابن سعد فى الطبقات جـ١ ص١٤٥ ، ونقله ابن القيم ، فى زاد المعاد جـ٣ ص٤٣ .
وفى سنده محمد بن عمر الواقدى وهو متروك متهم بالكذب ، ثم هو مرسل . وللحديث طرق وشواهد بمعناه دون قوله : « فإذا آمنتم كنتم ملوكاً فى الآخرة » فشطر الحديث الأول صحيح ، وانظر مسند الإمام أحمد [(٤٩٢/٣) ، (٦٣/٤ ، ٣٤١) ، (٣٧٦/٥)] ، وابن حبان فى صحيحه (رقم ١٦٨٣ - موارد) ، ومستدرك الحاكم (٦٢٤/٢) ، ودلائل النبوة للبيهقى ، وانظر البداية والنهاية (١٣٩/٣) لابن كثير ، والفصول فى سيرة الرسول (ص٤٦ - ط دار الصفا) لابن كثير ، ودفاع عن الحديث النبوى (٢٠ - ٢٢) للعلامة الألبانى .

(٢) كانت هذه البيعة بمثابة عقد تأسيس الدولة الإسلامية ، وقد اختار النبى ﷺ ممثلين عن باقى الأنصار عرفوا بالنقباء .

هشام - السيرة جـ٢ ص٣١٨ - ٣٢٠] وفى ظل الدولة انطلقت الدعوة ، ولم تمض عدة سنوات حتى دانت جزيرة العرب بالإسلام ، واتسعت رقعة الدولة ، وصار النبى ﷺ يرسل السفراء إلى ملوك الدول من حوله داعين إلى الإسلام ، ويرسل الأمراء فى أقطار الدولة لجباية الزكوات ، والحكم بين الناس ، فأرسل علياً ومعاذاً وأبا موسى إلى اليمن ، وولى عتاب بن أسيد على مكة وأرسل العلاء بن الحضرمى إلى البحرين ، وفى هذه الأثناء اكتملت الشريعة ، وتوطدت دعائم الدولة ، وأتم الله نعمته على عباده ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ المائدة .

دولة الخلافة : -

توفى رسول الله ﷺ ولم يستخلف أى لم يصرح للمسلمين باسم القائد والحاكم من بعده ، ولم يجد المسلمون أمامهم سوى أن يقوموا على أمر هذا الدين حتى يكونوا كما وصفهم رب العالمين سبحانه ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

وقد قام الصديق لينبه الناس إلى هذه الحقيقة فقال : - أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت ، ثم تلا ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ، وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِى اللهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ [آل عمران ١٤٤] .

وإن محمداً قد مضى بسبيله ، ولا بد لهذا الأمر من قائم يقوم به[1] .

نعم ... لا بد لهذا الأمر من قائم يقوم به ، قائم يقوم على أمر المسلمين يؤمهم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فما مات رسول الله ﷺ حتى ترك السبيل نهجاً واضحاً أحل الحلال وحرم الحرام ، وحارب وسالم .

وهكذا اتفق المسلمون على وجوب الإمامة ، أى على وجوب نصب إمام يقود المسلمين ويخلف النبى ﷺ فى أمته[2] .

وعلى هذا الأساس بايع المسلمون أبا بكر خليفة لرسول الله ودخلوا فى طاعته .

---

(١) ابن كثير - البداية والنهاية جـ٣ ص٢٤٢ وما بعدها .

(٢) وهذه من مسائل الإجماع - ومن هنا سمى الحاكم إماماً وخليفة .

وهكذا تمخضت النبوة عن خلافة راشدة تسير على منهاج النبوة فى سياسة الناس بشرع الله تعالى .

وقام أبو بكر بردع المرتدين ، وخرجت جموع المسلمين فى الآفاق ففتح الله عليهم بلاد الفرس والروم ، وفتح بدعوتهم قلوب العباد ، فدخل الناس فى دين الله أفواجاً .

ولكن زمان الخلافة الراشدة لم يطل ، فصار ملكاً عضوضاً وزالت خلافة الملك فصار ملكاً جبرياً .

ونحن نأمل فى تطبيق شرع الله على طريقة الراشدين ، وليس معنى هذا أننا نريد أن نرتد إلى الوراء ، وإنما نريد أن نسعى إلى الأمام فى ظل شريعة الإسلام التى أنزلها الله عز وجل وأتمها وأكملها لتحكم الناس فى كل زمان ومكان .

ونحن على أمل أن يقوم المسلمون - حكاماً ومحكومين - بتحقيق هذه الغاية التى بشرنا بها رسول الله ﷺ « تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء ، ثم تكون ملكاً عاضاً فيكون ما شاء الله أن يكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون ملكاً جبرياً فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة »[1]

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [المائدة : ٢] وإلى لقاء آخر .

جمال المراكبى

فوائد مختلفة

- لما سلم لآدم أصل العبودية لم يقدح فيه الذنب .
- ابن آدم ، لو لقيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئاً ، لقيتك بقرابها مغفرة .
- لما علم السيد أن ذنب عبده لم يكن قصداً لمخالفته ولا قدحاً فى حكمته ، علمه كيف يعتذر إليه ﴿ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ ، كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾[1] .
- العبد لا يريد بمعصيته مخالفة سيده ولا الجرأة على محارمه ، ولكن غلبات الطبع ، وتزيين النفس والشيطان ، وقهر الهوى ، والثقة بالعفو ، ورجاء المغفرة هذا من جانب العبد .

(١) أخرجه أحمد فى مسنده جـ٤ ص٢٧٣ ، وأخرجه الطبرانى والبزار وقال الهيثمى : رجاله ثقات - مجمع الزوائد جـ٥ ص١٨٩ وأخرجه الألبانى فى سلسلة الأحاديث الصحيحة جـ١ ص٨ حديث رقم (٥) .

بقلم
د . جمال المراكبى
عضو لجنة الفتوى

الدولة الإسلامية و المدنية

(الحلقة الثانية)

١ - الإسلام دين ودولة حقيقة لا شك فيها ، ومن يدعى غير ذلك فإنما يخبط فى عماية خبط عشواء .

وكثيراً ما قالوا : إننا لا نعترف بالإسلام كدولة لأننا لا نريد دولة دينية تتحكم فى رقاب العباد استناداً إلى فكرة الحق الإلهى المقدس ، بل نريد دولة مدنية نملك فيها مساءلة الحاكم ومحاسبته وتغييره إن أساء فما مدى صحة هذا الكلام ، وهل السلطة فى دولة الإسلام دينية أم مدنية .

٢ - إن اصطلاح الدولة الدينية عند أغلب المعاصرين اصطلاح غربى مأخوذ عن الاصطلاح الفرنسى المشهور « الدولة الثيوقراطية » .

والترجمة المعتبرة لهذا الاصطلاح هى « الدولة التى ينسب مصدر السلطة فيها إلى الله » بمعنى أن يدعى الحاكم أنه هو الله ، كما كان فى مصر القديمة ، وفى اليابان حتى أواسط هذا القرن ، أو يدعى الحاكم أنه ينوب عن الله إما بتفويض مباشر أو غير مباشر .

وفى مثل هذه الدولة لا يسأل الحاكم عما يفعل ، لأن إرادته وحكمه إنما هو تعبير عن إرادة الله وحكمه .

٣ - وواضح هنا أنه لا علاقة لهذه الدولة بالدين الصحيح المنزل لهداية الناس ، وإنما ترتبط هذه النظرية بالمعتقدات الفاسدة والوثنيات القديمة ، حتى ولو كان رجال الدين

المسيحى قد أقروها فى العصور الوسطى .

وهنا ينبغى أن نتساءل :

٤ - هل الدولة الإسلامية دولة تيوقراطية ؟

هل الحاكم فى الدولة الإسلامية يحكم بوصفه إلهاً ، أو بتفويض من الله ؟

إن مؤسس هذه الدولة كان نبياً رسولاً يأتيه الوحى من السماء ، ومع ذلك فهو حريص على إبراز حقيقة هامة ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ ﴾ [فصلت : ٦] إنه بشر يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق ، وكونه يتلقى وحى السماء لا يعنى أن إرادته وحكمه هى القانون الذى لا يرد ، وإنما يعنى أنه فقط مبلغ عن الله .

لقد كان رسول الله ﷺ يجتهد فيما لا نص فيه وكان يصيب ويخطىء ، فينزل الوحى مؤيداً أو معقباً ومصححاً . بل إنه كان يسارع إلى الرجوع إلى الحق ، حتى أنه يعترف بالخبرات الإنسانية فيقول « أنتم أعلم بأمور دنياكم »[1] .

ورسول الله ﷺ يطبق القانون على نفسه ويلتزم به لأنه أعلم الناس بربه ، وأشدهم له خشية . فيعرض بدنه للقصاص ، ويعرض أهله للقصاص ويقول : « والذى نفسى بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمدٌ يدها »[2] .

وبعد وفاة النبى ﷺ وانقطاع الوحى ، صارت شريعة الله الخالدة هى الحكم ، تحكم بين الناس حكاماً ومحكومين ولم تحدد الشريعة طريقاً معيناً لاختيار الحاكم ، وإنما تركت ذلك لجماعة المسلمين ، فهى التى تختار الحاكم وهى التى تراقبه وتحاسبه إن جار .

ومن ثم ظن البعض أن السلطة فى الدولة الإسلامية سلطة مدنية زمنية ، ورتبوا على ذلك نتيجة هامة وهى أن الأمة هى مصدر السلطات فى الدولة الإسلامية لأن الحاكم ينوب عنها ويحكم باسمها .

٥ - والحقيقة أن محاولة تطبيق النظريات والمصطلحات الغربية على الدولة الإسلامية ينشأ عنه خلل فى الفهم والتصور ، وخلل فى الحكم والنتيجة .

فالذين يرفضون تطبيق الشريعة يقولون لا نريدها دولة دينية تيوقراطية ، فيرد عليهم البعض بأن السلطة فى الدولة الإسلامية مدنية وليست دينية ، فيردون عليهم من مقالتهم : وطالما أنها مدنية فالشعب هو الذى يحكم ويقرر فكيف تلزمونه

(١) أخرجه مسلم - ك الفضائل - ب وجوب امتثال ما قاله شرعاً دون ما ذكره من معايش الدنيا على سبيل الرأى - حديث رقم ٢٣٦٣ .

(٢) متفق عليه .

بأحكام وتشريعات وحدود مضى عليها أكثر من ألف عام ؟!!!

٦ - والحقيقة أن الدولة الإسلامية هى الدولة المسلمة التى تدين بالإسلام وبه تحكم وإليه تدعو ، فهى دولة دينية وليست تيوقراطية تحكم وفق نظرية الحق الإلهى، وإنما تدين دين الحق ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ ﴾ .

— وهى دولة عقدية نشأت بناء على تعاقد حقيقى تم بين مجموع أفرادها وبين قائدها ومؤسسها كما بينا فى المرة السابقة وتطور هذا التعاقد فأخذ صورة البيعة ، وقد كان النبى ﷺ يحرص على مبايعة كل عضو جديد يشارك فى بناء الدولة وتطورت البيعة فصارت أصلاً فى نقل وتداول السلطة فى الدولة الإسلامية بصورة قريبة من صورة الانتخاب فى العصر الحديث .

— وهى دولة شرعية يخضع فيها الحاكم والمحكوم لأحكام الشرع ويترتب على ذلك نتائج هامة ربما نفصلها فيما بعد منها على سبيل المثال :

(١) وجوب التزام منهج الشورى .

(٢) إرساء دعائم الحق والعدل والمساواة وكفالة الحقوق والحريات التى كفلتها شريعة الإسلام .

(٣) وجوب السمع والطاعة لولاة الأمر فى غير معصية الله .

(٤) التزام منهج المناصحة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى الإطار المحدد شرعاً .

وأخيراً فهى دولة عقائدية تقوم على أساس عقائدى هو توحيد الله عز وجل والتزام شريعته .

إن الدولة الإسلامية لا تسعى إلى مجرد تحقيق رفاهية الفرد والمجتمع فحسب بل تسعى إلى تحقيق سعادة الإنسان فى الدنيا والآخرة .

وعلى الله قصد السبيل ، وهو المستعان .

جمال المراكبى

القناعة :

قال أبو العتاهية :

رغيف خبز يابس ... تأكله فى زاوية
وكوز ماء بارد ... تشربه من ساقية
وغرفة ضيقة ... نفسك فيها خالية
أو مسجد بمعزل ... عن الورى فى ناحية
تدرس فيه دفتراً ... مستنداً لسارية
معتبراً بمن مضى ... من القرون الخالية
خير من الساحات فى ... فىء القصور العالية
تعقبها عقوبة ... تصلى بنار حامية

بقلم
د . جمال المراكبى
عضو لجنة الفتوى

أسس ودعائم الحكم فى الدّولة الإسلاميّة

أولاً: الشرعية

نظام الحكم فى الدولة الإسلامية تحكمه ضوابط وقيود شرعية ، ولا يمكن بحال أن نتصور أنه متروك لأهواء الحاكم وبطانته ، يحكمون بما تمليه عليهم أهواؤهم ومصالحهم ، ثم يضفون على هذه الأهواء الصبغة الدينية ويتحكمون فى رقاب الناس باسم الدين ، كما يظنه بعض من يجهلون حقيقة هذا النظام .

إنه نظام شرعى ، محكوم بشرع الله تعالى وحاكم به ، قال تعالى : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٥٦] . والطاغوت هو كل معبود متبوع مطاع من دون الله تعالى .

وقد نهى القرآن الكريم عن عبادة الأشخاص وإن كانوا علماء الدين ، وعن متابعة الأهواء والأغراض مع الإعراض عن شرع الله تعالى ، فنعى على أقوام ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ . [التوبة : ٣١] يحلون لهم الحرام ، ويحرمون عليهم الحلال فيطيعونهم . ونعى على آخرين اتباع الأهواء ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ . [الجاثية : ٢٣]

ولهذا قال الله تعالى لنبيه : ﴿ وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكَ ﴾ .

[المائدة : ٤٩]

فالحكم بشريعة الله هو الأساس المتين والقاعدة الراسخة التى يقوم عليها نظام الحكم فى الإسلام .

وقد حث النبى ﷺ على التمسك بأهداب الشرع من بعده « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى كتاب الله وسنتى »[1] .

ونحن نعلم يقيناً أن محمداً هو خاتم الأنبياء المبعوث للناس كافة ، وأن شريعته خاتمة الشرائع يصلح الله بها فساد كل زمان ومكان ، ونعلم بالضرورة أن نصوص الشرع محدودة متناهية ، وحوادث الزمان المتجددة غير متناهية ، ولهذا قررت الشريعة مبدأ الاجتهاد ، الاجتهاد فى فهم نصوص الشرع وتطبيعها ، لا الاجتهاد فى نبذها والإعراض عنها ، فليس هناك اجتهاد مع النص .

ويؤدى الاجتهاد بضوابطه إلى تطور الفقه الإسلامى وخصوبته ومرونته .

ومن هنا فإن الشريعة تعطى الحق للمجتهدين وأولى الأمر فى التشريع ، ويكون التشريع محكوماً بضوابط .

أولها : ألا يخالف شرع الله الثابت نصاً أو روحاً وإلا وقع التشريع باطلاً .

الثانى : أن يكون مبنياً على تحقيق مصالح الناس ودفع الضرر عنهم .

وتمتد هذه التشريعات لتشمل التشريعات واللوائح التنظيمية والتنفيذية ، بل والتشريعات المستقلة فيما لا نص فيه ، وهو ما يعرفه الأصوليون بـ « حق أولى الأمر فى تقييد المباح » وعليه أمثلة كثيرة فى السوابق التاريخية فى عهد الراشدين منها :-

- جمع الناس على مصحف واحد لنبذ الفرقة والاختلاف فى عهد عثمان .
- منع عمر الصحابة من الزواج بنساء أهل الكتاب بعد انتشار الفتوح لمنع الضرر بالمسلمات .
- إن الشرعية الإسلامية تحتكم إلى شريعة ربانية من حيث مصدرها وغايتها ووجهتها ، ومن ثم فهى معصومة من التناقض والتطرف والاختلاف الذى يصيب تشريعات البشر .

وتمتاز هذه الشريعة بالوسطية ، لذا كانت الأمة الوسط هى التى تقيم الشريعة الوسط ، فتأهل بها إلى منزلة الشهادة على الأمم يوم القيامة ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ .

---

(١) صحيح . رواه مالك فى الموطأ معضلاً ، وله شاهد من حديث ابن عباس أخرجه الحاكم ، ومن حديث أبى هريرة ، وانظر المشكاة (رقم ١٨٦) ، والصحيحة

تابع أسس ودعائم الحكم فى الدولة الإسلامية

تكلمنا عن الشرعية الإسلامية كأصل وأساس يقوم عليه نظام الحكم فى الدولة الإسلامية .

ومن أهم الأسس التى تتفرع عن هذا الأصل ، كفالة الشريعة لحقوق الأفراد وحرياتهم ، وإقرار العدل وتحقيق المساواة .

ثانيا : كفالة الحقوق والحريات

وإذا كانت الأنظمة المتقدمة فى عالم اليوم قد اهتمت بهذا الأساس ، بدءاً من الإعلان العالمى لحقوق الإنسان وانتهاءاً بإنشاء المنظمات ، بل والمحاكم التى تعنى بحقوق الإنسان ، فإن الشريعة الإسلامية ومنذ أربعة عشر قرناً ، قد بلغت فى ذلك إلى الحد الذى اعتبرت معه هذه الحقوق بمثابة ضرورات وواجبات لا ينبغى التفريط فيها بحال .

وإذا كانت دول العالم الثالث ، ومنها بلاد المسلمين تعانى من الانتهاكات الصارخة لحقوق الإنسان ، فإن ذلك يرجع إلى بعد هذه البلاد عن التطبيق الأمثل لشريعة الله عز وجل .

(١) المساواة :

لقد قررت الشريعة الإسلامية المساواة بين بنى الإنسان ، فلم تعترف بفروق مصطنعة على أساس الجنس أو اللون أو اللغة ، فالناس فى أصل الخلقة سواء ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَآءً ﴾ .

[النساء : ١]

إن الأساس الذى يتفاضل به الناس عند خالقهم هو التقوى وهو أمر قلبى لا يعرف حقيقته إلا رب العالمين ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ

بقلم
د . جمال المراغبى
عضو لجنة الفتوى

عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ .
[الحجرات : ١٣]

وفى حجة الوداع يقول النبى ﷺ : « أيها الناس إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب أكرمكم عند الله أتقاكم ، ليس لعربى فضل على عجمى ، ولا لعجمى فضل على عربى ، ولا لأحمر فضل على أبيض ، ولا لأبيض فضل على أحمر إلا بالتقوى . ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد »[1] .

ويربى الإسلام فى الإنسان هذا المبدأ وينميه ، ويحوله إلى واقع عملى ، ففى الصلاة يصطف الناس خلف إمامهم بلا تمايز ، وفى الصوم يمتنع الجميع عن الطعام والشراب طوال النهار ، ويجتمعون عليه فى وقت واحد ، وفى الحج يلتقى المسلمون وقد نزعوا ثيابهم وزينتهم ، ولبسوا جميعاً ثياباً أشبه ما تكون بأكفان الموتى ، فلا تمايز بينهم وكلهم فى هذا الموقف سواء .

❋ المساواة أمام القانون : —

والمساواة أمام أحكام الشريعة أصل من أصول الإسلام يتساوى فيه الحاكم والمحكوم ، والشريف والوضيع . والنبى ﷺ يقول : « إنما ضل من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها »[2] .

وتسوى الشريعة بين الولاة والرعية ، وقد كان عمر يحذر ولاته من أن تأخذهم نشوة السلطة فتنسيهم هذا الأصل وكان يخطب الناس فيقول : أيها الناس إنى لم أبعث عمالى عليكم ليصيبوا من أبشاركم ولا من أموالكم ، إنما بعثتهم ليحجزوا بينكم ، وليقسموا فيئكم بينكم ، فمن فُعل به غير ذلك فليقم ، من ظلمه عامله بمظلمة فلا إذن له علىّ ، ليرفعها إلىّ حتى أقصه منه ، فيقول أحد الولاة :

(١) أحمد ٥/٤٤١ - ورجاله رجال الصحيح - مجمع الزوائد جـ٣ ص ٢٦٩ . صحيح

(٢) البخارى - كتاب الحد د - حديث رقم ٦٧٨٧ .

أرأيت إن أدب أميرٌ رجلاً من رعيته ، أتقصه منه ؟

فيقول عمر : وما لى لا أقصه منه وقد رأيت رسول الله ﷺ يقص من نفسه[٣] .

❋ المساواة أمام القضاء : -

والمساواة أمام القضاء من المظاهر التى لم تعرفها كثير من دول العالم على النحو الذى عرفه المسلمون الأوائل حين التزموا شريعة الله ، وقد تخاصم أمير المؤمنين علىّ مع رجل من أهل الذمة إلى شريح القاضى ، فقضى للذمى على أمير المؤمنين ، وهذا فى زمن فتنة وحرب أهلية تبيح للحاكم فرض حالة الطوارئ وقوانين الضرورة فى أرقى دول العالم اليوم[٤] .

❋ المساواة بين المسلم والذمى : -

وتقرر الشريعة الإسلامية المساواة بين المسلم والذمى إلا فيما يتعلق بأمر العقيدة والعبادة .

قال على بن أبي طالب : إنما قبلوا عقد الذمة لتكون أموالهم كأموالنا ، ودماؤهم كدمائنا .

والأصل الفقهى أن لهم ما لنا وعليهم ما علينا .

❋ المساواة بين الرجل والمرأة : -

وتسوى الشريعة بين الرجل والمرأة ، ولكنها لا تغفل أن لكل منهما دوره ووظيفته ، فالمرأة مكلفة بكل أركان الإيمان والإسلام ، وبكل أحكام الشرع وآدابه وأخلاقه إلا ما استثنى كترك الصلاة والصوم حال الحيض ، وعدم وجوب الجهاد على المرأة ، وكذلك أحكام العدة والنفقة وغير ذلك .

والنظام الإسلامى يجعل للمرأة وظيفتها كما أن للرجل وظيفته ولكن الوظيفة الرئيسية للمرأة تتعلق ببيتها وأولادها ، وليس معنى هذا أن عمل المرأة خارج البيت حرام ، فللمرأة أن تعمل بشرط مراعاة الآداب والأخلاق والضوابط الشرعية فى تعاملها مع غير محارمها ، وليس العمل خارج البيت بضرورة بالنسبة للمرأة لما لها من حق النفقة والكفالة على الرجل ، ولما يؤدى من نتائج سلبية سيئة تنعكس على الأسرة وعلى المجتمع .

والإسلام يصون المرأة عن كل ما يؤذيها ويشينها ، ولهذا فقد منع النبى ﷺ المرأة من كل عمل يؤدى إلى تبذلها وينافى ما يجب لها من صيانة وستر ، فقال :

(٣) ابن سعد - الطبقات الكبرى - المجلد الثالث - القسم الأول ص ٢٠١ وإسناده صحيح .

(٤) البداية والنهاية جـ ٨ ص ٥ - وتاريخ الخلفاء ص ١٧٢ .

« لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة »[٥].

وأجمع أهل العلم على أن المرأة لا تلى منصب الخلافة والرئاسة وذهب جمهور العلماء إلى عدم جواز توليها القضاء.

(٢) العدالة : -

والعدالة من الأسس التى عليها عمار الكون وصلاح العباد، لذا حث عليها الإسلام فى شتى المواطن حتى مع العدو، وفى زمن الفتنة.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ﴾.

[النساء : ٥٨]

﴿ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ﴾.

[الحجرات : ٩]

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾.

[المائدة: ٨]

والنبى ﷺ يرسى دعائم العدل قولاً وعملاً « والمقسطون عند الله على منابر من نور على يمين الرحمن وكلتا يديه يمين، هم الذين يعدلون فى حكمهم وأهلهم وما ولوا »[٦].

« وإن أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأقربهم منه مجلساً إمام عادل »[٧].

وحين دخل عبد الله بن رواحة على يهود خيبر ليخرص عليهم ثمارهم، عرضوا عليه الرشوة، فقال لهم : لقد جئتكم من عند أحب الخلق إلى، ولأنتم أبغض إلى من أعدادكم من القردة والخنازير، وما يحملنى حبى إياه وبغضى لكم على أن لا أعدل فيكم. قالوا : بهذا قامت السماوات والأرض[٨].

وتقوم فلسفة الإسلام على أن فساد الرعية لا ينصلح إلا بالعدل، وشريعة الله تعالى هى العدل المطلق، والإمام العادل هو الذى يتبع أمر الله تعالى بوضع كل شىء فى موضعه من غير إفراط ولا تفريط.

شكى بعض الولاة إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز سوء حال رعيته، وسأله : آخذ الناس بالظنة وأضربهم على التهمة، أو آخذهم بالبينة وما جرت عليه السنة ؟ فكتب إليه عمر : خذ الناس بالبينة وما جرت عليه السنة فإن لم يصلحهم الحق فلا أصلحهم الله.

---

(٥) البخارى ك المغازى ح رقم ٤٤٢٥، وشرح السنة جـ١٠ ص ٧٦ - ٧٧.

(٦) مسلم ك الإمارة ح رقم ١٨٢٧، شرح السنة جـ١٠ ص ٦٣.

(٧) ضعيف : الترمذى ك الأحكام ١٣٢٩ وشرح السنة ج ١٠ ص ٦٥ وفى سنده عطية العوفى وهو ضعيف.

(٨) أبو داود ح رقم ٣٤١٠. وابن ماجه ح رقم ١٨٢٠، وإسناده حسن.

يقول الوالى : ففعلت ، فصارت من أصلح البلاد وأقلها سرقة[٩].

والعدالة فى الإسلام تعم العدل الاجتماعى والتكافل الاجتماعى ولهذا جعل الله تعالى فريضة الزكاة حقاً للفقراء ولبنة فى بناء العدل الاجتماعى ، حتى أن النبى ﷺ يجعل بيت المال - خزانة الدولة - وارثاً لمن لا وارث له وعائلاً لكل فقير أو ضعيف .

« من ترك مالاً فلورثته، ومن ترك ضياعاً فإلىّ وعلىّ »[١٠] حتى إن بيت المال ليقوم بسداد ديون المدينين ، وتجهيز الفنادق لاستضافة المسافرين فى عهد عمر بن عبد العزيز[١١] .

(٣) كفالة الحقوق والحريات : -

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ ﴾ .

[الإسراء : ٧٠]

ولا شك أن الحرية والمساواة هى أعظم تكريم لهذا الإنسان ولقد جعل الله تعالى حرية الإرادة مناطاً للتكليف ، فمن سُلبت إرادته سقط عنه التكليف وأصبح عالة على غيره .

وقد كفل الشرع للإنسان حريته كاملة ، ولكنه ضبطها بمجموعة من الضوابط حتى لا تصطدم حريات الأفراد بعضهم ببعض ، ولا يطغى بعضهم على بعض ويستعبد بعضهم بعضاً وحتى لا يسير الإنسان وراء شهواته ونزواته فتنحط ذاته ويفقد أساس كرامته وتفضيله على سائر المخلوقات .

الحرية المدنية : -

وهى كون الشخص أهلاً لإبرام العقود والتصرفات ، وهى ما تعرف بالأهلية ، أهلية الوجوب وأهلية الأداء .

أما أهلية الوجوب وهى التى تجعل الشخص صالحاً للتملك فقد قررها الشرع لكل إنسان بغير قيد ، حتى الجنين فى بطن أمه جعل له نوعاً من هذه الأهلية .

أما أهلية الأداء ، وهى كون الشخص أهلاً للتصرف فى ماله فهى مكفولة لكل أحد ، إلا من ساء تصرفه فكان وبالاً على نفسه وعلى المجتمع كالسفيه والمجنون فقد قرر الشرع ضوابط لحمايته ﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا ... ﴾ الآية

[النساء : ٥] .

ولا يفرق الشرع بين الناس على أساس الدين أو الجنس ، بل المسلم وغيره سواء ، والرجل والمرأة فى ذلك سواء .

الحرية الدينية : -

يكفل الشرع الإسلامى حرية الاعتقاد ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ﴾. [البقرة: ٢٥٦]

﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ

---

(٩) السيوطى - تاريخ الخلفاء ص ٢٢١ .

(١٠) متفق عليه .

(١١) تاريخ الرسل والملوك للطبرى جـ٦ ص ٥٦٧ .

جَمِيعاً ، أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ .

[يونس : ٩٩]

فالإسلام لا يعرف الإكراه ولا يعترف به ، بل يرفع معه التكليف ، والدعوة إلى الله لا تكون إلا بالحكمة والموعظة الحسنة .

ولكن حين يقوم كبراء الناس ليصدوا عن سبيل الله ويمنعوا من وصول الدعوة إلى غيرهم فهنا يتعين على المسلمين جهادهم ﴿ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴾ .

[التوبة : ١٢]

لقد راسل النبى ﷺ الملوك ودعاهم إلى الإسلام فلم يستجب أكثرهم ، أما من استجاب منهم فلم يطلب منه أن يجبر الناس على دخول الإسلام ، بل كل المطلوب منه أن يترك الإسلام كعقيدة يتحاور مع غيره من العقائد ، والغلبة دائماً للحق ، وأما من أعرض وأبى فلم يقاتل إلا حين منع الدعوة وصد عن سبيل الله .

وبهذا الفهم نجد أن المسلمين الأوائل لم يفكروا فى لحظة أن يفتحوا بلاد الحبشة كما فتحوا بلاد الفرس والروم رغم أن سكان الحبشة لم يدخلوا جميعاً فى الإسلام ، وكذلك اليمن ، وذلك لأن طريق الدعوة مفتوح ، ولهذا كانت وصية النبى ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن « إنك تأتى قوماً أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً فإن هم أطاعوا لذلك . وفى رواية - فإذا عرفوا الله - فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات ... الحديث »[١٢] .

ودلالة الحديث واضحة ، فإن هم أطاعوا ، أما إذا لم يطيعوا فالأصل الثابت ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ ﴾ .

ولو كان الإكراه جائزاً أو معمولاً به ، لما وجدنا لغير المسلمين وجود فى بلاد المسلمين ، فالواقع خير شاهد على نفى الإكراه وقد كان لعمر بن الخطاب غلاماً نصرانياً ، فكان عمر يعرض عليه الإسلام فيأبى ، فيقول عمر « لا إكراه فى الدين » .

وليس معنى الحرية هنا أن يتمرد المسلم على دينه وشريعته ولهذا جعل الإسلام للارتداد حداً شرعياً « من بدل دينه فاقتلوه »[١٣] .

الحرية الفكرية : -

الإسلام دين يحترم العقل ويدعو إلى التأمل والتدبر ، ويحذر من عاقبة التقليد الأعمى .

﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾ . [ق : ٦]

(١٢) متفق عليه . (١٣) متفق عليه .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ .

[البقرة : ١٧٠]

وحرية الفكر مكفولة ما لم تتصادم مع نصوص الشرع ، لأن فى ذلك تطاول عقلى وقول على الله بغير علم .

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ .

[الإسراء : ٣٦]

وفى المناظرات الفقهية التى تزخر بها كتب الفقه والتاريخ خير شاهد على مدى تمتع الأفراد بحرية الفكر والرأى والتعبير ، وإذا كانت بعض فترات التاريخ الإسلامى لا تشهد لذلك ، فالعيب ليس فى شريعة الله بل فى بعد المسلمين عن هذه الشريعة .

أما عن الحرية السياسية وحق الفرد فى المشاركة فى الأمور العامة فسوف نتناوله تفصيلاً فى الحديث عن الشورى والمناصحة .

وإلى لقاء آخر

[redacted]

• ليس للعابد مستراح إلا تحت شجرة طوبى ، ولا للمحب قرار إلا يوم المزيد . انشغل به فى الحياة يكفيك ما بعد الموت .

• يا منفقاً بضاعة العمر فى مخالفة حبيبه والبعد منه ، ليس فى أعدائك أضر عليك منك .

ما تبلغ الأعداء من جاهل ما يبلغ الجاهل من نفسه

وقال الشاعر :

يا نفس إنى قائل فاسمعى مقالة من مشفق ناصح
لا يصحب الإنسان فى قبره غير التقى والعمل الصالح

قال القرطبى فى تفسير الآية ١٨٩ :

إذا رئى الهلال كبيراً فقال علماؤنا : لا يعوَّل على كبره ولا على صغره وإنما هو ابن ليلته ، روى مسلم عن أبى البخترى قال : خرجنا للعمرة فلما نزلنا ببطن نخلة قال : تراءينا الهلال ، فقال بعض القوم : هو ابن ثلاث ، وقال بعض القوم : هو ابن ليلتين . قال : فلقينا ابن عباس فقلنا : إنا رأينا الهلال ، فقال بعض القوم : هو ابن ثلاث ، وقال بعض القوم : هو ابن ليلتين فقال : أى ليلة رأيتموه ؟ قال فقلنا : ليلة كذا وكذا قال : إن رسول الله ﷺ قال : « إن الله مده للرؤية » فهو لليلة رأيتموه .

بقلم
د . جمال المراكبى
عضو لجنة الفتوى

موضوع العدد

"تابع" أسس ودعائم الحكم فى الدولة الإسلامية

ثالثا: الشورى

الشورى أساس متين من أسس الحكم فى دولة الإسلام أرشدنا القرآن إليها ، وأمر بها وأوجبها وجعلها سمة لجماعة المؤمنين ، ومنهج حياة ﴿ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالفَوَاحِشَ وَإِذَا ما غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ البَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴾ [الشورى : ٣٦ - ٣٩] .

وحين خرج النبى ﷺ من المدينة للقاء المشركين فى غزوة أحد ، وذلك بناءً على مشورة أكثر أصحابه ، ثم كانت الهزيمة ، ونزلت آيات القرآن بإيجاب المشاورة حتى لا يظن البعض أنها كانت من أسباب الهزيمة ، فيكون ذلك ذريعة لنبذها ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ القَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ، فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ ، وَشَاوِرْهُمْ فِى الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ آل عمران ١٥٩

وقد حفلت السنة النبوية بكثير من النصوص التي تحث على التزام منهج الشورى قولاً وعملاً على كل المستويات وقد ضرب رسول الله ﷺ المثل فى ذلك حتى ليقول عنه بعض أصحابه : "[1] ما رأيت أحداً

(١) ضعيف. أخرجه عبد الرزاق فى مصنفه (رقم ٩٧٢٠)، ومن طريقه أحمد فى مسنده (٣٢٨/٤)، وابن حبان (رقم ٤٨٧٢)، وغيرهما، من طريق الزهرى عن أبى هريرة مرسلاً ، ضمن سياقته لحديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم الطويل ، وغيرهما ، من طريق وأصل القصة فى صحيح البخارى ، دون هذه الزيادة لإرسالها . وذكرها الترمذى (١٢٩/٣) بغير إسناد .

أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ .

فالشورى ضرورة من ضرورات الحياة لا يستغنى عنها مسلم ولا يبخل بها مسلم ، فالمستشار مؤتمن لا يفضى لأخيه سراً ، ولكن يدله على سبيل الرشد.

«إذا استشار أحدكم أخاه فليشر عليه »[٢]

« من استشاره أخوه فأشار عليه بغير رشد فقد خانه »[٣].

والشورى بركة ، فما شقى قط عبدٌ بمشورة ، وما سعد باستغناء رأى ، وما خاب من استخار ولا ندم من استشار .

والمرأة تستشار ، وقد أشارت السيدة أم سلمة على النبى ﷺ فى صلح الحديبية[٤] ، وأهم ما تستشار فيه المرأة أمر زواجها ، فالبكر تستأمر والثيب تشاور[٥] .

ولا يجوز أن يولى على المسلمين والٍ أو يستخلف خليفة بغير مشورة ، وفى الحديث « لو كنت مؤمراً » - وفى رواية - مستخلفاً أحداً من غير مشورة لاستخلفت ابن أم عبد »[٦]

وقد كان رسول الله ﷺ لا يدع المشاورة فى أمره كله ، وكان يكثر أن يقول : « أشيروا علىَّ أيها الناس واستشار أصحابه فى بدر قبل القتال » ، وشاورهم فى مصير الأسرى ، واستشارهم قبل الخروج فى غزوة أحد واستشار أصحابه فى غزوة الخندق ، وشاور علياً وأسامة فى حادثة الإفك ،

---

(٢) ضعيف . أخرجه ابن ماجه (رقم ٣٧٤٧) عن جابر بن عبد الله ، وسنده ضعيف .

(٣) فيه ضعف . أخرجه البخارى فى الأدب المفرد (٢٥٩) ، وأحمد (٣٢١/٢ ، ٣٦٥) ، وأبو داود (رقم (٣٦٥٧) ، من حديث أبى هريرة مرفوعاً بأتم مما هاهنا ، وفى سنده عمرو بن أبى نعمة وهو لين الحديث .

(٤) أخرجه البخارى فى صحيحه (رقم ٢٧٣١ ، ٢٧٣٢) فى قصة صلح الحديبية .

(٥) أخرجه أحمد (٢٢٩/٢) ، وابن المنذر - كما فى الفتح (١٩٢/٩) - وهشيم مدلس وقد عنعن ، والحديث فى الصحيحين بلفظ : « لا تنكح الأيم حتى تستأمر ، ولا تنكح البكر حتى تستأذن » وله ألفاظ أخرى فى الصحيح .

(٦) ضعيف . أخرجه أحمد (٧٦/١ ، ٩٥ ، ١٠٧ ، ١٠٨) ، والترمذى (رقم ٣٨٠٨ ، ٣٨٠٩) ، وابن ماجه (رقم ١٣٧) ، وابن سعد (١٠٩/١/٣) ، وأبو القاسم فى الجعديات ، والبغوى فى شرح السنة ، وغيرهم ، كلهم من طريق أبى إسحاق عن الحارث الأعور عن على بن أبى طالب ، والحارث واه ، وأبو إسحاق مدلس وقد عنعن ، وقد اختلط أيضاً ، ورواه الحاكم فى المستدرك (٣١٨/٣) من طريقه عن عاصم بن ضمرة عن على .

ولو تتبعنا حوادث الشورى فى عصره لطال بنا المقام .

وقد اتسع مجال العمل بالشورى فى عهد الخلفاء الراشدين وذلك لظهور حوادث لم تكن تعرف على عهد رسول الله ﷺ من ذلك اختيار خليفة المسلمين وحاكمهم .

ومن المأثور عندهم فى ذلك « من بايع رجلاً من غير مشورة المسلمين فلا يتابع ولا الذى بايعه تغرة أن يقتلا »(٧) .

وكذلك لجأ الراشدون إلى أسلوب المشاورة فى استنباط الأحكام الشرعية والاجتهاد فى الأقضية ، فكان أبو بكر إذا ورد عليه الخصم نظر فى كتاب الله فإن وجد فيه ما يقضى به قضى بينهم ، وإن علمه من سنة رسول الله ﷺ قضى به ، وإن لم يعلم خرج فسأل المسلمين عن السنة ، فإن أعياه ذلك دعا رؤوس المسلمين وعلماءهم فاستشارهم(٨) وبمثل ذلك كان يفعل عمر بن الخطاب .

ثم كانت الشورى سبيلهم فى كل ما جد من الأمور ، ولو استقصينا ذلك لطال بنا المقام جداً .

حكم الشورى :-

اختلف أهل العلم قديماً فى ذلك فمنهم من قال : الشورى مندوبة ، فما أمر الله نبيه بالمشاورة لحاجة منه إلى رأيهم ، وإنما أراد أن يعلمهم ما فى المشاورة من الفضل ، ولتقتدى به أمته من بعده .

ومنهم من قال : الشورى واجبة لأن الله تعالى أمر بها نبيه والأصل فى الأمر أنه للوجوب ما لم تصرفه عن الوجوب قرينة وهو عام فى جميع الأمة ما لم تثبت خصوصية النبى ﷺ به وليس أدل على وجوب الشورى من التزام النبى ﷺ منهج المشاورة وهو المعصوم بوحى السماء ، وكذلك التزام الخلفاء الراشدين لهذا المنهج واجب الاتباع لقول النبى « فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى »(٩) بل إن الذين ذهبوا إلى استحباب المشاورة ربطوا الأمر بشخص النبى ﷺ وهو المعصوم بالوحى ، ولكن غيره من الخلفاء والأمراء لا يملكون مثل هذه العصمة فوجب عليهم أن يعتصموا بمنهج الشورى .

(٧) البخارى ك الحدود ح٦٨٣٠ ، وأحمد ٥٦/١ ، وعبد الرزاق فى المصنف جـ٥ ص٤٤٥ ح٩٧٥٩ . من حديث عمر .

(٨) أخرجه الدارمى (٦٨/١ - رقم ١٦١) من طريق ميمون ابن مهران ولم يدرك أبا بكر .

(٩) صحيح . أخرجه أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه وغيرهم من حديث العرباض بن سارية .

وهذا هو الذى يرجحه أكثر المتأخرين ، لأن النصوص تدل عليه دلالة صريحة ، ومنهج النبى ﷺ ومنهج خلفائه من بعده تجعل الشورى أصلاً وأساساً متيناً للحكم فى الدولة الإسلامية .

موضوع الشورى وحدودها : -

وهى الدائرة التى يباشر فيها أهل الشورى اختصاصهم ولقد حاول البعض التضييق من مجال الشورى فزعموا أن الشورى لا تكون إلا فى الحروب لأن اللام فى لفظة « الأمر » ليست للاستغراق لخروج ما نزل فيه الوحى باتفاق ، وليس ذلك إلا ما جرى من أمر الحرب فى غزوة أحد .

والراجح أن الشورى تكون فى كل الأمور التى لم ينزل فيها وحى من السماء ، لأن لفظ « الأمر » لفظ عام خُص بما نزل فيه وحى ، فيبقى حجة فى الباقى .

إن وقائع الشورى فى صدر الإسلام لم تكن قاصرة على أمور الحرب ، فكان النبى ﷺ يستشير فى أمور عامة كثيرة كتعيين الولاة ، بل كان يستشير فى بعض الأمور الخاصة كما استشار علياً وأسامة فى حادثة الإفك .

وكذلك لجأ الراشدون إلى أسلوب الشورى فى الكثير من الوقائع التى تتعلق بمصالح الأمة كجمع القرآن وتدوين الدواوين .

وتجارب الشورى تبين بوضوح أن الصحابة قد فهموا أن الشورى لا تكون إلا فى الأمور التى لم ينزل فيها وحى من السماء لأن ما كان فيه نص قاطع فلا مجال للرأى فيه لوجوب طاعة الله ورسوله ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُبِيناً ﴾ [الأحزاب ٣٦]

أما ما نزل فيه وحى السماء ولم يكن قاطعاً فى دلالته فهو محل للاجتهاد والاستنباط ، ولهذا فإنه يدخل فى مجال الشورى من هذه الناحية ، وقد حدث هذا فى عصر النبوة حين نزل قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ﴾ [المجادلة ١٢]

فقال النبى ﷺ لعلى بن أبى طالب : ما ترى ؟ دينار ؟ قال : لا يطيقونه ، قال : فنصف دينار ؟ قال : لا يطيقونه ، قال : فكم ؟ قال : شعيرة ،

فقال النبى ﷺ : إنك لزهيد ، فنزلت

﴿ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ ﴾ [المجادلة ١٣]

قال على : فبى خفف الله عن هذه الأمة[١٠] .

قال ابن حجر : ففى هذا الحديث المشاورة فى بعض الأحكام .

وفى هذا بيان أن الشورى تجوز فى الأحكام الظنية وفى كل ما يجوز فيه الاجتهاد ، وهذا تخصيص للقول بأنها لا تكون فى المنصوص عليه من الأحكام.

أهل الشورى : -

لم تبين لنا النصوص من هم أهل الشورى ولا صفاتهم ولا عددهم ، وجاءت السوابق التاريخية واسعة فضفاضة . فتارة يكون المستشار وحداً بعينه منتدباً أو متطوعاً ، وتارة يكون أهل الشورى عدد غير محصور وقد يكونون جماهير المسلمين ، وقد يكون أهل الشورى جماعة منتخبة تمثل المسلمين وهم الذين يطلق عليهم النقباء أو العرفاء ، وقد يكون المستشار رجلاً أو امرأة ، أو يكون شاباً أو كهلاً ، وقد كان القراء أصحاب مجلس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شباباً[١١] .

ونتيجة لهذه المرونة فى تشريع الإسلام للشورى اختلف أهل العلم فى تحديد أهل الشورى وتحديد صفاتهم كماً وكيفاً فذهب البعض إلى أنهم أهل الحل والعقد وإن اختلفوا فى تحديد هذه الفئة ، وذهب البعض إلى أنهم جميع أبناء الأمة ولكن لاستحالة جمعهم يختار من بينهم من يمثلهم لأداء هذه المهمة .

والذى ينبغى أن نقرره أن الشورى فى منهاج الإسلام تتسع لكل فكرة وكل نظام يحقق المشاورة عملاً ، فمن الجائز أن تقوم الأمة باختيار أهل الشورى على أن يشترط فى المرشح أن يكون أهلاً لهذه المكانة ، ويجوز لولى الأمر أن يشاور أهل الاختصاص ويجوز أن تعرض بعض المسائل على الأمة جميعها أو غير ذلك .

---

(١٠) ضعيف . أخرجه الترمذى (٣٣٠٠) ، والنسائى فى خصائص على (رقم ١٥٢) ، وابن أبى شيبة وعبد بن حميد وابن جبان (١٧٦٤ ، ١٧٦٥ ، ٢٢٠٨ - موارد) ، وأبو يعلى وغيرهم ، وفى سنده على بن نغمة الأنمارى وهو ضعيف ، وله طريق أخرى عند الحاكم (٤٨٢/٢) نحوه دون آخره بغير هذه السياقة .

(١١) انظر صحيح البخارى (رقم ٧٢٨٦) . كتاب الاعتصام ، باب ٢ ، ٢٨ معلقاً .

٥ أسس ودعائم

مناصحة

رأينا من قبل كيف نظمت الشريعة العلاقة بين الحاكم والمحكوم وجعلت أساسها قيام الحاكم نحو الرعية بما هو واجب عليه وما هو مأمور به من الحكم بشريعة الله ، والتزام منهج الشورى وإقرار العدل ، وكفالة حقوق الأفراد وحرياتهم ، وصيانتها من كل اعتداء ، وقيام الرعية بما هو واجب عليها من التزام طاعة أولى الأمر والصبر عليهم وعدم الخروج عليهم ما لم يأتوا بالكفر البواح الظاهر المعلوم بالضرورة من دين الله .

وقيام ولاة الأمور بواجباتهم حيال رعيتهم أمر من أمور الدين يثابون عليه ، ويعاقبون إن هم قصروا فى شىء منه ، وقيام الرعية بواجبها نحو ولاة الأمر من قبيل الطاعة لله تعالى ، ومن هذا المنطلق الإيمانى قررت نصوص الشريعة مبدأ المناصحة وأوجبته على جميع المسلمين حكاماً ومحكومين ، فعن تميم الدارى قال رسول الله ﷺ : الدين النصيحة – ثلاثاً – قلنا : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله عز وجل ، ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم[1] .

وقد عد بعض العلماء هذا الحديث من الأحاديث التى عليها مدار الدين كله ، وقد أخبر النبى ﷺ أن الدين النصيحة ، فدل على أن النصيحة تشمل الدين كله ، فتشمل خصال الإسلام والإيمان والإحسان .

والنصيحة كلمة يعبر بها عن جملة هى إرادة الخير للمنصوح له ، فهى كلمة جامعة تتضمن قيام الناصح للمنصوح له بوجوه الخير إرادة وفعلاً[2] .

ولهذا فإن رسل الله عز وجل قد قاموا بواجب النصيحة تجاه دعوتهم ، وتجاه أممهم .

قال نوح عليه السلام : ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّى وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف/٦٢] .

وقال هود عليه السلام : ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّى وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾ [الأعراف/٦٨] .

وقد وردت كلمة النصيحة بصيغة المفاعلة – المناصحة – وفى ذلك إشعار بأنها واجب على كل

الحكم فى الدولة الإسلامية

بقلم
د . جمال المراكبى
عضو لجنة الفتوى

ولاة الأمور

فرد تجاه المجموع . وحق لكل فرد من المجموع أيضاً .

قال رسول الله ﷺ « إِنَّ اللهَ يرضى لكم ثَلاثاً ويسخط لكم ثلاثاً : يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولى الله أمركم ... » الحديث[٣] .

وقال « ثلاث لا يغل عليهن قلب امرىء مسلم : إخلاص العمل لله ، ومناصحة ولاة الأمور ، ولزوم جماعة المسلمين »[٤] .

ولما كانت النصيحة بهذه الدرجة من الأهمية ، جعلها رسول الله ﷺ من الأمور التى تتم البيعة عليها .

فعن جرير بن عبد الله قال : بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم .

وفى رواية : على السمع والطاعة ، فلقننى فيما استطعت والنصح لكل مسلم[٥] .

والنصيحة لله عز وجل هى الإيمان به وتوحيده ونفى الولد والشريك عنه ، وتنزيهه عن كل نقص لا يليق به ، وإفراده بصفات الكمال والجلال ، والتزام أوامره واجتناب نواهيه ، والخوف من عذابه ، والطمع في رحمته ، والحب فيه والبغض فيه . وهذا هو جماع العبادة ، ولهذا روى فى الحديث القدسى « أحب ما تعبدنى به عبدى النصح لى »[٦] .

والنصيحة لكتاب الله عز وجل هى : الإيمان بأنه كلام الله غير مخلوق ، والعمل على تلاوته ، والرغبة في فهمه ، وإقامة حدوده .

والنصيحة للنبى ﷺ بطاعته ومحبته ومحبة آله وصحبه وتعظيمه بتعظيم أمره ونهيه والعناية بسنته وسيرته واتباع نهجه وهديه .

والنصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم من أصول استقرار المجتمع المسلم ، وقيامه على أمر الله عز وجل ، وهى واجب على الحاكم والمحكوم .

فمناصحة الحاكم لرعيته تكون بالتزام شرع الله عز وجل فى حكمه ، وإقرار العدل ، ومنع الظلم ، والتزام منهج المشاورة عملاً ، وحماية حقوق الرعية ، والرفق بهم فى كل أمورهم ، وتولية من هو أهل للولاية عليهم ، والأصلح للقيام بحقهم .

وفى الصحيح « ما من عبد يسترعيه الله رعية ثم لم يحطها بنصيحة إلا لم يدخل الجنة » .

« ما من والٍ يلى رعية من المسلمين يموت وهو غاشٌ لهم إلا حرم الله عليه الجنة » .

وكذلك بانتقاء بطانة الخير من أهل الصلاح والتقوى ، وفى المستدرك « من ولى من أمر المسلمين شيئا فولى رجلاً وهو يجد من هو أصلح للمسلمين منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين » .

أما مناصحة الرعية لولاة الأمور فهى على مراتب :

١ - مناصحة عند الاختيار :

ومؤداها أن يختار المسلمون حاكمهم اختياراً حراً وفقاً لأحكام الشورى .

٢ - مناصحة طاعة:

تحكمها قاعدة « إنما الطاعة فى المعروف » .

٣ - مناصحة إرشاد:

تقوم فيها الأمة بواجبها فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بالضوابط الشرعية وهذه المرتبة الناس فيها على درجات :

- فهناك البطانة التى تحيط بالحاكم من الوزراء والمستشارين والمقربين ، وهم أقدر الناس على نصحه والتأثير عليه ، وهؤلاء يقول فيهم رسول الله ﷺ : « ما بعث الله من نبى ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان ، بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه ، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه ، والمعصوم من عصم الله تعالى »[٧] .

فهؤلاء إن نصح الحاكم في اختيارهم نصحوا له ، وإن أساء فى اختيارهم كانوا سبباً فى سخط الله عليه وسخط رعيته عليه ، والموفق من عصمه الله .

- وهناك العلماء الذين حملهم الله تعالى أمانة الدعوة والبيان والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وأخذ عليهم العهد بذلك ، وهؤلاء هم أئمة الناس فى الإصلاح ، وأقدرهم على وعظ الحاكم

ونصحه وفقاً للضوابط الشرعية ، وإنما الناس تبع لهم .

وفى الحديث « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » « سيد الشهداء حمزة ، ورجل قام إلى سلطان جائر فأمره ونهاه فقتله »[٨] .

وهؤلاء هم أهل الحل والعقد فى الدولة الإسلامية ، إن رأوا فى ولاة الأمور اعوجاجاً قوموه بالنصح ، وإن رأوا فيهم سداداً ساعدوهم وعاونوهم ، وأمروا الناس بنصرتهم ومعاونتهم وطاعتهم فى المعروف ، وإن رأوا كفراً بواحاً ظاهراً كانوا دعاة التغيير ، وقادوا الأمة إلى حظيرة الإيمان والإسلام .

والنصيحة فى المجتمع المسلم لا تعنى التعيير والإهانة والتجريح والتشهير ، وإنما تعنى الإصلاح ، ولهذا فالأولى أن تكون فى ثوب مقبول مع ستر المنصوح ، وهكذا كان سلفنا الصالح إذا أرادوا نصيحة أحد وعظوه سراً .

سئل ابن عباس عن أمر السلطان بالمعروف ونهيه عن المنكر فقال : إن كنت فاعلاً ففيما بينك وبينه[٩] .

وقيل لأسامة بن زيد : ألا تدخل على عثمان فتكلمه ؟ فقال : أترون أنى لا أكلمه إلا أسمعكم ؟ والله لقد كلمته فيما بينى وبينه ، ما دون أن أفتح أمراً لا أحب أن أكون أول من فتحه[١٠] .

– وهناك عامة الناس ، ومناصحتهم مناصحة طاعة ومحبة ودعاء بالتوفيق والسداد .

وفى ذلك يقول بعض السلف : لو كانت لى دعوة مستجابة لدعوتها لسلطان المسلمين ، فإنها تصيب جميع المسلمين بالخير .

ولا يجوز لعامة الناس أن يخرجوا على ولاة الأمور ولا أن يعلنوا العصيان ابتداءً وإنما هم كما قلنا تبع لأهل الحل والعقد من العلماء ، لا يسبقونهم بقول ولا بفعل ، وإلا عمت الفوضى وشاعت الفتن .

والنصح لعامة المسلمين يكون بإرشادهم إلى مصالحهم ، وتعليمهم أمور دينهم ، وستر عوراتهم ، ونصرتهم فى الحق ، وحب الخير لهم والشفقة عليهم ، ومجانبة الغش والحسد لهم ، ورحمة الصغير وتوقير الكبير إلخ .

وفى الحديث « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم ، ومن لم يمس ويصبح ناصحاً لله ولرسوله ولكتابه ولعامة المسلمين فليس منهم »[١١] .

وهذا أصل فى إيجاب التعاون على البر والتقوى وحب الخير والنصح لجميع

الناس ، ومن ينظر إلى واقع الأمم يرى الفارق واضحاً بين النظام الإسلامى وغيره من النظم التى يتباهى الساسة فيها بخبرتهم فى الرياء والنفاق وخداع الجماهير والتأثير على الرأى العام بالفضائح وبكل الأساليب المشروعة وغير المشروعة حتى صارت تعريفاتهم للسياسة والسياسى مشهورة متداولة ولكن هذه هى السياسة فى المجتمع المسلم ، سياسة المناصحة لا سياسة الكذب والخداع .

(١) أخرجه مسلم .
(٢) جامع العلوم والحكم ص٢٩٦ بتحقيق الأحمدى أبو النور .
(٣) مسلم .
(٤) جزء من حديث أوله « نضر الله امرءاً ... » وقد رواه البزار بإسناد حسن عن أبى سعيد ، وروى عن جمع من الصحابة - راجع صحيح الترغيب (٣) .
(٥) متفق عليه .
(٦) إسناده ضعيف . أحمد (٢٥٤/٥) ، قال الهيثمى (٨٧/١) : فيه عبيد الله بن زحر عن على بن يزيد ، وكلاهما ضعيف .
(٧) البخارى .
(٨) ورد عن جمع من الصحابة - وانظر الصحيحة (٤٩١) .
(٩) جامع العلوم والحكم ص٣٠٤ .
(١٠) مسلم .
(١١) ضعيف : الطبرانى فى الأوسط والصغير . وله شواهد كثيرة لكنها ضعيفة جداً ، وانظر الصحيحة (٣٠٩ - ٣١٢) .

للناس حِرْص على الدنيا وَتدْبِيْرُ ... وفى مُرَادِ الهَوَى عَقْلٌ وتَشْمِيْرُ
وإن أتوا طاعةً لله رَبِّهِمُ ... فالعقلُ منهم عن الطاعاتِ مأسُورُ
لأجل هذا وذاك الحرص قَدْ مُزِجَتْ ... صَفَاءُ عيشاتِها هَمٌ وتكْدِيرُ
لم يُرْزَقُوهَا بعَقْلٍ عند مَا قُسِمَتْ ... لَكِنَّهُم رُزِقُوها بالمَقَادِيرِ
لو كان عن قُوةٍ أو عَن مُغالَبَةٍ ... طَارَ البُزَاتُ بأقْواتِ العَصَافِيرِ

التعددية في النظام السياسي الإسلامي

إن حديثنا عن الطاعة لا يعني نبذ فكرة المعارضة تماماً ، فالمعارضة لا تكون في كل صورها خلعاً للطاعة أو خروجاً على الجماعة ، بل إن آية الطاعة نفسها تفتح مجالاً واسعاً للمعارضة حين يأمر ولاة الأمور بما يخالف شرع الله تعالى ، وكذلك الأحاديث التي قيدت الطاعة بالمعروف ، لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

وكذلك الحديث عن الشورى ، وافتراض الاختلاف في الرأى بين أهل الشورى ، والحديث عن المناصحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يفسح مجالاً واسعاً للمعارضة المشروعة لكل ما يخالف الحق .

بل إن السوابق التاريخية في عصر الرسالة وفي عصر الخلافة الراشدة تبين لنا أن المعارضة كانت معروفة ومكفولة في إطار محدد ، وبضوابط معينة .

فقد عارض كثير من الصحابة ما ورد في صلح الحديبية من بنود جائرة .

قال عمر بن الخطاب ، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت : ألست نبي الله حقاً ؟ قال : بلى .

قلت : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟

قال : بلى .

قلت : فلم نُعطى الدنية في ديننا إذن ؟

قال : إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري[1] .

وهنا لم يعترض النبي ﷺ على معارضتهم إياه ، وإنما بين لهم أن ما يفعله هو

قد يكون حديثنا عن الطاعة وأنها دين وقربة وتآلف ووحدة قد أثار فى أذهان البعض نبذ فكرة المعارضة فى النظام الإسلامى على أساس أنها نبذ للطاعة وخروج عن الجماعة ، وقد يفهم البعض الآخر أن نظام الشورى لا يمكن تحقيقه عملاً إلا فى ظل تعددية حزبية ، تسمح بقيام المعارضة وبتنظيمها .

والحق أن النظام السياسى الإسلامى لا يؤيد فكرة المعارضة ولا يرفضها فى ذات الوقت ، وإنما ينظر إليها باعتبارها فكرة جديدة تخضع لضوابط المصلحة .

د. جمال المراكبى
عضو لجنة الفتوى

الأصلح ، فليس فيه معصية لله ، وإنما فيه نصر للإسلام والمسلمين ، فقال لهم : إنى رسول الله ولست أعصيه وهو ناصرى .

وصدق رسول الله ﷺ فقد كان هذا الصلح نصراً عزيزاً للمسلمين ، وسماه الله تعالى فتحاً مبيناً فقال : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً ﴾ [الفتح/١] .

وفى تقسيم غنائم هوازن وغطفان ، أعطى رسول الله ﷺ المؤلفة أموالاً كثيرة ، واعترض بعض الأنصار على ذلك فجمعهم رسول الله ﷺ وبين لهم صواب فعله حتى رضوا جميعاً[٢] .

فهذه بعض صور المراجعة والمعارضة الجائزة ، وقد أقرها رسول الله ﷺ ولم ينكر على المعترضين ، ولا بين أن معارضته لا تجوز ، مع أنه رسول الله المؤيد بوحى السماء ، وكثيراً ما نزل رسول الله ﷺ عن رأيه إلى رأى معارضيه إن استشعر المصلحة والصواب فيه .

ففى غزوة تبوك قل طعام الجيش ، فاستأذن الناس فى نحر بعض الإبل ليأكل منها الجند ، فأذن لهم رسول الله ﷺ فى ذلك ، فجاءه عمر معترضاً وقال : إذن يقل الظهر ، ثم اقترح على النبى ﷺ أن يجمع ما تبقى من الطعام ويدعو عليه بالبركة ، ففعل النبى ﷺ ذلك حتى أكل الجيش كله[٣] .

وفى عصر الخلافة

الراشدة اعترض سعد بن عبادة على مبايعة الصديق ، ولم يجبره أحد على البيعة .

وفى هذا المسلك إقرار لفكرة المعارضة فى ترشيح رئيس الدولة بل والامتناع عن بيعته دونما حرج طالما كان ذلك فى حدود احترام حرية الرأى ، أما إذا تعدى هذه الحدود إلى الدعوة إلى نبذ الطاعة والخروج على الحاكم ، فإنه يُعد بذلك عدواناً على الشرعية يلزم القضاء عليه حفاظاً على الجماعة ووحدة الأمة .

وقد اعترض بعض الصحابة على مسلك عمر ابن الخطاب عندما حبس أرض الخراج فى العراق والشام ومصر على مصالح المسلمين ولم يقسمها بين الغانمين ، ولكن أغلبهم وقف إلى جانب عمر فى اجتهاده[٤] .

وإذا كانت هذه بعض صور المعارضة الجائزة ، فإن هناك صوراً للمعارضة لا تجوز لأنها تخرج عن إطار الشرعية إلى إطار الطعن والهدم لبنيان الدولة .

والمثال الواضح على هذا النوع اعتراض الأعرابى على رسول الله ﷺ فى قسمته ، واتهامه إياه بالجور ، فقال : اعدل يا محمد .

وقد رفض النبى ﷺ هذا المسلك لأن فيه طعناً فى دين الله باتهام رسول الله ﷺ ، ولهذا قال له النبى ﷺ : « ويلك فمن يعدل إذا لم أعدل قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل »[٥] .

وكذلك اعتراض الخوارج على أمير المؤمنين على بن أبى طالب فى قضية التحكيم ، وخروج هؤلاء الناس على جماعة المسلمين لأن الفارق بين الخروج وبين المعارضة السلمية المشروعة كبير ، لهذا قال لهم على : إن لكم علينا أن لا نمنعكم مساجدنا ، ولا نمنعكم نصيبكم من الفىء ما دامت أيديكم معنا ، ولا نبدؤكم بقتال ما لم تقاتلونا .

حدود المعارضة فى النظام السياسى الإسلامى :

إذا كنا قد قررنا من قبل جواز المعارضة فى النظام السياسى الإسلامى واستشهدنا لذلك بسوابق تاريخية عديدة ترجع إلى العصر الأول وهو عصر الرسالة والخلافة الراشدة ، فإننا نتساءل ما هى حدود تلك المعارضة ، وكيف تتشكل ؟

هل هى معارضة فردية أم جماعية منظمة ؟ وقبل أن نجيب على هذه الأسئلة نقرر حقيقتين لا ينبغي أن نغفل عنهما ونحن نخوض غمار هذا الموضوع .

الحقيقة الأولى :

أن الدولة الإسلامية دولة دينية شرعية تقوم على مبادىء سماوية لا يجوز لأحد أن يتخطاها ، ولا يجوز للإرادة الشعبية أن

تخالفها إلا إذا تخلت عن دينها .

الحقيقة الثانية :

أن الشريعة الإسلامية أغفلت عن عمد تنظيم هذه الموضوعات ، تاركة إياها لظروف المجتمع فهى متروكة للجماعة تنظمها حسبما يتوافق مع مصالحها .

ويمكن أن نستنتج من ذلك نتائج عدة :

أولاً : الإسلام لا يسمح بمعارضة تستهدف النيل من النظام الإسلامى ، وعلى هذا فلا يجوز قيام أحزاب دينية طائفية تعارض النظام الإسلامى ، وتسعى لإقصائه عن السلطة ، ولا يجوز قيام أحزاب علمانية تسعى إلى نبذ الدين وإقصائه عن الدولة ، ولا يجوز قيام أحزاب تتبنى أيديولوجية تخالف الإسلام وتعتبر الدين أفيون الشعوب كالماركسية .

ولا يجوز للمعارضة أن تنال من الإسلام كدين ، فتناقش أمراً من الأمور التى تتعلق بأصول الدين ، أو من المعلوم من الدين بالضرورة ، فترفضه أو تسعى لتغييره .

فالمعارضة لا يجب أن تخرج فى تنظيمها . ولا فى أفكارها عن الإطار العام للنظام الإسلامى ، وذلك لأن هذا الإطار محدد بنصوص شرعية يجب الوقوف عندها ، ويحرم تجاوزها أما فى داخل هذا الإطار فالمعارضة جائزة ، وذلك لأنها تؤدى إلى تقليب وجوه الرأى لاستخراج أفضل الحلول والقرارات وذلك يؤدى إلى منع الاستبداد وتحقيق الشورى عملاً .

ثانياً : المعارضة التى يشجع النظام الإسلامى عليها هى تلك التى تهدف إلى تحقيق المصالح العامة للأمة الإسلامية .

ثالثاً : النظام السياسى الإسلامى لا يتقيد بأى نظام آخر ، فلا يقلد نظاماً معيناً ، ولا يرفض أى أسلوب يحقق له المصلحة المنشودة .

رابعاً : لا يجوز أن تترك المعارضة ميدان الجدل والنقاش إلى ميدان الخروج والقتال ، ومن ثم لا يقر النظام الإسلامى حزباً بوليسياً أو عسكرياً مسلحاً .

خامساً : لا تعنى المعارضة خروجاً على الطاعة ، وإنما هى مرتبطة بالجماعة والوحدة ، فالتعددية لا تعنى الفرقة ، فالافتراق فى الدين مذموم شرعاً ، والتعددية فى الفكر وتقديم المشورة محمود شرعاً وعقلاً ، وبها يزداد الفكر الإسلامى نماءً وخصوبة ، يشهد لذلك ما أورده الفقهاء من أمثلة لهذه التعددية فى أمور الاجتهاد

والاستنباط ، دون أن يعيب بعضهم على بعض ، وإنما غايتهم الحق ، ولسان حال كل منهم « رأيى صواب يحتمل الخطأ ، ورأى غيرى خطأ يحتمل الصواب » .

وقد يرى البعض أن ما انتهينا إليه من إقرار للمعارضة والتعددية أمراً يخالف الشرع ، فالنظام الإسلامى لم يعرف التعددية فى صورتها الحزبية ، بل إن النصوص تواترت بذم الأحزاب والحزبية .

والحق أن القول بأن التعددية أمر يخالف الشرع الإسلامى لا دليل عليه ، بل إن السوابق التاريخية تشهد بأن التعددية المحكومة بالإطار الشرعى العام أمر محمود يحقق مصلحة الأمة .

أما القول بأن النظام الإسلامى لم يعرف التعددية الحزبية فى صورتها المعاصرة فهو حق ، ولكن النظام الإسلامى شهد صوراً للتعددية تلائم ما كان عليه العصر من بساطة .

وأما القول بتواتر النصوص فى ذم الحزبية ، فغير صحيح ، لأن الأحزاب التى ذمتها النصوص هى أحزاب الشرك والكفر ، أما الأحزاب التى تلتزم الإسلام ، وترضى بالله رباً وبمحمد رسولاً وبالإسلام ديناً ، فهى أحزاب الإيمان والله تعالى جعل المؤمنين حزباً ﴿ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ .

---

(١) رواه البخارى .
(٢) البخارى .
(٣) مسلم .
(٤) أبو عبيد القاسم بن سلام - كتاب الأموال ص ٥٩ - ٦٠ .
(٥) متفق عليه .

العلم لا يحصل إلا بالنصب والمال لا يجمع إلا بالتعب ، أيها العبد الحريص على تخليص نفسه إن عزمت فبادر وإنْ هممت فثابر واعلم أنه لا يُدْرِكُ العز والمَفَاخِر من كان فى الصف الآخر .

دَبُّوا إلى المجدِ والساعُونَ قد بَلغُوا ... جُهْدَ النُّفُوسِ وَشدُّوا دُوْنَه الأُزُرَا
وسَاوَرُوْا المجدَ حَتَّى مَلَّ أَكْثَرُهُم ... وعَانَقَ المَجْدَ مَن وافَى ومَنْ صَبَرا
لا تَحْسَبَ المجدَ تَمْراً أنْتَ آكِلُه ... لَنْ تَبْلُغَ المجدَ حَتَّى تَلعَقَ الصَّبِرا

بقلم

د. جمال المراكبى

عضو لجنة الفتوى

الديمقراطية والنظام السياسى الإسلامى

سادت الفكرة الديمقراطية العالم ، خاصة بعد انهيار الأنظمة الدكتاتورية ، حتى أضحى الحكم الديمقراطى أمل كل الشعوب .

وقد سرت هذه الروح فى أذهان أكثر المسلمين ، فظهرت الأفكار التى تدعو إلى تقليد الغرب فى كل شىء ، وظهرت أفكار أخرى ترى أن الديمقراطية تجد أساسها فى الإسلام ، فالإسلام هو الديمقراطية فى أسمى وأرفع أوضاعها .

● ولكن إلى أى حد تتشابه الديمقراطية مع نظام الإسلام السياسى ؟

وهل يصل هذا التشابه إلى حد التطابق ، والقول بأن الإسلام هو الديمقراطية فى أسمى أوضاعها ؟ أم أن أوجه الخلاف بين النظامين كثيرة لا يمكن تجاهلها ؟

الديمقراطية هى حكم الشعب صاحب السيادة بواسطة الشعب فهى ترمى إلى تملك السلطة بواسطة الشعب ، وتهدف إلى تحقيق المساواة القانونية بين الأفراد وإطلاق حرياتهم ، ولهذا فإن المذهب الفردى الحر هو أساس الديمقراطية فهل يتحقق النظام الإسلامى مع الديمقراطية فى هذه الأسس ؟

والحقيقة أن الديمقراطية والنظام السياسى الإسلامى لا يتطابقان قد نجد هناك بعض أوجه الشبه بين النظامين ، ولكننا لا نعدم أبداً أوجهاً للاختلاف .

الاسلام والديمقراطية ومبدأ سيادة الأمة : -

● مبدأ سيادة الأمة هو لب الديمقراطية وأساسها المتين والسيادة هى تلك السلطة العليا التى لا تضارعها سلطة أخرى

فإذا كانت السيادة للأمة كانت لإرادتها تلك السلطة العليا ولما كانت الأمة فى مجموعها يستحيل عليها ممارسة مظاهر السلطة والسيادة ، فإن أفراد الأمة يختارون نواباً ينوبون عنها فى ممارسة مظاهر السيادة والسلطان عن طريق الانتخاب وتعبر الأمة عن إرادتها فى صورة القانون ، ويمكن للأمة أن تصدر ما تشاء من قوانين ، ولا يحد من إرادة الأمة شئ .

● وقد تأثر بعض المسلمين بهذا المبدأ وفُتِنُوا به ، ثم نظروا إلى النظام الإسلامى فوجدوا أن الأمة هى التى تختار حاكمها ، وتراقبه وتناصحه ، وتحاسبه ، وتملك وحدها عزله إن حاد عن الطريق السليم ، فالحاكم وكيل عن الأمة يستمد سلطانه منها ، أو هكذا ينبغى أن يكون الحاكم فى المجتمع المسلم وانتهى هؤلاء إلى أن الأمة هى صاحبة السيادة فى الدولة الإسلامية ، وأن الأمة هى مصدر السلطات ، وأن المسلمين هم أول من قرر هذه الحقيقة وعمل بها .

● ولعل الذى دفع هؤلاء إلى هذه النتيجة هو نفى أن يكون الخليفة هو صاحب السيادة فى الدولة الإسلامية وما يتبع ذلك من كون النظام السياسى الإسلامى نظاماً استبدادياً أو تقراطياً ، وكذلك نفى أن تكون السلطة فى الدولة الإسلامية دينية أو بمعنى أخر ثيوقراطية ، وإنما هى سلطة مدنية مرجعها الأمة .

ودفعهم إلى ذلك أيضاً ما للأمة من سلطة واسعة فى اختيار الخليفة ، وأن إجماع الأمة حجة من الناحية الشرعية حيث عصم الله هذه الأمة من أن تجتمع على باطل أو ضلالة وفى الحديث « لا تجتمع أمتى على ضلالة »[1] .

والأمة كذلك مسئولة عن إقامة الدين وشرائعه وأحكامه ولهذا فإن نصوص القرآن والسنة تتوجه بالخطاب لعموم المؤمنين المكلفين بإقامة هذه الأحكام .

ودفعهم إلى ذلك أيضاً تلك الجاذبية التى تتمتع بها الأنظمة الديمقراطية التى تقوم على مبدأ سيادة الأمة ، أو السيادة الشعبية .

ولكننا لا يمكن أن نسلم بهذا القول ، فالأمة فى النظام الإسلامى لا تملك هذه السلطة المطلقة التى تملكها الأمة فى النظام الديمقراطى ، ولا تملك أن تصدر ما تشاء من قوانين لأنها مقيدة بأحكام الشريعة الإسلامية .

فليس للأمة أن تخالف نصاً قطعياً من نصوص الكتاب والسنة ، وحتى فى الدائرة التى لا تحكمها النصوص لا يجوز للأمة أن تشرع ما تشاء من قوانين وإنما هى مقيدة بألا تخرج عن روح الشرع . لذلك حرص معظم القائلين بهذا القول على أن ينصوا على أن سيادة الأمة فى النظام الإسلامى مقيدة بما فى نصوص الشرع ولكن هذا القيد يهدم مذهبهم من أساسه ، فالأمة لا يمكن أن تعد بحال صاحبة السيادة فى الدولة مع اعتبار هذا القيد وذلك لأن تقيدها بنصوص الشرع يؤدى حتماً إلى أن السيادة تكون لأحكام الشرع

الإسلامـــى ، أى لله رب العالمين وليست للأمة كما يزعم هؤلاء .

ومن يرجع إلى ماكتبه علماء المسلمين قديماً فى أصول الفقه فى مبحث الحكم يعرف أن علماء المسلمين قد قرروا هذه الحقيقة وأجمعوا عليها .

● إن نفى السيادة عن الأمة لا يعنى أن النظام السياسى الإسلامى نظام استبـدادى ، لأن الحاكم مقيد بأحكام الشرع الإسلامى فلا يجوز له الخروج عليها ، وقد أوجب الشرع على الأمة مراقبـة الحكام ومناصحتهـم ، بـل وعزلهم إن خرجوا عن إطار الشرعية ، ورفض رفضاً باتاً مبدأ الطاعة فى المعصية ، وهُو لا يعنى كذلك أن النظام الإسلامـى نظـام ثيوقراطـى وذلك لأن الحاكم فى الدولة الإسلامية لا يحكم بوصفه نائباً عن الله ، أو بحق إلهى مباشر أو غير مباشر وإنما يحكم بوصفه وكيلاً عن الأمة التى كلفها الله بإقامة شريعته وهو مقيد بأحكام الشرع الإسلامى لا يمكنه الخروج عليها وإلا عزلته الأمة وولت غيره .

إن مبدأ سيـادة الأمـة لا يتلاءم إلا مع نظام علمانى يقصى الدين عـن الدولـة والسياسة ، ويخول للأمة أن تقرر ما تشاء مما يوافق مصالحها دون أن ترجع فى ذلك لأحد ، أما النظام الإسلامى فهـو لا يغفل دور الأمة فى إدارة شئونها ، ولكنه لا يغفل أيضاً القواعد والضوابط التى تحكم الأمة فى تصرفاتها .

● ويمكـن تلخيص هـذه القواعد على النحو التالى : -

١ - السيـادة فى الدولـة الإسلامية لله تعالى متمثلة فى أحكام شريعته الخالدة التى تَعَبَّدَ الناس بها .

٢ - الأمة مسئولة عن تنفيذ أحكام الشريعة الإسلامية لأنها حاملة الأمانة والمخاطبة بأحكام الشريعة .

٣ - الأمة تختار الحاكم الذى ينوب عنها فى تنفيذ أحكام الشريعـة وسيـاسة الأمـور الدنيوية على مقتضاها ، وذلك لأن الأمة مجتمعة لا تستطيع أن تقوم بهذه المهام .

٤ - الحاكم لا يمارس سلطاته نيابة عن الله تعالى ، وإنما نيابة عن الأمة ، ولذلك فللأمة الحق فى مراقبته ومناصحته ومحاسبته وعزله إن اقتضى الأمر .

٥ - لا سيادة ، ولا وصاية لفرد من الأفراد ولا لطبقة من الطبقات على الأمة .

● وبهذا يتضح لنا أن النظام السياسى الإسلامى لا يتفق مع الديمقراطية فى أدق خصائصها وأهم أسسها ، ولا يعنى هذا أن النظام الإسلامى يفتقد مزايا الديمقراطية لأنه ما من ميزة أو فضيلـة يـأتى بها النظـام الديمقراطى إلا ويتمتـع بها النظام الإسلامى على الوجه الأكمل ، ويتضح لنا هذا حين نقارن بين النظام الإسلامى والديمقراطية من حيث إقرار الحقـوق الفردية وإطـلاق الحريات ، وقد سبق لنـا الحديث عن كفالة الحقوق والحريات كمبدأ من المبادىء التى يقوم عليها نظام الحكم الإسلامى وبطبيعة الحال لن نكرر ما سبق أن أوردناه ، ولكننا نشير إشارات بسيطة لتتضح لنا هذه الحقيقة ، من

هذه الإشارات :

١ - أن هذه الحقوق والحريات التى تتغنى بها الديمقراطية قد عرفها المسلمون منذ ما يقرب من خمسة عشر قرناً .

٢ - ولا يفوتنا أن الفكر البشرى قد تطرف فى إقرار هذه الحقوق تطرفاً واضحاً ، ولا تزال آثار هذا التطرف واضحة فى المجتمعات الديمقراطية ، بينما جاءت الشريعة الإسلامية بنظام متكامل فيه إقرار لهذه الحقوق والحريات السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، ووسائل حمايتها والحفاظ عليها فى ثوب أخلاقى قشيب دونما إفراط أو تفريط .

٣ - وإذا كان الفكر الديمقراطى قد نجح فى بلورة هذه الحقوق والنص عليها فى إعلانات الحقوق ومقدمات الدساتير ، فإن الإسلام قد تجاوز هذا الحد فعدها من الواجبات التى لا يجوز للفرد ولا للجماعة التنازل عنها أو السماح بالنيل منها .

● إن هذ الحقوق والحريات تستند مباشرة إلى الشرع الإسلامى فتستمد قوتها من قوته وخلودها من خلوده ، وقدستيها من قدسيته ، فلا يملك أحد كائناً من كان المساس بها إلا إذا نال من شريعة الإسلام ذاتها .

● إن هذه الحقوق لا يكتفى الإسلام بإقرارها من وجهة نظرية عامة بل يعضدها بما فى تفصيلات الشريعة مما يتعلق بالحقوق ويقرر لها صفة الإلزام .

● وخلاصة هذه النتائج أن الإسلام بإقراره للحقوق والحريات قد تجاوز إلى حد بعيد ما قررته الديمقراطية اليبرالية فى العصر الحديث ، فما زالت هذه الأنظمة تخوض فى بركة لا أخلاقية فى إقرارها لهذه الحقوق ، حتى صار الشواذ يؤثرون على القرار السياسى فى بعض هذه البلاد ، ويدعون للتمرد على الدين وهدم الأخلاق إلى حد بعيد موقف الإسلام من المذهب الفردى الحر : لاشك أن المذهب الفردى هو الوجه الاقتصادى للديمقراطية والإسلام لا يميل إلى هذه النزعة الفردية البحتة ، بل يهدف إلى تحقيق صالح الفرد والجماعة معا .

فالملكية فى الإسلام مصونة ، لا يملك أحد أن يعتدى عليها ولكن هذا الحق لا ينبغى أن يتجاوز به صاحبه الحدود المشروعة فى الاكتساب والإنفاق ، لأن مجتمع المؤمنين يعلم يقيناً أن الملك لله وحده ، والإنسان فستخلف فيما حوله الله وإنها أمانة يحاسب عنها الإنسان ، ومن ثم فالإسلام لا يبيح الاحتكار ولا الاستغلال ، ولا أكل أموال الناس بالباطل ، ولا الربا ولا القمار قال تعالى : ﴿ وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ وقال ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَ الأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ ﴾ .

والشريعة توجب على المالك - المستخلف - ألا يتجاوز هذه الحدود الشرعية فى الاكتساب ، وتوجب عليه ألا يتجاوزها فى الانفاق ، وتجعل للفقير حقاً معلوماً فى مال الغنى ، وتفصيل ذلك معلوم بالضرورة من دين الإسلام ، بينما الديمقراطية لا تكاد تعرف

من ذلك شيئاً ، ولهذا يتخبط المشرع الوضعى يميناً ويساراً فى تقديره وضبطه لهذه الحقوق .

● نستخلص من ذلك أن النظام السياسى الإسلامى يختلف مع الديمقراطية اختلافاً بيناً من حيث الأساس والمبدأ ومن ثم يكون التجاوز أن يوصف النظام الإسلامى بأنه نظام ديمقراطى ، كما أن مدلول كلمة الشعب تختلف بين النظامين ، فالشعب فى منظور الديمقراطية يرتبط بالفكرة القومية ، بينما هو فى منظور الإسلام أوسع من ذلك بكثير بحيث يضم كل من شهد أن لا إلـه إلا الله وأن محمداً رسول الله بالإضافة إلى أهل الذمة من غير المسلمين .

● وإذا كنا قد قارنا بين الديمقراطية وبين النظام السياسى الإسلامى من حيث الأساس ، فإننا نجد صعوبة بالغة فى المقارنة بينهما من حيث الشكل والتفصيلات الجزئية ، لأن النظام السياسى الإسلامى قد ترك هذه التفصيلات لظروف الزمان والمكان ، بحيث تمارسها الأمة بالشكل الذى يحقق لها المصلحة .

● ومع ذلك فإننا نستطيع أن نتلمس بعض أوجه الشبه من حيث الشكل بين النظامين ، فلا شك أن النظام النيابى هو أقرب أشكال الديمقراطية للنظام السياسى الإسلامى خاصة فى شكله الرئاسى .

وكذلك فإن الشبه بين نظام الانتخاب وبين نظام البيعة عند المسلمين واضح .

● وعلى كل حال فالنظام الإسلامى كما قلنا من قبل يتوخى المصلحة فى كل ذلك ، ولا مانع من الاستفادة من تجارب الآخرين فى كل ما سكت عنه الشرع ، ولا شك أن حديثنا السابق عن التعددية لأبلغ دليل على ذلك .

● وبعد ذلك فهل تعتقد أيها المسلم أن النظام الإسلامى صورة من صور الديمقراطية ؟

وهل تعتقد أن حل ما نعانيه من أزمات يكمن فى الاعتصام بالديمقراطية شكلاً وموضوعاً ؟

أم أننا فى حاجة ماسة إلى الاعتصام بالله تعالى وبدينه وشرعه ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللهِ ، ذَلِكُمُ اللهُ رَبِّى عَلَيهِ تَوكَّلْتُ وَإِلَيهِ أُنِيبُ ﴾ [الشورى ١٠]

(١) **حسن** . أخرجه ابن ماجه (٣٩٥٠) وغيره من حديث أنس مرفوعاً ، وفى سنده مقال ، وأخرجه ابن أبى عاصم فى السنة (رقم ٨٥) بسند جيد عن أبى مسعود موقوفاً ، وكذا أخرجه الطبرانى ، وفى الباب عن ابن عمر وغيره وطرقه لا تخلو من مقال ، لكن يقوى بعضها بعضاً ، وانظر التلخيص (١٤١/٣) ، والصحيحة (رقم ١٣٣١) ، والضعيفة (١٥١٠) ، والسنة لابن أبى عاصم (رقم ٨٠ ، ٨٢ - ٨٥ ، ٩٢) .

إسلاميات

ديمقراطية ولا ديكتاتورية

ربما يقول البعض :

إذا لم يكن النظام السياسى الإسلامى ديمقراطياً يعترف بمبدأ السيادة الشعبية ، فهو لن يعدو أن يكون نظاماً ثيوقراطياً دينياً يعطى الحاكم حقاً إلهياً أو تفويضاً إلهياً فى حكم الرعية ، أو يكون نظاماً استبدادياً يعترف بالسلطة المطلقة للراعى على الرعية .

- النظام السياسى الإسلامى ليس نظاماً شمولياً وليس نظاماً اشتراكياً ولا يقترب من الأنظمة الديكتاتورية
- نريدها إسلامية لا شرقية ولا غربية .. وإنما وسطية شرعية عادلة .

وهل بعد الديمقراطية إلا الاستبداد والدكتاتورية سواء كان هذا الاستبداد باسم الدين ، أو عن طريق مذهب وفكرة مسيطرة ، أو عن طريق تسلق وتسلط شخص من الأشخاص المسيطرين وهو شخص المستبد أو الديكتاتور على باقى الرعية .

وهل بعد الحق إلا الضلال ؟

وهل بعد الديمقراطية إلا الاستبداد ؟

هذه الفكرة تكاد تسيطر على عقول أكثر المفكرين فى عصرنا الحديث ، لا فى البلاد التى تعتنق المذهب الديمقراطى الليبرالى وحسب ، بل وفى كثير من بلدان العالم التى تنظر إلى الديمقراطية باعتبارها مثلاً أعلى يسعى الجميع إلى تحقيقه والوصول إليه .

وهذه الفكرة تقوم على

بقلم
د . جمال المراكبى
عضو لجنة الفتوى

أسس خاطئة تعبر عن فهم فاسد ومتأثر لمفهوم الدولة الدينية بوجه عام ، وجهل مركب بشريعة الإسلام وتاريخ المسلمين بوجه خاص .

وإذا كنا قد دفعنا عن الدولة الإسلامية شبهة الثيوقراطية وبينا أن الدولة الإسلامية دولة شرعية لا تعرف الاستبداد باسم الدين ، وحكومتها محكومة قبل أن تكون حاكمة ، محكومة بشرع حكيم يحقق مصالح العباد فى الدنيا وفى الآخرة .

فإننا سوف نجد أن دفع شبهة الاستبداد والدكتاتورية أكثر وضوحاً وبياناً، ويتميز لنا النظام السياسى الإسلامى بنقائه ، ووسطيته .

من المعلوم أن الدكتاتورية هى ذلك النظام الذى تتركز فيه سلطة الحكم فى يد فرد واحد ، يتولى السلطة عن طريق القوة ، وعن غير طريق الوراثة ، ولا تكون الحريات الفردية مكفولة فيه .

فالذى يستحوذ على السلطة فرد ، وقد يكون أحياناً هيئة جماعية ، ودائماً يستعين الدكتاتور بمعاونين ومستشارين أو بأحد الأحزاب ، ولكن الكلمة العليا دائماً هى كلمة الزعيم الملهم .

والدكتاتورية نظام كلى ، وفى مثل هذا النظام تمتد يد الدولة إلى كل شىء ، فلا يتصور وجود شىء يتعلق بالفرد يمكن أن يظل بعيداً عن متناول سلطان الدولة التى تمثل المجتمع ، فالمجتمع فوق الفرد ، وللدولة التى تمثل المجتمع سلطاناً مطلقاً إزاء الفرد .

وليس هناك قيم أدبية أعلى من سلطان الدولة ، لأن الدولة هى التى تنشىء القيم الأدبية ، فالدولة هى المعبود الوحيد للأفراد ، لا يُسأل عما يفعل .

وبناء على ذلك لا توجد معارضة ولا يمكن تصور معارضة ولا يقبلها الديكتاتور حتى من أعوانه ، ويعد المعارضون فى هذا النظام خونة ولا تعترف الدكتاتورية بالدين، فالنظام الكلى نظام لا دينى ، لا يعترف بسمو القيم الدينية فى المجتمع .

والأنظمة الدكتاتورية إما أن تتبنى فكرة معينة وتدعو إليها وتقوم عليها ، وهذه هى الدكتاتورية المذهبية كالماركسية والنازية والبعثية ، وإما أن يفرزها الواقع فيظهر الديكتاتور الذى يفرض إرادته على الشعب ويلغى الحريات ويتمسك فى الظاهر بالفكرة الديمقراطية وهذه هى الديكتاتورية غير المذهبية ، والتى يطلق عليها البعض الديمقراطية القيصرية .

إن الديكتاتورية الفردية وما يشوبها من استبداد واستئثار بالسلطة لا يمكن أن تتفق بحال مع النظام السياسى الإسلامى ، ذلك النظام الذى يقوم أساساً على مبدأ الشورى وعلى العدل ، وإقرار الحقوق والحريات وعلى شرعية سماوية واضحة جلية لا يجوز لفرد ولا لجماعة أن يخرج عليها .

وقد يخطىء البعض ويثير مقولة « المستبد العادل » ويدعى أن النظام السياسى الإسلامى يحبذ هذه الفكرة ويحث عليها ، وهذا خطأ جسيم ، لأن الاستبداد بالأمر ظلم بين ، والديكتاتور الذى لا يطيع إلا هواه ليس سوى عابد هوى قد ذمه القرآن ، فهو لا يهوى شيئاً إلا ركبه ، وقاد شعبه وراءه كقطيع من الأغنام ، مثله كمثل فرعون مع شعبه حين يقول لهم: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩] ﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ ﴾ [الزخرف: ٥٤]

إن النظام السياسى الإسلامى لا يقر بحال سيطرة الديكتاتور وإن ادعى أنه حكم عدل ، لأن الحاكم فى النظام السياسى الإسلامى محكوم بشريعة الله تعالى فلا يجوز له أن يخرج عن أحكامها فإن هو تابع الشرع فسيأخذ بمبدأ الشورى عملاً بقول الله تعالى : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِى الأَمْرِ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

إن الدكتاتوريات المذهبية برفضها للدين وقيمه لا يمكن أن تتفق بحال مع النظام السياسى الإسلامى الذى يحترم الدين ولا يقوم إلا عليه .

إن الدكتاتوريات المذهبية بوصفها نظام كلى شمولى يتدخل فى كل كبيرة وصغيرة من حياة الأفراد ، لا يمكن أن تتفق مع النظام السياسى الإسلامى ، لأنها بذلك تعتدى على اختصاص الدين الإسلامى فتسلبه وظيفته الكبرى وهى تنظيم كل مجالات الحياة ، وتستأثر بها ، وفى هذا خروج سافر على أحكام الدين الإسلامى .

حقيقة قد يستبد بعض الحكام المتغلبين ، فيعتدى على منهاج الشورى ويعطله ، ويظهر ظلمه وفسقه بين العباد ولكن مثل هذا المستبد لا يظهر إلا فى فترات الضعف والتفريط فى منهج الحق ، ومع هذا فإن النظام الإسلامى قد بين لنا كيف نتعامل مع أمثال هذا المستبد بطريقة تحفظ على المسلمين دينهم وعقيدتهم وشريعتهم ووحدتهم ، فلا طاعة لهذا المستبد فى معصية الله تعالى ، لأنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ، إنما الطاعة فى المعروف ، ولا بد من توجيه النصح لمثل هذا الحاكم وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر ، ومتابعته فى كل ما وافق الحق ومعاونته عليه .

وقد أطلق الفقهاء على هذه الحالة وصف خلافة الملك أو الخلافة الناقصة ، تمييزاً لها عن خلافة النبوة أو الخلافة الراشدة ، وتنبيهاً للمسلمين على أن هذا الأدنى لا يعنى بحال ضياع الدين ، والانقياد خلف المستبد فى كل ما يدعو إليه ، ولا تفريطاً فى منهج الشورى .

خاتمة .. بعد أن استعرضنا أسس ودعائم الحكم فى النظام السياسى الإسلامى ، وذكرنا ما بين النظام السياسى الإسلامى وبين الأنظمة المعاصرة من

توافق واختلاف نخرج بنتيجة هامة .

فالنظام السياسى الإسلامى ليس نظاماً ديمقراطياً بحال وهو يختلف مع الديمقراطية فى الأسس والمبادىء كما سبق وبينا من قبل .

والنظام السياسى الإسلامى ليس نظاماً شمولياً ، وليس نظاماً اشتراكياً ، ولا يقترب من الأنظمة الديكتاتورية سواء منها المذهبية أم غير المذهبية .

إن للنظام السياسى الإسلامى ذاتيته الخاصة النابعة من جوهر الإسلام وشريعة الإسلام .

من أجل هذا فإننا نطالب جميع المسلمين حكاماً ومحكومين نريدها إسلامية ، لا شرقية ولا غربية، لا ديمقراطية ، ولا دكتاتورية، وإنما وسطية شرعية عادلة ، تحق الحق وتدعو إليه ، وتبطل الباطل وتنهى عنه ، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وتدعو إلى الله ، وتشهد على الناس ، هكذا يريدنا رب العالمين ، وهكذا ينبغي أن نكون ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى النَّاسِ ، وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴾ [البقرة : ١٤٣]

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ ﴾ [آل عمران : ١١٠]

والله من وراء القصد

قال أحد العلماء : لا يكن هم أحدكم فى كثرة العمل ، ولكن ليكن همه فى إحكامه وإتقانه ، وتحسينه .

فإن العبد قد يُصَلِّى وهو يَعْصِى الله فى صلاته ، وقد يصوم وهو يَعْصِى الله فى صيامه .

وقيل لآخر : كيفَ أصْبَحْتَ فبكى ، وقال أصبحتُ فى غَفْلةٍ عَظِيمة عن الموت مَعَ ذُنُوب كثيرة قد أحَاطَتْ بى ، وأجل يسرع كل يوم فى عمرى ، ومَوْئِل لستُ أدرى علامَا أهجم ثم بكى .

وقال آخر : لا تَغْتَم إلا من شىء يَضُرك غداً (أى فى الآخرة) ولا تفرح بشىء لا يَسُرُكَ غداً ، وأنفعُ الخوف ما حَجزَكَ عن المعاصى ، وأطال الحُزْنَ مِنْكَ على ما فاتك من الطاعة ، وألْزَمَكَ الفِكْرَ فى بَقِيةِ عُمرك .

وقال آخر : عليك بصحبة مَن تُذَكِّرُك الله عز وجل رُؤيَتُه ، وتقع هَيْبَتُه على باطنك ، ويَزِيدُ فى عَملك مَنْطِقُه ، ويُزَهِّدُكَ فى الدنيا عَمله ، ولا تَعْصى الله ما دُمْتَ فى قُربه ، يَعِظُكَ بِلسانِ فِعْلِهِ ولا يَعِظُكَ بِلسان قَوْلِهِ .

وقال أحدهم : سَقَمُ الجسد فى الأوجاع ، وسقم القلوب فى الذنوب ، فكما لا يجد الجسد لذة الطعام عند سقمه ، كذلك لا يجد القلب حلاوة العبادة مع الذنوب .

وقال : مَن لم يعرف قدر النعم ، سُلِبَها من حَيثُ لا يعلم .

ما خلع الله على عبد خلعة أحسنَ ولا أشرفَ مِن العقل ولا قلده قلادة أجمل من العلم ولا زينه بزينة أفضل من الحلم وكمال ذلك التقوى .

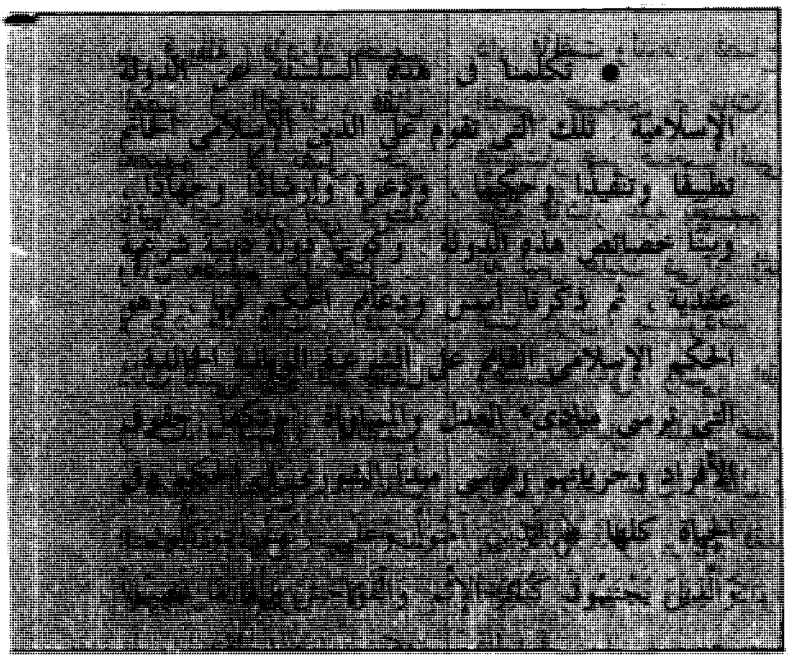

بقلم
د . جمال المراكبى
عضو لجنة الفتوى
ولجنة البحث العلمى

نظام الحكم فى الإسلام

● وقد تعرضنا لمقارنة هذا النظام بالأنظمة المعاصرة التى لا يعرف البشر غيرها فى هذا الزمان ، وأمطنا عن هذا النظام رجس الديمقراطية والدكتاتورية المستبدة والثيوقراطية المتألهة ، حتى تزول عن أعيننا هذه الغشاوة التى تحجب عنا ضياءه ، وتتركنا فى الظلمات تائهين ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾ .

● هذا النظام الذى نتحدث عنه هو الذى حكم المسلمين فى زمن النبى ﷺ ، وزمن خلفائه الراشدين المهديين ، ولا نجاة لنا إلا بالعض عليه بالنواجذ « إنه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافًا كثيرًا ، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين

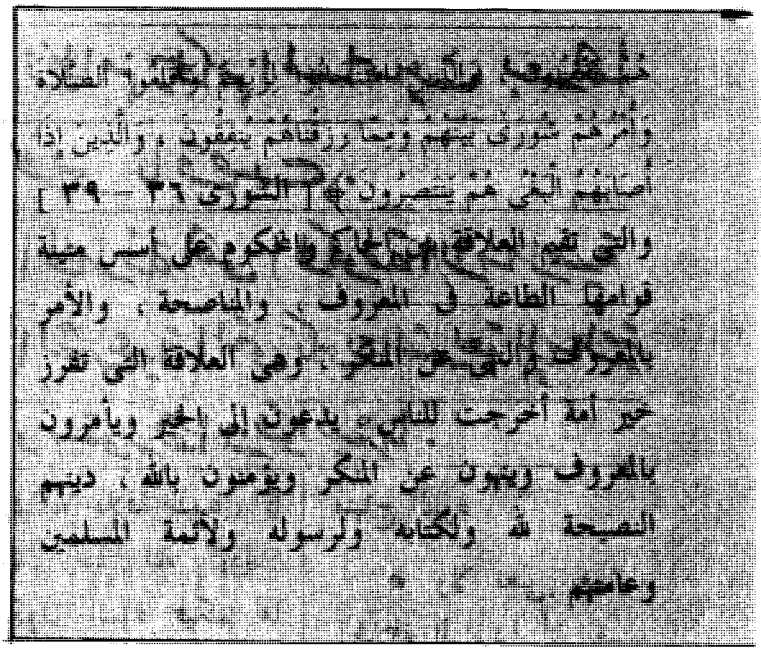

المهديين من بعدى ، عَضُّوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة »[1].

هذا النظام هو خلافة النبوة فى إمامة الأمة وإذا كان القرآن الكريم قد وصف الأنبياء والهداة المتقين بأنهم أئمة يهدون بأمر الله ، فلعل إطلاق اسم الإمامة على نظام الحكم الإسلامى يتضمن الإشارة إلى أن هذا النظام نظام هداية ورشاد .

إن لفظ الإمامة يعنى الاقتداء والاتباع الواجب على الأمة للإمام القائد الذى يمسك بزمام الأمور ، فهو إمام الصلاة وإمام الحجيج وإمام الدعوة وإمام الجهاد .

ولفظ الخلافة يعنى حلول الإمام- الخليفة- محل رسول الله ﷺ فى قيادة الأمة ، إنه يقوم مقام النبى ﷺ فى كل مهامه ما عدا تلقى الوحى الذى هو من خصائص النبوة .

● إن بين اللفظين صلة وثيقة ، إنهما يرميان فى الاصطلاح الشرعى إلى معنى واحد هو :

قيادة الأمة الإسلامية بشرع الله تعالى تأسيًا واقتداءً برسول الله ﷺ ، وخلافةً عنه ، أو بمعنى آخر : خلافة النبوة فى حراسة الدين وسياسة الدنيا.

● وواضح من هذا التعريف أن هناك أمورًا هامة تميز هذا النظام عن غيره من الأنظمة ، من هذه الأمور :

١- عموم الولاية، وفى هذا العموم إشارة إلى وحدة الخلافة فهى ولاية عامة على المسلمين وغيرهم فى ديار الإسلام .

٢- عموم الغاية ، فغاية الخلافة حفظ الدين- حراسة الدين- وسياسة الدنيا به .

● إذا غابت الخلافة الراشدة فكل نظام يحكم المسلمين بعدها فهو ناقص.

● الخلافة هى الحكومة الإسلامية الشرعية التى تكون الشريعة الإسلامية دستورها وقوانينها.

٣- القيام فى مقام صاحب الشرع- النبى ﷺ- فى قيادة الأمة بهذا الشرع، لأنه خلافة نبوة.

٤- تنفيذ وتطبيق أحكام الشرع الإسلامى الصالح لكل زمان ومكان والذى يصلح فساد كل زمان ومكان، فهو نظام يحكم بشرع الله ويُحكم به، ولا يجوز الخروج عنه بحال.

وعلى هذا فالخلافة هى الحكومة الإسلامية الشرعية التى تكون الشريعة الإسلامية دستورها وقوانينها، والتى يخضع لسلطانها كل المسلمين على الإقليم الإسلامى الكبير.

● والخلافة التى نعنيها هى الخلافة الراشدة، خلافة النبوة التى عرفها المسلمون لفترة قصيرة، ثم انقلبوا عليها فصارت ملكاً عضوضًا، ثم ملكاً جبريًا، ونحن على وعد لن يتخلف تعود فيه خلافة النبوة، كما وعد رسول الله ﷺ: «تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكًا عاضًا فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جبريًا فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج النبوة»[٢].

● ولا نعنى بغياب الخلافة الراشدة أن يغيب الإسلام من حياة المسلمين، أو أن يتخلى عن مهمته فى حكم المسلمين فهذا ما لا يقول به أحد، بل علَّمنا الإسلام كيف نتعامل مع الملك العضوض، أو مع الملك الجبرى، بصورة لا تسمح بغياب الإسلام عن واقع المسلمين، ومن هنا كانت أحاديث الفتن، والتى تنبأ فيها النبى ﷺ بما يصيب الأمة من ضعف ووهن، وكانت أحاديث المناصحة، والطاعة فى غير

معصية ، والصبر على ظلم الظالم كوسيلة لتحجيم هذا الظلم ، والسيطرة عليه ، وعدم الخروج الذى يفتح باب الفتنة ما لم يظهر الكفر البواح - هى الأصل فى التعامل مع الواقع الذى يعيشه المسلمون منذ غابت الخلافة الراشدة .

● وإذا غابت الخلافة الراشدة ، فكل نظام يحكم المسلمين بعدها فهو ناقص ، ولهذا كانت خلافة الملك خلافة ناقصة ، يقبلها المسلمون حين يعجزون عن تحقيق الخلافة الراشدة ، وهذا يكون لنقص فى الراعى ونقص فى الرعية أيضًا . فإنه كما تكونون يُوَلَّى عليكم .

وقد استفاض وتقرر ما قد أمر به النبى ﷺ من طاعة الأمراء فى غير معصية ، ومناصحتهم ، والصبر على جورهم ونحو ذلك من متابعتهم فى الحسنات التى لا يقوم بها غيرهم فإنه من باب التعاون على البر والتقوى ، وما نهى عنه من تصديقهم بكذبهم وإعانتهم على ظلمهم ، وطاعتهم فى معصية الله ونحو ذلك مما هو من باب التعاون على الإثم والعدوان وهذا هو سبيل التعايش مع نظام ناقص يسعى المسلمون لتغييره ، أو قل : لتكميله ، حتى نضع الأمور فى نصابها ، ونستقيم على منهاج العدل والحق .

● سأل عمر بن الخطاب : أَمَلِكٌ أنا أم خليفة ؟ فقالوا له : إن الخليفة لا يأخذ إلا حقًّا ، ولا يضعه إلا فى حق ، فإن أخذت من أرض المسلمين درهمًا أو أقل أو أكثر ، ثم وضعته فى غير حقه ، فأنت ملك غير خليفة .

والله يهدى إلى سواء السبيل.

والله المستعان وعليه التكلان

جمال المراكبى

---

(١) **صحيح** . أخرجه أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه وغيرهم من حديث العرباض بن سارية رضى الله عنه ، وانظر تقريب التدمرية (ص ٩ - ١٠) .

(٢) **حسن** . أخرجه الطيالسى وأحمد والبزار وغيرهم من حديث حذيفة مرفوعًا ، ولبعضه شواهد ، وانظر الصحيحة (رقم٥ ، ٤٦٠) ، والسنة لابن أبى عاصم (رقم ١١٨١ ، ١٠٥٢) .

كيفية اختيار الحاكم المسلم

بقلم
د . جمال المراكبي
عضو لجنة الفتوى ولجنة البحث العلمي

● من المعلوم بداهة أن منصب الرئيس – الخليفة – هو أعلى وأجل منصب في الدولة الإسلامية ، لذا كان حتمًا على المسلمين أن يدققوا ويمعنوا فيمن يتولى هذا المنصب الخطير ، فيختارون أصلح الناس لتولي هذا المنصب ، وإلا كانوا مقصرين ..

« من ولي من أمر المسلمين شيئًا ، فولى رجلًا وهو يجد من هو أصلح للمسلمين منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين »[1] .

فالمسلمون جميعًا – بوجه عام – وأهل الحل والعقد منهم – خاصة – مسئولون عن تولية أصلح الناس وأقواهم على تحمل عبء هذه الأمانة دون أي تهاون أو تقصير ، وإلا وقعوا تحت طائلة العقاب والوعيد المذكور .

ومدار الصلاحية على القوة والأمانة .

﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَئْجِرْهُ . إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَئْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص : ٢٦] .

القوة على تحمل أعباء هذا المنصب ، والأمانة التي تجعله يؤدي إلى كل ذي حق حقه ، وما أعظم وما أخطر شأن هذه الأمانة « إنها أمانة ، وإنها يوم القيامة خزى وندامة ، إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها »[2] .

ولا شك أن ضياع هذه الأمانة من أهم علامات الساعة ، ولهذا قال النبي ﷺ لمن سأله عن الساعة : « إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة» قيل: يا رسول الله ما إضاعتها ؟ قال : « إذا وُسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة »[3] .

من أجل هذا توسع فقهاء المسلمين في بحث شروط الخلافة وتفننوا في الشروط الواجب توافرها فيمن يلي أمرًا من أمور المسلمين بوجه عام ، وفيمن يلي منصب الخلافة بوجه خاص ، حتى لا يتسلق طفيلي إلى هذه الذروة ، ولا يعتليها من ليس لها بأهل فيكون ضرره على المسلمين عامًّا . ومعظم هذه الشروط اجتهادية بمعنى أنها مستنبطة وغير منصوص عليها شرعًا .

وجدير بالذكر أن هذه الشروط في معظمها لا ينبغي مراعاتها إلا في الحال التي تكون صفة الاختيار متوافرة فيها للأمة ، أما إذا انتفت حالة الاختيار وألجئت الأمة إلى حال لا اختيار لها فيه كتغلب من لا يصلح أو من لم يستكمل الشروط ، وكان تغييره مؤديًا إلى فتنة وشر عظيم فيجوز للأمة في هذه الحالة أن تتغاضى عن بعض هذه الشروط الواجبة وذلك درءًا للفتنة عن عدم طاعة هذا المتغلب ، بل يطاع في طاعة الله ويعصى في معصية الله كما بينا ذلك تفصيلًا من قبل ، ولكن إقرار المتغلب فاقد هذه الشروط ليس إلا حالة من حالات الاضطرار وليس أصلًا ثابتًا في الولاية .

وإذا لم تتوافر جميع هذه الشروط في شخص واحد فينبغي مراعاة الأمثل فالأمثل بحسب حاجة المسلمين ومصلحتهم ، لأن الله تعالى لا يكلفنا إلا بما نطيق ﴿ فَاتَّقُواْ اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن: ١٦] ، ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦] .

وإذا تكافأت هذه الشروط وتوازنت في أكثر من شخص وجب تقديم الأصلح والأنسب لظروف المسلمين وأحوالهم بحسب الوقت الذي يعيشون فيه .

وهذه الشروط منها ما هو واجب في كل ولاية كبيرة كانت أو صغيرة ومنها ما هو خاص بالخلافة- الرئاسة - ، ومن هذه الشروط ما لا يمكن التغاضي عنه بحال ، ومنها ما يمكن التغاضي عنه عند عدم الإمكان ، ومن هذه الشروط ما لا خلاف عليه بين العلماء ، وهي الإسلام، والعقل ، والذكورة ، والعدالة ، والعلم .

ومنها ما اختلف عليه العلماء وهي : البلوغ ، والحرية، والكفاءة الجسمية، والقرشية . وسوف نتكلم باختصار عن هذه الشروط .

أولًا : الإسلام : وهو شرط بدهي ، يشترط في كل ولاية إسلامية كبيرة كانت أو صغيرة . والأدلة على اشتراط الإسلام كثيرة في الكتاب والسنة وأقوال الصحابة وسلف الأمة ، ففي القرآن نص على أن

ولاة الأمر من المسلمين ﴿ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [النساء: ٥٩] .

بل إن النبي ﷺ أمر بطاعة الأمراء والأئمة ، ونهى عن الخروج عليهم إلا أن يخرجُوا عن الإسلام ويظهروا الكفر البواح ، وقد أجمع المسلمون على عدم جواز تولي الكافر أمور المسلمين .

ثانيًا : العقل : وهو أيضًا من الشروط البدهية ، فلا تنعقد الولاية لمن فقد عقله ، لأن فاقد العقل غير مكلف بما هو واجب على كل أحد ، فكيف يكلف بولاية على غيره .

قال تعالى : ﴿ وَلَا تُؤْتُواْ السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ [النساء: ٥] .

ثالثًا : الذكورة : أجمع العلماء على عدم جواز تولي المرأة منصب الخلافة ، وذلك لحديث النبي ﷺ حين بلغه أن الفرس قد ولوا ابنة كسرى : « لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » أخرجه البخاري في صحيحه .

وقد قال الله عز وجل : ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ [النساء: ٣٤] .

والخلافة كولاية عامة تقتضي الدخول في المحافل العامة ومخالطة الرجال وقيادة الجيوش ، وذلك لا يتماشى مع وضع المرأة في الإسلام ، وما أراده الله لها من صيانة ورعاية ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾ [الأحزاب: ٣٣] .

ولهذا لا يوجب الشرع على المرأة بعض ما أوجبه على الرجل من التكاليف الشرعية كالجهاد ، والإنفاق على البيت ونحو ذلك .

رابعًا : العدالة : وهي شرط بدهي في كل الولايات الدينية ، فضلًا عن منصب الخلافة .

والعدالة تعني في جملتها: الأخلاق الفاضلة ، والعدل : من تقبل شهادته تحملًا وأداءً ، وقد جعل الله العدالة شرطًا في أصغر الولايات كحضانة الصغير، والحكم في جزاء الصيد ، وجعلها شرطًا لقبول الشهادة ، فكيف لا تكون شرطًا في أعظم الولايات على الإطلاق . والفسق – وهو نقيض العدالة – يمنع من قبول الشهادة ، ومن كل ولاية دينية ، لأنه مدعاة للتساهل في تطبيق أحكام الدين ، فكيف يتصور أن يتولى فاسق ولاية أمر المسلمين فيقيم شرع الله ويجاهد في سبيل الله ؟!.

ولا نعني أن العدالة قرين العصمة ، فالعصمة للأنبياء فقط ، ولا يستبعد على بني آدم الوقوع في

الخطأ، والله يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات .

خامسًا : العلم : وهو شرط بدهي في كل ولاية ، فينبغي على كل وال أن يعلم يقينًا ما يجب عليه ليقوم بأعباء منصبه على أكمل وجه . فلا يخرج بالولاية عما شرعت له من إقرار مصالح العباد .

وقد اختلف العلماء في حد العلم الذي ينبغي أن يحصله شاغل منصب الخلافة ، ومذهب الجمهور وجوب تحصيل مرتبة الاجتهاد المطلق .

سادسًا : البلوغ : فلا تنعقد الخلافة لصغير ، وذلك لأن الصغير غير مكلف في نفسه ويحتاج إلى وصاية غيره ، فكيف يكلف بالولاية على غيره ، فضلًا عن الولاية على سائر المسلمين ؟!.

سابعًا : الحرية . وهو شرط بدهي ؛ لأن العبد المملوك يخضع لغيره ولا يملك أمر نفسه ، فكيف تكون له ولاية على غيره وقد يرد على هذا الشرط قول النبي ﷺ : « اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة » أخرجه البخاري ، عن أنس ، ولكن جمهور العلماء تأولوا هذا النص وأمثاله بأنه في حال التغلب، أو أنه ورد على سبيل ضرب المثال بما لا يقع حقيقةً ، وذلك مبالغة في لزوم الطاعة .

ثامنًا : الكفاءة الجسمية: ونعني بها سلامة الأعضاء والحواس من كل نقص يؤثر في كفاءة شاغل المنصب أو المرشح له ، وقد بيّنّا من قبل أن القوة شرط أصيل في كل ولاية لأنه بدونها لا يمكن تحمل أعباء المنصب .

وقد قال النبي ﷺ لأبي ذر : « إنك ضعيف ، وإنها أمانة ، وإنها يوم القيامة خزي وندامة ، إلا من أخذها بحقها ، وأدى الذي عليه فيها » أخرجه مسلم .

أخيرًا : القرشية : وقد أثار هذا الشرط جدلًا واسعًا بين مؤيد له ومعارض .

والدليل على اشتراطه قول النبي ﷺ : « الأئمة من قريش »[٤] .

---

(١) **ضعيف جدًا** . أخرج الحاكم في المستدرك (٤/٩٢ - ٩٣) نحوه من حديث ابن عباس مرفوعًا ، وفي سنده : الحسين بن قيس الرحبي الملقب بحنش وهو متروك .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١٦/١٨٢٥) من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (رقم ٥٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) **صحيح** . « الأئمة من قريش» أخرجه أحمد وغيره عن جمع من الصحابة ، وانظر إرواء الغليل (٢/٢٩٨) للعلامة الألباني .

كيف يختار.. المسلمون حاكمهم؟

بقلم
د . جمال المراكبي
عضو لجنة الفتوى ولجنة البحث العلمي

● تكلمنا في العدد الماضي عن الشروط الواجب توافرها في المرشح لمنصب الخلافة – الرئاسة – حتى يتسنى للمسلمين اختيار الأصلح والأفضل والأقوى على القيام بأعباء ومهام هذا المنصب الخطير ، ونتكلم الآن – بعون الله تعالى – عن كيفية الاختيار ، وهل هناك قواعد شرعية ثابتة في ذلك الاختيار ، وقبل أن نخوض غمار هذا الموضوع نمهد له بمقدمات هامة .

أولًا : ينبغي على المسلم أن يكون لبنة صالحة في بناء المجتمع المسلم .

● بمعنى أن يكون عاملًا على إرساء دعائم النظام الإسلامي فيما يتعلق بخاصة نفسه ، وفي حدود سلطانه ، وفي المجتمع المسلم كله فيشارك في تدعيم النظام الإسلامي بطاعته لأولي الأمر ومناصحتهم وقبل ذلك بالمشاركة في اختيارهم حسب توجيهات الإسلام وتعاليمه ثم بمعاونتهم ونصرتهم في الحق ، ومحاسبتهم ومساءلتهم إذا تجاوزوا حدودهم ، وأخيرًا بعزلهم وترشيح غيرهم إذا عجزوا عن مهام المناصب الموكولة إليهم ، وليكن قدوته في ذلك أصحاب النبي ﷺ وقد اهتموا بأمر الاختيار والبيعة اهتمامًا جعلهم يقدمون هذا الأمر على تجهيز رسول الله ﷺ ودفنه ، وقد حرصوا على أن يكون الاختيار معبرًا عن إرادة الأمة وملائمًا لما تقتضيه مصلحة المسلمين .

ثانيًا : لقد ترك

رسول الله ﷺ أمر الاختيار وما يتعلق به للأمة.

● فلم يبين من يخلفه في قيادة الأمة. يدل على ذلك قول عمر: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني يعني أبا بكر - وإن أترك فقد ترك من هو خير مني - يعني رسول الله ﷺ[1] لقد ترك الشرع الحنيف أسلوب الاختيار إلى الأمة لتمارس الطريقة التي تراها محققة لمصالحها على ضوء ما يقدمه عصرها وواقعها من تجارب نافعة ورأي مفيد. وقد كان اختيار الراشدين تجسيدا لهذه الحقيقة فلم يتقيدوا في الاختيار بطريقة واحدة.

ثالثا: إن طرق الاختيار التي سلكتها الأمة في عهد الراشدين تعد من قبيل السوابق التاريخية التي يستأنس بها المسلمون في اختيارهم وشوراهم، فالواجب هو الاختيار الحر المبني على الشورى، أما الوسيلة المتبعة فهي خاضعة لسنن التطور. وما لدى الجماعة المسلمة من إمكانات لتحقيق هذا الاختيار الحر. وهذه إحدى نقاط الالتقاء بين النظام السياسي الإسلامي وبين الديمقراطية. وهي التي جعلت - بعد - المفكرين يعدونه نوعًا من الديمقراطية.

● هذا وقد عرف الفكر السياسي الإسلامي طرقا عديدة لتعيين الخليفة استلهمها من واقع المسلمين. منها ما هو مشروع يتماشى مع روح الإسلام وتعاليمه كالاختيار عن طريق أهل الحل والعقد ومبايعة جماهير المسلمين. والاستخلاف والبيعة. ومنها ما هو غير مشروع في ذاته وإنما فرض على المسلمين وتعايشوا معه درءا للفتنة ودفعًا لأكبر الضررين وهو ما يُعرف بالتغلب والقهر.

الاختيار والبيعة: - وهذه الطريقة من أفضل الطرق المشروعة

● وتجد مستندها في الكتاب والسنة والإجماع وسوابق اختيار الراشدين وأقوالهم في ذلك. أما القرآن فقول الله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وكذا قوله في معرض المدح لجماعة المسلمين. ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى. ٣٨] وأما السنة فقد توفي النبي ﷺ ولم يستخلف، فدل تركه النص والاستخلاف على أن هذا حق الأمة تختار من تراه أهلا للقيام على أمرها. وقد هم النبي ﷺ أن يكتب للمسلمين كتابًا يعهد لهم فيه. ثم بدا له فترك ذلك للأمة[2].

● وأما الإجماع فقد

أجمع المسلمون في العصر الأول على جواز انعقاد الإمامة بالاختيار، ولا يقدح في هذا الإجماع ما ادعته الرافضة من القول بالنص. وأما سوابق اختيار الراشدين فنذكر منها اختيار أبي بكر بعد ما دار في سقيفة بني ساعدة، ثم مبايعة المسلمين بعد ذلك في المسجد[٣]، واختيار عثمان بعد مشاورات دامت ثلاثة أيام[٤]، واختيار علي بن أبي طالب وإصراره على أن تكون بيعته في المسجد على رؤوس الأشهاد[٥] ومن أقوال الصحابة في ذلك قول عمر: «من بايع رجلًا من غير مشورة المسلمين فلا يتابع هو ولا الذي بايعه تغرة أن يُقتلا»[٦] وقول علي: «إن رسول الله ﷺ لم يعهد إلينا عهدًا نأخذ به في إمارة ولكنه شيء رأيناه من قبل أنفسنا»[٧].

أهل الاختيار: هم أهل الحل والعقد، وهم أهل الشورى الذين يتولون ترشيح الرئيس، والمفاضلة بين المرشحين، ومناصحة الخليفة - الرئيس - ومحاسبته، بل عزله إن اقتضى الأمر ذلك، وجماهير المسلمين تبع لهم في كل ذلك، ولهذا حرص أكثر الفقهاء على تمييز هذه الفئة وبيان الشروط التي تميزها عن غيرها، وتحديد عدد أفرادها ولهم في ذلك اجتهادات.

أما عن شروط أهل الاختيار فإنها تنقسم إلى قسمين:

الأول: أن يكونوا من أهل الولاية العامة - الكاملة - وهذا يشمل الإسلام والعقل والحرية والذكورة.

الثاني: أن تتوافر فيهم شروط خاصة تبرز الواحد منهم عن غيره من عوام الناس. وهي العدالة الجامعة لشروطها والعلم الذي يتوصل به إلى معرفة المستحق للرئاسة، وأن يكون الواحد منهم ملمًّا بثقافة عصره، معروفًا بحسن الرأي وبالحكمة

أما عن عدد أهل الاختيار، فقد تباينت أقوال الفقهاء في ذلك والراجح أن هذه الفئة تتميز بصفاتها لا بعدد أفرادها، ولا مانع من تنظيم ذلك بحسب المصلحة، ولا يجب في اختيار المرشح للرئاسة إجماع هؤلاء، أو أغلبية معينة منهم، بل يكفي في ذلك ترشيح جمهور أهل الحل والعقد، ومبايعة جماهير المسلمين. هذا هو الراجح من أقوال أهل العلم، وهو القول الثابت أمام الانتقاد، والموافق لظروف العصر والمبني على التوسط والاعتدال في تحقيق الاختيار الشوري الحر.

الخطوات المتبعة في عملية الاختيار : -

أولًا : تصفح أحوال المرشحين لتولي منصب الرئاسة ممن توافرت فيهم شروطها ، والترجيح بين المرشحين لتقديم أفضلهم وأقدرهم على تحمل أعباء هذا المنصب الخطير ولكن هل يمكن تقديم أكثر من مرشح في حالة تعدد المرشحين وتكافئهم ليقول الشعب كلمته في اختيار أحدهم ؟

إن السوابق التاريخية لم تسمح لنا بمثل هذه الحالة ، بل كان أهل الحل والعقد يتولون عملية الترجيح ليقدموا للأمة أفضل المرشحين لمبايعته ومع هذا فليس هناك ما يمنع من ذلك شرعًا خاصة وقد بينا من قبل أن الإسلام لم يقيد الشورى بأسلوب معين . وإنما ترك الأسلوب والشكل للأمة تمارسه بما تراه محققًا لمصلحتها .

ثانيًا : قبول المرشح تحمل هذه الأمانة ، وهذا شرط لازم لأن الإمامة عقد والتراضي ركن من أركانه ، ومن حق المرشح أن يقبل هذا المنصب وهذا العبء أو يرفضه لأنه من فروض الكفايات .

ثالثًا : البيعة العامة من جماهير المسلمين .

ويحاول البعض أن يقلل من قيمة هذه البيعة ، وأن يجعلها عملية شكلية تعلن فيها الجماهير عن دخولها في الطاعة وتأييدها لما يراه أهل الحل والعقد ، بحيث يكون وجودها وعدمه سواء .

والحق أن ما يقوم به أهل الحل والعقد ما هو إلا ترشيح منهم لمن يرونه أهلًا لتولي عبء هذا المنصب ، وغالبًا ما يكون لهذا الترشيح قوته عند الجمهور لما لأهل الحل والعقد من منزلة في نفوس الناس ، ولكن هذا لا يعني عدم أهمية البيعة العامة وجدواها .

روى البخاري عن أنس أنه سمع خطبة عمر الآخرة حين جلس على المنبر وذلك الغد من يوم توفي النبي ﷺ فتشهد وأبو بكر صامت لا يتكلم ، قال : كنت أرجو أن يعيش رسول الله ﷺ حتى يدبرنا - يريد بذلك أن يكون آخرهم - فإن يك محمد ﷺ قد مات ، فإن الله عز وجل قد جعل بين أظهركم نورًا تهتدون به ، وإن أبا بكر صاحب رسول الله ﷺ ثاني اثنين ، فإنه أولى الناس بأموركم فقوموا فبايعوه . وكانت طائفة منهم قد بايعوه قبل ذلك في سقيفة بني ساعدة وكانت بيعة العامة على المنبر .

قال الزهري عن أنس :

سمعت عمر يقول لأبي بكر يومئذ : اصعد المنبر فلم يزل به حتى صعد المنبر فبايعه عامة الناس[٨].

فلو كانت بيعة السقيفة كافية لما كان هناك داع لجلوس الصديق لتلقي البيعة ، ولما جلس عمر يعدد لهم مزايا أبي بكر ومناقبه وأنه أولى الناس بأمورهم ، وفي هذا المعنى يقول ابن تيمية : فالصديق استحق الإمامة لإجماعهم عليه ، ولو قدر أن أبا بكر بايعه عمر وطائفة وامتنع سائر الصحابة عن بيعته لم يصر إمامًا بذلك ، وإنما صار إمامًا بمبايعة جمهور الناس[٩]

مدة الرئاسة : لم يعرف النظام السياسي الإسلامي تحديدًا لمدة الرئاسة ، فالخليفة يظل في منصبه ما دام أهلًا لشغل هذا المنصب فإذا زالت عنه هذه الأهلية بفقد بعض الشروط أو بعجز أو نحوه فإنه يترك منصبه لمن هو أهل له وأجدر به .

والسوابق التاريخية في عهد الراشدين وبعده تؤكد ذلك ، ومعظم كتابات المفكرين والباحثين في الفكر السياسي الإسلامي تؤيد ذلك .

ولكن هل هناك ما يمنع من تحديد – تأقيت – مدة الرئاسة ؟

والجواب .. ليس هناك ما يمنع من تأقيت مدة الرئاسة إذا كان في ذلك مصلحة للمسلمين ، أما إذا كان فيه مفسدة فيمنع لدفع هذه المفسدة ، فالشورى في الإسلام لا تتقيد بأسلوب معين ، ولا تتقوقع في قالب ثابت ؛ بل تساير ظروف الزمان والمكان ، وحيثما كانت المصلحة فثم شرع الله .

لا شك أن هذه الطريقة هي أفضل طريق لتحقيق الشورى في عمليه الاختيار المؤدي إلى إفراز أفضل العناصر التي تقوم على أمر المسلمين . وأهل الحل والعقد هم أجدر الناس بتحقيق هذا الاختيار ، لأنهم أهل العلم والفضل ، والناس دائمًا تبع لهم . والله من وراء القصد .

---

(١) رواه البخاري (٧٢١٧) ، ومسلم (١١/١٨٢٣) من حديث ابن عمر .
(٢) رواه البخاري (١١٤) ومسلم (٢٢/١٦٣٧) عن ابن عباس .
(٣) رواه البخاري (٣٦٦٨) .
(٤) رواه البخاري (٧٢٠٧) من حديث المِسْوَر بن مَخرمة .
(٥) رواه الطبري في « تاريخه » (٤٢٧/٤) وذكرها ابن الأثير في « الكامل » (٩٨/٣)
(٦) رواه البخاري (٦٨٣٠) من حديث ابن عباس .
(٧) رواه أحمد في « المسند »(١١٤/١) بسند فيه جهالة . (٨) رواه البخاري (٧٢١٩) من حديث أنس .
(٩) المنتقى من منهاج الاعتدال ص٥٨ ، وهو اختصار الحافظ الذهبي لكتاب منهاج السنة النبوية لابن تيمية .

بقلم
د. جمال المراكبي
عضو لجنة الفتوى
ولجنة البحث العلمي

حقوق الحاكم المسلم وواجباته

الحق والواجب وجهان لعملة واحدة ، فكل حق مشروع يقابله واجب يتعين أداؤه ، وأوامر الدين ونواهيه تتضمن في الكثير منها واجبات على طرف من الأطراف في طيها حقوق لطرف آخر . وهذا ما نراه واضحًا في علاقة الحاكم المسلم بالأمة ، فللأمة حقوق على الحاكم تندرج جميعًا تحت حفظ الدين وسياسة الدنيا به ، وللحاكم حقوق على الأمة تتمثل في وجوب طاعته ومناصحته ومناصرته وكفالته

أولا : حقوق الحاكم المسلم :

١ - **الطاعة** : بيَّنا- من قبل- أن طاعة أولي الأمر مبدأ من مبادىء الحكم الإسلامي ، وأساس من أسسه : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [النساء : ٥٩] .

وطاعة الحاكم فرع من إمامته : « إنما جعل الإمام ليؤتم به » وحق من حقوقه بنص القرآن وصحيح السنة ، فرضها ذلك الوضع القيادي الذي يشغله الحاكم ، فالأمة : لا بد لها من قائد يسوسها بشرع الله تعالى ، وإلا تعرضت للتخبط والضياع .

ولا يشترط في الطاعة أن يكون الحاكم قد وصل إلى السلطة بالطريق المشروع ، ولا أن يستكمل الشروط المطلوبة ، فطاعة المتغلب وغير مكتمل الشروط واجبة ، وطاعة الإمام الجائر واجبة ، كما نص على ذلك الأئمة والفقهاء ، وذلك حتى تُحفظ للأمة وحدتها ، وللشريعة سيادتها ، والطاعة تكون في المعروف ؛ فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، والمعروف الذي تجب فيه

الطاعة هو : ما وافق الشرعَ ولم يخالفه ، وهي دائرة واسعة لا تقتصر على مجرد تنفيذ الأوامر الشرعية ؛ بل تمتد لتشمل الأمور التي تنبني على الاجتهاد ، وعلى هذا : فلو أمر الحاكم بأمر لا يدرى وجه المنفعة فيه ؛ فالواجب على الرعية : طاعته ، ما لم يعلموا كونه معصية ؛ لأن اتباعه في محل الاجتهاد واجب كالقاضي .

والمعصية التي يمتنع فيها المسلم عن الطاعة هي : المعصية التي تدل نصوص الشرع على تحريمها ، أما ما يدخل في نطاق الاجتهاد والتأويل ، فيجب على المسلم فيها طاعة الحاكم وإن كرهها : « على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب أو كره ما لم يؤمر بمعصية ، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » متفق عليه ، هذا وقد سبق أن فَصَّلْنا هذه المسائل في موضع

من مظاهر النصرة والتأييد عدم الخروج على الإمام وعدم معاونة الخارجين عليه

سابق فليراجع .

٢ - **المعاونة والنصرة والتأييد** : وهذا الحق بديهي ، بل هو لازم من لوازم الطاعة ، فطالما ارتضى المسلمون إمامًا ؛ فينبغي عليهم التعاون معه في تحقيق مقاصد الإمامة وواجبات الشرع ، والطاعة صورة من صور المعاونة والتأييد ، كما أن المعاونة والنصرة والتأييد من لوازم الطاعة .

ومن مظاهر النصرة والتأييد : عدم الخروج على الإمام ، وعدم معاونة الخارجين عليه ، وعدم السكوت عليهم سواء كانوا من : البغاة أو المحاربين لقول الله تعالى : ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا . فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَى فَقَاتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الحجرات:٩].

والنبي ﷺ يوجب القيام في وجه الخارجين على الإمام فيقول : « من بايع إمامًا فأعطاه صفقة يده وثمرة فؤاده فليطعه ما استطاع ، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر » .

« من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه» رواهما مسلم .

وكذلك ينبغي على المسلمين بذل المحبة والتقدير لإمامهم وحاكمهم الذي يقودهم إلى ما فيه الخير

والصلاح ، ويتحرجون من إهانته وسبه ، فهو يقوم فيهم مقام أحب الخلق إليهم – رسول الله ﷺ – فيجب أن يوفى حقه من المحبة والتقدير ، ومن لوازم ذلك : الدعاء له بالهداية والتوفيق والسداد، عسى الله أن يستجيب لهم ؛ فيعم النفع جميع المسلمين ، وعلى هذا كان هدي السلف الصالح مع الأمراء .

قال الفضيل بن عياض : لو كانت لي دعوة مستجابة لجعلتها للإمام ؛ لأن به صلاح الرعية ، فإذا صلح أمنت العباد والبلاد .

٣ – **النصيحة** : وهي واجب على الإمام تجاه الرعية ، وواجب على الرعية تجاه الإمام ، لذا يعبر عنها أحيانًا بصيغة المفاعلة – المناصحة – وهي مما يحبه الله ويرضاه لجماعة المسلمين ، لذا

النصيحة واجبة على الإمام تجاه الرعية وواجبة على الرعية تجاه الإمام

قال النبي ﷺ : « إن الله يرضى لكم ثلاثًا ، ويكره لكم ثلاثًا : يرضى لكم : أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم ، ويكره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال » رواه مسلم ، وقد سبق أن فصلنا هذه المسألة في مقال مستقل فليراجع .

٤ – **تحديد راتب مالي من خزينة الدولة** :

للإمام الحق في قبض ما يكفيه من بيت مال المسلمين ، وذلك لأنه يعمل ويحترف للمسلمين ، فهو أجير يتفرغ لخدمة المسلمين ، ولأداء الواجبات الملقاة على عاتقه ؛ فوجب على المسلمين أن يوفروا له ما يسد حاجته نظير تفرغه لهذا العمل .

وقد جعل الله تعالى للعاملين على الصدقات سهمًا منها نظير عملهم : ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَٱلْمَسَاكِينِ وَٱلْعَامِلِينَ عَلَيْهَا... ﴾ [التوبة : ٦٠] الآيه ، والحاكم أحد هؤلاء العاملين ، ليس على الصدقات وحدها ، وإنما على سائر الولايات في الدولة الإسلامية ، فصار من حقه على الدولة : أن يحدد له راتب يكفيه وأهله ، ليتفرغ للمهام

الموكولة إليه .

وقد فطن المسلمون الأوائل إلى هذه الحقيقة في وقت كان الحاكم فيه يملك البلاد والعباد في شتى بقاع الأرض ، بينما تقنع الرعية بما يجود به عليهم .

عن عطاء بن السائب قال : لما استخلف أبو بكر أصبح غاديًا إلى السوق وعلى رقبته أثواب يتجر بها ، فلقيه عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح فقالا له : أين تريد يا خليفة رسول الله ؟!

قال : السوق .

قالا : تصنع ماذا ، وقد وليت أمر المسلمين ؟!

قال : فمن أين أطعم عيالي ؟

قالا : انطلق حتى نفرض لك شيئًا ، فانطلق معهم؛ ففرضوا له .

وعن عائشة قالت : لما ولي أبو بكر قال : قد علم قومي أن حرفتي لم تكن لتعجز عن مئونة أهلي ، وقد شغلت بأمر المسلمين ، وسأحترف للمسلمين في مالهم ، وسيأكل آل أبي بكر من هذا المال . رواه البخاري .

وهذا الراتب إما : أن يحدد سلفًا فينظمه قانون ، وهذا الذي استقر عليه الأمر في الدول المعاصرة جميعًا ، وإما : أن يخضع للاجتهاد من أهل الحل والعقد لتحديد ما يستحقه الحاكم ، وهذا يكون قبل سَن مثل هذا القانون .

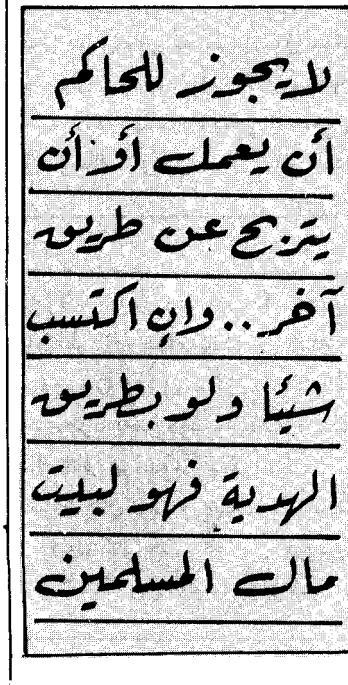

ولا يجوز للحاكم أن يعمل ، أو أن يتربح من طريق آخر بأي حال من الأحوال ، وإن اكتسب شيئًا ولو بطريق الهدية ، فهو لبيت مال المسلمين .

عن حميد بن هلال قال : لما ولي أبو بكر قال أصحاب رسول الله ﷺ : افرضوا لخليفة رسول الله ما يغنيه .

قالوا : نعم ، بُرْدَاه إذا أخلقهما وضعهما وأخذ مثلهما ، وظهره إذا سافر - يعني وسيلة المواصلات - ونفقته على أهله كما كان ينفق قبل أن يستخلف ، قال أبو بكر : رضيت .

وعن المستورد بن شداد عن رسول الله ﷺ قال : « من كان لنا عاملًا فليكتسب زوجة ، فإن لم يكن له خادم فليكتسب خادمًا ، فإن لم يكن له مسكن فليكتسب مسكنًا ، فمن اتخذ غير ذلك فهو

غال أو سارق » .

قال الخطابي : هذا يتأول على وجهين : أحدهما : إنما أباح له اكتساب الخادم والمسكن من عمالته التي هي أجر مثله ، وليس له أن يرتفق بشيء سواها .

والوجه الآخر : أن للعامل السكنى والخدمة ، فإن لم يكن له مسكن وخادم ، استؤجر له من يخدمه فيكفيه مهنة مثله ، ويكتري - يستأجر - له مسكن يسكنه مدة مقامه في عمله .

وفي هذه الحالة يكون المسكن ملكًا للدولة، تسترده في حالة انتهاء مدة الولاية .

هذا عن حقوق الحاكم المسلم ، أما : عن واجباته ففي العدد القادم إن شاء الله .

صحيح مسلم : عن عياض بن حمار رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته : « ألا إنّ ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم ممّا علمني يومي هذا : كل مال نحلته عبدًا حلال ، وإني خلقت عبادي حنفاءَ كلّهم ، وإنهم أتتهم الشياطين ؛ فاجتالتهم عن دينهم وحرّمت عليهم ما أحللتُ لهم ، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أُنزل به سلطانًا . وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم ، عربَهم وعَجمهم ، إلا بقايا من أهل الكتاب ، وقال : إنما بعثتك لأبْتَلِيَك ، وأبتلي بك . وأنزلتُ عليك كتابًا لا يغسله الماءُ ، تقرأه نائمًا ويقظان . وإن الله أمرني أن أحرق قريشًا . فقلتُ : ربِّ إذًا يثلُغُوا رأسي فيدعوه خُبزة . قال : استخرجهم كما استخرجوك ، واغزهم نغزك . وأنفق فسننفق عليك . وابعث جيشًا نبعث خمسةً مثله . وقاتل بمن أطاعك مَنْ عصاك . قال : وأهل الجنة ثلاثة : ذو سلطان مُقسط متصدق موفق ، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم ، وعفيفٌ متعفّف ذو عيال . وقال : وأهل النار خمسة : الضعيف الذي لا زَبْرَ له . الذين هم فيكم تبعًا ، لا يبتغون أهلًا ولا مالًا . والخائن الذي لا يخفى له طمع وإن دَقّ إلا خانه . ورجل لا يُصبح ولا يُمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك . وذكر البخل - أو الكذب - والشنظير الفحاش »

البخاري في صحيحه ومالك في موطئه : عن زيد بن خالد الجُهنيِّ رضي الله عنه قال : صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليلة - مطر - فلما انصرف النبي ﷺ أقبل على الناس فقال لهم : « هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم. قال: « أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فأمّا مَنْ قال : مُطرنا بفضل الله ورحمته ؛ فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب . وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا ؛ فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب » .

ومن رواية النسائي: عن زيد- أيضًا-: «قال الله عز وجل: ما أنعمتُ على عبادي من نعمة إلا أصبح طائفة منهم بها كافرين يقولون : مطرنا بنوء كذا وكذا . فأمّا مَنْ آمن بي وحمدني على سُقياي ؛ فذلك الذي آمن بي وكفر بالكواكب » حتى لا تكون العلاقة بين القلوب والكواكب . ولكن الأمر كله لله الملك القدير .

واجبات الحاكم المسلم..

الواجب الأكبر على الحاكم المسلم يتمثل في القيام بأعباء المنصب على أكمل وجه ، وولاية الأمر في الدولة الإسلامية ما هي إلا وسيلة للقيام بحفظ الدين وسياسة الدنيا به ولا يمكن أن نغفل ما بين الأمرين من تداخل

الواجبات الدينية للحاكم المسلم :

والدولة الإسلامية القائمة على دين الإسلام لا تتخلى عن هذا الدين ولا تنفصل منه ، ولهذا فهي تقوم على نشره ، والدعوة إليه ، وحث الناس على الالتزام بشرائعه وشعائره ، وتعتبر هذا من أوجب الواجبات ، وحراسة الدين وحفظه لا يتم إلا بأمور عديدة هامة :

١ - تبليغ العلم وتعليمه :

لقد تكفل الله تعالى بحفظ هذا الدين ، وجعل لهذا الحفظ وسائل عديدة ، يقوم بها عباده المؤمنون ؛ من حفظٍ في الصدور ، وتدوين في الكتب ، وتعليم للعلم ، لذلك كان من وسائل حفظ القرآن الكريم : جمعه في مصحف واحد في عهد أبي بكر ، وجمع الناس على المصحف الإمام في خلافة عثمان ، وكان من وسائل حفظ السنة : اجتهاد العلماء والمُحَدِّثين في حفظ الأخبار ، وتدوينها في المسانيد والجوامع والأجزاء .

وينبغي على ولي الأمر أن يباشر عملية حفظ نصوص الدين وتبليغ العلم ؛ ليوحد الجهود المبذولة في هذا الشأن ، حتى لا تتعرض للشتات ، ولك أن تتصور الحال لو لم يقم الصِّدِّيق ومن بعده ذو النورين بجمع القرآن .

بقلم
د. جمال المراكبي
عضو لجنة الفتوى
ولجنة البحث العلمي

يجب على الحاكم أن يتصدى برجاله من علماء الأمة .. لنبذ البدع وأهلها ..

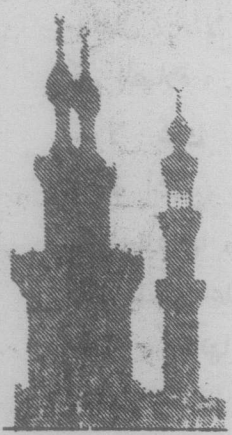

وما قام به مَنْ بَعْدَهم من خدمة للقرآن الكريم بوضع النقاط والشكل على الحروف لتيسير تلاوته وحفظه ، ولقد كان عمر ابن عبد العزيز يكتب إلى الأمصار يعلم الناس السنن والفقه ، وهو الذي أمر بتدوين السنة وجمعها ، ولا يتوقف دور الحاكم عند هذا الحد ؛ بل يجب عليه إنشاء المدارس والمعاهد العلمية ، التي تقوم على نشر العلم ، وإعداد العلماء ، ويجب عليه أن يكفل أرزاقهم ؛ لضمان تفرغهم لهذا الشأن ، ويجب عليه أن يقيم للناس من يفتيهم في أمور الدين من العلماء والفقهاء .

ويجب عليه أن يتصدَّى برجاله من علماء الأمة لنبذ البدع وأهلها ، وإقامة السنن ، ورَدِّ شُبَهِ المشككين ، وزيغ المعاندين ، حتى يحفظ الدين على أصوله المستقرة .

ولا يقتصر دور الحاكم على نشر العلم وحفظ الدين داخل حدود الدولة ، بل ينبغي عليه أن يبعث البعوث ويرسل الإرساليات لعرض الدين على الناس وإقامة الحجة عليهم .

٢ - القيام على شعائر الدين :

من أهم واجبات الحاكم المسلم : القيام على شعائر الدين ، وتعظيمها ، والسهر على حمايتها ، فيدعو المسلمين لإقامة هذه الشعائر ، ويسر لهم سبيل أدائها على الوجه الأكمل ، ويعاقب من يهمل في أداء شيء منها أو يجحدها وينكرها .

وقد نهى النبي ﷺ عن الخروج على الحكام

ما داموا مقيمين للصلاة ، التي هي من أهم هذه الشعائر ، وإن كانوا مفرطين ومضيعين لبعض الحقوق ، فقد أخرج مسلم في صحيحه : عن أم سلمة أن رسول الله ﷺ قال : « ستكون أمراء فتعرفون وتنكرون ، فمن كره فقد برىء ، ومن أنكر فقد سلم ، ولكن من رضي وتابع » .

قالوا : يا رسول الله ألا نقاتلهم ؟ .

قال : « لا ما صَلَّوْا » .

وفي حديث عوف بن مالك الأشجعي : قالوا : أفلا ننابذهم بالسيف ؟ .

فقال : « لا ما أقاموا فيكم الصلاة » .

ولا شك أن إقامة الصلاة أشمل وأعم من مجرد تأديتها ، فإقامتها تفيد أداءها على الوجه الأكمل بأركانها وسننها ، وتفيد الأمر بتعليمها

وتعاهدها ، ورعاية المساجد والأئمة ، وتعزير تاركها على الوجه الذي بيّنه أهل العلم .

ومثل هذا يقال عن الزكاة وعن الحج إلى بيت الله الحرام ، فيقوم ولي الأمر بتحصيل الزكاة من الأغنياء ، ودفعها إلى مستحقيها عن طريق معاونيه من المصدقين أو العاملين عليها ، ويأخذها قهرًا ممن يمنعها ويعزره التعزير المناسب ؛ بل ويقاتل الطائفة المجتمعة على منعها ، كما فعل الصديق رضي الله عنه .

ويقوم الحاكم برعاية البلد الحرام وتهيئته لاستقبال الحجيج ، وتيسير سبل المواصلات والعناية بأمن الطريق .

ويقوم - أيضًا - بتحري رؤية هلال رمضان وشوال وذو الحجة ، ويُعَيِّن للناس من يقوم على أمر التعليم والفتوى وذلك لتيسير إقامة هذه الشعائر

٣ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

وهو واجب على المسلمين بحسب قدرة كل واحد منهم ، ولا شك أن الحاكم أكثر قدرة على تغيير المنكرات من غيره بما يملك من سلطة ، وبما له من حق الطاعة ، ويعين الحاكم من يساعده في أداء هذا الواجب من الولاة والعمال ، ولقد عرف المسلمون الأوائل وظيفة المحتسب ، وهو

الذي يتولى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مستعملًا لسلطة الحكم في ذلك .

الواجبات السياسية للحاكم المسلم :

وهذه الواجبات ليست منفكة عن الدين ؛ بل هي حفظ له ، وسياسة للأمة به ، ومن أظهر هذه الواجبات :

١ - إقامة العدل وفق أحكام الشرع :

تكلمنا من قبل عن العدل كأساس للحكم في الدولة الإسلامية ، وقلنا : إن الحكم بما أنزل الله ، وبما شرع ؛ هو أساس العدل في الإسلام .

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ [الحديد :٢٥] .

والإمام العادل ، هو : الذي يتبع أمر الله تعالى ، فيضع كل شيء في موضعه الذي أمر به الله من غير إفراط أو تفريط .

ولإقامة العدل في الدولة الإسلامية مظهران :

الأول : تنفيذ الأحكام بين المتشاجرين ، وقطع الخصام بين المتنازعين ، حتى تعم النصفة ؛ فلا يتعدى ظالم ، ولا يضعف مظلوم ، وهذا أحد المظاهر الهامة لإقرار العدل ، حتى لا تعم الفوضى .

وعلى الإمام تعيين القضاة الذين يتولون ذلك ، وإنشاء المحاكم ، وبيان الإجراءات التي تنظم عملية التقاضي .

الثاني : إقامة الحدود لتصان محارم الله عن الانتهاك وتحفظ حقوق عباده من إتلاف واستهلاك .

٢ - الحفاظ على الأمن العام والسكينة والنظام :

فيجب على الإمام أن يعد العدة لحماية المواطنين ، وضمان أمنهم وسلامتهم ، وتعيين القائمين على ذلك .

٣ - الدفاع عن الدولة والدين :

يجب على الإمام أن يعد العدة للجهاد وتأمين دولة الإسلام من أي اعتداء ، وعليه أن يتخذ الوسائل اللازمة لذلك مثل تجهيز الجيوش وتطويرها ، وتحصين الثغور ، قال تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [الأنفال: ٦٠].

٤ - توجيه السياسة المالية للدولة وفق الضوابط الشرعية :

فالسياسة المالية عبارة عن موارد الدولة ومصارفها ، والإمام مسئول عن توجيه هذه السياسة في حدود ما شرعه الله تعالى .

وهذا الواجب لا يقع على عاتق الإمام ومعاونيه فحسب ، بل يجب على عموم المسلمين أن يتعاونوا مع ولاة الأمور في سبيل تحقيق ذلك ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَانَاتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ﴾ [النساء : ٥٨].

﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَانِ ﴾ [المائدة : ٢] .

فعلى الإمام ونوابه : أن يعطوا كل ذي حق حقه ،

> **واجب على ولي الأمر أن يحاسب ولاته وعماله حساباً دقيقاً..**

وعلى الرعية أن يؤدوا ما عليهم من حقوق ، ولا يجوز لهم أن يمنعوا ما يجب عليهم دفعه إليه من الحقوق حتى وإن كان ظالمًا ، وقد قال النبي ﷺ : « أعطوهم حقهم فإن الله سائلهم عما استرعاهم » (مسلم) .

وقال : « إنكم سترون بعدي أثرة وأمورًا تنكرونها » .

قالوا : فما تأمرنا يا رسول الله ؟

قال : « أدوا إليهم حقهم واسألوا الله حقكم » (مسلم) .

وهذا من قبيل طاعتهم في طاعة الله ، ومعصيتهم في معصية الله ، مع استمرار النصح لهم ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وليس للرعية أن يطلبوا من ولاة الأمور ما لا يستحقون ؛ فيكونون من جنس من قال الله فيهم ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ ، وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ [التوبة : ٥٨]

وليس لولاة الأموال أن يقسموها بحسب أهوائهم ، فإنما هم أمناء ونواب ووكلاء ، وليسوا مُلَّاكًا ، والنبي ﷺ يقول : « إني والله لا أعطي أحدًا ولا أمنع أحدًا ، وإنما أنا قاسم أضع حيث أُمِرتُ » (البخاري) .

وواجب على ولي الامر أن يحاسب ولاته وعماله

حسابًا دقيقا ، حتى يقيم عوجهم ، ويصلح أخطاءهم ، وقد كان النبي ﷺ يستوفي الحساب على العمال ويحاسبهم على المستخرج والمصروف .

٥ - تعيين الولاة والموظفين ورسم السياسة العامة للدولة :

فالولاية أمانة ، وعلى الإمام يقع عبء هذه الأمانة ، فيجب عليه أن يولي على كل عمل من الأعمال أصلح من يجده لهذا العمل دون محاباة ، وإلا كان خائنًا مضيعًا لأمانته .

﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ لَا تَخُونُوا ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنفال : ٢٧] .

وقد دلت سنة النبي ﷺ على أن الولاية أمانة يجب أداؤها فمن ذلك ما رواه البخاري عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة » .

قيل : يا رسول الله : وما إضاعتها ؟ .

قال : « إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة » .

وقال النبي ﷺ لأصدق الناس لهجة :

« يا أبا ذر إنك ضعيف ، وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها». مسلم

وعلى الإمام يقع عبء رسم السياسة العامة للدولة والعمل على تنفيذها، وذلك في إطار الشرعية الإسلامية ومع مراعاة المبادىء الإسلامية العامة ، كمبدأ الشورى والعدل ، وللإمام في ذلك سلطة تقديرية واسعة حيث لم تأت الشريعة بتفصيلات ذلك وإنما جاءت بمبادىء عامة وقواعد كلية .

والإمام مسئول أمام جماهير المسلمين بصفة عامة ، وأمام أهل الحل والعقد بصفة خاصة ، وللأمة أن تحاسبه عن أعماله ، ولنا في ذلك حديث آخر .

الشيخان وغيرهما : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : قال اللهُ عز وجل : يؤذيني ابن آدم . يسبُ الدهر . وأنا الدهر . بيدي الأمر . أقلب الليل والنهار ، ومن رواية مسلم : « يقول : يا خيبة الدهر . فإني أنا الدهر أقلبُ ليله ونهاره » . مع تنزيه الله العظيم أن يصل إليه أذى من الغير ، فإذا سبّ ابن آدم الدهر على أنه فاعل لهذه الأمور فذلك من الكفر بالله لأنه بيده عزّ وجل مقاليد السموات والأرض . مدبر الأمر وحده . وليس للدهر تأثير في شيء أبدًا » .

إذا كانت سلطات الحاكم محددة ومقننة شرعًا ، وإذا كان الحاكم لا يتولى منصبه إلا للقيام بأعبائه ومهامه على أكمل وجه؛ فإن الحاكم لا بد أن يكون مسئولًا مسئولية تامة عن أعماله؛ فالقاعدة البدهية أنه حيث تكون السلطة تكون المسئولية ، وليس من المقبول أن تتجمع في يد الحاكم كل هذه السلطات ، ولا يوجد من يسأله عن أخطائه ، أو أن يُسأل عنها أحد سواه .

مسئولية الحاكم المسلم

بقلم
د. جمال المراكبي
عضو لجنة الفتوى
ولجنة البحث العلمي

إن قاعدة عدم مسئولية رئيس الدولة ، وأن الملك لا يخطئ، ليست إلا رواسب للوثنية التي تدعو إلى تقديس الحاكم وتأليهه ، والتي جاء الإسلام للقضاء عليها. وتحرير البشر من أغلالها.

وتنقسم مسئولية الحاكم المسلم إلى قسمين :

قسم شرعي ديني .

وقسم سياسي .

والقسمان مترابطان ، فهما وجهان لعملة واحدة ، أو هما مظهران لقاعدة المسئولية .

أولا : المسئولية الدينية :

من الطبعيّ أن تتبوأ المسئولية الدينية مكانة رفيعة في دولة عقائدية تؤمن بالله واليوم الآخر، وتسعى لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وتطبق شرعًا إلهيًا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وتشترط في إمامها وفي كل الولاة شروطًا خاصة من أهمها : العلم ، والعدالة التي تعني التقوى والورع .

ونلمس أثر هذه

المسئولية في ضمير العبد المؤمن ، في مخافته من ربه ، وفي محاسبته لنفسه قبل أن يحاسبه ربه ؛ لأنه يؤمن أنه لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسْأَلَ عن أربع : عن عمره فيما أفناه ؟ وعن علمه ما عمل به ؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ؟ وعن جسمه فيما أبلاه. [الترمذي]

وأشد الناس سؤالًا يوم القيامة : من يُسأل عن المسلمين جميعًا ، وهو : الحاكم المسلم : « كلكم راعٍ ، وكلكم مسئول عن رعيته ، فالإمام الذي على الناس راعٍ، وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راعٍ على أهل بيته، وهو مسئول عن رعيته .... » الحديث . [متفق عليه]

ولا شك أن جزاء التفريط والتضييع يتضاعف بالنسبة لمن يسأل عن الناس جميعًا ، وذلك مصداقًا لقول الرسول ﷺ: «إنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها، وأدى الذي عليه فيها » [مسلم] .

« ما من راع يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاشٌّ لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة » . [مسلم] .

لقد لعبت المسئولية الدينية دورًا هامًّا في حياة الأمة الإسلامية ، وتركت أثرًا ملموسًا في تاريخ الدولة الإسلامية ، فبها بزغ نجم عمر بن عبد العزيز في ظلمات الجور والأثرة .

لقد استشعر الصديق هذه المسئولية فقال لأبيه « طُوقت عظيمًا من الأمر : ولا يُدان إلا بالله » [ابن سعد] .

ومما يؤثر عن عمر قوله: « لو ماتت شاة بشط الفرات ضائعة لظننت أن الله سائلي عنها يوم القيامة » [ابن الجوزي – تاريخ عمر بن الخطاب] .

أُوجب الشرع على الأمة أن تأخذ بيد الحاكم ، أو تأخذ على يديه حتى يلتزم الحق وتسقط هذا الحق من نصوص الشرع.

« وددت لو أني خرجت منها كفافًا لا عليَّ ولا لَيَّ » [ابن الجوزي] .

ومما يؤثر عن عثمان قوله : إن وجدتم في كتاب الله أن تضعوا رجلي

في قيود فضعوهما .

[ابن سعد].

ويوضح أبو مسلم الخولاني فلسفة الإسلام في الإمرة والولاية حين يدخل على معاوية فيقول : السلام عليك أيها الأجير . فلما أنكر عليه الجالسون قال لهم معاوية : دعوا أبا مسلم فإنه أعلم بما يقول .

فيقول أبو مسلم: إنما أنت أجير استأجرك رب هذه الغنم لرعايتها ؛ فإن أنت هنأت جرباها ، وداويت مرضاها ، وحبست أولاها على أخراها ، وفّاك سيدها أجرك ، وإن أنت لم تهنأ جرباها ، ولم تداو مرضاها ، ولم تحبس أولاها على أخراها عاقبك سيدها .

[السياسة الشرعية لابن تيمية] .

ومن الواضح أن هذه المسئولية محددة المعالم ، يعلمها أهل التقوى والورع من الحكام ، ويقوم العلماء بدور التنبيه والتذكير لمن غفل عنها منهم. وكلما قوي الوازع الديني بين المسلمين قوي الإحساس بهذه المسئولية بين جميع فئات الأمة وأفرادها ، وكلما ضعف الوازع الديني ضعف الإحساس بها، حتى لا نكاد نرى لها مكانًا في دنيا الناس . وكيفما تكونوا يُولَّ عليكم ، ولن يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

ثانيا : المسئولية أمام الأمة :

هذا هو الوجه السياسي لقاعدة المسئولية ، فإن الوازع قد يضعف ولا يكفي لسير الحاكم على الطريق المستقيم ، ومن هنا فقد أوجب الشرع على الأمة أن تأخذ بيد الحاكم أو تأخذ على يديه حتى يلتزم الحق ويعاوده . وعلى هذا فالأمة دائمة المراقبة والمحاسبة لولاة الأمور ، وتستمد الأمة هذا الحق في الرقابة من نصوص الشرع، ومن وضعيتها ومسئوليتها عن أحكام الشرع ، فالأمة مسئولة عن إقامة شرع الله، وهي المخاطبة بأحكام

لقد لعبت المسئولية الدينية دوراً هاماً في حياة الأمة الإسلامية وتركت أثراً ملموساً في تاريخ الدولة الإسلامية

الشرع ، وقد تم نصب الإمام لأجل ذلك؛ فإذا حاد عن الشرعية وخالف الشريعة؛ كان لزامًا على الأمة أن تأخذ على يديه لترده إلى جادة الصواب .

وإذا كانت الشورى إحدى أسس الحكم في الدولة الإسلامية ؛ فإن الشورى تعد كذلك أساسًا لقاعدة المسئولية ، ورقابة الأمة ، فالأمة تشارك في صنع القرار السياسي ، وتحاسب الحاكم عن طريق ممثليها من أهل الحل والعقد .

وإذا كان الحاكم نائبًا عن الأمة ، فإن قاعدة الوكالة تقضي بأن يكون للأصيل - الأمة - حق مراقبة الوكيل - الحاكم - وذلك لضمان سيره على وفق إرادة الأمة .

والنصيحة - كواجب تبادلي بين الأمة وبين الحاكم- تعطي الأمة الحق في مراقبة الحاكم ومساءلته، وتوجيه النصح له ، فالدين

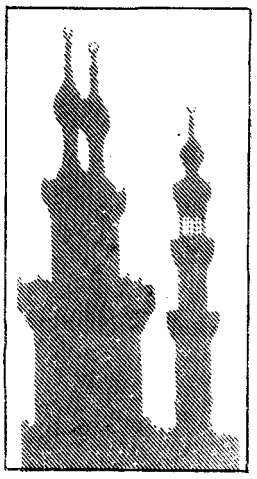

النصيحة ، ومناصحة ولاة الأمور من أوجب الواجبات التي رضيها الله تعالى لنا : « ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مسلم : إخلاص العمل لله ، ومناصحة ولاة الأمور ، ولزوم جماعة المسلمين » .

والمناصحة تختلف باختلاف حال الناصح ومكانته ، وباختلاف حال المنصوح له ، وقد سبق أن فصلنا ذلك في مقال سابق .

لقد جعل الله سبحانه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من سمات هذه الأمة، وأوجبه عليها ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠] .

فيجب على الأمة أن تأمر حاكمها بالمعروف، وتنهاه عن المنكر، وتأخذ على يديه، وتحمله على الحق ، وسندها في ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ [آل عمران : ١٠٤] .

وقول رسول الله ﷺ : « من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » [مسلم] .

« سيكون بعدي خلفاء يعملون بما يعلمون ، ويفعلون ما يؤمرون ، وسيكون بعدي خلفاء يعملون بما لا يعلمون ، ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن أنكر عليهم برئ،

ومن أمسك يده سَلِم ، ولكن من رَضِي وتابع »[1] والنصوص في ذلك كثيرة .

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أنجح الوسائل لمراقبة الأمة حاكميها ومحاسبتهم ، ولكن بوسائله المشروعة ، ومن أهمها : العلم ؛ فإنه كمبضع الجراح إذا استعمله الطبيب الحاذق كان الشفاء مرجوًا، وإذا استعمله الجاهل كان الموت محتومًا .

ومن هنا يتضح لنا أن عامة الناس وأكثرهم لا يحسنون محاسبة ولاة الأمور ، وإنما يقوم بذلك أهل الحل والعقد، وهم الذين يرجع إليهم جماهير الأمة فيما يحتاجونه من أمور الدين والدنيا على السواء .

ولأن الأمر قد يصل إلى حد عزل الحاكم من منصبه وتحريك الصراع ضده، وهذا أمر لا يحسنه عامة الناس ، ولو تصدوا له لكان ما يفسدون أكثر مما يصلحون .

الإسلام لا يقر الاستبداد ولا يمنح الحاكم حقاً إلهياً مقدساً ..

وقد خرج الرعاع على الخليفة الراشد عثمان بن عفان ، ولم يتبعوا في ذلك أهل الحل والعقد وأهل العلم من صحابة رسول الله ﷺ ، فكانت النتيجة : فتنة كبرى عانت منها الامة الإسلامية طويلًا .

وقد أشار النبي ﷺ إلى ذلك فقال لعثمان : « لعل الله يُقمصك قميصًا ، فإن أرادوك على خلعه فلا تخلعه لهم »[2] .

وقد يظن بعضهم - حين يسمع مثل هذا الحديث - أن الإسلام يمنع عزل الحاكم وإن جار ، وأن الخليفة يحكم بمقتضى حق إلهي مقدس، لا يجوز لأحد من الناس مساءلته ، وهذا ما يدعيه أكثر المستشرقين وأذنابهم من المستغربين والعلمانيين .

والحقيقة : أن الإسلام لا يقر الاستبداد ، ولا يمنح الحاكم حقًا إلهيًا مقدسًا ، ولكنه - أيضًا - لا يقر الفوضى بحال ، وعليه فلا يجوز لعامة الناس أن يقوموا على الحاكم، تحركهم

أهواؤهم؛ فتصير فتنة . تسفك بها الدماء، وتنتهك الحرمات، ولو استجاب الحاكم لهم - على جهلهم - صار الحل والعقد بيدهم، وهم ليسوا أهلًا لذلك .

وأخيرًا نختم هذا الموضوع ببعض السوابق التاريخية في هذا الصدد .

السوابق التاريخية كأساس للمسئولية :

لقد جاءت السوابق التاريخية في عصر الخلافة الراشدة وما بعدها مؤكدة على قاعدة مسئولية الحاكم أمام الأمة .

فهذا أبو بكر يقرر حق الأمة في مراقبة حكامها في أول خطاب له فيقول : « أيها الناس إني وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينوني ، وإن أسأت فقوموني ، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فإذا عصيت فلا طاعة لي عليكم »[٣] .

وفي تاريخ عمر بن الخطاب: أنه كان بينه وبين رجل كلام ، فقال له الرجل : اتق الله يا أمير المؤمنين . فقال رجل من القوم : أتقول لأمير المؤمنين اتق الله ؟ فقال عمر : دعه فليقلها لي نِعْمَ ما قال ، لا خير فيكم إذا لم تقولوها ، ولا خير فينا إذا لم نقبلها منكم[٤] .

وصعد معاوية المنبر فقال عند خطبته : « إنما المال مالنا والفيء فيئنا فمن شئنا أعطيناه ، ومن شئنا منعناه » ، فلم يجبه أحد ، فلما كان في الجمعة الثانية قال مثل ذلك فلم يجبه أحد ، فلما كان في الجمعة الثالثة ، فقال مثل مقالته ، قام إليه رجل من حضر المسجد فقال : كلا إنما المال مالنا والفيء فيئنا، فمن حال بيننا وبينه حاكمناه إلى الله بأسيافنا .

فنزل معاوية فأرسل إلى الرجل فأدخله ، فقال القوم : هلك الرجل ، ثم

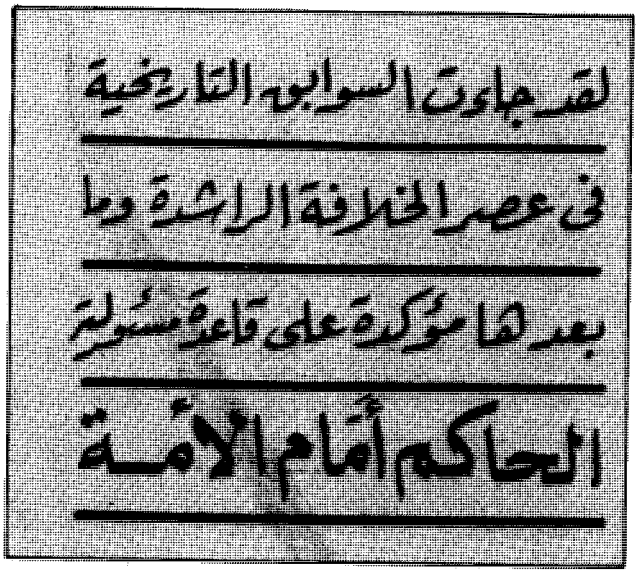

دخل الناس فوجدوا الرجل معه على السرير - سرير الملك - فقال معاوية للناس : إن هذا أحياني أحياه الله .

سمعت رسول الله ﷺ يقول : « سيكون بعدي أمراء يقولون ولا يُرَدُّ عليهم ، يتقاحمون في النار كما تتقاحم القردة » وإني تكلمت في أول جمعة فلم يَرُدَّ علي فخشيت أن أكون منهم، ثم تكلمت في الجمعة الثانية فلم يَرُدَّ علي أحد ، فقلت في نفسي : إني من القوم ، ثم تكلمت في الجمعة الثالثة فقام هذا الرجل فرد عليَّ ، فأحياني أحياه الله[٥]

(١) ما زالت هذه القاعدة موجودة حتى الآن في الأنظمة المعاصرة ، ففي النظام الرئاسي المعروف بالولايات المتحدة الأمريكية لا يمكن مساءلة الرئيس سياسيًا أمام البرلمان أو حتى أمام الشعب ، وليس أمام جماهير الشعب- إذا كانت لا توافق على سياسة الرئيس- سوى خيار واحد، هو: ألا تعيد انتخابه مرة أخرى ، ولكن يمكن مساءلة الرئيس جنائيًا في حالة الخيانة العظمى أو الرشوة أو غير ذلك من الجنايات ، وأقصى عقوبة يمكن الحكم بها هي العزل ، وتتوقف إجراءات المحاكمة إذا قدم الرئيس استقالته. وفي النظام البرلماني تُعدّ قاعدة عدم المسئولية أحد أركان هذا النظام، فذات الملك مصونة لا تمس ، والملك لا يخطئ، ومن ثم لا يُسأل سياسيًا ولا جنائيًا ، وقد لجأت هذه الأنظمة إلى مساءلة الوزراء نيابة عن الملك، ومن ثم انتقلت السلطة الفعلية إلى الوزارة ، وبقي للملك سلطة اسمية فقط .

هذه قاعدة المسئولية في أعرق الأنظمة الديمقراطية ، أما في الأنظمة الشمولية والدكتاتورية فليس هناك مجال للحديث عن قاعدة مسئولية الحاكم أصلًا .

(٢) أخرجه الترمذي وقال : حسن غريب - وابن أبي عاصم في السنة وصححه الألباني ج٢ ص٥٦٠ ح رقم ١١٧٣ .

(٣) البداية والنهاية ج٦ ص٣٤٠ بسند صحيح .

(٤) تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص١٤٢ .

(٥) رواه الطبراني في الكبير والأوسط ، وأبو يعلى ورجاله ثقات. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج٥ ص٢٣٩ .

١٠ - في التأني السلامة وفي العجلة الندامة .

١١ - ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [سورة الإسراء : ٢٣] .

١٢ - «برّوا آباءكم تبرّكم أبناؤكم ، وعفوا عن نساء الناس تعف نساؤكم » [رواه الطبراني بإسناد حسن] .

١٣ - اقتصد في مأكلك ومشربك وملبسك ونومك .

من معاني الأذكار

سيد الاستغفار

بقلم
د . / جمال المراكبي
عضو لجنة الفتوى بأنصار السنة

عن شداد بن أوس رضى الله عنه عن النبى ﷺ : سيد الاستغفار أن يقول : «اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت ، خلقتنى وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك علىّ ، وأبوء بذنبى ، فاغفر لى ، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت» .

قال : ومن قالها من النهار موقناً بها فمات من يومه قبل أن يمسى فهو من أهل الجنة ، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة .

وهذا الحديث هوأفضل ما يستعمل من ألفاظ الاستغفار ولهذا وصفه النبى ﷺ بأنه سيد الاستغفار وترجم له البخارى بعنوان أفضل الاستغفار ، وكأنه أشار إلى أنه المراد بالسيادة الأفضلية ومعناها الأفضل نفعاً لمستعمله .

ولما كان هذا الدعاء جامعاً لمعانى التوبة كلها استعير له اسم السيد وهو فى الأصل الرئيسى الذى يُقصد فى الحوائج ،ويرجع إليه فى الأمور .

وقد وردت النصوص الشرعية بالأمر بالاستغفار والحث عليه وبيان فائدته للعبد فى الدنيا والآخرة . قال تعالى : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِن رَّبِّكُم وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِم وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِم وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ [آل عمران ١٣٣ ـ ١٣٦] .

وفى هذه الآيات حث على المسارعة إلى مغفرة الله تعالى والى جنته ،والأخذ بأسباب

ذلك من إحسان فى العمل وإنفاق فى الطاعة وعفو عن الناس وخوف من الله واستغفار للذنوب وعدم الإصرار عليها.

وقد أخرج أحمد والأربعة وابن حبان وصححه عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : حدثنى أبو بكر وصدق أبو بكر قال : سمعت النبى ﷺ يقول : ما من رجل يذنب ذنباً ثم يقوم فيتطهر فيحسن الطهور ثم يستغفر الله عز وجل إلا غفر له ثم تلا هذه الآية ﴿ والذين إذا فعلوا فاحشة .... ﴾

وقال تعالى على لسان نبيه نوح عليه السلام ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً ﴾ [نوح : ١٠ ـ ١٢] .

فقد أخبر نوح قومه وأعلمهم أن الاستغفار من أعظم أسباب الرزق والرخاء، وأنه يجمع لهم مع الحظ الوافر فى الآخرة الخصب والغنى فى الدنيا .

وفى الأثر عن الحسن أنه جاءه رجل يشكو إليه الجدب وجفاف بستانه فأمره بالاستغفار ، وشكى إليه آخر عدم الولد فأمره بالاستغفار ، ثم تلا هذه الآيات .

والأحاديث فى الحث على الاستغفار وبيان فضله كثيرة ففى الصحيح عن أبى هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « والله إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة » وفى رواية « إنا كنا نعد لرسول الله فى المجلس : رب اغفر لى وتب على إنك أنت التواب الغفور مائة مرة » . وفى الصحيحين عن عبد الله بن عمرو عن أبى بكر الصديق أنه قال لرسول الله ﷺ : علمنى دعاءً أدعو به فى صلاتى فقال : قل « اللهم إنى ظلمت نفسى ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لى مغفرة من عندك وأرحمنى إنك أنت الغفور الرحيم » .

وفي صحيح مسلم عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال والذى نفسى بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم » وفى الصحيحين عن أبى هريرة عن النبى ﷺ فيما يحكى عن ربه عز وجل قال : أذنب عبد ذنباً فقال : اللهم اغفر لى ذنبى .فقال تبارك وتعالى : أذنب عبدى ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب . ثم عاد فأذنب فقال : أى رب إغفر لي ذنبي . فقال تبارك وتعالى : عبدى أذنب ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب . ثم عاد فأذنب فقال : أى رب اغفر لى ذنبى . فقال تبارك وتعالى : أذنب عبدى ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب . اعمل ما شئت فقد غفرت لك . هذا لفظ مسلم ومعناه : مادمت تذنب ثم تتوب غفرت لك .

بين التوبة والاستغفار :

والاستغفار : استفعال من الغفران وأصله الغفر وهو إلباس الشيء ما يصونه عما يدنسه ، والغفران من الله للعبد أن يصونه عن العذاب.

والتوبة ترك الذنب لقبحه والندم على فعله والعزم على عدم العود ، ورد المظلمة أو طلب البراءة من صاحبها ، وهى أبلغ ضروب الاعتذار.

والاستغفار يأتى مفرداً ، ومقروناً بالتوبة فالاستغفار المفرد كما فى قوله تعالى ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُم إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً ﴾ وقوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُون ﴾ مثل التوبة بل هو التوبة بعينها ، مع تضمنه طلب المغفرة من الله وهو محو الذنب وإزالة أثره ووقاية شره ، فالاستغفار يتضمن التوبة ، والتوبة تتضمن الاستغفار وكل منهما يدخل فى مسمى الآخر عند الطلاق .

والاستغفار المقرون بالتوبة كما فى قوله تعالى ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْه ﴾ يعني أن لكل منهما معنى عند الاقتران فالاستغفار هو طلب وقاية شر ما مضنى، والتوبة الرجوع وطلب وقاية شر ما يخافه فى المستقبل من سيئات أعماله .

والاستغفار من أفضل العبادات على لإطلاق فى حق كل أحد من الناس ، ولهذا كان النبى ﷺ وهو المعصوم ـ حريصاً عليه ، وحرص على تعليم الصديق رضى الله عنه ـ وهو الذى لا نعرف له ذنبا ـ أن يستغفر فى الصلاة « فاغفر لى مغفرة من عندك وارحمنى إنك أنت الغفور الرحيم » .

يتأكد الاستغفار فى حق من نخلط عملاً صالحاً وأخر سيئاً لأن محو أثر الذنوب أولى من فعل القربات، سُئل ابن الجوزى : أأسبح أم أستغفر ؟ فقال : الثوب الوسخ أحوج إلى الصابون من البخور.

والاستغفار الذى هو من أفضل العبادات لا يكون مجرد نطق اللسان ، فأكثر الناس يستغفر بلسانه ويصر على الذنب بقلبه ، ويحرص عليه بفعله وهذا إلى التلاعب أقرب منه إلى التوبة والاستغفار والله تعالى علام الغيوب لا تخفى عليه خافية.

والاستغفار الكامل يتضمن علماً يورث خوفاً وندماً على فعل الذنوب ، وتركاً لها ، وطمعاً فى رحمة الله ومغفرته .

والمراد بالعلم هنا العلم بجلال الله وعظمته وأنه سبحانه المطلع على عباده ، العالم بأعمالهم وأحوالهم ، وأنه سبحانه شديد العقاب ، وهو مع ذلك غفور رحيم يعفو عمن أذنب إذا عاد إليه تائباً مستغفراً ، لا يملك ذلك إلا الله سبحانه .

والعلم بأوامر الله ونواهيه وحلاله وحرامه ، فيعرف العبد المذنب إنه قد خالف الملك العلام فى أمره ونهيه ، ويعرف أنه لا ملجأ ولا منجى له من الله إلا إليه ، فيلجأ إليه تائباً مستغفراً خائفاً من ربه ، ومن أليم عقابه ،نادماً على ما اقترف فى حقه من ذنوب وخطايا ، فيعود العبد إلى ربه طالباً المغفرة طامعاً فى الرحمة .

ومن استشعر هذه المعانى لم يصر على ذنب أبداً ،حتى ولو غلبته شهوته وتكرر ذنبه فإن الله غافرٌ له ذنبه ﴿ والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ﴾ .

وفي الحديث « علم عبدى أن له رباً يأخذ بالذنب ويغفر الذنب عبدى اعمل ما شئت فقد غفرت لك » .

ولهذا فينبغى علينا أن نقف على ما فى الاستغفار من هذه المعانى وأن نقف كذلك على ما فى هذا الذكر الذى هوسيد الاستغفار من معان .

«**اللهم** أنت ربى لا إله إلا أنت » فى هذه الجملة اعتراف من العبد بربوبية الله عز وجل وألوهيته ، وفى هذا إشارة إلى أنه يُستدل بتوحيد الربوبية على توحيد الإلهية ، فمن عرف يقيناً أن الله هو الرب خالق كل شىء ومالكه بيده الرزق ، المتصرف فى شئون خلقه المدبر لهم فإنه لابد أن يتوجه إليه وحده بالعبادة والدعاء .

« **خلقتني** وأنا عبدك » عابد لك باختيارى عبودية ترضيك عنى هى حقك علينا ، فأعنا على أن تقوم بحقها على الوجه الذى يرضيك عنا .

« **وأنا** على عهدك ووعدك ما استطعت » وأنا مقيم على ما عاهدتك عليه من الإيمان لك وإخلاص الطاعة لك ، مقيم على ما عاهدت إلى من أمرك ومتمسك به ، طامع وراغب فى إنجاز وعدك بالأجر والثواب ، وهذا كله بحسب قدرتى واستطاعتى ،لا بحسب ما ينبغى لك ، فإنى أعترف بعجزى وقصورى عن أداء حقك علىّ ، وإنما هو جهد المقل . قال ابن بطال يريد العهد الذى أخذه الله على عباده حيث أخرجهم أمثال الذر وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟

قالوا بلى ، فأقروا له بالربوبة ، وأذعنوا له بالوحدانية ، ويريد بالوعد ما قال على لسان نبيه « من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة » .

وفى قوله « ما استطعت» إعلام لأمته أن أحداً لا يقدر على الإتيان بجميع ما يجب عليه لله ،ولا الوفاء بكمال الطاعات والشكر على انعم ،فريق الله بعباده فلم يُكلفهم من ذلك إلا وسعهم.

« **أعوذ بك من شر ما صنعت** » أى ألجأ اليك

وأعتصم بك واحتمى وأتحرز من الشرور كلها ، ومن شر كل ذى شـــر من الخلق . وذلك مثل قول الله تعالى ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ .

وقول النبى ﷺ « اعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق » وهذا على اعتبار أن لفظة « صنعت » بفتح التاء فالمولى سبحانه وتعالى خالق كل شىء ، والخير والشر من صنع الله ،ولكنه سبحانه لم يخلق شراً محضاً ، فما من شر فى الخلق إلا وفيه نوع من الخير، ولهذا لا ينسب الشر المجرد لا ينسبه الشر المجرد لله سبحانه مع أنه خالق كل شىء كما فى قول النبى ﷺ « الخير كله إليك والشر ليس إليك »

ويحتمل أن لفظة « صنعتُ » بضم التاء وهذا هو الأرجح فيكون المعنى أعوذ بك يارب من شر نفسى وشر ذنوبى وذلك كما فى الدعاء المشهور « أعوذ بك من شر نفسى وشر الشيطان وشركه وأن أقترف على نفسى سوءاً أو أجره إلى مسلم » .

« أبوء لك بنعمتك علىّ وأبوء بذنبى » أقر وأعترف بجميع ما أنعمت على من نعم لا أحصيها وأقر وأعترف بذنوبى وتقصيرى فى أداء حقك علىّ قال الطيبى : اعترف أولاً بأنه أنعم عليه ولم يقيده لأنه يشمل أنواع الإنعام ،ثم اعترف بالتقصير

وأنه لم يقم بإداء شكرها ، ثم بالغ فعده ذنباً مبالغةً فى التقصير وهضم النفس . وعلق الحافظ ابن حجر على مقالة الطيبى لقوله : ويحتمل أن يكون قوله « أبوء بذنبى » أى أعترف بوقوع الذنب مطلقاً ليصح الاستغفار منه ، لا أنه عد ما قصر فيه من أداء شكر النعم ذنباً .

« فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » بعد أن اعترف العبد بربوبية الله عز وجل والهيته وحده لا شريك له ، وأقر بأنه عابدٌ لله عز وجل مقيمٌ على عهده طامعٌ فى إنجاز وعده ،وبعد أن اعترف بنعم الله عز وجل التى لا تُحصى ،واعترف بعجزه عن شكرها وأداء حق الله عليه ، واعترف بذنبه كله ، لجأ إلى ربه وخالقه ومولاه الغفور الرحيم طالباً منه المغفرة والرحمة ، متوسلاً إليه فى ذلك بأنه الغفور الرحيم الذى لا يملك المغفرة أحد غيره ، ولا يقدر عليها أحد سواه .

قال ابن أبى جمرة : جمع النبى ﷺ فى هذا الحديث من بديع المعانى وحسن الألفاظ ما يحق له أن يسمى سيد الاستغفار ، ففيه الإقرار لله وحده بالالهية والاعتراف بأنه الخالق ، والإقرار بالعهد الذى أخذه عليه والرجاء بما وعده به ، والاستعاذة من شر ما جنى العبد على نفسه وإضافة النعماء إلى موجدها وإضافة الذنب إلى نفسه . ورغبته فى المغفرة واعترافه بأنه لا يقدر على ذلك إلا الله .

وقال ابن القيم فتضمن هذا الاستغفار الاعتراف من العبد بربوبية الله والهيته وتوحيده والاعتراف بأنه عبده الذى ناصيته بيده ،لا مهرب له منه ولا ولى له سواه ، ثم التزم الدخول تحت عهده وهو أمره ونهيه الذى عهد إليه على لسان رسوله .وأن ذلك بحسب استطاعتى لا بحسب أداء حقك فإنه غير مقدور للبشر ، وانه جهد المقل وقدر الطاقة ،ومع ذلك فأنا مصدق بوعدك الذى وعدته لأهل طاعتك بالثواب ولأهل معصيتك بالعقاب ، فأنا مقيم على عهدك مصدق بوعدك .

ثم أفزع إلى الاستعاذة والاعتصام بك من شر ما فرطت فيه من أمرك ونهيك، فإنك إن لم تعذنى من شره أحاطت بى الهلكة وأنا أقر لك وألتزم بنعمتك علىّ ، وأقر وألتزم بذنبى ،فمنك النعمة والإحسان والفضل ، ومنى الذنب والإساءة ،فأسألك أن تغفر لى بمحو ذنبى وأن تعافينى من شره،فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

وكتبه

د. جمال المراكبي

أخرجه البخارى فى كتاب الدعوات (٨٠) ـ باب (٢) أفضل الإستغفار ـ حديث رقم ٦٣٠٦ . وأخرجه أحمد والنسائى والترمذى .

وشداد بن أوس بن ثابت بن المنذر بن حرام الأنصارى صحابى جليل ، واختلف أهل العلم فى صحبة أبيه ، وهو ابن أخى حسان بن ثابت شاعر النبى ﷺ .

قال ابن سعد : كنيته أبو يعلى ، نزل الشام ومات بفلسطين فى أخر خلافة معاوية سنة ٥٨ هـ وله خمس وتسعون سنة ، وكانت له عبادة واجتهاد فى العمل ، وقد روى عن كعب الأخبار . اهـ بتصرف .

وشداد من الصحابة المقلين فى الرواية : روى خمسين حديثاً وليس له فى البخارى إلا هذا الحديث ، وأخرج له مسلم حديثاً واحداً مشهوراً « إن الله كتب الإحسان على كل شىء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته » .

التحذير من دخول مساكن الظالمين

البخاري : عن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال : لما مرَّ النبيُّ ﷺ بالحجر – منازل ثمود قوم نبي الله صالح عليه السلام – قال : « لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم . أن يصيبكم ما أصابهم . إلا أن تكونوا باكين » ثم قنَّع رأسه وأسرع السَيْر حتى أجاز الوادي .

الاستعاذة من شر النفس والشيطان

بقلم
د. / جمال المراكبي
عضو لجنة الفتوى بأنصار السنة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال أبو بكر : يا رسول الله مُرني بشيء أقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت ؟ .

قال : قل : اللهم عالم الغيب والشهادة ، فاطر السماوات والأرض . رب كل شيء ومليكه ، أشهد أن لا إله إلا أنت . أعوذ بك من شر نفسي . وشر الشيطان وشركه .

قال قله إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعك[1] .

وفي رواية عن أبى مالك الأشعرى زيادة : نعوذ بك من شر أنفسنا ، ومن شر الشيطان الرجيم وشركه ، وأن نقترف سوءًا على أنفسنا أو نجره إلى مسلم[2] .

هذا الدعاء من جوامع الكلم يتحصن به العبد المسلم فى الصباح كل يوم ومسائه وعند نومه ، فيكون بفضل الله تعالى وقاية له من الشرور والآ ثام .

فاحرص أخى المسلم على هذه المنحة التى خص بها النبى ﷺ صاحبه ورفيقه أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ، وأخبرنا بها أبو هريرة رضي الله عنه لنشارك الصديق فى هذا الخير الذى طلبه وحرص عليه والتزمه فى صباحه ومسائه ، ويومه وليله .

وانظر إلى الصديق يعرف فضل الدعاء والاجتهاد فيه ولكنه لايدعو ربه بدعاء من عند نفسه ، بل يطلب من النبى ﷺ أن يجتهد له وأن يعلمه ، لأنه يعلم أن اختيار النبى ﷺ له أفضل من اختياره هو لنفسه .

وفي هذا الدعاء يعلمنا النبى ﷺ أن الثناء على الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العليا هو الوسيلة التى تقربنا إلى الله وتفتح لنا أبواب السماء وتكون سببًا فى استجابة الدعاء ، ومن غفل عن هذا في دعائه فهو متعجل ، لا يُرجي له الإجابة ، وقد سمع النبي ﷺ رجلاً يدعو في صلاته ولم يحمد الله ولم يُصل على النبي ﷺ فقال : عَجِلَ هذا . ثم دعاه فقال : إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه والثناء عليه ، ثم يصلي على النبي ﷺ ثم يدعو بما شاء[3] .

« اللهم عالم الغيب والشهادة » ثناء على الله بصفة العلم « اللهم » لفظة تستخدم في

● ● إذا كان الناس يظنون أنهم يشاركون في الملك في الدنيا فهذا ظن كاذب ووهم .. لأنهم وما يملكون ملك لله وهو الذي منعهم ما يملكون . .

الدعاء ، ومعناها « يا الله » وقد تكلم أهل العلم في معنى هذه الكلمة وأطالوا ، وذهب بعضهم إلى أن معناها : يا الله أسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العليا ، وهذا الذي ارتضاه ابن القيم رحمه الله . والله سبحانه عالم الغيب والشهادة ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا ، وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنتُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلونَ بَصِير ﴾ [الحديد : ٤] .

﴿ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ [المجادلة : ٧] .

﴿ إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوت إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِير ﴾ [لقمان : ٣٤] .

وكل ما يعلمه الناس والجن والملائكة فمن فضل الله عليهم وهو قليل في جنب الله ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ .

وكتب في اللوح كل شيء على مقتضى علمه ﴿ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيم ﴾ [البقرة : ٣٢] .

﴿ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ والْأَرْض ﴾ خلقهما من العدم فهو سبحانه الذي فطر الخلق أي ابتدأ خلقهم .

قال ابن عباس : لم أكن أعلم معنى فاطر السماوات والأرض حتى اختصم أعرابيان في بئر ، فقال أحدهما : أنا فطرتها يريد استحدثت حفرها .

فالله سبحانه خالق كل شيء من العدم ، فاطر السماوات والأرض ومن فيهن ، بديع السماوات والأرض ومن فيهن أبدعهما على غير مثال سابق ، وهو سبحانه الخالق البارىء المصور وهو الذي يبدأ الخلق ثم يُعيده ، وهو الخلاق العظيم خلق الأرض في يومين وجعل فيها رواسي من فوقهما وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فتم ذلك كله في أربعة أيام ، ولو شاء الله لجعله في طرفة عين لأنه سبحانه يقول للشيء كن فيكون ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيم * إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُون ﴾ [يس : ٨١ - ٨٢] .

« رَبّ كُلّ شَيْءٍ وَمَلِيكِه » .

فهو سبحانه رب العالمين ، رب السماوات ورب الأرض ورب كل شيء ، رب الفلق ورب الناس مربيهم بالنعم التي لا تُعدُ ولا تحصى .

والرب هو المالك المتصرف ، ويطلق في اللغة على السيد وعلى المتصرف للإصلاح ، وكل ذلك صحيح في حق الله تعالى ولا يستعمل الرب لغير الله عز وجل إلا بالإضافة ، تقول : رب الدار[٤] .

والرب يقتضي معاني كثيرة وهي :

الملك والحفظ والتدبير والتربية ، وهي تبليغ الشيء كما له بالتدريج .

والمليك هو الملك ، ملك الناس ، مالك الملك ذو الجلال والإكرام ، الملك الحق ، المليك المقتدر .

وذلك مما يقتضيه الخلق والإبداع وهو إيجاد الشيء من العدم ، فلا يكون أحد أحق بما أبدع منه ، ولا أولى بالتصرف فيه منه ، ولا أقدر على سياسته والقيام على شئونه من الحي القيوم مالك الملك ذي الجلال والإكرام[٥] .

إذا كان الناس يظنون أنهم يشاركون في الملك في الدنيا فهذا ظن كاذب ووهم ، لأنهم وما يملكون ملك لله تعالى وهو الذي منحهم ما يملكون واستخلفهم فيه ، ولهذا فإن تصرفهم فيه ينبغي أن يكون مقيداً بما أذن فيه مالك الملك في شرعه ودينه ﴿ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾ فإذا كان يوم القيامة زال الملك عن كل أحد من الخلق ولم يبق إلا الملك الجبار ﴿ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ ﴾ عند ذلك يقبض الله تعالى الأرض ويطوي السماء بيمينه ثم يقول : أنا الملك أين ملوك الأرض ؟[٦] أنا الله ، أنا الرحمن ، أنا الملك ، أنا القدوس ، أنا السلام ، أنا المؤمن ، أنا المهيمن ، أنا العزيز ، أنا الجبار ، أنا المتكبر أنا الذي بدأت الدنيا ولم تك شيئاً ، أنا الذي أعدتها ، أين الملوك ؟ أين الجبابرة ؟[٧] .

وبعد أن يثني الداعي على الله تعالى بكل هذه المعاني ويتوسل إلى الإجابة بأسماء الله تعالى وصفاته التي تبلغ من الحسن أعلاه . ينتقل الداعي إلى نوع آخر من أنواع التوسل المشروع وهو التوسل بإيمان الداعي ، كما حكى المولى عن المؤمنين ﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ، رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴾ .

والمعنى فبإيماننا نتوسل إليك أن تغفر لنا وفي هذا الدعاء يقول الداعي : « أشهد أن لا إله إلا أنت » .

أي أقر وأعلن بلساني عما يعتقده قلبي أنك أنت الله رب العالمين ، فاطر السماوات والأرض ، عالم الغيب والشهادة الملك المتعال ، لا إله إلا أنت وهذه شهادة التوحيد المتضمنة كلمة الإخلاص التي يعصم بها المرء دمه وماله في الدنيا ، ويعصم نفسه من الخلود في النار يوم القيامة .

« ومن مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة »[٨] .

وبعد أن يتوسل الداعي بأسماء الله الحسنى وصفاته العليا وبأنه مؤمن موحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، يبدأ في الإعلان عن سؤاله وطلبه فيقول « أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه » فيلجأ إلى الله تعالى عائذاً به متحصناً من الشرور وقد علم أنه سبحانه هو المعاذ والملجأ والحصن الحصين وعلم أن الاستعاذة عبادة لا يجوز صرفها إلا إلى رب العالمين الملك القادر على حمايته مما يخاف ويحذر ثم يستعيذ به سبحانه من شر نفسه ، ومن شر الشيطان وشركه ، وأن يقترف على نفسه سوءًا أو يجره إلى مسلم .

والداعي هنا يعلم أن الشر الذى يستعيذ بالله منه هو الألم الذي يصيبُ الإنسان ، والسبب المفضى إلى هذا الألم فالمعاصي والكفر والشرك وأنواع الظلم شرور لأنها أسباب للآلام ، ولهذا فإنه يستعيذ من شرور النفس الأمارة بالسوء ، ومن شر الشيطان الرجيم الذي لا هدف له إلا تزيين الكفر والشرك لإضلال بني آدم .

ولما كان الشر له سبب هو مصدره ، وله مورد ومنتهى يصل إليه ، والسبب إما من ذات العبد وإما من الخارج ومنتهى الشر إما إلى نفسه وإما إلى غيره من الناس كان هنا أربعة أمور : شر مصدره نفسه ، ويعود على نفسه تارة وعلى غيره تارة أخرى .

وشر مصدره غيره ، ويعود على نفسه أو على غيره ، جمع النبي ﷺ هذه الأنواع في هذا الدعاء الذي علمه للصديق رضي الله تعالى عنه[٩] .

« أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه وأن أقترف على نفسي سوءًا أو أجره إلى مسلم » .

(١) رواه الترمذي - ك الدعوات (٤٩) - حديث رقم ٣٣٩٢ وقال : هذا حديث حسن صحيح .
ورواه أبو داود بنحوه - ك الأدب (٣٥) - حديث رقم ٥٠٦٧ وسنده صحيح . وفيه تقدم « اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة » .

(٢) رواه أبو داود . وفي سنده مقال .

(٣) رواه أحمد والثلاثة وصححه الترمذي وابن حبان والحاكم .

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ١ ص ٢٢ .

(٥) الأسماء والصفات للبيهقي ص ٢٩ .

(٦) متفق عليه . (٨) رواه مسلم .

(٧) الأسماء والصفات للبيهقي ص ٣٠ . (٩) ابن القيم - تفسير المعوذتين .

وصايا

الحمد لله القائل : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا ٱللَّهَ ﴾ [النساء : ١٣١] **والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد القائل : « أوصيكم بتقوى الله عز وجل والسمع والطاعة » وتقوى الله طاعته بامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه ، وهي تثمر سعادة الدنيا والآخرة وبعد :**

فهذه وصايا إسلامية قيمة في مواضيع مختلفة في العبادات والمعاملات والأخلاق والآداب وغير ذلك من شئون الحياة ، نقدمها إلى الشباب المسلم الحريص على معرفة ما ينفعه للذكرى ، والذكرى تنفع المؤمنين . راجين أن ينفع الله بها من قرأها أو سمعها،وأن يعظم الأجر والمثوبة لمن ألفها أو كتبها أو نشرها أو عمل بها ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وهي كالآتي :

من معانى الأذكار

طلب العفو و العافية

د. جمال المراكبى

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : لم يكن رسول الله ﷺ يدع هؤلاء الدعوات حين يمسى وحين يصبح :

« اللهم إنى أسألك العافية فى الدنيا والآخرة . اللهم إنى أسألك العفو والعافية فى دينى ودنياى وأهلى ومالى .

اللهم استر عوراتى وآمن روعاتى .

اللهم احفظنى من بين يدى ومن خلفى ، وعن يمينى وعن شمالى ، ومن فوقى ، وأعوذ بعظمتك أن أُغتال من تحتى » .

[**حديث** صحيح رواه أبو داود ح رقم ٥٠٧٤ وابن ماجه ٣٨٧١ والنسائي ، وصححه الحاكم وابن حبان ، ورواه البخارى فى الأدب المفرد وصححه الألبانى ح رقم ٩١٢ / ١٢٠٠] .

هذه الدعوات من جوامع الكلم ، حافظ عليها رسول الله ﷺ ، ولم يمل من تكريرها فى كل صباح وفي كل مساء ، وقد حفظها أصحابه ، ونقلها لنا الثقات . وهى تجمع بين خيرى الدنيا والآخرة ، فالعفو هو التجاوز عن العبد بغفران ذنوبه وعدم مؤاخذته بما اقترف منها ، والعافية هى دفاع الله سبحانه عن عبده بأن يسلم من الأسقام والبلايا ومن كل مكروه ، والستر والأمن والحفظ من تمام العافية فى الدنيا والآخرة .

« **اللهم** إنى أسألك العافية فى الدنيا والآخرة » قلنا إن لفظة اللهم معناها يا الله .

وقال ابن القيم : يا الله أسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى .

فالسائل هو العبد المؤمن الداعى الذاكر ، والمسئول هو الرب النافع الضار الذى بيده ملكوت كل شيء والسؤال يتضمن إقرار السائل بعبادته لله وحده لا شريك له ، لذا كان الدعاء هو العبادة ، ويتضمن طلب العافية فى الدنيا والآخرة ، فى الدين والدنيا والأهل والمال ، ولهذا قال :

« اللهم إنى أسألك العفو والعافية فى دينى ودنياى

وإذا كان العفو هو العمدة فى الفوز بالجنة والنجاة من النار ، فإن العافية هى العمدة فى صلاح أمور الدنيا والسلامة من شرورها ، وفي صلاح الأهل والمال ، وقبل ذلك فى صلاح الدين ، ولهذا كان سؤال العفو والعافية هو سؤال الخير كله فى الدنيا والآخرة .

وفى الحديث « سلوا الله العفو والعافية فإن أحداً لم يُعط بعد اليقين سوى العافية »[١] .

وعند البزار « ماسأل الله العبادُ شيئاً أفضل من أن يغفر لهم ويعافيهم » .

وقد ارتضى النبى ﷺ هذه الكلمة لعمه ، قال العباس : يارسول الله : علمنى شيئاً أدعو الله به ؟ .

فقال النبى ﷺ : سل ربك العافية .

وكأن العباس لم يقنع بهذه الكلمة فعاد يكرر سؤاله ــ قال : ثم جئت فقلت : يارسول الله علمنى شيئا أسأله ربى عز وجل ؟

فقال : ياعم سل الله العافية فى الدنيا والآخرة[٢] قال ابن الجزرى :ــ

فلينظر العاقل مقدار هذه الكلمة التى اختارها رسول الله ﷺ لعمه من دون الكلم ، وليؤمن بأنه ﷺ أعطى جوامع الكلم واختصرت له الحكم ، فإن من أعطى العافية فاز بما يرجوه ويحبه قلباً وقالباً ودينا ودنيا ، ووقى ما يخافه فى الدارين علماً يقيناً . فلقد تواتر عنه ﷺ دعاؤه بالعافية ، وورد عنه لفظاً ومعنى من نحو خمسين طريقاً ، هذا وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وهو المعصوم على الإطلاق حقيقة ، فكيف بنا ونحن عرضٌ لسهام القدر ، وغرض بين النفس والشيطان والهوى .

وقد بين النبي ﷺ أن الدعاء بالعافية سبيل الفلاح والنجاح ، والفوز بالجنة والنجاة من النار ، ولذلك فهو أحب الدعاء إلى الله عز وجل .

عن أنس أن رجلاً جاء إلى النبى ﷺ فقال : يارسول الله : أى الدعاء أفضل ؟

قال : سل ربك العافية والمعافاة فى الدنيا والآخرة .

ثم أتاه فى اليوم الثانى فقال له مثل ذلك .

ثم أتاه فى اليوم الثالث فقال له مثل ذلك .

ــ وقد بين النبى ﷺ علة ذلك للرجل فقال ــ فإذا أعطيت العافية فى الدنيا وأعطيتها فى الآخرة فقد أفلحت[٣] .

وعن معاذ قال : قال رسول الله ﷺ : ما من دعوة أحب إلى الله أن يدعو بها أحد من أن يقول : « اللهم إنى أسألك المعافاة فى الدنيا والآخرة »[٤] .

فأفاد هذا أن الدعاء بالعافية أفضل من غيره من الأدعية مع ما قدمنا من اشتماله على كل نفع ، ودفع كل ضر فجمع هذا الدعاء بين ثلاث مزايا :ــ

أولها : شموله لأمرى الدنيا والآخرة .

ثانيها : أنه أفضل الدعاء على الاطلاق .

ثالثها : أنه أحب إلى الله تعالى من كل ما يدعو به العبد[٥] .

وبالعافية تندفع عنك الأسقام ويقيك الله شرها ويرفعها عنك إن وقعت بك ، وقد مَرَّ النبى ﷺ بقوم مبتلين فقال ، أما كان هؤلاء يسألون الله العافية[٦] . وهذا استفهام بمعنى الاستنكار لفعل هؤلاء ، فكأنه قال لهم كيف تتركون أنفسكم فى هذه المحنة والابتلاء ، وأنتم تجدون الدواء الحاسم لها وهو الدعاء بالعافية ، واستدفاع المحن النازلة بكم بهذه الدعوة الكافية[٧] .

وبالعافية يقيك الله شر ما لم ينزل من البلاء ، وتستشعر نعمة الله عليك ، وقد علمنا النبى ﷺ أن نقول عند رؤية المبتلى سواء فى دينه أو فى بدنه وأهله وماله « الحمد لله الذى عافانى مما ابتلاك به وفضلنى على كثير ممن خلق تفضيلاً » وبين لنا أنها بمثابة المصل الواقى من طروء مثل هذا البلاء ، فمن قالها عند أهل البلاء لم يصبه ذلك البلاء[٢] .

والعافية والمعافاة تكون من أمراض البدن وأمراض القلوب سواء بسواء ، وإذا كانت أمراض البدن معروفة ، فإن أمراض القلب ترجع إلى شيئين :

الأول : أمراض الشهوات ومنشؤها الهوى .

الثاني : أمراض الشبهات ومنشؤها الجهل .

والعافية منهما تكون بالإيمان واليقين والتوكل ، وبطلب العلم النافع والعمل بمقتضاه[٩] .

وقد كان رسول الله ﷺ يقول حين يصبح وحين يمسى ثلاث مرات « اللهم عافني في بدني ، اللهم عافني في سمعي ، اللهم عافني في بصري . لا إله إلا أنت »[١٠] .

« اللهم استر عوراتي » .

تضرع له سبحانه ليستر عورتك ، والعورة هي كل ما يخشى العبد أن يطلع عليه الناس ، ويستحي أن يعلموه من حاله .

والعورة نوعان : حسية ومعنوية .

فالحسية هي عورة الجسد وعورة الأهل .

والمعنوية هي الذنوب والآثام .

وكلاهما يحتاج العبد إلى ستر الله فيه في الدنيا والآخرة فلا يفضحه في الدنيا باطلاع الناس على عوراته وهتك ستره ، وكذلك في الآخرة يعفو عن زلاته ، ويلبسه من حلل الجنة حين يكسو المؤمنين في الموقف ويؤمن روعهم «إنكم تحشرون إلى الله حفاة عراة غرلاً بهما ، وإن أولى الخلائق يكسى إبراهيم »[١١] .

لقد يسر الله تبارك وتعالى لعباده أسباب الستر في الدنيا والآخرة ، فرزقنا من نعمه ما نستر به عوراتنا من الثياب وما نتجمل به أيضًا ، وبين لنا أن الإيمان والتقوى خير ما نستتر به ونتجمل ، والشيطان الرجيم يسعى إلى هتك عوراتنا ، فيدفعنا إلى معصية الله تعالى كما فعل مع آدم من قبل ﴿ يَابَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ * يَابَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ . (الأعراف : ٢٦ ، ٢٧) .

والعجب أن الله تعالى قد أراد لنا الستر ، وأراد الشيطان لنا الفضيحة وكشف العورات ، ومع هذا فأكثر الناس إلا من رحم الله ، يأبى ستر الله عليه ويتجمل بكشف العورات دون حياء ، وترى أكثر ذلك في النساء ، ولا حول ولا قوة إلا الله .

والذنوب والآثام هتك للباس الإيمان والتقوى ، والعبد يحتاج إلى ستر الله وعفوه في الدنيا والآخرة وأولى الناس بستر الله أهل الإيمان والتقوى الذين يستشعرون الحياء من الله ، ويستشعرون الندم على ما فرطوا في جنب الله .

« يدنى الله العبد يوم القيامة فيضع عليه كنفه ويستره من الناس ، فيقول : أتعرف ذنب كذا ؟ أتعرف ذنب كذا ؟ فيقول : نعم أي رب ، حتى إذا قرره بذنوبه ، ورأى في نفسه أنه قد هلك . قال : سترتها عليك في الدنيا ، وأنا أغفرها لك اليوم . فيُعطى كتاب حسناته ، وأما الكافر والمنافق فيقول الأشهاد : هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ، ألا لعنة الله على الظالمين »[١٢] .

ومن الناس من يفعل الذنب فيستره ربه ، ولكنه يأبى إلا الفضيحة ، فيعلن عن ذنبه ويتباهى به ، وهؤلاء يفضحهم الله على رءوس الأشهاد ، وفي الحديث :

« كل أمتى معافى إلا المجاهرين »[١٣] .

ولأن الله تعالى عفو كريم يحب العفو ويحب الستر فقد حث عباده المؤمنين على الستر ورغبهم فيه لأن ﴿ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ وهم المنافقون المرجفون الذين يروجون لكل خبيث وقبيح .

ولهذا فإن ستر المسلم العاصي على نفسه أولى من اعترافه بذنبه ، وستر المسلم على أخيه المسلم أولى من فضحه وهتك ستره ، فما بالكم بمن يقدح في أعراض الناس ، ويتجسس عليهم ، ويهتك حرماتهم بغير برهان ، وفي الصحيح :

« من ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة »[١٤] .

« وآمن روعاتي » .

الروع هو الفزع ، والروعة هي الفزعة وهى المرة الواحدة من الروع ، وفي المثل : أفرخ روعك أي أخرج

فزعك ورعبك ، وقد قال النبي ﷺ للمسلمين حين فزعوا بالمدينة : « لن تُراعوا ، لن تراعُوا »[١٥] .

والشعور بالأمن نعمة عظيمة لا يعرف قدرها إلا من افتقدها فتصور نفسك وقد هجم عليك عدوك فسلب حريتك أو أخذ ولدك ، وروّع أهلك ، فانتقلت من حضن أهلك ودفء بيتك إلى برد سجنك ، ولا تدرى ماذا يفعل بك .

إن نعمة الأمن والستر من تمام العافية ، ولا يملك ذلك إلا مالك الملك الذي يستر العورات ويؤمن الروعات ويحفظ عبده من كل مكروه وسوء ، وكفى بذلك نعمة « من بات آمنا في سربه ، معافى في بدنه ، عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا »[١٦] .

ولا يكتمل أمن المسلمين إلا بتطبيق شرائع هذا الدين ، فإن فيها العصمة لبدن المسلم وعرضه وماله ودينه وعقله ، وما شرع الله الحدود والتعزيرات إلا لتدعيم هذا الأمن .

لقد كان المسلمون في بداية الأمر يخافون على دينهم ، ولا ينام الواحد منهم إلا ويده على سلاحه ، فبشرهم النبي ﷺ بتمام الأمن مع تمام الدين ، فأضحى الراكب يسير من بصرى إلى صنعاء لا يخشى إلا الله .

والأمن التام يكون يوم القيامة للمؤمنين في الجنة دار السلام فيحل الله رضوانه على أهل الجنة فلا يسخط عليهم أبداًويجد المؤمن البشارة عند موته ﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (فصلت الآية : ٣٠) .

ولكي يتحقق هذا الأمن التام ، فلابد من حفظ الله ومن ستر الله تعالى ، ولهذا اختم هذا الدعاء بطلب الحفظ « اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي ، وأعوذ بعظمتك أن أُغتال من تحتي » .

وكل هذه مقدمات لتحقيق الأمن التام في الدنيا والآخرة لأن الله لا يحفظ إلا من حفظ حدوده .

« احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك » ،

والله تبارك وتعالى يسخر الملائكة لحفظ عباده في الدنيا ، فلا يصل إلى عبده إلا ما كتبه الله .

﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِن بَيْنِ يَدَيهِ وَمِن خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِن أَمْرِ الله ﴾ .

أي يحفظونه بأمر الله .

أما الحفظ في الآخرة ، فهو حفظ النفس والبدن من الوقوع في نار جهنم ، والعياذ بالله .

ومن حفظ حدود الله ، حفظه الله تعالى ﴿ فَاللهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ .

والحمد لله أولاً وآخراً .

---

(١) رواه الترمذي وحسنه ، وأحمد والنسائي وابن ماجه ، وصححه الحاكم وابن حبان ، وصححه ابن حجر في الأربعين .
(٢) رواه الطبراني بأسانيد رجال بعضها رجال الصحيح غير زيد بن أبي زياد وهو حسن الحديث – ورواه الترمذي بنحوه وقال : هذا حديث صحيح .
(٣) أخرجه الترمذي وحسنه .
(٤) أخرجه الطبراني في الكبير ، ورجاله رجال الصحيح ، وهو في صحيح سنن ابن ماجه برقم (٣١٠٦) – وفي السلسلة الصحيحة برقم (١١٣٨) .
(٥) تحفة الذاكرين – للشوكاني ص ٣٥٥ . (٦) رواه البزاز ، ورجاله ثقات .
(٧) الشوكاني – تحفة الذاكرين ص ٣٥٣ .
(٨) رواه الترمذي ، وابن ماجه وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه .
(٩) فتاوى الشيخ محمد الصالح العثيمين – ترتيب أشرف عبد المقصود جـ ص ٣٨٦ .
(١٠) رواه أبو داود . (١١) متفق عليه . (١٢) متفق عليه .
(١٣) البخاري – ك الأدب ح رقم (٦٠٦٩) . (١٤) مسلم .

المسلمون والنظام العالمي الجديد - رؤيـــة أصوليـــة شرعيـة

بقلم د/ جمال المراكبي

كان انهيار الاتحاد السوفيتي وتفتته إلى دويلات كثيرة بمثابة قنبلة زمنية موقوتة هزت أرجاء العالم، وتحول النظام العالمي من التوازن في القوى بين القطبين الكبيرين وحلفيهما إلى نظام جديد انهار فيه القطب الروسي، وتضخم فيه دور القطب الأمريكي؛ خاصة بعد الحرب التليفزيونية الشهيرة التي شنتها أمريكا وحلفاؤها ضد ديكتاتور العراق "صدام".

• العالم الإسلامي ودوره في هذا النظام الجديد:

لقد أكدت الأحداث أن العالم الإسلامي ليس له أي دور في الملعب السياسي الذي برز فيه النجم الأمريكي السوبر ومعه مجموعة من الكبار يسيرون خلفه في منظومة متوافقة إلى حد بعيد، ولهذا فهم يحرزون الأهداف تباعًا دونما مزاحمة من أحد، بينما المسلمون ينقسمون على أنفسهم بصورة تدعو للأسى وربما للاشمئزاز، إنهم لا يعرفون هويتهم، بل هم يختلفون حولها اختلافًا كبيرًا.

ولهذا تتجلى الصراعات في البلاد الإسلامية بصورة مختلفة، فهي صورة عنيفة في أفغانستان، حيث يتقاتل المجاهدون لإحباط ما قد يكونوا قد حازوه من أجر في جهادهم ضد الشيوعيين، وهي صورة حالكة السواد في الصومال ورواندا، حيث يتقاتل الأشقاء في عصبية جاهلية مقيتة، ويدوسون بأقدامهم على أجساد الجوعى من الشيوخ والنساء والأطفال من الآباء والأبناء.

أما الدول الإسلامية التي سَلِمت من هذا القتال، فالتزاشق الفكري فيها على أشده بين من يرفع شعار العودة لتطبيق الأحكام الشرعية، وبين من يرون في هذه العودة ردة حضارية، وخيانة للعلم والحضارة والمدنية ونحن على أعتاب القرن الحادي والعشرين.

وبين هؤلاء وهؤلاء شراذم تُحسب على المسلمين تظن أن تغيير هذا الواقع يكون بزرع قنبلة في أتوبيس سياحي، أو أمام موكب لأحد الوزراء! وسواء كان هؤلاء مأجورين أم مضللين فإنهم يبرزون باعتبارهم ممثلو الأصولية الإسلامية، وتتركز عليهم الصورة حتى لا يظهر فيها غيرهم، ويحلو لأعداء الإسلام أن يحللوا القضايا الحيوية من خلال تركيزهم على هذا الإطار الممسوخ للدعوة الإسلامية.

لا بد لنا من تحديد الهوية والاتفاق حولها لكي يكون لنا دور في أي نظام عالمي جديد، أما حالة المسخ والضعف التي نعيشها فيما بيننا سواء على مستوى الأفراد والأفكار، أم على مستوى

الجماعات والدول ، فلن تجعل لنا إلا دورًا واحدًا هو دور المأكول بين جماعة الآكلين ، فإذا أراد المأكول أن يغير موقعه على المائدة فإنه يأكل نفسه بنفسه حين يتأجج الصراع بين الرفقاء الضعفاء فيأكل بعضهم بعضًا .

وصدقت فينا نبوءة رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يُوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها » . قالوا : ومن قلةٍ يومئذ ؟ قال : « لا ؛ بل أنتم كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، ولتعرفن في قلوبكم الوهن » . قالوا : يا رسول الله ، وما الوهن ؟ قال : « حب الدنيا وكراهية الموت » . [رواه أحمد وأبو داود] .

• كيف نجحت الدعوة الإسلامية الأولى في تغيير النظام العالمي ؟

لقد بدأت الدعوة الإسلامية في مكة جنينًا يتحرك في رحم الدنيا ، في عالم لا يعرف الله ، يعبد الطواغيت ، تسيطر عليه القوة الغاشمة ، ولقد كان الصراع على أشده بين القطبين الكبيرين اللذين يسيطران على العالم في هذا الوقت ، وهما دولة الفرس في الشرق ، ودولة الروم في الغرب ، وتقع المعركة الشرسة بين الفرس والروم وتنتهي بهزيمة ساحقة للروم – وهم أهل كتاب – من الفرس عبدة النار ، ومع أن المعركة كانت بعيدة عن الوليد الجديد إلا أن رب العالمين يعلمه ويربيه على المشاركة الجادة والفعالة في تغيير دفة هذا الصراع دون متابعة لأحد ، فينزل القرآن الكريم بسورة يعرف منها الوليد حقيقة الصراع ودوره في هذا الصراع وهي سورة « الروم » .

﴿ الم ۞ غُلبت الروم ۞ في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون ۞ في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون ۞ بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ۞ وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ [الروم : ١-٦] .

وبالفعل تحقق وعد الله فانتصر الروم على فارس بعد ذلك ، وزامن هذا الانتصار للنصارى أهل الكتاب على الفرس عبدة النيران يوم الفرقان ، يوم انتصرت القِلة المؤمنة على الكثرة الكافرة الغاشمة في يوم بدر ، ولهذا قال تعالى : ﴿ ويومئذ يفرح المؤمنون ۞ بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ﴾ [الروم : ٤،٥] .

لقد جاءت الدعوة الإسلامية الوليدة لتغير بإذن ربها من شكل النظام العالمي الكافر والجائر : « إن الله نظر إلى أهل الأرض عربهم وعجمهم فمقتهم إلا بقايا من أهل الكتاب » . كانوا على التوحيد الخالص لله ، ولكنهم كانوا قلة قليلة مختفية كالقس الذين تعلم منهم سلمان الفارسي قبل أن يُسلم ؛ لهذا بعث الله محمدًا صلى الله عليه وسلم بالإيمان والإسلام ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، وأمره أن يدعو الناس ، وأن يقاتل بمن أطاعه من عصاه ، ووعده بالنصر والتمكين في الدنيا والآخرة .

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يثق بهذا الوعد ، ويسعى إليه ، ويطمئن به أصحابه ، ويثبت به المستضعفين منهم ، فكان يمر على آل ياسر ويقول : « صبرًا آل ياسر فإن موعدكم الجنة » .

وجاءه خباب بن الأرت يشكو ويقول : ألا تستنصر لنا ، فقال صلى الله عليه وسلم : « والله

لِيُتِمَّنَّ اللّه هذا الأمر حتى يسير الراكب من بصرى إلى صنعاء لا يخشى إلا اللّه ، ولكنكم تستعجلون » .

ولما حاصر الأحزاب مدينة رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم من كل جانب ، وضاق الأمر على أصحابه لم ينس النبي صلى اللّه عليه وسلم أن يبشرهم بفتح بلاد كسرى وقيصر ، ووعد سراقة بن مالك قبل ذلك أنه سيكون في الجيش الذي يفتح فارس ، وأنه سيلبس سِوَاري كسرى .

إنها لم تكن مجرد أحلام أو أوهام ، إنها وعود صادقة من صادق مصدوق ، يبلغ عن رب العالمين وقيوم السماوات والأرضين ، مالك الملك ذي الجلال والإكرام ، وهو سبحانه يؤكد هذا الوعد في كتابه الكريم : ﴿ وعد اللّه الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنًا يعبدونني لا يشركون بي شيئًا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴾ [النور : ٥٥] .

إن هذا الوعد الصادق لا يتحقق إلا بأيدي المؤمنين الصادقين ، ولهذا كان الابتلاء ووجب الصبر واليقين ليميز اللّه بين أهل الصدق وبين الكاذبين والمنافقين ، قال تعالى : ﴿ أحسب الناس أن يُتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ۞ ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن اللّه الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴾ [العنكبوت : ٢،٣] .

إذن فمفردات التمكين هي الإيمان والعمل الصالح ، والدعوة إلى اللّه والصبر على ذلك حتى يأتي نصر اللّه مهما كان الأذى ، فإن اللّه ، تبارك وتعالى ، أقام الدنيا على سُنة الابتلاء والمدافعة بين قوى الخير والشر ، وجعل مفردات التمكين هي سبيل النجاح والفلاح ، وأقسم على ذلك فقال : ﴿ والعصر ۞ إن الإنسان لفي خُسرٍ ۞ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ [العصر : ١-٣] .

● الرسول صلى اللّه عليه وسلم يبدأ عملية التمكين :

بعد كفاح مرير ، وصبر طويل ، ارتفعت راية الإسلام عالية خفاقة ، فبعد أن صالح النبي صلى اللّه عليه وسلم مشركي مكة صلح الحديبية ، الذي جعله اللّه فتحًا مبينًا ، وفتح النبي صلى اللّه عليه وسلم خيبر ، وجرت فيها سهام اللّه ، أراد النبي صلى اللّه عليه وسلم أن يخرج بدعوة الإسلام إلى العالم بأسره ، فبعث الرسل إلى فارس والروم ومصر والحبشة وغيرها يدعو أهلها إلى الإسلام والسلام ، ويقول لقادتها : « أسلم تسلم يؤتك اللّه أجرك مرتين » .

ولأن التمكين لا يأتي بمجرد دعوة في رسالة ، فقد رفض الجميع هذا العرض الطيب ، فكان لا بد لجماعة المسلمين من رفع راية الجهاد في سبيل اللّه ، فأرسل النبي صلى اللّه عليه وسلم سرية لقتال الروم في « مؤتة » ، وخرج بنفسه صلى اللّه عليه وسلم لقتالهم في « تبوك » ، وجهز جيشًا ثالثًا لقتالهم بقيادة أسامة بن زيد ، وتوفي رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، فقام أبو بكر في الناس يحثهم على القيام على أمر هذه الدعوة : (ألا إن محمدًا قد مات ، ولا بد لهذا الدين من قائم يقوم به ، من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات ، ومن كان يعبد اللّه فإن اللّه حي لا يموت) .

فقام الصحابة على هذا الدين يجاهدون في سبيل اللّه ، ويرفعون راية لا إله إلا اللّه ، ويُخرجون العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد الواحد القهار ،

وتهاوت مدائن كسرى وحصون قيصر أمام صيحة الله أكبر ، ودخل الناس في دين الله أفواجًا ، وتغير شكل النظام العالمي القائم ، فصار نظامًا جديدًا يقوم على التوحيد والعدل والمساواة بين بني البشر دون ظلم أو إكراه على الدخول في الدين الجديد : ﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم ﴾ [البقرة : ٢٥٦] .

وبعد انقضاء القرون الثلاثة الفاضلة التي فتح الله لها وأعز الإسلام وأهله على يديها ، بدأ الانحدار ، فصارت الخلافة ملكًا عضوضًا ، وكثرت الانحرافات وتمكنت الفرقة من المسلمين ، وامتحن أهل السنة والحق . وصارت القوة ضعفًا ووهنًا ، وأغار أعداء الإسلام على بلاد الإسلام من الشرق ومن الغرب ، فتتابعت الحملات الصليبية ، وتلتها الهجمة التترية ، وتهاوت الحضارة الإسلامية في الأندلس ، واقتسمت الدول الأوربية تركة الرجل العثماني المريض ، وسقطت دويلات المسلمين في أيدي المستعمرين ، وبدأت حملات التغريب ، ومسخت الهوية الإسلامية في بلاد المسلمين ، ثم كانت النعرات القومية ، وتلاها الاستقلال والتقسيم ، والخلاف حول الحدود المصطنعة يتفجر من حين لآخر ، وعاد الإسلام غريبًا في أرضه كما كان قد بدأ غريبًا .

وصارت الدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية ، والدعوة إلى وحدة المسلمين أو حتى تعاونهم وتكاملهم أمرًا غريبًا في بلاد المسلمين ، بينما تسعى أوربا رغم تعدد القوميات إلى الوحدة الشاملة بعد أن قطعت شوطًا كبيرًا في التكامل الاقتصادي من خلال سوقها المشتركة . هذا مع أن الحق ، سبحانه وتعالى ، يدعونا إلى الوحدة من خلال الاعتصام بهذا الدين : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانًا ﴾ [آل عمران : ١٠٣] .

لا يمكن للمسلمين أن يواجهوا التحدي الجديد ، ويحجزوا لهم مقعدًا بين الكبار إلا بتوحيد الجهود المبعثرة وتحقيق التكامل الاقتصادي والتكافل الاجتماعي ، ثم الوحدة السياسية أو التنسيق السياسي على أقل تقدير .

أين السوق الإسلامية المشتركة ؟ أين التقارب والتعاون بين المسلمين ؟ إن هناك من يسعى بالوقيعة ، وينفخ في الرماد لكي يؤجج الصراع بين الدول الإسلامية ، إن الدعوة الإسلامية التي غيرت النظام العالمي قديمًا قادرة على تغيير شكل النظام العالمي الجديد إذا تضافرت القوى وتوحدت الجهود ، واتضحت الرؤية للقائمين على أمور المسلمين .

إن الدور الإسلامي في النظام الجديد لا يمكن أن يكون دور مصر وحدها ، ولا يكفي فيه التنسيق بين مصر وسوريا والسعودية ، ولكنه دور لا بد أن يُدعى إليه الجميع ، ويشارك فيه الجميع ، وليكن هذا التنسيق هو البداية ، وليكن مؤتمر القمة العربي المنصرم هو حلقة من حلقات التكامل والتوحد .

إنني أتوجه إلى الحكومة المصرية بشكل خاص ، وإلى الحكومات العربية والإسلامية بشكل عام بضرورة إحياء الفكر الشرعي - الذي يعتمد على الشرعية - في القوانين المقترحة ؛ لأنه الأساس المتين للوحدة بين المسلمين .

وأرجو من الحكومة المصرية أن تسارع بالتنسيق مع مجلس التعاون الخليجي ، ومجموعة المغرب العربي إلى دعوة القادة العرب والمسلمين إلى مؤتمر قمة

إسلامي يحضره الملوك والرؤساء ورجال الفكر والعلماء ، تطرح فيه قضايا الهوية الإسلامية ، والتعاون ، والتكامل ، والوحدة ، ولا يُكتفى في ذلك بمنظمة المؤتمر الإسلامي ، فإنها لا تغني ولا تسمن من جوع .

لا يمكن أن يكون دورنا في النظام العالمي الجديد هو دور الحليف الضعيف ، أو التابع للآخرين ، بينما نحن نملك القدرة على تعديل هذا الدور وتغييره ، ولن نغير هذا الدور إلا بالالتفاف حول بعضنا البعض في منظومة متناسقة ، ولن يكون هذا إلا بتحديد هويتنا ومعرفة دورنا ، والاعتصام بكتاب ربنا عز وجل .

■ ماذا نصنع مع المسيح الدجال ؟

إن النظام العالمي لا يستقر على حال ، إنه دائم التطور والتغيير ، ولا بد أن نتعامل مع أي نظام قائم من منطلق تمليه علينا عقيدتنا وشريعتنا المرنة وهويتنا الإسلامية .

إن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ينبئنا عن نظام عالمي قادم سيظل العالم بأسره ، هو نظام المسيح الدجال الذي ينتظره أكثر سكان العالم اليوم بشغف بالغ ، وتدل توجهاتهم على أنهم سيكونون من أتباعه وأنصاره ، والمسيح الدجال رجل من بني آدم ، جعله اللّه تعالى محنة للناس في آخر الزمان : ﴿ يُضل به كثيرًا ويهدي به كثيرًا وما يُضل به إلا الفاسقين ﴾ [البقرة : ٢٦] .

وقد صرحت الأحاديث الصحاح بخروجه في آخر الزمان من جهة المشرق ، فيظهر أولاً في صورة ملك من الملوك الجبابرة ، ثم يدعي النبوة ، ثم يدعي الربوبية ، فيتبعه على ذلك كثير من الناس ، ويلتف حوله اليهود ، فيأخذ البلاد بلدًا بلدًا ، ولا يبقى بلد من البلاد إلا وطئه وفتن أهله ، غير مكة والمدينة ، فإنه يعجز عن دخولهما ، ويستخدم في غواية الناس خوارق عديدة ، ففي « الصحيحين » عن أنس بن مالك قال : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : « ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة ، وليس نقب من أنقابها إلا عليه الملائكة صافين تحرسها ، فينزل بالسبخة - خارج المدينة - فترجف المدينة ثلاث رجفات يخرج إليه منها كل كافر ومنافق » .

وفي « الصحيح » : « إنه يجيء معه بمثل الجنة والنار » . « ما من نبي إلا وقد أنذر أمته الأعور الكذاب ، ألا إنه أعور ، وإن ربكم ليس بأعور ، ومكتوب بين عينيه كافر » .

■ أين يكون موقعنا من هذا النظام العالمي الجديد ، نظام المسيح الدجال ؟

هل تسارع الدول المسلمة إلى تأييده ومبايعته ومباركة نظامه العالمي الجديد ، والانخراط في سلكه ، وتنسى أنها دول مسلمة تشهد أن لا إله إلا اللّه وأن محمدًا عبده ورسوله ، أم نتمسك بديننا ، ونعارض كل الدجاجلة والكذابين ، ونقول لهم بملء أفواهنا : ما ازددنا فيكم إلا يقينًا ، ولن يزيدنا البلاء إلا صبرًا وتمسكًا بديننا وشريعتنا واعتصامًا بوحدتنا .

إن واقع المسلمين الآن ينبئ عن مواقعهم غدًا في النظام العالمي الجديد ، فمن أراد النجاة غدًا من شر الدجال فليعتصم اليوم بشريعة الإسلام .

ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد .

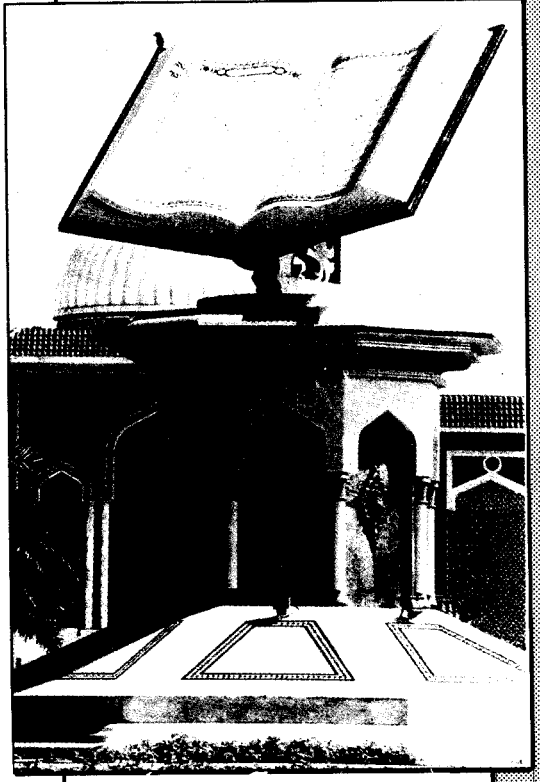

كيف يستقبل المؤمنون الموت!!

بقلم د. جمال المراكبي

نائب رئيس فرع بلبيس
وعضو لجنة الفتوى

الحمد لله رب العالمين ، جعل الدنيا دار بلاء واختبار ، وخلق الموت والحياة ليبلونا أينا أحسن عملاً ، أينا يُحسن في عبادة ربه على المنهاج الذي شرعه الله عز وجل وبينه نبينا محمد ﷺ بالقول والعمل فَعَبَدَ اللَّه عز وجل على الوجه الذي يحبه الله ويرضاه حتى أتاه اليقين ، فقال وهو يعالج سكرات الموات : اللهم اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق الأعلى ، ﴿ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء : ٦٩] . أخرجه البخاري (ح : ٤٤٤٠- ٤٤٣٥) .

وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له ، كتب الموت على كل نفس ، وجعل الفوز في النجاة من النار ودخول الجنة مع الأبرار : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [آل عمران : ١٨٥] .

وأشهد أن محمدًا عبد اللَّه ورسوله ، ذكَّرَ أمته هجوم المنايا فقال : « مُثِّل ابن آدم وإلى جنبه تسع وتسعون منيّة إن أخطأته المنايا وقع في الهرم حتى يموت » . [الترمذي في كتاب القدر (ح ٢١٥٠، وكتاب صفة القيامة ح٢٤٥٦) ، عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه ، وحسنه الترمذي] .

اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تابعهم بإحسان إلى يوم الدين وعلى رسل اللَّه أجمعين .

أما بعد . . فإن الموت هو الحقيقة المؤكدة في هذه الحياة الدنيا ، والمؤمن يتعامل مع الموت كما يتعامل كل عاقل فطن مع الحقائق لا مع الأوهام ، فيكثر من ذكر الموت يذكره صباح مساء ، فإذا وضع جنبه لينام قال : « باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه ، إن أمسكت نفسي فارحمها ، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين » . [متفق عليه] .

وإذا استيقظ من نومه حمد اللّه على نعمة الحياة على الإيمان ، فقال : « الحمد للّه الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور » . [متفق عليه] .

وإذا دخل في الصلاة ذكر الموت ، وعلم أنها قد تكون آخر صلواته فأحسن طهورها وخشوعها ، وكذلك في سائر عمله ذاكرًا قول الحبيب محمد ﷺ : « اذكر الموت في صلاتك ، فإن الرجل إذا ذكر الموت في صلاته لحري أن يُحسن صلاته ، وصل صلاة رجل لا يظن أنه يصلي صلاة غيرها ، وإياك وكل أمرٍ يُعتذر منه » . [الجامع الصغير وحسنه الألباني ، وأصله في مسند الفردوس للديلمي بسند حسن عن أنس] .

وقوله ﷺ : « إذا قمت في صلاتك فصل صلاة مودع » . [ابن ماجه (ح ٤١٧١) ، وسنده صحيح] .

استعد للموت فحاسب نفسه قبل أن يحاسبه ربه ، استعد للموت فتاب من ذنوبه وأقبل على ربه ، يحرص على صالح العمل . ولا يغتر بصنوف النعم يرد المظالم إلى أهلها قبل أن لا يكون دينار ولا درهم يزهد في الدنيا ويؤمل في نعيم الآخرة . يُحسن الظن بربه وخالقه ومولاه . يحب لقاء اللّه ، فيحب اللّه لقاءه .

يتشوف للقاء الأحبة ، محمد وحزبه ، ولكنه مع هذا كله يجمع بين الخوف والرجاء ، يرجو رحمة ربه ، ويخاف ذنوبه ، ويخشى سوء الخاتمة ، فيلزم نفسه دائمًا سبيل الحق والرشاد . حتى إذا حانت لحظة الموت ، عاين ملائكة اللّه تحمل له البشرى : ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النحل : ٣٢] .

﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۞ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ۞ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ۞ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ [الفجر : ٢٧- ٣٠] .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [فصلت : ٣٠] .

فيرتاح المؤمن من كرب الدنيا ، وينعم بسعة العيش في الآخرة ، ولهذا لما وجد رسول اللّه ﷺ من كرب الموت ما وجد ، قالت فاطمة : واكرب أبتاه . فقال

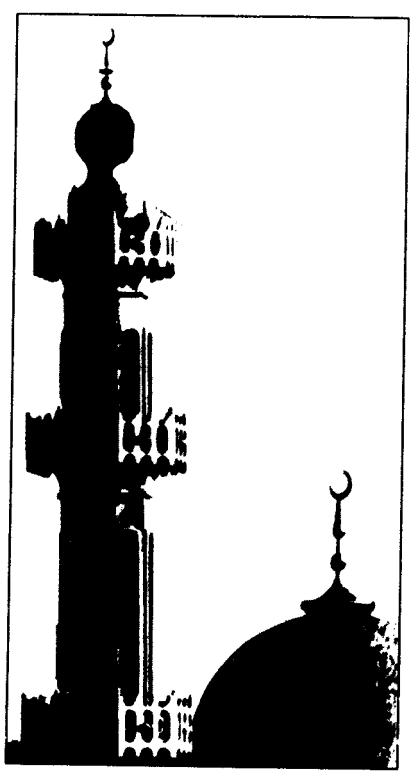

رسول اللّـه ﷺ : « لا كرب على أبيك بعد اليوم ، إنه قد حضر بأبيك ما ليس بتارك منه أحدًا . الموافاة يوم القيامة » . [ابن ماجه] .

لما حضر بلالاً الموتُ ، قالت امرأته : واكرباه ، فقال : وافرحاه ، غدًا ألقى الأحبة ، محمدًا وحزبه .

وفي ليلة الجمعة الثامن عشر من جمادى الأولى فَارَقَنَا أخ عزيز علينا ، عرفناه ، وأحببناه للّـه وفي اللّـه عرفناه طالبًا للعلم لا يشبع منه فأحببناه .

عرفناه داعيًا إلى اللّـه تعالى لا يمل ولا يهدأ فأحببناه.

عرفناه داعيًا إلى السنة والجماعة ، قامعًا للبدعة والضلالة ، فأجببناه .

مات صفوت الشوادفي بعد أن طهره ربه ، فتطهر وصلى المغرب في جماعة ، وقبلها كان يصل رحمه ويَبَرُّ أمَّهُ ، فمات رحمه اللّـه على طاعة كما كان عهدنا به دائمًا ، تقبل اللّـه منا ومنه ، وتجاوز عنا وعنه ، وألحقنا به غير خزايا ولا ندامى ولا مفتونين .

والحبيب محمد ﷺ يقول : « إذا أراد اللّـه بعبدٍ خيرًا طهره قبل موته » . قالوا : وما طهور العبد ؟ قال : « عمل صالح يلهمه اللّـه إياه حتى يقبضه » . [الجامع الصغير ، وصححه الألباني ، وأصله عند الطبراني عن أبي أمامة ، صحيح الجامع (٣٠٦)] .

رحم اللّـه صفوت الشوادفي ، وتجاوز عن سيئاته ، وفسح له في قبره ، وأسكنه فسيح جناته ، فقد كان رحمه اللّـه محبًا للعلم ، مشجعًا عليه .

أذكر أنني اكتتبت مع بعض الشباب بمسجد الشباب ببلبيس لنشتري كتب السنة وبعض كتب الجرح والتعديل ، فعلم الشيخ بذلك ، فقال لي : لا تعجل ، سوف تذخر مكتبتنا بهذه الكتب عن قريب ، وبالفعل امتلأت مكتبة المسجد وغيره من المساجد بهذه الكتب وغيرها كثير نافع .

وأذكر أنه أول من فكر في إنشاء معاهد إعداد الدعاة والداعيات ، وبدأنا المشروع في صورة بسيطة ، اثنان من الشباب من كل فرع يجلسون بالمسجد من بعد صلاة العصر حتى صلاة العشاء يتدارسون بعض الكتب التي حددناها مثل « منهاج المسلم » ، و« الرحيق المختوم » ، ثم يلتقون بنا كل شهر ويتقدمون بأبحاث في موضوعات هذه الكتب ، ثم تطورت الفكرة ، فجهزنا المكان الخاص بالدراسة ، وأعددنا المناهج ، وانتشرت المعاهد في كثير من الفروع ، فجزاه اللّـه خير الجزاء ، وأجزل له المثوبة والعطاء .

وكان آخر ما اتفقنا عليه أن أقوم ببيان عقيدة أهل السنة والجماعة ، مع ذكر المسائل التي يختص بها أهل السنة مخالفين فيها أهل البدع من الفرق الضالة ، مع إعداد باب نذكر فيه نماذج لعقائد العلماء ليتعرف قارئ المجلة على العقيدة الصحيحة ويتعرف على علماء السنة .

لقد كان رحمه اللّـه بعيد النظر ، يحسن التخطيط لمستقبل الدعوة ، له آمال وطموحات تتعلق بنشر العلم ودعوة المسلمين إلى منهاج السنة والجماعة ، حتى إنه اختار أن يقرأ على الدارسين بمسجد التوحيد ببليس كتاب « مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية » ، وقطع في دراسته شوطًا طويلاً ، فأفاد واستفاد وأحسن وأجاد ، فرحمة اللّـه تعالى عليه ، ونسأل اللّـه أن يجمعنا به في دار كرامته مع الذين أنعم اللّـه عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا .

كلمة التحرير

حقًا.. إنها أمانة!!

بقلم : رئيس التحرير د . جمال المراكبي

الحمد لله رب العالمين ، وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة ، وله الحكم وإليه ترجعون ، اللهم ربنا لك الحمد ملء السماوات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد ، أهل الثناء والمجد ، أحق ما قال العبد ، وكلنا لك عبد ، اللهم لا مانع لما أعطيت ، ولا معطي لما منعت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد .

أما بعد .. فقد رحل عنا أخونا صفوت الشوادفي - رحمه الله تعالى - تاركًا لنا أمانة ثقيلة في الدعوة إلى الله تعالى ، ونشر السنة ونبذ البدعة ، وكان آخر ما نشر من كتاباته قبل موته تلك النصائح الغالية المستفادة من سنة الحبيب محمد ﷺ وهديه وهدي سلفنا الصالح رضوان الله عليهم أجمعين ، ثم كانت مقالته عن أنصار السنة والانتخابات والتي نشرت بعد موته - رحمه الله - بيَّن فيها منهج الساعين إلى المناصب الدنيوية بكل السبل والوسائل المشروعة وغير المشروعة ، وقد تناسوا عظم الأمانة التي يسعون إلى حملها وعدم قدرتهم على القيام بأعبائها ، وكأن الشيخ رحمه الله يوصينا قبل أن يودعنا ، وينصحنا حتى لا ننخدع ، ويحذرنا منهج الذين لا يعلمون ، ولا يقيمون لهذه الأمانة وزنًا ، فتكون العاقبة خزي وندامة .

حقًا إنها أمانة ، وإنها يوم القيامة خزي وندامة ، إلا من كان أهلاً لها فأخذها بحقها ، وأدى الذي عليها فيها بتوفيق الله ومعونته .

لقد كانت نصيحةُ النبي ﷺ لأبي ذر الغفاري - وقد جاء طالبًا الولاية ، طامعًا في عطاء النبي ﷺ - نصيحةُ محب صادق حريص على من يحب ، فقال له : « يا أبا ذر ، إني أراك ضعيفًا ، وإني أحب لك ما أحب لنفسي ، لا تأمَّرَنَّ على اثنين ، ولا تولين مال يتيم » « إنك ضعيف ، وإنها أمانة ، وإنها يوم القيامة خزيٌ وندامة ، إلا من أخذها بحقها ، وأدى الذي عليه فيها » . [صحيح مسلم - ك الإمارة (ح١٨٢٥، ١٨٢٦)] .

إن غياب الضوابط الشرعية عن المرشحين للمجالس النيابية وعن الناخبين الذين يختارون من يمثل الأمة ظاهرة خطيرة ، وقد جعلها النبي ﷺ نذيرًا لقرب قيام القيامة وزوال الدنيا ؛ لأنها تمثل ضياعًا للأمانة ، فقال : « إذا ضُيعت الأمانة فانتظر الساعة » . قالوا : كيف إضاعتها ؟ قال : « إذا وُسِّدَ الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة » . [البخاري - ك العلم (٥٩)] .

وبهذا تضيع الأمانة ، وتنزع من القلوب نزعًا ، « ينام الرجل النومة فتنزع الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل أثر الوكت[1] ، ثم ينام الرجل النومة فتنزع الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل أثر المجل[2] كجمر دحرجته على رجلك فنفض فتراه منتبرًا ، فيصبح الناس يتبايعون فلا تكاد تجد رجلاً يؤدي الأمانة ، حتى يُقال : إن في بني فلان رجلاً أمينًا ، وحتى يقال للرجل : ما أعقله ما أجلده ما أظرفه ، وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان » . [متفق عليه] .

« فلا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له » . [أحمد (ج٣، ١٣٥، ١٥٤)] .

---

(١) الوكت : الجرح يشفى ويبقى أثره .

(٢) المجل : الحرق يصيب الجلد فيظهر فيه فقاعات من الماء .

❑ إن أبسط الضوابط التي ينبغي على الأمة أن تراعيها عند الاختيار وجوب تولية الأصلح والأقدر على تحمل أعباء الولاية.

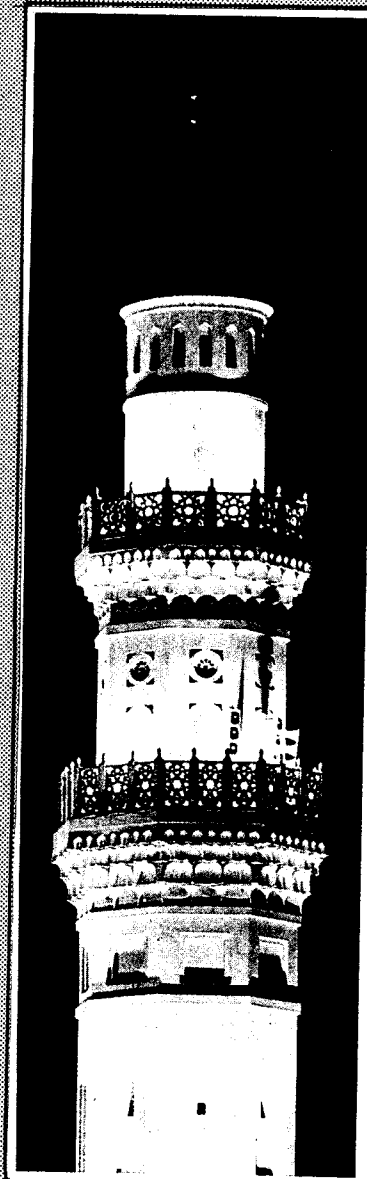

وجوب تولية - اختيار - الأصلح :

إن أبسط الضوابط التي ينبغي على الأمة أن تراعيها عند الاختيار وجوب تولية الأصلح والأقدر على تحمل أعباء الولاية ، وهذا يغيب عن معظم المرشحين ، وأكثر الناخبين ، فنرى ذلك التنافس الشديد والحرص على الوصول للمنصب بشتى الوسائل المشروعة وغير المشروعة ، ببذل الأموال ، وتكثيف الدعايات ، وخداع البسطاء من الناخبين ، واستجداء أصواتهم ، ومثل هذا التنافس لا يفرز دائمًا أصلح الأشخاص في ظل غياب الوعي الديني والثقافة النافعة ، فينسى المرشحون أنها أمانة عظيمة سيسألون عنها أمام الله تعالى ، وأنها خزي وندامة في الدنيا والآخرة على من أخذها بغير حقها ، ولم يؤد ما وجب عليه فيها .

لأجل هذا أقول للمرشحين للمجلس النيابي ونحن على أبواب الانتخابات : اتقوا الله فيما أنتم مقدمون عليه ، ألا تعلمون أنكم ستقومون على وظيفة التشريع وسن القوانين ، وأنكم ستُسألون أمام الله تعالى عن كل تشريع يخالف شرع الله تعالى ، فاتقوا الله في دينه وشريعته ، واتقوا الله في الأمة التي اختارتكم ، ولا تحيدوا عن شريعة الله تعالى ، واذكروا قول الله تعالى : ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة : ٥٠] .

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ [النساء : ٥٨، ٥٩] .

﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء : ٦٥] .

إن مدار الصلاحية لأي منصب على القوة والأمانة ، القوة على تحمل أعباء المنصب والقيام عليه على الوجه اللائق ، والأمانة التي تجعلك تؤدي إلى كل ذي حق حقه ، ويدخل في هذا العلم بحدود المنصب أو الولاية ، والعلم بشريعة الله وما تحكم الناس به ، ثم القدرة على القيام بهذه الأعباء ، والاستعانة بالأمناء الأقوياء من أهل العلم والتخصص ، ثم مراعاة العدالة لإيصال الحقوق إلى أربابها دون مجاملة أو محاباة .

من الضوابط الشرعية أيضًا أن طالب الولاية لا يولى؛ لأن طالب الولاية حريص عليها، يسعى لتحقيق المكاسب الشخصية من ورائها!!

قال يوسف عليه السلام لملك مصر وقد جاء منقذًا: ﴿ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف: ٥٥]، فكانت مؤهلاته في علمه وحفظه وأمانته وقوته. وقالت المرأة الصالحة لأبيها: ﴿ يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ ﴾ [القصص: ٢٦].

وأقول للناخبين: احرصوا على اختيار من ترونه صالحًا قادرًا على القيام بأعباء النيابة، وإياكم والتعصب لأحد لأجل قرابة أو صلة أو لأهواء النفس؛ لأنكم توليتم عملية الانتخاب والاختيار: «ومن ولي من أمر المسلمين شيئًا فولى رجلاً وهو يجد من هو أصلح للمسلمين منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين» [أخرجه الحاكم عن عمر موقوفًا ومرفوعًا].

واعلموا أن من أعظم الخيانة أن تختاروا الرجل لأجل الدنيا والمنافع الخاصة: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم - منهم -: رجل بايع إمامًا لا يبايعه إلا لدنيا، فإن أعطاه منها وفى، وإن لم يعط منها لم يف». [متفق عليه].

فيا ليت كل إنسان يدخل في هذا الأمر ينظر جيدًا إلى نفسه ليرى مواطن القوة والضعف فيها، فإن كان من الأمناء الأقوياء الحافظين العلماء تقدم مستعينًا بالله، وإلا نأى بنفسه عن السقوط في هاوية الظلم والخيانة. ويا ليت كل واحد منا يعرف كيف يميز الأمناء الأقوياء فيختار منهم لا من غيرهم رعايةً لمصالح الأمة.

طالب الولاية لا يولى:

ومن الضوابط الشرعية أيضًا أن طالب الولاية لا يولى؛ لأن طالب الولاية حريص عليها، يسعى لتحقيق المكاسب الشخصية من ورائها، ولا يلقي بالاً للأعباء التي سيقوم بها، وللأمانة التي ستكون في عنقه، ولهذا نراه ينفق الأموال الطائلة في سبيل الوصول إلى غرضه، ويبذل الوعود الكاذبة يخدع بها الناس، فإذا وصل إلى غايته كان همه تعويض ما أنفقه وتحصيل كل كسب ممكن.

أما من يدرك عظم الأمانة ويفكر في أعبائها، ويخشى ألا يكون قادرًا عليها ولا يزاحم غيره في طلبها فإنه يكون أقدر الناس على تحمل عبئها، وأبعدهم عن الطمع في مكاسبها، ومثل هذا يُعينه الله ويوفقه ويسدد خطاه.

قال النبي ﷺ لعبد الرحمن بن سمرة: «يا عبد الرحمن، لا تسأل الإمارة، فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها، وإن أعطيتها من غير مسألة أعنت عليها». متفق عليه.

وقال النبي ﷺ: «إنا لا نولي هذا الأمر أحدًا سأله ولا حرص عليه». [مسلم].

محاسبة الولاة والعمال:

لقد كان النبي ﷺ يحاسب الولاة على ما قدموا حسابًا دقيقًا، وكذلك كان الخلفاء الراشدون يحاسبون الولاة، فلا يسمحون لهم بممارسة التجارة والتربح على حساب الولاية ولا يقرونهم على قبول الهدايا، ويحسبون عليهم أموالهم قبل الولاية وبعدها لمنعهم من الإثراء غير المشروع، ولهذا قال النبي ﷺ للوالي الذي قبل الهدية وأرادها لنفسه: «هلا جلست في بيت أبيك ثم تنظر هل يهدى إليك؟» وكان عمر يقول للوالي: (إنما بعثناك واليًا ولم نبعثك تاجرًا).

وأخيرًا أقول لمن قدر الله لهم النجاح في الانتخابات، ولكل ولاة الأمور: اعلموا أنكم أُجَراء

❑ أما من يدرك عظم الأمانة ويفكر في أعبائها، ويخشى ألا يكون قادرًا عليها ولا يزاحم غيره في طلبها فإنه يكون أقدر الناس على تحمل عبئها، وأبعدهم عن الطمع في مكاسبها !!

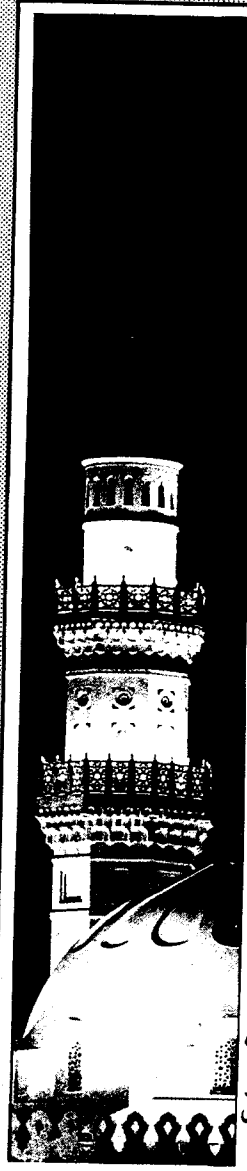

تعملون في مصالح الرعية ، ولذا يجب عليكم أن تلينوا لهم الجانب وترفقوا بهم ، اخفضوا الجناح لهم ، ولا تتعالوا عليهم ، ولا تغلقوا الأبواب دونهم ، وابذلوا كل الجهد في النصح لهم ، والعدل بينهم ، واعلموا أنكم إن فعلتم ذلك تبتغون به وجه اللّه وترجون ثوابه ، كان ذلك سبيلكم إلى الجنة ، وإن ضيعتم وقصرتم كان ذلك سبيلكم إلى النار ، وتذكروا قول النبي ﷺ : « ما من عبد استرعاه اللّه رعيةً فلم يحطها بنصيحة إلا لم يجد رائحة الجنة » . « ما من والٍ يلي رعيةً من المسلمين فيموت وهو غاشٌ لهم إلا حرم اللّه عليه الجنة » . [البخاري] .

احذروا بطانة السوء :

واحذروا بطانة السوء ، والمنافقين الذين يمتدحونكم في وجوهكم ويثنون على أعمالكم ما دمتم في مناصبكم ، فإذا أدرتم وجوهكم عنهم سلقوكم بألسنة حداد ونالوا من أعراضكم .

وعليكم بأهل العلم والتقوى والورع فاقبلوا منهم واعملوا بنصحهم ، وأحسنوا إليهم ، واعلموا أن رسول اللّه ﷺ قال : « ما بعث اللّه من نبي ، ولا استخلف من خليفة ، إلا كانت له بطانتان : بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه ، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه ، فالمعصوم من عصمه اللّه تعالى » . [البخاري] .

وختامًا .. اعلم أيها القارئ العزيز أن الناس إذا أعرضوا عن ضوابط الشرع وأحكامه ، وخاضوا في هذه الأمور بغير وازع من دين أو ضمير فلا خير فيهم ولا في مشاركتهم ، فلا تكن معهم على منكر تعارفوا عليه ، وأمرهم بالمعروف وشاركهم فيه ، وإلا فعليك بخاصة نفسك كما قال تعالى : ﴿ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ [المائدة : ١٠٥] .

وكما قال النبي ﷺ : « إذا رأيت الناس قد مرجت عهودهم وخفَّتْ أماناتهم ، وكانوا هكذا » - وشبك بين أصابعه - قالوا : فما المخرج من ذلك ؟ قال : « تأخذون ما تعرفون ، وتدعون ما تنكرون ، وتقبلون على أمر خاصتكم - أي أهل السنة والعلم - وتدعون أمر العامة » . [رواه أحمد] .

فخذ ما تعرف ، ودع ما تنكر ، وعليك بأمر خاصة نفسك ، ودع عنك أمر العامة ، والزم بيتك حال الفتن .

نسأل اللّه أن يعصمنا من الزيغ والضلالة ، وأن يعيننا على أداء الأمانة . إنه ولي ذلك والقادر عليه ، وصلّ اللهم على نبينا محمد وآله وصحبه .

د . جمال المراكبي

شهداء الأقصى ..

طالعتنا وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة بتفاصيل العدوان الإسرائيلي الغاشم على الشعب الفلسطيني الأعزل ، وهالنا جميعًا ذلك الجبن الصهيوني والخسة والنذالة التي يندى لها جبين الإنسانية ؛ الجنود الإسرائيليون المدججون بالسلاح ، يضربون الشباب والأطفال وحتى النساء بالذخيرة الحية ، ويضربونهم بالدبابات وبالطائرات فيسقط الشهداء بالعشرات ، ومع ذلك ترى الخوف والفزع في عيون الصهاينة وهم يواجهون الحجارة ، وترى الجرأة والشجاعة في تصرفات الشباب الفلسطيني وهم يهاجمون الجنود الإسرائيليين بالحجارة ، وهم يحملون الشهداء والجرحى تحت وابل الرصاص ، عند ذلك قلت لنفسي : صدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ لاَ يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاء جُدُرٍ ﴾ [الحشر : ١٤] ، ثم تواردت الخواطر على نفسي تترى ، هذا الشباب الذي لا يجد إلا الحجارة ليدافع عن المقدسات الإسلامية ، هذا الشباب الذي يواجه النار بصدر مفتوح ، ماذا لو وجد راية مسلمة تدعو إلى الجهاد في سبيل الله لتحرير المسجد الأقصى والمقدسات الإسلامية ، راية إسلامية فعلية تأخذ بأسباب النصر وتعمل بقول الله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [الأنفال : ٦٠] . ﴿ وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ ﴾ [آل عمران : ١٠٣] .

هل يبعث دم الشهداء حول الأقصى الأُمة الإسلامية من جديد ، هل يوقظ الأمة من سباتها ، ويردها إلى الحق ، إلى الشريعة ، إلى توحيد الله عز وجل ؟!

● الطريق إلى الأقصى :

هذا هو العنوان الرئيسي الذي يطالعك أخي القارئ في افتتاحية هذا العدد من مجلة التوحيد ، ولعلك تجد مقدمة الافتتاحية غريبة في ألفاظها ، والتزامها السجع على غير المعتاد والمألوف في لغة المجلة ، فتتعجب لهذا الأسلوب ، ولكن سرعان ما يزول هذا حين تعلم أن هذه المقدمة هي مقدمة أول خطبة للجمعة على منبر المسجد الأقصى بعد فتح صلاح الدين لبيت المقدس .

وسوف ترى في الافتتاحية أن القدس كانت دائمًا أبدًا تحت أيدي المسلمين طالما أنهم يقيمون شريعة الله ويجاهدون في سبيل الله ، وأنها لم تخرج عنهم إلى غيرهم إلا حين بدلوا وغيروا .

إن تحرير القدس واجب مقدس على جميع المسلمين حكامًا ومحكومين ، بدايته في الإيمان ،

□ نرجو أن يجتمع القادة العرب فى مؤتمر قمة فعّال

□ نرجو من القادة العرب أن ينبذوا خلافاتهم جانبًا ، وأن يسعوا

□ يا معشر المسلمين ، عليكم بالطاعة والجماعة ، فإنها

بقلم د. جمال المركبي

وإيقاظ الأمة !!

وطريقه في جهاد النفس والشيطان والكفار ، والولاء للمؤمنين والبراء من الكافرين .

● **توحيد الكلمة على كلمة التوحيد :**

ما أحوج المسلمين الآن إلى توحيد صفوفهم وتوحيد كلمتهم في وجه أعدائهم ، عملاً بقوله تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۞ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۞ وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران : ١٠٣- ١٠٥] . وبقوله تعالى : ﴿ وَلاَ تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۞ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [الروم : ٣١، ٣٢] .

ولكن على أي شيء يكون الاتحاد ، وقد افترقت القلوب على عقائد شتى وأفكار متشعبة . إن الوحدة لا يمكن تصورها إلا على كلمة الإخلاص ، كلمة لا إله إلا اللّه ، على منهاج السنة والجماعة من غير شطط ولا زيغ ، على كتاب اللّه تعالى وعلى سنة رسول اللّه ﷺ بفهم سلف الأمة وخير القرون ، فإن هذا سبيل الجماعة والوحدة : « من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة ، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد » .

فيا معشر المسلمين ، عليكم بالطاعة والجماعة ، فإنها حبل اللّه الذي أمر به ، وما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة .

واعلموا أن اللّه فتح على هذه الأمة حين كانت على السنة والجماعة ، وأن الفتن والافتراق سبيل أعداء اللّه لكسر شوكة هذه الأمة ، فأقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ، واعلموا أنكم ستظهرون على أعدائكم بهذا الاجتماع ، فالمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا ، و« مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

فنرجو أن يجتمع القادة العرب في مؤتمر قمة فعّال لبحث الأوضاع المتردية في القدس المحتلة،

لبحث الأوضاع المتردية في القدس المحتلة !!

بكل جد لعمل عربي موحد يردع الصلف والغرور الصهيوني !!

بحبل اللّه الذى أمر به ، وما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة !!

ونرجو من القادة العرب أن ينبذوا خلافاتهم جانبًا ، وأن يسعوا بكل جد لعمل عربي موحد يردع الصلف والغرور الصهيوني ، وأن يقوموا بالتنسيق مع سائر الدول الإسلامية بالضغط على إسرائيل وحلفاء إسرائيل لاحترام العهود والمواثيق الدولية ، ونطالب المسلمين في كل مكان بالدعاء لقادتهم بالتوفيق والسداد ، فنحن أحوج ما نكون إلى توفيق اللَّه عز وجل ليكشف ما بنا من الهم والكرب ، فإن سلفنا الصالح كانوا أحرص الناس على الخير ، وكان قائلهم يقول : لو أن لي دعوة مستجابة لدعوتها لسلطان المسلمين ؛ لأن بصلاحه ينصلح حال المسلمين ، ولا ننسى أن ندعو لإخواننا في فلسطين ولكل المستضعفين من المسلمين بالثبات والتمكين ؛ فإن البلاء أول طريق النصر والتمكين ، إذا صاحبه يقينٌ وصبرٌ وجهادٌ في سبيل اللَّه .

﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة : ٢٤] .

● المسجد وليس الهيكل :

إن الصهاينة في صراعهم مع المسلمين يتحركون من منطلق عقائدي ، ولذلك فهم يتخذون إسرائيل - نبي اللَّه يعقوب عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - اسمًا لدولتهم ونجمة داود شعارًا لهم ، وأرض الميعاد حلمًا لا يشكون في تحقيقه ، ويعلنون دائمًا أن هدفهم هو إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات ، ويسعون جاهدين لهدم المسجد الأقصى وعمل الحفريات للبحث عن هيكلهم المزعوم .

والعرب في صراعهم مع اليهود يتحركون من منطلق قومي ، فهم لا يملون الحديث عن الحق العربي ، وحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره ، والصراع بهذه الصورة غير متكافئ ، وبعيد كل البعد عن منهاج الإسلام ، فرسول اللَّه ﷺ حين دخل المدينة ووجد اليهود يعظمون يوم عاشوراء فسألهم عن ذلك فقالوا : يومٌ نجى اللَّه فيه موسى وأهلك فرعون ، فصام النبي ﷺ هذا اليوم وأمر بصيامه وقال لليهود : « نحن أولى بموسى منكم » .

هكذا يكون الحوار والجدال ، عقيدة محرفة وشريعة مبدلة لا يمكن ردها إلا بالعقيدة الصحيحة والشريعة المحكمة الناسخة لكل الشرائع ، أما حين نتخلى عن عقيدتنا وشريعتنا ، فكيف نواجه اليهود فكريًا وثقافيًا ، وكيف نواجههم سياسيًا وعسكريًا ، ولهذا تجد أيها القارئ العزيز في فتاوى المجلة حديثًا عن بناء المسجد الحرام والمسجد الأقصى والارتباط بين المسجدين منذ بنائهما ، إن سليمان عليه السلام نبي اللَّه أتم بناء المسجد - كما هو معلوم - والمسجد هو بيت اللَّه ، مكان السجود ، فأنَّى لمن كفر باللَّه وكفر برسوله أن يقوم على بيت اللَّه ثم يزعم أنه يبحث عن الهيكل المزعوم ، ولهذا نقول لليهود في صراعنا معهم : نحن أولى بموسى وداود وسليمان منكم .

﴿ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ

❑ لا سبيل للنصر والعز والتمكين وإعادة الحق السليب إلا بالجهاد في سبيل اللَّه عز وجل !

وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ۞ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران : ٨٤، ٨٥] .

● الجهاد في سبيل اللّه سبيل النصر والتمكين :

فلا سبيل للنصر والعز والتمكين وإعادة الحق السليب إلا بالجهاد في سبيل اللّه عز وجل ، فيجب على أهل الحق أن يجاهدوا أنفسهم على قبول الحق والعمل به ، وأن يعلنوا الجهاد في سبيل اللّه ويرفعوا رايته . ومن أحق بذلك من أهل السنة والجماعة ، ومن العيب أن نرى بعض أهل البدع البعيدين عن منهاج السنة يعلنون الجهاد على أعداء اللّه الصهاينة ، ونرى أهل السنة والجماعة ينكصون ، ويتهاونون .

فاللهم نصرك وتأييدك لأوليائك أهل الحق والسنة والجماعة ، وفقهم لما تحبه وترضاه من الإيمان والتقوى والجهاد في سبيلك ، واشدد وطأتك على أعدائك يا عزيز يا قهار .

● المسيح الدجال وعز اليهود :

يخطئ من يظن أن الصراع بين المسلمين وبين اليهود ، يمكن أن ينقضي بعملية سلام شامل وعادل كما يزعمون ، إن السلام ليس سوى مجرد هدنة مؤقتة ، سرعان ما تنتهي وتزول ، واليهود أهل غدر وخيانة ، ونحن نراهم الآن يتفلتون من كل اتفاق أبرموه ، لقد عاهدهم النبي ﷺ حين قدم المدينة ولكنهم سرعان ما نقضوا العهد فقاتلهم النبي ﷺ وأجلاهم عن المدينة ، وحاصرهم بعد ذلك في خيبر حتى نزلوا على حكم اللّه وحكم رسول اللّه ﷺ .

لقد حذرنا النبي ﷺ من فتنة المسيح الدجال ، وبين لنا أنه يملك الأرض في زمن هذه الفتنة فلا يمتنع عليه شيء منها سوى مكة والمدينة ، فإنه لا يدخلها تمنعه ملائكة اللّه عز وجل ، وأخبرنا أن أهل الكفر جميعًا يتابعونه ، وأن اليهود جميعًا يكونون من جنده وشيعته ، وأن المؤمنين لا يملكون إلا الفرار بدينهم من هذه الفتنة العظيمة التي يظهر فيها الكفر ، ويكون فيها عز اليهود ، ولكن اللّه سبحانه يتدارك بفضله ورحمته أولياءه المؤمنين فيعزهم وينصرهم ، وينزل المسيح عيسى ابن مريم ويلتف حوله المؤمنون ، فيقتل المسيح الدجال ، ويذيق اللّه اليهود والكافرين بأسه بأيدي المؤمنين ، فيقتل المسلمون اليهود ، حتى إن اليهودي يختفي ويختبئ ، فينادي الحجر وينادي الشجر جند المسلمين : يا مسلم ، إن ورائي يهوديًا فاقتله .

فهذا وعد اللّه ، ووعد رسول اللّه ﷺ ، وإن اللّه لا يخلف الميعاد .

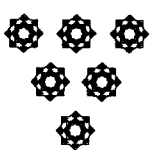

❑ يخطئ من يظن أن الصراع بين المسلمين وبين اليهود يمكن أن ينقضي بعملية سلام شامل وعادل!!

أسباب المغفرة

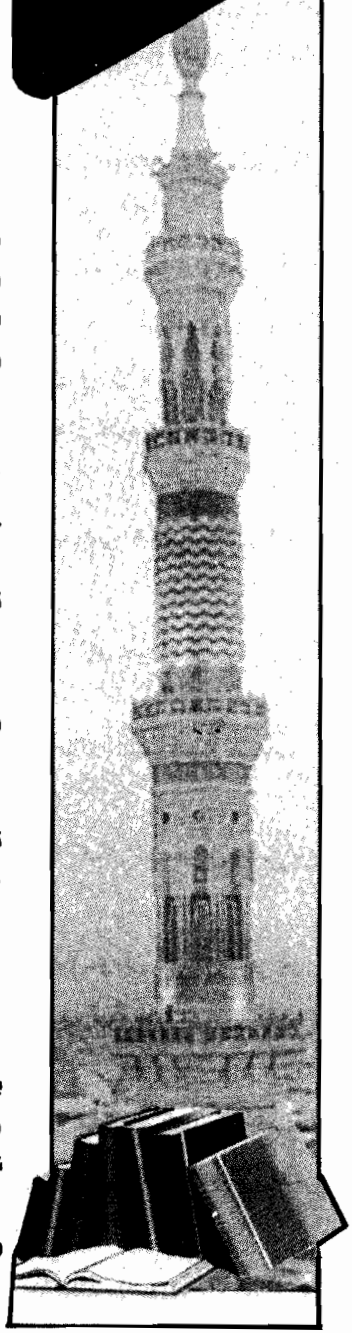

رمضان شهر المغفرة ، يغفر الله فيه ذنوب المؤمنين المتقين ويعتق رقابهم من النار ، فمن صام رمضان إيمانًا واحتسابًا ، ومن قام ليله إيمانًا واحتسابًا غفر الله له ما تقدم من ذنبه ، ومن أعرض عن أسباب المغفرة في رمضان ، فأدرك رمضان ولم يُغفر له ، فمتى يدرك عفو الله ومغفرته ؟ إن الله تعالى يبعده ويطرده ، استجابةً منه سبحانه لدعاء أمين السماء وأمين الأرض : بَعُدَ عن الله من أدرك رمضان فلم يُغفر له .

وإذا كان موسم الخير قد انقضى بانقضاء رمضان ، فإن فعل الخيرات لا ينقضي ، وأسباب المغفرة موصولة أبدًا لا تنقطع ولا تنتهي ، ومن حَصَّلَ المغفرة في رمضان لا يعدم أسباب المغفرة بعد رمضان ، وأسباب المغفرة كثيرة ويسيرة على من وفقه الله ، وهذه بعض أسباب المغفرة نعرضها مع أدلتها باختصار شديد :

✸ **التوحيد وترك الشرك من أعظم أسباب المغفرة :**

قال تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ [المائدة : ٩، ١٠] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَـئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال : ٢- ٤] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾ [طه : ٨٢] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء ﴾ [النساء : ٤٨] . وفي الحديث القدسي يقول الله عز وجل : « يا ابن آدم ، لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة » . [الترمذي (٣٥٤٠)] .

وفي « صحيح مسلم » : « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد ، ومن جاء بالسيئة فجزاؤه سيئة مثلها أو أغفر ، ومن تقرب مني شبرًا

بقلم : رئيس التحرير
د . جمال المراكبي

تقربت منه ذراعًا ، ومن تقرب مني ذراعًا تقربت منه باعًا ، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة ، ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئًا لقيته بمثلها مغفرة » . [مسلم (٢٦٨٧)] .

وفي حديث أبي ذر فيمن مات على التوحيد : « ما من عبد قال : لا إله إلا الله ، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة ، وإن زنى وإن سرق ، رغم أنف أبي ذر » . قال البخاري : هذا عند الموت أو قبله إذا تاب وندم وقال : لا إله إلا الله غفر له .

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة ، كحديث عثمان عند مسلم : « من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة » .

وحديث البطاقة عند الترمذي وأحمد صريح في ذلك ، حيث تطيش سجلات الذنوب وترجح كلمة الإخلاص .

✸ الاستغفار :

قال تعالى : ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة : ١٩٩] ، وقال تعالى : ﴿ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [البقرة : ٢٨٥] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [النساء : ١١٠] .

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٥، ١٣٦] .

وفي الحديث القدسي : « يا ابن آدم ، لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني ، غفرت لك ولا أبالي » .

وإذا أذنب العبد ذنبًا ثم استغفر الله ، قال الله عز وجل للملائكة : « علم عبدي أن له ربًا يأخذ بالذنب ، ويغفر الذنب ، أشهدكم أني قد غفرت له » . والأحاديث في هذا كثيرة مشهورة .

✸ التقوى :

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [الأنفال : ٢٩] .

إذا كان موسم الخير قد انقضى بانقضاء رمضان ، فإن فعل الخيرات لا ينقضي وأسباب المغفرة موصولة لا تنقطع ولا تنتهي .

من صلى الصبح في مسجد الجماعة، ثم مكث حتى يسبح تسبيحة الضحى كان كأجر حاج ومعتمر تام له حجته وعمرته !!

✸ الدعاء مع رجاء الإجابة :

قال تعالى في الحديث القدسي : « يا ابن آدم ، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي » .

ويدخل في ذلك دعاء الولد لوالده ، كما في الحديث : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث .. » ذكر منها : « أو ولد صالح يدعو له » .

✸ اتباع الرسول ﷺ :

قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران : ٣١] .

✸ الإنفاق في سبيل الله في السراء والضراء ، وكظم الغيظ ، والعفو مع القدرة :

قال تعالى : ﴿ وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٣، ١٣٤] ، وقال تعالى : ﴿ وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللّهِ ﴾ [الشورى : ٤٠] .

✸ الصبر مع العمل الصالح :

قال تعالى : ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أُوْلَـئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ [هود : ١١] ، وقال تعالى : ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾ [الشورى : ٤٣] .

✸ الوضوء مع الإسباغ :

عن عثمان قال : رأيت رسول الله ﷺ توضأ مثل وضوئي هذا ، ثم قال : « من توضأ هكذا ، غُفر له ما تقدم من ذنبه ، وكانت صلاته ومشيه إلى المسجد نافلة » ، أي زيادة ثواب . [مسلم] .

وفي رواية ابن ماجه : « من توضأ مثل وضوئي هذا ، غُفر له ما تقدم من ذنبه » .

والأحاديث في تكفير الخطايا بسبب الوضوء كثيرة .

✸ الذكر بعد الوضوء :

عن عمر عن النبي ﷺ : « ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ (أو فيسبغ) الوضوء ، ثم يقول : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا عبد الله ورسوله ، فُتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء » . [مسلم (٢٣٤)] .

وفي رواية الترمذي : « اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين » .

✸ صلاة ركعتين بعد الوضوء :

عن عقبة بن عامر عن النبي ﷺ قال : « ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه ، ثم يقوم فيصلي ركعتين مقبلٌ عليهما بقلبه ووجهه إلا وجبت له

الجنة » . [مسلم] .

وعن عثمان عن النبي ﷺ : « من توضأ نحو وضوئي هذا ، ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه » . [متفق عليه] .

وقال ﷺ : « لا يتوضأ رجل فيحسن وضوءه ، ثم يصلي الصلاة ، إلا غفر له ما بينه وبين الصلاة التي تليها » . [مسلم] .

وهذه الصلاة مع المحافظة على الوضوء من أرجى الأعمال الموجبة للجنة ، كما في حديث بلال حين سأله النبي ﷺ عن أرجى عمل يعمله ، فقال ﷺ : « ما أحدثت إلا توضأت ، وما توضأت إلا صليت » .

✸ الأذان للصلاة :

ففي « صحيح الجامع الصغير » : قال رسول الله : « يغفر للمؤذن منتهى أذانه ، ويستغفر له كل رطب ويابس » ، وقال ﷺ : « المؤذن يغفر له مدّ صوته ، وأجره مثل أجر من صلى معه » ، وقال ﷺ : « إن الله وملائكته يصلون على الصف الأول ، والمؤذن يغفر له مد صوته ويصدقه من سمعه من رطب ويابس ، وله مثل أجر من صلى معه » .

✸ إجابة المؤذن وترديد الأذان :

عن سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ أنه قال ﷺ : « من قال حين يسمع المؤذن : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدًا عبده ورسوله ، رضيت بالله ربًا وبمحمد رسولاً وبالإسلام دينًا ، غُفر له ذنبه » . [مسلم] .

وإجابة المؤذن والدعاء بعد الأذان سبب لشفاعة النبي ﷺ للمسلم ، وسبب لصلاة الله عز وجل على عبده ، وسبب لإجابة دعوته .

✸ المشي إلى المساجد للجمع والجماعات :

قال رسول الله ﷺ : « ألا أخبركم بما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ! إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط » .

وقال ﷺ : « والكفارات : إسباغ الوضوء على الكريهات ، ونقل الخطى إلى الجمعات – الجماعات – والمكث في المساجد بعد الصلوات » . وقال ﷺ : « من غسل واغتسل وبكر وابتكر ومشى ولم يركب ودنا من الإمام فاستمع ولم يلغ كانت له بكل خطوة يخطوها أجر سنة صيامها وقيامها » .

✸ الصلوات الخمس . وصلاة الجماعة :

قال ﷺ : « الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر » . [متفق عليه] .

وقال ﷺ : « أرأيتم لو أن نهرًا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء ؟ » قالوا : لا يا رسول الله ، قال : « فذلك

مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا » .

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، أصبتُ حدًا فأقمه عليّ ، قال : وحضرت الصلاة فصلى مع رسول الله ﷺ ، فلما قضى الصلاة قال : يا رسول الله ، إني أصبت حدًا فأقم فيّ كتاب الله ، قال : « هل حضرت الصلاة معنا ؟ » قال : نعم ، قال : « قد غُفر لك » . [مسلم (٢٧٦٤، ٢٧٦٥)] .

وفي رواية : قال رسول الله ﷺ للرجل : « أرأيت حين خرجت من بيتك أليس قد توضأت فأحسنت الوضوء ؟ » قال : بلى . قال : « ثم شهدت الصلاة معنا ؟ » قال : نعم يا رسول الله ، فقال له رسول الله ﷺ : « فإن الله قد غفر لك حدك » . أو قال : « ذنبك » . [مسلم (٢٧٦٥)] .

وفي « الصحيحين » أنه نزلت في شأن ذلك الرجل هذه الآية : ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ ﴾ [هود : ١١٤] ، فقال رجل : هذا له خاصة ؟ قال : « بل للناس كافة » .

وقال ﷺ : « من توضأ للصلاة فأسبغ الوضوء ، ثم مشى إلى الصلاة المكتوبة فصلاها مع الناس أو مع الجماعة أو في المسجد غفر الله له ذنوبه » . [مسلم (٢٣٢)] .

✱ صلاة الجمعة :

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الجمعة : ٩] .

قال رسول الله ﷺ : « الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر » . [متفق عليه] .

وقال ﷺ : « من اغتسل ثم أتى الجمعة فصلى ما قدر له ، ثم أنصت حتى يفرغ من خطبته ، ثم يصلي معه ، غُفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى ، وفضل ثلاثة أيام » . [مسلم (٨٥٧)] .

وقال ﷺ : « لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من طهر ويدهن من دهنه أو يمس من طيب بيته ، ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين ، ثم يصلي ما كتب له ، ثم ينصت إذا تكلم الإمام إلا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى » . [البخاري (٨٨٣، ٩١٠) ، والنسائي (١٤٠٣)] .

✱ التأمين خلف الإمام :

قال رسول الله ﷺ : « إذا أمن الإمام فأمنوا ، فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غُفر له ما تقدم من ذنبه » . [مسلم (٤١٠)] .

وقال ﷺ : « إذا قال أحدكم في الصلاة : آمين ، والملائكة في السماء : آمين ، فوافق إحداهما الأخرى ، غُفر له ما تقدم من ذنبه » . [مسلم (٤١٠)] .

احرص أخي المسلم على أسباب المغفرة فلا تفرط فيها ، عسى أن يغفر لك الله الذنوب ويستر العيوب .

✸ **قول : « ربنا ولك الحمد » :**

قال رسول الله ﷺ : « إذا قال الإمام : سمع الله لمن حمده ، فقولوا : اللهم ربنا ولك الحمد ، فإنه من وافق قوله قول الملائكة غُفر له ما تقدم من ذنبه » . [مسلم] .

✸ **صلاة الضحى مع الجلوس للذكر بعد الغداة :**

روى الترمذي بسند فيه ضعف : « من حافظ على شفعة الضحى غفر له ذنوبه ، وإن كانت مثل زبد البحر » .

وعند أبي داود بسند فيه مقال : « من قعد في مصلاه حين ينصرف من صلاة الصبح حتى يسبح ركعتي الضحى لا يقول إلا خيرًا ، غفر له خطاياه ، وإن كانت أكثر من زبد البحر » .

وفي صحيح مسلم : « كان النبي ﷺ لا يقوم من مصلاه حتى تطلع الشمس » .

وعند الترمذي : « من صلى الفجر في جماعة ، ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس ، ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة » . [حديث حسن] .

وعند الطبراني : « من صلى الصبح في مسجد جماعة ، ثم مكث حتى يسبح تسبيحة الضحى ، كان له كأجر حاج ومعتمر تام له حجته وعمرته » .

✸ **قيام الليل ، خاصة في رمضان ، وفي ليلة القدر :**

قال رسول الله ﷺ : « من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه » .

وقال : « من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه » .

✸ **الذكر بعد الصلاة :**

قال النبي ﷺ : « من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثًا وثلاثين ، وحمد الله ثلاثًا وثلاثين ، وكبر الله ثلاثًا وثلاثين ، فتلك تسع وتسعون » . ثم قال : « تمام المائة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، غفر له خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر » . [أحمد (٨٤٧٨)] .

وفي رواية أخرى : « غفر له ذنبه ولو كان أكثر من زبد البحر » .

وبعد أخي القارئ ، فهذا غيض من فيض ، يتعرض له المسلم كل يوم خمس مرات مع كل صلاة يصليها ، فتغفر خطاياه مهما عظمت ، وإن كانت مثل زبد البحر ، فاحرص أخي المسلم على أسباب المغفرة ، فلا تفرط فيها ، عسى أن يغفر لك الله الذنوب ويستر العيوب ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

من قال حين يسمع المؤذن: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله ، رضيت بالله ربًا وبمحمد رسولاً وبالإسلام دينًا غُفر له ذنبه !!

كلمة التحرير

عزاؤنا أنه خلّف

بقلم
رئيس التحرير
د . جمال المراكبي

الموت حق ويقين ، ولهذا أمرنا الله تعالى أن نحرص على حسن العبادة حتى تنتهي حياتنا الدنيا ويأتينا الموت ، فقال سبحانه : ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ [الحجر ٩٩] .

وقد حثنا رسول الله ﷺ على الإكثار من ذكر الموت ، حتى لا تغرنا الحياة الدنيا بزينتها ، فقال : « أكثروا ذكر هاذم اللذات » ، وقال ﷺ : « اذكر الموت في صلاتك ، فإن العبد إذا ذكر الموت في صلاته لحري أن يحسن صلاته » . [« صحيح الجامع »] .

فيستفيد العبد من كثرة ذكره للموت أن يحسن عبادته لله ، وأن يحرص على حسن أدائها وخشوعها ، وأن يحاسب نفسه على ما بدر منها ، وأن يسارع إلى التوبة النصوح والتحلل من المظالم واستغلال الأوقات في العمل الصالح الذي ينفع عند الممات .

والعلماء أكثر الناس معرفة بحال الدنيا والآخرة ، وعلى قدر العلم النافع يكون عمل العالم في الدنيا وعمله لما بعد الموت ، فيعمل على تعلم العلم النافع ومدارسته وحفظه والاستفادة منه في تصحيح الاعتقاد وتصحيح العمل ، فيكون العالم عارفًا بربه ، يرجو رحمته ويخاف عذابه ، فيحقق الخشية من الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر : ٢٨] ، ويكون العالم حريصًا على السنة ، بعيدًا عن البدعة في أقواله وأعماله ؛ ليكون عمله خالصًا لله ، صوابًا موافقًا للسنة ، وبهذا ينتفع العالم بعلمه في حياته .

العلم ينجي من الفتن ويعصم من الزلل :

فالعالم يكره أن يفتح على الناس أبواب الفتن ، ويسعى لردهم إلى الحق ، وفي الصحيح : قيل لأسامة بن زيد : ألا تكلم هذا ؟ وفي رواية ألا تدخل على عثمان فتكلمه ؟ فقال : أترون أني لا أكلمه إلا أسمعكم ؟ والله لقد كلمته فيما بيني وبينه ما دون أن أفتح أمرًا لا أحب أن أكون أول من فتحه ... الحديث .

وهذا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه اعتزل الفتن ، فجاءه ولده يلومه على موقفه ، فقال له سعد : سمعت النبي ﷺ يقول : « إن الله يحب العبد التقي النقي الخفي » .

والعالم وطالب العلم - كذلك - ينجو بعلمه من شبهات الشيطان ، ولقد كان طلبة العلم من التابعين يأتون العلماء من الصحابة فيسألونهم عن كل شبهة يثيرها أهل الأهواء والبدع ، فيدفعونها بالعلم النافع ، ولهذا لما وقعت بدعة القدرية جاء يحيى بن يعمر وحميد بن عبد الرحمن فسألا عبد الله بن عمر ، يقول يحيى بن يعمر : كان أول من تكلم في القدر بالبصرة معبد الجهني ، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن حاجين أو معتمرين ، فقلنا :

تراثًا نافعًا وتلامذة

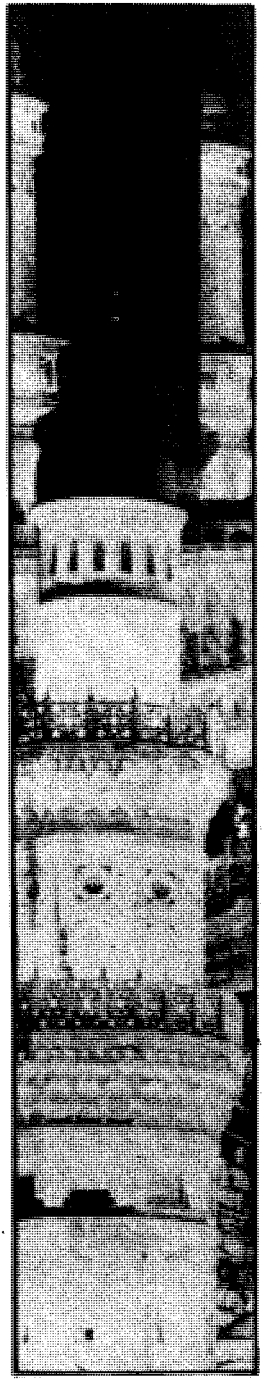

لو لقينا أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء ، قال : فوفق لنا عبد الله بن عمر ... الحديث . رواه مسلم .

وابن الديلمي يقول : وقع في نفسي شيء من هذا القدر خشيت منه على أمري ودبني ، فأتيت أبي بن كعب ، فقلت له : إنه قد وقع في نفسي شيء من هذا القدر ، خشيت منه على أمري ودبني ، فهل عندك من علم ينفعني الله به ؟ فأجابه أبي بن كعب بالعلم الذي يزيل الشبهات ... الحديث عند ابن ماجه .

والعالم ينتفع بعلمه عند موته ، فهذا عبادة بن الصامت وقد حضرته الوفاة وحوله تلامذته يبكون ، فقال : ما يبكيكم ؟ والله ما من حديث سمعته من رسول الله ﷺ لكم فيه خير إلا حدثتكموه إلا حديثًا واحدًا ، وسوف أحدثكم به ، وقد أحيط بنفسي : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من شهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله ، حرم الله عليه النار » . رواه مسلم .

وهذا أبو زرعة الرازي يدخل عليه عند موته أبو حاتم الرازي يريد أن يلقنه : لا إله إلا الله ، فيأتي بالحديث مسندًا ، فينغلق عليه ، فيقول أبو زرعة : أقعدوني ، ثم يحدث هو بالحديث بالإسناد المتصل إلى معاذ بن جبل ، أن رسول الله ﷺ قال : « من كان آخر كلامه : لا إله إلا الله دخل الجنة » . وتفيض روحه مع الهاء من لفظ الجلالة ، فيتحقق فيه معنى الحديث .

وكذلك فإن العالم ينتفع بعلمه بعد موته ، وكما قال النبي ﷺ : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » .

وقد رحل عن دنيانا شيخ جليل ، وعالم متبحر في علوم الكتاب والسنة ، ألا وهو فضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين ، وبقدر ما أصابنا من الحزن لفقد الشيخ وانقطاع هذا المعين من العلم النافع ، فإننا لا نملك إلا الرضى والتسليم لقضاء الله وقدره ، وعزاؤنا أن الشيخ خلف لنا تراثًا عظيمًا ننتفع به مقروءًا ومسموعًا ، وخلف أجيالاً من التلامذة وطلبة العلم ينهلون من معينه ، ويسيرون على نفس الخطى ، وإذا كان العلم يُقبض بقبض العلماء ؛ لقول النبي ﷺ : « إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من صدور العلماء ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالمًا اتخذ الناس رءوسًا جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا » ، فإن مصابنا يهون أمام الرضى والتسليم وطلب الزلفى عند الله ، ويبقى الأمل في أن يقوم طلابه وإخوانه بإكمال ما بدأه الشيخ من مناهج تأليفًا وتدريسًا ، حتى لا ينقطع العلم بموت الشيخ وأمثاله من العلماء ، فتعظم المصيبة ، بل يبقى أهل الحق وأهل السنة ظاهرين بالحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأمر الله وهم على ذلك ، وحتى ينزل المسيح عيسى ابن مريم فيقتل المسيح الدجال في آخر الزمان .

رحم الله الشيخ ، وأسكنه فسيح جناته ، وألحقنا به على الإسلام والإيمان غير خزايا ولا ندامى ولا مفتونين . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

العلماء يعددون مآثر الشيخ الراحل وخدمته للعلم الشرعي.

العلماء يعددون مآثر الشيخ الراحل
وخدمته للعلم الشرعي.
عقيدة
أهل السنة والجماعة
حكم تارك الصلاة
الإبداع
وخطر الابتداع
العزاء بموت النبي صلى الله عليه وسلم
أثر المعاصي
نداء إلى
شرح أصول الإيمان
نبذة في العقيدة

كونوا أنصارًا للسنة

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونوا أَنصَارَ اللَّهِ ﴾ [الصف : ١٤] .

نداءٌ عظيم من رب جليل عظيم ينادي على أوليائه من عباده المؤمنين ، ختم الله تعالى به سورة « الصف » ليبين للمؤمنين أن سبيل النصر والعز والتمكين واحد هو نصرة دين الله تعالى كما نصره السابقون الأولون ، فنصرهم الله عز وجل نصرًا مؤزرًا ، وأظهر بهم دينه على الدين كله ، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ؛ يعز من يشاء ، ويذل من يشاء ، ويؤيد بنصره من يشاء ، وكفى بربك هاديًا ونصيرًا .

نصر الله لعباده المؤمنين !!

فالله ينصر عباده المؤمنين ، ويدافع عن الذين آمنوا كما نصر عباده المرسلين . قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ۞ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ۞ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ [الصافات : ١٧١- ١٧٣] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ [غافر : ٥١] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ۞ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۞ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۞ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ [الحج : ٣٨- ٤١] .

كيف نحقق النصر ؟

إن أول سبيل لتحقيق النصر هو سبيل الإيمان بالله تعالى ، فلا سبيل لتحقيق النصر إلا بالإيمان بتجريد توحيد الله عز وجل ربًا خالقًا رازقًا مدبرًا لأمر هذا الكون ، وهذا هو توحيد الربوبية .

وبتوحيد الله عز وجل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا والتعرف على الله من خلالها دون نفي أو تحريف وتعطيل ، ودون تمثيل ولا تكييف ، بل إثبات ما أثبت الله لنفسه من أسماء وأوصاف ، والتعبد لله سبحانه وتعالى بمقتضى هذه الأسماء والصفات ، دون تمثيل ولا تكييف ؛ لأنه سبحانه : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] .

لتكونوا أنصار الله

بقلم :
د . جمال المراكبي

مع قطع الطمع عن إدراك كيفية ذات الله وصفاته ؛ لأنه سبحانه أجل وأعلى من أن يحيط العباد بكيفية ذلك ، فله سبحانه المثل الأعلى ، ولا يحيطون به علمًا . وبغير هذه المعرفة لا يكون المرء مؤمنًا عابدًا لله تعالى ، ومن هذه المعرفة ينطلق المؤمن إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، محققًا قوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة : ٥] ، وعاملاً بوصية النبي ﷺ : « إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رُفعت الأقلام ، وجفت الصحف » .

متابعة النبي صلى الله عليه وسلم :

ولا سبيل للنصر إلا بالاستجابة لله ولرسوله ، وبمتابعة النبي ﷺ في أقواله وأفعاله وتقريره ، بل وفي تركه ، وبالسير على منهج السلف الصالح الذين حققوا الإيمان والمتابعة ، فكانوا بحق أنصارًا لله تعالى ، وحقق الله النصر بأيديهم وبجهادهم ، حتى رضي الله عنهم : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة : ١٠٠] .

إن متابعة النبي ﷺ بإحياء سنته نصر لدين الله ونصر لرسول الله ﷺ ، وسبيل للوصول إلى رضوان الله عز وجل ، فإن تخلينا عن هذا كله وتولينا وأعرضنا ، نصر الله دينه ونصر رسوله ، وجاء بقوم غيرنا يحبهم ويحبونهم يحقق بهم هذا النصر ؛ ولهذا فإنه تعالى يقول لعباده المؤمنين : ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾ [محمد :٣٨] ، ويقول أيضًا : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة : ٥٤] . ويقول تعالى معاتبًا كل من يتخلف عن نصرة نبيه ﷺ : ﴿ إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة : ٤٠] .

أعظم ما يُتابع عليه النبي ﷺ أن يتابع في أمور الإيمان والعقيدة السليمة التي جاء بها وترك ضلالات المضلين من الفلاسفة والمتكلمين!

متابعة النبي صلى الله عليه وسلم !!

وأعظم ما يُتابع عليه النبي ﷺ أن يتابع في أمور الإيمان والعقيدة السليمة التي جاء بها ودعا إليها ، وترك ضلالات المضلين من الفلاسفة والمتكلمين الذين خاضوا في صفات ذي الجلال والإكرام ، وفي قضائه وقدره وحكمته ووعده ووعيده بعقولهم الفاسدة وقواعدهم المنحرفة ، تاركين منهج الرسول ﷺ الذي أرسله ربه بالهدى وبالعلم النافع ودين الحق الواضح .

قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة : ٣٣] .

ولهذا نزه الله سبحانه نفسه عن مناهج المضلين ، وأثنى على منهج الرسول ﷺ ، فقال : ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۞ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ۞ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الصافات : ١٨٠- ١٨٢] .

وحثنا النبي ﷺ على اتباع منهجه وسنته عند كثرة الاختلاف وشيوع الضلال ؛ لأن العصمة في هذا الاتباع ، فقال : « إنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، عضوا عليها بالنواجذ ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » . وقال ﷺ : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » .

توحيد الصف والجهاد في سبيل الله

ولن يحقق الله لهذه الأمة النصر والظهور إلا إذا توحدت على منهج الحق ، وتركت مناهج أهل البدع والضلال ، وجندت نفسها للدعوة إلى الله والجهاد في سبيل الله ، فإن هذا هو سبيل الفوز والنجاة وتحقيق النصر المبين .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۞ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الصف : ١٠- ١٣] .

ولن يتحقق هذا بمجرد الأمنيات ولا برفع الشعارات ، وإنما يتحقق بالعمل الجاد الدءوب لتبصير المسلمين بمنهج أهل الحق وأهل السنة والجماعة ، والعمل على إحيائه والالتفاف حوله وإعلان المجاهدة للنفس الأمارة بالسوء وللشيطان الرجيم وللبدع والضلالات وللشرك والمشركين .

عقبات في سبيل تحقيق النصر

١- التساهل في أمور الإيمان والتفريط في متابعة النبي ﷺ وإحياء منهج السلف الصالح ، والزعم أن غيره من المناهج صالح لإصلاح حال

لن يتحقق النصر بمجرد الأمنيات ، ورفع الشعارات ، وإنما بالعمل الجاد الدءوب لتبصير المسلمين بمنهج أهل الحق .

الأمة ، كقول بعضهم : « منهج السلف أسلم ، ومنهج الخلف أعلم وأحكم » ، فلن تصلح هذه الأمة إلا بما صلح به أولها .

٢- رفع الشعارات البراقة والوعود الزائفة والاكتفاء بالقول دون العمل ، وقد عاب الله ذلك بقوله : ﴿ لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ ۞ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ ۞ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ [الصف : ٢- ٤] .

٣- إيذاء الرسول بترك متابعته ومعارضة منهجه والزيغ عن سبيله . قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [الصف : ٥] .

كيف نصر المؤمنون السابقون دين الله ؟!

لقد قال المولى سبحانه وتعالى : ﴿ كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ ﴾ [الصف : ١٤] ، فقام المسلمون الأولون بنصر دين الله ونصر رسول الله ﷺ خير قيام حتى حقق الله وعده ، فنصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده ، وكان أول من قام بهذه النصرة لدين الله المهاجرون الأولون ، ثم الأنصار ، فقال الله عز وجل عنهم - وكفى بالله شهيدًا -: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ۞ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر : ٨، ٩] ، ولهذا فلا سبيل لنا لتحقيق النصر إلا بمتابعتهم بإحسان ، وإحياء منهجهم ، وإعزاز دين الله باقتفاء أثرهم وإعلان محبتهم والترضي عنهم ، كما قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر : ١٠] .

حب السابقين علامة على الإيمان !!

إن حب السابقين الأولين علامة على الإيمان ، واتباع منهجهم سبيل النصر والتمكين ، وإن بغضهم علامة على النفاق ، وترك منهجهم سبيل الضعف والتفرق والاختلاف .

قال رسول الله ﷺ : « آية الإيمان حب الأنصار ، وآية النفاق بغض الأنصار » . وقال ﷺ : « الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ، ولا يبغضهم إلا منافق » . ودعا لهم النبي ﷺ فقال : « اللهم اغفر للأنصار ، وأبناء الأنصار ، وأبناء أبناء الأنصار » . اللهم اجعلنا لهم تبع ، وألحقنا بهم ، وارزقنا محبتهم . وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

لا سبيل للنصر إلا بالاستجابة لله ولرسوله ، وبمتابعة النبي ﷺ في أقواله وأفعاله وتقريره والسير على منهج السلف الصالح .

أُصـــــولُ

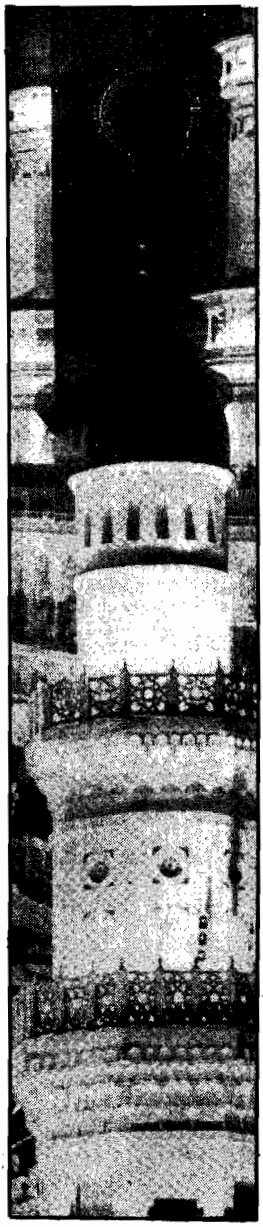

السنة في اللغة هي الطريقة ، حسنة كانت أو سيئة ، وسنة النبي ﷺ هي طريقته ومنهاجه وما دعا إلى التمسك به ، ولا شك في أنها واجبة الاتباع ، وأنها لا تعرف بمجرد العقل ، وإنما تُعلم بالنقل الثابت الصحيح ، ولهذا اتفقت كلمة الأمة على أن السنة ما ثبت عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة .

وصحابة النبي ﷺ نقلوا لنا الدين قرآنًا وسنة ، فنقلوا لنا منهاج النبي ﷺ قولاً وعملاً ، بمعنى أنهم بينوه وحدثوا به ودعوا إليه وعملوا به وجاهدوا في سبيل اللّه بنشره في ربوع الأرض ، فلما ظهرت البدع ، واختلفت الأمة وافترقت ، ظهر في الأمة من يدعو الناس إلى مناهج جديدة تخالف السنة في أمور ، وتوافقها في أمور ، فظهرت المقالات المبتدعة في الإرجاء والقدر والصفات ، وصار دعاة البدعة يعرضون مناهجهم ويفلسفونها ، ويقدمون عقولهم وأهواءهم على ما جاء به النبي ﷺ ، ويثيرون النقاش والجدل ، وقد رد علماء الأُمة المستمسكون بالسنة على أهل البدع على اختلاف أهوائهم ، ودعوا الأمة إلى التمسك بالسنة والعض عليها بالنواجذ عملاً بوصية النبي ﷺ : « إنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي ، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » . وبقوله ﷺ : « من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد » أي : مردود على صاحبه ، لا يُقبل منه ، ولا يُتابع عليه .

ولا شك أن الابتداع في دين اللّه عز وجل وسيلة لهدم الدين وتغيير معالمه ، وتلبيس على عوام المسلمين ، فنجد من يدعو للبدعة يعتقدها دينًا ، ومن يهاجم السنة ويتهكم عليها ، وينابذ أهلها العداء ظنًا منه أنه يدافع عن الإسلام ويتقرب إلى اللّه تعالى ، وهذا من أعظم الخطر على الإسلام وأهله .

السُّنَّةِ

بقلم:
د. جمال المراكبي

والبدع العقائدية أعظم خطرًا على الأمة وعلى الملة من البدع العملية التعبدية ، فهي تخرج بأصحابها من إطار الفرقة الناجية إلى إطار الفُرقة والهلكة والتوعد بالنار ، كما أخبر النبي ﷺ : « وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة » . ثم بيّن أن الناجية من هذه الفرق من اجتمعوا على سنته وسنة الخلفاء الراشدين من بعده ، فهم الجماعة وهم أهل السنة .

ولهذا أطلق علماء السلف لفظة : « السنة » على ما اتفق عليه الصحابة وتابعوهم بإحسان في مسائل الاعتقاد . قال الإمام أحمد في عقيدة أهل السنة والتي رواها عنه الإصطخري : هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المتمسكين بعروقها ، المعروفين بها ، المقتدى بهم فيها من لدن أصحاب النبي ﷺ إلى يومنا هذا ، وأدركت من أدركت من علماء أهل الحجاز والشام وغيرهم عليها ، فمن خالف شيئًا من هذه المذاهب ، أو طعن فيها ، أو عاب قائلها فهو مبتدع خارج من الجماعة ، زائل عن منهج السنة وسبيل الحق . اهـ .

وأهم المسائل التي نص عليها أئمة السنة في معتقداتهم وخالفوا بها أهل البدع هي : **مسألة** الإيمان ، وأنه قول وعمل ونية ، ويزيد وينقص ؛ يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ؛ خلافًا للمرجئة الذين لا يعدون العمل من الإيمان وينفون عنه الزيادة والنقصان ، وللخوارج الذين يكفرون بالذنب .

ومسألة القدر وإثبات أن القدر خيره وشره من الله عز وجل خلافًا للقدرية وللجبرية .

ومسألة إثبات الصفات لله عز وجل كما وردت في القرآن والسنة وإمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تمثيل ، خلافًا للمتكلمين أصحاب مناهج التحريف والتأويل الفاسد ، وللمشبهة الذين مثلوا صفات الله عز وجل بصفات المخلوقين .

ومسألة القرآن وأنه كلام الله عز وجل منه بدا ، وإليه يعود ، وإثبات صفة الكلام لله عز وجل ، خلافًا للمعتزلة والجهمية الذين ينفون صفة الكلام

الابتداع في دين الله عز وجل وسيلة لهدم الدين ، وتغيير معالمه، وتلبيس على عوام المسلمين، وهذا من أعظم الخطر على الإسلام وأهله !!

ويقولون : القرآن مخلوق ، وللأشاعرة الذين يقولون ببدعة الكلام النفسي والكلام اللفظي ، فيثبتون الأول وينفون الثاني عن الله عز وجل ، فينتهي بهم إلى القول بخلق القرآن .

ومسائل الشفاعة والحوض وعذاب القبر ورؤية الله عز وجل يوم القيامة ، خلافًا لأهل البدع الذين يقولون : إن خبر الآحاد لا تثبت به عقيدة ، ويزعمون أن هذه السنن لم تثبت بالنصوص المتواترة .

ومسألة فضائل الصحابة وأهل البيت ، وغيرها من المسائل عدها أهل السنة والجماعة أصولاً للسنة ، فمن خالف في واحدة منها منهج أهل السنة والجماعة ، خرج عن الجماعة ، ونُسب إلى البدعة والضلالة .

قال الإمام أحمد : أصول السنة عندنا : التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم وترك البدع ... إلى أن قال : ومن السنة اللازمة التي من ترك منها خصلة لم يقبلها ويؤمن بها لم يكن من أهلها : الإيمان بالقدر خيره وشره . ثم عدد أصول السنة وفصّلها .

وقال سفيان بن عيينة : السنة عشرة ، فمن كُن فيه فقد استكمل السنة ، ومن ترك منها شيئًا فقد ترك السنة : إثبات القدر ، وتقديم أبي بكر وعمر ، والحوض ، والشفاعة ، والميزان ، والصراط ، والإيمان قول وعمل ، والقرآن كلام الله ، وعذاب القبر ، والبعث يوم القيامة ، ولا تقطعوا بالشهادة على مسلم .

والنقول في هذا الباب كثيرة جدًا ، وكلها تقطع بأن مذاهب أهل السنة والجماعة وأصولهم متواترة عنهم ، ينقلها علماؤهم جيلاً بعد جيل ، ومصنفاتهم تشهد بذلك ، ولهذا فسوف نحاول جاهدين إبراز هذه العقيدة من خلال مجلة التوحيد ، لسان حال أهل السنة والجماعة ، وقد أوردنا في عددنا الماضي قصيدة الإمام أبي بكر بن أبي داود في السنة التي يقول فيها :

تمسك بحبل الله واتبع الهدى ... ولا تك بدعيًا لعلك تفلح
ودِنْ بكتاب الله والسنن التي ... أتت عن رسول الله تنجو وتربح

وذلك تحت عنوان عقائد العلماء ، أو عقائد السلف . وجدير بالذكر أنه وقع سقط في ختام القصيدة لم نذكره في العدد الماضي ، وهو تعليق ناظمها بقوله :

(هذا قولي وقول أبي وقول أحمد بن حنبل وقول من أدركنا من أهل العلم ، وقول من لم ندرك ممن بلغنا قوله ، فمن قال علينا بخلاف ذلك فقد كذب) . اهـ .

أهل البدع لا يقفون مكتوفي الأيدي أمام منهج أهل السنة والجماعة، وإنما يشنعون عليهم ويسمونهم بغير اسمهم ، ويزخرفون الباطل من القول !!

وأهل البدع لا يقفون مكتوفي الأيدي أمام هذا المنهج الواضح لأهل السنة والجماعة ، وإنما يشنعون عليهم ويسمونهم بغير اسمهم ويتطاولون عليهم ، ويزخرفون الباطل من القول ، وربما يدعي بعضهم أنه أحق باسم السنة منهم .

قال أبو حاتم الرازي : علامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر ، وعلامة الزنادقة تسمية أهل الأثر حشوية ، يريدون إبطال الآثار عن رسول الله ﷺ . وعلامة الجهمية تسميتهم أهل السنة : مشبهة . وعلامة القدرية أن يسموا أهل السنة : مجبرة . اهـ .

ويرحم الله القائل :

يا سائلي عن مذهبي وعقيدتي ... رُزق الهدى من للهداية يسألُ
اسمع كلام محققٍ في قوله ... لا ينثني عنه ولا يتبدل
حُب الصحابةِ كلهمِ لي مذهبُ ... ومودة القربى بها أتوسل[1]
ولكلهم قدر وفضل ساطع ... لكنما الصديق منهم أفضل
وأقول في القرآن ما جاءت به آيا ... تُهُ فهو القديمُ المُنزل
قبحًا لمن نبذ القران وراءه ... وإذا استدل يقول قال الأخطلُ
والمؤمنون يرون حقًا ربهم ... وإلى السماء بغير كيفٍ ينزل
وجميع آيات الصفات أُمِرُّها ... حقًا كما نقل الطراز الأول
وأرُدُ عُهْدَتَها إلى نُقّالِها ... وأصونها عن كل ما يُتَخَيَّلُ
وأقر بالميزان والحوض الذي ... أرجو بأني منه رِيًّا أنهل
وكذا الصراط يُمدُّ فوق جهنم ... فموحدٌ ناجٍ وآخرُ مُهمل
والنار يصْلاها الشقيُ بحكمةٍ ... وكذا التقيُ إلى الجنان سيدخل
ولكل حي عاقلٍ في قبرهِ ... عملٌ يُقارنه هناك ويُسأل
هذا اعتقاد الشافعي ومالك ... وأبي حنيفة ثم أحمد يُنقلُ
فإن اتبعت سبيلهم فموفق ... وإن ابتدعت فما عليك مُعَوَّلُ

❋ ❋ ❋

اللهم اعصمنا بدينك ، وبسنة نبيك من الاختلاف في الحق ، ومن اتباع الهوى ، ومن سبيل الضلالة ، ومن الزيغ والخصومات .

والله الهادي إلى سواء الصراط .

---

(١) التوسل هنا بالعمل الصالح ، وهو حبي ومودتي لآل بيت النبي ﷺ

البدع العقائدية أعظم خطرًا على الأمة وعلى الملة من البدع العملية التعبدية ، فهي تخرج بأصحابها من إطار الفِرقة الناجية إلى إطار الفُرقة والهلكة والتوعد بالنار !!

فقه

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد .. فإن الخير كل الخير في الفقه في الدين ، الفقه الذي يدعو إلى العمل ، ويحقق الخشية من الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر : ٢٨] .

فيعبد المؤمن ربه رغبة ورهبة وحبًا ، وخوفًا وطمعًا ، ويستعين العبد بربه وخالقه في تحقيق ذلك كله وفي الاستمرار والدوام عليه حتى يأتيه اليقين ، فيلقى الله عز وجل وهو عنه راض ، فتتلقاه ملائكة الرحمة بالبشرى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلاَ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۞ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۞ نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ [فصلت : ٣٠- ٣٢] .

ولهذا كان الخير ، وكانت السعادة في الدنيا والآخرة في فقه يوصل إلى هذه الغاية ، ويحقق الفلاح والنجاح للعبد ، بينما أكثر الناس في خسران مبين ، ضلوا عن الإيمان وعن العمل الصالح فباءوا بالخسران : ﴿ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام : ١٢] .

ولهذا حثنا النبي ﷺ على التفقه في دين الله عز وجل علمًا وعملاً ودعوة ، فقال : « من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين » . وبيّن أن هذا الخير يأتي من عند الله ، بهدايته وتوفيقه ، وأن الرسول ﷺ مبلغ لما أعطى الله من هذا الخير ، فقال في نفس الحديث : « وإنما أنا قاسم والله يُعطي » . وبيّن أن هذا الخير لن ينقطع في هذه الأمة ، فقال : « ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله » . ومراد النبي ﷺ ليس عموم الأمة ، وإنما الطائفة المنصورة الناجية بدليل قوله في رواية أخرى : « ولن تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم

• من الفقه أن يشغل الإنسان وقته فيما ينفعه في الدنيا والآخرة ويعلم أن الآخرة خيرا وأبقى فيسعى إلى كل ما يقربه إلى الله من العمل الصالح

التعبد

بقلم: د/ جمال المراكبى

على ذلك » . وهي الطائفة التي تحفظ دين اللّه وتقوم عليه علمًا وعملاً ودعوةً رغم تواتر الفتن ، حتى ينزل المسيح عيسى ابن مريم فيقتل المسيح الدجال .

الغاية من الخلق :

اللّه سبحانه وتعالى خلق الخلق لغاية وحكمة هي أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا ، قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ۞ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۞ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ [الذاريات : ٥٦- ٥٨] .

وهذه الغاية تشمل الخلائق جميعًا ، ولا يختص الجن والإنس إلا بعبودية الاختيار التي هي مناط الابتلاء والاختبار وعليها مدار التكليف ، وهي الأمانة التي أشفقت الخلائق جميعًا من حملها ، وحملها الإنسان إنه كان ظلومًا جهولاً ؛ ولهذا كان تأويل قوله تعالى : ﴿ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ بمعنى إلا لآمرهم بعبادتي ، ثم يكون الابتلاء ، فمنهم من يحقق العبودية للّه حقًا ، ومنهم من يرفضها ويتحلل منها ومن تكليفاتها .

وعلى هذا فالعبادة تنقسم إلى قسمين :

القسم الأول : عبادة عامة جبل اللّه عليها الخلائق فلم يشذ عنها أحد ، فكل ما في الكون خلقه وملكه وفي قبضته وتدبيره وتصريفه ، يحكمهم اللّه سبحانه بإرادته وقدره : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس : ٨٢] .

والقسم الثاني : عبادة اختيار ، وهي التي اختص بها الإنس والجن ، وأشفقت الكائنات جميعًا منها ومن حملها ، وهي التي عليها مدار الاختبار والابتلاء كما في قوله تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ [الملك : ٢] ، وقد جمع اللّه سبحانه نوعي العبادة في قوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ

• لا يفرط المسلم في فريضة فرضها الله عز وجل عليه، إلا إذا كان عاجزا عجزا يزيل عنه التكليف بها، ولا ينشغل بنوافل الطاعات عن آداء الفرائض المكتوبات

وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ [الحج : ١٨] .

ولا شك أن العبودية الاختيارية هي أشرف القسمين لا يقوم بها إلا من وفقه اللَّه وحده وأكرمه من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، ولهذا كانت أعظم منزلة يتطلع إليها العباد ، وقد حقق النبي ﷺ المثل الأعلى فيها فوفقه اللَّه إليها ، وجعله لعباده أسوة حسنة ، وقدوة يقتدي به المفلحون من عباده ، وشرفه اللَّه تعالى بها في الدنيا والآخرة ، فنال بها أشرف مقام ، ففي مقام الوحي وأنزل القرآن : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا ﴾ [الكهف : ١] ، ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان : ١] .

وفي مقام الدعوة إلى اللَّه : ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ [الجن : ١٩] .

وفي مقام التحدي : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾ [البقرة : ٢٣] .

وفي مقام الإسراء : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى ﴾ [الإسراء : ١] .

وفي مقام الحفظ والكفاية : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ [الزمر : ٣٦] .

وفي الآخرة شرفه بها فبعثه مقامًا محمودًا ، وخصه بمنزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد نال شرف الدنيا والآخرة وهي منزلة الوسيلة .

العبادة لب التوحيد ، وحق الله على العبيد :

فتوحيد اللَّه عز وجل يقتضي الإيمان بوجوده وبربوبيته وبألوهيته وبأسمائه وصفاته ، والعبادة هي طاعة اللَّه تعالى بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ، وهي اسم جامع لكل ما يحبه اللَّه ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة .

فمن عرف اللَّه تبارك وتعالى ربًا خالقًا رازقًا مالكًا مدبرًا متصرفًا في شئون خلقه ، وعرف اللَّه بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أفرده سبحانه وتعالى بالعبادة .

ومتى أقر العبد بتوحيد اللَّه عز وجل ، وتوجه إليه وحده بالعبادة فقد حقق الإيمان الذي هو اعتقاد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح

• **من فقه التعبد التحقق من شروط العبادة، وشروط صحتها، وشروط كمالها وتمامها، فلا تقوم العبادة إلا بتحقيق الإخلاص لله تعالى....**

والأركان ، وصار عابدًا للّه سبحانه بقلبه وجوارحه وكل كيانه .

« ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح سائر الجسد ، ألا وهي القلب » . البخاري .

وأكثر أهل الكفر يؤمنون بوجود اللّه وبربوبيته ، وببعض أسمائه وصفاته ، ولكنهم مع ذلك لا يسلمون له بالوحدانية ، بل يشركون معه غيره في العبادة ، فيقعون في تناقض عجيب . قال تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾ [الزخرف : ٩] ، وهم مع ذلك ﴿ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۞ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴾ [الصافات : ٣٥، ٣٦] ، ويقولون : ﴿ أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص : ٥] ، ويبررون الشرك باللّه فيقولون : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللّهِ زُلْفَى ﴾ [الزمر : ٣] .

ولأجل هذا كانت دعوة الرسل جميعًا إلى عبادة اللّه وحده لا شريك له ، ونبذ ما يُعبد من دونه : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ ﴾ ، ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء : ٢٥] .

فالعبادة خالص حق اللّه سبحانه ، لا ينبغي صرفها لغيره ، وفي هذا يقول النبي ﷺ لمعاذ بن جبل : « هل تدري ما حق اللّه على عباده ؟ حق اللّه على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا » .

عجز الإنسان عن أداء هذا الحق على الوجه الأكمل :

والإنسان مهما أوتي من قوة لا يستطيع القيام بواجب العبادة على الوجه الأكمل الذي يستحقه اللّه عز وجل ، ولو صرف حياته كلها في طاعة اللّه ، ولهذا كان المؤمن محتاجًا لمعونة ربه وهدايته دائمًا للقيام بهذا الحق ، ولهذا علمنا اللّه أن نقرأ في كل ركعة من ركعات الصلاة : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۞ اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ ﴾ [الفاتحة : ٥، ٦] .

وعلمنا النبي ﷺ أن نقول دبر كل صلاة : « اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك » . وأن نستغفر اللّه دبر كل صلاة معتذرين عن هذا التقصير ، متمثلين قول الملائكة الذين عبدوا اللّه طيلة عمر الدنيا : « سبحانك ما عبدناك حق عبادتك ، إلا أنا لا نشرك بك شيئًا » .

ولهذا كلما نظر الإنسان إلى مِنة اللّه وتوفيقه ، ونظر إلى ضعف نفسه وتقصيره ، كلما كانت عبادته للّه أكمل : « أبوء لك بنعمتك عليَّ وأبوء بذنبي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » .

• من كمال العبادة النصح لله عز وجل فيها، فيؤدى الواجبات على أكمل وجوهها، ويتقي المحارم كلها، يدفعه لذلك كمال محبته لله وكمال خوفه وخشيته منه..

لأجل هذا كان من فقه التعبد التحقق من شروط العبادة ؛ شروط صحتها ، وشروط كمالها وتمامها ، فلا تقوم العبادة إلا بتحقيق الإخلاص للّه تعالى وبتجريد متابعة النبي ﷺ فيها ، فمن ترك الإخلاص فهو مشرك يريد بعبادته غير اللّه ، ومن ترك متابعة النبي ﷺ فعبادته مردودة عليه : « كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد » .

ومن كمال العبادة النصح للّه عز وجل فيها ، فيؤدي الواجبات على أكمل وجوهها ، ويتقي المحارم كلها ، يدفعه لذلك كمال محبته للّه ، وكمال خوفه وخشيته منه ورجائه لما عنده من النعيم ، ويترتب على ذلك أن يجتهد العبد كذلك في التقرب إلى اللّه تعالى بفعل السنن ونوافل الطاعات وترك المكروهات ، ثم يسعى بعد ذلك بالنية الصادقة الخالصة إلى أن تكون الأعمال المباحات مما يطلب بها رضاء ربه فتكون كالقربات المندوبات ، متمثلاً قول النبي ﷺ لسعد : « إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه اللّه إلا أُجرت عليها ، حتى ما تجعل في في امرأتك » . وقوله : « وفي بضع أحدكم صدقة » .

فيتوصل العبد بذلك إلى مقام يعبد فيه اللّه كأنه يراه ، وهو مقام الإحسان في العبادة ، ولا يصدق العبد في ذلك إلا بشهود منة اللّه تعالى عليه ومعونته وهدايته والاعتراف بعجز نفسه وتقصيرها على الوجه الذي بيناه .

ومن فقه التعبد أن يحرص الإنسان على فعل الواجبات وترك المحرمات ؛ لأنه يعلم أن ذلك أحب ما يتقرب به العبد إلى اللّه ، وهو طريق محبته وولايته : « وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضت عليه » . رواه البخاري .

فلا يفرط في فريضة فرضها اللّه عز وجل ، إلا إذا كان عاجزًا عجزًا يُزيل عنه التكليف بها : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ ، ولا ينشغل بنوافل الطاعات عن أداء الفرائض المكتوبات ، فمن انشغل بالفرائض عن النوافل فهو معذور ، ومن انشغل بالنوافل عن الفرائض فهو مغرور ، فكيف بمن اشتغل عن الفرائض بمباحات الدنيا وزينتها أو اشتغل عنها بما لا يحبه اللّه ولا يرضاه .

ومن الفقه أن يشغل الإنسان وقته فيما ينفعه في الدنيا والآخرة ، ويعلم أن الآخرة خير وأبقى ، فيسعى إلى كل ما يقربه إلى اللّه من العمل الصالح ، فيحفز نفسه ويتنافس مع غيره من عباد اللّه المؤمنين في فعل

العبادة خالص حق الله سبحانه لا ينبغي صرفها لغيره، ولأجل هذا كانت دعوة الرسل جميعاً إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ونبذ ما يُعبد من دونه..

الخيرات لنيل الدرجات والمنازل العالية في جنات النعيم .

والمؤمن يعلم أن ناسًا أتعبوا أنفسهم في عبادة اللّه تعالى بغير علم وبغير هدًى من اللّه فضلوا وأضلوا ، ولا تزال آثارهم في الصوامع والمعابد والأديرة ، وهؤلاء لا ينفعهم عملهم يوم القيامة : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۞ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۞ تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً ﴾ [الغاشية : ٢- ٤] ، ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان : ٢٣] .

والمؤمن يعلم أن عمره محدود ، ونوافل الطاعات كثيرة ومتنوعة ، فيحرص على الأعمال المضاعفة الأجور ، والعمل في الأوقات المفضلة بقدر ما يتيسر له مع بذل الجهد وشحذ الهمة ، وترك التكاسل والتواني ، وذلك لبلوغ أعلى الدرجات .

فيحرص على أن يكون عمله موافقًا للسنة ، بعيدًا عن البدع ؛ لأن كل بدعة ضلالة ، ولأن الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة .

شهوات النفس وحظوظها تمنع من تمام العبادة :

فالنفس تدعو إلى الطغيان ، وإلى التفلت من الواجبات ، فترى بعض الناس يسترسلون مع شهواتهم ، في كل وادٍ يهيمون ، لا هم لهم إلا الشهوة والمتعة الزائلة ، يحيون كالأنعام ، بل هم أضل ، وترى فريقًا من الناس يقتل رغبات نفسه ويقهرها على الطاعة ، ولكن على غير هدى ، فيبتدعون ، ويخرجون عن منهاج الشرع ، كالرهبان ومن على شاكلتهم من أهل التصوف ، وقد قال تعالى عن هؤلاء : ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾ [الحديد : ٢٧] .

ولهذا حذر النبي ﷺ أصحابه من هذا المنهج ، فقال : « خذوا من الأعمال ما تطيقون » . وقال ﷺ : « يسروا ولا تعسروا ، وبشروا ولا تنفروا ، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة » .

أما أهل السنة المتبعون لهدي النبي ﷺ فيسعون لتهذيب أنفسهم ، مستعينين باللّه تعالى ، مقتفين أثر النبي ﷺ ، لا يقتلون الرغبات البشرية ، بل يوجهونها لتكون عونًا لهم على طاعة اللّه ، متمسكين بقول النبي ﷺ : « أصوم وأفطر ، وأقوم وأنام ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني » .

وللحديث بقية .

كلمة التحرير

بقلم
رئيس التحرير
د / جمال المراكبي

٢

المبادرة بالأعمال الصالحة :

قال رسول الله ﷺ : « بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا ، أو يمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا ، يبيع دينه بعرض من الدنيا » . [أخرجه مسلم ، كتاب الإيمان (١١٨) ، والترمذي كتاب الفتن (٢١٩٥) ، وأحمد].

قال النووي : معنى الحديث الحث على المبادرة إلى الأعمال الصالحة قبل تعذرها والاشتغال عنها بما يحدث من الفتن الشاغلة المتكاثرة المتراكمة كتراكم ظلام الليل ، ووصف النبي ﷺ نوعًا من شدائد تلك الفتن وهو أن الرجل يمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا ، وهذا لعظم الفتن ينقلب الإنسان في اليوم الواحد هذا الانقلاب .

وقال شارح الترمذي : وحاصل المعنى : تعجلوا بالأعمال الصالحة قبل مجيء الفتن المظلمة من القتل والنهب والاختلاف بين المسلمين في أمر الدنيا والدين ، فإنكم لا تطيقون الأعمال على وجه الكمال فيها .

وقد ورد في صحيح مسلم بيان هذه الفتن التي تحول دون العمل الصالح والأمر بالمبادرة بالأعمال الصالحة قبل حلول الفتن في آخر الزمان ، وذلك في حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ : « بادروا بالأعمال ستًا : طلوع الشمس من مغربها أو الدخان أو الدجال أو الدابة أو خاصة أحدكم أو أمر العامة » . [أخرجه مسلم، كتاب الفتن (٢٩٤٧) ، وابن ماجه كتاب الفتن (٤٠٥٦) ، وأحمد] .

ولا شك أن هذه الفتن العظام في آخر الزمان تحول بين العبد وبين الأعمال الصالحة ، وغالبًا ما تكون هذه الفتن مهلكة لا ينجو منها إلا عبد وفقه الله تعالى ، وعصمه بالإيمان واليقين . وحرص العبد على الخيرات والمبادرة بالطاعات دون تسويف من توفيق الله تعالى ، فمن وفقه الله أولاً وفقه آخرًا ولا ريب ، وهذه الفتن العظام عامة في كل من يدركها ، وحتى من لا يدركها سوف يأتيه ما يشغله من خاصة نفسه ، كالمرض ، والهرم ، ومشاغل الحياة ، ثم الموت ، وقد نقل النووي تفسير جملة : أو خاصة أحدكم بأنها الموت يأتي فيحول بين المرء وبين العمل حتى يتمنى المرء أن يرجع إلى الدنيا ليتمكن من عمل صالح طالما أعرض عنه في دار الدنيا .

فقه التعبد

قال تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٠٠) ﴾ **[المؤمنون : ٩٩، ١٠٠].**

وقال تعالى : ﴿ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ (١٠) وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١١) ﴾ **[المنافقون : ١٠، ١١].**

❑ ومن فقه التعبد أن يحرص المؤمن على أن تكون حياته كلها في طاعة ربه ومرضاته ، حتى أمور العادات والمباحات يحولها بالنية الخالصة وباحتساب الثواب إلى عمل صالح يثاب عليه ، فيأكل ليتقوى على طاعة ربه وليحفظ نفسه ، ممتثلاً قول الله تعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١) ﴾ **[الأعراف : ٣١] .**

ويطعم أهله محتسبًا أجر ذلك عند الله كما قال النبي ﷺ لسعد : « إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها حتى اللقمة تضعها في في امرأتك » .

ويمشي إلى الطاعة محتسبًا أجر الخطى ترفع كل واحدة منها درجة وتحط خطيئة ويكتسب بها حسنة ، وينام محتسبًا نومته كما يحتسب قيامه من الليل سواء بسواء ، وقد جلس معاذ بن جبل مع أبي موسى الأشعري باليمن يتذاكران العبادة وقيام الليل فقال معاذ بن جبل : وأنا أقوم وأنام ، واحتسب نومتي كما أحتسب قيامي وصلاتي بالليل ، وهذا من فقه معاذ وعلمه بأن الجسد لا بد له من قسط من الراحة ، ولولا هذا القسط لعجز عن الطاعة ، ولهذا فهو يحتسب وقت النوم ويرجو ثوابه كما يحتسب وقت القيام للصلاة ، وفي هذا وأمثاله يقول النبي ﷺ : « لك ما احتسبت ، لك ما احتسبت » .

❑ ومن فقه التعبد أن يعلم العبد أن العمر قصير ، وأن القربات لا حصر لها ، وأن الوقت الواحد يصلح لعديد من الأعمال الصالحات ، ولكن لا يتمكن العبد فيه إلا من عمل واحد بعينه ، فيحرص على ما يراه أفضل العمل في ذلك الوقت.

قال ابن القيم : أفضل أنواع العبادة العمل على مرضاة الله تعالى في كل وقت بما هو مقتضى ذلك الوقت ووظيفته ، فأفضل الأعمال في وقت الجهاد هو الجهاد ، وإن أدى إلى ترك الأوراد من صلاة الليل والنهار ، بل ومن ترك إتمام صلاة الفرض كما في حالة الأمن ، ولأجل هذا شرع الله صلاة الخوف . وأفضل الأعمال في وقت حضور الضيف القيام بحقه والاشتغال به عن الورد المستحب وعن القيام بحق الزوجة والأولاد ، والأفضل في وقت السحر الاشتغال بالصلاة والذكر والدعاء والابتهال .

والأفضل في وقت الأذان الإقبال على الصلاة وتحقيق شرائطها من طهارة وتجمل ، واستحضار القلب للدخول على ملك الملوك بعد إجابة المؤذن .

والأفضل في وقت استرشاد الجاهل هو الإقبال عليه وتعليمه ما ينفعه .

والأفضل في أوقات ضرورة المحتاج إلى المساعدة أن تبادر إلى مساعدته وإغاثته وإيثار ذلك على أورادك . والأفضل في وقت قراءة القرآن جمع القلب على تدبره وتفهمه والعزم على تنفيذ أوامره حتى كأن الله تعالى يخاطبك به . والأفضل في وقت الوقوف بعرفة الاجتهاد في التضرع والدعاء والذكر دون الصوم المضعف عن ذلك .

والأفضل في أيام عشر ذي الحجة الإكثار من العبادة والذكر ، خاصة التكبير والتهليل والتحميد . فهو أفضل من الجهاد غير المتعين . والأفضل في العشر الأخيرة من رمضان لزوم المسجد والاعتكاف فيه دون التصدي لمخالطة الناس . حتى إنه أفضل من تعليمهم العلم . والأفضل في وقت مرض أخيك المسلم عيادته والتخفيف عنه .

والأفضل في وقت موت أخيك المسلم تجهيزه وتشييع جنازته والاعتبار بموته والدعاء له ... إلخ . [« مدارج السالكين » (ج١، ص١٠٠، ١٠١)].

الحرص على الأعمال المضاعفة الأجور :

ومن فقه التعبد أن يفاضل المؤمن بين الأعمال المندوبة : فيختار أفضلها وأعظمها أجرا . ومن هذه الأعمال :

صلاة الرجل في الجماعة : لقول النبي ﷺ : « صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة » . [متفق عليه] .

الصلاة في المسجد البعيد أفضل من المسجد القريب : لأن كل خطوة يخطوها المسلم تحط عنه خطيئة . وتكتب له حسنة . وترفع له درجة .

التبكير إلى الجمعة . والاغتسال يومها . والإنصات للإمام : لقول النبي ﷺ : « من راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة . ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة... » [متفق عليه] . ولقول النبي ﷺ : « من غسل واغتسل وبكر وابتكر ومشى ولم يركب ودنا من الإمام فاستمع ولم يلغ. كان له بكل خطوة أجر سنة صيامها وقيامها » . [أبو داود بسند حسن] .

المكث في المسجد قبل الصلاة وبعدها : لقول النبي ﷺ : « لا يزال العبد في صلاة ما كان في مصلاه ينتظر الصلاة » . ولقوله ﷺ : « ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات: إسباغ الوضوء على المكاره. ونقل الخطى إلى المساجد . وانتظار الصلاة بعد الصلاة . فذلكم الرباط ... » [الحديث رواه مسلم] .

الصلاة في المسجد الحرام ومسجد النبي ﷺ ومسجد قباء : لقوله ﷺ : « صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا في المسجد الحرام . وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة » . ولقوله ﷺ : « صلاة في مسجد قباء كعمرة » .

صلاة العشاء والفجر في جماعة : لقول النبي ﷺ : « من صلى العشاء في جماعة . فكأنما قام نصف الليل . ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما قام الليل كله » . [أخرجه مسلم].

الصلاة في المسجد البعيد أفضل من المسجد القريب لأن كل خطوة يخطوها تحط عنه خطيئة وتكتب له حسنة !!

فقه التعبد

الجلوس للذكر في المسجد بعد صلاة الصبح وصلاة ركعتين بعد الشروق تعدل أجر حجة وعمرة !!

❑ صلاة النوافل في البيت ؛ لقول النبي ﷺ : « صلاة الرجل النافلة في بيته أفضل من صلاة في مسجدي هذا » . [أبو داود بسند صحيح]، ولقوله ﷺ : « خير صلاة المرء صلاته في بيته إلا المكتوبة » .

❑ الجلوس للذكر في المسجد بعد صلاة الصبح ، وصلاة ركعتين بعد الشروق ؛ لقول النبي ﷺ : « من صلى الفجر في جماعة ، ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس ، ثم صلى ركعتين، كانت له كأجر حجة وعمرة تامة ، تامة، تامة » .

❑ الذكر المضاعف . عن جويرية أن النبي ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح ، وهي في مسجدها ، ثم رجع بعد أن أضحى ، وهي جالسة ، فقال : « ما زلت على الحال التي فارقتك عليها؟ » قالت : نعم . قال النبي ﷺ : « لقد قلت بعدك أربع كلمات - ثلاث مرات - لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن : سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه ، وزنة عرشه، ومداد كلماته » .

❑ قراءة خواتيم سورة البقرة كل ليلة ؛ لقول النبي ﷺ : « من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه » . قيل : تكفيه عن قيام الليل ، وقيل : تكفيه من كل سوء .

❑ قراءة سورة الإخلاص والمعوذتين ثلاث مرات صباحاً ومساءً وعند النوم . والأحاديث في ذلك كثيرة ، منها : ﴿ قلْ هُوَ اللَّهُ أحدٌ ﴾ تعدل ثلث القرآن . ومنها : ﴿ قلْ هُوَ اللَّهُ أحدٌ ﴾ والمعوذتان حين تمسي وحين تصبح ثلاثا يكفيك من كل شيء [النسائي ، كتاب الاستعاذة (٥٤٣٠)].

❑ قراءة سورة الملك ؛ لقول رسول الله ﷺ : « إن سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له ، وهي تبارك الذي بيده الملك » .[حسنه الألباني في « صحيح الجامع » (٢٠٩١)].

وقوله ﷺ : « سورة تبارك هي المانعة من عذاب القبر » . « صحيح الجامع » (٣٦٤٣) .

❑ صيام يوم عرفة ويوم عاشوراء وست من شوال . سُئل رسول الله (عن صوم يوم عرفة ؟ قال : « يُكفر السنة الماضية والباقية ». [رواه مسلم].

وسُئل عن صيام يوم عاشوراء فقال : « يُكفر السنة الماضية ». وقال : « من صام رمضان واتبعه ستًا من شوال فكأنما صام الدهر ».

❑ الإكثار من العمل الصالح في عشر ذي الحجة ؛ لقوله ﷺ : « ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله تعالى من هذه الأيام » يعني : أيام العشر . قالوا : يا رسول الله ، ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال : « ولا الجهاد في سبيل الله ، إلا رجل خرج بنفسه وماله ، فلم يرجع من ذلك بشيء » . رواه البخاري .

❑ العمرة في رمضان ؛ لقول النبي ﷺ : « عمرة في رمضان تعدل حجة ».

الحرص على الأعمال التي يجري ثوابها بعد الموت

❑ ومن فقه التعبد أن يحرص المؤمن على الأعمال التي لا ينقطع ثوابها بموته وانقطاع عمله كالصدقة الجارية ؛ لقول

النبي ﷺ : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » .

▫ والحرص على الموت في رباط لجهاد أعداء الله وحماية ثغور المسلمين : لقول النبي ﷺ : « رباط يوم وليلة أفضل من صيام شهر وقيامه صائمًا لا يفطر وقائمًا لا يفتر ، وإن مات مرابطًا جرى عليه كصالح عمله حتى يبعث ، ووقى من عذاب القبر » . أخرجه أحمد (٢٢٦١٩) .

وفي رواية لمسلم : « وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله ، وأجري عليه رزقه ، وأمن الفتان » .

ومن الرباط : المكث في المساجد بعد الصلوات - كما تقدم .

▫ ومن الفقه أن يحرص المؤمن على تحصيل هذا الثواب بالحرص على الإخلاص ، ومتابعة النبي ﷺ ، وترك البدع والمحدثات ، وعدم الاغترار ببدع تعبدية وردت فيها أحاديث واهية أو آثار ضعيفة أو منامات وحكايات ، فخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها .

ومن الفقه ألا يعجب المؤمن بعمله ويغتر به ، بل يظل على خوفه من عدم قبول العمل مع رجائه في ثواب الله عز وجل .

ومن الفقه ألا يُحبط المؤمن عمله بانتهاك حرمات الله تعالى إذا خلا بها ، أو بالاعتداء على حقوق الآخرين : لقول النبي ﷺ : « لأعلمن أقوامًا من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضًا ، فيجعلها الله هباءً منثورًا » .

قال ثوبان : صفهم لنا ، جلهم لنا أن لا نكون منهم ونحن لا نعلم ؟ قال : « أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم ، ويأخذون من الليل كما تأخذون ، ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها » . « الصحيحة » (٥٠٥) .

وقول النبي ﷺ : « أتدرون من المفلس ؟ » . قالوا : المفلسُ فينا من لا درهم له ولا متاع ، فقال : « إنَّ المفلس من أمتي من أتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي قد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ، ثم طرح في النار » . رواه مسلم .

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

من الفقه ألا يعجب المؤمن بعمله ويغتر به، بل يظل على خوفه من عدم قبول العمل مع رجائه فى ثواب الله !!

باب السنة

«الحلقة الأولى»

أخرج مسلم في «صحيحه» عن حنظلة الأُسيِّدي (وكان من كُتَّاب[1] رسول الله ﷺ) قال: لقيني أبو بكر، فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قال: قلت: نافق حنظلة، قال: سبحان الله! ما تقول؟ قال: قلت: نكون عند رسول الله ﷺ يُذكرنا بالنار والجنة، حتى كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عند رسول الله عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيرًا، قال أبو بكر: فوالله إنا لنلقى مثل هذا، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ، قلت: نافق حنظلة يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «وما ذاك؟» قلت: يا رسول الله، نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، نسينا كثيرًا، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، إن لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة» ثلاث مرات.

وفي رواية عند الترمذي عن حنظلة: أنه مر بأبي بكر وهو يبكي، فقال: ما لك يا حنظلة؟ قال: نافق حنظلة.

- عافسنا: قمنا بحاجة الأزواج والأولاد والمعاش واشتغلنا به.
- الضيعات: جمع ضيعة، وهو ما يكون منه معاش الرجل من مال يتاجر فيه أو حرفة يمتهنها أو صناعة يعمل فيها.
- النفاق: قال الراغب في مفرداته: النفق: الطريق النافذ والسرب في الأرض النافذ فيه. قال تعالى: (فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ) (الأنعام: ٣٥)، ومنه نافقاء اليربوع، وقد نافق اليربوع ونفق، ومنه: النفاق، وهو الدخول في الشرع من باب والخروج عنه من باب، وعلى ذلك نبه سبحانه وتعالى بقوله: (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (التوبة: ٦٧)، أي الخارجون من الشرع، وجعل الله المنافقين شرًا من الكافرين، فقال: (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ) (النساء: ١٤٥).

قال أبو السعادات بن الأثير في النهاية: قد تكرر في الحديث ذكر النفاق، وما تصرف منه اسمًا وفعلاً وهو اسم إسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به، وهو الذي يستر كفره ويظهر إيمانه، وإن كان أصله في اللغة معروفًا يقال: نافق ينافق منافقة ونفاقًا، وهو مأخوذ من النافقاء: أحد جحور اليربوع، إذا طلب من واحد هرب إلى الآخر وخرج منه، وقيل: هو من النفق؛ وهو السرب الذي يستتر فيه لستره كفره. وفي حديث حنظلة: (نافق حنظلة) أراد أنه إذا كان عند النبي ﷺ أخلص وزهد في الدنيا، وإذا خرج عنه ترك ما كان عليه ورغب فيها؛ فكأنه نوع من الظاهر والباطن ما كان يرضى أن يسامح به نفسه. وفيه: «أكثر منافقي هذه الأمة قراؤها»[2]. أراد بالنفاق هاهنا الرياء؛ لأن كليهما إظهار غير ما في الباطن. (انتهى كلام أبي السعادات).

قال ابن رجب: لما تقرر عند الصحابة رضي الله عنهم أن النفاق هو اختلاف السر والعلانية؛ خشي بعضهم على نفسه أن يكون

النفاق الأكبر: هو إظهار الإيمان بالله واليوم الآخر وإبطان ما يناقضه كله أو بعضه !!

بقلم الرئيس العام

إذا تغير عليه حضور قلبه ورقته وخشوعه عند سماع الذكر برجوعه إلى الدنيا والاشتغال بالأهل والأولاد والأموال أن يكون ذلك منه نفاقًا.

أعلمهم النبي ﷺ أن هذه الحال منهم لا تقتضي بقاءهم على وتيرة واحدة، وأن مثل هذا ليس نفاقًا، لا يكون الرجل منافقًا بأن يكون في وقت على الحضور وفي وقت على الفتور، ففي ساعة الحضور تؤدون حقوق ربكم، وفي ساعة الفتور تقضون حظوظ أنفسكم.

وقال البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان: باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر: وقال إبراهيم التيمي: ما عرضت قولي على عملي إلا خشيت أن أكون مكذبًا.

وقال ابن أبي مليكة: أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه ما منهم أحد يقول: إنه على إيمان جبريل وميكائيل، ويُذكر عن الحسن: ما خافه إلا مؤمن، ولا أمنه إلا منافق، وما يحذر من الإصرار على النفاق والعصيان من غير توبة؛ لقوله تعالى: (وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) (آل عمران: ١٣٥).

قال ابن حجر: إن الحسن يحلف بالله الذي لا إله إلا هو ما مضى مؤمن قط ولا بقي إلا وهو من النفاق مشفق، ولا مضى منافق قط ولا بقي إلا وهو من النفاق آمن. وكان يقول: من لم يخف النفاق فهو منافق.

والصحابة الذين أدركهم ابن أبي مليكة من أجلِّهم عائشة وأختها أسماء وأم سلمة والعبادلة الأربعة وأبو هريرة وعقبة بن الحارث والمسور بن مخرمة، فهؤلاء ممن سمع منهم، وقد أدرك بالسن جماعة أجَل من هؤلاء، كعلي بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص، وقد جزم بأنهم كانوا يخافون النفاق في الأعمال، ولم ينقل عن غيرهم خلاف ذلك، فكأنه إجماع، وذلك لأن المؤمن قد يعرض عليه في عمله ما يشوبه مما يخالف الإخلاص، ولا يلزم من خوفهم من ذلك وقوعه منهم، بل ذلك على سبيل المبالغة منهم في الورع والتقوى، رضي الله عنهم. (فتح الباري ج١، ص١٣٦).

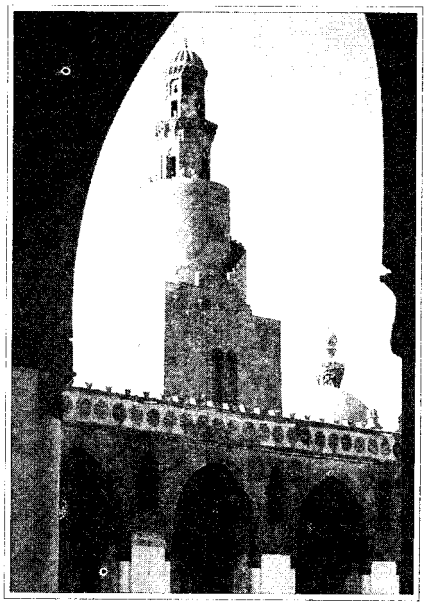

قال البخاري: قال أناس لابن عمر: إنا ندخل على سلطاننا، فنقول لهم خلاف ما نتكلم إذا خرجنا من عندهم. قال: كنا نعدها نفاقًا.

والنفاق في اصطلاح الشرع ينقسم إلى: أكبر، وأصغر.

النفاق الأكبر- نسأل الله السلامة-: هو إظهار الإيمان بالله واليوم الآخر وإبطان ما يناقضه كله أو بعضه، وهذا هو النفاق الذي كان على عهد النبي ﷺ. وهذا أهله في الدرك الأسفل

من النار.
والنفاق الأصغر: وهو نفاق العمل، وهو يرجع إلى الخصال الخمس:
: أن يُحَدث إنسانًا بحديث هو له مصدق، بينما هو عليه كاذب.
إذا وعد أخلف، وهو على درجتين، أشدهما أن يضمر عند الوعد ألا يفي به. والثانية أن تكون نيته أن يفي ثم لا يفي بغير عذر أصابه.
إذا خاصم فجر، وذلك بأن يخرج عن الحق عمدًا حتى يُصيِّر الحق باطلاً والباطل حقًا.
: إذا عاهد غدر، يدخل في ذلك جميع العقود من المبايعات والمناكحات والنذور، فلا يراعي عقدًا، إنما همه دنياه، يغدر إذا صور له شيطانه أن الكسب الدنيوي في الغدر، ولا يفي إلا إذا ظن أن الكسب الدنيوي في الوفاء.
وقد أمر الله في كتابه بالوفاء بعهود المشركين إذا أقاموا على عهودهم ولم ينقضوها، وعهود المسلمين فيما بينهم شأنها أعظم، والوفاء بها أوجب.

خيانة الأمانة.

والنفاق الأصغر وسيلة إلى النفاق الأكبر، كما أن المعاصي بريد الكفر. فمن أصر على المعصية يخشى عليه أن يسلب الإيمان قبل الموت.
فمن أصر على نفاق المعصية خشي أن يفضي به إلى نفاق الكفر.
ومن أعظم النفاق العملي أن يعمل الإنسان عملاً يُظهر أن قصده به الخير وإنما عمله ليتوصل به إلى غرض سيئ، ثم إذا تحقق له ما أراد فرح بمكره وخداعه وأسعده حمد الناس له، وقد حكى القرآن عن المنافقين ذلك بقوله سبحانه: (اتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفَنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) (التوبة: ١٠٧).
والنفاق يحبط العمل، وإن كان إحباط النفاق العملي غير إحباط النفاق الأكبر.
قال ابن العربي: الإحباط إحباطان: أحدهما إبطال الشيء للشيء وإذهابه جملة كإحباط الإيمان للكفر والكفر للإيمان، وذلك من الجهتين إذهاب حقيقي. ثانيهما إحباطاً الموازنة إذا جعلت الحسنات في كفة والسيئات في كفة. فمن رجحت حسناته نجا، ومن رجحت سيئاته وقف في المشيئة، إما أن يغفر له، وإما أن يعذب، فالتوقيف إبطالٌ ما؛ لأن توقيف المنفعة في وقت الحاجة إليها إبطال لها، والتعذيب إبطال أشد منه إلى حين الخروج من النار. ففي كل منهما إبطال نسبي، أطلق عليه اسم الإحباط مجازًا، وليس هو إحباط حقيقة؛ لأنه إذا أخرج من النار وأدخل الجنة عاد إليه ثواب عمله، وهو بخلاف قول الإحباطية الذين سووا بين الإحباطين وحكموا على العاصي بحكم الكافر، وهم معظم القدرية. (انتهى).

كان حال العرب قبل بعثة النبي ﷺ كما وصفه في قوله: «إن اللَّه نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربًا وعجمًا إلا بقايا من أهل الكتاب». فلما بعث النبي ﷺ خرج من أهل المقت طائفة المؤمنين الذين ظهروا بإيمانهم وعملوا به علانية- حتى طغت قريش عليهم تعذيبًا، تكونت طائفة ثالثة هي طائفة المؤمنين الذين يختفون بإيمانهم كل ذلك بمكة، فلما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة، وكانت الدعوة قد سبقته إليها بأهل العقبة ودعوة مصعب بن عمير رضي اللَّه عنهم، كان أهل المدينة مؤمن يظهر إيمانه، وكافر يظهر كفره، وظل الحال كذلك حتى غزوة بدر وظهور المسلمين على المشركين، ونصر الله لهم، فكان يوم الفرقان دخل عبد الله بن أبي بن سلول في الإسلام ظاهرًا مع كفره باطنًا، طلبًا للوجاهة، كما أخرج البخاري في صحيحه عن أسامة بن زيد- في حديث طويل جاء في آخره-: فلما غزا رسول الله ﷺ بدرًا فقتل الله به صناديد كفار قريش، قال ابن أبي بن سلول ومن معه من المشركين وعبدة الأوثان: هذا أمر قد توجه، فبايعوا الرسول ﷺ على الإسلام فأسلموا. (البخاري: ٤٥٦٦).
فكان ذلك أول ظهور النفاق، فكان النفاق في جماعة من أهل المدينة دخلوا في الإسلام طلبًا للوجاهة وحفظًا للنفس والمال، فلما ظهر

الإسلام على البلاد التي حول المدينة ظهر النفاق في بعض الأعراب؛ لذا قال تعالى: (وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ)، ومع أنه ﷺ وأصحابه كانوا لا يعرفونهم على وجه التحديد واليقين، إلا أنه مع التعامل معهم أخذوا يسفرون عما في باطنهم، كما قال تعالى: (قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ) (آل عمران: ١١٨)، وقال سبحانه: (وَلَوْ نَشَاء لأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ) (محمد: ٣٠).

وقد يسر الله في آخر الغزوات غزوة تبوك التي فضحت المنافقين وكشفتهم، فأما من خرج منهم إلى الغزوة وأرادوا قتل النبي ﷺ، فقد عَرَّفهم لحذيفة بن اليمان وكانوا اثنا عشر رجلاً، وأما الذين تخلفوا عنه فقد اجتمعوا عند رجوعه في المسجد يعتذرون له، وكانوا نحو ثمانين، فعرَّف الله المنافقين لسائر المؤمنين بذلك، وكان حذيفة يمتنع عن الصلاة على من سماهم له رسول الله ﷺ. فلما مات النبي ﷺ ألقى الله على لسان عمر بن الخطاب كلمات هدد فيها الناس وصرخ يهدد المنافقين أن يضرب أعناقهم فاعتزل المنافقون في بيوتهم، فلم يشاركوا في الحياة العلمية ولا العملية للمسلمين؛ لذا فإنه لم ينقل عنهم من الحديث شيء، وإنما نقل عن الصحابة، والصحابة كلهم عدول. والله أعلم.

أطلت الكلام عن النفاق لتبرئة الصحابة رضوان الله عليهم، مع شدة خوفهم على أنفسهم، وهم أعلى الأمة إيمانًا، وإنما نال منهم أهل الضلال، ومن أخبثهم الشيعة- لعنهم الله- أما أهل السنة فهم يحبون الصحابة ويترضون عنهم جميعًا، ويسكتون عما شجر بينهم، والأمر يحتاج إلى مزيد تفصيل لا يتسع له المقام.

وإلى العدد القادم إن شاء الله تعالى لنتم الكلام حول حديث حنظلة الذي أخرجه الإمام مسلم. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(١) كُتَّاب النبي ﷺ:

أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وأبو سفيان بن حرب، وعمرو بن العاص، ويزيد بن أبي سفيان، وخالد بن الوليد، وأبان بن سعيد بن العاص، وأبي بن كعب، والأرقم بن أبي الأرقم، وبريدة بن الحصيب، وثابت بن قيس بن شماس، وجهيم بن الصلت، وجهيم بن سعد، وحنظلة بن الربيع، وحويطب بن عبد العزى، والحصين بن عمير، وحاطب بن عمر، وحذيفة بن اليمان، وخالد بن زيد، وخالد بن سعيد بن العاص، وزيد بن ثابت، وسعيد بن العاص، وشرحبيل بن حسنة، وعامر بن فهيرة، وعبد الله بن الأرقم، وعبد الله بن عبد الله بن أُبي بن سلول، وعبد الله بن رواحة، وعبد الله بن زيد، وعبد الله بن سعد بن أبي السرح، وعبد الله بن أسد، والعلاء بن الحضرمي، والعلاء بن عقبة، وعبد العزيز بن خطل (ارتد)، ومحمد بن مسلمة، ومعاوية بن أبي سفيان، ومعيقيب بن أبي فاطمة، والمغيرة بن شعبة.

(٢) حديث: «أكثر منافقي أمتي قراؤها» أخرجه أحمد وغيره عن عبد الله بن عمرو وعقبة بن عامر وغيرهما، وسنده صحيح، والمعنى ما يقع من الرياء- كما ذكر ابن الأثير فيما نقلناه- ويوضح ذلك حديث عقبة بن عامر عند أحمد مرفوعًا: «الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة، والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة». قال الترمذي: ومعنى هذا الحديث أن الذي يسر بقراءة القرآن أفضل من الذي يجهر بقراءة القرآن؛ لأن صدقة السر أفضل عند أهل العلم من صدقة العلانية. وإنما معنى هذا عند أهل العلم لكي يأمن الرجل من العجب؛ لأن الذي يسر بالعمل لا يخاف عليه العجب ما يخاف عليه من علانية. (انتهى كلام الترمذي).

ولما كان معلم القرآن لابد أن يجهر به ليعلم الناس ويسمعهم حذر النبي ﷺ من دخول النفاق عليه بقوله: «أكثر منافقي أمتي قراؤها» ليراقب نفسه فيخلص عليه لا ليمتنع عن التعليم لشدة حاجة الناس إليه ولعظم درجته عند الله. فالحديث فيه الوصية للقراء ودعوتهم للإخلاص حتى لا يضيع الأجر العظيم المعد لهم. والله أعلم.

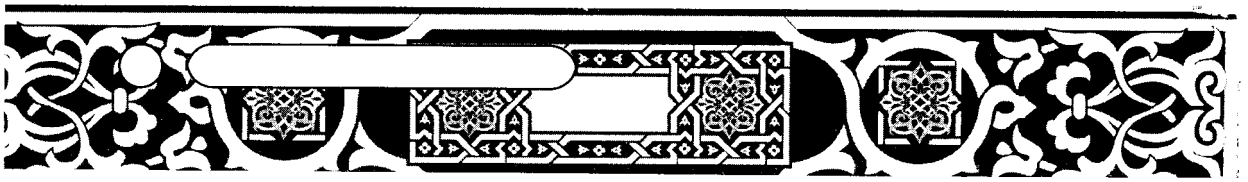

الإيمان قول وعمل

من أصول السنة والاعتقاد عند أهل السنة والجماعة أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.

وأصل الإيمان في لغة العرب تصديق القلب المتضمن للعلم بالمصدق به، قال تعالى حكاية عن إخوة يوسف: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ (يوسف: ١٧)، وأما تعريفه الشرعي: فهو جميع الطاعات الباطنة والظاهرة؛ فيتضمن اعتقاد القلب ونطق اللسان وعمل الجوارح، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة، خلافًا للمرجئة ومن قال بأقوالهم.

قال البخاري: وهو قول وفعل، ويزيد وينقص.

قال أحمد: السنة أن تقول: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص.

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن عدي: إن للإيمان فرائض وشرائع وحدودًا وسننًا، فمن استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان، فإن أعش فسأبينها لكم حتى تعملوا بها، وإن أَمُت فما أنا على صحبتكم بحريص.

وهذا متواتر عن أئمة العلم والسنة.

قال البخاري: لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار، فما رأيت أحدًا يختلف في أن الإيمان قول وعمل، ويزيد وينقص، والأدلة على ذلك في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ كثيرة، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ﴾ (الفتح: ٤)، وقال تعالى: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ (طه: ٧٦)،

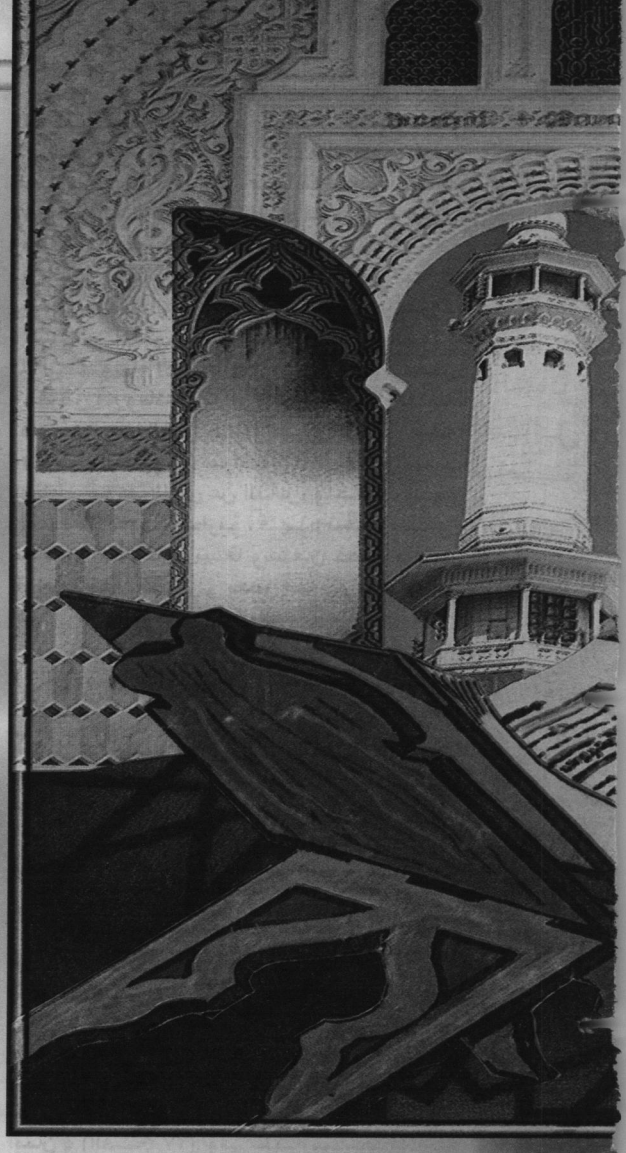

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٢٢).

وقد سأل أبو ذر رسول الله ﷺ عن الإيمان، فتلا عليه النبي ﷺ: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ

بقلم د. جمال المراكبي

وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءُ والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٧٧).

الفرق بين الإيمان والإسلام:

الإسلام لغة الانقياد، وشرعًا إذا أطلق غير مقترن بالإيمان، فيراد به الدين كله، قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ﴾.

أما إذا اقترن بالإيمان فيراد به الأعمال والأقوال الظاهرة، دون أمور الاعتقاد، كما في حديث سؤال جبريل.

قال تعالى: ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (الحجرات: ١٤).

والإيمان لغة التصديق، وشرعًا إذا أطلق على الانفراد غير مقترن بالإسلام فيراد به الدين كله اعتقادًا وقولًا وعملًا، كما بيَّنا من قبل. وإذا اقترن بالإسلام فإنه يفسر بالاعتقادات دون الأعمال والأقوال.

والحاصل أنه إذا أفرد كل منهما بالذِّكر فإنه يراد به الدين كله، فلا فرق بينهما حينئذ، بل كل منهما على انفراده يشمل الدين كله، وإن اجتمع الاسمان فيفرق بينهما على ما في حديث سؤال جبريل، فيراد بالإيمان الاعتقادات الباطنة، ويراد بالإسلام الأقوال والأعمال الظاهرة، ولهذا يقال عن هذين الاسمين: إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا.

قال ابن حجر: والكلام هنا في مقامين: أحدهما كونه قولاً وعملاً، والثاني كونه يزيد وينقص.

فأما القول فالمراد به النطق بالشهادتين، وأما العمل فالمراد به ما هو أعم من عمل القلب والجوارح ليدخل الاعتقادات والعبادات، ومراد من أدخل ذلك في تعريف الإيمان ومن نفاه إنما هو بالنظر إلى ما عند الله تعالى، فالسلف قالوا: هو اعتقاد بالقلب، ونطق باللسان، وعمل بالأركان، وأرادوا بذلك أن الأعمال شرط في كماله، ومن هنا نشأ لهم القول بالزيادة والنقص. والمرجئة قالوا: هو اعتقاد ونطق فقط. والكرامية قالوا: هو نطق فقط. والمعتزلة قالوا: هو العمل والنطق والاعتقاد.

والفرق بين المعتزلة وبين السلف أن المعتزلة جعلوا الأعمال شرطًا في صحته، والسلف جعلوها شرطًا في كماله.

وأما المقام الثاني، فذهب السلف إلى أن الإيمان

يزيد وينقص، وأنكر ذلك أكثر المتكلمين، وقالوا: متى قبل ذلك النقص كان شكًا. اهـ.

شُعب الإيمان

قال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضعٌ وستون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان». رواه البخاري. وفي رواية مسلم: «الإيمان بضع وستون، أو بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان».

وقد حاول جماعة من أهل العلم حصر هذه الشعب بطريق الاجتهاد واستقراء نصوص القرآن والسنة، وممن فعل ذلك ابن حبان، وعمر بن شاهين، والبيهقي، وابن حجر.

قال الحافظ: هذه الشعب تتفرع من أعمال القلب وأعمال اللسان وأعمال الجوارح.

فأعمال القلب فيها المعتقدات والنيات، وتشتمل على أربع وعشرين خصلة: الإيمان بالله، ويدخل فيه الإيمان بذاته وصفاته وتوحيده، بأنه ليس كمثله شيء، واعتقاد حدوث ما دونه، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره، والإيمان باليوم الآخر، ويدخل فيه المسألة في القبر، والبعث، والنشور، والحساب، والميزان، والصراط، والجنة والنار، ومحبة الله، والحب والبغض فيه، ومحبة النبي ﷺ، واعتقاد تعظيمه، ويدخل فيه الصلاة عليه، واتباع سنته، والإخلاص، ويدخل فيه ترك الرياء والنفاق، والتوبة، والخوف، والرجاء، والشكر، والوفاء، والصبر، والرضا بالقضاء، والتوكل، والرحمة، والتواضع، ويدخل فيه توقير الكبير ورحمة الصغير، وترك الكبر والعُجْب، وترك الحسد وترك الحقد، وترك الغضب.

وأعمال اللسان، وتشتمل على سبع خصال: التلفظ بالتوحيد، وتلاوة القرآن وتعلمه وتعليمه، والدعاء، والذكر، ويدخل فيه الاستغفار، واجتناب اللغو.

وأعمال البدن، وتشتمل على ثمان وثلاثين خصلة، منها ما يختص بالأعيان وهي خمس عشرة خصلة: التطهير حسًا وحكمًا، ويدخل فيه اجتناب النجاسات، وستر العورة، والصلاة فرضًا ونفلاً والزكاة كذلك، وفك الرقاب، والجود، ويدخل فيه إطعام الطعام، وإكرام الضيف والصيام فرضًا ونفلاً، والحج، والعمرة كذلك، والطواف، والاعتكاف، والتماس ليلة القدر، والفرار بالدين، ويدخل فيه الهجرة من دار الشرك، والوفاء بالنذر، والتحري في الأيمان، وأداء الكفارات، ومنها ما يتعلق بالأتباع، وهي ست خصال: التعفف بالنكاح، والقيام بحقوق العيال، وبر الوالدين، وفيه اجتناب العقوق، وتربية الأولاد، وصلة الرحم، وطاعة السادة، والرفق بالعبيد، ومنها ما يتعلق بالعامة، وهي سبع عشرة خصلة: القيام بالإمرة مع العدل، ومتابعة الجماعة، وطاعة أولي الأمر، والإصلاح بين الناس، ويدخل فيه قتال الخوارج والبغاة، والمعاونة على البر، ويدخل فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة الحدود، والجهاد، ومنه المرابطة، وأداء الأمانة، ومنه أداء الخُمس، والقرض مع وفائه، وإكرام الجار، وحسن المعاملة، وفيه جمع المال من حِله، وإنفاق المال في حقه، ومنه ترك التبذير والإسراف، ورد السلام، وتشميت العاطس، وكف الأذى عن الناس، واجتناب اللهو وإماطة الأذى عن الطريق، فهذه تسع وستون خصلة، ويمكن عدها تسعًا وسبعين خصلة باعتبار إفراد ما ضم بعضه إلى بعض مما ذكر، والله أعلم. اهـ.

الاستثناء في الإيمان:

من صفة أهل الحق الاستثناء في الإيمان، لا على جهة الشك، ولكن خوف التزكية لأنفسهم في الاستكمال للإيمان، وقد كان السلف الصالح ينكرون على من يجزم بالإيمان ويقولون له: أفأنت من أهل الجنة؟!

قال رجل لعلقمة: أمؤمن أنت؟ قال: أرجو إن شاء الله. وقال يحيى بن سعيد: ما أدركت أحدًا من أهل العلم إلا على الاستثناء.

وقال سفيان بن عيينة: إذا سُئل: أمؤمن أنت؟ إن شاء لم يُجبه، وإن شاء قال: سؤالك إياي بدعة، ولا أشك في إيماني.

وقال أحمد بن حنبل: إذا قال الرجل: أنا مؤمن إن شاء الله، فليس بشاك، فقيل له: إن شاء الله أليس هو شكًا؟ قال: معاذ الله، أليس قد قال الله تعالى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ (الفتح: ٢٧)، وفي علمه سبحانه أنهم يدخلون، ويُقال للمؤمن في قبره: «على اليقين كنت، وعليه مت، وعليه تبعث إن شاء الله». فأي شك هاهنا؟

وقال النبي ﷺ في دعاء زيارة القبور: «وإنا إن شاء الله بكم لاحقون».

وقال الآجري: إذا قال لك رجل: أمؤمن أنت؟ فقل: آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله والموت والبعث من بعد الموت والجنة والنار، وإن أحببت أن لا تجيبه فقل له: سؤالك إياي بدعة فلا أجيبك، وإن أجبته فقل: أنا مؤمن إن شاء الله، واحذر مناظرة مثل هذا، فإن هذا عند العلماء مذموم، واتبع من

مضى من أئمة المسلمين، تسلم إن شاء الله تعالى.

فاحذروا قول من يقول: أنا مؤمن عند الله، وأنا مؤمن مستكمل الإيمان، وأنا مؤمن حقًا، أو إيماني كإيمان جبريل وميكائيل، فهذه من بدع المرجئة، نعوذ بالله من البدعة، ونسأل الله تمام النعمة والهداية بأن يتوفانا على الإيمان والسنة وصالح العمل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: والناس لهم في الاستثناء ثلاثة أقوال: منهم من يحرمه كطائفة من الحنفية ويقولون: من يستثني فهو شاك، ومنهم من يوجبه كطائفة أهل الحديث. ومنهم من يجوزه أو يستحبه. وهذا من أعدل الأقوال، فإن الاستثناء له وجه صحيح، فمن قال: أنا مؤمن إن شاء الله، وهو يعتقد أن الإيمان فعل جميع الواجبات، ويخاف أن لا يكون قائمًا بها فقد أحسن، ولهذا كان الصحابة يخافون النفاق على أنفسهم.

ومن اعتقد أن المؤمن المطلق هو الذي يستحق الجنة فاستثنى خوفًا من سوء الخاتمة فقد أصاب، ومن استثنى خوفًا من تزكية نفسه أو مدحها، أو تعليق الأمور بمشيئة الله فقد أحسن.

ومن جزم بما يعلمه أيضًا في نفسه من التصديق فهو مصيب. اهـ.

صفات المؤمنين في كلام رب العالمين

قال تعالى: ﴿الم. ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ. الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ. وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ. أُوْلَـئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (البقرة: ١- ٥).

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ. وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران: ١٣٤، ١٣٥).

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ. رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ. رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ. رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ (آل عمران: ١٩١- ١٩٤).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ (الأعراف: ٢٠١).

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ. الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ. أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (الأنفال: ٢- ٤).

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلاَ يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ. وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ. وَالَّذِينَ صَبَرُواْ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَـئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (الرعد: ٢٠- ٢٢).

وقال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاَمًا. وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا. وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا. إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا. وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا. وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا. يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا. إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَـئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا. وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا. وَالَّذِينَ لاَ يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا. وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا. وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا. أُوْلَـئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلاَمًا. خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ (الفرقان: ٦٣- ٧٦).

وأخيرًا فهذا غيضٌ من فيض، وصفات المؤمنين في كلام رب العالمين أعظم من أن نحيط بها في هذه العجالة، فاحرص أخي المؤمن على تدبر هذه الآيات، واستعن بالله على تحصيل هذه الصفات.

نسأل الله الهداية والتوفيق.

○○○

بقلم د. جمال المراكبي

محبة الله عز وجل

الحب نقيض البغض، والحب والود بمعنى واحد. قال القاضي عياض: حقيقة المحبة الميل إلى ما يوافق الإنسان وتكون موافقته له إما لاستلذاذه بحسه كحب الصور الجميلة والأصوات الحسنة والأطعمة والأشربة اللذيذة. وإما لاستلذاذه بإدراكه بعقله وقلبه معاني شريفة كحب العلم والعلماء وحب الصالحين.

وإما أن يكون حبه إياه لموافقته له من جهة إحسانه له وإنعامه عليه، فقد جبلت النفوس على حب من أحسن إليها.

والحب ثمرة من ثمرات الإدراك والمعرفة، لأجل هذا يتفاوت الناس في حبهم للأشياء والأشخاص تبعًا لتفاوتهم في الإدراك والمعرفة، فإذا كانت وسائل الإدراك سليمة أحب الإنسان ما ينفعه، وإلا أحب الضار يحسبه نافعًا.

ودواعي المحبة وأسبابها ترجع إلى أمور ثلاثة:

أولها: ما قام بالمحبوب من صفات تدعو إلى محبته.

والثاني: ما قام بالمحب من شعور بهذه الصفات وإحساس بها.

الحلقة الأولى

الثالث: موافقة بين المحب والمحبوب، فإن الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف. ولهذا فإن النفوس الزكية الشريفة تحب صفات الكمال، أما النفوس الدنية اللئيمة فتعشق كل قبيح.

أنواع المحبة:

١- **محبة طبيعية غريزية:** كحب المال والأهل والولد، وهي مباحة ما لم تشغل عن طاعة الله عز وجل، ولم تعن على ما حرم الله، وإلا كانت ضارة مهلكة.

قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [آل عمران: ١٤].

وقال: ﴿كَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ. وَتَذَرُونَ الآخِرَةَ﴾ [القيامة: ٢٠، ٢١].

وقال: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: ٢٠].

وقال: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٨].

وقال سبحانه: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ [يوسف: ٣٠].

وفي الصحيح: «لا يزال قلب الكبير شابًا في اثنتين: حب الدنيا، وطول الأمل».

ولقد أباح الله لعباده الطيبات من الرزق، وحرم عليهم كل خبيث، وأمرهم باكتساب الطيبات، ولم يمنع من محبتها والتلذذ بها على

الوجه المأذون فيه، والواجب على كل عاقل أن يقيد هذه المحبة ويضبطها بضابط الشرع؛ حتى لا تكون سببًا في هلاكه وضياع آخرته.

٢- **محبة شركية**؛ وهي محبة الأنداد مع الله عز وجل. قال تعالى:﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

٣- **محبة نفاق**؛ وهي محبة الباطل وأهله، وكراهية الحق وأهله، ومحبة أن تشيع الفاحشة بين المؤمنين، وأن يرتدوا عن دينهم، قال تعالى:﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ١٩]. وقال:﴿ وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾ [البقرة: ١٢٠].

٤- **محبة شرعية إيمانية** لله ولرسوله ولدينه ولأوليائه؛ وهذه المحبة هي معقد العبودية وأوثق عرى الإيمان.

وحب الله تعالى أصل كل محبة، فالله سبحانه وتعالى هو الموصوف بكل صفات الكمال والجلال والعظمة، وهو سبحانه المتفضل بكل صنوف النعم والإحسان، قال تعالى:﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]. وقال:﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [النحل: ١٨].

ولهذا لا يجوز بحال أن نسوي بين الله وبين غيره في المحبة، كما يفعل المشركون؛ لأن الله سبحانه لا مثيل له:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

فالمحبوب لذاته هو الله، ومحبة غيره تابعة لمحبته سبحانه، كمحبة رسوله وأوليائه، قال تعالى:﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

تقديم محبة الله على كل محبة:

وإذا أحب العبد ربه، وقدم محبته على كل محبة، وعلى كل محبوب، فقد ذاق طعم الإيمان، ووجد حلاوته، ولهذا فإنه لا يفرط في هذا الإيمان وفي هذه المحبة بحال من الأحوال، قال النبي ﷺ: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًا». مسلم.

وقال ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار». متفق عليه.

محبة الله للمؤمنين:

الله سبحانه وتعالى يحب عباده المؤمنين ويواليهم ويتقرب إليهم مثلما يحبونه ويوالونه ويتقربون إليه، فالمحبة من الله صفة من صفاته تليق به سبحانه وتعالى، نؤمن بها ولا نؤول ولا نكيف، فإذا أحب الله عبدًا جعل محبته في قلوب أوليائه، ووضع له القبول في الأرض، ففي الصحيح: «إذا أحب الله عبدًا نادى جبريل فقال: إني أحب فلانًا فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض الله عبدًا نادى جبريل: إني أبغض فلانًا فأبغضه، فيبغضه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء: إن الله يبغض فلانًا فأبغضوه، فيبغضه أهل السماء، ثم توضع له البغضاء في الأرض».

الأسباب الجالبة لمحبة الله عز وجل:

بيّن لنا المولى سبحانه في كتابه أنه يحب المحسنين، ويحب المتقين، ويحب التوابين، ويحب المتطهرين، ويحب الصابرين، ويحب المتوكلين، ويحب المقسطين، قال تعالى:﴿ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وقال:﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ. الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣، ١٣٤]، وقال سبحانه:﴿ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤]، وقال:﴿ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ

فَاسْتَقِيمُواْ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٧]، وقال تعالى:﴿ فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاء فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىَ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، وقال سبحانه:﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨].

وقال عز وجل:﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦]، وقال تعالى:﴿ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤].

وقال سبحانه:﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقال سبحانه:﴿ وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢]، وقال:﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩].

وقال عز وجل:﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

الأسباب التي تجلب بغض الله وعدم محبته:

كذلك بيّن لنا سبحانه أنه لا يحب المعتدين، ولا يحب الفساد ولا المفسدين، ولا يحب كل كفار أثيم، ولا يحب الظالمين، ولا كل مختال فخور، ولا كل خوان أثيم، ولا يحب الخائنين، ولا المستكبرين، ولا المسرفين، فقال سبحانه:﴿ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠]، وقال:﴿ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥]، وقال:﴿ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [النساء: ٦٤]، وقال:﴿ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة: ٢٧٦]، وقال:﴿ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ٥٧]، وقال:﴿ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦]، وقال:﴿ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ [النساء: ١٠٧]، وقال:﴿ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨]، وقال:﴿ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النحل: ٢٣]،﴿ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١].

حرص الصحابة على تحقيق الأسباب الجالبة لمحبة الله

لقد حرص الصحابة على تحقيق الأسباب الجالبة لمحبة الله عز وجل، فكانوا يحرصون على التخلق بالأخلاق التي أمر بها الله سبحانه وحث عليها، ويسألون النبي ﷺ عن الأعمال التي تقرب إلى الله عز وجل.

أحب الناس إلى الله!!

جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، أي الناس أحب إلى الله؟ وأي الأعمال أحب إلى الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دَينًا، أو تطرد عنه جوعًا». (الصحيحة: ٩٠٦).

وقال ﷺ: «أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل». وبيّن لنا المولى تبارك وتعالى أن أداء الفرائض والاجتهاد في نوافل الطاعات هو سبيل الوصول إلى محبة الله عز وجل، فقال في الحديث القدسي: «وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه». البخاري.

ما أجمل وما أعظم محبة الله عز وجل، وما أجمل أن يتلاقى المحبون لله عز وجل على طاعته وابتغاء مرضاته، وما أجمل أن يتحابوا في الله ويتباذلوا فيه، فإنه سبحانه يحب ذلك منهم، ويحبهم لأجل ذلك، كما قال سبحانه في الحديث القدسي: «وجبت محبتي للمتحابين فيّ، والمتجالسين فيّ، والمتزاورين فيّ، والمتباذلين فيّ».

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

بقلم د. جمال المراكبي

محبة الله عزوجل

أصل المحبة المحمودة التي أمر الله بها وخلق الخلق لأجلها هي ما في عبادته وحده لا شريك له، إذ العبادة متضمنة لغاية الحب بغاية الذل.

فحب الله وعبادته وحده لا شريك له أصل السعادة في الدارين، وأهل التوحيد الذين أحبوا الله وعبدوه وحده لا شريك له لا يبقى منهم في العذاب أحد.

والذين اتخذوا من دونه أندادًا يحبونهم كحبه، وعبدوا غيره هم أهل الشرك الذين لا يغفر الله عز وجل لهم أبدًا ويخلدهم في النار: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

الحلقة الثانية

المحبة النافعة والمحبة الضارة

فكل عمل لا بد أن يصدر عن محبة وإرادة، فالمحبة المحمودة النافعة هي التي تجلب لصاحبها ما ينفعه وهو السعادة، والمحبة الضارة هي التي تجلب لصاحبها ما يضره وهو الشقاء، والعاقل العالم لا يختار أن يحب ما يضره، فإن فعل ذلك فعن جهلٍ وظلم، أو عن اعتقاد فاسد واتباع للهوى.

فالذي يحب لقاء قريب من رحمِه فمحبته محمودة، وهذا من صلة الرحم التي هي شجنة من الرحمن، لكن إن اتبع هواه، حتى خرج عن حدود العدل بين ذوي القربى وغيرهم كان هذا ظلمًا، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ [الأنعام: ١٥٢].

والذي يحب الطعام والشراب والنساء فحبه هذا محمود وبه ينصلح حال بني آدم، ولولا ذلك لما استقامت الأنساب ووجدت الذرية، ولكن يجب العدل والقصد في ذلك وضبطه بميزان الشرع: ﴿وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ١٣١]، ﴿إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ. فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ [المؤمنون: ٦، ٧]، ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [آل عمران: ١٤]، ﴿كَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ. وَتَذَرُونَ الآخِرَةَ﴾ [القيامة: ٢٠، ٢١].

قال السعدي رحمه الله: هذا الذي أوجب لكم الغفلة والإعراض عن وعظ الله وتذكيره لكم أنكم تحبون العاجلة وتسعون فيما يحصلها وفي لذاتها وشهواتها وتؤثرونها على الآخرة، فتذرون العمل لها؛ لأن الدنيا نعيمها ولذاتها عاجلة، والإنسان مولع بحب العاجل، والآخرة متاخر ما فيها من النعيم المقيم، فلذلك غفلتم عنها وتركتموها كأنكم لم تخلقوا لها، وكان هذه الدار هي دار القرار التي تبذل فيها نفائس الأعمار، ويسعى لها آناء الليل والنهار، وبهذا انقلبت عليكم الحقيقة، وحصل من الخسارة ما حصل.

فلو آثرتم الآخرة على الدنيا ونظرتم للعواقب

نظر البصير العاقل، لأنجحتم وربحتم ربحًا لا خسار معه، وفزتم فوزًا لا شقاء يصحبه. انتهى كلامه رحمه الله.

ولهذا نعى الله على المعرضين عن الآخرة بقوله: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلاً﴾ [الإنسان: ٢٧]، وأهل الدنيا العاملون لها على حساب الآخرة يندمون على ذلك يوم القيامة أشد الندم، فبعد أن كانوا في الدنيا معرضين عن اتباع الرسول، يحبون العاجلة ويذرون الآخرة، يحبون المال حبًا جمًا، تراهم في الآخرة يعضون الأصابع من الندم، يوم لا ينفع الندم: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ۝ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر: ٢٣، ٢٤]، ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً. يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَنًا خَلِيلاً. لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولاً﴾ [الفرقان: ٢٧- ٢٩]. اهـ.

المستحق للعبادة والمحبة!!

لا يستحق أحد أن يُعبد ويطاع على الإطلاق إلا الله وحده لا شريك له، وإنما نطيع رسله لأنهم يأمرون بطاعته، ونطيع أولي الأمر إذا أمروا بطاعته.

وعبادة اللَّه صادرة عن حبه جل وعلا: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي...﴾ [آل عمران: ٣١]، وكما أن أعظم ما ينال العبد من المحبات محبة اللَّه تعالى لعباده المؤمنين، حتى أنه سبحانه يتوعد من عادهم: «من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب..». فكذلك فإن أعظم محبات المؤمنين محبتهم لربهم عز وجل، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

ولهذا لم يرض الله إلا بأن يكون هو ورسوله أحب إليهم من الأهل والمال والولد، فقال سبحانه: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ [التوبة: ٢٤]، وقال: ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤].

ومن حقق هذه المحبة فقد حقق الإيمان وتذوق حلاوته، قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار».

وإذا كان أصل الإيمان العملي هو حب الله تعالى وحب رسوله، وحب الله أصل التوحيد العملي، وهو أصل التأليه الذي هو عبادة الله وحده لا شريك له، فإن العبادة أصلها أكمل أنواع المحبة مع أكمل أنواع الخضوع، وهذا هو الإسلام.

وأعظم الذنوب عند الله الشرك به، وهو سبحانه لا يغفره أبدًا، وأصل الإشراك العملي هو الإشراك باللَّه في المحبة، فالمؤمنون أخلصوا دينهم ومحبتهم وطاعتهم لله عز وجل، والمشركون اتخذوا من دون اللَّه أندادًا يحبونهم كحب الله.

ومحبة الرسول ﷺ هي من محبة الله، وكذلك كل حب في اللَّه، قال ﷺ: «من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله، فقد استكمل الإيمان».

فمحبة ما يحبه الله لله من الأعيان والأعمال من تمام المحبة لله، وهو الحب في الله ولله.

ومحبة ما يحبه الله من الأعمال الظاهرة والباطنة (وهي الواجبات والمستحبات)، من محبة الله وهذا يوجب محبة الله لعبده، كما في حديث الولاية.

ومحبة كلام الله وأسمائه وصفاته كما في حديث سورة الإخلاص، وكذلك محبة ملائكة اللَّه وأنبيائه وعباده الصالحين: «اللهم إني أسالك حبك، وحب من يحبك، وحب كل عملٍ يقربني إلى حبك». رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح.

بل محبة الله مستلزمة لمحبة ما يحبه من الواجبات، فإن اتباع الرسول من أعظم ما أوجبه الله على عباده وأحبه، وهو سبحانه أعظم بغضًا لمن أعرض عن اتباع نبيه، فمن كان صادقًا في دعوى محبة اللَّه اتبع رسوله لا محالة، وكان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وقدم محبتهما على محبته للأهل والمال والولد: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ. قُلْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ

اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣١، ٣٢].

قال ابن القيم رحمه الله: لما كثر المدعون للمحبة طولبوا بإقامة البينة على صحة الدعوى، فالبينة على من ادعى، ولو يعطى الناس بدعواهم لادَّعى الخليُّ حرقة الشجيِّ، فتنوع المدعون في الشهود، فقيل لهم: لا تثبت هذه الدعوى إلا ببينة، ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾.

فتأخر الخلق كلهم وثبت أتباع الرسول في أفعاله وأقواله وهديه وأخلاقه.

فطولبوا بعدالة البينة، وقيل: لا تقبل العدالة إلا بتزكية، ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ﴾، فتأخر أكثر المدعين للمحبة، وقام المجاهدون.

فقيل لهم: إن نفوس المحبين ليست لهم، فسلِّموا ما وقع عليه العقد، فإن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، وعقد البيع يوجب التسليم من الجانبين، فلما رأى التجار عظمة المشترى، وقدر الثمن وجلالة قدر من جرى عقد التبايع على يديه، ومقدار الكتاب الذي أثبت فيه هذا العقد، عرفوا أن للسلعة قدرًا وشأنًا ليس لغيرها من السلع، فرأوا من الخسران البين والغبن الفاحش أن يبيعوها بثمن بخس دراهم معدودة، تذهب لذتها وشهوتها وتبقى تبعتها وحسرتها، فإن فاعل ذلك معدود في جملة السفهاء، فعقدوا مع المشتري بيعة الرضوان رضًى واختيارًا من غير ثبوت خيار، وقالوا: والله لا نقيلك ولا نستقيلك، فلما تم العقد وسلموا المبيع قيل لهم: قد صارت أنفسكم وأموالكم لنا، والآن فقد رددناها عليكم أوفر ما كانت وأضعاف أموالكم معها: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ٦٩]. اهـ.

أثر الذنوب على المحبة!!

والذنوب تنقص من محبة العبد لله تعالى بقدر حجم الذنب، ولكن الذنوب لا تزيل المحبة لله ورسوله إذا كانت ثابتة في القلب، ولم تكن الذنوب عن نفاق كما في صحيح البخاري في قصة الرجل الذي كان يشرب الخمر، وكان النبي ﷺ يقيم عليه الحد، فلما كثر ذلك منه، لعنه رجلٌ، فقال النبي ﷺ: «لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله».

فكما أن المحبة الواجبة تستلزم فعل الواجبات وترك المحرمات، والمحبة المستحبة تستلزم فعل المستحبات وترك المكروهات، فالمعاصي تنقص المحبة.

تعصي الإله وأنت تزعم حبه
هذا محالٌ في القياس شنيعُ
لو كان حبك صادقًا لأطعته
إن المحب لمن أحب مطيعُ

ولهذا قال النبي ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن».

والمحبوبات المعظمة من دون الله عز وجل أثبت الشارع فيها اسم العبادة، كما في الحديث: «تعس عبد الدرهم، تعس عبد الدينار».

فإذا كان الإنسان مشغوفًا بمحبة بعض المخلوقات لغير الله، كان فيه من التعبد بقدر ذلك، ولهذا قد يطيع هذا المحب لغير الله محبوبه أكثر مما يطيع الله، حتى يطلب القتل في سبيله، كما يختار المؤمن القتل في سبيل الله، ولهذا قال النبي ﷺ: «مدمن الخمر كعابد وثن» صححه الألباني.

قيل لسفيان بن عيينة: إن أهل الأهواء يحبون ما ابتدعوه حبًا شديدًا، فقال: أنسيتَ قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾، ﴿وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾.

ومحبة الله توجب المجاهدة في سبيله، فإن من أحب الله وأحبه الله أحب ما يحبه الله، وأبغض ما يبغضه الله، ووالى من يواليه الله، وعادى من يعاديه الله.

ومودة أعداء الله تنافي محبة الله تعالى، قال تعالى: ﴿لاَ تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُواْ آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

فأخبر سبحانه أن المؤمن الذي تمكن حب الله وحب رسوله منه لا يكون مُوادًا محبًا لمن حاد الله ورسوله، فإن هذا جمع بين الضدين. والجمع بين الضدين محال، والله أعلم.

بقلم د. جمال المراكبي

حسبنا الله ونعم الوكيل

حسبنا الله ونعم الوكيل... على الله توكلنا، لا نملك غيرها، ولا نعتمد إلا على ربنا وخالقنا أمام هذا الهجوم الضاري على المسلمين في جميع أنحاء العالم، القاذفات الفتاكة تدك الحصون وتخترق الكهوف، وتقتل الأبرياء في أفغانستان بدعوى ملاحقة الإرهاب، والدبابات والمروحيات تدك المنازل في فلسطين لإسكات صوت الانتفاضة الباسلة، والمسلمون في أوروبا وأمريكا يتعرضون لهجمات ضارية؛ الهدف منها عزل هؤلاء المسلمين عن دينهم وأمتهم، فعلى المرأة المسلمة أن تخلع حجابها حتى لا تتعرض لاضطهاد!! وعلى صاحب اللحية أن يحلق لحيته، خاصة إذا كان ينتمي إلى أصول شرقية؛ لأن هدي النبي ﷺ صار متهمًا!! والإرهاب هو التهمة الموجهة لكل ما هو إسلامي!! ولا يجد المسلم المستقيم المتمسك بسنة نبيه ﷺ إزاء هذه الفتن إلا أن يردد ما قاله خليل الرحمن إبراهيم حين ألقاه المشركون في النار: «حسبنا الله ونعم الوكيل»، حقًا، وصدقًا، ويقينًا.

روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم، فزادهم إيمانًا، وقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل». [البخاري، ك التفسير (ح٤٥٦٣)].

وقال: «كان آخر قول إبراهيم حين ألقي في النار: حسبي الله ونعم الوكيل». [البخاري (ح٤٥٦٤)].

إن لنا في خليل الرحمن أسوة، كما قال لنا ربنا عز وجل: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ [الممتحنة: ٤]، وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ. رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الممتحنة: ٤- ٦].

ونحن على ثقة تامة في نصر الله لعباده المؤمنين، كما نصر عبده ورسوله وخليله إبراهيم، ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ. قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلاَمًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ. وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ﴾ [الأنبياء: ٦٨- ٧٠]، ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ. فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَسْفَلِينَ﴾ [الصافات: ٩٧، ٩٨].

ولنا في رسولنا محمد ﷺ قدوة، فقد

خرج المسلمون يوم أُحد من المعركة وقد أصابهم القرح، قتل منهم سبعون، اتخذهم الله شهداءَ، وتعرض أكثرهم للجراح، وكانت جراح النفس أعظم، ولكن الهزيمة لم تؤثر في إيمانهم بالله، فلما علا صوت الكفر يردد «اعل هبل»، قال لهم النبي ﷺ: «ألا تجيبونه؟ قولوا: اللَّه أعلى وأجل، الله مولانا ولا مولى لكم»، فرددها المؤمنون واثقين في المولى العلي العظيم العزيز الحكيم، الذي قال لهم في كتابه: ﴿وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ. إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ. وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ. أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩- ١٤٢].

ولهذا أمرهم النبي ﷺ بالخروج من المدينة لتتبع فلول المشركين في اليوم التالي للمعركة، فخرجوا جميعًا مستجيبين لله ولرسوله، ولم يعبأوا بجراحاتهم وآلامهم، فلما أراد الشيطان تخويفهم بأوليائه من المشركين وبما جمعوا لهم من عدد وعدة لم يجدوا إلا هذه الكلمة التي تعبر عن صدق إيمانهم بالله وحسن توكلهم عليه، فقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، فكفاهم الله ما أهمهم، ونصرهم على عدوهم، ومكن لهم في الأرض، ومدحهم الله في كتابه، فقال: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِلّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَاتَّقَواْ أَجْرٌ عَظِيمٌ. الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ. فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ. إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٢- ١٧٥].

فالله سبحانه وتعالى يكفي من توكل عليه كل ما أهمه، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣]، وقال: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦].

يتعرض المسلمون في أمريكا وأوربا لهجمات شرسة تهدف إلى عزلهم عن دينهم وأمتهم، والإرهاب أصبح التهمة الموجهة لكل ما هو إسلامي !!

بلى إنه حسبنا وكافينا وولينا، وهو نعم المولى ونعم النصير، نشكو إليه ضعفنا وعجزنا وقلة حيلتنا، قد أسلمنا النفوس إليه، ووجهنا الوجوه إليه، وفوضنا أمورنا إليه، وألجأنا ظهورنا إليه، راغبين إليه، راهبين خائفين منه، لا ملجأ لنا ولا منجى ولا ملاذ إلا إليه، هو الذي نصر أصحاب طالوت وهم قلة، ونصر المؤمنين في يوم بدر وهم أذلة، ونصرهم يوم الأحزاب وهم محاصرون، ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرًا، وهو سبحانه وتعالى القادر على نصرة أوليائه المؤمنين.

الصراع بين الحق والباطل

يحلو للبعض أن يصف الأحداث المتلاحقة بأنها تنذر بصراع بين الحضارات، ويُعيد البعض ذكرى الحروب الصليبية، وينتفض

العلمانيون في كل مكان ويقولون: إنها حضارة واحدة، تضم الجميع في عصر العولمة والإنترنت والنظام العالمي الجديد، وأنا أتساءل بدوري: متى خلا العالم من الصراع؟ ومتى خفت حدته، إن الله سبحانه وتعالى أقام الحياة الدنيا على أساس الابتلاء.

والصراعُ بين الحق والباطل وبين الكفر والإيمان باق أبدًا إلى قيام الساعة، ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الشورى: ١٧].

إنها قريبة جدًا، والصراع قبلها عظيم، ولا نملك إلا أن نقول: حسبنا الله ونعم الوكيل.

يحدثنا النبي ﷺ عن قرب الساعة، فيقول: «كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن، وحنى ظهره ينتظر متى يؤمر بالنفخ فينفخ».

فكأن ذلك ثقل على أصحاب النبي ﷺ، فقال لهم: قولوا: «حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا». [الترمذي، وحسنه الألباني].

أما صراع الكفر مع الإيمان فلن ينتهي حتى قيام الساعة، حتى يتجمع أهل الحق وهم قلة مع المسيح عيسى ابن مريم، ويتجمع أهل الباطل مع المسيح الدجال، عندها يقاتل المسلمون اليهود، فينادي الحجر وينادي الشجر: يا مسلم، يا عبدالله، هذا يهودي ورائي فاقتله.

روى مسلم في صحيحه عن يسير بن جابر قال: هاجت ريحٌ حمراء بالكوفة، فجاء رجلٌ فقال: يا عبدالله بن مسعود، جاءت الساعة، قال: فقعد وكان متكئًا، فقال: إن الساعة لا تقوم، حتى لا يُقسم ميراثٌ، ولا يُفرح بغنيمة، ثم قال بيده هكذا (ونحَّاها نحو الشام) فقال: عدوٌّ يجمعون لأهل الإسلام ويجمع لهم أهل الإسلام، قُلْتُ: الروم تعني؟ قال: نعم، وتكون عند ذاكم القتال ردةٌ شديدةٌ، فيشترط المسلمون شُرطةً للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليلُ، فيفيءُ هؤلاء وهؤلاء، كل غيرُ غالبٍ، وتفنى الشرطةُ، ثم يشترط المسلمون شرطةً للموت، لا ترجعُ إلا غالبةً، فيقتتلون، حتى يحجز بينهم الليلُ، فيفيءُ هؤلاء وهؤلاء، كلٌّ غير غالب، وتفنى الشرطة، ثم يشترط المسلمون شرطةً للموت، لا ترجع إلا غالبةً، فيقتتلون حتى يمسوا، فيفيءُ هؤلاء وهؤلاء، كل غيرُ غالب، وتفنى الشرطةُ، فإذا كان يوم الرابع، نهد إليهم بقيةُ أهل الإسلام، فيجعل الله الدبرة عليهم، فيَقْتُلون مقتلةً- إما قال لا يُرى مثلها، وإما قال لم يُرَ مثلها- حتى إن الطائر ليمرُّ بجنباتهم، فما يخلفهم حتى يَخِرَّ ميتًا، فيتعادُّ بنو الأب، كانوا مائة فلا يجدونه بقي منهم إلا الرجل الواحد، فبأي غنيمة يفرحُ؟ أو أي ميراث يقسم؟ فبينما هم كذلك إذ سمعوا ببأس، هو أكبر من ذلك، فجاءهم الصريخُ؛ إن الدجال قد خلفهم في ذراريهم فيرفضون ما في أيديهم، ويُقبلون، فيبعثون عشرة فوارس طليعةً، قال رسول الله ﷺ: «إني لأعرفُ أسماءهُمْ، وأسماء آبائهم، وألوان خيولهم، هم خيرُ فوارسَ على ظهر الأرض يومئذٍ، أو من خير فوارس على ظهر الأرض يومئذٍ» ويبقى الصراع ويستمر حتى يفتح الله، والله حسبنا ونعم الوكيل.

صراع الكفر مع الإيمان لن ينتهي حتى قيام الساعة، وحتى يتجمع أهل الحق وهم قلة مع المسيح عيسى بن مريم، وأهل الباطل مع المسيح الدجال !!

بقلم د. جمال المراكبي

التوكل على الله

التوكل لغةً مصدر توكل، يتوكل، مأخوذ من مادة وكل، التي تدل على اعتماد على الغير في أمر من الأمور.

قال الراغب: التوكيل أن تعتمد على غيرك وتجعله نائبًا عنك. يُقال: وكل فلان أمره إلى فلان، أي: فوض أمره إليه واعتمد فيه عليه، فالتوكل عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل.

ولا يتوكل الإنسان على غيره إلا إذا اعتقد فيه أشياء: الشفقة والقوة والهداية، فيعلم أن الوكيل يسعى لتحقيق ما ينفعه ويصلحه، ويقدر على تحقيق ذلك، ويعلم السبيل الموصل إلى ذلك، فيثق في قدرته، ويفوض الأمر إليه، والتوكل على اللّه سبحانه يرتكز على علم العبد أن الله كافلُ رزقِهِ ومدبرُ أمره، فيثق في تدبير ربه، ويركن إليه وحده، ولا يتوكل على غيره.

الإيمان والتوكل

التوكل عمل قلبي من أجَلِّ أعمال القلوب وشعبة من شعب الإيمان، يرتكز على معرفة بالله عز وجل الذي لا رب سواه ولا إله غيره، وإيمان بقدرة الله عز وجل الذي له ملك كل شيء يدبر الأمور بحكمته وهو على كل شيء قدير، وإيمان بفضل الله ورحمته وإنعامه على عبده، ولهذا فعلى قدر يقين العبد بتوحيد الرب وقدرته ورحمته يكون توكله على ربه، ويظهر ذلك جليًا في فهمه لكلمة التوحيد: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير».

قال ابن القيم: التوكل حال مركبة من مجموع أمور لا يتم إلا بها، أولها: معرفة بالرب وصفاته من العلم والقدرة والقيومية.

الثاني: الأخذ بالأسباب، فإن الله عز وجل جعل لكل شيء سببًا.

الثالث: رسوخ القلب في مقام التوحيد، فلا يلتفت إلى غير الله عز وجل.

الرابع: اعتماد القلب على الله، فلا يتعلق بالأسباب، ولكن يعتمد على مدبر الأمر ومسبب الأسباب.

الخامس: أن يحسن العبد ظنه بربه ومولاه، فيعتقد أن تدبيرالله عز وجل له خير من تدبيره لنفسه.

السادس: أن يستسلم لهذا التدبير.

السابع: أن يفوض الأمور كلها لله عز وجل.

الثامن: أن يرضى بقضاء الله عز وجل.

الاستخارة تدريب على التوكل

كان النبي صلى اللّه عليه وسلم يُعَلِّم أصحابه الاستخارة كما يعلمهم السورة من القرآن، لما في صلاة الاستخارة ودعائها من تدريب وتعويد على التوكل على الله، فالمستخير يُعلن عن عجزه عن اختيار ما ينفعه، فيلجأ إلى ربه يطلب منه سبحانه بما لديه من علم تام وقدرة بالغة أن يختار له ما ينفعه وما يصلحه، ثم يثق في اختيار الله عز وجل له، ويرضى بما قدره الله عز وجل له.

وهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم في دعاء الاستخارة: «اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم»، فهذا توكلٌ وتفويض: «فإنك تعلمُ ولا أعلم، وتقدر ولا أقدر وأنت علام الغيوب»، فهذا تبرؤ إلى الله من العلم والحول والقوة، وتوسل إليه سبحانه بصفاته التي هي أحب ما توسل إليه بها المتوسلون، ثم سأل ربه أن يقضي له ذلك الأمر إن كان فيه مصلحته عاجلاً أو آجلاً وأن يصرفه عنه إن كان فيه مضرته عاجلاً أو آجلاً، فهذه حاجته التي سألها، فلم يبق عليه إلا الرضى بما يقضيه الله عز وجل له، «واقدر لي الخير حيث كان، ثم رضني به». [مدارج السالكين (٢/١٢٨)].

وغالب أدعية النبي صلى الله عليه وسلم ترشد العبد إلى صدق اللجوء إلى الله والاعتماد عليه في حوائج الدنيا والآخرة، والتبرؤ من حوله وقوته وعلمه وقدرته إلى حول الله تعالى وقوته وعلمه وقدرته وطلب الخير حيث كان والرضى بقضاء الله عز وجل. فمن ذلك.

«اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيرًا لي، اللهم وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الحق في الرضى والغضب، وأسألك القصد في الغنى والفقر، وأسألك نعيمًا لا ينفد، وأسألك قرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضى بعد القضاء، وأسألك برد العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين». [النسائي].

التوكل على الله من أفضل الأعمال القلبية بعد الإيمان واليقين، فلا يقوم الدين إلا على أساس التوكل

الله سبحانه وتعالى نعم الوكيل

والوكيل من أسمائه الحسنى، وهو الذي يتوكل عليه المؤمنون، فيفوضون الأمور كلها إليه ليأتي بالخير، ويدفع الشر، ولهذا فإن من الشرك بالله أن يتخذ الإنسان وكيلاً من دون الله عز جل، وقد جاءت آيات القرآن لتحذر من ذلك أشد تحذير، قال تعالى: ﴿وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلاَّ تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلاً﴾ [الإسراء: ٢]، وقد نفى المولى تبارك وتعالى هذا عن غيره حتى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ [الزمر: ٤١].

فالوكيل المفوض في كل الأمور هو الله عز وجل، ولهذا أمر عباده بالتوكل عليه، فقال: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾ [الأحزاب: ٣]، وقال: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً. رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً﴾ [المزمل: ٨، ٩].

والله سبحانه وتعالى حيٌّ قيوم لا يغفل عن التصريف والتدبير، وهو سبحانه وتعالى عزيزٌ لا يُغلب، فلا يذل من استجار به، ولا يضيع من لاذ بجنابه، حكيمٌ يضع كل شيء في نصابه ولا يقصر عن تدبير أمر من توكل على تدبيره، رحيمٌ أرحم بعبده المؤمن من الوالدة بولدها، فلا يدبر إلا ما يصلحه في الدنيا والآخرة، ولهذا جاءت آيات التوكل مقرونة بهذه الصفات وأمثالها، قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لاَ يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، وقال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٩]، وقال: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ [الشعراء: ٢١٧].

والله سبحانه نعم الوكيل، فمن توكل على الله كفاه ما يهمه، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣]، وفي الصحيح عن ابن عباس قال: «حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا: إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانًا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل». [البخاري (٤٥٦٣)].

فضل التوكل على الله

١- التوكل على الله نصف الدين:

التوكل على الله من أفضل الأعمال القلبية بعد الإيمان واليقين، فلا يقوم الدين إلا على أساس التوكل، وقد أمرنا المولى تبارك وتعالى أن نتوكل عليه في طاعته وعبادته، فعلمنا سبحانه أن نقول في صلاتنا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وعلمنا النبي صلى الله عليه وسلم أن نقول بعد كل صلاة: «رب أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك».

ويقول المؤمنون في دعائهم: ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [التغابن: ٤]، مقتدين في

ذلك بالنبي الكريم شعيب عليه السلام، حيث يقول: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

ولهذا قال ابن القيم: الدين نصفان: عبادة، واستعانة؛ فالعبادة هي الإنابة، والاستعانة هي التوكل على الله.

٢- والتوكل على الله تعالى من شعب الإيمان ومن سمات المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الشورى: ٣٦]، وقال: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٢].

٣- والله سبحانه وتعالى يكفي من توكل عليه من كل هم وسوء، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾، وقال: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾، فمن كان الله حسبه وكافيه وراعيه فقد فاز فوزًا عظيمًا، ولهذا كفى الله إبراهيم في النار حين قال: «حسبي الله ونعم الوكيل» فصارت النار بردًا وسلامًا على إبراهيم، ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا﴾ [الأحزاب: ٢٥]، وذلك يوم الأحزاب، ونصرهم الله في مواطن كثيرة، سواء قاتلوا أم لم يقاتلوا، ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾، وذلك حين استجابوا لله وتوكلوا عليه، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَاتَّقَواْ أَجْرٌ عَظِيمٌ. الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ. فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٢- ١٧٤].

وفي الحديث: «حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم، من قالها حين يصبح وحين يمسي سبع مرات كفاه الله ما أهمه من أمر الدنيا والآخرة». [أخرجه أبو داود، وابن السني].

٤- والله سبحانه وتعالى يحب المتوكلين، ولهذا قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

٥- والله سبحانه وتعالى يضمن للمتوكلين عليه رزقهم لو أحسنوا التوكل عليه، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لو أنكم توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا». [الترمذي، وقال: حسن صحيح].

٦- والله سبحانه وتعالى يضمن للمتوكلين عليه الهداية والكفاية والوقاية، ولهذا أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم أن نعزم التوكل عند خروجنا من البيوت وعند عودتنا؛ لئلا نحرم هذا الفضل. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا خرج الرجل من بيته فقال: بسم الله، توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله. يُقال حينئذ: هديت وكفيت ووقيت. فتتنحى له الشياطين، فيقول له شيطان آخر: كيف لك برجل قد هدي وكفي ووقي». [أبو داود والترمذي]. وعند دخول البيت يقول: «بسم الله ولجنا، وبسم الله خرجنا، وعلى الله ربنا توكلنا». [أبو داود].

يضمن الله للمؤمنين المتوكلين الجنة، فيدخلهم الجنة بغير حساب ولا عذاب، لأنهم حققوا التوحيد قولاً وعملاً!!

وفي الصحيح: «إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء». [مسلم].

٧- وأخيرًا يضمن الله للمؤمنين المتوكلين الجنة، فيدخلهم الجنة بغير حساب ولا عذاب؛ لأنهم حققوا التوحيد قولاً وعملاً، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «عُرضت عليَّ الأمم، فأخذ النبي يمر معه الأمة، والنبي يمر معه النفر، والنبي يمر معه العشرة، والنبي يمر معه الخمسة، والنبي يمر وحده، فنظرت، فإذا سواد كثير، قلت: يا جبريل هؤلاء أمتي؟ قال: لا، ولكن انظر إلى الأفق. فنظرتُ فإذا سواد كثير، قال: هؤلاء أمتك. وهؤلاء سبعون ألفًا قدامهم لا حساب عليهم ولا عذاب. قلت: ولِمَ؟ قال: كانوا لا يكتوون، ولا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون». فقام عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. قال: «اللهم اجعله منهم». ثم قام إليه رجل آخر فقال: «ادع الله أن يجعلني منهم». قال: «سبقك بها عكاشة». [البخاري، ك الرقاق].

وللحديث بقية إن شاء الله.

حديث الشهر

بقلم د. جمال المراكبي

التوكل على الله

الحلقة الثانية

النبي ﷺ سيد المتوكلين على الله

أمر الله تعالى نبيه محمدًا ﷺ بالتوكل عليه في تسع آيات من القرآن الكريم في جميع مراحل الدعوة، ففي القرآن المكي نجد قول الله تعالى:

- ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٢٣].

- ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لاَ يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾ [الفرقان: ٥٨].

- ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ [الشعراء: ٢١٧].

- ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ [النمل: ٧٩].

وفي القرآن المدني نجد قول الله تعالى:

- ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

- ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾ [النساء: ٨١].

- ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنفال: ٦١].

- ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾ [الأحزاب: ٣].

وجاء الأمر للنبي ﷺ بالتوكل بصيغة أخرى:

- ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً﴾ [المزمل: ٩].

- ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩].

- ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ [الملك: ٢٩].

لقد كان النبي ﷺ سيد المتوكلين، قام بأعباء الدعوة إلى الله عز وجل، ولم يلتفت إلى إعراض المعرضين وتوليهم ولا إلى جمع المشركين، ولا إلى تفلت المنافقين، ولكنه أخذ بأسباب البلاغ والنصر والتمكين واعتمد على ربه ووثق بوعده ونصره فكان النصر المبين والتمكين للمؤمنين، ولهذا قال للصديق في الغار: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما، لا تحزن إن الله معنا». ﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة: ٤٠]. وقال بعد أحد: «حسبنا الله ونعم الوكيل». ﴿فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾ [آل عمران: ١٧٤].

وبشر أصحابه يوم الأحزاب عند حفر الخندق بفتح فارس والروم، ولهذا قام أصحابه من بعده بواجب الدعوة إلى الله خير قيام، فأقاموا خلافة راشدة على منهاج النبوة،

ومكن الله عز وجل لهم في الأرض.

ومن تمام توكله على ربه سماه الله عز وجل المتوكل، فقال: «يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا، وحرزًا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب بالأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله فيفتح بها أعينا عميًا، وآذانًا صمًا، وقلوبًا غلفًا». [البخاري (٤٨٣٨)].

قال ابن حجر: سماه ربه المتوكل على الله لقناعته باليسير والصبر على ما كان يكره. اهـ.

قلت: ولا يقدر على القيام بأعباء الدعوة والرسالة إلا من صدق في توكله على الله واعتماده عليه، فقام النبي ﷺ بهذه الدعوة خير قيام بحسن توكله، فأعانه ربه ووفقه ومكن له حتى أقام الملة العوجاء، ودخل الناس في دين الله أفواجًا، وكان أكثر الأنبياء تابعًا يوم القيامة.

الأخذ بالأسباب من تمام التوكل

يعتقد البعض أن من تمام التوكل ترك الأسباب بالكلية، وهذا غير صحيح، بل إن فيه تعطيلاً لنصوص الشرع، وبطالة لا يرضاها الله عز وجل ولا رسوله ﷺ.

إن التوكل من أعظم الأسباب التي يحقق بها العبد مطلوبه من الله عز وجل، ولهذا فمَن أنكر الأسبابَ لم يستقم معه التوكل، ومن ترك الأسباب فقد سلك طريق العجز، والنبي ﷺ يقول: «احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز». رواه مسلم (٢٦٦٤).

ولكن من تمام التوكل عدم الركون إلى الأسباب، وترك تعلق القلب بها، ولكن يتعلق القلب بمسبب الأسباب ومدبر الأمر.

إن القعود عن الأسباب وترك السعي ليس من التوكل في شيء بل هو تواكل حذرنا منه النبي ﷺ، وقد خاف النبي ﷺ أن يتكل الناس على مجرد قول كلمة التوحيد دون حرص على العمل النافع، فقال لمعاذ بن جبل: «لا تبشرهم فيتكلوا». [متفق عليه].

ولما بعث النبي ﷺ أبا هريرة يبشر الناس من لقى منهم يشهد ألا إله إلا الله مستيقنًا بها قلبه بالجنة، قال عمر بن الخطاب: لا تفعل، إني أخشى أن يتكل الناس عليها، فخلهم يعملون، فقال النبي ﷺ: «فخلهم يعملون». [متفق عليه].

وقد يقول قائل: إن النبي ﷺ أثنى على المتوكلين الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ومدحهم بأنهم «لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون». [متفق عليه]. أليست هذه دعوة لترك الرقى والتداوي وهما من أعظم الأسباب المعينة على الشفاء؟

والجواب أن الحديث لا يدل على أنهم لا يباشرون الأسباب أصلاً، إنما المراد أنهم يتركون الأمور المكروهة شرعًا مع حاجتهم إليها توكلاً على الله تعالى، فإنهم لا يسترقون؛ أي: لا يطلبون من غيرهم الرقية، وإنما يطلبون الشفاء من الله عز وجل مباشرة ويستعملون الرقى الشرعية الثابتة في آيات الكتاب وصحيح السنة، ولا يكتوون؛ لأن النبي ﷺ كان لا يحب الكي، وينهى عنه، ولا يتطيرون ولا يتعلقون بالأوهام معتقدين أن التدبير بيد الله عز وجل.

وسعي العبد إما أن يكون لجلب نفع مفقود، كسعيه في طلب الرزق، وسعيه في فعل الخيرات، وإما أن يكون لحفظ نفع موجود؛ كادخار القوت، وإما أن يكون لدفع ضرر لم ينزل؛ كدفع أثر البرد بارتداء الملابس الثقيلة، ودفع المرض بتجنب أسباب العدوى أو بالتطعيم ضده، أو بتعقيم الأدوات الطبية

وخلافه، وإما لإزالة ضرر قد نزل؛ كالتداوي من المرض.

والأسباب تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: سبب مقطوع به بتقدير الله عز وجل، كالطعام الذي يدفع أثر الجوع، والزرع الذي يُرجى منه النماء، ومثل هذه الأسباب يجب الأخذ بها شرعًا، ولا يجوز لأحد أن يتركها بدعوى التوكل على الله.

القسم الثاني: سبب مظنون- ظني- يرجى من مباشرته تحقق المطلوب بتوفيق الله عز وجل، كالتداوي لدفع المرض وجلب العافية، فكم من مريض وصف له الدواء ولم يتم الشفاء، ولكن لا يجوز التداوي بمحرم كالخمر، ولا يستحب التداوي بمكروه؛ كالكي، وهذا القسم يجب على العبد أن يأخذ به أيضًا.

القسم الثالث: سبب وهمي يعتقد كثير من الناس أنه يجلب النفع ويدفع الضر، وهو في الحقيقة لا تأثير له، ولهذا نهى الشرع عنه كالتطير والتشاؤم، والذهاب للكاهن والعراف والاستسقاء بالأنواء والنجوم، وتعليق التمائم، وسؤال غير الله. وهذا لا يجوز للعبد أن يتعاطاه، وإن ثبت بالتجربة أنه يتحقق المطلوب به أحيانًا فهذا من الابتلاء والافتتان، نعوذ بالله من الخذلان، بل إن التوكل الحقيقي يكون بالإعراض عن هذا البلاء، ولهذا قال النبي ﷺ: «الطيرة شرك». قال ابن مسعود: وما منا إلا ولكن الله يذهبه بالتوكل.

ومعنى كلام ابن مسعود أن الإنسان قد يجد في قلبه مكانًا للتطير، وذلك بتأثير البيئة أو العادة، ولكن العبد إذا حسن توكله على الله أذهب الله عنه كل أثر للتطير.

مجالات التوكل

التوكل في أمر الرزق:

لا شك أن أمر الرزق يشغل عامة الناس، وكذلك أمر الأجل، والمؤمن المتوكل على الله لا ينشغل كثيرًا بهما؛ لأنه مطمئن تمامًا إلى أن الرزق مقسوم، والأجل معلوم، فلا يملك أحد أن ينقص من رزقه، كما لا يملك أحد من الخلق أن يغير أو يقدم أجله، وهذا لا يعني أن يهمل المتوكل أمر السعي لطلب الرزق، ولكنه يسعى وهو مطمئن إلى أن أحدًا لا يأكل رزقه، ولا يقدم أجله، وأن ما أصابه من خير لا يمكن أن يخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، ولهذا فهو لا يقتل ولده من إملاق أو خشية إملاق؛ كما فعل أهل الجاهلية الأولى، ولا يمنع نسله ويجهض امرأته؛ كما يفعل أهل الجاهلية في العصر الحديث، وإنما يتعامل مع النسل على أنه رزق من عند الله، قد كفله الله وكفاه، ولكنه يأخذ بالأسباب لتحسين مستوى النسل، ورفع مستوى الفرد، وتعليمه وتثقيفه بما يحقق نفعه في الدنيا والآخرة. وهذه مسئولية الرجل في بيته وأسرته، ومسئولية المرأة في بيتها مع أولادها، ومسئولية المعلم مع تلامذته، ومسئولية الحاكم في المجتمع المسلم، كما قال النبي ﷺ: «كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته...» الحديث.

والمتوكل على الله في أمر الرزق لا يركن إلى الحرام، فيسعى إلى كل كسب طيب، ويبتعد عن سبل الكسب الخبيث، وقد علم أن رزقه لن يخطئه أبدًا، فلماذا يحرص على الحرام ويستكثر منه طالما أن الرزاق قد كفل له رزقه، وهو كذلك لا ينشغل عن آخرته بسعيه لأجل دنياه، بل يحرص على الخيرات، ويسابق إلى الطاعات؛ لأنه يتطلع إلى الحظ الأوفر، والنصيب الأعظم من الرزق المقسوم؛ ألا وهو الجنة، فيطمع في الفردوس الأعلى، ويسأل ربه التوفيق والمعونة؛ عملاً بقول النبي ﷺ: «إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس الأعلى، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة، فوقه عرش الرحمن منه تفجر أنهار الجنة». [رواه البخاري (٢٧٦٠)].

لقد وثق المسلمون الأوائل بوعد الله، واطمأنوا إلى كفايته، فبذلوا الأموال والأرواح في سبيل الله، شوقًا إلى الجنة، وخوفًا من

النار، حتى جاء الصديق في غزوة العسرة بماله كله، فقال له النبي ﷺ: «ما أبقيت لأهلك؟» فقال: أبقيت لهم الله ورسوله. [متفق عليه].

ورغم أهمية الرزق فهو ليس ما يطلبه الناس من أمر الدنيا فحسب، فالرزق أشمل وأعم من المال أو المتاع، ولهذا يحرص المؤمن المتوكل على طلب الزوجة الصالحة ذات الدين التي تعينه على أمري الدنيا والآخرة، ولهذا قال النبي ﷺ: «الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة». [رواه مسلم]. وقال: «فاظفر بذات الدين تربت يداك». [متفق عليه].

وكذلك يحرص المؤمن على طلب الذرية الصالحة التي تقر بها عينه وترثه من بعده في عمارة الأرض، وعبادة الله سبحانه، فيلحقه من عملها ودعائها بعد موته الخير الكثير، ولهذا قال إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصافات: ١٠٠]، وقال زكريا عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران: ٣٨]، ومن فضل الله ورحمته أن جعل عمل الذرية الصالح ودعاءها في ميزان الآباء، وألحق الأبناء بالآباء، قال عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١]، وقال النبي ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعو له». [رواه مسلم].

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

وأفضل ما يحرص عليه المؤمن بعد الإيمان واليقين أن يرزقه الله العافية في الدنيا والآخرة، ولهذا قال النبي ﷺ: «أيها الناس، سلوا الله العافية، فإن أحدًا لم يُعط بعد اليقين خيرًا من العافية». [رواه أحمد والترمذي].

التوكل على الله في أمر الدين

إن أعظم غاية ومقصود عند المؤمن أن ينال رضوان الله والجنة، ولهذا فهو يستعين بالله ويتوكل عليه ليسلك سبيل الاستقامة والنجاة ويثبت عليه حتى يلقى ربه ومولاه، فيكون من الذين تتلقاهم الملائكة بالبشرى ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠].

وكذلك يتوكل المؤمن على ربه في إعلاء كلمته وتبليغ دعوته، وجهاد أعدائه ونصرة دينه، وهذا هو توكل الأنبياء وورثة الأنبياء، وإن عاندهم المعاندون، ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: ١٢]، ولهذا ينصرهم الله عز وجل ويمكن لهم ويكفيهم ما أهمهم، ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١].

مواطن التوكل

● عند طلب النصر؛ لقوله تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

● وكذلك عند جمع الأعداء لاستئصال شأفة المؤمنين؛ لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ.

الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٢، ١٧٣].

● وكذلك عند اليأس من هداية الكفار؛ لقوله تعالى: ﴿وَلاَ تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾ [الأحزاب: ٤٨].

● وعند إعراض الخلق وتوليهم؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩].

● وعند إرادة السلم وكف القتال؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنفال: ٦١].

● وعند خداع الكفار للمسلمين؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُواْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٢].

● كذلك إذا حُم القضاء ونزل البلاء؛ لقوله تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١].

● وإذا أردت محبة الله عز وجل لك؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾.

● وكذلك إذا شاورت وعزمت فتوكل على الله؛ لقوله تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

● وإذا خرجت من بيتك؛ لقوله ﷺ: «بسم الله توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله».

[صحيح. رواه أبو داود والنسائي عن أنس].

● إذا كنت في كرب وضيق؛ لقوله ﷺ: «حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم حين ألقي في النار». [البخاري (٤٥٦٣)].

● عند التشاؤم والتطير؛ لقوله ﷺ: «الطيرة شرك». وقول ابن مسعود: ولكن الله يذهبه بالتوكل.

● عند قرب القيامة وظهور أماراتها؛ لقوله ﷺ: «كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته وأصغى سمعه ينتظر أن يؤمر أن ينفخ فينفخ». [رواه أحمد والترمذي، وهو صحيح بطرقه]. فكأن ذلك ثقل على أصحاب النبي ﷺ، فقال لهم: «قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا». [الترمذي، وحسنه].

● عند السعي في طلب الرزق؛ لقوله ﷺ: «لو أنكم توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدوا خماصًا وتروح بطانًا». [رواه الترمذي وقال: حسن صحيح، وأحمد (١\٣٠)، وهو صحيح].

● إذا أردت دخول الجنة بغير حساب فعليك بالتوكل؛ لقوله ﷺ: «هم الذين لا يسترقون، ولا يكتوون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون». [متفق عليه].

● عند النوم؛ لقوله ﷺ: «اللهم أسلمت نفسي إليك، وفوضت أمري إليك، ووجهت وجهي إليك، وألجأت ظهري إليك...» الحديث.

● عند الاستخارة؛ لقوله ﷺ: «اللهم إني استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم....» الحديث.

والتوكل على الله أشمل وأعم من أن نحيط بمجالاته ومواطنه، فهو يعم جميع مجالات الحياة الدينية والدنيوية.

نسأل الله أن يعيننا على طاعته وذكره وشكره وحسن عبادته، فهو حسبنا ونعم الوكيل.

○○○

بقلم د. جمال المراكبي

الخشـــــوع

التوجيه

الخشوع في اللغة : الانخفاض والذل والسكون، ويجمع ذلك كله الخضوع والضراعة، فالخضوع في البدن والضراعة في القلب، والخشوع يكون في القلب والبدن، في السمع والبصر والعظم والعصب، ولهذا كان رسول الله ﷺ يقول في ركوع الصلاة: «اللهم لك ركعت، وبك آمنت، ولك أسلمت، خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي». مسلم (٧٧١).

والخشوع معنى يلتئم من التعظيم والمحبة، والذل والانكسار، فهو قيام القلب بين يدي الرب بالخضوع والذل واستشعار عظمة ذي الجلال والإكرام.

درجات الخشوع (١)

والخشوع على ثلاث درجات:

الأولى : التذلل للأمر، والاستسلام للحكم، والاتضاع لنظر الحق.

أما التذلل للأمر فهو تلقي الأوامر الشرعية بذلة القبول والانقياد والامتثال، مع إظهار الضعف والافتقار إلى هداية الرب لمعرفة الأمر الشرعي، وإعانته عليه حال فعله، ثم قبوله بعد ذلك.

والاستسلام للحكم الشرعي يكون بقبوله وعدم معارضته برأي أو شبهة أو شهوة، وكذلك الاستسلام للحكم القدري يكون بالرضا بالقضاء وعدم تلقيه بالتسخط والكراهة والاعتراض.

والاتضاع لنظر الحق بمعنى تواضع القلب والجوارح وانكسارها لنظر الرب إليها واطلاعه على ما في القلب والجوارح، فلا يجترئ على المعاصي مع علمه بنظر الرب إليه، ولا ينصرف إلى غير الله تعالى، وقد نظر الله إليه، ونصب وجهه لوجه عبده فيخاف من نظر الرب تعالى بالاطلاع عليه، والقدرة عليه.

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى. فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١]، ولهذا قال بعض السلف الصالح: «لا تجعل الله أهون الناظرين إليك» فتستحي من اطلاع بعض العباد عليك، ولا تستحي من اطلاع رب العالمين عليك ونظره إليك، وبهذا يتحقق مقام الإحسان، أن تعبد ربك كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

الدرجة الثانية : ترقب آفات النفس والعمل، ورؤية فضل كل ذي فضل عليك. ويتحقق ذلك بالنظر إلى عيوب نفسك وتقصيرها في حقوق الله وحقوق العباد، وعدم الاغترار بالعمل، وشكر صاحب المنة عليك على فضله، ولهذا فلا يكتمل التعبد إلا بمطالعة عيب النفس، ومشاهدة منة الله تعالى من الهداية والإعانة والتوفيق، ولهذا شرع لنا المولى تبارك وتعالى الاستغفار بعد العمل الصالح، فبعد الصلاة يستغفر العبد ربه ثلاثًا كما كان هدي النبي ﷺ، وبعد الإفاضة من عرفات وذكر الله تعالى يستغفر العبد ربه، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٩٩].

الدرجة الثالثة: حفظ الحرمة عند المكاشفة، وتصفية الوقت عن مراءاة الخلق. فإذا كشف الله للمؤمن عن بشارة من المبشرات كرؤيا صالحة أو ثناء أهل الخير أو غير ذلك لم ينبسط ويُدل ويعجب، بل يزداد وجلاً وخوفًا وخشوعًا، وقد كان السلف يخافون من ظهور الكرامة أن تكون استدراجًا، ويزدادون بالبشارات خوفًا وطمعًا

وعملاً صالحًا، ولا يهتم المؤمن إلا بإخلاص العمل لله، وإخفاء حاله عن الناس كخشوعه وحرصه على الخيرات، ولهذا كان الصالحون يقولون لمن أثنى عليهم ومدحهم على أعمالهم: «اللهم اجعلني خيرًا مما يقولون، واغفر لي ما لا يعلمون». ويقول قائلهم: لو كان للمعاصي رائحة لابتعد الناس عني.

والله لو علموا قبيح سريرتي
لأبى السلام عليَّ من يلقاني
ولأعرضوا عني وملوا صحبتي
ولبؤت بعد كرامةٍ بهوان

خشوع المؤمنين وخشوع الكافرين

الخشوع سمة من سمات المؤمنين المتقين، ومنهاج لحياتهم لأنهم عرفوا الله العظيم بأسمائه وأوصافه وقدرته وعلموا ضعف نفوسهم وحاجتهم إلى الله عز وجل وافتقارهم إليه، ولهذا خشعت قلوبهم وجوارحهم لله رب العالمين وألانوا الجانب لإخوانهم من المؤمنين، ولكنهم يعتزون بعبوديتهم لله، وجهادهم في سبيله، فهم كما يقول ربهم سبحانه: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

ولقد أثنى الله تعالى على عباده المؤمنين الخاشعين في كتابه الكريم في مواضع عديدة فقال سبحانه: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لاَ تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ. فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩، ٩٠].

فاستجاب الله دعاء نبيه زكريا حين طلب الذرية الصالحة، وأصلح له زوجه لتنجب الذرية بعد أن كانت عاقرًا، ووهب له يحيى مصدقًا بكلمة من الله وسيدًا وحصورًا ونبيًا من الصالحين، ثم أثنى على هذه الأسرة المؤمنة بأنهم يسارعون في الخيرات ويحرصون على الطاعات، ويدعون ربهم رغبًا ورهبًا، خوفًا وطمعًا، خاشعين خاضعين متذللين لله رب العالمين، فكان من فضل الله تعالى أن استجاب لهم وأصلح أحوالهم ورضي عنهم.

وأثنى الله على المؤمنين الخاشعين من أهل الكتاب الذين آمنوا بالكتاب الأول، وآمنوا بما أنزل على محمد ﷺ ولم يمنعهم الحسد ولا الكبر من متابعة الحق، ولم يحرفوا الكلم عن مواضعه ليشتروا بآيات الله ثمنًا قليلاً تافهًا حقيرًا كحب الزعامة والرياسة والمال كما فعل المستكبرون الكافرون، بل خشعوا لله وخضعوا، وآمنوا بالله ورسله، ولم يفرقوا بين أحد من رسله، ولذلك وعدهم الله الأجر العظيم في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لاَ يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٩].

وهدد الله الذين ترددوا وأحجموا عن الإيمان بمحمد ﷺ وبالقرآن الكريم، وأثنى على المؤمنين الخاشعين الذين أوتوا العلم فقال: ﴿قُلْ آمِنُواْ بِهِ أَوْ لاَ تُؤْمِنُواْ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا. وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً. وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٩].

وعاتب الله المؤمنين، وحثهم على الاجتهاد في تحصيل الخشوع لله، وتدبر آياته، وحذرهم طريقة المستكبرين من الذين أوتوا الكتاب من قبلهم، فلم يستمروا على العمل به والانقياد له، بل طال عليهم الزمان، فضعف إيمانهم وزال يقينهم وقست قلوبهم وغفلوا عن الحق، فقال سبحانه: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلاَ يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦].

فما أحوج القلوب المؤمنة إلى أن تُذكر بما أنزله الله عز وجل، وأن تتدبر كلام الله، فإن الغفلة تتسلل إلى القلوب فتسبب قسوة القلب، وجمود العين، ولهذا كان ابن عمر إذا تلا هذه الآية يقول: «بلى يا رب، بلى يا رب».

يا قسوة القلب ما لي حيلة فيكِ
ملكتِ قلبي فأضحى شر مملوكِ
حجبتِ عني إفادات الخشوع فلا
يشفيك ذكر ولا وعظ يداويكِ

وما تماديك من كثف الذنوب
ولكن الذُنوب أراها من تماديكِ
يا نفس توبي إلى الرحمن مخلصةً
ثم استقيمي على عزم ينجيكِ
واستدركي فارط الأوقات واجتهدي
عساك بالصدق أن تمحي مساويكِ
واسعي إلى البر والتقوى مسارعة
فربما شُكرتْ يومًا مساعيكِ
والصالحاتِ ليوم الفاقةِ ادخري
في موقفٍ ليس فيه من يواسيكِ
وأحسني الظنَ بالرحمن مسلمةً
فحسنُ ظنك بالرحمن يكفيكِ

فإذا خشع المؤمن بين يدي ربه وخالقه ومولاه حبب الله إليه طاعته ويسرها عليه، فوجد فيها أنسه وراحته وقرة عينه، واستشعر المحبة لله والمهابة والتعظيم له سبحانه، ولدينه وشرعه، واستشعر بمناجاته لقاء ربه والعرض عليه، فأحب هذا اللقاء وأحب العبادة والصلاة لأنها تُعَجِّل له هذا اللقاء في الدنيا فاستعان بالصلاة واستعان بالصبر على الطاعة فخشع قلبه لله، وخشعت كل جوارحه.

قال تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ. الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ٤٥، ٤٦].

أما الكافرون المعاندون الذين استكبروا عن طاعة الله وعبادته، فقست قلوبهم، وران- غطى- عليها ما يكسبون من الذنوب والخطايا والكفر والتكذيب فلم يعرفوا لله حقًا، ولم يرجوا لله وقارًا ولم تخشع قلوبهم لله، ولم تطمئن لذكر الله فأولئك لا يخشعون لله إلا إذا عُرضوا على النار، ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ. تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ. قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ. أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾ [النازعات: ٦- ٩]، ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لاَ عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلاَ تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْسًا﴾ [طه: ١٠٨]، ﴿خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ. مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ [القمر: ٧، ٨]، و﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ. خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ [المعارج: ٤٣، ٤٤].

فما كان أحوجهم إلى الخشوع لله في الدنيا ليغفر الله ذنوبهم ويؤمنهم يوم الفزع الأكبر، قال أصدق القائلين: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

خشوع النفاق

يحرص بعض الناس على إظهار الخشوع أمام الناس، فتراه يحني جبهته ويتماوت في مشيته، ولا يكاد يفارق مسبحته يعبث بحباتها ليوحي للناس أنه من الذاكرين، فإذا خلا بمحارم الله انتهكها، وربما تفضحه عينه، أو فلتات لسانه، وربما أظهر التمرد على أحكام الشرع مدعيًا أنه من أرباب الحقائق العالمين بالبواطن، ويكثر هذا في المدعين للزهد والتنسك من المتصوفة، الداعين للبدعة، المخالفين لهدي النبي ﷺ وهدي الراشدين، وسلف الأمة الصالحين.

ولقد كان السلف الصالح يحذرون من هذا الخشوع الكاذب ويسمونه خشوع النفاق، فكان حذيفة بن اليمان رضي الله عنه يقول: إياكم وخشوع النفاق، فقيل له: وما خشوع النفاق؟ قال: أن ترى الجسد خاشعًا، والقلب ليس بخاشع.

فاللهم إنا نعوذ بك من خشوع النفاق، ونعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعاء لا يُسمع.

الهوامش

(١) مدارج السالكين (١/٥٥٩)، وما بعدها.

بقلم د. جمال المراكبي

خشوع المصلين بين يدي رب العالمين

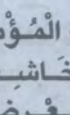

قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ. إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ. فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ. أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ. الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١-١١].

الخشوع روح الصلاة ولبها، وصلاةٌ لا خشوع فيها كجسد ميت لا روح فيه، وقد مدح اللَّه المؤمنين المفلحين الذين يرثون الفردوس، فجعل أول مراتب فلاحهم الخشوع في الصلاة إعلامًا بأن من فقد الخشوع فهو بمنأى عن الفوز والنجاح في الدنيا والآخرة. قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾، والذكر ضد الغفلة، فمن غفل في صلاته لا يمكن أن يكون مقيمًا إياها لذكره تعالى، والخشوع في الصلاة يتضمن حضور القلب فيها واستحضار عظمة الرب سبحانه، وهذا من تمام الذكر الذي هو ضد الغفلة.

قال السعدي: والخشوع في الصلاة هو حضور القلب بين يدي الله تعالى، مستحضرًا قربه، فيسكن لذلك قلبه، وتطمئن نفسه، وتسكن حركاته، ويقل التفاته، متأدبًا بين يدي ربه، مستحضرًا جميع ما يقوله ويفعله في صلاته من أول صلاته إلى آخرها، فتنتفي بذلك الوساوس والأفكار الردية، وهذا روح الصلاة، والمقصود منها، وهو الذي يُكتب للعبد، فالصلاة التي لا خشوع فيها ولا حضور قلب، وإن كانت مجزئة، فإن الثواب على حسب ما يعقل القلب منها. [«تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»].

وهذا بخلاف ما يزعم بعض المتصوفة من استحالة الخشوع، وقد ذكر الشعراني في «طبقاته» قول الدسوقي: لو خشع قلبك يا ولدي في صلاتك لاختلط عقلك وذهب ولم تقدر أن تقرأ سورة واحدة من كتاب اللَّه تعالى في تلك الحضرة، فإن موسى عليه السلام خر صعقًا يتخبط كالطير المذبوح حين تجلى له مقدار جزء واحد من تسعة وتسعين جزءًا من سم الخياط، وهذا التجلي واقع لكل مصلٍّ لو عقل كما عقل موسى عليه السلام. اهـ.

فانظر كيف جعل الصوفية الخشوع مرادفًا للجذب والجنون، ونسوا أن سيد الخاشعين محمدًا ﷺ قد حث على الخشوع ورغب في تحصيله، وحققه في صلاته وفي سلوكه.

والخشوع في الصلاة من أوجب الواجبات فيها، فمن لم يأت بأدنى درجات الخشوع في صلاته وهو الاطمئنان في أركانها فلا صلاة له، وقد أمرنا النبي ﷺ بالسكينة والوقار واستحضار أسباب الخشوع عند إتيان الصلاة، فما باله إذا استقبل القبلة قائلاً: الله أكبر. ففي الصحيح عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون، وأتوها وأنتم تمشون وعليكم السكينة، فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فأتموا». وفي رواية: «فلا يسع إليها أحدكم، ولكن ليمش وعليه

السكينة والوقار». [مسلم (ح٦٠٢)].

وقال ﷺ: «اسكنوا في الصلاة». [مسلم (ح٤٣٠)]. وقال ﷺ للمسيء في صلاته: «صلّ فإنك لم تُصلّ». ثم علمه النبي ﷺ كيف يقيم الصلاة وكيف يحقق أركانها، ويقيم صلبه في الركوع والسجود والاعتدال، فيكون مطمئنًا في صلاته كلها.

وقد أمر النبي ﷺ المصلي بالخشوع وحث عليه فقال: «ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة، فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارةً لما قبلها من الذنوب ما لم يأت كبيرة، وذلك الدهر كله». [مسلم (ح٢٢٨)].

وكان ﷺ يقول: «يا فلان، ألا تُحسن صلاتك؟ ألا ينظر المصلي إذا صلى كيف يصلي؟ فإنما يصلي لنفسه، إني والله لأبصر من ورائي كما أبصر من بين يدي». [مسلم (٤٢٣)]. وقال: «فوالله ما يخفى عليَّ خشوعكم ولا ركوعكم، إني لأراكم من وراء ظهري». [البخاري (ح٤١٨)].

وقال ﷺ: «خمس صلوات افترضهن الله تعالى، من أحسن وضوءهن، وصلاهن لوقتهن، وأتم ركوعهن وخشوعهن كان له على الله عهد أن يغفر له، ومن لم يفعل فليس له على الله عهد، إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه». [أبو داود].

وحذرنا النبي ﷺ من ترك الخشوع، وبيّن أنه يُرفع، فقال: «أول علم يُرفع من الناس الخشوع، يوشك أن تدخل مسجد جماعة فلا ترى فيه رجلاً خاشعًا». [الترمذي (ح٢٦٥٣) موقوفًا].

ورُوي عنه ﷺ: «الصلاة مثنى مثنى، تشهد في كل ركعتين، وتخشع وتضرع وتمسكن وتذرع. وتُقنع يديك، ترفعهما إلى ربك مستقبلاً ببطونهما وجهك وتقول: يا رب، يا رب، ومن لم يفعل ذلك فهي خداج». [الترمذي (ح٣٨٥)، باب ما جاء في التخشع في الصلاة].

والمراد أن يُطيل المصلي التوسل والدعاء والإلحاح والرجاء، عسى الله أن يقبل منه.

وقال ﷺ: «فإذا صليتم فلا تلتفتوا، فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت». [الترمذي وأحمد من حديث الحارث الأشعري بسند حسن صحيح].

والالتفات المنهي عنه في الصلاة قسمان؛ أحدهما: التفات القلب عن الله عز وجل إلى غيره، والثاني: التفات البصر، وكلاهما منهي عنه، ولا يزال الله مقبلاً على عبده ما دام العبد مقبلاً على صلاته، فإذا التفت العبد بقلبه أو ببصره أعرض الله تعالى عنه، وقد سُئل رسول الله ﷺ عن التفات الرجل في صلاته، فقال: «اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد».

ومما يُعين على الخشوع في الصلاة:

أولاً: الاهتمام بأمر الخشوع والحرص على استحضاره، وذلك بالتفكر في عظمة ذي الجلال والإكرام، ومراقبة الله عز وجل واستشعار الوقوف بين يديه، ومناجاته، ومشاهدة منّة الله تعالى وفضله في الهداية والتوفيق، ومشاهدة عيب النفس وتقصيرها، والحرص على الاستغفار من ذلك التقصير.

ثانيًا: تعلق القلب بالصلاة، باعتبار أن الصلاة دعوة لملاقاة الملك ومناجاته، وأنها تورث محبة ذي الجلال والإكرام، فكلما انصرف المصلي من صلاة عاوده الحنين والشوق إلى لقاء الله، ولهذا شُرع لنا تكرار الصلاة، فإذا انصرف المصلي من الفريضة، شَرَعَ في النافلة، وإذا انصرف من النافلة شَرَعَ في الفريضة، أو شَرَعَ في انتظارها فيتعلق قلبه بالصلاة، وينتظر الصلاة بعد الصلاة. قال رسول الله ﷺ: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات؛ إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط». [مسلم].

وقال رسول الله ﷺ في السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: «ورجلٌ قَلبُهُ مُعَلقٌ بالمساجد». [متفق عليه].

ثالثًا: حسن التهيؤ للصلاة والاستعداد لها، وذلك ثمرة من ثمرات تعلق القلب بالصلاة،

فيتشوق المصلي إلى سماع الأذان باعتباره دعوة من رب العالمين للقاء، ويشرعُ في ترديد الأذان طالبًا الحول والقوة والمدد من الله، ثم يحرص على الدعاء بعد الأذان، ويُسبغ الوضوء، ويذكر الله قبله وبعده ليفتح الله له أبواب الجنة، ويحرص على السواك عند الوضوء وعند الصلاة، ويشرع في التوجه للمسجد للصلاة في الجماعة، بعد أن يؤدي النافلة في بيته، ويحتسب الخطا إلى المسجد، ويمشي بسكينة ووقار، ويحرص على الصف الأول، وتسوية الصفوف، ويتهيأ كذلك بأخذ الزينة وستر العورة والتطيب والتجمل، ويتهيأ بعد ذلك للدخول على الملك ومناجاته.

رابعًا: الاطمئنان في الصلاة، واستشعار أنه ربما يموت فلا يصلي صلاة غيرها، فيحرص على الإحسان والإتقان وحضور القلب واغتنام الصلاة، ولا يشغله أمر الدنيا، قال ﷺ: «اذكر الموت في صلاتك، فإن الرجل إذا ذكر الموت في صلاته لحريٌ أن يُحسن صلاته، وصلِّ صلاة رجلٍ لا يظن أنه يصلي صلاةً غيرها». [«صحيح الجامع»، و«السلسلة الصحيحة»].

وهذه هي صلاة المودع التي أمر النبي ﷺ بها، فقال: «إذا قمت في صلاتك فصل صلاة مودع». [أحمد، «صحيح الجامع»].

خامسًا: استحضار معاني العظمة لله، وتذلل العبد بين يديه في الصلاة، فإذا قال العبد مستفتحًا صلاته: الله أكبر، استشعر عظمة الله وأنه أكبر من كل شيء، ويرفع العبد يديه مع التكبير حيال أذنيه إشارة منه إلى طرح الدنيا والإقبال على العبادة، وتمام الاستسلام والانقياد ليناسب فعله قوله: الله أكبر.

قيل للشافعي: ما معنى رفع اليدين في الصلاة؟ قال: تعظيم الله واتباع سنة نبيه ﷺ.

وإذا ركع العبد أو سجد استشعر معاني التعظيم لله، وتذلله بين يديه مردداً: سبحان ربي العظيم، و: سبحان ربي الأعلى، ويكثر من الدعاء في سجوده لاستشعار قربه من الله عز وجل. قال رسول الله ﷺ: «أما الركوع فعظموا فيه الرب، وأما السجود فاكثروا فيه من الدعاء، فقمنٌ أن يستجاب لكم». [متفق عليه].

وكان النبي ﷺ إذا قام إلى الصلاة، وكبر للإحرام، قال: «وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفًا وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له، وبذلك أُمرت وأنا أول المسلمين، اللهم أنت الملك، لا إله إلا أنت، أنت ربي وأنا عبدك، ظلمتُ نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعًا إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت، لبيك وسعديك، والخير كله في يديك، والشر ليس إليك، أنا بك وإليك، تباركت وتعاليت، أستغفرك وأتوب إليك».

وإذا ركع قال: «اللهم لك ركعتُ، وبك آمنتُ، ولك أسلمتُ، خشع لك سمعي وبصري ومُخي وعظمي وعصبي». وإذا رفع قال: «اللهم ربنا لك الحمد ملء السماوات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد». وإذا سجد قال: «اللهم لك سجدت، وبك آمنت، ولك أسلمت، سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره، تبارك الله أحسنُ الخالقين».

ثم يكون من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم: «اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت». [متفق عليه، واللفظ لمسلم].

سادسًا: تدبر آيات القرآن، وأذكار الصلاة واستحضار معانيها والتفاعل معها. قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجُدًا. وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً. وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ

وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٧- ١٠٩]. وقال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣].

أما التفاعل مع الآيات فهو أكثر من مجرد معرفة معانيها، ويكون باستحضار أنه يناجي الله عز وجل بتلاوة كلامه، وأن الله سبحانه يسمع منه، ويخاطبه بكلامه، ويباهي به ملائكته، فإذا قرأ العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال الله عز وجل: حمدني عبدي. فإذا قرأ: ﴿الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾. قال الله تعالى: أثنى عليَّ عبدي. فإذا قرأ: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾. قال تعالى: مجدني عبدي. فإذا قرأ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. قال تعالى: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل. فإذا قرأ: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾. قال تعالى: هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل.

وإذا قرأ العبد آية رحمة، سأل الله تعالى من رحمته، وإذا قرأ آية عذاب استعاذ بالله من العذاب، فإذا جلس للتشهد جلس خاشعًا يلقي بالتحيات الطيبات لله عز وجل، ثم يصلي على النبي ﷺ، ثم يتخير من الدعاء أعجبه، ثم يُسلم وينصرف من صلاته، مستشعرًا تقصيره في ذلك فيستغفر ربه بعد كل صلاة.

سابعًا: دفع الشواغل التي تحول بين العبد وبين الخشوع واستحضار القلب، فيلقي الدنيا وراء ظهره إذا كبر للصلاة، ولا يصلي بحضرة الطعام، ولا يصلي في ثوب أو على ثوب فيه نقوش وزخارف، ولا يصلي وهو حاقن يدافع الأخبثين، ولا يصلي وقد غلبه النعاس، ولا يلتفت في صلاته. وبالجملة يُفرِّغ المصلي قلبه ونفسه وبدنه للصلاة ويدفع كل ما يشغله عنها.

مراتب المصلين في الخشوع

إذا كان الخشوع هو روح الصلاة وليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها، فإن المصلين يتفاوتون في الفضل تفاوتًا عظيمًا، بل إن الرجلين ليكونان في الصلاة الواحدة وفي الصف الواحد، وإن ما بينهما في الفضل كما بين السماء والأرض؛ وذلك أن أحدهما مقبلٌ بقلبه وجوارحه على الله عز وجل، والآخر ساهٍ غافل منصرف بقلبه إلى شواغل الدنيا، أو إلى توافه الأمور.

قال ابن القيم: والناس في الصلاة على مراتب خمس:

أحدها: الظالم لنفسه، المفرط الذي انتقص من وضوئها ومواقيتها وحدودها وأركانها.

الثاني: من يحافظ على مواقيتها ووضوئها وأركانها الظاهرة، ولكنه ضيع مجاهدة نفسه في الوسوسة فذهب مع الوساوس.

الثالث: من حافظ على أركانها، وجاهد نفسه في دفع الوساوس فهو مشغول بمجاهدة عدوه لئلا يسرق صلاته، فهو في صلاة وجهاد.

الرابع: من قام إلى الصلاة وقد أكمل أركانها، واستغرق قلبه مراعاة حدودها وحقوقها، قد استغرق قلبه شأن الصلاة وعبودية ربه تعالى فيها.

الخامس: من إذا قام إلى الصلاة حافظ على ذلك كله، ووضع قلبه بين يدي ربه، ناظرًا إليه، مراقبًا له كأنه يراه، فالأول معاقب، والثاني محاسب، والثالث مكفر عنه، والرابع مثاب، والخامس مقرب من ربه له نصيب ممن جُعلت قرة عينه في الصلاة(١).

من ثمرات الخشوع(٢)

١- يورث الخوف والخشية من الله عز وجل.

٢- دليل على صلاح العبد، ومظهر من مظاهر إيمانه.

٣- يزيل ما في القلب من قسوة وغفلة.

٤- يؤدي إلى الفلاح في الدنيا والآخرة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش:

(١) الوابل الصيب (ص٣١، ٣٢).

(٢) نضرة النعيم (١٨٣٧/٥).

حديث الشهر

قضايا معاصرة

قديمًا قال علماؤنا: لا تأخذ العلم عن صُحُفي، ولا القرآن عن مُصْحَفي.

وقصدوا بذلك تحذير طالب العلم من أن يتلقى العلم عن غير أهله، وأهل العلم هم العلماء عرفوا كيف يكون طلب العلم فتلقوه عن أهله وجلسوا في حلق العلم، وصبروا وصابروا ورابطوا فعرفوا أصول العلم وفروعه، وحققوا مسائله، وعرفوا أن للفتوى أصولاً فالتزموها، وحذروا من القول على الله بغير علم، ومن الكلام في الدين بالأهواء، ومن الأخذ عن أهل الأهواء، أو أهل الجهل الذين يقولون ما لا يعلمون: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

ولهذا قالوا: إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم(١)، وقصدوا رحمهم الله بالصحفي الذي يتلقى العلم من الصحيفة- أي الورقة أو الكتاب- دون أن يكون له شيوخ يتعلم منهم كيف يفهم دلالات النصوص من الكتاب والسنة كما فهمها سلف الأمة، فإن مثل هذا لا يُؤْمَنُ عليه الخلط أو الخطأ.

ولم يتصور العلماء رحمهم الله حين قالوا هذا أن يأتي زمان تظهر فيه الصحف والمجلات وتنتشر بين الناس، وتكتب في كل المجالات، فتكتب في السياسة والاقتصاد والفن والرقص والغناء، وتكتب في الرياضة، وتكتب أيضًا في الدين.

ولقد لفت انتباهي بعض ما يكتب في الصحف

بقلم د. جمال المراكبي

عن الدين الإسلامي. فهذا شاعر يكتب عن ضرورة تجديد الخطاب الديني في العصر الحديث، فيقول: نحن ننتظر من الخطاب الديني الجديد أن يعتنق الديمقراطية ويجعلها خيارًا نهائيًا ويقبل شروطها كاملة، ويفصل بحزم بين الدين والسلطة، ويسوي بين الرجل والمرأة، ويتبنى بالقول والفعل حقوق الإنسان. اهـ.

فالديمقراطية- في نظر الشاعر- هي الخيار الوحيد الذي يُخرج المسلمين من دائرة التخلف، ويُعيد إليهم مجدهم وعزهم.

والعجيب أن المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها يتبنون الديمقراطية كخيار نهائي استراتيجي، ويقيمون نظام الحكم في بلادهم على بعض أشكال الديمقراطية، ومع هذا فما يزالوان في دائرة التخلف والتبعية.

إن الشاعر الفصيح يريد فصلاً حازمًا بين الدين والسلطة، بين الدين والدولة، يريد تنحية- إقصاء- الشريعة الإسلامية عن حكم المسلمين، ويؤكد ما ردده الشيخ علي عبدالرازق من قبل في كتابه «الإسلام وأصول الحكم» أن الإسلام على عكس ما يروج المتاجرون به رسالة لا حكم، ودين لا دولة.

وعلى هذا فينبغي التسوية بين الرجل والمرأة، وكان الإسلام كان وما زال يظلم المرأة ويهضمها حقها، والشاعر يريد كما هو واضح أن نسوي بين الأبناء والبنات في الميراث، وأن نعطي المرأة سلطة

القوامة على الأسرة أو على الأقل نحررها من قوامة الرجل، وأن نعطي المرأة الحق في إيقاع الطلاق أو أن نجعل سلطة إيقاع الطلاق بيد القاضي لا بيد الزوج، وأن نحذف مدلول الآيات التي تخالف هذا مثل قول الله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ...﴾ [النساء: ٣٤]، وقوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١].

ويريد الشاعر أن يتبنى الخطاب الديني الجديد حقوق الإنسان بالمفهوم الغربي، وكان الإسلام قد هضم الإنسان حقوقه ولم يأمر بالعدل والمساواة والشورى، وكان الشاعر يقصد بحقوق الإنسان هنا حق الردة وإعلان الكفر؛ لأن النبي ﷺ يقول: «من بدل دينه فاقتلوه». ويقول: «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة».

ولا يكتفي الشاعر الفصيح الذي يُفرد له الأهرام أسبوعيًا أكثر من ثلث الصفحة فيروج للخلاف والاختلاف، وينتصر للفرق الضالة والمقالات المنحرفة عن منهج أهل السنة والجماعة، فيقول: «والمسلمون لم يجتهدوا في أمور السياسة وحدها، بل اجتهدوا برأيهم أيضًا في العقيدة ذاتها!! فكان من نتيجة هذا الحوار ما تركه لنا المعتزلة والأشاعرة والفلاسفة المسلمون من إجابات متنوعة، واجتهادات خلاقة، خذ مثلاً كلام المعتزلة عن الذات والصفات، ومن ثم عن خلق القرآن.

لقد رأى المعتزلة أن الإسلام يقوم على توحيد الله وتنزيهه عن أي شريك، والله عليم سميع بصير مريد قائل قادر، فهل تكون صفات الله متميزة عن ذاته تعالى، أم أن الصفات هي الذات، وهل هي قديمة أم حادثة؟

الذين يقولون إن صفات الله قديمة متميزة عن ذاته يبتعدون عن التوحيد ويقعون في الشرك؛ لأن وكلام الله هو الله، فهو قديم، ولكن القرآن حادث،

إن هذا العلم دين، فانظروا

الإسلام لم يبخس الإنسان حقه،

ماذا تعلمت من الإسلام، من تسأل

فكيف يكون القرآن حادثًا وقديمًا في الوقت نفسه؟ وكيف يتميز كلام الله عن الله؟

الجواب: الذي قدمه المعتزلة هو أن القرآن قديم من حيث هو وحي حادث مخلوق من حيث هو لغة وكلام، وإعجاز القرآن يتمثل فيما جاء به من العقائد ونقله إلينا من عالم الغيب، أما لغة القرآن فهي لغة الإنسان». اهـ.

ولا أريد أن أعلق على هذا التخبط العقدي، فهو هدم للمعتقد الصحيح عند أهل السنة والجماعة، ودعوة صريحة لفكر المعتزلة وتكذيب للقرآن الذي تحدى الله به الإنس والجن: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]، ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ. فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٣، ٢٤].

وهذه كاتبة صحفية تصف الحجاب بأنه عادة جاهلية انتقلت إلى المسلمين، وتسأل المفتي السابق عن آية واحدة تحرم كشف الشعر، وتقول: لا يوجد الله واحد لا تتميز صفاته عن ذاته، والقرآن كلام الله،

عمن تأخذون دينكم!

حتى يطالبه الأدعياء بحقوقه!

عن آية قرآنية تحرم كشف الشعر؟!

عقاب واحد في القرآن الكريم أو السنة الصحيحة على سفور المرأة، وإرغام المرأة المسلمة على العودة إلى الحجاب، أو الالتزام بزي معين ارتداد إلى عادات ما قبل الإسلام، وتجاهل لمبادئه الأصيلة، كما أن التمسك بفرض فتاوى رجال عاشوا قبل ألف عام على نساء القرن الحادي والعشرين فيه إساءة إلى الدين الحنيف، وإثبات لما يوجه إلى المسلمين من الاتهامات بالتخلف والجمود وتفضيل الماضي على الحاضر، ورفض للتطور وقصور عن استشراف المستقبل، في وقت يواجه فيه الإسلام افتراءات أتباعه وأعدائه على حد سواء. اهـ.

ولم تصدق الكاتبة إلا في هذه الكلمة الأخيرة، فالإسلام يواجه الافتراءات من الكثير من أتباعه، كما يواجه افتراءات أعدائه على حد سواء، وما تقوله هذه الكاتبة الصحفية من الافتراءات التي لا تروج إلا على مرضى القلوب الذين أعمتهم الشهوات وأضلتهم الشبهات، إذا كان غض البصر هو السلوك المتحضر الذي يفرضه الإسلام على المؤمنين رجالاً ونساءً، كما تقول الكاتبة، فاين إخفاء الزينة وقد جمع الله بينه وبين غض البصر، فقال سبحانه: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، ألم تفهم الكاتبة قول الله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]، والخمار هو غطاء الرأس، والجيب هو فتحة الصدر، حتى تطلب من المفتي السابق آية واحدة تحرم كشف الشعر؟!

ألم تسمع الكاتبة حديث النبي ﷺ: «صنفان من أمتي لم أرهما، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا». فذكر ﷺ: «نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة»!!

وهذه مجلة مشبوهة تشن حملة على شيخ أزهري جليل أفتى بأن مصافحة المرأة حرام، مستدلاً على ذلك بأن النبي ﷺ لم يمس يد امرأة لا تحل له قط كما ذكرت عائشة رضي الله عنها، فإذا بالمجلة تتهم الشيخ بالرجعية، وتعترض امرأة فتقول: إذا كانت المصافحة حرامًا فلماذا يصافحني شيخ الأزهر؟

وتنبري جريدة صفراء فتنشر صورة لشيخ الأزهر وهو يصافح إحدى الممثلات المشهورات!! ويكتب كاتب ساخر في «نصف كلمة» فيقول ساخرًا مستهزئًا: إلى شيخنا الجليل الذي أفتى بأن مصافحة المرأة للرجل تعتبر زنًى، فهل نقيم الحد على الزاني والزانية المتصافحين بعد شهادة أربعة شهود على هذه الفاحشة؟ وهل يمر الشهود خيطًا بين يدي المرأة والرجل فيثبت الزنى إذا لم يمر الخيط؟ وهل يجوز لهذه الزانية أن تتزوج في أي وقت، أم عليها أن تقضي شهور العدة بعد المصافحة؟

مخالفة عالم لنص شرعي ليست حجة لترك النص!!

لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها!!

فيا غربة الإسلام في زمن تخلى عنه أهله، وأخذوا يعادون كل من يتكلم باسمه أو يدعو إليه، أين أنتم أيها الكتاب من حديث رسول الله ﷺ: «كتب على ابن آدم حظه من الزنى، أدرك ذلك لا محالة، فزنى العينين النظر، وزنى اللسان النطق، والنفس تمنى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك ويكذبه». وفي رواية: «كتب على ابن آدم نصيبه من الزنى، مدرك ذلك لا محالة، فالعينان زناهما النظر، والأذنان زناها الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخطا، والقلب يهوى ويتمنى، ويصدق ذلك الفرج ويكذبه». [مسلم، كتاب القدر (ح٢٦٥٧-٢٠، ٢١)].

ومعنى الحديث أن ابن آدم قدر عليه نصيب من الزنى، فمنهم من يكون زناه حقيقيًا بإدخال الفرج في الفرج الحرام، ومنهم من يكون زناه مجازًا بالنظر الحرام أو الاستماع أو الكلام أو اللمس الحرام.

فهذه الأشياء المحرمة تقود إلى الفاحشة عادة، ولهذا عدت من الزنى زجرًا عن اعتيادها والاستهانة بها. وكما قال الشاعر:

(نظرة فابتسامة فسلام فكلام فموعد فلقاء)

وأخيرًا تعلق الجريدة الصفراء على خروج المفتي السابق إلى المعاش بهذه العبارة الفجة: «نهاية المفتي الذي حرم علينا عيشتنا»!!

كله في النار؛ الغناء عند سفح الهرم، ومصارعة الثيران، وفوائد البنوك والتدخين، والأنسولين الحيواني.

ولم يؤيد سوى طالبان في تحطيم تمثالي بوذا.

فاحذر أخي القارئ أن تأخذ دينك عن هؤلاء الذين يلبسون الحق بالباطل، ويزينون للناس الباطل، ويزعمون أن تخلف المسلمين بسبب تمسكهم بدينهم، مع أن المسلمين لم يتخلفوا إلا حين نبذوا دينهم وشريعتهم، وكثرت فيهم البدع والضلالات، وظهر أهل الأهواء، وتابعهم على باطلهم غوغاء الناس.

وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول: «إنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة».

ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

وفقنا الله تعالى إلى ما يحبه ويرضاه، والحمد لله رب العالمين.

هامش

(١) قاله محمد بن سيرين، مسلم (ج١، ص١٤) الدارمي كتاب المقدمة (٤٢١)، والتمهيد لابن عبد البر (ج١، ص٦٧).

ضرورة الوحدة وخطورة الفُرقة!!

بقلم د. جمال المراكبي

عجيب أمر المسلمين؛ رغم أنهم أمة التوحيد التي توحد الله، وترفع راية لا إله إلا الله، رغم أنهم أمة الإسلام والإسلام هو الاستسلام لأمر الله وحكمه وشرعه، ورغم أن القرآن الكريم محفوظ نتلوه غضًا طريًا، وسنة النبي ﷺ وهديه محفوظ في الصحاح والسنن والمسانيد دون تبديل أو تحريف، ورغم أن الله وعد هذه الأمة بالاستخلاف والتمكين، وبالنصر المبين، إلا أن الأمة المسلمة أبت أن تأخذ كل هذه المعطيات، وبقيت تقبع في ذيل القائمة في عالم تتقدم فيه الأمم بالعلم والحضارة.

ما الذي أودى بالأمة المسلمة إلى هذا التردي في هذه الهاوية السحيقة؟!

لا شك أنه التفريط والتضييع لما ينبغي للأمة أن تعتصم به وأن تعض عليه بالنواجذ.

لقد فرطت الأمة في عوامل النصر والتمكين الذي أراده الله عز وجل لها فكان هذا شأنها، وأصابها من الضعف والخور ما أصابها فانتقلت من فضيلة: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠] إلى هاوية ورذيلة، ﴿إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ. وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠٠، ١٠١].

وتحققت فيها نبوءة النبي الخاتم ﷺ: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها». فقالوا: أمن قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ فقال: «بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاءٌ كغثاء السيل، ولينزعن الله عن صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن». فقال قائل: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: «حب الدنيا وكراهية الموت». [أبو داود (٤٢٩٧) وأحمد، وصححه الألباني]. «وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة». قيل: ومن هي يا رسول الله؟ قال: «الجماعة». وفي رواية: «من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي» [صحيح]. «إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقًا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم، وإن أمتكم هذه جُعل عافيتُها في أولها، وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها، وتجيء فتنة فيرقق بعضها بعضًا، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه مهلكتي ثم تنكشف وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه هذه، فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه». «لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القُذَّةِ بالقذة، إن شبرًا فشبر، وإن ذراعًا فذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه». قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى، قال: «فمن؟» رواه مسلم

(٢٦٦٩).

هكذا يحث النبي ﷺ الأمة على الاجتماع ونبذ الفرقة، ويبين أن الفرقة سبب للبلاء والفتنة، ويبين كذلك أن الأمة ستسير على منهاج وسنن من كان قبلها من اليهود والنصارى في كل ضلالاتهم، ولولا حفظ الله لكتابه، وتوفيقه لطائفة من الأمة تعتصم بالحق وتعض عليه بالنواجذ لضاع الإسلام والمسلمون في زمن الغربة، فطوبى للغرباء.

لقد حذر الله المؤمنين من التفريط والتضييع، وأمرهم بالاعتصام بالله وبحبله والاجتماع وعدم التفرق، وأمرهم بتقوى الله، وذكرهم بنعمته عليهم حيث جمعهم على الهدى بعد الفرقة والضلال، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ. وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ. وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ. وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَـئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٢- ١٠٥].

آفة الأمة!!

- إن آفة هذه الأمة في التفرق والاختلاف، والتفريط في حقوق الله عز وجل وفي دينه وشرعه والتفريط في هدي رسول الله ﷺ وهدي الخلفاء الراشدين المهديين من بعده، وإن عافيتها في الاعتصام بالله وبكتابه وسنة نبيه ﷺ، وهدي خير القرون من سلف هذه الأمة.

- وأعظم أسباب التفرق والاختلاف التي تودي بهذه الأمة تكمن في متابعة أهل الكتاب من اليهود والنصارى والسير على دربهم، ومتابعتهم تعني نبذ الحق الذي أنزله الله على نبيه ﷺ وجعل فيه العصمة من الضلالة وجعل فيه العز والنصر والتمكين.

حرص النبي ﷺ على الاجتماع

لقد جمع الإسلام بين طوائف البشر على أساس أُخوة الدين، فالمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، والمسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضًا، ولا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، فوجدنا سلمان الفارسي وصهيبًا الرومي وبلالاً الحبشي وعبد الله بن سلام وكعبًا القرظي قد صهرهم الإيمان مع إخوانهم المؤمنين من المهاجرين والأنصار، فكانوا نواة للمجتمع المسلم وللدولة المجاهدة في سبيل الله، وظهر جليًا حرص النبي ﷺ على وحدتهم في سفرهم وإقامتهم وفي كل منزل ينزلونه؛ فقد كان المسلمون إذا نزلوا منزلاً تفرقوا في الشعاب والأودية، فحذرهم النبي ﷺ قائلاً: «إن تفرقكم في هذه الشعاب والأودية إنما ذلكم من الشيطان». فكانوا إذا نزلوا منزلاً انضم بعضهم إلى بعض حتى يُقال: لو بُسط عليهم ثوب لعمهم. [«صحيح أبي داود» (٢٢٨٨)].

وكان ﷺ إذا دخل المسجد فرآهم حلقًا كثيرة يقول لهم: «ما لي أراكم عزين» أي متفرقين مشتتين. [مسلم (ح٤٣٠)، وأبو داود (٤٨٢٣)]. قال الأعمش: كأنه ﷺ يحب الجماعة. [أبو داود (٤٨٢٤)].

الوحدة قوة.. والفرقة ضعف!!

إن الوحدة ضرورة واجبة يفرضها العقل، والفرقة داء قاتل، فالوحدة قوة، والفرقة ضعف، الوحدة أمان، والفرقة هلاك، فما بالنا والقرآن الكريم يحث على الوحدة ويحذر من الفرقة، لا شك أننا جميعًا مسئولون عن هذا التخاذل، وهذه الفرقة، خاصة أصحاب الولايات من الحكام، والعلماء وهم أولوا الأمر المتبوعون، فالناس تبع لأمرائهم وعلمائهم.

لماذا نحرص على التفرق والمنهاج واحد وواضح؟ لماذا نحرص على البدعة ونهون من أمر السنة؟ لماذا نحرص على متابعة أعدائنا

ونتحلل من متابعة نبينا ﷺ وسلفنا الصالح؟

نحن جميعًا مأمورون بالتمسك بحبل الله المتين، بالعروة الوثقى لا انفصام لها، بكتاب ربنا عز وجل وسنة نبينا ﷺ بلزوم جماعة المسلمين، فإن دعوتهم تُحيط بهم من ورائهم.

نحن مطالبون بأن نتعلم من ماضينا حتى نعمل لحاضرنا ومستقبلنا بأن نلجأ إلى الله تعالى، طالبين منه سبحانه أن يمن علينا بالتالف والتآزر، وأن يجنبنا العداوة والبغضاء كما فعل بأسلافنا، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

فإن أراد بنا أعداؤنا كيدًا فإن حسبنا الله الذي قال لنبيه ﷺ: ﴿وَإِن يُرِيدُواْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ. وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٢، ٦٣].

نحن جميعًا مطالبون بأن نأخذ بأسباب الوحدة، وأن نعمل على نبذ الفرقة، ولن نجد مثل الأقصى قبلتنا الأولى ومسرى نبينا ﷺ لنتوحد في سبيل الذود عنه، ولنجعل ذلك هدفًا ننبذ لأجله الفرقة والاختلاف، وقد حذرنا ربنا منها فقال: ﴿وَلاَ تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ. مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣١، ٣٢].

ولنذكر وصية نبينا ﷺ: «إن الله يرضى لكم ثلاثًا ويكره لكم ثلاثًا، يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولّى الله أمركم، ويكره لكم قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال». [شرح السنة (١/١٠١)، ومسلم (ح١٧١٥)، وأحمد].

وقوله ﷺ: «ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، والنصيحة للمسلمين، ولزوم جماعتهم، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم». [الترمذي (٢٦٥٩)، وقال: حسن صحيح، ابن ماجه في المقدمة (٢٣٢)].

أمة تركت النفير

لقد كان من أهم أسباب ضعف الأمة وتخاذلها وتفرقها أنها تركت الجهاد في سبيل الله وهو مصدر رزق الأمة وعزها ورقيها، وذروة سنام الإسلام. قال رسول الله ﷺ: «نُصِرْتُ بالرعب مسيرة شهر». وقال: «وجُعل رزقي تحت ظل رمحي». وقال: «رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله». [الترمذي وأحمد].

لقد حذر الله المؤمنين من الركون إلى الدنيا وزينتها، وترك النفير والجهاد في سبيل الله، وتوعدهم إن هم فعلوا ذلك بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة، فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ. إِلاَّ تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التوبة: ٣٨، ٣٩].

وها هي الأمة المسلمة قد تركت النفير، وأعرضت عن الجهاد في سبيل الله، فالبسها الله ثوب الذل بعد العز والتمكين، وسلط عليها أعداءها يتكالبون عليها ويستنزفون ثرواتها ولكن تبقى البشارة في الآيات مع التحذير في قوله تعالى: ﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠].

فإذا تخلفت الأمة عن نصرة الدين، وعن نصرة النبي ﷺ بإعلاء هديه ومنهاجه، وعن الجهاد في سبيل الله، فإن الله يحذرها: ﴿إِلاَّ

تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾، ويبشر الله تعالى المؤمنين بنصرة دينه ونُصرة نبيه ويدعوهم إلى النفير والجهاد في سبيله، فيقول: ﴿انْفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١]، فيحث على الجهاد ويدعو إليه بعد أن حذر من تركه والإعراض عنه.

الجهاد طريق التمكين!!

لقد كان المسلمون الأوائل يتحرقون شوقًا للجهاد في سبيل الله، حتى أذن الله تعالى لهم في الجهاد، وأخبرهم أنه سبحانه يتولى الدفاع عن المؤمنين، وأنه سيمكن لهم في الأرض ليقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ويأمروا بالمعروف، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ. أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ. الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ. الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ [الحج: ٣٨- ٤١].

فجعل سبحانه النصر والتمكين للمؤمنين بعد أن كانوا مستضعفين ليقيموا الدين ويحققوا العدل وينصروا دين الله.

وأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يخبر المؤمنين؛ أنه سيمدهم بمدد من الملائكة، بشرط أن يتقوا الله عز وجل، وأن يصبروا عند لقاء عدوهم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلاَئِكَةِ مُنزَلِينَ. بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلاَئِكَةِ مُسَوِّمِينَ. وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٣- ١٢٦].

فالواجب على المؤمنين توحيد الصف، والاعتصام بالله وبدينه والجهاد في سبيله والثبات عند لقاء العدو وطاعة الله ورسوله وذكر الله كثيرًا، والصبر على طاعته والصبر عند اللقاء، والإكثار من الدعاء بالنصر والثبات، ونصرة دين الله عز وجل، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ. وَأَطِيعُواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٥، ٤٦].

وفي الختام نذكر بقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ. تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ. يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ. وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونوا أَنصَارَ اللَّهِ﴾ [الصف: ١٠- ١٤]. وبقول الله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ١٤٦ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ١٤٧ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦- ١٤٨].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

بقلم: د. جمال المراكبي

تحقيق التوحيد

التوحيد مصدر وحد يوحد توحيدًا أي جعل الشيء واحدًا، وهو لا يتحقق إلا بنفي وإثبات، نفي الحكم عما سوى المُوَحَدُ، وإثباته له وحده، ولهذا كانت كلمة التوحيد لا إله إلا الله متضمنةً للنفي والإثبات، نفي الألوهية عما سوى الله عز وجل، وإثباتها لله وحده، وذلك لأن النفي المحض تعطيل محض، والإثبات المحض لا يمنع مشاركة الغير في الحكم.

فلو قلت: محمد مجتهد، فقد أثبت له الاجتهاد، ولكنك لم تفرده وتوحده به؛ لأنه من الجائز أن يشاركه غيره في هذا الاجتهاد.

ولو قلت: لا مجتهد، فقد نفيت نفيًا محضًا ولم تثبت الاجتهاد لأحد. ولكن لو قلت: لا مجتهد إلا محمد، فقد أفردت محمدًا بالاجتهاد، ونفيت الاجتهاد عمن سواه، وهذا هو تحقيق التوحيد، فلا يكون توحيدًا إلا بإثبات التفرد ولا يتحقق ذلك إلا إذا تضمن نفيًا وإثباتًا.

والتوحيد لا يكون إلا لله عز وجل لأنه الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، لا شريك له ولا وزير ولا معين، ولا شفيع يشفع عنده إلا بإذنه سبحانه: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلاَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ. عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١، ٩٢].

أما غيره سبحانه فلا يمكن توحيده في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله؛ لأن نظراءه وأمثاله كثيرون، وقد جعل الله خلقه أزواجًا، وجعل بعضهم في حاجة بعض، فـ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [يس: ٣٦]. وسبحان من جعل التفرد صفة خالصة له: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥].

أقسام التوحيد

والتوحيد قسمان: توحيد في المعرفة والإثبات، وهو التوحيد العلمي الخبري.

وتوحيد الطلب والقصد، وهو التوحيد الإرادي الطلبي، والقسمان يتضمنان الجواب عن سؤال واحد هو: من تعبد؟

والجواب: أعبدُ الله وحده لا شريك له رب العالمين ورب كل شيء ومليكه. وهو السؤال الذي يُسأَلُه العبد في قبره، حيث يقول له الملكان: من ربك؟

ولا يُحسن الجواب عن هذا السؤال إلا من عرف الله عز وجل بالتوحيد، ولم يشرك معه غيره في شيء من العبادة.

ومعرفة الله عز وجل تكون بشيئين بالنظر في آياته الكونية، وآياته الشرعية المقروءة في كتابه وفيما أوحاه إلى نبيه ورسوله محمد ﷺ.

أما الآيات الكونية فهي مخلوقات الله عز وجل الدالة على عظمة خالقها وسعة علمه وتمام قدرته كالسماوات والأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب، وكل هذه المخلوقات تسجد لخالقها وتسبح بحمده، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ﴾ [الحج: ١٨].

ولهذا أمرنا المولى سبحانه أن ننظر في هذه الآيات وأن نعتبر بها: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ. وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ. وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ. وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ. فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ. لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية: ١٧- ٢٢].

ونهى المولى تبارك وتعالى عباده عن صرف العبادة لشيء من هذه المخلوقات؛ لأنه لا تجوز العبادة إلا للخالق عز وجل فقال: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧]، فإذا ثبت أن الله سبحانه هو الرب الخالق الرازق فوجب على الناس أن يعبدوه وحده لا شريك له، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ. الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢].

فائدة

أولاً: توحيد المعرفة، يتضمن أمرين:

١- الإيمان بربوبية الله عز وجل بمعنى أنه المتفرد بالخلق والملك والتدبير.

٢- الإيمان بأسمائه الحسنى وصفاته العليا من غير تمثيل ولا تكييف ومن غير تحريف ولا تعطيل.

ثانيًا: توحيد المعرفة مقدمة لتوحيد القصد والطلب يؤدي إليه، فمن عرف الله حق المعرفة، توجه إليه وحده بالعبادة ولم يشرك معه غيره.

طريقة القرآن في الدعوة إلى التوحيد

كل آية في القرآن متضمنة للتوحيد، شاهدة به، داعية إليه، فالقرآن إما خبر عن الله وأسمائه الحسنى وصفاته العليا وأفعاله، فهذا هو التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وترك كل ما يُعبد من دونه، وهذا هو التوحيد الإرادي الطلبي، وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته سبحانه في أمره ونهيه وهذا من حقوق التوحيد ومكملاته.

تكريم الله لأهل التوحيد

وإما خبر عن كرامة الله لأهل توحيده

وطاعته، وما فعل بهم من التأييد في الدنيا، وما يكرمهم به في الآخرة في الجنة، وهذا جزاء التوحيد.

وإما خبر عن أهل الشرك الذين فارقوا التوحيد، وما فعل الله بهم من النكال في الدنيا، ومن الخذلان والعذاب في النار في الآخرة، وهذا جزاء من خرج عن حكم التوحيد، فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم، فـ﴿الْحَمْدُ للَّهِ﴾ توحيد، و﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ توحيد، ﴿الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾ توحيد، ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ توحيد، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ توحيد، ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ توحيد، ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ. صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ﴾ توحيد متضمن سؤال الهداية إلى طريق أهل التوحيد ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]، والبعد عن طريق الذين انحرفوا عن الحق عن علم وإعراض أو عن جهل وضلال، ﴿غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾، فالتوحيد غير طريق هؤلاء وأولئك.

اقرأ في إثبات الربوبية لله عزَّ وجلَّ وهي تفرده بالخلق والملك والتدبير:

﴿الْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢].

﴿أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾ [الرعد: ١٦].

﴿قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ. سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ. قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ. سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ. قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلاَ يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ. سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤- ٨٩].

واقرأ في توحيد الأسماء والصفات:

﴿الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ. مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٣، ٤].

﴿قُلِ ادْعُواْ اللَّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى﴾ [الإسراء: ١١٠].

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ. هُوَ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلاَمُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ. هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢- ٢٤].

واقرأ في توحيد المعرفة والإثبات:

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ. هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاء وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ. لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ. يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ. آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحديد:١-٧].

فإذا كانت الكائنات جميعها تسبح بحمده وتسجد له، وإذا كان سبحانه هو الخالق وهو المالك، خلق السماوات والأرض، وله ملك السماوات والأرض، وهو العليم بذات الصدور وبما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها، والعليم بما يكون من أعمال العباد، وهو العزيز الذي لا يغلب، الحكيم الذي لا يكون في خلقه ولا ملكه ولا

شرعه شيء من العبث، بل له الحكمة البالغة، وهو المحيي المميت، وهو على كل شيء قدير لا يعجزه شيء، فكيف لا يتوجه الإنسان إليه وحده بالعبادة دون سواه، وهو الذي يدعو الناس إلى عبادته وحده لا شريك له؛ لأنه المستحق للعبادة دون سواه: ﴿اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١].

ولهذا كانت دعوة الأنبياء والمرسلين:

﴿اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩].

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللَّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ. أَلاَ لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٢، ٣]، وكذبوا والله، فإن الله لا يمكن أن يتقرب إليه العبد بعبادة غيره معه وإن زعم أنهم وسيلة ووسطاء، ولهذا قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ. وَأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ. قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ. قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي. فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلاَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ. لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ. وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ. الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ١١- ١٨].

دحض شبه المشركين

وأقرأ في دحض شبه المشركين: ﴿قُلِ ادْعُواْ الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلاَ تَحْوِيلاً. أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٦، ٥٧]، ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لاَ يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ. وَلاَ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبأ: ٢٢، ٢٣]. وفي هذه الآية يقطع الله تعالى الأسباب التي يتعلق بها المشركون، فالمشرك إنما يتخذ معبوده لما يحصل له به من النفع، والنفع لا يكون إلا ممن فيه خصلة من هذه الخصال الأربع.

قطع شجرة الشرك واجتثاثها

أن يكون مالكًا لما يريده عابده، فإن لم يكن مالكًا كان شريكًا للمالك فإن لم يكن شريكًا له كان معينًا له وظهيرًا، فإن لم يكن معينًا ولا ظهيرًا، كان شفيعًا عنده، فنفي الله سبحانه المراتب الأربع نفيًا مرتبًا منتقلاً من الأعلى الى الأدنى ,فنفى الملك والشركة والمعاونة التي يطلبها المشرك وأثبت شفاعة لا نصيب فيها للمشركين، وهي الشفاعة من بعد إذن الله لمن رضي الله قوله وعمله.

قال شيخ الاسلام ابن تيمية: نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه أو يكون عونًا لله، ولم يبق الا الشفاعة، فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب سبحانه. اهـ.

ففي هذه الآية ونظائرها قطع لشجرة الشرك واجتثاثها من أصولها ,وإبطال لكل أساس يتعلق به من يدعو مع الله إلهًا أخر.

سورتا الإخلاص وما بينهما من المناسبة

بقلم
د. جمال المراكبي

منزلة السورتين

سورتا الإخلاص هما سورة ﴿قُلْ يا أيها الكافرون﴾ وسورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾.

كان رسول الله ﷺ يقرأ بهاتين السورتين في ركعتي الفجر حين يفتتح يومه، ويقرأ بهما في ركعتي سنة المغرب يختم بهما يومه، وفي الركعتين الأخيرتين من صلاة الوتر يختم بهما ليلته، وفي ركعتي الطواف في حجه وعمرته ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قرأ في ركعتي الفجر: قل يا أيها الكافرون: وقل هو الله أحد (ح٧٢٦) وفي المسند من حديث عبد الله بن عمر قال: رمقتُ النبي ﷺ شهرًا وكان يقرأ في الركعتين قبل الفجر بـ قل يا أيها الكافرون، وقل هو الله أحد. وفي رواية أخرى، رفقت النبي ﷺ أربعًا وعشرين أو خمسًا وعشرين مرة يقرأ في الركعتين قبل الفجر والركعتين بعد المغرب بـ «قل يا أيها الكافرون»، و«قل هو الله أحد».

وفي صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله في صفة حجة النبي ﷺ قال: «حتى إذا أتينا البيت معه، استلم الركن الحجر فرمل ثلاثا ومشى أربعا ثم نفذ إلى مقام إبراهيم عليه السلام فقرأ ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾ فجعل المقام بينه وبين البيت، كان يقرأ في الركعتين «قل هو الله أحد» و«قل يا أيها الكافرون».

[رواه مسلم من طريق جعفر بن محمد عن أبيه قال، دخلنا على جابر بن عبد الله، والشاهد من الحديث عن جعفر قال: فكان أبي يقول: ولا أعلمه ذكره إلا عن النبي ﷺ، كان يقرأ في الركعتين «قل هو الله أحد»، و«قل يا أيها الكافرون».

وروى الترمذي بإسناده عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله:

أن رسول الله ﷺ قرأ في ركعتي الطواف بسورتي الإخلاص قل يا أيها الكافرون، وقل هو الله أحد (ح٨٦٩).

وعن جعفر بن محمد عن أبيه أنه كان يستحب أن يقرأ في ركعتي الطواف بقل يا أيها الكافرون، وقل هو الله أحد (ح٨٧٠).

قال الترمذي: وحديث جعفر بن محمد عن أبيه في هذا أصح من حديث جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر عن النبي ﷺ].

مناسبة الجمع بين السورتين

ومناسبة الجمع بين هاتين السورتين أنهما سورتا الإخلاص أي

إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، وهذا هو تجريد التوحيد، فسورة الكافرون هي سورة البراءة من الشرك وأهله وتوحيد الله بالعبادة، وهذا هو توحيد الإلهية.

وسورة الإخلاص تتضمن صفة المعبود بحق وهو الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، وهذا هو توحيد المعرفة والإثبات.

سبب نزول السورتين

ذكر المفسرون في أسباب نزول هاتين السورتين أحاديث لا تخلو من مقال، فذكروا أن المشركين عرضوا على النبي ﷺ أن يعبد آلهتهم سنة، ويعبدون الله سنة فنزلت سورة البراءة من الشرك وأهله في الحال وفي الاستقبال ﴿قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولي دين﴾.

والتكرار في السورة إما للتأكيد على أنه ﷺ لا يعبد عبادتهم، ولا يعظم معبوداتهم، وإما لبيان الحال والاستقبال، وهو أنه لا يعبد عبادتهم حالا، ولا يمكن أن يعبد عبادتهم في المستقبل. ثم كانت البراءة المطلقة من عبادتهم ومعبوداتهم في قوله تعالى: ﴿لكم دينكم ولي دين﴾ وليس في هذا إقرار لمنهجهم الباطل، بل تبرؤ منه.

وذكروا في سبب نزول سورة الإخلاص أنهم قالوا: يا محمد انسب لنا ربك، وكأنه لما تبرأ من عبادتهم ومن معبوداتهم قالوا له فمن تعبد؟ انسب لنا ربك، فأنزل الله تعالى ﴿قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد﴾.

مناسبة بين السورتين وسور أخرى

وقد نزلت هاتان السورتان بمكة، والمسلمون قلة مستضعفة ولكنها قلة موعودة بالنصر والتمكين، ولهذا قال بعض المفسرين إن سورة (الكافرون) سبقتها في ترتيب المصحف سورة الكوثر وتلتها سورة النصر، فكأن المولى سبحانه وتعالى يثبت نبيه ﷺ والمستضعفين فيقول إذا كنتم قلة مستضعفة فإنا أعطيناك الكوثر، والكوثر هو الخير الكثير، وقيل هو نهر في الجنة، وهو ولا شك من الخير الكثير الذي وعد الله به نبيه ﷺ، فدلت السورة على أن الله قد أعطاهم ما يستبشرون به من الخير الكثير العميم، ثم جاءت السورة بعدها تبشر بالنصر ﴿إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابًا﴾ والمعنى أنه إذا كنتم اليوم قلة مستضعفة فإن الله يعدكم النصر والفتح القريب، ثم كانت بعدها سورة التبّ - أي الهلاك - للكافرين والبراءة منهم وإن كانوا أولي قربى ﴿تبت يدا أبي لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب سيصلى نارًا ذات لهب وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبلٌ من مسد﴾ ثم جاءت سورة الإخلاص

الكوثر هو الخير الكثير، وقيل هو نهر في الجنة، وهو لاشك من الخير الكثير الذي وعد الله به نبيه ﷺ

بعدها تصف المعبود الحق الواحد الأحد المتفرد بصفات الكمال والجلال، الصمد الذي كمل في ذاته وصفاته، السيد الذي كمل في سؤدده، العظيم الذي كمل في عظمته سبحانه، ومن كماله أنه غني عن كل ما سواه، والكل محتاج إليه مفتقر إليه، أما هو سبحانه فلا يحتاج لأحد، ومن كماله أنه سبحانه «لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد﴾ فنفى سبحانه عن نفسه ما وصفه به المشركون ونزه نفسه عما نسبوه إليه من النقص والعيب كما قال تعالى: ﴿وقالوا اتخذ الله ولدًا سبحانه بل له ما في السماوات والأرض كل له قانتون بديع السماوات والأرض وإذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون﴾ [البقرة:١١٦،١١٧] .

وقال تعالى: ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولدًا لقد جئتم شيئًا إدًا تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدًا أن دعوا للرحمن ولدًا وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدًا إن كل من في السماوات والأرض إلا آتى الرحمن عبدًا لقد أحصاهم وعدهم عدًا وكلهم آتيه يوم القيامة فردًا﴾ [مريم:٨٨ - ٩٥] .

فمن كان هذا شأنه في الخلق والملك، والحياة والقيومية، ومن يرث الأرض ومن عليها، ومن كان الخلق عبيدًا له سبحانه فكيف يتخذ الولد، وما حاجته إلى الولد؟ سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا، ولهذا تمدح سبحانه باستغنائه عمن سواه فقال:

﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدًا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرًا﴾ [الإسراء:١١] .

ثم تأتي بعد ذلك سورتا المعوذتين تقرران أن الله سبحانه هو الذي يحمي أولياءه ويعيذهم من كل مكروه وسوء، وفيهما الأمر بسؤال الله وحده، تصديقا لقول الله تعالى ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾[غافر:٦٠]، ولقول النبي ﷺ:

«إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، وأعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف». [صحيح رواه أحمد وغيره] .

فضل السورتين

أولا: سورة الكافرون براءة من الشرك:

روى الطبراني عن جبلة بن حارثة قال: يا رسول الله: علمني شيئًا أقوله عند منامي. قال: «إذا أخذت مضجعك من الليل فاقرأ «قل يا أيها الكافرون» حتى تمر بآخرها فإنها براءة من الشرك».

ثانيًا: سورة الإخلاص وفضائلها كثيرة:

١- فهي تعدل ثلث القرآن، وقد صح عن النبي ﷺ في ذلك أحاديث منها ما رواه البخاري، عن أبي سعيد؛ قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟» فشق ذلك عليهم وقالوا أينا يطيق ذلك يا رسول الله؟ فقال :«الله الواحد الصمد ثلث

قراءة سورة «الكافرون» عند النوم؛ براءة من الشرك، وسورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن والله تعالى يحبُ من قرأها

القرآن».

٢- وهي صفة الرحمن: والله عز وجل يحب من يحب قراءتها:

فعن عائشة، أن النبي ﷺ بعث رجلا على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم، فيختم بـ ﴿قل هو الله أحد﴾ فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: «سلوه لأي شيءٍ يصنع ذلك؟» فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها. فقال النبي ﷺ: «أخبروه أن الله تعالى يحبه».

٣- حبها يوجب دخول الجنة:

قال البخاري في كتاب الصلاة: وقال عبيد الله، عن ثابت، عن أنس؛ قال: كان رجل من الأنصار يؤمهم في مسجد قباء، فكان كلما افتتح سورة يقرأ بها لهم في الصلاة ما يقرأ به، افتتح بـ ﴿قل هو الله أحد﴾ حتى يفرغ منها، ثم يقرأ سورة أخرى معها، وكان يصنع ذلك في كل ركعة. فكلمه أصحابه فقالوا: إنك تفتتح بهذه السورة ثم لا ترى أنها تجزئك حتى تقرأ بالأخرى، فإما أن تقرأ بها، وإما أن تدعها وتقرأ بأخرى. فقال: ما أنا بتاركها، إن أحببتم أن أؤمكم بذلك فعلت، وإن كرهتم تركتكم. وكانوا يرون أنه من أفضلهم، وكرهوا أن يؤمهم غيره. فلما أتاهم النبي ﷺ أخبروه الخبر فقال: «يا فلان؛ ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك، وما حملك على لزوم هذه السورة في كل ركعة؟». قال: إني أحبها. قال: «حبك إياها أدخلك الجنة».

- وحبها يوجب محبة الله تعالى لقوله ﷺ: «أخبروه أن الله يحبه».

٤- قراءتها مع المعوذتين تكفي من كل سوء:

فعن معاذ بن عبد الله بن خبيب، عن أبيه؛ قال: أصابنا عطش وظلمة، فانتظرنا رسول الله ﷺ يصلي لنا، فخرج فأخذ بيدي، فقال: «قل». فسكت، قال: «قل». قلت: ما أقول؟ قال: «﴿قل هو الله أحد﴾ والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح ثلاثًا، تكفيك كل يوم مرتين».

٥- التوسل بها في الدعاء لتضمنها اسم الله الأعظم:

عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه؛ أنه دخل مع رسول الله ﷺ المسجد، فإذا رجل يصلي، يدعو يقول: اللهم؛ إني أسألك بأني أشهد أن لا إله إلا أنت، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد. قال: «والذي نفسي بيده، لقد سأل الله باسمه الأعظم، الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى».

رواه الترمذي ك الدعوات ح٣٤٧٥ وقال هذا حديث حسن غريب وابن ماجه ك الدعاء ح٣٨٥٧ بنحوه وصححه الألباني.

وأخيرًا فإن فضائل السورة تدل على أن ما فيها من المعاني العظيمة مما يقوي الإيمان في قلوب المؤمنين، يزدادون معرفة بالله وتعظيما لجنابه وإجلالا يزدادون إيمانا مع إيمانهم، فدل ذلك على فضل التوحيد وجلالته.

فاحرص أخي القارئ الكريم على توحيد الله عز وجل، وتمسك به، وعض عليه بالنواجذ، وإياك والشرك كبيره وصغيره ولا تغتر بمن يزينونه لك تحت مسميات الشفاعة أو الوسيلة، فإن الله لا يرضى إلا بتوحيده.

والله من وراء القصد. وهو المستعان وعليه التكلان.

احذر أيها المسلم من الشرك؛ كبيره وصغيره، ولا تغتر بمن يزينونه لك تحت مسميات الشفاعة أو الوسيلة، فإن الله لا يرضى إلا بتوحيده!!

آية العظمة

بقلم
د. جمال المراكبي

الله سبحانه وتعالى هو العظيم، جلت عظمته عن الوصف، ولا طريق لمعرفة الله والإقرار بعظمته وجلاله إلا بالنظر في آيات الله المتلوة والتدبر في معاني هذه الآيات، أو النظر في آيات الله الكونية والتأمل في عظيم صنع الله تعالى، وقد حثنا القرآن الكريم على الأمرين، فقال المولى تبارك وتعالى في تدبر آيات القرآن العظيم: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا [محمد: ٢٤]، وقال سبحانه ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ [ق: ٣٧]، وقال سبحانه في الحث على التفكر في آيات الكون: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ. الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١]، وقال: ﴿وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ. وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ [الذاريات: ٢٠، ٢١].

ففي الأرض من الآيات الدالة على عظمة الخالق وقدرته الباهرة مما قد نرا فيها من صنوف النبات والحيوان والجبال والقفار والأنهار والبحار، وما دق وما عظم من المخلوقات ما يدل على عظيم قدرة الله تعالى وبديع صنعه الذي تحار فيه العقول.

وما في السماء من آيات أعظم مما في الأرض، فقد بناها الخلاق العظيم بقوة وأوسع خلقها، وبغير عمد رفعها وأقامها، وزينها بالنجوم والكواكب، حتى إن الناظر إليها بأعظم وسائل التقنية من تلسكوب أو أقمار صناعية ليحار من عظمتها وسعتها: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ [الذاريات: ٤٧].

وإذا كان العلماء قد استطاعوا تقدير المسافة بين الأرض وبين القمر، وبين الأرض وبين الشمس، مستخدمين في ذلك سرعة الضوء كوحدة للقياس، فإنهم لا يزالون يعلنون عن عجزهم عن مجرد رؤية أبعاد السماء أو تصور سعتها، ولهذا يعبرون عنها بأنها فضاء لا نهائي.

عظمة الله تعالى.. وعظمة بعض مخلوقاته!!

وقد اهتم أهل السنة بما يثير في النفوس كوامن التعظيم لله عز وجل، فكتبوا في ذلك وصنفوا، ويندر أن تجد كتابًا من كتب الاعتقاد على طريقة السلف الصالح إلا وتجد فيه أبوابًا في عظمة الله تعالى، وعظمة بعض مخلوقاته الدالة على عظمته سبحانه كالحديث عن الملائكة ومنهم حملة العرش ومن حوله، والحديث عن الكرسي والعرش وعظم خلقهما.

ومن علماء السلف من صنف في موضوع العظمة ذاته فكتبوا في دلائل عظمة الله تعالى في آياته المنظورة وآياته المتلوة المسموعة، ومن أشهر من كتب في موضوع العظمة أبو الشيخ الأصبهاني المتوفى سنة ٣٦٩هـ، ومن قبله أبو أحمد العسال المتوفى سنة ٣٤٩هـ.

ومن الآيات القرآنية التي تثير في نفوس المؤمنين دلائل العظمة التي تليق بذي الجلال والإكرام آية الكرسي؛ لذا وصفها النبي ﷺ بانها أعظم آية في كتاب الله عز وجل، وكل القرآن عظيم.

ففي الصحيح أن رسول ﷺ سأل أبي بن كعب قائلاً: يا أبا المنذر، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟ فقال أُبَيّ بن كعب: الله ورسوله أعلم. فأعاد عليه النبي ﷺ السؤال، فقال أبي: آية الكرسي: ﴿اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ... ، فضرب النبي ﷺ في صدره وقال: «ليهنك العلم أبا المنذر، والذي

نفسي بيده إن لها لسانًا وشفتين تقدس الملك عند ساق العرش». [مسلم (ح٨١٠)، وأحمد مسند الأنصار (٢٠٣١٨)].

آية جمعت أصول الأسماء والصفات!!

وهذه الآية الكريمة تتكون من خمسين كلمة في عشر جمل تضمنت التوحيد، فإنها جمعت أصول الأسماء الحسنى والصفات العليا من التفرد بالإلهية والوحدانية، ومن كمال الحياة والعلم والقيومية والملك والقدرة والإرادة، فدلت على توحيد الإلهية في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾، ودلت على توحيد الربوبية في قوله تعالى: ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، وفي قوله تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾، ودلت على توحيد الأسماء والصفات بما ورد فيها من أسماء وأوصاف لله عز وجل تدل على كماله وجلاله وعظمته، وقد ورد فيها اسم الله ما بين ظاهر ومضمر ثماني عشرة مرة، فالظاهر من الأسماء الحسنى في الآية الكريمة الله الحي القيوم العلي العظيم، وباقي الأسماء ورد في صيغة الضمير، ودلت على صفات الذات وصفات الفعل كالحي والقيوم، ودلت على صفات السلب- النفي- بمعنى نفي النقائص والعيوب عن الله عز وجل كما في قوله تعالى: ﴿لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ﴾، وفي قوله تعالى: ﴿وَلاَ يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾.

كما دلت على الصفات الثبوتية التي تثبت لله كل كمال كما في قوله: ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، ﴿الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾، وأثبتت لله تعالى الملك والقدرة والقوة والإحاطة والعلم والعلو والعظمة... إلخ.

وسميت هذه الآية آية الكرسي لأنه ورد فيها ذكر الكرسي وأنه وسع السماوات والأرض، فدل على أنه أعظم خلقًا من السماوات والأرض ومن الكون المنظور.

روى الترمذي في جامعه- باب فضائل القرآن (ح٢٨٨٤) حدثنا محمد بن إسماعيل- البخاري- قال حدثنا الحميدي حدثنا سفيان بن عيينة في تفسير حديث عبد الله بن مسعود قال: ما خلق الله من سماءٍ ولا أرضٍ أعظم من آية الكرسي.

قال سفيان: لأن آية الكرسي هي كلام الله، وكلام الله أعظم من خلق الله ومن السماء والأرض.

قال في تحفة الأحوذي: وفي قول سفيان هذا نظر، فإنه يلزم على هذا أن لا تكون هذه الفضيلة مختصة بآية الكرسي، بل تعم كل آية من القرآن لأن كلا منها كلام الله تعالى.

قلت: وهو استدراك صحيح، فإن آية آيةٍ من القرآن من كلام الله تعالى، صفة من صفات الله تعالى، وصفةُ الله أعظم من كل مخلوق، فلا يكون هذا خاصًا بآية الكرسي.

السموات والأرضون في الكرسي كحلقة في فلاة من الأرض، والعرش أعظم من الكرسي، هذا الخلق؛ فكيف عظمة الخالق؟!!

معنى كلمة التوحيد

والمعنى عندي والله أعلم أن المراد بآيةِ الكرسي في هذا الخبر ليس الآية من القرآن كما يتبادر إلى الذهن، وإنما المراد من آية الكرسي، الكرسي الذي خلقه الله تعالى دون العرش، وهو آية من آيات الله سبحانه في خلقه، وهو أعظم من السماء والأرض، كما في قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

﴿اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ أي: لا معبود بحق سواه، وهو معنى كلمة التوحيد.

﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ هذا نعت- وصف- لله تعالى يتضمن اسمين من أجل الأسماء الحسنى ورد في الحديث أنهما اسم الله الأعظم.

ورد اسم الحي مقرونًا بالقيوم في ثلاثة مواضع: ﴿اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥، آل عمران: ٢]، ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ [طه: ١١١].

وورد منفردًا في موضعين: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لاَ يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٨].

﴿هُوَ الْحَيُّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: ٦٥].

وفي صحيح مسلم عن ابن عباس (٢٧١٧) أن رسول الله كان يقول: «اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت، اللهم إني أعوذ بعزتك أن تضلني أنت الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون». [حم ٢٦١٢].

وفي «سنن الترمذي» (٣٥٢٤) عن أنس قال: كان النبي ﷺ إذا كربه أمر قال: «يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث».

﴿لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ﴾، وهذا لكمال حياته وقيوميته، وفي هذا المعنى يقول النبي ﷺ: «إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه».

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾: خلقًا وملكًا وعبودية، فهو سبحانه المالك، وما سواه مملوك، وهو الخالق الرازق المدبر، وغيره مخلوق مرزوق لا يملك لنفسه ولا لغيره مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، ولهذا قال سبحانه: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾، فلا يملك الشفاعة إلا الله، ولا يشفع عنده أحد إلا من بعد إذنه للشافع ورضاه عن المشفوع فيه، فإذا أراد سبحانه أن يرحم من يشاء من عباده، أذن لمن أراد من عباده أن يشفع فيه قال تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾، وقال: ﴿وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى﴾، وقال: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لاَ تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [النجم: ٢٦].

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ فهو سبحانه وتعالى بكل شيء عليم، وبكل شيء محيط، وسع كل شيء علمًا، يعلم ما كان وما هو كائن وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، أما الخلق فقد وصفهم الله سبحانه بقوله: ﴿وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ﴾، فلا يطلعون على شيء من ذاته وصفاته إلا بما أطلعهم عليه، ولا يحيطون به علمًا، ولا يعلمون من أمر الكون أو الشرع إلا ما أعلمهم الله عز وجل.

علم الخلائق.. وعلم الله سبحانه!!

وعلم الخلائق جميعًا لا يساوي قطرة في بحر علم الله عز وجل كما قال الخضر لموسى عليهما السلام، ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾.

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ هذه هي الآية التي لا تدانيها السماوات والأرض عظمة، مع أن الكرسي دون العرش، والعرش أعظم منه، ولقد صح عن النبي ﷺ: «ما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقةٍ ملقاة بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة». [السلسلة الصحيحة (حديث رقم١٠٩)].

﴿وَلاَ يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾، فالله سبحانه هو الحي القيوم، لايثقله ولا يُتعبه حفظ السماوات والأرض وما فيهن، وهو القائم بتدبير هذه المخلوقات على عظمتها، وهو القائم على كل نفس بما كسبت الرقيب على كل شيء، والأشياء كلها محتاجة إليه وهو الغني الحميد الفعّال لما يريد، وهو القاهر لكل شيء وهو العلي العظيم الكبير المتعال، وحملة العرش بين يديه يسبحونه ويمجدونه.

مع أن الواحد من هؤلاء الملائكة أعظم خلقًا من السماء والأرض، كما قال النبي ﷺ: «أذن لي أن أحدث عن ملك من حملة العرش ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام».

فسبحان من هذا ملكه، ومن هذا تدبيره، ومن هؤلاء خلقه وعبيده، ومن جلت عظمته عما يشرك به المشركون، ويصفه به الجاحدون: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ. وَسَلاَمٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

والله من وراء القصد.

الله سبحانه هو الحي القيوم، لايثقله ولا يُتعبه حفظ السماوات والأرض وما فيهن، وهو القائم بتدبير هذه المخلوقات على عظمتها!!

الشريعة الربانية شريعتنا

بقلم
د. جمال المراكبي

الشريعة الإسلامية شريعة ربانية مصدرها وحي الله عز وجل، أنزله على عبده ورسوله محمد ﷺ ليعمل بها، ويدعو إليها ويحكم بين الناس بمقتضاها، وحذره سبحانه من اتباع أهواء المضلين الذين يريدون فتنته عن الحق الذي أنزله الله: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِيمَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ. وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ. أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٤٨- ٥٠].

لما ذكر الله تعالى قبل هذه الآيات التوراة التي أنزلها على موسى وأثنى عليها وأمر باتباعها حيث كانت سائغة الاتباع، وذكر الإنجيل الذي أنزله على عيسى ومدحه وأمر أهله بإقامته واتباع ما فيه، ومن تمام الاتباع للتوراة والإنجيل الإيمان بما فيهما من بشارات تبشر بمبعث النبي محمد ﷺ وتحث على تصديقه ومتابعته ومتابعة ما جاء به من الحق، قال سبحانه: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾.

قال السعدي في الآيات السابقة: يقول تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ الذي هو القرآن العظيم، أفضل الكتب وأجلها.

﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: إنزالاً بالحق، ومشتملاً على الحق في أخباره وأوامره ونواهيه. ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ﴾ ؛ لأنه شهد لها ووافقها، وطابقت أخباره أخبارها، وشرائعه الكبار شرائعها، وأخبرت به، فصار وجوده مصداقًا لخبرها.

﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ أي: مشتملاً على ما اشتملت عليه الكتب السابقة، وزيادة في المطالب الإلهية والأخلاق النفسية، فهو الكتاب الذي تتبع كل حق جاءت به الكتب فأمر به، وحث عليه، وأكثر من الطرق الموصلة إليه.

وهو الكتاب الذي فيه نبأ السابقين واللاحقين، وهو الكتاب الذي فيه الحكم والحكمة والأحكام، الذي عرضت عليه الكتب السابقة، فما شهد له بالصدق فهو المقبول، وما شهد له بالرد فهو مردود، قد دخله التحريف والتبديل، وإلا فلو كان من عند الله، لم يخالفه.

﴿فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ من الحكم الشرعي الذي أنزله الله عليك. ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ أي: لا تجعل اتباع أهوائهم الفاسدة المعارضة للحق بدلاً عما جاءك من الحق فتستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير.

﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ﴾ أيها الأمم ﴿شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ أي: سبيلاً وسُنَّة، وهذه الشرائع التي تختلف باختلاف الأمم، هي التي تتغير بحسب تغير الأزمنة والأحوال، وكلها ترجع إلى العدل في وقت شرعتها، وأما الأصول الكبار التي هي مصلحة وحكمة في كل زمان، فإنها لا تختلف، فتشرع في جميع الشرائع. ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ تبعًا لشريعة واحدة، لا يختلف متأخرها ومتقدمها.

﴿وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِيمَا آتَاكُمْ﴾ فيختبركم وينظر كيف تعملون، ويبتلي كل أُمة بحسب ما تقتضيه حكمته، ويؤتي كل أحد ما يليق به، وليحصل التنافس بين الأمم، فكل أمة تحرص على سبق غيرها، ولهذا قال: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ أي: بادروا إليها وأكملوها، فإن الخيرات الشاملة لكل فرض ومستحب، من حقوق الله وحقوق عباده، لا يصير فاعلها سابقًا لغيره مستوليًا على الأمر، إلا بأمرين:

المبادرة إليها، وانتهاز الفرصة حين يجيء وقتها ويعرض عارضها، والاجتهاد في أدائها كاملة على الوجه المأمور به، ويستدل بهذه الآية، على المبادرة لأداء الصلاة وغيرها في أول وقتها، وعلى أنه ينبغي أن لا يقتصر العبد على مجرد ما يجزئ في الصلاة وغيرها من العبادات من الأمور الواجبة، بل ينبغي أن يأتي بالمستحبات، التي يقدر عليها لتتم وتكمل، ويحصل بها السبق.

﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ الأمم السابقة واللاحقة، كلهم سيجمعهم الله ليوم لا ريب فيه. ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ من الشرائع والأعمال، فيثيب أهل الحق والعمل الصالح، ويعاقب أهل الباطل والعمل السيئ. ﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾.

وهذه الآية تدل على أنه إذا حكم، فإنه يحكم بينهم بما أنزل الله من الكتاب والسنة، وهو القسط الذي تقدم أن الله قال: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾، ودل هذا على بيان القسط، وأن مادته هو ما شرعه الله من الأحكام، فإنها المشتملة على غاية العدل والقسط، وما خالف ذلك فهو جور وظلم.

﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ كرر النهي عن اتباع أهوائهم لشدة التحذير منها، ولأن ذلك في مقام الحكم والفتوى، وهو أوسع، وهذا في مقام الحكم وحده، وكلاهما يلزم فيه أن لا يتبع أهواءهم المخالفة للحق، ولهذا قال: ﴿وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ أي: إياك والاغترار بهم، وأن يفتنوك فيصدوك عن بعض ما أنزل [الله] إليك، فصار اتباع أهوائهم سببًا موصلاً إلى ترك الحق الواجب، والفرض اتباعه.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن اتباعك واتباع الحق ﴿فَاعْلَمْ﴾ أن ذلك عقوبة عليهم، وأن الله يريد ﴿أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾، فإن للذنوب عقوبات عاجلة وآجلة، ومن أعظم العقوبات أن يبتلى العبد ويزين له ترك اتباع الرسول، وذلك لفسقه.

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ أي: طبيعتهم الفسق والخروج عن طاعة الله واتباع رسوله.

﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ أي: أفيطلبون بتوليهم وإعراضهم عنك حكم الجاهلية، وهو كل حكم خالف ما أنزل الله على رسوله. فلا ثم إلا حكم الله ورسوله أو حكم الجاهلية. فمَنْ أعرض عن الأول ابتلي بالثاني المبني على

ينبغي أن لا يقتصر العبد على مجرد ما يجزئ في الصلاة وغيرها من العبادات. بل ينبغي أن يأتي بالمستحبات، التي يعذر عليها لتتم وتكمل، ويحصل بها السبق

الجهل والظلم والغي، ولهذا أضافه الله للجاهلية، وأما حكم الله تعالى فمبني على العلم، والعدل والقسط، والنور والهدى.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ فالموقن هو الذي يعرف الفرق بين الحكمين ويميز - بإيقانه - ما في حكم الله من الحسن والبهاء، وأنه يتعين - عقلا وشرعًا - اتباعه.

واليقين ؛ هو العلم التام الموجب للعمل. اهـ.

وهنا تتجلى ميزة الشريعة الإسلامية بالمقارنة بالشرائع والقوانين الأخرى، فمصدرها كلمات الله تعالى غير مبدلة ولا محرفة ولا مختلطة بأوهام وأغلاط وانحرافات البشر، وما عداها من الشرائع والقوانين لا تخرج من حيث مصدرها عن نوع من ثلاثة:

١- فهي إما نظام بشري محض، نتاج تفكير عقلي فلسفي لفرد من الأفراد، أو لمجموعة من الناس، كالماركسية والرأسمالية وغيرهما.

٢- وإما نظام ديني شابه التحريف، فأدخل فيه ما ليس منه، واختلط بأوهام البشر كاليهودية والنصرانية.

٣- وإما نظام ديني لا يعرف مصدره كديانات الهند المتعددة.

ومنهج الإسلام يعلو على كل هذه المناهج، فهو المنهج الذي صانه الله عن كل تحريف، وهو المنهج الذي يضيء بنور من الله، ويرمي إلى صلاح الدنيا والآخرة.

وقد قرر العلامة ابن خلدون ذلك في مقدمته، فبين أن الاجتماع البشري والملك يستوجب وجود قوانين سياسية مفروضة يسلمها الكافة وينقادون إلى أحكامها، فإذا كانت هذه القوانين مفروضة من العقلاء وأكابر الدولة وبصرائها كانت سياسة عقلية، وإذا كانت مفروضة من الله بشارع يقررها ويشرعها كانت سياسة دينية نافعة في الحياة الدنيا والآخرة. ثم يقرر: أن ما كان منها بمقتضى القهر والتغلب وإعمال القوة العصبية فهو جور وعدوان مذموم، وما كان منها بمقتضى السياسة وأحكامها فمذموم أيضا لأنه نظر بغير نور الله، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور، لأن الشارع أعلم بمصالح الكافة فيما هو مغيب عنهم من أمور آخرتهم.

وأعمال البشر كلها عائدة عليهم في معادهم، من ملك أو غيره، قال ﷺ: «إنما هي أعمالكم ترد عليكم»، وأحكام السياسة إنما تطلع على مصالح الدنيا فقط «يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا» ومقصود الشارع بالناس صلاح آخرتهم، فوجب بمقتضى الشرائع حمل الكافة على الأحكام الشرعية في أحوال دنياهم وآخرتهم، وكان هذا الحكم لأهل الشريعة وهم الأنبياء، ومن قام فيه مقامهم وهم الخلفاء.

منهج الإسلام يعلو على كل المناهج، فهو المنهج الذي صانه الله عن كل تحريف، وهو المنهج الذي يضيئ بنور من الله ويرمي إلى إصلاح الدنيا والآخرة!!

النتائج المترتبة على ربانية المصدر:

يترتب على ربانية المصدر نتائج عدة تدور كلها حول كمال الله تعالى صاحب هذا المنهج، أما المناهج الأخرى فيلازمها نقص البشر وعجزهم وقصورهم. ومن هذه النتائج:-

١- العصمة من التناقض والتطرف والاختلاف فالبشر يختلفون من عصر لآخر ومن بيئة لأخرى، لذا كان الاجتهاد في المسالة الواحدة يتغير بتغير الزمان والمكان. ولا شك أن ما نلمسه في كل أنظمة البشر من إفراط أو تفريط هو نتيجة هذا الاختلاف، بل هو نتيجة العجز والقصور البشرى، إذ أن تفكير الإنسان في وضع منهاج أو مذهب غالبا ما يكون نتيجة لرد فعل معين، وانعكاسا لأوضاع وأحوال بيئية تؤثر في تصوره للأشياء وحكمه على الأمور شاء أم لم

يشأ، ولهذا نرى التطرف الواضح والتناقض البين في موقف الأنظمة البشرية من الروحية والمادية، والفردية والجماعية، فتلك الأنظمة لا تخلو من إفراط أو تفريط.

٢- البراءة من التحيز والهوى، فإن من ثمرات المنهج الرباني اشتماله على العدل المطلق، وبراءته من الجور والتحيز، وهذا الجور والتحيز لا يسلم منه بشر، فلا وجود لبشر معصوم من التأثر بالأهواء والنزعات سواء كانت شخصية أم طبقية أم حزبية أم قومية.. إلخ. إلا من عصمهم الله تعالى من ذلك. وهم الأنبياء. أما المنهج الرباني الذي شرعه رب العالمين المنزه عن النزعات والأهواء فهو المنهج الحق الذي يقيم القسط بين الناس.

٣- الاحترام وسهولة الانقياد، فالربانية تضفي على المنهج احتراما وقدسية لا يمكن أن يظفر بهما أي نظام بشري مهما بلغت درجة الوعي والرقي عند المخاطبين بهذا النظام البشري.

ومنشأ هذا الاحترام والتقديس إيمان المكلفين بربوبية الله عز وجل وإفراده وحده بالعبادة، وأنه المنزه عن كل نقص، المستوجب لكل كمال والإيمان بأن هذه الحياة الدنيا وسيلة لرضاء الله عز وجل وليست غاية في ذاتها، والإيمان بأن المنهج الرباني هو المتضمن لصلاح العباد في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

ويتبع هذا الإيمان وهذا الاحترام والتقديس رضاء المكلف بكل تعاليم هذا المنهج وتقبله بنفس راضية، والمسارعة إلى تنفيذ هذا المنهج - بلا روغان - والسمع والطاعة في كل ما يأمر به أو ينهي عنه. ولنضرب لذلك مثالا: لما أنزل الله تبارك وتعالى الآيات التي تحرم الخمر تحريما نهائيا، وسمعها الصحابة رضي الله عنهم وكان بعضهم في مجلس شراب قد رفع الكأس إلى فمه، ألقى بالكأس من على فيه قائلا: انتهينا يا ربنا. وقام كل منهم فاراق ما عنده من مخزون الخمر في الطرقات، وكان بعضهم قد جاء من سفره متاجرا وقد احتمل معه الكثير من الخمور للشرب والبيع فلما علم تحريمها قال: أفلا أبيعها؟ فلما علم أن ثمنها حرام قام فأراقها.

وتستطيع أن تقارن بين ما ذكرنا وبين ما حدث في الولايات المتحدة الأمريكية حين رأى عقلاء الأمة وساستها ما تسببه الخمر من أضرار ومفاسد فقرروا تحريمها بقانون، ولكن هذا القانون لم يوضع موضع التنفيذ من الذين وضعوه ولا من غيرهم، وتفنن الجميع في التحايل على هذا القانون، حتى وجد عقلاء الأمة وساستها أن القانون لم يثمر شيئًا، وأن الأفضل لهم إلغاء هذا القانون وإباحة الخمور مرة أخرى على الرغم من مفاسدها، وهذا التصرف من المشرع الوضعي ينم عن تناقض غريب وقصور شديد.

٤- التحرر من عبودية الإنسان للإنسان، ولا ريب أن الإنسان بطبعه يأنف من الانقياد لمثله، ولكنه إذا اعتاد هذا الانقياد على حساب حريته فإنه ربما فقد ذاتيته وصار تابعا لغيره تبعية هي أقرب إلي العبادة وهي تبعية مذمومة بلا ريب يفقد معها الإنسان إنسانيته.

والله يتولى الجميع بتوفيقه.

يترتب على ربانية المصدر نتائج تدور كلها حول كمال الله تعالى صاحب هذا المنهج، أو المناهج الأخرى فيلازمها نقص البشر وعجزهم وقصورهم!!

خصائص الشريعة الربانية

بقلم
د. جمال المراكبي

إذا كانت الشريعة الإسلامية ربانية من حيث المصدر والوجهة والغاية، فإنها أيضا شريعة إنسانية، فهي تخاطب الإنسان وتكرم الإنسان وتوائم وتلائم بين الجانب الروحي وبين الجانب المادي الغريزي في الإنسان.

وإذا كان المصدر ربانيا، فإن الإنسان هو الذي يتفهم هذا المصدر. وهو الذي يستنبط منه كما سبق أن بينا حين تحدثنا عن الاجتهاد، وهو ما أسميناه بالتشريع ابتناء لا ابتداء.

وإذا كانت هناك بعض المذاهب والفلسفات التي تهتم بالإنسان، إلا أنها جميعا لا تبلغ في ذلك مبلغ الإسلام، فهي لا تعرف الإنسان معرفة كاملة، بل دائما تنظر إليه من جهة معينة ومن جانب واحد، مغفلة في نظرتها باقي الجوانب والزوايا في حياة الإنسان.

وبنظرة سريعة على المذاهب والفلسفات والنحل التي ما تزال قائمة نجد أن منها ما ينظر إلى الجانب الروحي للإنسان غير عابئ بجانبه الحسي أو المادي، ومنها ما ينظر إلى الجانب المادي للإنسان غير عابئ بجانبه الروحي فلا يعترف بالإنسان إلا ترسا في آلة.

ومن هذه المذاهب ما يعطي الإنسان الفرد من الحقوق والحريات ما يطلق له العنان بلا حدود ولا قيود، ومنها ما يكبل الإنسان ويقيده ويحطم إنسانيته ويحرمه من مجرد الهمس، وفي النهاية لا نكاد نجد نظاما أو مذهبا يتعامل مع الإنسان من حيث هو إنسان كما يتعامل الإسلام، بما يتسم به من خصائص ومميزات:

١. الوسطية

الوسطية سمة من سمات الشريعة الخالدة فقد تتعامل شريعة من الشرائع أو مذهب من المذاهب مع التطرف القائم بتطرف مضاد حتى تحد منه وتقضي عليه، فإذا ما تسنى لها ذلك، فلابد أن ترجع عن تطرفها العلاجي إلى الوسطية والتوازن. والشريعة الخالدة لذلك منزهة عن التطرف، فهي شريعة وسط متوازنة.

وكذلك أمة الإسلام أمة وسط، فالشريعة هي التي تصنع الأمة، والأمة هي التي تقيم الشريعة، لذا كانت الأمة الوسط هي التي تقيم الشريعة الوسط ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة:١٤٣].

والوسط هو الخيار والأجود، يقال قريش أوسط العرب نسبا، وكان النبي ﷺ وسطا في قومه أي أشرفهم نسبا، ويقول النبي ﷺ فأسألوا الله الفردوس الأعلى فهو أوسط الجنة وأعلى الجنة. وعلى هذا تكون هذه الأمة أوسط الأمم وأفضلها، وتكون شريعتها خير الشرائع وأوسطها، لأنه لما جعل الله هذه الأمة وسطا خصها بأكمل الشرائع وأقوم

المناهج وأوضح المذاهب.

والوسط هو العدل، قال ابن حجر: هو مرفوع من نفس الخبر، أي تفسير الوسط بالعدل مرفوع للنبي ﷺ في أكثر من رواية.

وعلى هذا تكون هذه الأمة هي أعدل الأمم، وتكون شريعتها أعدل الشرائع. قال ابن جرير: والذي أرى أن معنى الوسط في الآية الجزء الذي بين الطرفين والمعنى أنهم وسط لتوسطهم في الدين فلم يغلوا كغلو النصارى، ولم يقصروا كتقصير اليهود، ولكنهم أهل وسط واعتدال.

والآية كما يرى ابن حجر تحتمل كل هذه التفسيرات فلا تعارض بينها ولما كانت هذه الأمة هي أوسط الأمم وخصها الله بأوسط الشرائع والمناهج ومنحها بذلك أهلية الشهادة على من سواها من الأمم السابقة عليها ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [الحج:٧٨].

٢.الوضوح

تتميز شريعة الإسلام بالوضوح التام، الوضوح في الأصول والعقائد، والوضوح في الشرائع، والوضوح في الغايات والأهداف، والوضوح في المناهج والطرق[٨] وترجع سمة الوضوح أساسا إلى وضوح المصدر الذي تستقي منه أحكام الشرائع ألا وهو الكتاب والسنة، فالكتاب الكريم المنهاج الحق المبين لا خلاف عليه، ولا خلاف فيه، صانه الله تبارك وتعالى عن التبديل والتغيير، ويسره وسهله للذكر ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ [القمر:١٧] ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:١٩] وسنة المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه واضحة جلية رغم محاولات أعداء الدين تشويهها وخلطها بما ليس منها للتلبيس على الناس، ولكن الله تعالى حفظها ووفق أناسًا لتدوينها وتمييز صحيحها من سقيمها.

وأحكام الإسلام، لا تقتصر معرفتها على بعض الناس دون غيرهم، فهي ليست أحكاما كهنوتية تدرس بين جدران المعابد، ويتوارثها الأبناء عن الآباء ولا يجوز لأحد غيرهم أن يطلع عليها، ولكنها أحكام واضحة جلية في مصادر ثابتة واضحة تدعو كل من عنده قلب وعقل وفهم ليعيها ويعمل بها ويعلمها غيره.

«خيركم من تعلم القرآن وعلمه»، «طلب العلم فريضة على كل مسلم».

ولكن الناس يتفاوتون في سعة مداركهم ومقدار أخذهم واستيعابهم لأحكام هذه الشريعة، فمنهم العلماء العاملون المجتهدون، ومنهم الحفاظ الناقلون، ومنهم المعرضون عن الحق والخير، وفي بيان ذلك يضرب النبي ﷺ المثل فيقول: «إن مثل ما بعثني الله به من الهدي والعلم كمثل غيث أصاب أرضا، فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماءا ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه الله بما بعثني به فعلم وعلّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدي الله الذي أرسلت به».

خيركم من تعلم القرآن وعلمه. وطلب العلم فريضة على كل مسلم ولكن الناس يتفاوتون فى سعة مداركهم ومقدار أخذهم واستيعابهم لأحكام هذه الشريعة !!

وأحكام الإسلام تنقسم إلى قسمين رئيسيين.

١ - قسم يجب على كل المكلفين معرفته ولا يسع المسلم في الظروف العادية أن يجهله، مثل أركان الإيمان والاعتقاد، وأحكام الصلاة والطهارات... إلخ.

٢ - وقسم لا يجب على كل المكلفين معرفته، وإنما يجب على مجموع المكلفين أن يكون من بينهم من يعلمه، ويسمون أهل الذكر الذين قال الله فيهم ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣].

أما القسم الأول فهو فرض عين على كل مسلم مكلف، وأما القسم الثاني فهو فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين، لذلك لم يأمر الله تعالى الجميع بالسفر لطلب العلم، ولكن أمرهم أن يسافر بعضهم لطلبه ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾ [التوبة:١٢٢].

٣. الثبات والمرونة

الشريعة الإسلامية هي الشريعة الخاتمة الخالدة نسخت كل الشرائع، وبقيت ثابتة خالدة لا تنسخها شريعة أخرى حتى يرث الله الأرض ومن عليها، فهي شريعة ثابتة راسخة لا تتغير ولا تتبدل.

والثبات مطلب عزيز وغال، يمنح الشريعة شرعية قوية ثابتة ويعطيها من الاحترام والتقديس الكثير، ولكنه في ذات الوقت يصم الشريعة بالجمود أمام ما يعن من حوادث وقضايا، والجمود عيب كبير في الشرائع التي تصاب به.

وجميع التشريعات والقوانين تسعى لحل هذه المشكلة بالتغيير والتعديل، والتغيير مطلب ملح لمواجهة الحوادث المتجددة والمتغيرة، ولكنه يصم الشريعة بعيب كبير، وهو عدم الاستقرار بما يشعر الناس بالقلق الدائم والخوف من المستقبل.

ولا شك أن التوفيق بين الثبات والمرونة أمر في غاية الصعوبة. وهو يمثل مشكلة من أكبر المشاكل التي تواجه صناع القوانين، فالثبات يستلزم الجمود والتغيير يعني عدم الاستقرار.

ولقد استطاعت الشريعة الربانية التغلب على تلك المشكلة المعضلة فهي الشريعة الوحيدة التي استطاعت أن تجمع بين الثبات والمرونة في آن واحد، فلقد طبقت هذه الشريعة منذ أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان، فإذا ما نظرت إليها وطبقتها الآن أحسست أنها وليدة العصر الذي نعيش فيه، وهذه هي المعجزة الربانية الكبرى.

ولكن كيف تغلبت الشريعة الربانية الخاتمة والخالدة على هذه المشكلة، أعني مشكلة الجمع بين الثبات والمرونة؟

إن شريعة الإسلام التي ختم الله بها الشرائع، قد أودع الله فيها عنصر الثبات والخلود وعنصر المرونة والتطور في آن واحد، ويمكن أن نحدد مجالات الثبات ومجالات المرونة في هذه الشريعة إجمالا في عدة أمور: فالثبات يكون على الأصول والكليات، والمرونة في الفروع والجزئيات، والثبات يكون على الأهداف والغايات، والمرونة في الأساليب والوسائل، الثبات على القيم الدينية وأمور العبادات، والمرونة في الشئون الدنيوية من التعاملات والسياسات.

الثبات على المصادر الرئيسية من قرآن وسنة، والمرونة فيما عدا ذلك من مصادر

إن شريعة الإسلام التي ختم الله بها الشرائع قد أودع الله فيها عنصر الثبات والخلود وعنصر المرونة والتطور في آن واحد

فرعية متجددة كالعرف والمصلحة والقياس والاستحسان.

وعلى هذا يمكن تقسيم أحكام الشريعة الإسلامية إلى قسمين رئيسيين. قسم يمثل الثبات وقسم يمثل المرونة والتطور، وهذا ما عبر عنه ابن القيم حيث قال: الأحكام نوعان:

نوع لا يتغير عن حالة واحدة هو عليها، لا بحسب الأزمنة ولا الأمكنة ولا اجتهاد الأئمة، كوجوب الواجبات وتحريم المحرمات، والحدود المقدرة شرعا.

والثاني يتغير بحسب اقتضاء المصلحة له زمانا ومكانا وحالا كمقادير التعزيرات وأجناسها وصفاتها، فإن الشارع ينوع فيها حسب المصلحة، فشرع التعزير بالقتل لمدمن الخمر في المرة الرابعة، وأخبر عن تعزير مانع الزكاة بأخذ شطر ماله.. الخ. فيدخل في القسم الأول ما ثبت بدليل قطعي كالقرآن والسنة المتواترة والإجماع ويدخل في القسم الثاني ما ثبت بدليل ظني كاجتهاد أو نحوه.

ويدخل في القسم الأول ما كانت دلالته على معناه دلالة قطعية، ويدخل في القسم الثاني ما كانت دلالته على معناه دلالة ظنية ويمكن أن نضرب بعض الأمثلة على ما سبق وبيناه إجمالا:

١ ـ القرآن الكريم يأمر بالشورى ويحث عليها «وشاورهم في الأمر» ويمتدح المجتمع المسلم لالتزامه بالشورى «وأمرهم شورى بينهم»، ولكن القرآن الكريم والسنة المطهرة ليس فيهما إلزام بشكل معين ولا أسلوب محدد للشورى، بل الأمر متروك في ذلك لظروف الزمان والمكان فالأمر بالشورى ثابت لا يتغير، وطريقة الشورى وأسلوبها من المرونة بمكان بحيث تخضع لظروف الزمان والمكان.

القرآن الكريم يأمر بالشورى ويحث عليها، ويمتدح المجتمع المسلم لالتزامه بالشورى، ولكن القرآن والسنة المطهرة ليس فيهما إلزام بشكل معين ولا أسلوب محدد للشورى !!

٢ ـ القرآن الكريم يأمر بالعدل والقسط «وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل»، و«لا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتقوى» فأوجب الله تبارك وتعالى الالتزام بالعدل في المجتمع المسلم، والعدل الكامل حتى مع الأعداء، ولا يسمح بأي تهاون أو تساهل في إقرار العدل ومنع الظلم وهذه هي دائرة الثبات فلا يستطيع أحد تغيير حكم الشرع في الأمر بالتزام العدل ومنع الظلم لأنه ظلمات يوم القيام.

والنصوص لم تتقيد بشكل معين لنشر العدل، ولا لأساليب التقاضي بين الناس بل إن هذا متروك لظروف الزمان والمكان والمصلحة، وهذه هي دائرة المرونة.

والأمثلة على ذلك كثيرة في الكتاب والسنة:

وهكذا نجد أنفسنا مقيدين بالتزام أحكام الكتاب والسنة الثابتة التي لا تزال قائمة ما قامت هذه الشريعة، ومع هذا التقيد نجد أن هناك مجالا واسعا فسيحا للاجتهاد والتشريع، وهذا يكون كما بينا في دائرتين.

أولا: ما لم يرد فيه نص من كتاب أو سنة، وهي ما يمكن أن يطلق عليه منطقة الفراغ التشريعي، فقد ترك الشارع الحكيم هذه المنطقة وهي ما يطلق

عليه بعض الفقهاء «العفو» لقول النبي ﷺ: «ما أحل الله في كتابه فهو حلال، وما حرم فهو حرام، وما سكت عنه فهو٧ عفو فاقبلوا من الله عافيته فإن الله لم يكن لينسى شيئا وقرأ «وما كان ربك نسيا».

ثانيا: النصوص المتشابهة - ظنية الدلالة - التي تحتمل أكثر من تاويل سائغ وأكثر من فهم وأكثر من رأي وفي هذا فسحة وسعة.

ولهذا نجد كبار الفقهاء ينصون على تغير الأحكام بتغير الزمان والمكان، وكانوا يسيغون تغير الاجتهاد في المسالة الواحدة من وقت لآخر، ويقول قائلهم ذاك على ما قضينا، وهذا على ما نقضي.

وقد كان للشافعي مذهبان أحدهما القديم في العراق، والآخر الحديث في مصر حيث تتغير ظروف المكان.

وقد عقد ابن القيم فصلا في تغير الفتوى بحسب ظروف الزمان والمكان قال فيه: هذا فصل عظيم النفع جدا وقد وقع بسبب الجهل به غلط عظيم على الشريعة، أوجب من الحرج والمشقة وتكليف ما لا سبيل إليه ما يعلم أن الشريعة الباهرة التي في أعلى رتب المصالح لا تاتي به، فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم وصالح العباد في المعاش والمعاد. فهي عدل كلها ورحمة كلها ومصالح كلها وحكمة كلها، فكل مسالة خرجت عن العدل إلى الجور وعن الرحمة إلى ضدها وعن المصلحة إلى المفسدة وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتاويل... ثم يدلل ابن القيم على كلامه المجمل بذكر أمثلة عديدة يطول المقام جدا إن استقصيناها.

٤.الشمول

والشمول من لوازم ومتطلبات الخلود، فالشريعة الإسلامية الخالدة ما نزلت إلا لتطبق في كل مكان وزمان، وكل من يتفهم دعوة الإسلام ووجوب نشرها وتبليغها يعلم يقينا أن الشريعة الإسلامية هي الشريعة الصالحة للتطبيق في كل مكان، ولا شك أن سريان أحكام هذه الشريعة على معظم بلدان العالم قديما في آسيا وإفريقيا وأوربا يؤيد هذا القول، والشريعة الإسلامية الخالدة هي الشريعة الصالحة للتطبيق في كل وقت وزمان، فهي خاتمة الشرائع، نسخت كل الشرائع، ولا تنسخها شريعة وقد سبق أن بينا ذلك من قبل.

ولا تقتصر جوانب الشمول في هذه الشريعة على صلاحيتها لكل زمان ومكان، بل إن للشمول جوانب أخرى منها:

أن شريعة الإسلام تشمل كافة الجوانب التي يتعرض لها الإنسان في حياته، فهي عقيدة وشريعة وأخلاق، ولا تقتصر على جانب المعاملات بين الناس فحسب، بل تشمل معاملة العبد لربه ومعاملته لنفسه ومعاملته لغيره على السواء.

وهي تشمل الإنسان في جميع أطوار حياته، وبعد مماته، وحتى وهو جنين في بطن أمه.

وهي تشمل جميع المكلفين، ولا يستثنى أحد أيا كان من الخضوع لأحكامها حتى الإمام الأعظم نفسه فهو أحد المكلفين، بل هو أثقل المكلفين حملا.

والله من وراء القصد.

إن شريعة الإسلام تشمل كافة الجوانب التى يتعرض لها الإنسان فى حياته فهى عقيدة وشريعة وأخلاق ولا تقتصر على جانب المعاملات بين الناس !!

الإسلام والغرب صراع أم حوار

المؤتمر الحادي عشر للمركز الإسلامي العام لدعاة التوحيد والسنة بمسجد العزيز بالله.. بالزيتون

د. جمال المراكبي

امتدت أعمال المؤتمر لمدة سبعة أيام متواصلة، وحاضر فيها لفيف من رجال الفكر الإسلامي والفكر السياسي والاقتصادي على حد سواء، وكان على رأس المحاضرين فضيلة الشيخ محمد صفوت نور الدين الرئيس العام للمؤتمر، واللواء أحمد عبد الوهاب رئيس شرف المركز الإسلامي، واستمع إلى المحاضرات جمع غفير من المسلمين يقدر بعشرات الآلاف، فضلا عن المشاركين عن طريق شبكة الإنترنت.

وكان من أبرز ما تناوله المحاضرون والمحاورون ما يلي:

أولا: الإسلام دين الله الحق

فهو دين الأنبياء جميعا، وخاتمة رسالات الله سبحانه لهداية الناس جميعا، ورسول الله ﷺ خاتم النبيين وإمام المرسلين أرسله الله إلى الناس كافة بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، بسبيل واضح وصراط مستقيم.

ثانيا: الدعوة الإسلامية وعالميتها

الدعوة إلى الإسلام دعوة إلى الكافة لم تقتصر على مكان دون مكان ولا على زمان دون زمان، وهي على سبيل واضح بالحجة والبرهان والحكمة والموعظة الحسنة ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف:١٠٨].

ثالثا: جهاد المسلمين الأوائل لنشر الدين

لقد جاهد المسلمون الأوائل لنشر دين الله ففتح الله بهم البلاد، وفتح للهداية قلوب العباد ودخل الناس في دين الله أفواجًا، اتسعت رقعة الإسلام وامتدت في مشارق الأرض ومغاربها، بفضل الله ثم بفضل جهود الدعاة المخلصين واجتماع كلمة المسلمين على فهم وتطبيق هذا المنهاج قولا وعملا ودعوة.

والواجب على دعاة المسلمين أن يوجهوا الطاقات ويكثفوا الجهود في هذه الدعوة لهداية الناس. وتعريف صحيح الإسلام دون إفراط أو تفريط.

رابعا: الجهاد وسيلة لإعلاء كلمة الله

لم يكن الجهاد في سبيل الله وسيلة لإكراه الناس على اعتناق هذا الدين، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة:٢٥٦] وآيات القتال لا تعنى الإكراه للدخول في دين الإسلام وإنما قتال أئمة الكفر الذين يصدون عن سبيل الله، ويحولون بين الناس وبين نور الإيمان ﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾ [التوبة:١١]. ﴿لاَ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الممتحنة:٨،٧].

ولهذا لم تدخل جيوش المسلمين أرض الحبشة لأن النجاشي ترك المسلمين أحرارًا في أرضه ولم يكره أحدًا على الإسلام ولم يحل بين الإسلام وبين أحد، بينما كسرى وقيصر كتب إليهم النبي ﷺ يدعوهم بدعاية الإسلام فرفضوا وجيشوا الجيوش لحرب المسلمين.

خامسا: الصراع بين المسلمين أدى بهم إلى الضعف

تعرض المسلمون لأنواع من الصراع والصدام على مدى تاريخهم الطويل للحيلولة دون المد الإسلامي فكانت فتوحات الإسلام في قرون الخير الأولى، فلما اختلف المسلمون فيما بينهم تعرضوا لصنوف من الغزو العسكري، فكان الاجتياح الصليبي للمشرق العربي من جهة الغرب، وكانت الهجمات التترية المغولية من جهة المشرق. وأخيرًا الاستعمار الغربي لبلاد المسلمين بعد سقوط الخلافة العثمانية في القرن الماضي.

سادسا.. الإسلام تعرض لعمليات تشويه كبيرة

نالت من القرآن والسنة ومن شخص رسول الله ﷺ ومن ثوابت إسلامية، حتى وُصف المسلمون بأنهم أمة وثنية يعبدون الأصنام ويعبدون محمدًا، وبأنهم همجيون، مصاصون للدماء، وكان الهدف من هذا التشويه هو الحيلولة دون انتشار دين الإسلام بين العامة في أوروبا، ومع كل محاولات التشويه والتشويش فإن الإسلام لا يزال ينتشر. ويغزو القلوب حبًا لا قهرًا.

سابعا.. العمل على إبعاد المسلمين عن دينهم

وأدى هذا التشويش لظهور التيارات المعارضة للإسلام في بلاد المسلمين وقويت شوكة هذه التيارات في بعض بلاد المسلمين، ونجحت في تنحية الشريعة الإسلامية عن بعض مناحي الحياة، واختلطت الكثير من العادات والأعراف الفاسدة بمعتقدات كثير من المسلمين وسلوكهم مما ساعد على تكريس الفهم الخاطئ للإسلام.

ثامنا.. أعظم حضارة عرفها التاريخ

أقام المسلمون أعظم حضارة عرفتها البشرية على مر العصور حضارة قامت على أساس الإيمان، وتاسست على العدل حتى مع الأعداء، ودعت إلى مكارم الأخلاق، وكرمت الإنسان ﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة:٨].

وكان لهذه الحضارة أكبر الأثر في قيام الحضارة الغربية وإن اتسمت حضارة الغرب بشيء من التسلط والاستغلال وامتصاص ثروات الشعوب الفقيرة، والإنفاق على التسلح بصورة كبيرة، وإيقاع العداوة والبغضاء بين الآخرين والعمل على إثارة الفتن

والحروب والتربح من وراء ذلك حتى قدر بعض الخبراء أن ما ينفق على التسليح في العام الواحد يكفي لإشباع كل الفقراء في العالم.

تاسعا.. إضعاف الغرب للمسلمين وتفتيتهم

وترسيخ المشاكل الحدودية، وتبني الأفكار المتطرفة البعيدة عن جوهر الإسلام والإبقاء على المسلمين كأمة ضعيفة مشتتة مقطعة الأوصال لضمان استغلالهم واستنزاف ثرواتهم والإبقاء عليهم سوقًا لبضائعهم ولأفكارهم وغزو المسلمين ثقافيًا وفكريًا.

عاشرا.. الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة شعار الإسلام

لذلك لابد من تأهيل دعاة متخصصين للحوار بمستوياته المختلفة، مع غير المسلمين ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

حادي عشر.. الحوار لا يعني عدم رد العدوان ممن يرفض الحوار ويصر على الاعتداء

فإذا تعرضت الأمة المسلمة لنوع من العدوان وجب عليها التكاتف لرد هذا العدوان.

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة:١٩٠].

التوصيات

أولا: الدعاة: يجب على دعاة المسلمين بذل الجهد لمجابهة هذا الانحراف والتشويش، وإعادة عموم المسلمين إلى فهم الإسلام فهمًا سليمًا، والعمل بمقتضاه والاستعانة بأهل الخبرة والاختصاص لوضع المناهج التعليمية التي تُرسخ الفهم الصحيح للإسلام وتجمع بين علوم الدين والدنيا على حد سواء.

والاهتمام بمناهج إعداد الدعاة وتثقيف العاملين بحقل الدعوة الإسلامية واستخدام وسائل التقنية الحديثة في تعليمهم.

واستخدام مفاهيم الإعلام الحديثة ووسائله المختلفة للدعوة إلى إظهار وجه الإسلام المشرق، بما في ذلك القنوات الفضائية وشبكة المعلومات الدولية «الانترنت».

والعمل على تأهيل الدعاة المتخصصين للعمل بين صفوف المسلمين خارج بلاد المسلمين وهم الأقليات المسلمة - وتعليمهم قواعد الإسلام الصحيح وأخلاقيات الإسلام الراقية.

ثانيا: المطلوب من الغرب: ١ - بتقديم الاعتذار عن المظالم والاعتداءات التي تعرضت لها الأمة الإسلامية عبر تاريخها الطويل من حروب صليبية وحروب استعمارية استنزفت الثروات وسفكت فيها الدماء.

٢ - إذا كان الغرب قد أعلن الاعتذار لليهود بصور عديدة، فدفع لهم التعويضات الهائلة، وأقام لهم دولة إسرائيل على أرض فلسطين وشرد العرب من أراضيهم التي عاشوا فيها منذ فجر التاريخ، فالغرب لذلك مطالب اليوم بالاعتذار للمسلمين عن المظالم والمآسي التي لحقت بهم بسبب الحروب الصليبية.

٣ - تعويض الشعوب الإسلامية عن قرون الاستعمار الغربي لبلادهم واستنزاف مواردهم الطبيعية والبشرية.

٤ - تعويض الشعوب الإسلامية عن خسائرها في الحربين العالميتين الأولى والثانية، ولا نزال نرى آثرها في بعض بلاد المسلمين ونحصد ثمارها المرة كما في حقول الألغام التي زرعوها في الصحراء الغربية (٢٢ مليون لغم) وحرمت مصر من زراعة مليوني فدان بالقمح والشعير على ماء المطر.

٥ - الكف عن صور التشويه المتعمد للإسلام والمسلمين وللنبي ﷺ في وسائل الإعلام ومراكز الدراسات الاستشراقية ومناهج التعليم.

٦ - وكذلك الكف عن الخلط المتعمد بين دين الإسلام وعقائده ومثله، وبين سلوكيات بعض المسلمين التي ترجع إلى التقاليد، ولا يقرها الإسلام ولا تحسب عليه.

وقد اعترف بعض المفكرين الغربيين المعاصرين بهذا الخلط وبأنهم يعتبرون أن دراسة الإسلام تعني دراسة الشعوب والبلاد الإسلامية في واقعها المعاصر، فيسحبون على الإسلام صفة التخلف التي تعيش فيه هذه الشعوب.

٧ - الكف عن سياسة الكيل بمكيالين في مجال السياسة الدولية، وخير مثال على ذلك غض الطرف عن ممارسات إسرائيل العدوانية، والتأييد المطلق لها.

وكذلك في مجال التسلح النووي، حيث تمتلك إسرائيل ترسانة نووية، مع تحريم ذلك وملاحقته على المسلمين بمختلف الذرائع والأعذار.

لأجل ذلك نطالب بإخلاء منطقة الشرق الأوسط من أسلحة الدمار الشامل والبدء بإسرائيل في هذا المجال.

٨ - الكف عن سياسة تجويع الشعوب بذريعة معاقبة الأنظمة الحاكمة كما حدث لليبيا والسودان والعراق وغيرها.

ثالثا: المطلوب من المسلمين: ١ - وأخيرًا نطالب المسلمين شعوبًا وحكومات بالكف عن النزاعات والصراعات عملا بقول نبينا ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض» فالمسلم أخو المسلم لا يسلمه ولا يظلمه كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه، وعدم مظاهرة غير المسلمين على حرب المسلمين.

٢ - سرعة التحرك للوصول إلى وسائل التأثير المتعددة في المجتمعات الغربية والتحاور مع الناس وتصحيح ما لديهم من معلومات خاطئة ومشوهة عن الإسلام.

ولابد من استثمار وجود الهيئات الدبلوماسية الرسمية الإسلامية في المجتمعات الغربية للإسهام في برامج تغيير الصورة المشوهة وإظهار صورة بديلة من الإسلام وذلك من خلال توجيه هذه الهيئات إلى ما يمكن تسميته بالدبلوماسية الشعبية التي تؤكد صلتها مع شرائح ومؤسسات المجتمع المدني بدلا من الاكتفاء بالصلات مع الدوائر الحكومية فحسب.

وكذلك مشاركة العرب والمسلمين المقيمين في هذه البلدان لهذا الغرض، وإمدادهم بالمال والمعلومات والنشرات اللازمة لهذا العمل الجليل.

وفي الختام فنحن لا نخشى على الإسلام فهو دين الله الخاتم، تولى حفظه فحفظه وأبقاه حتى يرث الله الأرض ومن عليها، ولكن نخشى على المسلمين من جراء التفريط والتضييع.

افتتاحية العدد

رمضان والجنة

بقلم
د. جمال المراكبي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وبعد..

فقد أظلنا شهرٌ كريم مبارك، افترض الله علينا صيامه، وسن لنا النبي ﷺ قيام ليله، وحثنا على اغتنام الأوقات والأعمال الصالحة فيه، ابتغاء مرضاة الله عز وجل، ورغبة في جنته والنجاة من ناره.

واغتنام شهر رمضان بصيام النهار، وقيام الليل، والحرص على الخيرات، وتحصيل الطاعات، واجتناب الموبقات؛ يسوقُ العبدَ إلى الجنة، ويحولُ بينه وبين النار، ويحققُ التقوى في القلوب المؤمنة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من آمن بالله وبرسوله، وأقام الصلاة، وصام رمضان، كان حقًا على الله أن يدخله الجنة، جاهد في سبيل الله، أو جلس في أرضه التي ولد فيها». فقالوا: يا رسول الله، أفلا نبشر الناس؟ قال :«إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة، أو أعلى الجنة، أُراه فوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة». [كتاب الجهاد والسير (ح٢٧٩٠)، كتاب التوحيد (ح٧٤٢٣)].

وروى مسلم في صحيحه عن جابر بن عبدالله أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ، فقال: أرأيت إذا صليت الصلوات المكتوبات وصمت رمضان، وأحللت الحلال، وحرمت الحرام، ولم ازد على ذلك شيئًا أأدخل الجنة؟ قال: «نعم». قال: والله لا أزيد على ذلك شيئًا. [كتاب الإيمان، باب الذي يدخل به الجنة (ح١٨)].

وروى الترمذي عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب في حجة الوداع، فقال: «اتقوا الله ربكم، وصلوا خمسكم وصوموا شهركم، وأدوا زكاة أموالكم، وأطيعوا ذا أمركم تدخلوا جنة ربكم». [كتاب الجمعة (ح رقم ٦١٦)].

قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وروى أبو داود عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خمسٌ من جاء بهن مع إيمان دخل الجنة؛ من حافظ على الصلوات الخمس على وضوئهن وركوعهن وسجودهن ومواقيتهن، وصام رمضان، وحج البيت إن استطاع إليه سبيلاً، وأعطى الزكاة طيبةً بها نفسه، وأدى الأمانة». قالوا: يا أبا الدرداء، وما أداء الأمانة؟ قال: «الغسل من الجنابة». [كتاب الصلاة- باب المحافظة على الصلوات (ح ٤٢٩)].

وسكت عنه أبو داود، وسنده لا بأس به.

وشهر رمضان شهر خير وبركة، يجمع الله للمؤمن فيه ألوانًا من الطاعات قلما تتيسر في غير رمضان، لذلك فهو سوق رائجة للجنة، فإذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة وغُلقت أبواب النار، وسُلسلت الشياطين ومردة الجن.

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل رمضان فُتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب جهنم، وسلسلت الشياطين».

وقد جعل الله سبحانه أبواب الجنة على حسب أبواب الخير والطاعة، وجعل للصوم بابًا هو باب الريان، ففي الصحيحين من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة بابًا يقال له: الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل معهم أحد غيرهم، يُقال: أين الصائمون؟ فيدخلون منه، فإذا دخل آخرهم أُغلق فلم يدخل منه أحد». [متفق عليه. وهذا لفظ مسلم كتاب الصوم (١١٥٢)، ورواه البخاري، كتاب الصوم (١٨٦٩)، ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه وأحمد].

ولاحظ أخي الكريم المناسبة بين ما يصيب الصائم من الجوع والعطش، وبين باب الريان، حيث لا جوع ولا ظمأ.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من أبواب الجنة: يا عبد الله، هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دُعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دُعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة». فقال أبو بكر: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يُدعى أحدٌ من تلك الأبواب كلها؟ قال: «نعم، وأرجو أن تكون منهم». [متفق عليه].

وانظر أخي- رحمك الله- كيف يجمع الله لعبده المؤمن في رمضان بين الصلاة، والصوم، والصدقة، وإفطار الصائمين، وجهاد النفس والشيطان، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغيرها من أعمال الخير، والناس ما بين مستقل ومستكثر،

ومقبلٍ ومدبر، وحريص على الخير، ومعرض، والتوفيق بيد الله عز وجل، فهو الذي يفتح لعباده المؤمنين أبواب الخير، والجنة، نسأل الله التوفيق والسداد.

مجاهدة الإنسان نفسه في طاعة الله!!

ينبغي للمؤمن أن يكون صاحب همة عالية، ورجاء في فضل الله عظيم، وأن تكون همته في طلب الجنة، بل الفردوس الأعلى من الجنة، فإذا قصر عمله وسعيه عن هذه الدرجة العالية لم يحرم ما سواها من الدرجات.

وإذا حُرم المؤمن منزلة الجهاد في سبيل الله- جهاد الكفار بالسيف والسنان- فجهاد الإنسان نفسه في طاعة الله، وجهاد الشيطان وأولياء الشيطان بالدعوة إلى الله متاح، وما حُرم المؤمن الجهاد في سبيل الله، فليعلم أنه ليس محرومًا من الأجر، بل له من الإيمان والتزام الفرائض والطاعات ما يوصله للجنة، وإن قصر عن درجة المجاهدين، بل قد ييسر الله لعبده المؤمن المجتهد من الخير ما يدرك به درجة المجاهد في سبيل الله أو يزيد.

عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه أن رجلين من بَلِيٍّ قدما على رسول الله ﷺ، وكان إسلامهما جميعًا، فكان أحدهما أشد اجتهادًا من الآخر، فغزا المجتهد منهما فاستشهد، ثم مكث الآخر بعده سنة، ثم تُوفي.

قال طلحة: فرأيت في المنام بينا أنا عند باب الجنة إذا أنا بهما، فخرج خارج من الجنة فأذن للذي توفي الآخر منهما، ثم خرج فأذن للذي استشهد، ثم رجع إليَّ فقال: ارجع، لم يأن لك بعد.

فأصبح طلحة يُحدث به الناس، فعجبوا لذلك، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، وحدثوه الحديث، فقال: «من أي ذلك تعجبون»؟ فقالوا: يا رسول الله، هذا كان أشدَّ الرجلين اجتهادًا ثم استشهد، ودخل هذا الآخرُ الجنة قبله!! فقال رسول الله ﷺ: «أليس قد مكث هذا بعده سنةً؟» قالوا: بلى. قال: «وأدرك رمضان، فصام، وصلى كذا وكذا من سجدةٍ في السنة؟» قالوا: بلى. قال رسول الله ﷺ: «فما بينهما أبعدُ مما بين السماء والأرض». [ابن ماجه، تعبير الرؤيا (٣٩٢٥)، وفيه انقطاع، قال في الزوائد: رجال إسناده ثقات، إلا أنه منقطع. قال ابن المديني وابن معين: أبو سلمة لم يسمع من طلحة شيئًا].

والحديث في مسند أحمد «مسند العشرة» (١٣٢٧)، وباقي مسند المكثرين (٨٠٤٩)، وقد صححه الألباني في صحيح ابن ماجه برقم (٣١٧١)، فلعله صححه بما في المسند من شواهد أحدها عن أبي هريرة (٨٠٤٩). والله أعلم.

وبَلِي: حَيٌّ من قُضاعة.

واعلم أخي المسلم أن الصوم كما هو باب للجنة، فإنه يحول بين المرء وبين النار؛ لأنه يحول بين المرء وبين الشهوات، وفي الحديث: «حفت الجنة بالمكاره، وحُفت النار بالشهوات»، و«الصوم جنة»، وهو حصن حصين من النار، و«من صام يومًا في سبيل الله باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفًا».

نسأل الله الجنة، ونعوذ به من النار. والله من وراء القصد.

افتتاحية العدد

من خصائص الشريعة الإسلامية

بقلم
د. جمال المراكبي

«كفالة الحقوق والحريات»

هذا المبدأ فرع هام لأصل عظيم وثابت في الشريعة الإسلامية، فالحقوق والحريات إنما كفلتها شريعة الإسلام، فهي إذن تستمد قيمتها من قيمة المصدر الذي تستقي منه وهو الشريعة الإسلامية، فهي تستند إلى الشرع مباشرة وتستمد قوتها من قوته وخلودها من خلوده، وقدسيتها من قدسيته، فلا يملك أحد المساس بهذه الحقوق أو النيل منها مهما أوتي من قوة إلا إذا نال من شريعة الإسلام نفسها فسلبها قوتها ونحاها عن الواقع العملي، فخرج بذلك عن نطاق المشروعية.

من حقوق الأفراد في الإسلام

المساواة:

لقد قررت الشريعة الإسلامية المساواة بين بني البشر في أرقى صورها، فلم تعترف الشريعة بفروق مصطنعة تقوم على أساس من جنس أو لون أو لغة، فالناس جميعا سواء في أصل الخلقة ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء:١].

فالبشر جميعًا يرجعون إلى أصل واحد، خلقهم الله سبحانه من نفس واحدة - آدم عليه السلام - وخلق منها زوجها، وبث منهما رجالا كثيرًا ونساء، كان بهم إعمار الكون، فكيف يتمايز بعضهم على بعض على أسس واهية ما أنزل الله بها من سلطان.

إن الأساس الوحيد الذي يتفاضل الناس ويتمايزون على أساسه هو اتباع أوامر خالق الكون جل وعلا واجتناب نواهيه، وهو التقوى، وهو ما أمر الله به في صدر هذه الآية «اتقوا ربكم» فالتقوى هي الأساس الوحيد السليم الذي يتمايز به بنو البشر، ولا عبرة بما سواه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات:١٣] - فالإسلام لا يعرف العصبية ولا العنصرية، بل جعل التقوى هي الأساس الوحيد للتفاضل عند رب العالمين سبحانه وتعالى، قال الرسول ﷺ في خطبته

المأثورة في حجة الوداع: «أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، أكرمكم عند الله أتقاكم ليس لعربي فضل على أعجمي، ولا لعجمي فضل على عربي، ولا لأحمر فضل على أبيض، ولا لأبيض فضل على أحمر إلا بالتقوى، ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد، ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب» أحمد والترمذي بسند حسن.

ويربي الإسلام في الإنسان هذا المبدأ وينميه ويرعاه حتى يكون أساسًا لحياة المسلمين، ويتجلى هذا النهج واضحا في إقامة الشعائر والعبادات التي فرضها الإسلام وحث عليها.

ففي الصلاة يصطف الناس جميعًا خلف إمامهم بلا تمايز بينهم، فالكل في موقف العبادة والتضرع والتذلل لله سواء، وفي الصوم يمتنع الجميع عن الطعام والشراب وسائر المفطرات طوال اليوم بلا تفرقة بين غني وفقير أو سوقة وأمير، وكذلك في الحج تتجلى المساواة في أروع صورها وأرقى معانيها فالكل في ملابس الإحرام سواء.

المساواة أمام القانون

لعل من أروع صور المساواة وأبرزها في الإسلام ما جاءت به الشريعة الخالدة من جعل الناس جميعا سواسية أمام قانونها، فتعاليم الإسلام يخضع لها الجميع دون تفرقة.

لقد قرر القرآن الكريم هذه المساواة التامة في كثير من آياته، وقررها النبي ﷺ في كثير من أحاديثه، فالناس جميعا متساوون في الحقوق والواجبات دون تفرقة بينهم لأجل اللون أو النسب أو الغنى والفقر، وفي ذلك تروي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن قريشا أهمتهم المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ، ومن يجترئ على ذلك إلا أسامة - حب رسول الله ﷺ؟ فكلم أسامةُ رسول الله ﷺ فيها، فقال: أتشفع في حد من حدود الله؟ ثم قام فخطب فقال: «يا أيها الناس، إنما ضل من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد. وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها»، وفي رواية أخرى: «إنما هلك من كان قبلكم أنهم كانوا يقيمون الحد على الوضيع، ويتركوه على الشريف، والذي نفسي بيده لو فاطمة فعلت ذلك لقطعت يدها» رواهما البخاري (كتاب الحدود).

المساواة أمام القضاء

وهذا مظهر آخر من مظاهر المساواة التي لم تعرفها كثير من التشريعات حتى اليوم، فجميع المواطنين أمام القضاء في الدولة الإسلامية سواء. وقد جرى العمل في الشريعة على محاكمة الخلفاء والملوك والولاة أمام القضاء.

فهذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - يفقد درعا له في مسيره لصفين، ثم يجدها بعد ذلك في يد يهودي، فقال لليهودي: الدرع درعي ولم أَبِعْ ولم أَهَبْ، فقال اليهودي: درعي وفي يدي، فقال علي: نصير إلى القاضي شريح، فقال شريح: قل يا أمير المؤمنين، فقال علي: نعم هذا الدرع التي في يد هذا اليهودي درعي لم أبِعْ ولم أهَبْ، فقال شريح: ما قولك يا يهودي؟ فقال: درعي وفي يدي، فقال شريح لعلي: ألك بينة يا أمير المؤمنين؟ قال علي: نعم قُنْبرُ والحسن يشهدان أن الدرع درعي، فقال شريح: شهادة الابن لا تجوز للأب، فقال علي: رجل من أهل الجنة لا تجوز شهادته؟! فقال اليهودي: أمير المؤمنين قدمني إلى قاضيه، وقاضيه قضى عليه، أشهد أن هذا هو الحق؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله، وأن الدرع درعك يا أمير المؤمنين. [ذكر هذه القصة السيوطي بسند مجهول، وذكرها ابن كثير في البداية

جـ٨ ص٥ وفيها الرجل كان نصرانيا].

وبلغ حرص الإسلام في المساواة بين الخصوم أمام القضاء حدَّ مساواتهم في إقبال القاضي عليهم ونظره إليهم، وقد جاء في خطاب عمر بن الخطاب إلى قاضيه أبي موسى الأشعري: (واسِ بين الناس في مجلسك وفي وجهك وفي قضائك حتى لا يطمع شريف في حيفك، ولا ييأس ضعيف من عدلك).

المساواة بين الرجل والمرأة في التكليف والثواب

لم تعرف البشرية نظاما أعطى المرأة حقها وأنصفها مثل الإسلام، فالإسلام يهتم بها كأم وزوجة، وأخت وابنة. فقد حرص عليها وحماها وسما بها إلى إنسابيتها فقد كانت في الجاهلية قبل الإسلام تعد من سقط المتاع.

والذين يطغون في موقف الإسلام من المرأة إنما يطغون في أهم مميزات النظام الإسلامي، وهي الحرص على المرأة وصيانتها، فالإسلام يسوي بين الرجل والمرأة في كل شيء إلا فيما اختلفت فيه طبيعة المرأة عن طبيعة الرجل.

الرجل والمرأة سواء في أصل الإنسانية: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى..﴾ والمرأة مكلفة بأركان الإيمان وأركان الإسلام، وبأحكام الشرع - إلا ما استثناه الشرع - وهي مكلفة بكل ما في الإسلام من أخلاق وآداب مثلها في ذلك مثل الرجل.

والنظام الإسلامي يجعل للمرأة وظيفتها وللرجل وظيفته، ووظيفة المرأة الرئيسية داخل بيتها في القيام على شئون زوجها وأولادها، بينما يقوم الرجل بالإنفاق على المرأة، زوجةً كانت أو أما أو بنتا أو أختا، والإسلام يجعل رئاسة الأسرة للرجل ﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم﴾، فللرجل اختصاصات لا تشاركه فيها المرأة، وللمرأة اختصاصات لا يشاركها فيها الرجل ولا يصلح لها ولا يحسن القيام بها، فمحاولة أحد الطرفين التعرض والتدخل في اختصاصات الطرف الآخر يعرض الأسرة للارتباك والاضطراب ويسلمها للفوضى.

وفي العمل السياسي صان النظام الإسلامي المرأة من الاضطلاع بشئونه وذلك لأن الأصل صيانة المرأة عن التبذل، وتهيئتها لوظيفتها التي جبلت عليها وهي الأمومة ورعاية بيتها والقيام على شئونه.

لذلك حسم النبي ﷺ هذه المسألة بقوله في تولي المرأة العمل السياسي: «لن يفلح قوم ولَّوْا أمرهم امرأة» رواه البخاري - كتاب المغازي.

لذا أجمع المسلمون على أن المرأة لا تتولى منصب الخلافة أو الإمارة العامة، وذهب جمهور الفقهاء إلى عدم جواز توليها القضاء.

قال الإمام البغوي رحمه الله: اتفقوا على أن المرأة لاتصلح أن تكون إمامًا ولا قاضيا؛ لأن الإمام يحتاج إلى الخروج لإقامة أمر الجهاد والقيام بأمور المسلمين، والقاضي يحتاج إلى البروز لفصل الخصومات، والمرأة عورة لا تصلح للبروز، وتعجز - لضعفها - عند القيام بأكثر الأمور، ولأن المرأة ناقصة؛ والإمامة والقضاء من كمال الولايات؛ فلا يصلح لها - أي للولاية والقضاء - إلا الكامل من الرجال، ولا يصلح لها الأعمى لأنه لا يمكنه التمييز بين الخصوم. أهـ.

[شرح السنة للبغوي ج١٠ ص٧٧]

وهكذا نرى حكمة التشريع الإسلامي فهو يحقق المصالح ويجنب الناس المفاسد لأنه تشريع الحكيم الحميد، ولن يفلح المسلمون إلا إذا تمسكوا بشرعهم واعتصموا بدينهم.

وفق الله جميع المسلمين لما يحب ويرضى.

والحمد لله رب العالمين.

افتتاحية العدد

فوائد البنوك.. ومخالفة رب العالمين!!

بقلم
د. جمال المراكبي

الربا نظام متغلغل في أعماق النفس البشرية منذ تسلط الشيطان على بني آدم وغير فطرتهم، فزين لهم الإشراك بالله، وزين لهم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ودعاهم إلى أكل الأموال بينهم بالباطل.

وقد تخصص اليهود - المغضوب عليهم - في أكل أموال الناس بالباطل، وأخذ الربا وقد نهوا عنه فاستحقوا غضب الله ولعنته، وكان من نتيجة ذلك أن قام الاقتصاد العالمي على نظام ربوي، دعامته البنوك الربوية التي يقوم نشاطها على الإقراض والاقتراض، فتتلقى البنوك أموال المودعين بفوائد محددة، ثم تقوم بإقراضها للمستثمرين وغير المستثمرين بفوائد أكبر، وتعتمد في أرباحها على الفارق بين الفائدتين.

وقد انتقد القرآن الكريم طريقة اليهود، وبين أن الله تعالى عاقبهم في الدنيا، فحرم عليهم طيبات أحلت لهم، وتوعدهم بالعذاب الأليم في الآخرة، ونعى على أحبارهم ورهبانهم أنهم ما انكروا عليهم.

فقال سبحانه:

﴿ فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا * وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٠، ١٦١].

وقال تعالى: ﴿ وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * لَوْلاَ يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [المائدة: ٦٢-٦٣].

* * *

كيف تعاملت الشريعة الإسلامية مع النظام الربوي؟

رفضت الشريعة الإسلامية نظام الربا منذ الوهلة الأولى، ولكن اقتضت حكمة الله أن تتدرج النصوص الشرعية في تحريم الربا المتغلغل في

نفوس البشر والمهيمن على معاملاتهم، ولهذا نجد في القرآن المكي التنفير من الربا، والحث على الصدقة دون الحديث عن الحل والحرمة.

قال تعالى: ﴿وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون﴾.

ثم نزل القرآن بالنهي عن أكل الربا أضعافًا مضاعفة كما كان معهودًا في الجاهلية، وحث المسلمين على تقوى الله واجتناب محارمه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:١٣٠].

ثم كان آخر ما نزل من القرآن من تشريع تحريم الربا ودعواهم الفاسدة بأن البيع مثل الربا، وذكر هذه الدعوى الباطلة، ثم دعوة المؤمنين لترك ما بقي من الربا﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٧٥-٢٧٩].

ربا النسيئة وربا الفضل

والربا المنهي عنه في الآيات هو ربا الجاهلية المعهود في زمن نزول التشريع وهو الزيادة على أصل الدين عند حلول الأجل، وذلك أن العرب كانت لا تعرف رباً إلا ذلك فكانت إذا حل دينها قالت للغريم إما أن تقضي وإما أن تربي، وقد حرم المولى تبارك وتعالى هذا الربا بالكلية وقال النبي ﷺ في حجة الوداع «ألا إن ربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضع ربا العباس بن عبد المطلب».

هذا النوع من الربا هو الذي كان معروفًا بين العرب في الجاهلية، وهو الذي يسمى ربا النسيئة، وهو المراد بالربا في القرآن، وقد بينت السنة نوعا آخر من الربا وهو ربا الفضل وهو الذي أشار إليه الرسول ﷺ بقوله: «الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل سواء بسواء يدًا بيد، فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يدًا بيد».

فربا النسيئة هو الربا الجلي الذي كانوا يفعلونه في الجاهلية وهو تمامًا ما تفعله البنوك الربوية حيث تقبل أموال المودعين، وتعطيهم في مقابل ذلك فائدة محددة سلفًا وربما تجمع الفوائد أو نسبة منها وتجعلها في صورة جوائز يحصل عليها بعض المودعين دون غيرهم فتجمع بذلك بين الربا والمقامرة.

أما أموال المودعين لدى البنوك فتقوم البنوك بإعادة إقراضها بفائدة أعلى للمستثمرين ولغير المستثمرين، وتحصل هذه البنوك على الفارق بين سعر الفائدة الأول وسعر الفائدة الثاني وتعتبره صافي الأرباح.

والقول بأن البنوك تستثمر أموال المودعين لديها في مشروعات انتاجية قول فيه حق وباطل، لأن البنوك لا تستثمر

بنفسها وإنما بإقراض غيرها من المستثمرين، فتعتبر هذا الإقراض نوعًا من الاستثمار وهو في حقيقته قرض ربوي.

وفتوى مجمع البحوث الإسلامية التي صدرت مؤخرًا وقضت بأن فوائد البنوك حلال شرعًا إنما تأسست على اعتبار أمرين:

الأول: أن البنوك تقوم بدور المضارب الذي يستثمر أموال غيره في مضاربة شرعية.

الثاني: أن أقوال أهل العلم بعدم جواز تحديد قدر معين من المال في المضاربة لا دليل عليه من الكتاب والسنة والأمر في ذلك متروك لرضا الطرفين.

والحقيقة أن هذين الأمرين فاسدان، فالبنوك لا تتاجر بأموال المودعين ولا تستثمرها في مشروعات استثمارية تنشئها وتقوم عليها بنفسها حتى تأخذ حكم المضارب وهو الذي يشارك بجهده وعمله في عقد المضاربة فيتاجر بأموال غيره ويقتسم مع صاحب المال الأرباح الناتجة، وإنما تقوم البنوك بإقراض هذه الأموال لغيرها بفائدة محددة سلفًا، وإذا كانت البنوك تستثمر أحيانا بنفسها فإن نسبة هذا الاستثمار لا تساوي شيئًا بجوار ما تقوم البنوك بإقراضه للغير، والمستثمر الذي يتعامل مع البنك يطلب قرضًا بفائدة، ويعطيه البنك هذا القرض بفائدة محددة ولا يستطيع أحد أن يقول إن البنك يشارك المستثمر في مشروعه، وإنما البنك يقرضه فقط، وحكاية المستثمرين المتعسرين والذين أخذوا القروض العظيمة وهربوا بها أبلغ دليل على ذلك.

فالبنوك لا تضارب بأموال المودعين بنفسها، ولا تشارك غيرها من المستثمرين في مضاربات مشروعة، وإنما تقترض أموال المودعين بفائدة بسيطة محدودة، وتعيد إقراضها للغير بفائدة كبيرة - أكبر.

والأمر الثاني الذي تأسست عليه فتوى المجمع وهو جواز تحديد قدر معين من المال لصاحب المال كربح يتفق عليه بين صاحب المال وبين المضارب، وأنه لا يوجد نص في الكتاب والسنة يمنع من ذلك، وأن اجتهادات السابقين لا تلزم في هذا الشأن وهذا فاسد أيضا، فالنبي ﷺ نهى عن مثل هذا التحديد في عقود المزارعة كما في الحديث الذي أخرجه البخاري عن رافع بن خديج رضي الله عنه قال: كنا أكثر أهل المدينة حقلا، وكان أحدنا يكري أرضه فيقول: هذه القطعة لي، وهذه لك، فربما أخرجت ذه - هذه - ولم تخرج ذه فنهاهم النبي ﷺ.

(البخاري ك المزارعة ب ما يكره من الشروط في المزاعة ح٢٣٣٢).

وفي رواية يقول رافع: لقد نهانا رسول الله ﷺ عن أمر كان بنا رافقا.

دعاني رسول الله ﷺ فقال: «ما تصنعون بمحاقلكم - أي بحقولكم -؟» قلت نؤاجرها علي الربيع - جدول الماء - وعلى الأوسق من التمر والشعير.

قال: «لا تفعلوا ازرعوها أو أزرعوها أو أمسكوها» قال رافع: سمعًا وطاعة.

ومن هذا الحديث أخذ الفقهاء عدم جواز تحديد قطعة من الأرض يأخذ صاحب الأرض ريعها، وكذلك عدم تحديد شيء من الزرع يأخذه، بل يأخذ نسبة من عموم ما تخرجه الأرض وهذا هو ما اشترطوه في المضاربة الشرعية، وخالفته صراحةً فتوى مجمع البحوث الأخيرة.

افتتاحية العدد

فضل الحج وفوائده

بقلم
د. جمال المراكبي

الحج ركن عظيم من أركان الإسلام، فرضه الله سبحانه على المسلم المستطيع بقوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧]، ولا يزال الناس يحجون منذ رفع إبراهيم القواعد من البيت، وأذن في الناس بالحج كما أمره ربه عز وجل إلى يومنا هذا، ولا ينقطع الحج طالما على الأرض مؤمن، فإذا قبض الله أرواح المؤمنين، ولم يبق على ظهر الأرض إلا شرار الخلق الذين تدركهم الساعة وهم أحياء توقف سيل الحجيج إلى بيت الله الحرام كما سيأتي.

فضائل الحج كثيرة ومتنوعة

١- فهو من أفضل الأعمال والقربات عند الله، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سُئل رسول الله ﷺ: أي العمل أفضل؟ قال: «إيمان بالله ورسوله». قيل: ثم ماذا؟ قال: «الجهاد في سبيل الله». قيل: «ثم ماذا؟» قال: «حج مبرور». [البخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وأحمد].

٢- والحج يعدل الجهاد في سبيل الله، وينوب عنه لمن لا يقدر عليه ومن لا يُكلف به.

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: يا رسول الله، نرى الجهاد أفضل العمل، أفلا نجاهد؟ قال: «لا، لكن أفضل الجهاد حج مبرور». [البخاري كتاب الحج حديث رقم ١٤٢٣].

وفي رواية: قلت: يا رسول الله، ألا نغزو ونجاهد معكم؟ فقال: «لكن أحسن الجهاد وأجمله الحج، حجٌ مبرور». فقالت عائشة: فلا أدعُ الحج بعد إذ سمعت هذا من رسول الله ﷺ. [البخاري كتاب الحج حديث ١٧٢٨].

وفي رواية للنسائي: قلت: يا رسول الله، ألا

نخرج فنجاهد معك، فإني لا أرى عملاً في القرآن أفضل من الجهاد. قال: «لا، ولَكُنَّ أحسنُ الجهاد وأجملُه حج البيت، حجٌ مبرور».

٣- **والحج المبرور ليس له ثواب إلا الجنة.** عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة». [متفق عليه، البخاري كتاب الحج (١٦٥٠)، ومسلم (٢٤٠٣)].

٤- **والحج المبرور سبب لغفران الذنوب.** عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من حج لله فلم يرفث ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه». [البخاري ١٤٢٤].

وعند مسلم: «من أتى هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كما ولدته أمه». [ح ٢٤٠٤].

وعند الترمذي: «من حج فلم يرفث ولم يفسق غُفر له ما تقدم من ذنبه». [ح ٧٣٩].

٥- **والإكثار من الحج والعمرة ينفيان الفقر.** قال رسول الله ﷺ: «تابعوا بين الحج والعمرة، فإن المتابعة بينهما تنفي الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد». [الترمذي ح٧٣٨ عن ابن مسعود، وابن ماجه ح٢٨٨٧ عن عمر، والصحيحة ح١٢٠٠].

٦- **والحاج وافد على الله، ومن وفد على الله أكرمه الله.** عن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «الغازي في سبيل الله، والحاج، والمعتمر، وفد الله، دعاهم فأجابوه، وسألوه فأعطاهم». [ابن ماجه ح٢٨٩٣، الصحيحة ١٨٢٠]. وفي رواية: «الحجاج والعمار وفد الله، إن دعوه أجابهم، وإن استغفروه غفر لهم». [ابن ماجه ح٢٨٨٣].

وفريضة الحج دائمة مستمرة حتى بعد ظهور الفتن العظام: «ليحجن هذا البيت، وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج». [صحيح الجامع ٥٣٦١].

فإذا قبض الله أرواح المؤمنين في آخر الزمان ولم يبق على الأرض إلا شرار الخلق الذين تدركهم الساعة وهم أحياء توقف الحج، قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى لا يحج البيت». [صحيح الجامع ٧٤١٩].

ولهذا وجب على كل مسلم مستطيع أن يتعجل الحج، فقد يأتي يومٌ يَعْجَزُ فيه عن الحج: «من أراد الحج فليتعجل، فإنه قد يمرض المريض، وتضل الضالة، وتعرض الحاجة». [صحيح الجامع].

بشرى لمن عجز عن الحج

وللمسلم أن يغتنم مثل أجر الحاج؛ قال رسول الله ﷺ: «من صلى الفجر في جماعة، ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة تامة، تامة، تامة». [الترمذي عن أنس، صحيح الجامع ٧٣٤٦].

المصالح المرعية في الحج

أولاً: تعظيم البيت فإنه من شعائر الله وتعظيمه لله، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي

بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ (٩٦) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ [آل عمران: ٩٦، ٩٧].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

ثانيًا: تحقيق الألفة والوحدة، فيجتمع المسلمون على اختلاف ألسنتهم وألوانهم وأوطانهم في صعيد واحد، يدعون ربًا واحدًا، ويتوجهون لبيت واحد، فتتوحد الأهداف والغايات، وتصبح الأمة على قلب رجل واحد؛ قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر». [مسلم: ٨/٢٠]. وقال ﷺ: «المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يدٌ على من سواهم». [صحيح ابن ماجه (ح٢١٨١)]. فالحج يعرض لمظاهر قوة المسلمين وشوكتهم واجتماع جندهم وإظهار شريعتهم: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾.

ثالثًا: موافقة ما توارثه الناس عن إمام الحنفاء إبراهيم وولده إسماعيل، ودعا إليه محمد ﷺ، وتذكُّر هذه المواقف والمقامات: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧- ١٢٩].

وقد كان النبي ﷺ يقول للناس في حجة الوداع: «قفوا على مشاعركم فإنكم على إرث من إرث أبيكم إبراهيم». [صحيح أبي داود (ح١٧٠٢)]. ويقول: «خذوا عني مناسككم لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا». [مسلم].

رابعًا: إعلان التوحيد الذي بعث الله به رسله وإظهاره في الأقوال والأفعال.

ففي التلبية يقول الحاج: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك.

وقد كان أهل الجاهلية يلبون بالشرك فيقولون: إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك.

وفي سائر المواقف والمشاعر يتجرد العبد في توحيده وطاعته لله عز وجل ومبايعته للنبي ﷺ، فيسير ويقف حيث أمره الله، ويحلق شعره، وينحر أو يذبح هديه حيث أمره الله وشرع له، ويتابع في ذلك كله رسول الله ﷺ.

اللهم ارزقنا حج بيتك، ووفقنا لما تحب وترضى. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

افتتاحية العدد

«مصيبة الموت وفقد الأعزاء»

إعداد / د. جمال المراكبي

كتب الشيخ محمد صفوت نور الدين مقالاً بعنوان: «مصيبة الموت وفقد الأعزاء» يرثي أخاه وصاحبه صفوت الشوادفي رحمه الله فقال:

الحمد لله رضًا بالقضاء. ولا حول ولا قوة إلا بالله، إيمانا به وتسليمًا له سبحانه، إنه اللطيف الخبير. جعل الآجال من علمه الذي لم يسلمه لأحد من خلقه، والله أكبر ينفخ الأرواح في الأبدان ويقبضها بعلمه وقدرته.

لا إله إلا هو يحي ويميت. رب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظيم، ربكم ورب آبائكم الأولين. له ملك السماوات والأرض، هو الذي خلق فسوى، وهو الذي قضى لكل أجل كتابًا.

والصلاة والسلام على من كان موته للناس أعظم مصاب، فمن مات له عزيز؛ فليتعزَّ برسول الله ﷺ الذي قال له رب العزة سبحانه ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ (٣٤) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء:٣٤-٣٥]. وقال سبحانه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (٥٧) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (٥٨) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [العنكبوت:٥٧-٥٩].

والحي لا تؤمن عليه الفتنة، فمن مات على الإسلام والسنة؛ فقد حاز النعمة العظمى، ونجا من العقبة الكبرى والله هو الخليفة في كل باق، والوارث لكل منتقل ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [مريم:٤٠] ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ (٢٣) وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾ [الحجر:٢٣-٢٤].

إن الدعوة إلى الله خير شغل يقضي العبد فيه عمره، ويمتد من بعده ثوابه بعد انقضاء أجله، وفي ذلك يقول النبي ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أوعلم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له».

ثم يقول عن أخيه الفقيد: فيصبح أثرًا بعد عين، وذكرى بعد واقع، فبعد أن كان يكتب للناس، إذ به يُكتب عنه، وبعد أن كتب للقراء؛ ينعى لهم العلماء الأفذاذ والقادة الأجلاء كابن باز والألباني وغيرهما من

أعلام الدعوة المعاصرين، فإذا به يصبح المكتوب عنه والمُعَرَّفَ به، والمنوَّه عنه.

إن الخطب جلل، والمصاب عظيم، ولكن لنا الأسوة في سلفنا الصالح من صحابة رسول الله ﷺ، صبروا على مصيبة موت رسول الله ﷺ، ثم على موت الخلفاء من بعده، ونذكر من مات من قادة تحرير مجلة التوحيد والهدي النبوي من قبل، الشيخ أحمد شاكر حامل لواء السنة والمدافع عنها في وقتٍ عظمت فيه الفرقة، وانقلبت فيه المعايير ونهض أذناب الاستعمار يبثون الفتن ليشوهوا جمال الإسلام ومن قبله الشيخ محمد صادق عرنوس الذي كان شاعرًا وأديبًا وكاتبًا، فضلا عن رؤساء التحرير الذي تولوا ذلك من قبل الشيخ محمد حامد الفقي، والشيخ عبد الرحمن الوكيل، والشيخ محمد عبد المجيد الشافعي رحمهم الله، والشيخ أحمد فهمي حفظه الله.

وإن لحسن الخاتمة علامات نرجو أن يكون قد جمع الله منها لفقيدنا العزيز شيئًا كثيرًا، وأن يجعله عنده متقبلا.

يقول الشيخ الألباني رحمه الله: إن الشارع الحكيم قد جعل علامات بينات يستدل بها على حسن الخاتمة كتبها الله تعالى لنا بفضله ومنِّه فأيما امرئ مات بأحدها كانت بشارة ويا لها من بشارة. وذكر منها:

الموت ليلة الجمعة أو نهارها لقول النبي ﷺ: «ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر» ثم قال: فالحديث بمجموع طرقه حسن أو صحيح.

وإن من حسن الخاتمة أن وفقه الله تعالى قبيل موته فجمع أهله وذهب بهم جميعًا فأدوا العمرة وعادوا، فنرجو أن يكون ذلك في ميزان حسناته، وأن يجعله مغفرة له وتطهيرًا، فلقد كان بالأمس القريب يقول بلسانه محرمًا: «لبيك اللهم لبيك» وهو اليوم ببدنه ولسان حاله يلبي لقاء ربه «لبيك اللهم لبيك» فالله نسأل أن يقبله ويقبل صالح عمله.

إن الخطب جلل، والمصاب عظيم، والقلب يحزن، والعين تدمع، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا لفراق أخينا صفوت لمحزونون

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

وإنا لله وإنا إليه راجعون. أهـ.

رحم الله شيخنا. أكان يرثي أخاه أم كان ينعى نفسه لقد كانت الدعوة إلى الله شغله الشاغل. لأنها كما قال خير شغل يقضي العبد فيه عمره، ويمتد من بعده ثوابه، كنا نشفق عليه، ونذكره بقول نبينا الكريم ﷺ «إن لبدنك عليك حقًا، وإن لأهلك عليك حقًا». فيقول رحمه الله لقد تعرضت للموت مرة، فقلت في نفسي لئن أنجاني الله، لأجعلن بقية عمري للدعوة إلى الله.

لقد سأل شيخنا ربه أن يختم له بخاتمة السعادة، وذكر من علامات حسن الخاتمة الموت يوم الجمعة، والموت على طاعة، فأعطاه الله ما سأل فمات يوم الجمعة بعد أداء صلاة الجمعة في المسجد الحرام بعد أيام من أداء العمرة فردد بقلبه ولسانه محرمًا «لبيك اللهم لبيك» ولبَّى بلسان حاله داعي الله «لبيك اللهم لبيك» وكان آخر ما قال عند موته «لا إله إلا الله» وما احتاج لمن يلقنه الكلمة التي كثيرًا ما كان يرددها في دروسه وخطبه، فعاش عليها، ومات عليها.

ونبينا ﷺ يقول: «لقنوا موتاكم لا إله إلا الله فمن كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة».

لقد كان شيخنا صاحب سنة، ووفقه الله سبحانه فحمل لواء السنة، وجعله رئيسًا لأنصار السنة ومن مات على الإسلام والسنة فقد حاز النعمة العظمى ونجا من العقبة الكبرى، والحي لا تؤمن عليه الفتنة فاللهم نجنا من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن وتوفنا على الإسلام والإيمان والاعتصام بالسنة وارحم عبدك صفوت نور الدين، وأكرم نزله، وأفسح له في قبره.

افتتاحية العدد

رحيل عامٍ وإقبال عام

إعداد
د. جمال المراكبي

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن سار على طريقته وانتهج نهجه إلى يوم الدين، وعلى رسل الله أجمعين... أما بعد:

فهذا عام قد مضى والله سائلنا عنه، وهذا عام قد أتى فماذا نحن فاعلون فيه ؟!

تصرمت الأعوام عامًا بعد عام، ونحن في غفلةٍ ساهون، نشاهد بأعيننا مواقع المنايا، ويرحل عنا كل يوم بعض من كان بيننا يملأ الدنيا حياةً ويؤمل في الحياة.

فيا ليت شعري على أي شيء تُطوى صحائف الأعمال ؟ أعَلى أعمال صالحة، وتوبة نصوحٍ صادقة؟ أم على تفريط في حق ذي الجلال والإكرام ؟

كل يوم يمر علينا يدنينا من الآخرة، ويبعدنا عن الدنيا، كل يوم يدني من القبور، ويُبعد عن عامر الدور.

إنا لنفرحُ بالأيام نقطعها
وكلُ يومٍ مضى يُدني من الأجلِ
فاعمل لنفسك قبلَ الموتِ مجتهدًا
فإنما الربحُ والخسرانُ في العمل

فلنتأمل أحوال الراحلين، ولنتعظ بمصارع الماضين لعل القلب القاسي يلين.

فلنحرص على صالح الأعمال، ونرجو الله أن يختم لنا بالعمل الصالح، ولنحرص على التوبة النصوح من الذنوب كلها، ولنحرص على التذلل والافتقار بين يدي الله عز وجل، ولنحرص على العمل للآخرة، ولنتأس بمن مضى من أسلافنا.

هذا الإمام الموفق ابن قدامة المقدسي صاحب

المغني يقف أمام المرآة فيرى بياض الشيب في لحيته ورأسه فينشد شعرًا عذبًا يفيض بالرقة:

أَبَعْدَ بَيَاضِ الشَّعْرِ أَعْمُرُ مَنْزِلاً
سِوَى القَبْرِ إِني إِنْ فعلتُ لأَحْمَقُ
يُذَكِّرُنِي شَيْبِي بِأَنِّي مَيِّتٌ
وَشِيكًا وَيَنْعَانِي إِليَّ فَيَصْدُقُ

وهذا الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني يذكر الرحيل فيقول:

قَرُبَ الرحيلُ إلى ديار الآخرة
فاجعل بفضلك خَيرَ عُمْري آخره
وارحم مَقِيلِي في القبورِ وَوَحْشَتِي
وارحم عِظامي حين تبقى ناخرة

وقفات للمحاسبة

لا بد للعاقل أن يوقف نفسه للمحاسبة قبل حلول الأجل، فالموت يأتي بغتة وبدون مقدمات، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨) وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (١٩) لاَ يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [الحشر: ١٨-٢٠].

فالكَيِّسُ من دان نفسه؛ أي حاسبها، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني.

والعاقل يتصفح في ليله ما صدر منه من أعمال في نهاره، فإن كان عمله محمودًا مرضيًا حمد الله تعالى واستمر عليه، وإن كان مذمومًا رجع عنه واستدركه بعمل صالح محمود، فيحاسب العبد نفسه على التقصير في الطاعات، ويحاسب نفسه على الإقدام على المعاصي والمحرمات، بل يحاسب نفسه على كل عمل تسرع فيه بحيث كان تركه خيرًا له من فعله، وهذا يشمل المكروهات فضلا عن المحرمات، ويحاسب نفسه على الأمور المباحة والمعتادة، لِمَ فعلها؟ هل أراد بها وجه الله والدار الآخرة؟ أم أراد بها الدنيا؟ وجماع ذلك كما يقول ابن القيم رحمه الله في «إغاثة اللهفان»: أن يحاسب نفسه على الفرائض، فإن وجد فيها نقصًا سعى لتداركه، إما بقضاء أو إصلاح مع التوبة، ثم يحاسب نفسه على النواهي، ويعمل على استدراك ما وقع فيه منها بالتوبة والاستغفار والتحلل من المظالم، وأن يكثر من الحسنات التي تمحو آثار السيئات كما قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤].

ثم يحاسب نفسه على الغفلة، فإن كان قد غفل عما خلق له تدارك ذلك بالإكثار من ذكر الله والإقبال على طاعته، ثم يحاسب نفسه على الأعمال المباحة، ما تكلم به لسانه، أو مشت إليه رجلاه، أو بطشت يداه، أو سمعت أذناه، ماذا أراد بهذا؟، ولأجل من فعله؟ هل أراد به وجه الله؟ ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾.

فإذا اعتاد الإنسان المحاسبة في كل حين، استطاع أن يسيطر على نفسه قبل الهم بالعمل فيوقفها ويسألها، كما قال الحسن البصري: رحم الله عبدًا وقف عند همه، فإن كان لله مضى، وإن كان لغير الله تأخر.

وإذا حاسب الإنسان نفسه، وتدارك خطأه، أصاب الحق في كل أقواله وأفعاله، وكان حسابه يسيرًا يوم القيامة، ولهذا أثر عن عمر رضي الله عنه قوله: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، فإنه أهون عليكم في الحساب غدًا أن تحاسبوا أنفسكم اليوم، وتزينوا للعرض الأكبر يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية».

ولقد كان عمر يحاسب نفسه ويقول: عمر

بن الخطاب، أمير المؤمنين، والله لتتقين الله أو ليعذبنك.

حال الأمة في عام مضى

الذي ينظر إلى حال الأمة يراها تتردى في هاوية التفريط والتضييع، تسلط عليها أعداؤها، وتداعوا عليها كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها، مع أن كل وسائل القوة والعزة متاحة لهذه الأمة إلا أنها تعجز عن الأخذ بهذه الوسائل، تعجز عن الاتحاد، وتأبى إلا الفرقة، في كل عام يزداد جرح هذه الأمة ودماؤها تنزف في مشارق الأرض ومغاربها، في كشمير وفي الشيشان وفي أفغانستان وفي فلسطين وفي العراق ومنطقة الخليج.

وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول: «يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها قالوا: أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكن غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله المهابة من قلوب عدوكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن. قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت». رواه أحمد.

ما أحوج هذه الأمة إلى الاعتصام بالله، بدينه، بشرعه لتكون خير أمة أُخرجت للناس كما أراد لها ذو الجلال والإكرام ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (١٠٠) وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٠١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣) وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٥) يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (١٠٦) وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٠٧) تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ (١٠٨) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ (١٠٩) كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (١١٠) لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدْبَارَ ثُمَّ لاَ يُنْصَرُونَ﴾ [آل عمران:١٠٠-١١١].

اللهم هيئ لهذه الأمة أمر رشد يُعز فيه أهل طاعتك، ويذل فيه أهل معصيتك، ويؤمر فيه بالمعروف، وينهى فيه عن المنكر، اللهم نصرك وتأييدك الذي وعدت، اللهم كما نصرت موسى وأغرقت فرعون وملأه يوم عاشوراء فانصرنا، اللهم كما نصرت نبيك يوم الهجرة وحدك انصر أمته فلا ناصر لها سواك ولا عاصم لها غيرك، اللهم أنزل سكينتك علينا، وأيدنا بجند من عندك وأمدنا بمدد من عندك.

﴿إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم﴾ [التوبة:٤٠].

والحمد لله رب العالمين.

افتتاحية العدد

عدالة الإسلام

■■ *العدل من الأسس التي عليها عمار الكون، وصلاح العباد، لذا حث عليه الإسلام وجعله أساسًا للحكم بين الناس: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: ٢٥].*

والله سبحانه وتعالى هو الحكم العدل المقسط، فهو سبحانه لا يحكم إلا بالحق، ولا يقول إلا الحق، ولا يقضي إلا بالحق: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾. ■■

وقد نفى سبحانه الظلم عن نفسه، وحرمه على عباده، فقال تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]، وقال في الحديث القدسي: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا». [رواه مسلم، ك البر والصلة ٢٥٧٧].

والله سبحانه وتعالى هو الحكم الملزم حكمه كونًا وشرعًا، وشرائعه سبحانه عدل كلها، فلا خير إلا فيها، ولا عدل إلا بها: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾.

والإمام العادل هو الذي يتبع أمر الله وحكمه، فيضع كل شيء في موضعه من غير إفراط ولا تفريط، وكل ميل عن الشرع فهو ميلٌ عن العدل وإقرار للظلم الذي هو ظلمات يوم القيامة.

ودستور المسلمين يحث على العدل والإحسان، وينهى عن المنكر والبغي: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[النحل: ٩٠].

ويأمر الحكام بأداء الأمانات إلى أهلها والحكم بين الناس بالعدل، ويحث الرعية على طاعة أولي الأمر: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا (٥٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [النساء: ٥٨، ٥٩].

ويحث على العدل في المقال- القول- والعدل في الفعال- العمل-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا﴾ [النساء: ١٣٥]، ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾ [الأنعام: ١٥٢].

والتزام العدل واجب حتى في الفتن والاقتتال بين المسلمين: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾

بقلم
د. جمال المراكبي

[الحجرات: ٩].

وواجب على المسلمين أن يلزموا العدل حتى مع الأعداء، فلا تكون عداوتهم وبغضهم سببًا في ظلمهم؛ لأن المسلمين هم حملة المنهج الرباني الذي أنزل على محمد ﷺ ليقيم العدل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨].

ولما رأى المسلمون ما حدث بقتلاهم يوم أحد من تمثيل قالوا لو أصبنا منهم يومًا من الدهر لنزيدن عليهم، فأنزل الله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦].

رواه عبد الله بن أحمد، والطبراني، وقال ابن حجر في الفتح: وقد ذكر روايات ضعيفة في هذا الباب، وهذه طرق يقوي بعضها بعضًا (ج٧ ص٤٣٠).

وقد بيَّن النبي ﷺ فضيلة العدل والإمام العادل في أحاديث كثيرة منها قوله ﷺ: «سبعة يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل». متفق عليه، وقوله ﷺ: «المقسطون عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا». [مسلم ١٨٢٧] وقال ﷺ: «إن أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأقربهم منه مجلسًا إمام عادل، وإن أبغض الناس إلى الله يوم القيامة وأشدهم عذابًا إمام جائر». [الترمذي ١٣٢٩، والبغوي في شرح السنة (ج١٠ ص٦٥)، وقال: حسن غريب].

بعث النبي ﷺ عبد الله بن رواحة إلى أهل خيبر يخرص عليهم ثمارهم وزروعهم، فأرادوا أن يقدموا إليه رشوة ليرفق بهم، فقال لهم: والله لقد جئتكم من عند أحب الخلق إليَّ، ولأنتم أبغض إليَّ من أعدادكم من القردة والخنازير، وما يحملني حبي إياه، وبغضي لكم على ألا أعدل فيكم، فقالوا: بهذا قامت السماوات والأرض. [أبو داود وابن ماجه بسند حسن، ورواه مالك في الموطأ مرسلاً].

وجاء جعدة بن هبيرة إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين، يأتيك الرجلان أنت أحب إلى أحدهما من أهله وماله، والآخر لو يستطيع أن يذبحك لذبحك فتقضي لهذا على هذا؟ فقال علي: إن هذا شيء لو كان لي فعلتُ، ولكن إنما ذا شيء لله. [ذكره ابن كثير في البداية والنهاية في ترجمة علي ج٨ ص٦].

وفي أول خطبة لعمر بن عبد العزيز بعد توليه الخلافة حمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد: فإنه ليس بعد نبيكم نبي ولا بعد الكتاب الذي أنزل عليه كتاب، ألا إن ما أحل الله حلال إلى يوم القيامة، وما حرم الله حرام إلى يوم القيامة، ألا إني لست بقاضٍ ولكني منفذ، ألا إني لست بمبتدع ولكني متبع، ألا إنه ليس لأحدٍ أن يُطاع في معصية الله، ألا إني لست بخيركم ولكني رجلٌ منكم، غير أن الله جعلني أثقلكم حملاً، ثم ذكر حاجته. [ابن سعد في الطبقات ج٥ ص٢٥٠].

ففي هذه الخطبة التي تعتبر نموذجًا لالتزام العدل ودستورًا للحكم؛ بيَّن عمر الأسس التي سيقوم عليها حكمه:

١ ـ اتباع شرع الله وتنفيذه على الكافة.

٢ـ اتباع سنن الهدى ونبذ الابتداع.

٣ ـ لا طاعة لمخلوق في معصية الله، إنما الطاعة في المعروف

المقسطون عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل، وكلتا يديه يمين

٤ ـ لا يتميز الوالي عن رعيته بشيء فهو منهم وليس بخيرهم، وقد يكون بينهم من هو خيرٌ منه

٥ ـ إيمان الإمام بما عليه من أعباء جسام وهو مسئول عنها أمام ربه وأمام رعيته وكل ذلك سبيل لتحقيق العدل والرفق بالرعية.

وإعمالاً لهذا المنهاج كان عمر يقول للناس: الحقوا ببلادكم فإني اذكركم في بلادكم وأنساكم عندي، ألا وإني قد استعملت عليكم رجالاً لا أقول هم خياركم، ولكنهم خيرٌ ممن هو شرٌ منهم، فمن ظلمه عامله بمظلمة فلا إذن له عليَّ، والله لئن منعت هذا المال نفسي وأهلي ثم بخلت به عليكم، إني إذاً لضنين، والله لولا أن أنعش سنة أو أسير بحق ما أحببت أن أعيش فواقاً[1]. [ابن سعد (ج٥ ص٢٥٣)].

عدالة الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز

لقد كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يرى استصلاح ما فسد من حال الرعية بالعدل، وبما دلت عليه الشريعة، وليس باللجوء إلى ألوان القهر والإذلال والقوانين الاستثنائية.

ذكر السيوطي في تاريخ الخلفاء عن يحيى الغساني قال: لما ولاني عمر بن عبد العزيز الموصل، قدمتها فوجدتها من أكثر البلاد سرقةً ونقبًا، فكتبت إليه أعلمه حال البلد وأسأله: آخذ الناس بالظنة، وأضربهم على التهمة، أو آخذهم بالبينة وما جرت عليه السنة ؟ فكتب إليَّ عمر أن آخذ الناس بالبينة وما جرت عليه السنة، فإن لم يصلحهم الحق، فلا أصلحهم الله.

قال يحيى: ففعلت ذلك، فما خرجت من الموصل حتى كانت من أصلح البلاد وأقلها سرقة ونقبًا.

وكتب الجراح بن عبد الله إلى عمر بن عبدالعزيز: إن أهل خراسان قومٌ ساءت رعيتهم، وإنه لا يصلحهم إلا السيف والسوط، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن في ذلك.

فكتب إليه عمر: أما بعد، فقد بلغني كتابك تذكر أن أهل خراسان قد ساءت رعيتهم وأنه لا يصلحهم إلا السيف والسوط، فقد كذبت، بل يصلحهم العدل والحق، فابسط ذلك فيهم. والسلام. [تاريخ الخلفاء وقد عزاه لابن عساكر].

والعدالة التي نعنيها ليست فقط العدالة القانونية التي يعبر عنها بالمساواة، وإنما هي العدالة الشاملة التي تعم الحاكم والمحكوم على حد سواء، وتشمل العدالة الاجتماعية والاقتصادية وكفالة حقوق الأفراد وحرياتهم.

هذه هي عدالة الإسلام تضمنها شريعة الإسلام، فهل من أوبة وهل من رجوع: ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ ﴾ [الحج: ٤١]. ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [النور: ٥٥].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الناس لا يصلحهم السيف والسوط، ولكن يصلحهم العدل والحق، والإمام مسئول عن إنفاذ ذلك، فهو الراعي المسئول عن رعيته

هامش:

(١) الفواق: زمن حلب الناقة، وقيل ما بين الحلبتين.

افتتاحية العدد

الجهاد في سبيل الله

بقلم
د. جمال المراكبي

الجهاد هو بذل الجهد واستفراغ الوسع في مدافعة العدو قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج:٧٧، ٧٨].

ففي هاتين الآيتين يتجلى موقع الجهاد في سلوك الأمة المسلمة، الأمة المؤمنة الراكعة الساجدة التي تعبد الله وتفعل الخير وتجاهد في سبيل الله. الأمة الوسط التي تتبوأ منزلة الشهادة على الناس وعلى الأمم يوم القيامة، الأمة التي ترفع لواء الجهاد في سبيل الله فتقوم بأمر الله، وتدعو إلى سبيل الله بكل وسيلة من دعوة ومناصحة وتعليم ووعظ وقتال، الأمة التي تعتصم بالله مولاها ترجو تأييده وتوفيقه ونصره، هو نعم المولى ونعم النصير.

مراتب الجهاد

مراتب الجهاد خمسة:

جهاد النفس، وجهاد الشيطان، وجهاد الكفار، وجهاد المنافقين، وجهاد أرباب الظلم والمنكرات.

فجهاد النفس أربع مراتب: إحداها: أن يجاهدها على تعلم الهدى ودين الحق الذي لا فلاح لها ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به.

الثانية: أن يجاهدها على العمل به بعد علمه.

الثالثة: أن يجاهدها في الدعوة إليه. وتعليمه من لا يعلمه.

الرابعة: أن يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة وأذى الخلق.

فإذا استكمل العبد هذه المراتب صار من الربانيين.

وأما جهاد الشيطان فمرتبتان: احداها جهاده على دفع ما يلقي إلى العبد من الشبهات والشكوك التي تقدح في الإيمان، ولا يتم ذلك إلا بالعلم واليقين.

الثانية: جهاده على دفع ما يلقي من الشهوات، ولا يتم ذلك إلا بالصبر عن المحارم والورع، وهو ثمرة الخوف والخشية من الله.

وأما جهاد الكفار والمنافقين فأربع مراتب، بالقلب واللسان والمال والنفس، وجهاد الكفار أخص باليد، وجهاد المنافقين أخص باللسان.

وأما جهاد أرباب الظلم والبدع والمنكرات فباليد مع القدرة، ثم باللسان، فإن عجز جاهد بقلبه «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه وإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان» [مسلم].

فهذه ثلاث عشرة مرتبة للجهاد.

أولويات الجهاد

ولما كان جهاد أعداء الله في الخارج فرعًا عن جهاد العبد نفسه في ذات الله كما في الحديث «المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله» كان جهاد النفس مقدمًا على جهاد العدو وأصلا له، فإنه ما لم يجاهد نفسه أولا لتفعل ما أُمرت به، وتترك ما نهيت عنه ويذللها لطاعة الله. لم يمكنه جهاد عدوه، فكيف يمكنه جهاد عدوه والانتصاف منه، وعدوه الذي بين جنبيه قاهر له متسلط عليه لم يجاهده ولم يحاربه في الله، بل لا يمكنه الخروج إلى عدوه حتى يجاهد نفسه على

الخروج.

فهذان عَدُوَّان قد امتُحن العبد بجهادهما. وبينهما عدو ثالث لا يمكنه جهادهما إلا بجهاده، وهو واقف بينهما يثبط العبد عن جهادهما ويخذله، ولا يزال يخيل له ما في جهادهما من المشاق وترك حظوظ النفس وفوت اللذات، ولا يمكنه أن يجاهدهما إلا بجهاده وهو الشيطان الرجيم ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر:٦].

قال رسول الله ﷺ: «إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه، فقعد له بطريق الإسلام، فقال له: أتسلم وتذر دينك ودين آبائك وآباء أبيك؟ قال: فعصاه فأسلم، ثم قعد له بطريق الهجرة فقال: أتهاجر وتذر أرضك وسماءك وإنما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطول؟ قال: فعصاه فهاجر، قال: ثم قعد له بطريق الجهاد فقال له: هو جهد النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح المرأة ويقسم المال، قال: فعصاه فجاهد. قال رسول الله ﷺ: فمن فعل ذلك منهم فمات كان حقًا على الله أن يدخله الجنة، أو قُتل كان حقًا على الله عز وجل أن يدخله الجنة، وإن غرق كان حقًا على الله أن يدخله الجنة، أو وقصته دابته كان حقًا على الله أن يدخله الجنة».

[رواه النسائي وأحمد بسند صحيح]

فهذه من الأعداء ثلاثة، أُمر العبد بمجاهدتها، وسلطت عليه امتحانًا من الله له، فأعطى الله عباده مددًا وعدة وأعوانًا وسلاحًا لهذا الجهاد، وأمرهم أن يأخذوا بأسباب النصر والظفر ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال:٦٠]، وأعطى أعداءه مددًا وعدة وأعوانًا وسلاحًا وابتلى المؤمنين بالكافرين، وجعل بعضهم لبعض فتنة ليبلوا أخبارهم ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾ [محمد:٤]، ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد:٣١]، فهيأ لعباده الأسباب وأمدهم بمدد من عنده وجند من جنده ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾ [الأنفال:١٢].

أسباب النصر وأسباب الهزيمة

وأخبرهم أنهم إن امتثلوا ما أمرهم به لا يزالون منصورين على عدوه وعدوهم وأنه إن سلطه عليهم فلتركهم بعض ما أمروا به، ولمعصيتهم له، ثم لم يؤيسهم ولم يقنطهم، بل أمرهم أن يستقبلوا أمرهم ويداووا جراحهم ويعودوا إلى مناهضة عدوهم، فينصرهم عليهم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ * أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج:٣٨-٤١].

وهكذا أوجب الله الجهاد على أوليائه فبعد أن كانوا ممنوعين من قتال الكفار ومأمورين بالصبر. أذن الله لهم في القتال ووعدهم بالنصر.

عن ابن عباس أن عبد الرحمن بن عوف وأصحابًا له أتوا النبي ﷺ بمكة فقالوا: يا رسول الله إنا كنا في عز ونحن مشركون، فلما آمنا صرنا أذلة فقال، إني أُمرتُ بالعفو فلا تقاتلوا، فلما حولنا الله إلي المدينة أمرنا بالقتال» [رواه النسائي بسند جيد].

التربية والإعداد قبل الجهاد

عن خباب قال: أتينا رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة في ظل الكعبة فشكونا إليه فقلنا: ألا تستنصر لنا ألا تدعو الله لنا؟ فجلس محمرا وجهه فقال: قد كان من

جهاد النفس، وجهاد الشيطان، وجهاد الكفار، وجهاد المنافقين، وجهاد أرباب الظلم والمنكرات.

قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض ثم يؤتى بالمنشار فيجعل على رأسه فيجعل فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه، والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب ما بين صنعاء وحضرموت ما يخاف إلا الله تعالى والذئب على غنمه ولكنكم تعجلون»[1].

ومن الجهاد قيام الرجل بتربية أهله وولده وتعليمهم أمور دينهم وحثهم على حسن الخلق وطاعة الله وطاعة رسوله وترك المعاصي، وذلك بالحكمة والموعظة الحسنة، وتأديب من يخرج عن هذا النهج والصبر على ذلك وبذل الجهد فيه، فلا شك أنه من أعظم أنواع الجهاد، وثمرته الفوز بالجنة والنجاة من النار قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم:٦].

حكم الجهاد

الجهاد فرض في الجملة بحسب الوسع والطاقة، فأما جهاد النفس في ذات الله تعالى، وجهاد الشيطان فهو فرض عين لا ينوب فيه أحد عن أحد، وأما جهاد الكفار والمنافقين فهو فرض كفاية قد يكتفي فيه ببعض الأمة إذا حصل منهم مقصود الجهاد قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة:١٢٢]، وقال: ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:٩٥].

وفي الصحيح «من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقًا على الله أن يدخله الجنة، جاهد في سبيل الله أو مات في أرضه التي ولد فيها». قالوا: أفلا نبشر الناس؟ فقال: «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أعلى الجنة». [رواه البخاري]

وقد كان رسول الله ﷺ يخرج بنفسه للجهاد، ويبعث غيره أحيانا ويقول: «والذي نفسي بيده لولا أن رجالا من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني، ولا أجد ما أحملهم عليه، ما تخلفت عن سرية تغدو في سبيل الله» [رواه البخاري].

فهذا يدل على أن القاعدين غير آثمين طالما تحقق مقصود الجهاد بغيرهم وقد وعد الله الطائفتين الحسنى، وفضل المجاهدين على القاعدين أجرًا عظيمًا.

متى يصبح الجهاد فرض عين؟

ويتعين الجهاد في الحالات الآتية:

١ - إذا التقى الزحفان وتقابل الصفان حرم على من حضر الانصراف وتعين عليه القتال لقول الله تعالى: ﴿ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا ﴾ [الأنفال:٤٥].

٢ - إذا هجم العدو على قوم، أو نزل بلدًا للمسلمين، وجب على هؤلاء المسلمين أن يدافعوا، ووجب على من يليهم من المسلمين أن يعينهم ويدفع عنهم وينصرهم بما يستطيع.

٣ - إذا عين الإمام قومًا واستنفرهم لزمهم النفير معه، لقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ ﴾ [التوبة:٣٨]، ولقول النبي ﷺ: «وإذا استنفرتم فانفروا».

جهاد أرباب الظلم والبدع والمنكرات باليد مع القدرة، ثم باللسان، فإن عجز جاهد بقلبه

---

(١) [سنن ابي داود ج ٣ ص ٤٧ صحيح ابن حبان (٢٨٩٧) وصححه الألباني.

افتتاحية العدد

الجهاد في سبيل الله

الحلقة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.. وبعد:

تحدثنا في المقال السابق عن الجهاد في سبيل الله تعالى؛ مراتبه، وأولوياته، وعن أسباب النصر والهزيمة، وكذلك التربية والإعداد قبل الجهاد، وحكم الجهاد، ومتى يتعين.

واليوم نكمل- إن شاء الله- فنقول مستعينين بالله:

حكمة تشريع الجهاد

للجهاد فوائد كثيرة، وحكم جليلة منها:

١- إظهار دين الله وإعزاز المسلمين وقمع الكافرين، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: ٩].

٢- كسر شوكة المشركين، وتحقيق الأمن للمسلمين، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٣]، وقال النبي ﷺ: «ليُتمن الله هذا الأمر، حتى يسير الراكب من بُصرى إلى صنعاء لا يخشى إلا الله».

٣- تمكن المسلمين من القيام بمصالح دينهم ودنياهم، ودعوة غير المسلمين لما فيه خير الدنيا والآخرة.

روى البخاري في صحيحه- كتاب الجزية والموادعة- من حديث جبير بن حبة قال: فندبنا عمر، واستعمل علينا النعمان بن مقرن، حتى إذا كنا بأرض العدو، وخرج علينا عامل كسرى في أربعين ألفًا، فقام ترجمان فقال: ليكلمني رجل منكم، فقال المغيرة: سل عما شئت. قال: ما أنتم؟ قال: نحن أناس من العرب كنا في شقاء شديد، وبلاء شديد، نمص الجلد والنوى من الجوع، ونلبس الوبر والشعر، ونعبد الشجر والحجر، فبينا نحن كذلك إذ بعث رب السماوات ورب الأرضين تعالى ذكره وجلت عظمته إلينا نبيًا من أنفسنا، نعرف أباه وأمه، فأمرنا نبينا رسولُ ربنا ﷺ أن نقاتلكم حتى تعبدوا الله وحده، أو تؤدوا الجزية، وأخبرنا نبينا ﷺ عن رسالة ربنا أنه من قتل منا صار إلى الجنة في نعيم لم يُر مثله قط، ومن بقي منا ملك رقابكم. [ح٣١٥٩].

فضل الجهاد

الجهاد خير العمل، وذروة سنام الإسلام.

والنصوص في فضل الجهاد والمجاهدين أكثر من أن تحصى:

١- قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

٢- وقال تعالى: ﴿لاَ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ

بقلم
د. جمال المراكبي

وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاً وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (٩٥) دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٩٥، ٩٦].

٣- وقال تعالى: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٧٤].

٤- وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف: ١٠-١١٣].

أما عن الأحاديث فهي كثيرة، نشير إلى طرف منها:

١- سُئِل رسول الله ﷺ: أي العمل أفضل؟ فقال: «إيمان بالله ورسوله». قيل: ثم ماذا؟ قال: «الجهاد في سبيل الله». قيل: ثم ماذا؟ قال: «حج مبرور». متفق عليه.

٢- وقال رسول الله ﷺ: «رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله». الترمذي.

٣- وقال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة، وفوقه عرش الرحمن منه تفجر أنهار الجنة». رواه البخاري.

٤- جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: دلني على عمل يعدل الجهاد. قال: لا أجده، هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر، وتصوم ولا تفطر؟ قال: ومن يستطيع ذلك؟

إعداد العدة للجهاد

الجهاد بمعناه العام يستلزم وحدة الصف المسلم والاعتصام بحبل الله جميعًا، والعودة إلى صحيح الدين ونبذ البدع المضلة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، وقال: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ (٣) إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٢-٤].

فربط المولى تبارك وتعالى في هذه السورة بين النصر ووحدة الصف. وأي تصور للجهاد بدون الصف والوحدة وإعداد العدة وهم وخيال، ولهذا

للجهاد فوائد كثيرة وحكم جليلة منها: إظهار دين الله وإعزاز المسلمين وقمع الكافرين

من أصول أهل السنة والجماعة الجهاد مع كل إمام؛ برًا كان أو فاجرًا والا عمت المفسدة بترك الجهاد وتفرق المسلمين

أمر النبي ﷺ بلزوم الجماعة ونبذ كل سبيل إلى الفرقة، فإن لم تكن جماعة ولا إمام كان الأمر باعتزال الفرقاء والعضُ على السنة بالنواجذ حتى الموت.

وقد ورد ذلك في حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: كان الناس يسألون رسول اللَّه ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير شر؟ قال: «نعم». فقلت: هل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: «نعم، وفيه دخن». قلت: وما دخنه؟ قال: «قوم يستنون بغير سنتي، ويهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر». فقلت: هل بعد ذلك الخير الخير من شر؟ قال: «نعم، دعاة إلى أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها». فقلت: يا رسول الله، صفهم لنا، قال :«نعم، قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا». قلت: يا رسول الله، ما ترى إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم. فقلت: فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك». متفق عليه، واللفظ لمسلم.

ولهذا كان من أصول أهل السنة والجماعة الجهاد مع كل إمام برًا كان أو فاجرًا، وإلا عمت المفسدة بترك الجهاد وتفرق المسلمين.

وفي الحديث الصحيح: «الإمام جُنة يقاتل من ورائه ويُتقى به، فإن أمر بتقوى الله عز وجل، وعَدَلَ، كان له بذلك أجر وإن يأمر بغيره كان عليه منه». مسلم.

فالإمام جنة أي ستر، يمنع العدو من أذى المسلمين، ويمنع الناس بعضهم من بعض، ويحمي بيضة الإسلام، ويتقيه الناس ويخافون سطوته، ويقاتلون معه الكفار والبغاة والخوارج وسائر أهل الفساد وينصرون عليهم ويتقى به شر العدو، وشر أهل الفساد والظلم مطلقًا.

ماذا لو تركت الأمة الجهاد في سبيل الله؟

لو تركت الأمة الجهاد في سبيل الله فرطت في أهم أسباب العز والغلبة، وجعل الله بأسها بينها شديدًا، وسلط عليها من يسومها سوء العذاب، وتداعت عليها الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ (٣٨) إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التوبة: ٣٨- ٣٩].

وقال رسول اللَّه ﷺ: «إذا ضن الناس بالدينار والدرهم وتبايعوا بالعينة، وتبعوا أذناب البقر، وتركوا الجهاد في سبيل الله، أدخل الله عليهم ذلاً لا يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم». [صحيح الجامع]

وفي رواية: «لئن تركتم الجهاد وأخذتم بأذناب البقر وتبايعتم بالعينة ليلزمنكم الله مذلة في رقابكم لا تنفك عنكم حتى تتوبوا إلى الله وترجعوا إلى ما كنتم عليه». [رواه أحمد وأبو داود والطبراني، وصححه الألباني في صحيح الجامع]

وقال رسول اللَّه ﷺ: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها». قالوا: أو من قلة نحن يا رسول الله؟ قال: «بل أنتم يومئذ كثير، ولكن غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله المهابة من قلوب عدوكم، وليجعلن في قلوبكم الوهن». قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: «حب الدنيا وكراهية الموت». رواه أحمد.

في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض

الجهاد يستلزم وحدة الصف المسلم والاعتصام بحبل الله، والعودة إلى صحيح الدين ونبذ البدع المضلة

افتتاحية العدد

رفع الأمانة

بقلم
د. جمال المراكبي

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الصادق الوعد الأمين، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وعلى رسل الله أجمعين.

أما بعد:

فقد أنزل الله الأمانة في القلوب، فامتلأت القلوب بالإيمان، وشعرت النفوس بالأمن والأمان، ثم نزل القرآن فعلم الناس من القرآن ومن السنة حدود هذه الأمانة وما ينبغي عليهم بشأنها.

وقد حدث النبي ﷺ عن الأمانة، حديثين حديثًا في نزولها، وتمكنها من القلوب، والتأكيد عليها بنصوص الوحي، وحديثًا عن رفعها من القلوب، وقلة الأمناء وندرتهم حتى لا تكاد ترى رجلا يؤدي الأمانة.

ففي الصحيحين من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال: حدثنا رسول الله ﷺ حديثين قد رأيت أحدهما وأنا انتظر الآخر، حدثنا أن الأمة نزلت في جَذر قلوب الرجال، ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن وعلموا من السنة، ثم حدثنا عن رفع الأمانة، فقال: «ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل الوكْت، ثم ينام النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل المجل كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبرًا وليس فيه شيء، ثم أخذ حصى فدحرجه على رجله، فيصبح الناس يتبايعون فلا يكاد أحد يؤدي الأمانة، حتى يقال للرجل: ما أجلده! ما أظرفه! ما أعقله! وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان». قال حذيفة: ولقد أتى عليَّ زمان وما أبالي أيكم بايعت، لئن كان مسلمًا ليردنه عليَّ دينُه، ولئن كان نصرانيًا أو يهوديًا ليردنه على ساعيه، وأما اليوم فما كنت لأبايع إلا فلانًا وفلانًا.

والأمانة ضد الخيانة، وتطلق على كل ما عهد به إلى الإنسان من التكاليف الشرعية وغيرها، فالإيمان أمانة، والطاعة أمانة،

، حق لله تعالى على العباد فهو أمانة، وكل للغير عليك فهو أمانة، والولاية أمانة ولا ان لمن لا أمانة له.

حديث القرآن عن الأمانة

١- الأمر بها في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ رُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا تُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ ا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ ساء:٥٨].

فأمر الله عباده بأداء الأمانات كاملة غير وصة ولا مبخوسة إلى أهلها، ويدخل في ، أمانات الولايات والأموال والأسرار أمورات التي لا يطلّع عليها إلا الله تعالى.

٢- مَدْح أهلها في سياق مدح المؤمنين اشعين.

قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ وِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلاَّ عَلَى اجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ ادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ ـــــونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ افِظُونَ (٩) أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ ونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١١] .فأفلحوا بأداء الأمانة في الصلاة خشوع فيها، والزكاة بأدائها، واللغو عراض عنه، والفروج بحفظها، والعهود اعاتها فاستحقوا بذلك الفلاح والفوز جنة.

٣- بيان ثِقَلها وجرأة الإنسان على ملها.

قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً (٧٢) لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٢، ٧٣].

فعظَّم الله شأن الأمانة التي ائتمن عليها المكلفين من امتثال الأوامر واجتناب المحارم، وبيّن أنه سبحانه عرضها على المخلوقات العظيمة عرض تخيير، فأشفقن من حملها وحملها الإنسان على ضعفه وعجزه، فكان جاهلا بمؤنتها، ظالمًا لنفسه بتعرضه لهذا الحمل الثقيل، وانقسم الناس بحسب قيامهم بها إلى ثلاثة أقسام:

منافقون أظهروا القيام بها وهم كاذبون، ومشركون تركوها ظاهرًا وباطنًا، ومؤمنون قاموا بها ظاهرًا وباطنًا، فاستحق المنافقون والمشركون العذاب الأليم، واستحق المؤمنون أن يتوب الله عليهم ويغفر لهم فيما قصروا فيه وعوضهم النعيم المقيم عما تحملوه وقاموا به.

٤- ربطها بتقوى الله عز وجل والحث عليها في التعامل.

قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ [البقرة: ١٨٣].

٥- النهي عن ضدها.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧]، فأمر الله بأداء الأمانات، ونهى عن الخيانة.

٦- نَفْي محبة الله تعالى للخائنين.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [الأنفال:٥٨]، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج:٣٨].

٧- سوء عاقبة الخيانة.

قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلاَ النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ [التحريم: ١٠].

قبض الأمانة وقبض العلم

تُقبض الأمانة من القلوب، فيصبح الأمين خائنًا، ويندر الأمناء، وفي الحديث: «ينام الرجلُ النومة فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل الوكْت، ثم ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل أثر المجل». والوكت: سواد في لون الجلد، والمجل ما يكون باليد من أثر العمل، وبالجلد من أثر الحرق، كما قال النبي ﷺ: «كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبرًا» أي: منتفخًا وليس فيه شيء من الخير.

وإن كان العلم يقبض بموت العلماء، كما في الحديث: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من قلوب العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبق عالمًا اتخذ الناس رءوسًا جهالاً فسئلوا فافتوا بغير علم فضلوا وأضلوا». فإن الأمانة تقبض من قلوب الأمناء، فيتحول الأمين من الأمانة إلى الخيانة- والعياذ بالله- حتى لا تكاد تجد رجلا أمينًا، وحتى تنقلب المعايير، فيقال للرجل: ما أجلده! ما أظرفه! ما أعقله! وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان. نعوذ بالله من ضعف الأمانة وقلة الأمناء.

من لي بإنسان إذا اغضبته
وجهلتُ كان الحلم رد جوابه
وتراه يصغي للحديث بقلبه
وبعقله ولعله أدرى به

إذا كان حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما وهو الصحابي الجليل يشكو قلة الأمناء في زمانه، فماذا يقول الواحد منا ونحن في آخر الزمان؟ ونبينا ﷺ يقول: «إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة». قالوا: وكيف إضاعتها؟ قال: «إذا وسِّد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة».

اللهم اجبر عجزنا، وتولَّ أمرنا، ووفقنا للتمسك بدينك وشرعك وسنة نبيك ﷺ، واجعل لنا من قول نبينا ﷺ: «لا تزال طائفة من أُمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك» أوفر حظ ونصيب.

والله من وراء القصد.

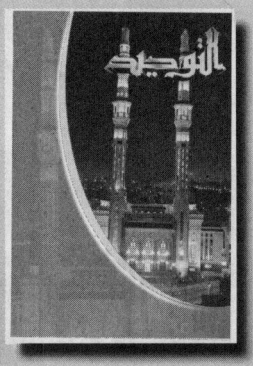

افتتاحية العدد

نعم.. ونقم.. وابتلاءات

بقلم
د. جمال المراكبي

إن ما يمر به عالمنا الإسلامي الآن يجعلنا نتساءل: لماذا أصبح المسلمون هدفًا للمصائب والكوارث والحروب؟ فالمسلمون هم أكثر الشعوب معاناة على وجه الأرض، فهم وقود للحروب والصراعات، وضحايا للاعتداءات الوحشية في كل بقاع الأرض، ثم تأتي الكوارث الطبيعية لتقف هي الأخرى ضدهم، لنجد أكثر ضحايا الزلازل والفيضانات والأعاصير والمجاعات والأمراض والأوبئة الفتاكة من المسلمين!!

سؤال يتردد على ألسنة الكثيرين، هل هو غضب الله على المسلمين؟ ولماذا لا نجد مثل هذه الابتلاءات في غير المسلمين؟ ولماذا ينعم الله عز وجل بصنوف كثيرة من النعم على غير المسلمين؟

والسؤال يتضمن الكثير من المغالطة، فالمصائب والكوارث ليست حكرًا على المسلمين دون غيرهم، ولكن آثارها السلبية تكون أكثر ظهورًا بين المسلمين المصابين بأمراض الجهل والتواكل والسلبية والتخلف، بينما تخفّ هذه الآثار في المجتمعات المتقدمة وأغلبها من غير المسلمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

والبلاء يعمُّ المسلم والكافر، ويكون بالنعمة والنقمة، قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك:٢].

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (١٦) كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (١٧) وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (١٨) وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا (١٩) وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: ١٥- ٢٠].

فليس كل من أكرمه الله في الدنيا بصنوف من النعم هو في الحقيقة مُنعم عليه، وليس كل من قُدِر عليه رزقه مهانًا عند الله، بل إن الله عز وجل يبتلي الإنسان بالنعم كما يبتليه بالمصائب، والإنسان يتقلب في الدنيا بين صنوف من النعم وصنوف من المصائب.

والنعم التي ينعم بها المولى على عباده كثيرة: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [النحل: ١٨]، وكلها من الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، والعباد فيها بين شاكر وكافر؛ فالشاكر يبارك له الله في النعم، ويزيده من فضله ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهي: ٧]، والكافر يزيل الله عنه كل أثر للنعمة، ولا يبقى له إلا المصائب والمحن في الدنيا والآخرة: ﴿وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧] .

وذلك لأن النعم على قسمين: نعم مطلقة، ونعم مقيدة.

فالنعم المطلقة: هي المتصلة بسعادة الإنسان في الدنيا والآخرة، وهي التي لا تزول ولا تنقطع، وتمامها يكون بالخلود في الدرجات العليا من الجنة، وقد سمع النبي ﷺ رجلا يدعو يسأل ربه تمام النعمة، فقال له: «هل تدري ما تمام النعمة؟ تمام النعمة أن يرزقك الله الجنة ويحول بينك وبين النار».

قال تعالى: ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ

الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

وهذه النعمة المطلقة هي نعمة الإسلام والسنة، وأهلها هم أهل الرفيق الأعلى، أهل الهداية، ولهذا أمرنا الله تعالى أن نسأله في صلواتنا الهداية إلى الصراط المستقيم؛ صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧].

فالمغضوب عليهم: الذين عرفوا الحق وأعرضوا عنه، والضالون: الذين ضلوا سبيل الرشاد، ليس لهم من هذه النعمة نصيب وإنما هي للمطيعين وحدهم: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

وهذه النعمة المطلقة هي التي أسبغها الله وأتمها على عباده المؤمنين بإكمال دينه وإتمام شريعته وإرسال رسوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] .

وهذه النعمة المطلقة هي التي يفرح بها في الحقيقة، والفرح بها مما يحبه الله ويرضاه: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]، وفضل الله ورحمته في الإسلام والسنة جعلنا الله من أهلها.

والنعم المقيدة: هي ما يتفضل به الله على عباده في الدنيا مما يحبون؛ كالصحة والفراغ والغنى والعافية في البدن والزوجة والولد، وهي شهوة وزينة، وهي مشتركة بين المؤمن والكافر، والبَرِّ والفاجر، وهي مناط الاختبار والابتلاء: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤) قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ١٤، ١٥].

قال ابن كثير: «يخبر الله تعالى أنه زيَّن للناس حب الشهوات الدنيوية، وخص هذه الأمور المذكورة لأنها أعظم شهوات الدنيا وغيرها تبع لها، قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا﴾ [الكهف: ٧]، فلما زينت لهم هذه المذكورات تعلقت بها نفوسهم، ومالت إليها قلوبهم، وانقسموا بحسب الواقع إلى قسمين: قسم جعلوها هي المقصود فصارت أفكارهم وخواطرهم وأعمالهم الظاهرة والباطنة لها، فشغلتهم عما خُلقوا لأجله، وصحبوها صحبة البهائم السائمة يتمتعون بلذاتها ويتناولون شهواتها، ولا يبالون على أي وجه حصَّلوها، ولا فيما أنفقوها وصرفوها، فكانت زادًا لهم إلى دار الشقاء والعناء والعذاب.

والقسم الثاني: عرفوا المقصود منها، وأن الله جعلها ابتلاءً وامتحانًا لعباده، ليعلم من يُقدِّم طاعته ومرضاته على لذاته وشهواته، فجعلوها وسيلة لهم، وطريقًا يتزودون منها لآخرتهم، ويتمتعون بما يتمتعون به على وجه الاستعانة به على مرضاته، علموا أنها متاع الحياة الدنيا فجعلوها معبرًا إلى الدار الآخرة، فصارت زادًا لهم إلى ربهم». اهـ.

إن لله عبادًا فطنًا
طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا
أنها ليست لحيّ وطنا
جعلوها لجّة واتخذوا
صالح الأعمال فيها سفنا

وفي الآيات تسلية للفقراء الذين لا قدرة لهم على هذه الشهوات التي يقدر عليها الأغنياء، وتحذير للمغترِّين بها، وتزهيد لأهل العقول بها، لذا أخبر الله عن دار القرار، ومصير المتقين الأخيار، وأنها خير من هذه الدار الفانية والنعيم الزائف الزائل، فقس هذه الدار الجليلة بتلك الزائلة الحقيرة ثم اختر لنفسك أحسنها، واعرض على قلبك المفاضلة بينهما.

والمصائب التي يبتلي الله بها عباده كثيرة؛ من فقر ومرض وتعب وعنت وموت، وهي قدر محتوم يعم المؤمن والكافر والبر والفاجر، والقصد منها الاختبار والابتلاء ليميز الله الخبيث من الطيب.

قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِكَيْلاَ تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد:٢٢،٢٣].

المصائب المكفرة

١- المصائب بسبب الذنوب: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]، ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣].

٢- المصائب قدر محتوم ينبغي التسليم له: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢)

لِكَيْلاَ تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٢-٢٣].

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن:١١].

٣- وجوب الصبر على المصائب لأنها ابتلاء من الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (١٥٣) وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لاَ تَشْعُرُونَ (١٥٤) وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٣- ١٥٧].

٤- المصائب كفارات للذنوب: عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفَّر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكُها». (البخاري ٥٦٤٠).

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ما يصيب المسلم من نَصَب ولا وَصَب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكُها، إلا كفر الله بها من خطاياه». [البخاري ٥٦٤١].

والكفارة: صيغة مبالغة من التكفير، وأصله التغطية والستر، والمعنى أن ذنوب المؤمن تتغطى بما يقع له من ألم المرض، وسائر المصائب.

قال تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلاَ أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا (١٢٣) وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء:١٢٣-١٢٤].

والمعنى أن كل من يعمل سيئة يجازى بها إما في الدنيا أو الآخرة، والمرض والمصائب يكون جزاءً للسيئات، وكفارة لها. ذهب أكثر أهل التأويل إلى أن معنى الآية أن المسلم يجازى على خطاياه في الدنيا بالمصائب التي تقع له فيها فتكون كفارة لها.

أخرج أحمد وابن حبان عن عائشة أن رجلًا تلا هذه الآية، فقال: إنا لنجزى بكل ما عملناه؟ هلكنا إذن. فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: نعم يجزى به في الدنيا من مصيبة في جسده مما يؤذيه.

وأخرجا أيضًا عن أبي بكر قال: يا رسول الله، كيف الصلاح بعد هذه الآية؟ فقال: «غفر الله لك يا أبا بكر ألست تمرض، ألست تحزن؟» قال: بلى. قال: «هو ما تجزون به».

وروى مسلم عن أبي هريرة: أن هذه الآية لما نزلت بلغت من المسلمين مبلغًا شديدًا، فقال النبي ﷺ: «قاربوا وسددوا، ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة حتى النكبة ينكبها والشوكة يشاكها».

هل المصائب كفارة بنفسها أم بالصبر عليها؟

قال العز بن عبد السلام: «إن الثواب والعقاب إنما هو على الكسب، والمصائب ليست منها، بل الأجر على الصبر والرضا». وقال القرطبي في المفهم مثل ذلك.

وقال القرافي: «المصائب كفارات جزمًا، سواءً اقترن بها الرضا أم لا، لكن إن اقترن بها الرضا كان التكفير أعظم».

وقال ابن حجر: والتحقيق أن المصيبة كفارة لذنب يوازيها، وبالرضا يؤجر على ذلك، فإن لم يكن للمصائب ذنب عُوِّض عن ذلك من الثواب بما يوازنه.

وفي هذه الأحاديث بشارة عظيمة لكل مؤمن؛ لأن الآدمي لا ينفكُّ غالبًا عن ألم بسبب مرض أو همّ أو نحو ذلك، وإن الأمراض والآلام والأوجاع؛ بدنية كانت أو قلبية تكفر ذنوب من تقع له، وقد ورد في الحديث: «ما من مسلم يصيبه أذى- شوكة فما فوقها- إلا كفَّر الله بها سيئاته، كما تحط الشجرة ورقها». (البخاري ٥٦٤٨).

هل المصائب تكفر جميع الذنوب؟

ظاهر النصوص يفيد ذلك، ولكن أكثر العلماء جعلوا ذلك خاصًا بالصغائر، أما الكبائر فلا بد فيها من التوبة النصوح، واستدلوا بحديث: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر».

والراجح أن الحسنات الماحية ومنها الصبر على القضاء والرضا به توضع في كفة الحسنات، وذلك في مقابلة الذنوب التي توضع في كفة السيئات، فإما أن ترجح بها وإما أن تعادلها.

والحسنات توضع متضاعفة إلى عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، والسيئات توضع منفردة.

وربما تعظم الحسنة الواحدة فتطيش بها سجلات عظيمة من الذنوب كما في حديث البطاقة عند أحمد والترمذي.

والله أعلم.

افتتاحية العدد

عظة الموت

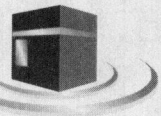

الحمد لله فاطرِ السماوات والأرض، الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد.. فإن الله عز وجل جعل الموت حلقةً من حلقات الحياة يتم به الاختبار والابتلاء، فالموت ليس فناءً كما يعتقد الجاهلون، بل هو انتقال من دار إلى دار، وبرزخ يفصل بين حياتين، حياة الاختبار والابتلاء، وحياة الجزاء والبقاء، والحياة الحقيقية هي حياة الآخرة وإن آثر أكثر الناس الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الأعلى:١٦-١٧]، وقال: ﴿إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ [غافر:٣٩].

وقال رسول الله ﷺ: «اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة» [رواه البخاري].

والموت هو اليقين حقًا، وإن أعرض الناس عنه وحادوا، والحياة الدنيا دار البلاء والاختبار والعمل لما بعد الموت.

قال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق:١٩].

وقال: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر:٩٩] أي: الموت.

ولما مات عثمان بن مظعون قال رسول الله ﷺ: «أما عثمان فقد جاءه اليقين».

فالموت حق لا يُعرض عن ذكره إلا غافل، ولا يفر منه إلا جاهل، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجمعة:٨].

ولهذا أمر النبي ﷺ بالإكثار من ذكره والاستعداد له فقال:

الموت هو اليقين حقا وإن أعرض الناس عنه

الحياة الحقيقية هي حياة الآخرة وإن آثر الناس الحياة الدنيا

بقلم
د. جمال المراكبي

«أكثروا ذكر هادم اللذات».

ففي ذكر الموت فوائد عظيمة؛ فهو أدعى لقصر الأمل في الدنيا والزهد في زخارفها، والحرص على العمل الصالح وإحسانه، ومحاسبة النفس على ما فعلت، والمبادرة للتوبة النصوح، وأداء الحقوق إلى أصحابها، ثم هو يردع عن المعاصي ويلين القلب القاسي، وذكر الموت في كل حال أدعى لصلاح الحال؛ ففي صلاتك: قال رسول الله ﷺ «اذكر الموت في صلاتك، فإن المرء إذا ذكر الموت في صلاته فحري أن يحسن صلاته، وصل صلاة رجل لا يظن أنه يصلي صلاة غيرها» [صحيح الجامع].

وفي صباحك ومسائك؛ «إذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وخذ من حياتك لموتك ومن صحتك لمرضك، ومن فراغك لشغلك.

وعند نومك «اللهم إني أسلمت نفسي إليك». «باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين».

وعند يقظتك «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور».

وفي سائر حياتك «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل» [البخاري].

والموت راحة للمؤمن من تعب الدنيا ونصبها، ونهاية سعيدة لهذا الابتلاء الذي عاناه فيها، أما الكافر فبالموت يبدأ شقاؤه وعناؤه والعياذ بالله.

مرت جنازة فقال النبي ﷺ: «مستريح أو مستراح منه؛ أما المؤمن فيستريح بالموت من تعب الدنيا وأذاها إلى رحمة الله عز وجل، والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب» [البخاري].

وتبدو هذه الراحة في بشارة الملائكة للمؤمن عند الموت لا تخف ولا تحزن وأبشر بالجنة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

والبلاء الذي يتعرض له المؤمن قبل موته يكفر عنه ذنوبه ويرفع درجته؛ فإنه لا يصيب المؤمن همٌّ ولا غمٌّ ولا نَصَب ولا أذىً حتى الشوكة يشاكها إلا كفّر الله بها من خطاياه.

قال رسول الله ﷺ: «إذا ابتلى الله العبد المسلم ببلاء في جسده، قال الله عز وجل لملائكته: اكتبوا له صالح عمله، فإن شفاه الله غسله وطهّره، وإن قبضه غفر له ورحمه» [صحيح الجامع].

إن الموت مصيبة لابد منها، تراها وتبتلى بها فيمن تحب ثم تبتلى بها في نفسك.

إن عشت تفجع بالأحبة كلهم

ذكر الموت في كل حال أدعى لصلاح الحال

إن الموت مصيبة لابد منها، تبتلى بها فيمن تحب، ثم تبتلى بها في نفسك

ولفقد نفسك لا أبالك أفجع

ولقد قضى الله الموت على ثلاثة من إخواننا وأحبتنا في هذا الشهر، الأول أخونا الشيخ كمال النادي عضو الجماعة وعضو مجلس إدارة فرع المحلة الكبرى.

والثاني أخونا الشيخ أحمد المسلمي مدير الإدارة المالية بالمركز العام للجماعة ورئيس فرع الإسماعيلية.

والثالث الشيخ عباس عبد الحفيظ شحاته من قدامى مسئولي الدعوة بفرع الجيزة.

فلله ما أخذ ولله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى، ولا نملك إلا أن نصبر ونحتسب فقدهما عند الله عز وجل فالعين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وما نرجوه من الله بالصبر والاحتساب خير مما كنا نرجوه ونؤمله من حياتهما رحمهما الله، ولكن صبرنا واحتسابنا خير لنا عند ربنا، والله خير لهما منا فهو الغفور الرحيم أرحم بعبده المؤمن من الوالدة بولدها التي لا تطرح ولدها في النار وما الله بطارح حبيبه في النار.

فاللهم ارحمهما واغفر لهما وافسح لهما في القبور. وتجاوز عن ذنوبهما يا رحيم يا غفور.

اللهم وثبتنا على الإيمان، ووفقنا للتمسك بهدي النبي ﷺ وأمتنا على سنته وطريقته.

اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحينا ما علمت الحياة خيرًا لنا، وتوفنا إذا كانت الوفاة خيرًا لنا. اللهم ونسألك خشيتك في الغيب والشهادة، ونسألك كلمة الحق في الرضى والغضب، ونسألك القصد في الفقر والغنى، ونسألك نعيمًا لا ينفد، ونسألك قرة عين لا تنقطع، ونسألك الرضا بعد القضاء، ونسألك برد العيش بعد الموت ونسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك في غير ضراء مُضرة، ولا فتنة مُضلة، اللهم زَيِّنا بزينة الإيمان، واجعلنا هداةً مهتدين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

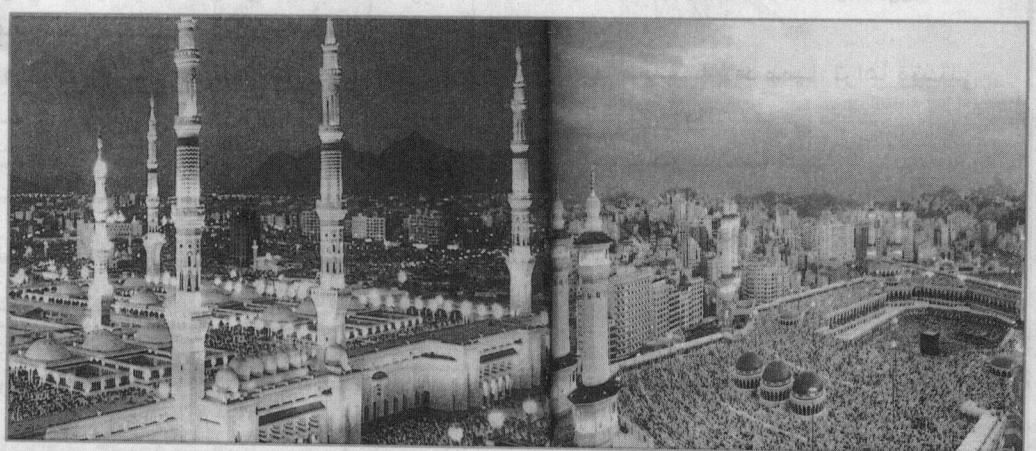

افتتاحية العدد

آثار الطلاق

بقلم
د. جمال المراكبي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد..

فإن الطلاق مشكلة اجتماعية خطيرة تهدد الكثير من الأسر، وتنقلها من السعادة إلى الشقاء، ومن الراحة إلى العناء، ولجان الفتوى مليئة بالسائلين والمستفتين الباحثين عن مخرج لما قالوه بالسنتهم، وضيقوا به على أنفسهم وأهليهم؛ ولو عرف هؤلاء معنى التقوى وطبقوه في حياتهم ولم يتعدوا حدود الله، لجعل الله لهم من كل همّ فرجا ومن كل ضيق مخرجًا.

قال تعالى في سورة الطلاق ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق:٢-٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا (٤) ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ [الطلاق:٤-٥].

فالأمر بالتقوى يتكرر في حديث القرآن عن الطلاق لتنبيه الغافلين، وتعليم الجاهلين حتى يجعل الله لهم من العسر يسرًا، ومن الضيق مخرجًا.

ولكن أكثر الناس إلا من رحم الله، لا يلتزم حدود الله في الطلاق، فيتبعون الأهواء والشهوات فيميلون ميلا عظيمًا، وكما أمر الله بالتقوى وحث عليها، فإنه نهى عن تعدي الحدود مطلقًا، وفي الطلاق بصفة خاصة وتكرر هذا النهي وهذا التحذير في آيات الطلاق.

قال تعالى: ﴿الطَّلاَقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلاَّ أَنْ يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٢٩) فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلاَ تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢٩-٢٣٠].

وقال: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لاَ تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق:١].

آخر الدواء الكي

لقد أباح الإسلام الطلاق إذا تعذر الوفاق واستحكم الشقاق، وتحولت الحياة الزوجية من المودة والرحمة وصارت جحيمًا لا يُطاق، فآخر الدواء الكي، وآخر سبيل لعلاج الشقاق إيقاع الطلاق، فقد يكون فيه السعة والغنى.

قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلاً مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا

حكيمًا ﴾ [النساء:١٣٠].

ولكن الطلاق لا يكون قبل استنفاد كل أسباب الإصلاح، وهذه الأسباب كثيرة نذكر منها.

١ ـ حسن الاختيار قبل الزواج واعتبار الدين أساسًا للاختيار، ومرجعًا يرجع إليه في كل أمور الحياة خاصة عند الشقاق.

قال ﷺ: «فاظفر بذات الدين تربت يداك».

٢ ـ المعاشرة بالمعروف، والموازنة العادلة بين المزايا والعيوب قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [النساء:١٩].

وقال رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر؛ فإذا شهد أمرًا فليتكلم بخير أو ليسكت، واستوصوا بالنساء فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، إن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، استوصوا بالنساء خيرًا».

وفي رواية: «إن المرأة خلقت من ضلع، لن تستقيم لك على طريقة، فإن استمتعت بها استمتعت بها وبها عوج، وإن ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها» [مسلم (١٤٦٨)].

وقال ﷺ: «لا يَفْرَكْ مؤمنٌ مؤمنةً، إن كره منها خُلُقًا رضي منها آخر» [مسلم (١٤٦٩)].

وهكذا تستقيم الحياة؛ بالرفق واللين، وغض الطرف عن بعض ما تكره لأجل ما تحب وترضى لما كان الأمر محتملا شرعًا.

فالتغاضي عن الهفوات: وستر العورات وإقالة العثرات مما يحبه الله ويرضاه وصاحب العقل والمروءة والدين هو الذي يزن بميزان الشرع ويضع نفسه دائما مكان من ينكر عليه عسى أن يلتمس له عذرًا أو يجد له مخرجًا، فلا يسرع في غضبه ولا يشتط في خصومته.

٣- معالجة النشوز والشقاق الذي يكون بين الزوجين:

النشوز يكون بين الزوجين، وهو كراهة كل واحد منهما صاحبه واشتقاقه من النشز وهو ما ارتفع من الأرض، ونشوز المرأة استعصاؤها على زوجها وترفعها عليه وكراهيتها عشرته وخروجها عن طاعته، ونشوز الرجل كراهيته لها وسوء عشرته، وجفاؤه لها الاضرار بها.

والنشوز يقع من المرأة، ويقع من الرجل، ويقع منهما معًا.

-فإذا نشزت المرأة فتركت الحقوق التي ألزمها الله بها لزوجها دون أن يكون منه ما يسوؤها، فعلى الزوج أن يعظها ويذكرها بتقوى الله وطاعة الزوج، فإن لم يُجْدِ معها الوعظ فللزوج أن يهجرها في الفراش، وأن يؤدبها ولو بالضرب ضربًا غير مبرح، فإن ثابت إلى رشدها عفا عنها وقبل منها، قال تعالى: ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾ [النساء: ٣٤].

-وإذا خافت المرأة نشوز زوجها أو إعراضه عنها، فلا جناح عليهما أن يتصالحا على حال يرتضيان به، وهذا خير من الفراق أو البقاء على حال النشوز أو الظلم للمرأة، قال تعالى: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [النساء: ١٢٨]. فإذا خافت المرأة من زوجها أن ينفر عنها أو يُعرض عنها فلها أن تسقط عنه حقها أو بعضه من نفقة أو كسوة أو مبيت أو غير

ذلك من حقوقها عليه، وله أن يقبل ذلك منها، فالصلح ولو بإسقاط بعض الحقوق خير من الفراق، وقد نزلت الآية في شأن سودة بنت زمعة، قد خشيت أن يطلقها النبي ﷺ لكبر سنها ورغبتها عن الميل للرجل، فوهبت يومها لعائشة على أن يستبقيها، قالت عائشة في سبب نزول الآية: الرجل تكون عنده المرأة المسنة، ليس بمستكثر منها يريد أن يفارقها فتقول: أجعلك من شأني في حل، فنزلت هذه الآية. رواه البخاري.

ولا شك أن الإبقاء على الزوجية، والصلح بين الزوجين خير من الفراق، وكذلك فالإحسان إلى الزوجة التي هذا شأنها وتجشم مشقة الصبر على ما يكره منها، والعدل بينها وبين غيرها من الزوجات ابتغاء مرضاة الله، فإن الله يجازي عليه أوفر الجزاء كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾.

-وإذا وقع الشقاق بين الزوجين واستحكمت أسبابه، وعجز كل منهما عن تلافيه ومنعه، وجب التدخل للإصلاح بينهما، قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٥].

فإذا عجز الحكمان عن الإصلاح واستحكم الشقاق كان الخير في الفراق، قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٣٠].

فإذا تفرقا فإن الله يغنيه عنها، ويغنيها عنه بأن يعوضه الله عنها من هو خير له منها، ويعوضها عنه بمن هو خير لها منه، فالله واسع الفضل عظيم المن، حكيم في فعله وقدره وشرعه.

هكذا يكون اللجوء للفراق والطلاق، أما أن يقع الطلاق بالهوى وتجاوز الحدود الشرعية فيكون من عمل الشيطان.

وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا فيقول: ما صنعت شيئًا، ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته، فيدنيه منه ويقول: نعم أنت». [مسلم ح٢٧١٣].

والحمد لله رب العالمين

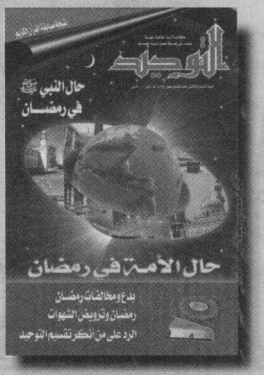

افتتاحية العدد

حال النبي ﷺ في رمضان

بقلم
د. جمال المراكبي

شهر رمضان شهر عظيم مبارك، جعله الله موسمًا للخيرات، وزادًا للتقوى والبركات، اختصه الله سبحانه بنزول القرآن في ليلة هي خير من ألف شهر، وافترض علينا صيامه، وسَنَّ لنا رسول الله ﷺ قيامه، قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

استقبال النبي ﷺ لرمضان

لقد كان رسول الله ﷺ يحتفل برمضان ويحتفي به وينبه أصحابه وأمته لفضيلة هذا الشهر وكيفية استقباله، واغتنام أيامه ولياليه دون إفراط أو تفريط، فيقول: «إن هذا الشهر قد حضركم، وفيه ليلة خير من ألف شهر، من حُرمها فقد حُرم الخير كله، ولا يُحرم خيرها إلا محروم». «صحيح سنن ابن ماجه» (١٣٣٣).

ويقول ﷺ: «إذا كانت أول ليلة من رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن، وغلقت أبواب النار، فلم يُفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب، ونادى منادٍ: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار، وذلك في كل ليلة». صحيح سنن ابن ماجه (١٣٣١).

ومع أن النبي ﷺ كان يُرَغِّب في صوم التطوع، ويُكثر من الصوم في شعبان، فكان يصوم حتى يقولوا لا يفطر، إلا أنه نهى عن تقدم رمضان بصوم يوم أو يومين، وذلك لمعنى الاحتياط لرمضان، وينهى عن صيام اليوم الذي يُشك فيه، ويقول: «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غُمَّ عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين». البخاري.

وقال ﷺ: «لا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروا الهلال، فإن غُم عليكم فاقدروا له». البخاري.

وقال ﷺ: «لا يتقدمن أحدكم رمضان بصوم يوم أو يومين، إلا أن يكون رجلٌ كان يصوم صومًا فليصم ذلك الصوم». البخاري.

لأن ذلك من التنطع، ومن الغلو في الدين الذي لا يحبه الله ورسوله.

وكان ﷺ يحب تأخير السحور وتعجيل الفطر، ويقول: «تسحروا فإن في السحور بركة». البخاري.

ويقول ﷺ: «لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر».

وكان رسول الله ﷺ يخص رمضان من العبادة بما لا يخص به غيره من الشهور، وكان يواصل فيه أحيانًا فيصل الليل بالنهار صائمًا ليوفر ساعات ليله ونهاره على العبادة، وكان ينهى أصحابه عن الوصال ويبين لهم أنه من خصوصياته ﷺ فيقولون له: إنك تواصل، فيقول: «إني لست كهيئتكم، إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقني».

وقد أبى بعض أصحابه أن ينتهي عن الوصال إمعانًا في متابعته

ﷺ، فواصل بهم يومًا، ثم يومًا، ثم رأوا الهلال، فقال: لو تأخر الهلال لزدتكم، كالمنكل لهم حين أبوا أن ينتهوا عن الوصال. رواه البخاري.

وقد نهى رسول الله ﷺ عن الوصال رحمة للأمة، وأذن فيه إلى السحر، فقال: «لا تواصلوا، فأيكم أراد أن يواصل فليواصل إلى السحر». رواه البخاري.

وقد اختلف أهل العلم في جواز الوصال أو منعه، وتعجيل الفطر أولى لما سبق من الحديث: «لا تزال أمتي بخير ما عجلوا الفطر».

وفي السنن: «لا يزال الدين ظاهرًا ما عجل الناس الفطر، وإن اليهود والنصارى يؤخرون». وفيها عن النبي ﷺ عن الله عز وجل: «أحب عبادي إليّ أعجلهم فطرًا».

وكان النبي ﷺ يسافر في رمضان للغزو وغيره، ويجاهد في سبيل الله في رمضان، وكان في سفره يصوم ويفطر، ويخير الصحابة بين الأمرين، وكان يأمرهم بالفطر إذا دنوا من عدوهم ليتقووا على قتاله، وسافر رسول الله ﷺ في رمضان في أعظم الغزوات وأجلها في غزوة بدر، وفي غزوة الفتح.

ففي البخاري عن أبي الدرداء قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره في يوم حار حتى ليضع الرجل يده على رأسه من شدة الحر، وما فينا صائم إلا ما كان من النبي ﷺ وابن رواحة.

وفيه عن جابر قال: كان رسول الله ﷺ في سفر، فرأى زحامًا ورجلاً قد ظُلل عليه، فقال: ما هذا؟ فقالوا: صائم، فقال: «ليس من البر الصوم في السفر».

وفي صحيح مسلم عن ابن عباس قال: خرج رسول الله عام الفتح في رمضان فقام حتى بلغ الكديد، ثم أفطر، وكان أصحابه يتتبعون الأحدث فالأحدث من أمره ويرونه الناسخ المحكم، وإنما أفطر النبي ﷺ لما قيل له إن الصوم قد شق على الناس، فلما علم أن بعضهم ظل صائمًا قال: أولئك العصاة.

وكان رسول الله ﷺ يُقبل نساءه وهو صائم، ويباشر وهو صائم، وشبه القبلة بالمضمضة بالماء في عدم التأثير على الصوم، وكان كما قالت عائشة: أملك الناس لإربه.

وكان ﷺ يصبح جنبًا من جماع، فيدركه الفجر وهو جنب، فيغتسل بعد طلوع الفجر ويصوم.

وكان ﷺ يصب الماء على رأسه وهو صائم، ويتمضمض ويستنشق وهو صائم، وينهى الصائم عن المبالغة في الاستنشاق، وكان يتسوك وهو صائم، ولم يرد عنه كراهية السواك للصائم بعد الزوال، كما يقول بعض الفقهاء.

وكان ﷺ يحث على قيام رمضان ويرغب فيه، قال ابن شهاب : عن أبي سلمة بن عبد الرحمن: أنَّ رسول الله ﷺ كان يرغب في قيام رمضان من غير أن يأمر بعزيمة، فيقول: «من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه». قال ابن شهاب: فتوفى رسول الله ﷺ والأمر على ذلك، وكان الأمر على ذلك في خلافة أبي بكر وصدرًا من خلافة عمر.

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ صلى في المسجد ذات ليلة فصلى بصلاته ناسٌ، ثم صلى من القابلة فكثر الناس، ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة أو الرابعة، فلم يخرج إليهم رسول الله ﷺ، فلما أصبح قال: «رأيت الذي صنعتم فلم يمنعني من الخروج إليكم إلا خشية أن يُفرض عليكم». قالت: وذلك في رمضان. متفق عليه.

وعن عبد الرحمن بن عبدٍ القاريِّ أنه قال: خرجت مع عمر بن الخطاب ليلة في رَمضان إلى المسجد، فإذا الناس أوزاعٌ متفرقون، يصلي الرجل لنفسه، ويصلي الرجلُ فيصلي بصلاته الرهط، فقال عمر: لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد كان أمثل- أي أفضل- فجمعهم على أبي بن كعب، قال: ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم، فقال عمر: نعمت البدعة هذه، والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون. يريد عمر صلاة آخر الليل، وكان الناس يقومون أوله. رواه البخاري.

وقيام رمضان جماعة سنة غير بدعة؛ لقول النبي ﷺ: «فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي». وإنما قصد عمر بالبدعة؛ البدعة اللغوية لا الشرعية؛ لأن الابتداع في الدين ضلالة؛ لقول النبي ﷺ: «وكل بدعة ضلالة»، وقوله: «من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد». متفق عليه.

وإنما ترك النبي ﷺ المداومة على قيام رمضان في المسجد خشية أن يُفرض كما صرح بذلك في الحديث، وقام بهم في المسجد ليالي معدودة لبيان أنه سنة.

وكان ﷺ لا يزيد في قيام الليل عن إحدى عشرة ركعة في رمضان وفي غير رمضان، وكان يطيل في الصلاة حتى خافوا أن يفوتهم السحور.

وكان يحث على صلاة النافلة في البيوت ويقول: «لا تجعلوا بيوتكم قبورًا، اجعلوا في صلاتكم من بيوتكم ولا تتخذوها قبورًا». متفق عليه.

ويقول: «صلاتكم في بيوتكم أفضل من صلاتكم في مسجدي هذا إلا المكتوبة». رواه أبو داود.

وكان ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان، ويجتهد فيها ما لا يجتهد في غيرها، واعتكف نساؤه معه ومن بعده، وكان يدخل المعتكف إذا صلى الغداة- الفجر- واستأذنته عائشة في أن تعتكف فأذن لها، فضربت فيه قبة- خباء أو خيمة- فسمعت حفصة فضربت قبة، وسمعت زينب بها فضربت قبة أخرى، فلما انصرف رسول الله ﷺ بالغداة أبصر أربع قباب، فقال: «ما هذا؟» فأخبر خبرهن، فقال: «ما حملهن على هذا البر، انزعوهن فلا أراها»، فنزعت.

وهذا دليل على أن العمل ينبغي أن يبتغي به وجه الله، ولا يُفعل على وجه التقليد للغير، أو مجرد مصاحبته دون قصد البر والقربة، وكان يخرج من المعتكف لقضاء الحاجة.

وكان يحرص على إدراك ليلة القدر ويتحراها ويأمر بتحريها في العشر الأواخر، وربما كان اعتكافه لهذا الغرض، فإنه ﷺ كان يعتكف العشر الوسطى من رمضان فاعتكف عامًا حتى إذا كان ليلة إحدى وعشرين وهي الليلة التي يخرج في صبحها من اعتكافه، قال: «من كان اعتكف معي فليعتكف العشر الأواخر، وقد رأيت هذه الليلة ثم أنسيتها، وقد رأيتني أسجد في صبيحتها في ماء وطين، فالتمسوها في العشر الأواخر، والتمسوها في كل وتر».

قال أبو سعيد الخدري: فأمطرت السماء تلك الليلة، وكان المسجد على عريش فوكف المسجد، فأبصرت عيناي رسول الله ﷺ انصرف علينا وعلى جبهته وأنفه أثر الماء والطين. [متفق عليه]

وربما أذن النبي ﷺ في اعتكاف ليلة فقد جاءه رجل، فقال: إني أكون ببادیتي، وإني بحمد الله أصلي بهم، فمرني بليلة من هذا الشهر أنزلها إلى المسجد فأصليها فيه، فقال: «انزل ليلة ثلاث وعشرين فصلها فيه فإن أحببت أن تستتم آخر الشهر فافعل، وإن أحببت فكف». رواه مسلم.

وكان ﷺ يتدارس القرآن مع جبريل في رمضان في كل سنة مرة، فلما كانت السنة التي قبض فيها دارسه القرآن مرتين. وكان يكثر من الصدقة والجود والنفقة، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يأتيه جبريل.

وكان يأمر بإخراج زكاة الفطر من رمضان صاعًا من تمر أو صاعًا من شعير، أو صاعًا من طعام، ولم يأمر بإخراج القيمة ولا فعل ذلك أحد أصحابه إلا قول معاوية: أرى مدين من سمراء الشام يعدل صاعًا من تمر، فجعل معاوية نصف صاع من قمح يعدل صاعًا من تمر أو من شعير، وهو اجتهاده رضي الله عنه.

وكان يخرج إلى العيد ماشيًا ويصلي بالناس ركعتين، ثم يخطب في مصلى العيد، وما صلاها في المسجد قط، وكان يذهب من طريق ويرجع من طريق ليشهد له الطريق ويسلم على أهله.

والحمد لله رب العالمين

افتتاحية العدد

رحيل الشهر الكريم

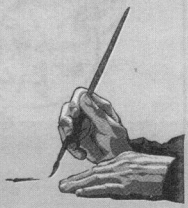

بقلم
د. جمال المراكبي

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، ووفقنا للإيمان، وبلغنا رمضان، ووفقنا لصيامه وقيامه إيمانًا واحتسابًا: «من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه»، «من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه»، «من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه».

فرحة الصائم

لقد آن لنا أن نفرح بهذا الخير العميم، وقد انقضى وقت العبادة، وحان وقت الجزاء، «للصائم فرحتان؛ إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه». إنها إحدى الفرحتين قد حان وقتها فأعطانا الله يومًا نفرح فيه لمنته علينا أن هدانا للطاعة ثم قبلها منا وأثابنا عليها وختمها لنا بعيد يتجدد نفرح فيه ونسعد.

ونحن على موعد مع فرحة أعظم؛ إنها الفرحة الكبرى، يوم يرى الصائم صومه جُنة يحول بينه وبين نار جهنم: «من صام يومًا في سبيل الله باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفًا».

يوم يرى الصائم رائحة الخلوف وقد صارت أفضل وأطيب من رائحة المسك، يوم يرى الصائم العباد يجازيهم ربهم الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ثم يضاعف الجزاء للصائمين بغير حساب: «كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به».

ورحل رمضان

هذا هو رمضان قد رحل عنا، كنا بالأمس نترقب قدومه ونتأهب لاستقباله، فلما أقبل علينا محملاً بنفحات الرحمة سعدنا به ورجونا رحمة الله فيه وشعرنا بأبواب السماء تتفتح لقبول الدعاء من الصائمين والقائمين وأبواب الجنة تتفتح تنادي المؤمنين المتقين، فمن كان من أهل الصلاة نادى عليه باب الصلاة، ومن كان من أهل الصوم نادى عليه باب الريان، وأبواب النار تغلق، وشهوات النفس التي تَحَفّ بالنار تُكبح، ومردة الشياطين تسلسل وتصفد، ولكن سرعان ما رحل عنا رمضان يحمل في طياته صكوك المغفرة من الله لعباده المؤمنين الصائمين القائمين، فطوبى لعبد دخل في طاعة ذي الجلال والإكرام خوفًا وطمعًا فشملته الرحمة وأدركته المغفرة، وتعسًا لعبد أدرك رمضان فأعرض عن ربه وأقبل

على شهوات نفسه واتبع هواه فلم يغفر الله له: «بعد عن الله من أدرك رمضان ولم يُغفر له».

والمسلم الحق من تكون تقوى الله شعاره طوال حياته، والمؤمن الصادق الإيمان من يكون عمله بالطاعات واجتنابه للمعاصي والخطيّات دينًا له ومنهاجًا إلى أن يدركه الموت، فلا تزيده مواسم الخير إلا اجتهادًا في العبادة وحرصًا على الطاعة، فإذا انقضت هذه المواسم فإن آثارها تبقى متمثلة في حياته واقعًا ملموسًا، وعملاً مشاهدًا محسوسًا.

لقد مر بنا هذا الشهر المبارك سريعًا، مضى وهو شاهد لنا أو علينا بما أودعناه فيه، فهل تأسينا بالنبي ﷺ وبالسلف الصالح وهل أخذنا بأسباب القبول بعده واستمررنا على العمل الصالح، وهل أتبعنا الحسنة بالحسنة أم أتبعناها بالسيئة وكنا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثًا: ﴿وَلاَ تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ﴾ [النحل: ٩٢]، هل عزمنا على الاستقامة وعلى الطاعة والبعد عن المعصية؟

إن الإعراض عن الله وعن عبادته دليل على نقصان الإيمان وضعف العزيمة فيجب علينا أن نراقب الله وأن نستقيم إليه في جميع الأوقات وأن نتقرب إليه بالأعمال الصالحات، فرب رمضان هو رب جميع الشهور والأزمان.

سنة الرحيل

إن الرحيل سنة من سنن الله في كونه: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧]، تَصَرَّمت الأعوام عامًا بعد عام، والناس في غفلة ساهون، أمَا يشاهدون مواقع المنايا، في كل يوم يرحل عنهم بعض من كان بينهم يملأ الدنيا حياة ويؤمل فيها؟ فيا ليت شعري على أي شيء تطوى صحائف الأعمال أعلى أعمال صالحة وتوبة نصوح صادقة أم على تفريط في جنب الله تعالى؟

ماذا يقول رمضان عنا؟

لقد رحل رمضان وإن الله سائله عنا وهو أعلم، فماذا يقول؟ يقول: استقبلوني بالزينات والفوازير والمسلسلات والرقص والغناء، وما لذَّ وطاب من الطعام، وودعوني بالتواشيح والتواحيش، ولا أوحش الله منك يا شهر القرآن.

ومع هذا فأكثرهم لا يقرأ القرآن ولا يفهمه ولا يعمل به فمنهم من يصوم ولا يصلي، ومنهم من لا يصوم ولا يصلي، منهم من لا يعقل أركان الإسلام وأركان الإيمان، فهم في حاجة ماسة إلى جبريل ليسأل، وإلى محمد ﷺ ليجيب، فيتعلموا أمور دينهم من جديد، لم يعتصموا بحبل الله جميعًا، بل فرقت بينهم الحدود، تداعت عليهم أمم الأرض، يأخذون الثروات، ويدنسون المقدسات، ويدعونهم إلى الاستسلام تحت مسمى السلام.

تحققت فيهم نبوءة النبي ﷺ: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها». قالوا: أَوَمِنْ قلة نحن يا رسول الله؟ قال: «بل أنتم يومئذ كثير، ولكن غثاء كغثاء السيل»، يتقاتلون على السلطة والمال، وقوى الشرك والطغيان تقتلهم وتستذلهم في

فلسطين والعراق.

المخرج من الفتن

إنها فتن عمت وطمت، فتن كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمنًا، ويمسي كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا، فالمخرج في الرجوع إلى الإيمان والتوحيد، وفي تقوى الله عز وجل والتوكل عليه: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا (٤) ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾.

الالتجاء إلى الله عز وجل

النبي ﷺ يعلمنا أن الدعاء والالتجاء إلى الله والرجوع إليه هو أعظم مخرج من الفتن: «لا إله إلا الله ماذا أنزل الليلة من الفتن، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه- وحلق بأصبعيه السبابة والإبهام- من يوقظ صويحبات الحُجَر».

وماذا تفعل صويحبات الحجر لمنع الفتن، ولماذا يوقظهن النبي ﷺ؟

يوقظهن النبي ﷺ للصلاة بالليل والناس نيام وللدعاء والاستغفار: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (١٥٣) وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لاَ تَشْعُرُونَ (١٥٤) وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾.

ينبغي لنا أن نعاهد الله على أن نرجع إليه ونتوب من ذنوبنا. فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال وحوله عصابة من أصحابه: «بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئًا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له ومن أصاب من ذلك شيئًا ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه». فبايعناه على ذلك.

المسارعة إلى التوبة

علينا بكتاب الله وبسنة نبيه ﷺ: «إنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة».

فهذا كتاب الله محفوظ بحفظه له، وهذا هدي محمد ﷺ معروف، والله تعالى يوفق طائفة من الأمة للثبات على هذا المنهج لا تميل عنه، ليجعلهم قدوة للعباد وحجة عليهم فلنكن منهم ولا نكون عليهم، إنهم العلماء العاملون بالكتاب والسنة، ولنترك أهل البدع ودعاة الضلال ولا نغتر بهم: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك». متفق عليه.

والله من وراء القصد.

افتتاحية العدد

كيف يُطلق المسلم؟

بقلم
د. جمال المراكبي

تكلمنا من قبل عن الطلاق كمشكلة اجتماعية خطيرة تهدد الأسر وتهدم البيوت العامرة، وبينا أن أسباب ذلك تعدي حدود الله والإعراض عن سبيل التقوى: ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

وليس معنى هذا أننا نحرم الطلاق، أو أننا نردد ما يروج له المغرضون من سلب الرجل سلطة إيقاع الطلاق وجعلها في يد القاضي، فالطلاق مشروع شرعه الله تعالى وبيّن لنا الحدود التي لا يجوز لأحد أن يتجاوزها أو يتعداها: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

وجعل الله سلطة إيقاع الطلاق للرجل باعتباره القيم على الأسرة، وهو الذي يتحمل تبعات الطلاق، ولكنه مع ذلك حد له الحدود ونهاه عن تجاوزها وتعديها، فما هي هذه الحدود؟ وكيف يتعامل الرجل معها إذا أراد الطلاق؟ واستشعر أن الحياة الزوجية لا تستقيم واستنفد كل وسائل الإصلاح، ونستطيع أن نجمل هذه الحدود في عبارة واحدة فنقول لمن أراد الطلاق وعزم عليه: «طلق امرأتك طلاقًا واحدًا في طهر لم تمسها فيه أو وهي حامل قد تبين حملها، ولا تخرجها من البيت إلا بعد انقضاء عدتها، واجتنب أيمان الطلاق وتعليق الطلاق».

أولاً: طلق طلاقًا واحدًا، أي مرة واحدة ولا تجمع الثلاث في لفظ واحد، أو في مجلس واحد، أو حتى في طهر واحد، وجمع الطلاق في لفظ واحد أن يقول الرجل: أنتِ طالق ثلاثًا أو بالثلاثة، وربما يتجاوز بعض الجهال عدد الثلاث أو يقول لا يحلها شيخ ولا يحرمها شيخ، وكأن الشيخ هو الذي يحلل ويحرم، وجمع الثلاث في مجلس واحد أن يطلق في المجلس مرة، ثم يعود فيطلق مرة ثانية وثالثة في نفس المجلس سواءً لتأكيد الطلاق أو لاستنفاد مرات وقوعه.

وجمع الثلاث في طهر واحد أن يطلقها مرة ثم يطلقها الثانية بعد يوم أو أيام ثم يطلقها الثالثة كذلك في نفس الطهر أي قبل أن تحيض، وهذا كله من تعدي حدود الله في الطلاق.

قال تعالى: ﴿الطَّلاَقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾، ومعنى ذلك أن الطلاق الرجعي الذي يجوز للزوج أن يراجع زوجته بعده مرتان، أي مرة بعد مرة، ثم قال بعد هذه الآية: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلاَ تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾،

وهذه هي الطلقة الثالثة التي تبين الزوجة بينونة كبرى، ولا يستطيع الزوج مراجعتها إلا إذا تزوجت بآخر ثم طلقت منه أو مات عنها.

ومن هنا كان من شر البدع التي حدثت في المجتمع المسلم أن يجمع الزوج الطلاق الثلاث في لفظ واحد أو مجلس واحد، وقد عاقب عمر بن الخطاب مثل هذا الزوج بعقوبة تعزيرية بليغة، فأمضى عليه الطلاق الثلاث ولم يسمح له بمراجعة زوجته كما في صحيح مسلم عن ابن عباس قال: كان الطلاق على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة، فقال عمر بن الخطاب: إن الناس قد استعجلوا في أمر قد كانت لهم فيه أناة، فلو أمضيناه عليهم، فأمضاه عليهم.

فجمع الطلاق ثلاثًا من البدع المقيتة ومن تعدي الحدود الشرعية، تضع الأسرة في حرج بالغ، وتحتار لجان الفتوى مع مثل هذه الحالات، وقد كان الفقهاء قديمًا يميل أكثرهم إلى اجتهاد عمر في اعتبار الثلاث من باب التعزير، ويقولون بقول ابن عباس لمن تجاوز حده فأوقع الثلاث :«يركب أحدكم الحماقة، ثم يأتي ويقول يابن عباس، بانت منك امرأتك وعصيت ربك».

وقد روي أن النبي ﷺ عد ذلك من اللعب بكتاب الله فقال وهو غضبان: «أيلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم».

ولجان الفتوى الآن تميل إلى اعتبار الثلاث واحدة من باب التيسير على الأسر خاصة وقد فشت هذه الحماقة بين الأزواج ولم يُجدْ التعزير معهم شيئًا، خاصة وأن التعزير يصيبُ من لا ذنب له من أفراد الأسرة من الزوجة والأبناء.

والزوج العاقل هو الذي لا يركب مثل هذه الحماقات إذا أراد الطلاق وعزم عليه طلق طلقة واحدة رجعية، فأعطى نفسه الفرصة ليراجع، واتقى ربه ولم يتعد حدود الله.

ثانيًا: طلق امرأتك في طهر لم تمسها فيه أو في حال حملها، فلا تطلقها في حال الحيض، ولا تطلقها في طهر قد مسستها فيه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ [الطلاق: ١].

وقد فسر النبي ﷺ الآية الكريمة بمنع الرجل من طلاق امرأته وهي حائض كما جاء في الصحيحين وغيرهما عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه طلق امرأته وهي حائض على عهد رسول الله ﷺ، فسأل عمر رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: مره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر، ثم إن شاء أمسك بعد، وإن شاء طلق قبل أن يمس، فتلك العدة التي أمر الله أن تطلق لها النساء.

فطلاق المرأة وهي حائض حرام، وطلاقها في طهر قد جامعها فيه حرام؛ لقول النبي ﷺ: «وإن شاء طلق قبل أن يمس، فتلك العدة التي أمر الله أن تطلق لها النساء»، فمن خالف وفعل غير ذلك فقد تعدى حدود الله وظلم نفسه وارتكب محرمًا.

والعجيب أن أكثر الناس يتجاوز هذه المسألة وهي حرمة طلاق الحائض ويسأل عن أمر آخر وهو أيقع هذا الطلاق أم لا؟ وأكثر أهل العلم على وقوع هذا الطلاق لقول ابن عمر في حديث البخاري «وحسبت عليَّ تطليقة»، وقوله: «أرأيت إن عجز واستحمق».

وفي مسند الطيالسي بسند صحيح عن ابن عمر أنه طلق امرأته وهي حائض فأتى عمر النبي ﷺ فذكر ذلك له فجعلها واحدة.

قال ابن حجر: وهو نص في موضع الخلاف فيجب المصير إليه.

ويرى فريق آخر من العلماء عدم الاعتداد بهذا الطلاق لأنه وقع على خلاف ما أمر به الله ورسوله فيكون من المحدثات المردودة؛ لقول النبي ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد». ولقول ابن عمر في رواية أبي داود: فردها عليَّ ولم يرها شيئًا، وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم، واختيار

مشايخنا في أنصار السنة.

فعلى كل عاقل أن يتقي الله تعالى ويتجنب إيقاع الطلاق حال الحيض أو في الطهر الذي جامع زوجته فيه؛ لأنه حرام يستوجب المقت والغضب، ولا يتخذ من خلاف العلماء ذريعة للإقبال على المحرم، ومخالفة أمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ.

ثالثًا: لا تخرج امرأتك من البيت بعد إيقاع الطلاق، ولا يجوز للمرأة أن تخرج كذلك، فإن في بقاء المرأة في بيتها بعد الطلاق طيلة فترة العدة ما يسمح للزوج بأن يراجع نفسه فربما يكون قد تسرع في إيقاع الطلاق، ويسمح للزوجة كذلك بأن تراجع نفسها وسلوكها تجاه زوجها وبيتها، وعادة ما يؤدي هذا الأدب القرآني إلى مراجعة الزوج زوجته، وتَعَلُّم الدرس جيدًا دون تدخل خارجي ربما يزيد معه الشقاق، قال تعالى: ﴿لاَ تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلاَ يَخْرُجْنَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لاَ تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق: ١].

فسبحان مقلب القلوب ومصرفها شرع لنا ما فيه الخير والسعادة حتى عند التدابر والشقاق وعند إيقاع الطلاق، وهيأ لنا أسباب الرجعة عند التسرع والخطأ.

رابعًا: اجتنب أيمان الطلاق:

والحلف بالطلاق من البدع المنكرة التي استشرت في كثير من المجتمعات، وفيها لعب بكتاب الله، وكفر به، قال تعالى: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾، وقال رسول الله ﷺ: «إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت». وقال: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك».

وقال ابن مسعود: لأن أحلف بالله كاذبًا أحب إليَّ من أن أحلف بغير الله صادقًا.

فانظر كيف جعل ابن مسعود اليمين الغموس التي تغمس صاحبها في الإثم وفي النار أفضل من الحلف بغير الله الذي عده رسول الله ﷺ كفرًا وشركًا.

خامسًا: إياك وتعليق الطلاق:

كثير من الأزواج يعجز عن قيادة الأسرة بالعقل والحكمة فيلجأ إلى تهديد الزوجة بالطلاق إذا حدث أمر من الأمور التي لا يريدها، وقد يكون هذا الأمر مقدورًا للزوجة، وقد يخرج عن إطار قدرتها واختيارها، وليت الزوج يكتفي بالتهديد بأنه سيطلق إذا حدث هذا الأمر، ولكنه يلفظ بالطلاق معلقًا إياه على وقوع هذا الأمر، فيقول: إن فعلت كذا فأنتِ طالقٌ، وعادة ما تفعل المرأة هذا الأمر ثم يأتي الزوج نادمًا، ساخطًا على هذه المرأة التي لم تحفظ يمينه، طالبا المخرج من العلماء ولجان الإفتاء، بينما هو في الحقيقة عاجز عن حفظ يمينه وإحكام السيطرة على لسانه فكيف يحكم السيطرة على أهل بيته.

إن أيمان الطلاق، وتعليق الطلاق تدل دلالة واضحة على ضعف الأزواج وعجزهم عن قيادة الأسرة بالشكل المرضي.

إن أيمان الطلاق لا تحل المشاكل الزوجية، وتعليق الطلاق لا يمنع المرأة من عمل تريده، وإن أكثر ما يعرض على لجان الفتوى يتعلق بأيمان الطلاق وبالطلاق المعلق والطلاق البدعي، ولو علم الأزواج كيف تكون القوامة في البيت ولو علموا كيف يكون الالتزام بالحدود الشرعية والاحترام لدين الله، ولو علم الأزواج كيف تكون العشرة الطيبة وبم تعود على الأسرة من سعادة وهناء. لو علم الأزواج كيف يقع الطلاق على الوجه الذي شرعه الله، لندرت المشاكل ولقلت حالات الطلاق بشكل واضح.

فيا أخي المسلم تعلم كيف تطلق، ومتى تطلق، وبأي لفظ تطلق، ولا تتعد حدود الله.

جعلنا الله وإياكم من عباده المتقين.

وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين.

والحمد لله رب العالمين.

افتتاحية العدد

لبيك اللهم لبيك

بقلم

د. جمال المراكبي

الرئيس العام

ها هي أيام الحج قد دخلت، ونسمات عرفة ومزدلفة ومنى تداعب وجوه المؤمنين، فتلهب مشاعرهم شوقًا ولهفة لحج البيت العتيق فتهتف القلوب قبل الألسنة: لبيك اللهم لبيك، ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥].

وقد عزم إخواننا بوزارة الشئون الإسلامية والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية على إصدار مطبوعة جديدة في الحج بعنوان «لبيك» فهيجني هذا للحديث عن التلبية والإجابة.

لبيك اللهم لبيك

التلبية لغة إجابة المنادي، والإجابة والاستجابة بمعنى واحد، والإجابة قد تكون بالفعل، كإجابة الدعوة إلى الوليمة.

وقد تكون بالقول بجملة كرد السلام، أو بحرف الجواب مثل نعم وبلى، وقد تكون بالإشارة المفهومة.

وقد يعتبر السكوت إجابة مثل سكوت البكر عند استئذانها في الزواج لقول النبي ﷺ: «البكر تُستأذن، وإذنها صماتها».

التلبية سلوك عام للمؤمنين

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

فالاستجابة لله تعالى بالانقياد لأوامره، وترك ما نهى عنه، والإيمان به وإخلاص العبادة له سبب في الهداية والرشاد، ولهذا ورد الأمر بها.

استجابة مؤمني الجن

لقد عرف مؤمنو الجن أن استجابة المؤمنين لربهم هي سبيل النجاة من العذاب ومغفرة الخطايا والذنوب، وأن الذين يستكبرون عن طاعة الله لن يكونوا معجزين لله في الأرض، فجاءوا مسرعين لدعوة أقوامهم، ناصحين لهم، قد امتلأت قلوبهم بالليقين، وقد ذكر الله لنا خبرهم فقال: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ (٢٩) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ (٣٠) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٣١) وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الأحقاف: ٢٩- ٣٢].

فانظر رحمك الله إلى هؤلاء الذين هداهم الله فصرفهم بقدرته للقاء رسول الله ﷺ فاستمعوا إلى تلاوته فعرفوا كلام الله وأنصتوا عند سماعه، فتدبروا ما سمعوه فآمنوا به، ثم انصرفوا يحملون أمانة

الدعوة وينذرون أقوامهم ويأمرونهم بالاستجابة لداعي الله الذي لا هم له إلا الدعوة إلى الله، لا يسألهم عليها أجرًا عسى الله أن يغفر ذنوبهم ويجيرهم من عذاب النار، وإذا أجارهم من العذاب الأليم فقد فازوا بالنعيم المقيم، أما من أبى واستكبر فلن يعجز الله في الأرض وليس له من دون الله من أولياء يدفعون عنه العذاب يوم القيامة، فأي ضلال أبلغ من ضلال من نادته الرسل، وبلغته النذر بالآيات البينات ثم أعرض واستكبر، أولئك في ضلال مبين.

الله يستجيب للمؤمنين

قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

فانظر إلى لطف الله بعباده، ونعمه عليهم، كيف دعاهم إلى ما فيه صلاح دينهم ودنياهم، وأمرهم بدعائه دعاءَ العبادة ودعاءَ المسألة، وبين لهم أنه قريب يجيب دعوة الداعي ويستجيب له، أما الذين يستكبرون عن عبادته ودعائه فمآلهم العذاب الأليم، يجتمع عليهم العذاب والإهانة ويدخلون جهنم داخرين.

روى الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ما من مسلم يدعو الله عز وجل بدعوة ليس فيها إثم أو قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث خصال: إما أن يعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها». قالوا: إذن نكثر؟ قال: «الله أكثر». أي ما عند الله من الفضل والعطاء أكثر من الدعاء مهما أكثرتم من الدعاء، وهو سبحانه يدعو عباده إلى ما فيه خيرهم في الدنيا والآخرة وهو الغني عنهم: «يا عبادي، كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعًا فاستغفروني أغفر لكم». رواه مسلم.

استجيبوا لله وللرسول

ينادي المولى تبارك وتعالى عباده المؤمنين يدعوهم إلى أن يستجيبوا لما فيه حياة القلوب والأبدان: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤]، ﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ (٤٧) فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [الشورى: ٤٧، ٤٨].

وفي صحيح البخاري عن أبي سعيد بن المعلى قال: كنت أصلي فمر بي النبي ﷺ فدعاني فلم آته حتى صليت ثم أتيته فقال: «ما منعك أن تأتي، ألم يقل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾، ثم قال: لأعلمنك أعظم سورة في القرآن قبل أن أخرج من المسجد»، فلما أراد أن يخرج قلت له: ألم تقل لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن؟ قال: «الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته».

جزاء المستجيبين الجنة

قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [الرعد: ١٨].

يكفيهم الله ما أهمهم

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٢) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٢- ١٧٤].

منهاج المستجيبين

وقال تعالى: ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٣٦) وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ (٣٧) وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ (٣٩) وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٤٠) وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ (٤١) إِنَّمَا السَّبِيلُ

عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٢) وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [الشورى: ٣٦- ٤٣].

التلبية في الصلاة

تتجلى التلبية كسلوك يومي للمسلم في إجابة المؤذن حيث ينادي حي على الصلاة، حي على الفلاح فيجيب السامع ويردد كلمات الأذان مكبرًا ومهللاً ومحوقلاً، عالمًا أن الحول والقوة لا تكون إلا بالله القوي العزيز، الذي هداهم للإيمان والطاعة، ثم دعاهم ليستجيبوا له مسبحين بحمده، فهو الذي يدعوهم وهو الذي يوفقهم، وهو الذي يستجيب لهم ويقبل منهم ويجازيهم بفضله.

ولهذا علمنا النبي ﷺ إذا سمعنا المؤذن أن نقول مثل ما يقول معلنين الاستجابة للنداء، ساعين إلى لقاء الله عز وجل، وعلمنا إذا شرعنا في الصلاة أن نلبي بعدما نكبر فنقول في استفتاح الصلاة: لبيك وسعديك، والخير في يديك، والشر ليس إليك، أنا بك وإليك، تباركت وتعاليت، اسستغفرك وأتوب إليك.

روى مسلم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال: «وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفًا وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أُمرت وأنا من المسلمين، اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت، أنت ربي وأنا عبدك، ظلمتُ نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعًا إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت، لبيك وسعديك، والخير كله في يديك، والشر ليس إليك، أنا بك وإليك، تباركت وتعاليت، أستغفرك وأتوب إليك».

التلبية في الحج والعمرة

التلبية هي شعار الحجيج منذ نادى إبراهيم في الناس بالحج ممتثلاً قول الله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾.

لقد كان العرب في الجاهلية يحجون ويلبون، ولكنهم يلبسون حجهم وتلبيتهم بما كانوا عليه من الشرك بالله فيقولون: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك، إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك».

وجاء النبي الخاتم ﷺ ليعلن التوحيد ويهدم أركان الشرك، لبى بالتوحيد: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك». وكان بعض الناس يزيد على تلبية رسول الله ﷺ فلم ينكر عليهم ماداموا على التوحيد، ولكنه ﷺ التزم هذه التلبية لا يزيد عليها، ففيها توحيد الله عز وجل ونفي الشريك عنه، وإثبات الحمد والنعمة والملك لله وحده لا شريك له.

وقد صح عن ابن عمر أنه كان يلبي بتلبية رسول الله ﷺ ويزيد مع هذا: «لبيك وسعديك، والخير بيديك، والرغباء إليك والعمل». رواه مسلم.

«لبيك مرغوبًا ومرهوبًا إليك، ذا النعماء والفضل الحسن». [ابن أبي شيبة- فتح الباري (٤١٠/٣)].

ويروى عن أنس: «لبيك حقًا حقًا تعبدًا ورقًا».

وتبدأ التلبية عند الإحرام بالإهلال، وتستمر حتى يرى المعتمر الكعبة فيقطع التلبية ويبدأ الطواف، وتستمر مع الحاج حتى يرمي جمرة العقبة يوم النحر.

ويستحب رفع الصوت بالتلبية، فأفضل الحج العج والثج، والعج: رفع الصوت بالتلبية، والثج: إراقة الدماء يوم النحر.

وفي الحديث يقول النبي ﷺ: «أتاني جبريل فقال: يا محمد، مُر أصحابك أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية فإنها من شعائر الحج». رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي. وتكرار التلبية، وتكرار لفظ لبيك يفيد استمرار الإجابة أي إجابة بعد إجابة وقيل التلبية من اللزوم والإقامة، والمعنى: أقمت ببابك إقامة بعد أخرى وأجبت نداءك مرة بعد أخرى، ولازمت الإقامة على طاعتك.

لقد كان الصحابة يلبون إذا دعاهم رسول الله ﷺ فيقول الواحد منهم: لبيك رسول الله وسعديك، فالتلبية لرسول الله ﷺ متابعة هديه وسنته، والتلبية لله توحيد وطاعة، والمؤمن لا ينفك عن التلبية والاستجابة حتى يلقى الله عز وجل، ومن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، وبشرته الملائكة برضوان الله فاستبشر، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

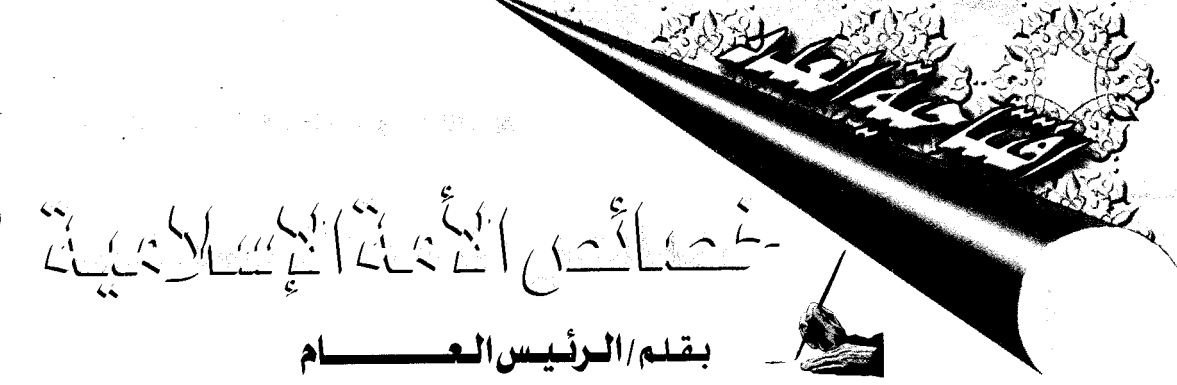

خصائص الأمة الإسلامية

بقلم/ الرئيس العام

فقد وصف الله المؤمنين بأنهم خير أمة أُخرجت للناس، فقال عز وجل: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

فرفع الله قدر هذه الأمة وشرفها واصطفاها على غيرها من الأمم، وجعلها خير أمة أُخرجت للناس، ولِمَ لا وهي أمة النبي الخاتم محمد المبعوث رحمة للعالمين، فهي لم تدرك هذا الفضل إلا بإيمانها بالله، ومتابعة الرسول ، وبالدعوة إلى الله والجهاد في سبيله، وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما ذكر الله عز وجل، ولا ينال هذا إلا من استجاب لله وللرسول كما قال تعالى في وصف الصحابة الذين خرجوا مع النبي بعد غزوة أحد، فكان الرجل يتهادى بين الرجلين لما به من الجراح والآلام: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٢) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٢- ١٧٤].

فبقدر الإيمان والاستجابة لله وللرسول تكون الخيرية لهذه الأمة، ولا يمكن أن تكون هذه الخيرية إلا لأمة الاستجابة.

أما أمة الدعوة ففيها المؤمن والكافر والمنافق واليهودي والنصاري وكل من بلغته دعوة النبي الخاتم منذ بعثته إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولا يكون لهؤلاء فضل ولا شرف ولا خيرية إلا بالإيمان والاستجابة، وقد قال تعالى في آية الخيرية: ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (١١٣) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (١١٤) وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١١٣- ١١٥]، وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٩].

وهؤلاء هم الذين آمنوا بالله ورسوله من أهل الكتاب، وقد أخبر النبي أنهم يؤتَون أجرهم مرتين لأنهم آمنوا مرتين واستجابوا مرتين كما في الصحيح عن النبي : «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين»، فذكر منهم رجلاً من أهل الكتاب آمن وصدق بالنبي .

هذه هي أمة الإسلام، أعظم الأمم في الدنيا والآخرة، مثلها في عداد الأمم كالشعرة السوداء في جلدة الثور الأبيض، ومع هذا فهي في الذروة العالية: «إنكم توفون- تتمون- سبعين أمة، أنتم خيرها وأكرمها على الله». رواه الترمذي وابن ماجه وأحمد والحاكم.

إن أصابهم ما يحبون حمدوا الله وشكروا، وإن أصابهم ما يكرهون احتسبوا وصبروا، يعطيهم ربهم حلمًا وعلمًا من عنده سبحانه كما في الأثر الذي رواه أحمد والبزار والطبراني، وهم أكثر الأمم استجابة وتلبية، فلم تكن أمة أكثر استجابة في الإسلام من هذه الأمة، فمن ثم قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾.

ولهذه الأمة خصائص اختصها الله بها من بين الأمم، من هذه الخصائص ما هو في الدنيا،

ومنهـا مـا هو في الآخـرة، فـمن هذه الخصائص في الدنيا:

١- أنها الأمة المجاهدة، شرع الله لها جهاد الكفار والمنافقين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأحل لهـا الغنائم، ولم تكن تحل لمن سبقها من الأمم، قال تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالاً طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٩].

وقال النبي ﷺ: «أعطيت خمسًا لم يعطهن نبي قبلي». فذكر منها: «وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي». [متفق عليه].

أما من قبلهم من الأمم فمن جاهد منهم في سبيل الله، لم يكن تحل لهم الغنائم، بل كانت تنزل عليهم نار فتحرقها كما في الصحيح.

٢- أنهـا الأمـة المحـفـوظة من الهـلاك والاستئصال، لا تهلك بسَنة عامة، ولا يسلط الله عليها عدوًا من غيرها، يستأصل شأفتها، ولو اجتمع عليها كل أهل الأرض كما قال رسول الله ﷺ: «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة، وأن لا يسلط عليهم عدوًا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال: يا محمد، إني إذا قضيت قضاءً فإنه لا يُرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا أسلط عليهم عدوًا من سوى أنفسهم يسبيتح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها، حتى يكون بعضهم يُهلك بعضًا، ويسبي بعضهم بعضًا». رواه مسلم.

٣- أنها لا تجتمع على ضلالة:

فـهذه الأمـة تتـقلب بين حـالين: حال غـزو وتمكين تجـتمع فيـه الأمة على الحق دون تفرق ولا تشـرذم، تعـتـصم بالله وبدينه وشـرعـه وتجـتـمع على إمـام واحـد، تسـمع له وتطيع وتجاهد في سبيل الله تحت لوائه فيبلغ ملكها مشارق الأرض ومغاربها ممتثلة قول الله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا﴾، وقد وقع هذا للأمة في صدر الإسلام في زمن الخلفاء الراشدين ومن بعدهم، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقـول: «لا يزال الإسلام عـزيزًا إلى اثنى عشر خليفة كلهم من قريش». رواه مسلم.

وحال ضعف وفرقة وهوان بعدما أصاب الأمة ما أصاب الأمم قبلها من اختلاف وتفرق وتشرذم وبُعْدٍ عن كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وهدي سلف الأمة، فتسلط عليها أعداؤها، وذلت بعد عز، ولكنها مع هذا كله لم تترك الحق بالكلية، فهي أمة التوحيد، لا تجتمع على باطل، بل يبقى فيها طائفة على الحق ظاهرين به لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك، وسوف ترجع الأمة إلى حال عزها تجاهد في سبيل الله وتجتمع على الحق حتى تقتل المسيح الدجال، وتقاتل اليهود، ويبارك الله في خراج الأرض، ثم يرسل الله ريحًا طيبة تقبض أرواح المؤمنين، فلا يبقى على الأرض إلا شرار الخلق، عليهم تقوم الساعة.

٤- ومن خصائص هذه الأمة أن الله تعالى رفع عنها الآصار والأغلال التي كانت على الأمم قبلها، فأحل لها كثيرًا مما حُرم على غيرها، ولم يجعل عليها من حرج ولا عنت ولا شدة، بل يُسر وفرج، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

قال تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ [المائدة: ٦]، وقال: ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

وقال النبي ﷺ: «إني أرسلت بحنيفية سمحة». [رواه أحمد].

وقال: «لتعلم يهود أن في ديننا فسحة».

وقال لرسله وسفرائه ودعاته: «يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفر». قالها لمعاذ وأبي موسى حين بعثهما إلى اليمن. [رواه البخاري].

٥ - ومن هذا التيسير أن جعل الله لهذه الأمة الأرض مسجدًا وطهورًا، فقال النبي ﷺ: «أعطيت خمسًا لم يعطهن نبي قبلي». ذكر منها: «وجعلت لي الأرض مسجداً وطهورًا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصلّ».

٦- وتجاوز الله لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان وعما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم.

قال رسول الله ﷺ: «إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم يتكلموا أو يعملوا به». [متفق عليه].

ولما نزل قول الله تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤]

اشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، فجاءوا إلى رسول الله ﷺ

وجثوا على الركب، وقالوا: يا رسول الله، كُلِّفنا من الأعمال ما نطيق، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها. فقال النبي ﷺ: «تريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين قبلكم سمعنا وعصينا؟ ولكن قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير». فلما قالوا وذلت بها ألسنتهم، أنزل الله التخفيف في قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ فنسختها. رواه أحمد ومسلم.

٧- واختص الله هذه الأمة بأن جعل الله صفوفها في الصلاة كصفوف الملائكة، فقال النبي ﷺ لأصحابه: «ألا تصفون كصفوف الملائكة عند ربها». قالوا: وكيف تصف الملائكة عند ربها؟ قال: يتمون الصفوف ويتراصون في الصف. [رواه مسلم].

٨ - ومن خصائص هذه الأمة: يوم الجمعة، خير يوم طلعت فيه الشمس اختلفت فيه الأمم قبلنا، فهدانا الله إليه. قال رسول الله ﷺ: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، ثم هذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه، فهدانا الله، فالناس لنا فيه تبع، اليهود غدًا، والنصارى بعد غد». [متفق عليه].

٩ - وفضّل الله هذه الأمة فجعلها من الشهداء في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا؛ فلقول النبي ﷺ: «أنتم شهداء الله في الأرض».

ففي الصحيحين عن أنس قال: مرت جنازة فأُثني عليها خيرًا، فقال النبي ﷺ: «وجبت». ومُر بجنازة فأثني عليها شرًا فقال النبي ﷺ: «وجبت». فسأل عمر النبي ﷺ عن هذا فقال: «من اثنيتم عليه خيرًا وجبت له الجنة، ومن أثنيتم عليه شرًا وجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض».

وأما في الآخرة فلقول الله عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

وفي الصحيح عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «يُدعى نوح يوم القيامة فيقول: لبيك وسعديك يا رب، فيقول: هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيقال لأمته: هل بلّغكم؟ فيقولون: لا. فيقول الله: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فيشهدون أنه قد بلغ، وهذا قول الله عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾».

ومن هذه الخصائص ما اختص الله به هذه الأمة في الآخرة فضلاً عن أنهم الشهداء على الناس يوم القيامة، فهم الآخرون السابقون والغر المحجلون، أول من يجيز الصراط وأول من يدخل الجنة وهم أكثر أهل الجنة.

ففي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة». فكبر الصحابة، فقال النبي ﷺ: «إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة».

وقد حقق الله رجاء نبيه ﷺ وأعطاه فوق ما يرجو، فقال النبي ﷺ: «أهل الجنة عشرون ومائة صف، ثمانون منها من هذه الأمة». [رواه الترمذي].

ولا ينال هذا الخير إلا مَن حقق التوحيد وتابع النبي ﷺ، أما أهل البدع والضلال فلا نصيب لهم في هذا الخير إلا بقدر قربهم من الحق ومتابعتهم للسنة، بل يُزادون عن حوض النبي ﷺ ولا يخلو زمان من متبع للحق ناصر للسنة؛ لقول النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك».

فأهل الحق والطائفة الناجية هم المتمسكون بما كان عليه النبي ﷺ في العقيدة والعبادة والأخلاق والمعاملة، ففي العقيدة يتمسكون بما دل عليه كتاب الله وسنة نبيه ﷺ من التوحيد الخالص في ألوهية الله عز وجل وربوبيته وأسمائه وصفاته، وما كان عليه سلف الأمة من أصحاب النبي ﷺ وخاصة الخلفاء الراشدين ومن تابعهم بإحسان، ويهجرون مسالك أهل البدع ومناهجهم التي فرقوا بها أهل الدين وجعلوهم شيعًا.

وفي العبادة يتمسكون بما كان عليه النبي ﷺ في العبادات في أجناسها وصفتها وقدرها وزمنها ومكانها دون أدنى ابتداع في الدين.

وفي الأخلاق يتمسكون بما كان عليه النبي ﷺ من رفق ولين وخلق عظيم.

وفي المعاملات يتمسكون بالحلال البين ويتعاملون بالصدق والنصح لأئمة المسلمين وعامتهم.

والحمد لله رب العالمين

اتباع نهج السلف الصالح

بقلم

تحقيق معنى السلف

تأتي كلمة السلف ويراد بها معان عديدة منها:

١ ـ القرض أو الدين ومنه بيع السلف ـ أو السلم ـ كما جاء في الحديث الصحيح عن ابن عباس قال: قدم النبي المدينة وهم يسلفون في الثمار للعامين والثلاثة فقال النبي : «من أسلف فليسلف في كيلٍ معلوم أو وزنٍ معلوم إلى أجلٍ معلوم». [البخاري كتاب السلم]

وذكر مالك في الموطأ أبوابا في السلف منها ما يجوز من السلف وباب ما لا يجوز من السلف، وروى عن ابن عمر أنه قال: السلف على ثلاثة وجوه: سلف تسلفه تريد به وجه الله، فلك وجه الله، وسلف تسلفه تريد به وجه صاحبك، فلك وجه صاحبك، وسلف تسلفه لتأخذ خبيثا بطيب فذلك الربا.

٢ ـ وتأتي كلمة السلف ويراد بها من مضى من الأمم قبل أمة محمد كما في الحديث: «إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس» [رواه البخاري].

وفي المسند في حديث الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى الغار: «أن ثلاثة نفر فيما سلف من الناس انطلقوا يرتادون لأهلهم فأخذتهم السماء، فدخلوا غارًا، فسقط عليهم حجر». الحديث.

وقال تعالى عن فرعون وقومه: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٥) فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلاً لِلآخِرِينَ﴾ [الزخرف:٥٥-٥٦].

قال الفراء: جعلناهم سلفًا متقدمين ليتعظ بهم الآخرون. [لسان العرب].

وقال مجاهد: قوم فرعون كفارهم صاروا سلفًا لكفار أمة محمد . ذكره البخاري معلقًا في التفسير.

٣ ـ وتأتي بمعنى ما مضى من العمل كما في قوله تعالى ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة:٢٧٥].

﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النساء:٢٣].

وقال النبي : «أسلمت على ما سلف من خير».

٤ ـ وتأتي بمعنى من تقدم من أهل الفضل من أصحاب النبي ومن تابعهم بإحسان وهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار وتابعوهم من أهل السنة والجماعة قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ

وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١٠٠]، وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر:٨-١٠].

جاء في لسان العرب: سلف الإنسان من تقدمه بالموت من آبائه وذوي قرابته، ولهذا سُمي الصدر الأول من التابعين السلف الصالح.

وذكر القرطبي عن علي بن الحسين أن نفرًا من أهل العراق جاءوا إليه فسبوا أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، ثم عثمان فأكثروا، فقال لهم علي بن الحسين: أمن المهاجرين الأولين أنتم؟ قالوا: لا، قال: أفمن الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم؟ قالوا: لا، فقال: قد تبرأتم من هذين الفريقين، وأنا أشهد أنكم لستم من الذين قال الله عز وجل فيهم: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ قوموا فعل الله بكم وفعل، يدعو عليهم.

أقول يجب على كل مسلم عاقل اتباع منهج السلف في العقيدة والسلوك والأخلاق لأن الأمة الإسلامية مرت بمرحلتين: المرحلة الأولى هي مرحلة الاجتماع على الإيمان بما جاء به محمد ومتابعته في هديه وسنته قبل أن تظهر المقالات المنحرفة والفرق الضالة. والمرحلة الثانية مرحلة الاختلاف في الدين والتنازع واتباع الأهواء المضلة وظهور مقالات الخوارج والروافض والمرجئة والقدرية وغيرها من المقالات الفاسدة التي لم يقل بها أحد من السلف الصالح، بل أنكروها وردوها.

وكانت الأمة في المرحلة الأولى في عز ونصر وتمكين فحازت شرف الخيرية كما قال رسول الله : «خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» [متفق عليه].

وكانت فتوح الإسلام في هذه المرحلة، ففتح الله على هذه الأمة البلاد وكذلك قلوب العباد فدخل الناس في دين الله أفواجا، وفي هذا يقول النبي : «يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس، فيقال: هل فيكم أحد من أصحاب رسول الله ؟ فيقولون: نعم. قال: فيفتح لهم، ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقال: هل فيكم أحد ممن صحب أصحاب رسول الله ؟ فيقولون: نعم. قال: فيفتح لهم، ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقال: هل فيكم ممن صحب أصحاب أصحاب رسول الله ؟ فيقولون: نعم. قال: فيفتح لهم» [متفق عليه] وإلى هنا ينتهي الحديث، تنتهي قرون الخير، ينتهي زمن الفتوح، وتعم الفتن المضلة عافانا الله منها بفضله ومَنِّه وكرمه. قال الحافظ: واتفقوا أن آخر من كان من أتباع التابعين ممن يُقبل قوله من عاش إلى حدود العشرين ومائتين، وفي هذا الوقت ظهرت البدع ظهورًا فاشيًا، وأطلقت المعتزلة ألسنتها ورفعت الفلاسفة رؤوسها، وامتُحن أهل العلم ليقولوا بخلق القرآن، وتغيرت الأحوال تغيرًا شديدًا، ولم يزل الأمر في نقص إلى الآن. اهـ [فتح الباري ص٧، ص٨].

فالمسلم الكيس الفطن هو الذي يتبع ولا يبتدع في دين الله، هو الذي يتبع أقوال السلف الصالح ومنهجهم قبل أن يظهر الخلاف لقول النبي : «إنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة» [الترمذي وأحمد بسند صحيح].

وعن حذيفة بن اليمان قال: كان الناس يسألون رسول الله عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت يا رسول الله: إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم.

قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم وفيه دخن. قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر. قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم، دعاةٌ إلى أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها. قلت يا رسول الله: صفهم لنا. قال: هم من جلدتنا ويتكلمون

بألسنتنا. قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم. قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك». [البخاري]

وفي رواية مسلم: «قوم يستنون بغير سنتي ويهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر».

وفي رواية ثانية لمسلم: «يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجالٌ قُلُوبُهمُ قُلُوبُ الشياطين في جثمان إنس. قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: تسمعُ وتُطيعُ للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع».

ورواية أبي داود عن سبيع بن خالد قال: أتيت الكوفة في زمن فتحت تُستر أجلب منها بغالا فدخلت المسجد فإذا صَدْعٌ من الرجال، وإذا رجل جالس تعرف إذا رأيته أنه من رجال أهل الحجاز.

قال: قلت: من هذا؟ فتجهمني القوم وقالوا، أما تعرف هذا؟ هذا حذيفة بن اليمان صاحب رسول الله .

فقال حذيفة: إن الناس كانوا يسألون رسول الله عن الخير: وكنت أسأله عن الشر، فأحدقه القوم بأبصارهم. فقال: «إني أرى الذي تُنكرون، إني قلت يا رسول الله: أرأيت هذا الخير الذي أعطانا الله أيكون بعده شر كما كان قبله؟ قال: نعم. قلت: فما العصمة من ذلك؟ قال: السيف. قلت: يا رسول الله ثم ماذا يكون؟ قال: إن كان لله خليفة في الأرض فضرب ظهرك وأخذ مالك فأطعه وإلا فمت عاضًّا بجذع شجرة. قلت: ثم ماذا؟ قال: ثم يخرج الدجال، معه نهر ونار، فمن وقع في ناره وجب أجره وحُط وزره، ومن وقع في نهره وجب وزره وحط أجره قلت: ثم ماذا؟ قال: ثم قيام الساعة».

وعند ابن ماجه: «يكون دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها، قلت يا رسول الله صفهم لنا، قال: هم من جلدتنا يتكلمون بألسنتنا. قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: فالزم جماعة المسلمين وإمامهم، فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت كذلك.

وقول النبي : اعتزل تلك الفرق كلها معناه أن يلتزم الإنسان السنة ولو كان وحده، ويعتزل كل المقالات والآراء الفاسدة ومن يروجون لها ولو فعل ذلك فهو الجماعة هو ومن وافقه على ذلك لقول النبي : لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك.

فالحديث يوضح للمسلم المنهج الذي يعتصم به حال الاختلاف وقوله: كنا في جاهلية وشر، يشير إلى ما كان قبل الإسلام من الكفر، وقتل بعضهم بعضا ونهب بعضهم بعضا، وإتيان الفواحش: والمراد بالشر المذكور أولا ما يقع من الفتن بعد مقتل عثمان، أو ما يترتب على ذلك من عقوبات الآخرة.

وقوله عن الخير وفيه دخن إشارة إلى أنه لا يكون خيرًا محضًا خالصا بل فيه كدر، وفي رواية: «لا ترجع قلوب قوم على ما كانت عليه» فكأن المعنى أن قلوبهم لا يصفو بعضها لبعض.

وقد فسر هذا الدخن بوجود البدع وظهورها قوله: «قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر». وقوله في الشر الآخر: «دعاة يدعون على أبواب جهنم» باعتبار ما يؤول إليه حالهم وحال من تابعهم في دعوتهم الفاسدة التي تهدم دين الإسلام. وقوله: هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا إشارة إلى أنهم من العرب، أو ممن يظهرون الإسلام. ووصفهم بأن قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس.

قال عياض: المراد بالشر الأول الفتن التي وقعت بعد عثمان والمراد بالخير الذي بعده ما وقع في خلافة عمر بن عبد العزيز وقال غيره، بل هو الاجتماع على معاوية وترك القتال في الفتنة. وفي الحديث الأمر باعتزال الفتن، وهجران البدع وأهلها مع الإنكار لها، ورد الباطل الذي يدعون إليه.

وفيه أن الجماعة قد تكون رجلا واحدًا يعتصم بالسنة ويرد البدعة كما كان من أمر أحمد بن حنبل في فتنة خلق القرآن. [راجع فتح الباري بشرح صحيح البخاري]

والحمد لله رب العالمين

اتباع السنة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء:١].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

تكلمنا عن وجوب اتباع منهج السلف الصالح، فهو منهج الأمة المجمع عليه قبل وقوع الفرقة والخلاف، فالله سبحانه جعل لنا نبينا ﷺ أسوةً يقتدي به المؤمنون من هذه الأمة فاقتدى به وبسنته وهديه خير قرون هذه الأمة والواجب على من جاء بعدهم أن ينتهج نهجهم ويسير على طريقتهم، ومن ترك ذلك فقد خرج عن منهاج الرسول واتبع غير سبيل المؤمنين: ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥].

لقد حذرنا النبي ﷺ من الاختلاف وأمرنا أن نعتصم بسنته وسنة الراشدين من بعده، فقال: «إنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة».

وإذا كان النبي ﷺ قد أسر إلى فاطمة رضي الله عنها- وهي بضعة منه- في مرضه الذي توفي فيه بأنه قد حضر أجله وأنها أول أهله لحوقًا به ﷺ، ثم أوصاها بقوله: «فاتقي الله

لقد حذرنا النبي ﷺ من الاختلاف وأمرنا أن

السلف الصالح

بقلم

واصبري فإني نعم السلف أنا لك». [متفق عليه].

فنحن واللهِ أحوج إلى هذه الوصية، بتحقيق تقوى الله عز وجل في السر والعلن والقول والعمل، والصبر على طاعة الله عز وجل وطاعة نبيه ﷺ واتباع سنته وهديه، فإنه ﷺ خير سلف لكل مؤمن مهتدٍ وهو سلفُ رحمةٍ لأمته كما جاء في صحيح مسلم: «إن الله إذا أراد رحمة أمة من عباده قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطًا وسلفًا بين يديها، وإذا أراد هلكة أمة عذبها ونبيها حي فأهلكها وهو ينظر فأقر عينه بهلكتها حين كذبوه». [صحيح الجامع].

وبقدر طاعتنا لرسول الله ﷺ واتباعنا لهديه يكون نصيبنا من هذه الرحمة، ويتجلى هذا حين يقوم الناس لرب العالمين حفاةً عراةً غرلاً بهمًا وتدنو الشمس من الرؤوس وتشتد الكرب بالناس ويشتد بهم العطش فيجدون رسول الله ﷺ في مواطن الشفاعة، ويجدونه ﷺ على حوضه يسقيهم بيده شربة لا يظمأون بعدها أبدًا، أما من ترك هدي النبي ﷺ وأحدث في دين الله ما ليس منه فترده الملائكة عن الحوض كما في الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قام فينا النبي صلى الله عليه وسلم يخطب فقال: إنكم محشورون حفاة عراة غرلاً: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾، وإن أول الخلائق يُكْسَى يوم القيامة إبراهيم الخليل، وإنه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا رب أصحابي، فيقول: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١١٧) إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

فيقال: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم. [متفق عليه] .وهذا لفظ البخاري في كتاب الرقاق باب الحشر.

وفي الحديث الآخر، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحقًا. [متفق عليه].

فالبدع التي يحدثها الناس على خلاف منهج الرسول ﷺ تجرهم إلى هذا المصير، لأن كل بدعة ضلالة، وكل بدعة في الدين مردودة على من ابتدعها كما في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد».

ولقد كان سلفنا الصالح أشد الناس اتباعًا لهدي رسول الله ﷺ. قال ابن مسعود: اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم.

وقال ابن عمر: كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة.

وقال ابن عباس: ما يأتي على الناس من عام إلا أحدثوا فيه بدعة وأماتوا فيه سنة، حتى تحيى البدع وتموت السنن. [اللالكائي].

وقال عمر بن عبد العزيز: أوصيك بتقوى الله والاقتصاد في أمره واتباع سنة نبيه ﷺ، وترك ما أحدث المحدثون بعد ما جرت به سنته، وكفوا مؤنته، فعليك بلزوم السنة فإنها لك بإذن الله عصمة، ثم اعلم أنه لم يبتدع الناس بدعة إلا قد مضى قبلها ما هو دليل عليها أو عبرة فيها، فإن السنة إنما سنها من قد علم ما في خلافها من الخطأ والزلل والحمق والتعمق، فارض لنفسك ما رضي به القوم لأنفسهم، فإنهم على

نعتصم بسنته وسنة الخلفاء الراشدين من بعده

علم وقفوا وببصر نافذٍ كفوا، وهم على كشف الأمور كانوا أقوى، وبفضل ما كانوا فيه أولى، فإن كان الهدى ما أنتم عليه لقد سبقتموهم إليه، ولئن قلتم إنما حدث بعدهم، فما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم، ورغب بنفسه عنهم، فإنهم هم السابقون. [أبو داود- كتاب السنة].

والبدع التي يروج لها أعداء السنن كثيرة جدًا، حتى لو رأيت الناس اليوم، وقارنت بينهم وبين ما كان عليه سلف الأمة لرأيت البون شاسعًا، والأمة غير الأمة، وشتان بين أمة في حال عزها وقوتها واجتماعها على الحق، وبين أمة قد نزغ الشيطان بينها فصارت فرقًا وأحزابًا كل حزب بما لديهم فرحون، تركت سبيل عزها، واتبعت سنن من كان قبلها من الأمم إن شبرًا فشبر وإن ذراعًا فذراع.

وإن مما أحدثه أهل البدع في زمان الضعف والفرقة بدعة الاحتفال بمولد النبي ﷺ في الثاني عشر من ربيع الأول متبعين في ذلك هدي النصارى في احتفالهم بعيد الميلاد، والعجيب أن النبي ﷺ لم يتفق العلماء على يوم مولده تحديدًا، وأنه صلى الله عليه وسلم مات في شهر ربيع الأول، ودخل المدينة بعد الهجرة في شهر ربيع الأول، ولكن أبى المبتدعون إلا أن يخصوا هذا الشهر بالاحتفال بالمولد وزعموا أن النبي ﷺ كان يحتفل بالمولد لأنه كان يصوم يوم الاثنين والخميس ويقول عن يوم الاثنين: هذا يوم ولدت فيه، ولو صدقوا في زعمهم واتبعوا السنة لصاموا يوم الاثنين ويوم الخميس كما كان رسول الله ﷺ يصوم.

ولكن أهل البدع لا يهتمون بالعبادة بقدر ما يهتمون بالبدعة ولهذا فاليوم عندهم بل والشهر كله موسم للطعام والشراب وعرائس الحلوى مما ورثوه عن أسلافهم من العبيديين الذين كانوا يتقربون بسبِّ أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة وحفصة وسائر الصحابة، ويغالون في علي وبنيه ويبنون القباب والمشاهد ويرفعون القبور ويطوفون بها ويدعون أهلها من دون الله عز وجل، ومن نصحهم وقال لهم: هذا خلاف السنة نبذوه واتهموه ببغض النبي ﷺ وبغض الصالحين.

فإلى الله المشتكى ممن ترك هدي النبي ﷺ وسنة الخلفاء الراشدين من بعده واتبع غير سبيل المؤمنين، ونذكرهم بمقالة الجنيد رحمه الله: الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى أثر الرسول ﷺ.

وبمقالة إمام دار الهجرة: لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

ونسأل الله أن يعصمنا الزلل وأن يجعلنا ممن اعتصم بالكتاب والسنة وبهدي سلفنا الصالح، وأن يهدي ضال المسلمين وأن يوحد صفوفهم على الحق إنه ولي ذلك والقادر عليه والحمد لله أولا وآخرا.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اقتفى أثره واتبع هداه وسلم تسليمًا كثيرًا.

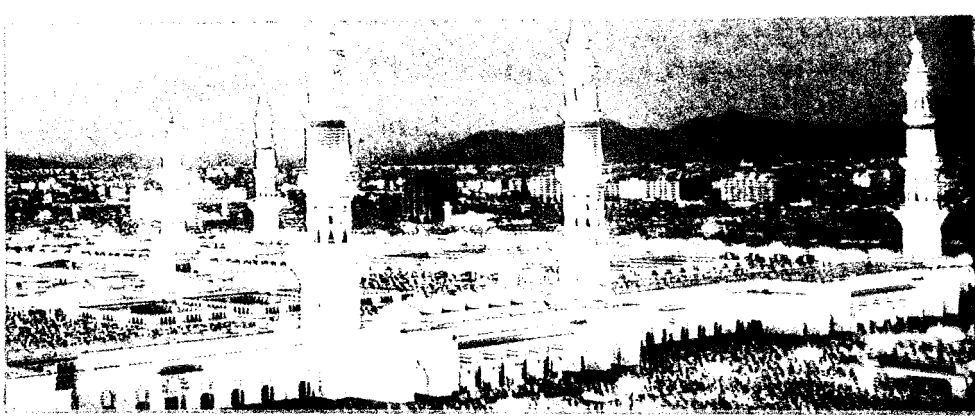

يا أمتي

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

الاعتصام بالله هو اللجوء إليه والاحتماء به والامتناع به والتوكل عليه، وهو سبيل المؤمنين ومنهاج حياتهم، وثمرة الاعتصام بالله أن يدافع الله عن عباده المؤمنين: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحج]، وأن ينصرهم على عدوهم: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾، وقد أمر الله عباده المؤمنين بالاعتصام به سبحانه في مواضع عديدة من كتابه الكريم، فقال سبحانه:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج].

فأمر الله سبحانه عباده المؤمنين بعبادته وحده لا شريك له وبالجهاد في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم وألسنتهم، والاعتصام به سبحانه فهو ناصرهم والمدافع عنهم.

فيا خير أمة أخرجت للناس اعبدوا الله ما لكم من إله غيره واركعوا واسجدوا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وافعلوا الخير الذي يأمركم به سبحانه لتكونوا من المفلحين الفائزين وجاهدوا في الله حق جهاده بالقيام التام بأمر الله سبحانه، ودعوة الخلق إلى سبيله بكل وسيلة من دعوة ونصح وتعليم ووعظ وزجر وقتال للمعاندين الذين يصدون عن سبيل الله، واعلموا أنكم خير أمة أخرجت للناس بتفضيل الله إياكم، فهو سبحانه اجتباكم واختاركم من بين العالمين وخصكم بخير كتاب أنزل وبخير رسول أرسل، وما جعل عليكم في الدين من حرج، ولكن بعث محمدًا خاتم النبيين بالحنيفية السمحة، ورفع عنكم الآصار والأغلال التي كانت على الأمم قبلكم، وجعلكم شهداء على الأمم وعلى جميع الناس: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ

بالله فاعتصموا

بقلم
الرئيس العام

الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة].

فقوموا بواجبكم في عبادة الله عز وجل والدعوة إلى سبيله وجاهدوا في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم واعتصموا بالله واستعينوا به وتأيدوا به هو مولاكم وحافظكم وناصركم وهو سبحانه نعم المولى ونعم النصير.

وقال سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا (١٧٤) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾ [النساء: ١٧٤- ١٧٥].

فبالإيمان بالله والاعتصام به يدخل المؤمنون في رحمة الله تعالى وفضله وهدايته إلى صراط الله المستقيم الموصل إلى جنات النعيم.

والمنافقون أبعد الناس عن منهج الإيمان وإن زعموا أنهم من المؤمنين، يخادعون الله والذين آمنوا، وما يخدعون إلا أنفسهم، فهم في الدرك الأسفل من النار، إلا إذا تابوا من النفاق، واخلصوا دينهم لله، واعتصموا بالله، فإنهم يكونون مع المؤمنين في الدنيا والآخرة بإيمانهم وإخلاصهم واعتصامهم بالله: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا (١٤٥) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١٤٥، ١٤٦].

ولقد نعى الله سبحانه على المؤمنين المفرطين المتبعين سنن أهل الكتاب والسائرين على طريقتهم، وحذر أمة الإيمان من سلوك هذا السبيل، فكيف تكون طاعتهم للمخالفين من أهل الكتاب، وقد كفاهم الله بكتابه الكريم وسنة نبيه ﷺ وفيها الهداية لمن اعتصم بها، فقال سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (١٠٠) وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾.

كيف نحقق الاعتصام بالله؟

ينبغي أن نسأل أنفسنا هذا السؤال: إذا كان الاعتصام بالله هو سبيل الهداية والنجاة في الدنيا والآخرة، فكيف نحقق هذا الاعتصام؟

نقول: الاعتصام بالله يكون بالترقي عن شهود غير الله في نفعه وخيره، وتأثيره وعطائه ومنعه، فالملك كله لله، هو مالك الملك، مدبر الأمر، وما يفعله العباد إنما هو بتقدير الله عز وجل ليبلو ويختبر، فيضل من يشاء ويهدي من يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، ويعطي من يشاء، ويمنع فضله عمن يشاء، وهذا يكون بمعرفة الله عز وجل بربوبيته وألوهيته وأسمائه الحسنى وصفاته العلى.

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾، ولا يحقق العبد هذا إلا إذا اعتصم بخبر الله عز وجل- أي بالوحي- قرآنًا وسنة استسلامًا، بتعظيم الأمر والنهي وأحكام الشرع لأن ذلك من تعظيم الآمر الناهي سبحانه وتعالى، وبالتصديق بالوعد والوعيد بالرغبة والرهبة والرجاء والخوف، بالطمع في الجنة والخوف من النار، وتحقيق الخشية من الله التي هي من سيما العلماء العاملين: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾، وبتأسيس المعاملة مع الله عز وجل على اليقين والإنصاف.

تأسيس المعاملة مع الله عز وجل على اليقين الذي لا شك معه ولا تردد ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات:٥١] وقال النبي ﷺ: «أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبدٌ غير شاك فيهما إلا دخل الجنة» مسلم.

وقال ﷺ لأبي هريرة: «من لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه فبشره بالجنة» رواه مسلم.

وقال ابن مسعود: في اليقين الإيمان كله. علقه البخاري ووصله الطبراني بسند صحيح وأخرج أحمد عن ابن مسعود «اللهم زدنا إيمانا ويقينًا وفقها».

فإذا أيقن القلب انبعثت الجوارح بطاعة الله عز وجل بالأعمال الصالحة قال سفيان الثوري: لو أن اليقين وقع في القلب كما ينبغي، لطار اشتياقًا إلى الجنة وهربًا من النار.

أما الإنصاف في العلاقة مع الله عز وجل فيكون بأن تعطي العبودية حقها وأن لا تنازع ربك في صفات إلهيته من العظمة والكبرياء والجبروت بل تعلم أنك عبد فتذل لربك وخالقك ومولاك، وأن تعرف نعم الله عليك فتشكره، ولا تشكر سواه على نعمه وتنساه، كحال الذين يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها، وأن لا تحمد على رزقه غيره، وأن لا تستعين بنعمه على معاصيه.

وأما الإنصاف مع عباد الله فأن تعاملهم بمثل ما تحب أن يعاملوك به وأن تنصفهم من نفسك بسلوك مسلك العدل فيهم، فيسلم المسلمون من لسانك ويدك، ويأمنوك على أموالهم وأنفسهم والمعصوم من عصمه الله تعالى.

الاعتصام بحبل الله

قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣) وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران:١٠٣-١٠٥].

والاعتصام بحبل الله أي بدينه وكتابه وهدي نبيه ﷺ وهدي الخلفاء الراشدين من بعده، والاعتصام بالجماعة ونبذ الفرقة، وكما يقول العلماء أن تحافظ على طاعة الله عز وجل مراقبًا لأمره فتقوم بالطاعة لأجل أن الله يأمر بها ويحبها لا لمجرد التقليد أو الاعتياد، فتعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله، وتترك معصيته على نور من الله تخاف عقاب الله.

فما أحوج الأمة في زمن الغثاء أن تراجع دينها وأن تعتصم بربها وبدين ربها، وأن تنبذ - تترك - أسباب الفرقة والضلال.

«اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر» مسلم.

فاللهم يا أملي في كل نائبةٍ
ومن عليه لكشف الضر أعتمدُ
أشكو إليك أمورًا أنت تعلمها
مالي إلى حملها صبر ولا جَلَدُ
أشكو إليك هوانًا عَمَّ أمتنا
وعسكرُ الكفر من أرجائها احتشدوا
يبغون قلع جذور الدين من غدنا
والمسلمون بقاع الأرض قد رقدوا
قد ضيعوا الدين الذي به عزوا
قد فرطوا في قول الله «وأعدوا»

والله من وراء القصد.

الوحدة الإسلامية..

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

تعيش الأمة الإسلامية حالة من التردي بين طعنات الطاعنين.. وضربات أهل الكفر والحاقدين على الإسلام والمسلمين فها هم أعداء الإسلام يحاولون جاهدين فرض ما أسموه بالشرق الأوسط الكبير، والشرق الأوسط الأوسع في محاولة لتذويب الهوية الإسلامية والهوية العربية.. ووسط كل هذا وذاك لا نجد بدًا من التآلف والوحدة.

ولا شك أن العاقل يرى أن الوحدة ضرورة واجبة يوجبها العقل، وأن الفرقة داء قاتل يرفضه العقل، فالوحدة قوة، والفرقة ضعف، الوحدة أمان والفرقة هلكة.

والنصوص الشرعية تحث المسلمين على الوحدة حول كتاب الله عز وجل، وشرعه ومنهاجه.

قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣) وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران:١٠٣،١٠٥].

فنحن جميعا مأمورون بالتمسك بحبل الله المتين، بالعروة الوثقى التي لا تنفصم، بكتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ.

نحن جميعا مطالبون بأن نتعلم من ماضينا حتى نعمل في حاضرنا ولمستقبلنا، بأن نلجأ إلى الله تعالى نطلب منه أن يمن علينا بالتآلف والتآزر، وأن يجنبنا العداوة والبغضاء فهو سبحانه أهل ذلك والقادر عليه ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال:٦٣].

نحن جميعا مطالبون بأن نأخذ بأسباب الوحدة، وأن نعمل على نبذ الفرقة والاختلاف، حتى لا نكون كأولئك الذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات.

﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم:٣٢].

ورسول الله ﷺ يدعو إلى الوحدة ويحث عليها، ويحذر من الفرقة، فعبادة الله وحده لا شريك له، والاعتصام بحبل الله المتين، ومناصحة ولاة الأمور، ولزوم جماعة المسلمين كلها أركان

وليس الشرق الأوسط الكبير

بقلم
الرئيس العام

يقوم عليها صرح الدولة الإسلامية.

«إن الله يرضى لكم ثلاثا... يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم» [أحمد ومسلم ومالك].

«ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، والنصيحة للمسلمين، ولزوم جماعتهم، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم».

تصور مستقبلي للوحدة الإسلامية

إن السبيل إلى الوحدة واضح ولكننا أبينا إلا الافتراق والاختلاف وضيعنا أحد فروض الدين، ولكن لهذا الدين رب لا يضيعه.

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [النور:٥٥].

وكما تنبأ رسول الله ﷺ بالفرقة التي تشتت شمل الأمة، تنبأ أيضا بالوحدة بعد الفرقة، وبأن الساعة لن تقوم حتى يمكن الله للمسلمين في الأرض.. «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشرقها ومغربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها» [رواه مسلم].

«وليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزًا يعز به الله الإسلام، وذلا يذل به الكفر». [أحمد والطبراني وصححه الألباني].

في منتصف القرن العشرين عقب إلغاء الخلافة العثمانية، وتقسيم الأقاليم الإسلامية بين المستعمرين نهائيا هبت شعوب العالم الإسلامية تبغي الاستقلال التام وعدم التبعية للمستعمرين، وقد كان لها ما أرادت، واستقلت الأقاليم الإسلامية، ولكن التبعية للاستعمار قد بقيت بشكل أو بآخر وقنعت كل الأقاليم الإسلامية باستقلالها مع ضعفها، وتناست أمر وحدتها.

وقد كانت هناك أصوات كثيرة تنادي بالوحدة الإسلامية فالوحدة وإن لم تكن دينا، فهي من البديهيات العقلية لأن فيها القوة والعزة والمنعة، وهذا العصر الذي شهد ويشهد التكتلات والأحلاف في الشرق والغرب بين دول غير منسجمة، لماذا لا يكون هو نفسه عصر وحدة المسلمين وتكتلهم.

ولكن الأصوات المنادية بالوحدة قد سكتت أو أسكتت، وقنع كل إقليم باستقلاله وذاتيته، وصار أمر الوحدة مجرد وهم يسيطر على بعض العقول، وأصبح من يدعو إلى الوحدة دعوته غريبة وصوته منكر.

ينبغي أن تعلو أصواتنا بالدعوة إلى الوحدة الإسلامية الكبرى، فهي من صميم الدعوة إلى الإسلام، إن أول الطريق أن تشعر الشعوب بحاجتها إلى الوحدة، أن تعلم أن الوحدة الإسلامية هي أحد فروض الدين، وأنه بدونها نفقد الكثير والكثير. قال تعالى: ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾.

واجب العلماء والدعاء

إن واجب الدعاة والعلماء بعد أن يعملوا على تثبيت العقيدة الإسلامية الصحيحة من توحيد الله عز وجل واتباع رسول الله ﷺ أن يبثوا في نفوس المسلمين هذا الفهم السليم، وأن يعلموا الناس أن الدين الإسلامي كل لا يتجزأ وأن الوحدة الإسلامية ضرورة واجبة بمقتضى الشرع وبمقتضى العقل، وأن الوضع الحالي من التفرق هو وضع شائن غير جدير بالإسلام والمسلمين، فالإسلام يعلو ولا يعلى، والمسلمون أعزة بالإسلام فلا ينبغي أن يرضوا بالذلة والهوان والضعف والتخلف، بل ينبغي أن يتقلدوا مكانهم السامي الرفيع في قيادة هذا العالم والأخذ بيده وإخراجه من الظلمات إلى النور، إن واجب الحكومات الإسلامية أن تعمل على تحقيق التعاون والتآزر والتكتل بين المسلمين، وأن يجلس الحكام بعضهم مع البعض وأن يكون هدفهم الرئيسي هو العمل على رفعة شأن دينهم.

إن الوحدة الإسلامية لن تتحقق حتى يسبقها شعور عام بالأخوة بين المسلمين التي يشعر فيها المسلم بأنه أخو المسلم، حتى يسود الشعور بأن «المسلم أخو المسلم، لا يسلمه ولا يخذله ولا يحقره» [مسلم ٢٥٦٤] وأن ما يصيب المسلم في أقصى الأرض من ألم أو ضرر فإنما هو واقع بالمسلمين جميعا لأن المسلمين كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر، وإذا أصيب بلد أو إقليم إسلامي بضرر أو هدد بخطر هب المسلمون جميعا لنجدته.

كيف تتحقق الوحدة الإسلامية؟

لن تتحقق الوحدة الإسلامية ما لم يتم التعاون والتضافر بين المسلمين جميعا في المال والاقتصاد والثقافة والتعليم والقوى البشرية، ما لم يشعر المسلم أن كل الأقاليم الإسلامية على اتساعها بلده، لا يشعر فيها بغربة ولا يعامل فيها كالغريب.

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة:٢]، لن تتحقق الوحدة حتى يشعر المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها بضرورة الوحدة والحاجة الماسة إليها، والعمل على تطبيق دين الله وشرعه في كل أرجاء الأرض الإسلامية، فتحل العقائد الإسلامية محل العقائد المشبوهة والمنحرفة التي تغزو ديار المسلمين، فإن دين الله تعالى وشريعته توجب الوحدة وتحث عليها، وتتناول كل صغير وكبير من أمور الحياة بالتنظيم، فإذا ما عملنا على تطبيق شرع الله في كل الأنحاء، فإن الوحدة بغير شك ستكون من ثمار هذا التطبيق.

إذا ما وصلنا إلى هذه الدرجة من الشعور بضرورة الدين والوحدة والتطبيق الكامل للشرع في كل نواحي الحياة داخليا وخارجيا، فإن تحقيق الوحدة سيكون سهلا ميسورا، ولن يكون علينا سوى أن ندرس ونتباحث أمر شكل الوحدة وكيفيتها.

المستقبل للإسلام

فإذا ما توحدت الأمة وتجمعت أوصالها فإن الله سبحانه قد وعدها بالعزة وقد قال سبحانه.

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:٣٣].

تبشرنا هذه الآية الكريمة بأن المستقبل للإسلام بسيطرته وظهوره وحكمه على الأديان كلها، وقد يظن بعض الناس أن ذلك قد تحقَّق في عهده ﷺ وعهد الخلفاء الراشدين والملوك الصالحين، وليس كذلك، فالذي تحقق إنما هو جزءٌ من هذا الوعد الصادق؛ كما أشار إلى ذلك النبي ﷺ بقوله: «لا يذهَبُ الليلُ والنَّهارُ حتى تُعْبَدَ اللاتُ والعُزَّى. فقالتْ عائشةُ: يا رسولَ اللهِ! إن كنت لأظن حين أنزل الله: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ أن ذلك تامٌّ. قال: إنه سيكون من ذلك ما شاء الله» الحديث.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

افتتاحية العدد

الرقية في ضوء

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

معنى الرقية

معنى الرقية في أصل الفعل رقى من الرقى والترقي وهو الصعود والارتفاع، ورقأ بالهمز أي سكن وارتفع وكأن الرقية ما يزول به المرض ويرتفع ويسكن به الألم والرقية هي العوذة بمعنى اللجوء لمن يحتمي به. [لسان العرب]

روى الإمام مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله عز وجل». [مسلم (٢٢٠٤)]

وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما أنزل الله داءً إلا أنزل له شفاءً». [ح ٥٦٧٨ ك الطب]

وفي رواية الترمذي وأحمد: «إن الله لم ينزل داءً إلا أنزل له شفاءً، علمه من علمه وجهله من جهله».

وفي رواية «إن الله لم يضع داءً إلا وضع له دواءً، إلا داءً واحدًا قالوا: يا رسول الله ما هو؟ قال: الهرم».

فهذا بيان من الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى يبشر فيه المبتلين بأن الله عز وجل كما قدر المرض فقد قدر الشفاء، وكما أنزل الداء فقد وضع له الدواء، وأن الناس يتفاوتون في تشخيص الأمراض ومعرفة الدواء، فمنهم من يعلم ومنهم من يجهل، «علمه من علمه وجهله من جهله» وأن الشيخوخة والهرم ليس له دواء.

القرآن شفاء للقلوب

هل القرآن الكريم شفاء؟

القرآن الكريم شفاء للقلوب من أمراض الجهل والشك والريب فهو شفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ * قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس:٥٧-٥٨].

وقال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء:٨٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [فصلت:٤٤].

هل في القرآن شفاء للأبدان؟

روى البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: نزلنا منزلا فأتتنا امرأة فقالت: إن سيد الحي سليم[1] لُدغ، فهل فيكم من راق؟ فقام معها رجلٌ منا ما كنا نظنه يُحسن رقية، فرقاه بفاتحة الكتاب فبرأ، فأعطاه غنما، وسقونا لبنا، فقلنا: أكنت تحسن رقية؟ قال: ما رقيته إلا بفاتحة الكتاب، فقلت: لا تحركوها حتى نأتي النبي ﷺ، فأتينا النبي ﷺ فذكرنا له ذلك فقال: ما كان يدريه أنها رقية، أقسموا واضربوا لي بسهم معكم.

الرقية بالقرآن

قال ابن القيم: فقد أثر هذا الدواء في هذا الداء وأزاله حتى كأن لم يكن، وهو أسهل دواء وأيسره، ولو أحسن العبد التداوى بالفاتحة لرأى لها تأثيرًا عجيبًا في الشفاء.

ومما يُرقى به المريض المعوذات «سورة الإخلاص وسورتا المعوذتين»، ففي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأفسح بيده رجاء بركتها. [متفق عليه]

وروى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا مرض أحد من أهله نفث عليه بالمعوذات. [ح٢١٩٢]

القرآن والسنة

بقلم
د. جمال المراكبي

الرقية بالأذكار النبوية

ومما يُرقى به المريض ما ثبت في الصحيح من حديث عثمان بن أبي العاص أنه شكا إلى رسول الله ﷺ وجعًا في جسده، فقال له النبي ﷺ: «ضع يدك على الذي تألم من جسدك وقل: باسم الله ثلاثًا، وقل سبع مرات أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر». [رواه مسلم]

وفي الصحيح عن أبي سعيد الخدري أن جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ فقال: يا محمد. اشتكيت؟ فقال: نعم. قال: باسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك». [رواه مسلم]

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ كان يعوذ بعض أهله، يمسح بيده اليمنى ويقول: اللهم رب الناس أذهب الباس واشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك شفاءً لا يغادر سقمًا وما صح عن رسول الله ﷺ من الأذكار والأدعية التي يتعوذ ويسترقي بها كثير يُلتمس في مظانه من كتب الحديث والكتب التي جمعت أذكار النبي ﷺ وأدعيته الثابتة بالأسانيد الصحيحة.

وهنا سؤال لابد أن نبحث عن إجابته:

هل الأدوية النبوية التي جاءت بها السنة مما يستشفى به؟

والجواب: أن كتب السنة النبوية تضمنت أبوابًا عديدة في الطب والتداوي مثل كتاب المرضى وكتاب الطب في صحيح الإمام البخاري وفيه عشرات الأحاديث في آداب التداوي، والعجيب أن بعض الناس ممن لا عقل له ينكر هذه الأحاديث، أو يزعم أن النبي ﷺ قالها بناءً على ما كان لديه من خبرات بشرية، بل إن بعض السفهاء تكلم عن بعض هذه الأحاديث فوصفها بالقذارة، وإنما القذارة في قلوب دنسها الجهل والبدعة في الدين وتحكيم الأهواء والعقول في نقد كلام الرسول ﷺ.

إن نبينا ﷺ أوتي جوامع الكلم واختصرت له الحكم، وعصمه ربه في تبليغ شرعه ورسالته فقال سبحانه: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ [النجم:٣-٥].

ولو كانت أحاديث النبي ﷺ في التداوي والرقى مما اعتمد فيه على الخبرات البشرية السائدة في عصره كما يزعم هؤلاء لوجب على النبي ﷺ أن يبين هذا للأمة كما فعل في قصة تأبير النخل وقوله ﷺ: «أنتم أعلم بأمور دنياكم». [رواه مسلم]

ولكنه ﷺ كان يجزم بهذه الأمور ويؤكدها، بل وينسبها إلى وحي الله عز وجل ولهذا قال للرجل الذي جرب العسل في التداوي فلم ينتفع به أخوه المريض: «صدق الله وكذبت بطن أخيك». [رواه البخاري]

أنواع الرقية

أولا: رقية شرعية ثابتة عن رسول الله ﷺ مثل ما ذكرناه من قبل من أدعية وتعوذات ولا يدخل في هذا النوع إلا ما صحت به السنة، وعلى هذا فحديث الرقية الشرعية الطويل الذي يقرأ به أكثر المعالجين لا يدخل في هذا القسم لأنه من الأحاديث الضعيفة التي لا تقوم بمثلها حجة.

وهذا النوع من الرقى مستحب.

ثانيا: رقية عادية، لا تستند إلى نص شرعي، ويدخل في ذلك مطلق الدعاء، وما يستخدمه بعض الناس من أعشاب أو نباتات مجربة، وهذا جائز ما لم يكن فيه شرك أو مخالفة شرعية لقول النبي ﷺ: «اعرضوا على رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك»، وقوله: «من استطاع أن ينفع أخاه فليفعل». [رواهما مسلم]

ويدخل في هذا القسم ما يستخدمه الأطباء من أدوية وعقاقير ثبت بالتجربة نفعها.

ثالثا: رقية بدعية وهي التي تستخدم فيها أوراد وأحراز لا أصل لها، ويخلط فيها بين الصحيح والسقيم ولا يأمن أن يدخل فيها سحر السحرة ودجل الدجالين والمشعوذين، وذلك كالأوراق التي يطلقون عليها العهود السليمانية، نسبة إلى نبي الله سليمان عليه السلام ويدخل في هذا الأوراق التي يطلب من الناس تصويرها وتوزيعها بأعداد معينة كالورقة المنسوبة للشيخ أحمد خادم الحجرة النبوية، والورقة المنسوبة للسيدة زينب وأمثال ذلك كثير لا يحصى.

رابعًا: رقية شركية وهي التي يُدعى فيها غير الله، ويستخدم فيها الشياطين، وسحر السحرة ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٠٢].

ويدخل في هذا عمل الكهان والعرافين.

وفي الصحيح: «من أتى كاهنا أو عرافا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ».

وفي سنن أبي داود وابن ماجه ومسند أحمد عن النبي ﷺ قال: «إن الرقى والتمائم والتولة شرك». [صحيح]

شروط الرقية

(١) أن تكون من الكتاب والسنة.

(٢) أن تكون باللغة العربية محفوظة ألفاظها، مفهومة معانيها لئلا يدخل فيها شيء من الشرك.

(٣) أن يعتقد أنها سبب من الأسباب، لا تأثير لها إلا بإذن الله، والله عز وجل هو الشافي المعافي لا شفاء إلا شفاؤه.

ومما ينبغي أن يتغطن له المؤمن أن اللجوء إلى الله تعالى والعياذ به والإلحاح في الدعاء والابتهال وحضور القلب بين يدي الله عز وجل، والتوسل إليه سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العليا من أنفع الوسائل لدفع الضرر وطلب العافية، ولهذا فإنه من غير المناسب أن يترك المبتلى بالمرض ذلك، ويتعلق قلبه بدواء حسي أو طبيب معالج وقد عرف يقينًا أن الدواء والعلاج والرقية ما هو إلا مجرد سبب من الأسباب المباحة، وأن وراء السبب مسبب الأسباب الشافي المعافي مدبر الأمر الحي القيوم سبحانه.

ولأجل هذا كره النبي ﷺ الاسترقاء وهو سؤال وطلب الرقية من الراقي، وكره الكي وإن لم ينه عنه فقال «الشفاء في ثلاث: شربة عسل، وشرطة محجم، وكية نار، وأنا أنهى أمتي عن الكي» وفي لفظ «وما أحب أن أكتوي».

ووصف السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب بأنهم الذين لا يسترقون أي لا يطلبون الرقية من أحد ولا يكتوون أي لا يلجأون إلى الكي ولا يطلبونه لعلاج ولا يتطيرون أي يتشاءمون، وعلى ربهم يتوكلون. [رواه البخاري]

العلاج بالقرآن ليس مهنة

انتشار ظاهرة المعالجين بالقرآن.

لقد ظن بعض الناس أن العلاج بالقرآن يمكن أن يصبح مهنة فاحترفوه، ودرج الكثير منهم على قلة علمهم على الاسترسال في هذا الأمر، وخلطوا بين ما صح عن النبي ﷺ وبين الضعيف والمكذوب، وأخذوا يخاطبون الجان بزعمهم ويعتمدون قوله وربما يستعينون به مع ما في ذلك من محاذير لا يزداد بها الناس إلا رهقًا كما قال ربنا تبارك وتعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن:٦].

وحاول بعضهم تعلم حيل السحرة، وسجع الكهان والعرافين فشوهوا الصورة النقية للقرآن ولصحيح الأذكار.

فيا أخي القارئ اعلم أن القرآن ليس علاجًا، فالعلاج قد ينفع وقد لا ينفع وربما يضر، ولكن القرآن شفاء كما قال ربنا عز وجل، وشتان بين العلاج وبين الشفاء والشفاء في القرآن وصحيح الأذكار لا يحتاج إلى واسطة ولكن قد تحتاج إلى معلم يعلمك كيف تقرأ القرآن الكريم ويعلمك صحيح الأذكار، ولكنك لا تحتاج إلى معالج، فأنت المضطر الملهوف، ودعاؤك أرجى أن يقبله الله عز وجل وهو القائل: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل:٦٢].

فليكن لجوءنا إلى الله وحده، وضرورتنا إلى الله وحده: «يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف». [صحيح الترمذي]

واعلم أن كل شيء بقدر الله، وقد سئل النبي ﷺ أرأيت رقى نسترقي بها، ودواءً نتداوى به، وتقاة نتقيها، هل ترد من قدر الله شيئا؟ فقال ﷺ: «هي من قدر الله». [صحيح الترمذي]

والحمد لله رب العالمين

(١) السليم: اللديغ وقد قيل: هو من السلامة، وإنما ذلك على التفاؤل له بها خلافًا لما يُحذر عليه منه.. [لسان العرب]

ولا تقربوا الفواحش

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله. وبعد:

فإن أمة الإسلام التي أكرمها الله بدينه وحباها برسالته قامت على دعائم قوية إذا اعتنت بترسيخها قويت عزيمتها وارتفع لواؤها وعز جاهها، وإذا فرطت في تلك الدعائم فعصت ربها وخالفت سنة نبيها هانت على عدوها، وإن من دعائم الإسلام تحريم الفواحش ما ظهر منها وما بطن.

قال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُم مِّنْ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١].

وحرصا منا ورغبة في نصح الأمة وتحذيرها من الفواحش وخطرها، نقول مستعينين بالله عز وجل:

تعريف الفواحش

الفواحش: كل ما يشتد قبحه من الذنوب والمعاصي، وكل خصلة قبيحة فهي فاحشة، والفحش والفحشاء والفاحشة: القبيح من القول والفعل، وجمعها الفواحش، ومنه قول النبي ﷺ لعائشة حين ردت على اليهود الذين دخلوا على النبي ﷺ فقالوا: السام عليك يا محمد- يعنون بالسام: الموت- فقال لهم النبي ﷺ: «وعليكم». فقالت عائشة رضي عنها: «عليكم السام واللعنة وغضب الله عليكم». فقال لها النبي ﷺ: «لا تقولي ذلك يا عائشة، فإن الله لا يحب الفحش ولا التفاحش».

فأراد النبي ﷺ بالفحش التعدي في القول، مع أن عائشة رضي الله عنها لم تذكرهم إلا بما هم عليه وبما وصفهم الله عز وجل به وحكم عليهم به من الغضب واللعنة.

وأصل الفحش الزيادة والكثرة، ولهذا يقرر الفقهاء أنه يُعفى عن يسير النجاسة التي لا يمكن التحرز منه، ولا يعفى عما فحش منها أي كثر.

وفي القرآن الكريم: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ...﴾ [النجم:٣٢].

ففرق الله بين كبائر الإثم والفواحش وبين اللمم، فجعل كبائر الإثم والفواحش لما فحش، وجعل اللمم لما صغر.

وكثيرًا ما ترد الفاحشة بمعنى الزنى، قال تعالى: ﴿وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ﴾ [النساء:١٥].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ [النساء: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾ [الفرقان].

واختلفوا في معنى قول الله تعالى: ﴿لاَ تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلاَ يَخْرُجْنَ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ [الطلاق]، فقيل المراد بالفاحشة: الزنى، وقيل: البذاء وسلاطة اللسان، والمعنى يعمهما.

التبرج والعري من الفواحش التي نهانا الله عنها

لما كان لباس التقوى خير لباس يتجمل به العبد جعله الله ينزع عمن نزع عن نفسه اللباس الساتر للعورات كما ذكر ربنا في كتابه الكريم: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (٢٦) يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٦، ٢٧]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٨].

وردت هذه الآية بعد التحذير من الشيطان الذي أخرج آدم وزوجه من الجنة وبيان أنه ولي للذين لا يوقنون، والامتنان على بني آدم بالستر باللباس والريش.

ما ظهر منها وما بطن

بقلم
الرئيس العام

وورد بعدها: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٩]، وهذا دليل على أن العري من الفحش الذي يأمر به الشيطان ويدعو إليه، ويحرمه الله تعالى.

مفهوم خاطئ

إن منهج الناس في قصر مفهوم الفاحشة على جريمة الزنى يجعلهم يعتادون الفواحش ولا ينكرونها: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾.

ولهذا اعتاد قوم لوط الفاحشة ولم يستحيوا من ارتكابها: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [النمل: ٥٤]، ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾.

الغرب المتحضر يشيع الفاحشة!

اللواط من أبشع الجرائم وأقبحها، وهو لوثة أخلاقية، ومرضٌ خطير، فنجد جميع من يتصفون به، سيئي الخلق، فاسدي الطباع، فاقدي الحياء، لا يميزون بين الفضائل والرذائل، لا وجدان يؤنبهم ولا ضمير يردعهم.

ولقد وصلت حالة التدني والانحطاط مداها في هذا العصر، وسقطت الحضارة الأمريكية المزعومة، في حمأة الرذيلة، وجاء «رئيسها المتحضر» يطلب من الكونجس الأمريكي - وبلا أدنى حياء - إقرار قانون الزواج بين الشواذ إشاعة للفاحشة، وترويجًا لمبادئ الحرية الزائفة، وبعض الكنائس كذلك تبيح هذا الزواج، وهذه هي حضارة العالم الجديد التي يتغنى بها سدنتها وساستها، وهذا هو السر وراء حملات الاضطهاد المتواصل والتضييق على دعاة الفضيلة والطهر من المسلمين في العالم وهم بهذا المسلك الفاضح يضاهؤون منهج أسلافهم من الشواذ وقولهم ﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [النمل:٥٦].

الشيطان يأمر بالفحشاء:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّبًا وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (١٦٨) إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٨- ١٦٩].

وقال تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٨]. قيل: المراد بالفحشاء هنا البخل والشح.

دين قويم، يأمر بكل جميل، وينهى عن كل قبيح

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، وهذه الآية جامعة لجميع المأمورات، والمنهيات، لم يبق شيء إلا دخل فيها، فهي قاعدة ترجع إليها سائر الجزئيات، فكل مسألةٍ مشتملةٍ على عدلٍ أو إحسان، أو إيتاء ذي القربى، فهي مما أمر الله به، وكل مسألة مشتملة على فحشاءٍ أو منكرٍ أو بغي، فهي مما نهى الله عنه فتبارك من جعل من كلامه الهدى والنور، والفرقان بين جميع الأشياء

الغيرة من ارتكاب الفواحش

الغيرة على الأعراض من كريم الأخلاق ومحاسن الشيم التي يتحلى بها أصحاب الفطر السليمة والنفوس المستقيمة

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لا أحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش وما أحد أحب إليه المدح من الله». [متفق عليه].

وفي رواية لمسلم كتاب التوبة (ح٤٩٥٨): «ليس أحدٌ أحبَّ إليه المدح من الله عز وجل ومن أجل ذلك حرم الفواحش، وليس أحد أحبَّ إليه العذر من الله، من أجل ذلك أنزل الكتاب وأرسل الرسل».

وفي رواية عن المغيرة قال: قال سعد بن عبادة: لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غير مُصْفَح، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال: «أتعجبون من غيرة سعد، واللهِ لأنا أغيرُ منه، واللهُ أغيرُ

مني، ومن أجل غيرة اللهِ حَرَّمَ الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحبُ إليه العذر من الله، ومن أجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين ولا أحدَ أحبُ إليه المِدْحَةُ من الله، ومن أجل ذلك وعد الجنة». [البخاري كتاب التوحيد ح٦٨٦٦، باب: لا شخص أغير من الله].

حكم الزنى وتحريمه وعقوبة الزاني:

قال تعالى: ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلاَ تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النور:] وهذا الحكم، في الزاني والزانية البكرين، أنهما يجلد كل منهما مائة جلدة، وأما الثيب، فقد دلت السنة الصحيحة المشهورة، أن حده الرجم، ونهانا تعالى أن تأخذنا رأفة بهما، في دين الله، تمنعنا من إقامة الحد عليهما، سواء رأفة طبيعية أو لأجل قرابة أو صداقة أو غير ذلك، وأن الإيمان، موجب لانتفاء هذه الرأفة المانعة، من إقامة أمر الله، فرحمته لجريان القدر عليه، فلا نرحمه من هذا الجانب. وأمر تعالى أن يحضر عذاب الزانيين طائفة، أو جماعة من المؤمنين ليشتهر، ويحصل بذلك الخزي والارتداع، وليشاهدوا الحد فعلاً، فإن مشاهدة أحكام الشرع بالفعل، مما يقوي به العلم، ويستقر به الفهم، ويكون أقرب لإصابة الصواب، فلا يزاد فيه، ولا ينقص. والله أعلم.

حكم من وجد امرأته على فاحشة كيف يصنع؟

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلاَّ أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٦) وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٧) وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (٨) وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٩) وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾ [النور:٦-١٠].

وأخرج البخاري ومسلم من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: «أن عويمرًا أتى عاصم بن عدي وكان سيد بني عجلان فقال: كيف تقولون في رجل وجد مع امرأته رجلا، فتقتلونه، أم كيف يصنع؟ سل لي رسول الله ﷺ عن ذلك، فأتى عاصم النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، فكره رسول الله المسائل، فسأله عويمر، فقال: إن رسول الله ﷺ كره المسائل وعابها قال عويمر: والله لا أنتهي حتى أسأل رسول الله ﷺ عن ذلك فجاء عويمر فقال: يا رسول الله، رجل وجد مع امرأته رجلا، أيقتله فتقتلونه أم كيف يصنع؟ فقال رسول الله ﷺ: قد أنزل الله القرآن فيك وفي صاحبتك فأمرهما رسول الله ﷺ بالملاعنة بما سمَّى الله في كتابه فلاعنها ثم قال: يا رسول الله، إن حبستها فقد ظلمتها فطلَّقها، فكانت سنة لمن كان بعدهما في المتلاعنين، ثم قال رسول الله ﷺ: انظروا، فإن جاءت به أسحم أدعج العينين عظيم الأليتين خدلج الساقين فلا أحسب عويمرًا إلا قد صدق عليها، وإن جاءت به أحيمر كأنه وحرة فلا أحسب عويمرًا إلا قد كذب عليها فجاءت به على النعت الذي نعت رسول الله ﷺ من تصديق عويمر، فكان بعدُ ينسبُ إلى أمه».

التفحش ليس من أخلاق المؤمنين

عن عبد الله بن عمرو قال: «لم يكن النبي فاحشًا ولا متفحشا، وكان يقول: إن من خياركم أحاسنكم أخلاقًا». [رواه البخاري ومسلم]

قال رسول الله ﷺ: «إن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من تركه الناس اتقاءَ فحشه». [متفق عليه]

التوبة من الفواحش

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران:١٣٥].

فسبحان من يبسط يده بالليل ليتوب مسيئ النهار، وسبحان من يبسط يده بالنهار ليتوب مسيئ الليل، لقد ضمن الله عز وجل لمن تاب من الشرك وما دونه من الكبائر المغفرة والرحمة، وهذا حكم عام لكل تائب من كل ذنب، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر:٥٣]. فلا يخرج من هذا العموم ذنب واحد، فسبحان من وسعت رحمته كل شيء.

فهل من توبة وعودة إلى شرع الله؟

فشريعة الإسلام تكفل للأمة أمنها وتضمن لها استقرارها فهل من توبة وعودة إلى الله لتستقيم بها حياتنا، ونستمطر بها رحمة ربنا، فننهض من سباتنا لنستأنف دورنا في قيادة البشرية من جديد، وننشر الطهر في العالمين؟

هذا ما نأمله ونرجوه والله من وراء القصد.

صيام النبي ﷺ

كان النبي ﷺ يحتفي بشعبان ويصوم فيه أكثر من غيره من الشهور حتى يُقال لا يفطر، كما في حديث عائشة عند البخاري ومسلم: كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول لا يفطر، ويفطر حتى نقول لا يصوم، فما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر إلا رمضان، وما رأيته أكثر صيامًا منه في شعبان.

وعن عائشة أيضًا رضي الله عنها قالت: لم يكن النبي ﷺ يصوم شهرًا أكثر من شعبان، وكان يصوم شعبان كله، وكان يقول: «خذوا من العمل ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا، وأحب الصلاة إلى النبي ﷺ ما دووم عليه وإن قلت، وكان إذا صلى صلاة داوم عليها. [متفق عليه]

وفي رواية لمسلم: «كان لا يصوم من السنة شهرًا تامًا إلا شعبان يصله برمضان».

قال بعض أهل العلم: إما أن يُحمل قول عائشة في صيام شعبان كله على المبالغة، والمراد أنه كان يصوم الأكثر، وإما أن يجمع بين النصوص على أن قولها الثاني متأخر عن قولها الأول، فأخبرت عن أول أمره أنه كان يصوم أكثر شعبان، وأخبرت ثانيًا عن آخر أمره أنه كان يصومه كله، وقيل: المراد أنه كان يصوم من أوله تارة، ومن آخره أخرى، ومن أثنائه طورًا فلا يخلي شيئًا منه من صيام، ولا يخص بعضه بصيام دون بعض.

ونقل الترمذي عن ابن المبارك أنه قال: جائز في كلام العرب إذا صام أكثر الشهر أن يقول صام الشهر كله، ويقال: فلان قام ليلته أجمع، ولعله قد تعشى واشتغل ببعض أمره.

السرر هي الأيام الأواخر من الشهر سميت بذلك لاستسرار القمر فيها وهي ليلة ثمان وعشرين وتسع وعشرين وثلاثين.

وقيل: سرر الشهر أوله، وقيل: وسط الشهر لأن السرر جمع سرة وسرة الشيء أوسطه، ويؤيده الندب إلى صيام البيض وهي وسط الشهر ولأنه لم يرد في صيام آخر الشهر ندب، بل ورد فيه نهي خاص وهو صيام آخر شعبان لمن صامه لأجل رمضان.

وفي الصحيحين عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ أنه سأله فقال: هل صمت من سرر هذا الشهر شيئًا، يعني شعبان؟ فقال: لا، قال: فإذا أفطرت فصم يومين. [اللفظ لمسلم]

ويتبين من جمع روايات هذا الحديث أن السؤال وقع في رمضان، والمسئول عنه سرر شعبان، ولهذا قال في آخره: «فإذا أفطرت» يعني من رمضان فصم يومين عوضًا عن سرر شعبان.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: لا يتقدمن أحدكم رمضان بصوم يوم أو يومين إلا أن يكون رجل كان يصوم صومه فليصم ذلك اليوم. [رواه البخاري]

في شعبان

بقلم/
الرئيس العام

قال العلماء: معنى الحديث لا تستقبلوا رمضان بصيام على نية الاحتياط لرمضان.

وقال الترمذي بعد أن أخرج الحديث: العمل على هذا عند أهل العلم كرهوا أن يتعجل الرجل بصيام قبل دخول رمضان لمعنى رمضان، ومثل هذا حديث عمار بن ياسر في صيام يوم الشك ولفظه: «من صام اليوم الذي يشك فيه فقد عصى أبا القاسم ﷺ». وكذلك الحديث الذي أخرجه أصحاب السنن وصححه ابن حبان وغيره عن أبي هريرة مرفوعًا: «إذا انتصف شعبان فلا تصوموا».

وقد قال بعض الشافعية: يحرم تقدم رمضان بصوم يوم أو يومين، ويكره التقدم من نصف شعبان للحديث الآخر، وجمهور العلماء يجوزون الصوم تطوعًا بعد نصف شعبان ويضعفون الحديث.

ولكن ما الحكمة في إكثار النبي ﷺ من صوم شعبان؟

قيل: كان ينشغل عن صوم الثلاثة أيام من كل شهر لسفر أو غيره فتجتمع فيقضيها في شعبان، وقد روى في ذلك حديث ضعيف.

وقيل: كان يصنع ذلك لتعظيم رمضان، وروى في ذلك حديث ضعيف أيضًا، وقيل: كان يكثر من الصوم في شعبان لما يفوته من التطوع في رمضان، فصيام رمضان فريضة، والنبي ﷺ ما كان يخلي شهرًا من الشهور من صيام تطوع، إلا رمضان فلا تطوع فيه، فكان يكثر من صوم شعبان لما يفوته من التطوع في رمضان.

وأصح ما قيل في ذلك أنه شهر يغفل عنه الناس بين رجب ورمضان كما في حديث النسائي وأبي داود وابن خزيمة عن أسامة بن زيد قال: قلت: يا رسول الله، لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان؟ قال: «ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان، وهو شهر تُرفع فيه الأعمال إلى رب العالمين، فأحب أن يُرفع عملي وأنا صائم».

يجوز تأخير القضاء لمن أفطر في رمضان لعذر إلى شعبان، ويحرم تأخير القضاء بعد ذلك لغير عذر شرعي.

وقد كان نساء النبي ﷺ يؤخرن صيام الأيام التي يفطرنها من رمضان حتى يجيء شعبان فيقضينها فيه وذلك لحاجة رسول الله ﷺ.

ففي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان يكون عليَّ الصوم من رمضان فما أستطيع أن أقضيه إلا في شعبان.

وقد كان النبي ﷺ يكثر الصوم في شعبان، فلذلك كان لا يتهيأ لها القضاء إلا في شعبان لتصوم معه ﷺ.

ورد في فضل هذه الليلة وهي الليلة الخامسة عشر من شعبان أحاديث رواها أصحاب السنن كالترمذي وابن ماجه وأحمد وهي أحاديث ضعاف باتفاق أهل العلم، وقد قوى بعضهم بعض هذه الأحاديث بشواهدها.

روى الترمذي عن عائشة قالت: فقدت رسول الله ﷺ ليلة فخرجت، فإذا هو بالبقيع، فقال: أكنت تخافين أن يحيف الله عليك ورسوله؟ قلت: يا رسول الله، إني ظننت أنك أتيت بعض نسائك، فقال: «إن الله عز وجل ينزل ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم كلب».

قال أبو عيسى: حديث عائشة لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث الحجاج بن أرطاة.

وسمعت محمدًا- يعني البخاري- يضعف هذا الحديث وقال: يحيى بن أبي كثير لم يسمع من عروة، والحجاج بن أرطاة لم يسمع من يحيى.

قال المباركفوري: ورد في ليلة النصف من شعبان عدة أحاديث مجموعها يدل على أن لها أصلاً، وساق معظم هذه الأحاديث وحكم عليها ما بين منقطع ومرسل وضعيف ولين.

وممن حسن هذه الأحاديث بشواهدها الألباني رحمه الله حيث علق على حديث ابن ماجه: «إن الله تعالى ينزل ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن». فقال: حسن.

وعلى فرض صحة هذه الأحاديث فليس فيها

سوى أن الله عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا فيغفر لعدد كبير من خلقه عدا المشرك والمشاحن.

والعجيب أن أهل البدع يتعلقون بمثل هذه الأحاديث فيؤصلون بدعهم كإحداث تخصيص صيام يوم النصف من شعبان وقيام ليلته وينسون أن التنزل الإلهي إلى السماء الدنيا يكون في كل ليلة كما في الحديث الصحيح:

«ينزل ربنا إلى السماء الدنيا في ثلث الليل الآخر فيقول: هل من مستغفر فأغفر له، هل من داع فأستجيب له، هل من سائل فأعطيه، إلى أن يطلع الفجر».

فهلا تمسكوا بهدي النبي ﷺ في قيام الليل والحرص على وقت السحر ليتعرضوا لهذه البركات.

في موضع للشيعة على شبكة الإنترنت ذكروا:

١- في هذه الليلة تكون زيارة سيدنا أبي عبد الله الحسين عليه السلام فقد روي عن الصادقين عليهم السلام أنهم قالوا: إذا كانت ليلة النصف من شعبان نادى مناد من الأفق الأعلى: زائري قبر الحسين بن علي مغفور لكم، ثوابكم على ربكم ومحمد نبيكم.

ومن لم يستطع زيارة الحسين بن علي عليهما السلام في هذه الليلة فليزر غيره من الأئمة عليهم السلام، فإن لم يتمكن من ذلك أومأ إليهم بالسلام، وأحياها بالصلاة والدعاء.

وقد روي أن أمير المؤمنين عليه السلام كان لا ينام في السنة ثلاث ليال: ليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان، ويقول إنها الليلة التي ترجى أن تكون ليلة القدر، وليلة الفطر ويقول في هذه الليلة يعطى الأجير أجره، وليلة النصف من شعبان، ويقول: في هذه الليلة يفرق كل أمر حكيم.

وقد روي عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام أنه قال: إذا كان ليلة النصف من شعبان أذن الله تعالى للملائكة بالنزول من السماء إلى الأرض، وفتح فيها أبواب الجنان وأجيب فيها الدعاء، فليصل العبد فيها أربع ركعات يقرأ في ركعة فاتحة الكتاب مرة، وسورة الإخلاص مائة مرة، فإذا فرغ منها بسط يديه للدعاء، وقال في دعائه: اللهم إني إليك فقير، وبك عائذ، ومنك خائف، وبك مستجير، رب لا تبدل اسمي، ولا تغير جسمي، وأعوذ بعفوك من عقابك، وأعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ برحمتك من عذابك، إنك كما أثنيت على نفسك، وفوق ما يقول القائلون، صل على محمد وآل محمد، وافعل بي كذا وكذا، ويسأل حوائجه فإن الله تعالى جواد كريم.

وروي أنه من صلى هذه الصلاة ليلة النصف من شعبان غفر الله له ذنوبه، وقضى حوائجه، وأعطاه سؤله.

وهذه البدع التي يروج لها الشيعة ولا أصل لها يروج لها المتصوفة، فقد زعموا أن الليلة التي يفرق فيها كل أمر حكيم هي ليلة النصف من شعبان، والحق الذي لا مراء فيه أنها ليلة القدر التي أنزل الله فيها القرآن بالنص القاطع: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ (٣) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾.

حديث صلاة مائة ركعة بالإخلاص عشر مرات في كل ركعة في ليلة النصف من شعبان موضوع، كما ذكر القاري ونقله صاحب التحفة المباركفوري.

ومما أحدث في ليلة النصف من شعبان الصلاة الألفية مائة ركعة بالإخلاص عشرًا عشرًا بالجماعة، واهتموا بها أكثر من الجمع والأعياد، ولم يأت بها خبر ولا أثر إلا ضعيف أو موضوع، ولا تغتر بذكر صاحب القوت والإحياء وغيرهما.

وأول حدوث لهذه الصلاة ببيت المقدس سنة ٤٤٨هـ، وقد جعلها جهلة أئمة المساجد مع صلاة الرغائب شبكة لجمع العوام، ثم إنه أقام الله أئمة الهدى في سعي إبطالها فتلاشى أمرها وتكامل إبطالها في البلاد المصرية والشامية في أوائل سني المائة الثامنة، وكذلك قام مشايخنا في جماعة أنصار السنة المحمدية بإنكار هذه البدع والتحذير منها.

وقيل: أول حدوث الوقيد- إيقاد السرج والنيران- من البرامكة وكانوا عبدة النار فلما أسلموا أدخلوا في الإسلام ما يموهون أنه من سنن الدين ومقصودهم عبادة النيران.

ومن يطالع مجلة التوحيد منذ نشأتها، وقبلها مجلة الهدي النبوي لسان حال جماعة أنصار السنة المحمدية يجد المقالات العديدة التي تحذر الناس من البدع عامة، وهذه البدع بوجه خاص ولا أريد أن أخص شيخًا بعينه، فكلهم قاموا ناصرين للسنة قامعين للبدعة، رحمهم الله رحمة واسعة.

والحمد لله رب العالمين

من فضائل

الحمد لله رب العالمين ، جعل الصيام جُنَّة وخصص للصائمين بابًا في الجنة ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .. وبعد :

روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : «كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به ، والصيام جنة وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحدٌ أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم ، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، للصائم فرحتان يفرحهما؛ إذا أفطر فرح ، وإذا لقي ربه فرح بصومه».

الصيام جُنَّة

أي وقاية وسترة ، وقد ورد في كثير من الروايات ما يفيد أنه وقاية من النار ، مثل : «الصيام جُنة وحصن حصين من النار». رواه أحمد ، وعنه : «الصيام جُنة ما لم يخرقها». زاد الدارمي : «يخرقها بالغيبة». قال القرطبي: الصيام جنة بحسب مشروعيته ، فينبغي للصائم أن يصونه مما يفسده وينقص ثوابه وإليه الإشارة بقوله : «فلا يرفث ولا يجهل» ، ويصح أن يقال هو سترة بحسب فائدته وهو إضعاف شهوات النفس وإليه الإشارة بقوله : «يدع شهوته من أجلي». وفي الحديث الذي رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ: «من صام يومًا في سبيل الله باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفًا» أي سبعين عامًا ، وهذا يبين كيف أن الصوم جنة من النار .

وفي زيادة الدارمي عن أبي عبيدة : «يخرقها بالغيبة» إشارة إلى أن الغيبة تضر بالصيام ، وقد حكي عن عائشة ، وبه قال الأوزاعي: إن الغيبة تفطر الصائم وتوجب عليه قضاء اليوم .

وأفرط ابن حزم فقال : يبطله كل معصية من تعمد لها ذاكرًا لصومه سواء كانت فعلاً أو قولاً لعموم قوله : «فلا يرفث ولا يجهل». وعبارة ابن حزم : ويبطل الصوم تعمد كل معصية إذا فعلها عمدًا ذاكرًا لصومه كمباشرة من لا يحل له من أنثى أو ذكر أو إتيان في دبر امرأته أو أمته أو كذب أو غيبة أو نميمة أو تعمد ترك الصلاة أو ظلم أو غير ذلك مما حرم فعله ، وبرهان ذلك قوله ﷺ : «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه». وما روي أن النبي ﷺ أتى على امرأتين صائمتين تغتابان الناس ، فقال لهما : قيئا فقاءتا قيحًا ودمًا ولحمًا عبيطًا ، ثم قال ﷺ: «إن هاتين صامتا عن الحلال وأفطرتا على الحرام».

ويؤيد هذا ما روي عن بعض السلف الصالح، فعن عمر رضي الله عنه : «ليس الصيام من الشراب والطعام وحده ولكنه من الكذب والباطل واللغو». وعن علي رضي الله عنه مثل ذلك .

وعن جابر رضي الله عنه : «إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمأثم ودع أذى الخادم وليكن عليك وقار وسكينة يوم صيامك ولا تجعل يوم فطرك ويوم صومك سواء». وعن أبي ذر رضي الله عنه : «إذا صمت فتحفظ ما استطعت». وكان طليق بن قيس إذا كان يوم صيامه دخل فلم يخرج إلا إلى صلاة ، وكان أبو هريرة وأصحابه إذا صاموا جلسوا في المسجد وقالوا : نطهر صيامنا.

فهؤلاء من الصحابة يرون بطلان الصوم بالمعاصي لأنهم خصوا الصوم باجتنابها وإن كانت حرامًا على المفطر أيضًا، فلو كان الصيام تامًا بها ما كان لتخصيصهم الصوم بالنهي عنها معنى ولا يُعرَف لهم مخالف من الصحابة رضي الله عنهم.

عن ميمون بن مهران : «إن أهون الصوم ترك الطعام والشراب». وعن النخعي : «كانوا يقولون : الكذب يفطر الصائم».

وقد روى الدارمي مثله عن أبي عبيدة رضي الله عنه ، فمن تعمد شيئًا من هذه المعاصي ذاكرًا لصومه بطل صومه، وقال البعض : إنما يبطل أجره لا صومه .

والحق أن كل عمل أحبط الله أجر عامله، فإنه تعالى لم يحتسب له بذلك العمل شيئًا ، وهذا البطلان بعينه . اهـ بتصرف «المحلى» (ج٦ ص١٧٧) وما بعدها .

وخلاصة كلام ابن حزم أن المتلبس بالطاعة لا يحل له أن يتلبس في نفس الوقت بالمعصية فإذا تعمد فعل المعصية بطلت الطاعة ولك أن تتصور إنسان يصلي ويقترف أثناء صلاته معصية عمدًا كسرقة أو نظر إلى محرم أو غيبة أو نميمة ... إلخ هل تصح صلاته وكذلك معتكف في مسجد أو محرم في حج أو عمرة يتعمد أن

الصـــــوم

إعداد
د. جمال المراكبي

يفعل مثل هذه المعصية فهل تصح طاعته.

إذا كانت الطاعة لا تصح إذا تعمد فيها فعل المعصية فإن هذا يتضح في الصوم أكثر من غيره من الطاعات .

وهنا نتساءل : ما حكم الذي يصوم ولا يصلي؟ إنه يتعمد ترك الصلاة عالمًا بالحكم ذاكرًا لصومه ، قد اقترف كبيرة من الكبائر كالزنى وغيره ، وهذه الكبيرة كافية لإبطال صومه.

وفي قول النبي ﷺ جُنّة - أي من النار - بيان لفضل الصوم على سائر العبادات والطاعات .

قال ابن عبد البر : كفى الصوم فضلاً أن يكون جنة من النار وكفى الصوم فضلاً أن يقول الله فيه : «فإنه لي» ، وقد قال النبي ﷺ لأبي أمامة : عليك بالصوم فإنه لا مثل له ، وفي رواية : لا عِدل له . رواه النسائي بسند صحيح .

وتكمن فضيلة الصوم في أنه امتناع عن المباحات والحلال بعكس سائر العبادات والأوامر والنواهي التي تتضمن فعل المباح والحلال واجتناب المحرمات .

فإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل : إني صائم. أي لا يجاريه في سبابه وقتاله وفحشه لأنه قد حرم عليه فعل القبائح فلا يرفث ولا يجهل حتى وإن جُهل عليه بل يتذكر دائمًا أن صومه أفضل عنده من كل شيء ، فلا يدفع عن نفسه السباب والقتال بمثله وإنما يُذكر نفسه ويُذكر خصمه بربه ، وبصومه فيقول : إني صائم .

وقد اختلف العلماء هل يرددها في نفسه أم يتكلم بها يُسمع بها خصمه والراجح أنه يقولها في نفسه إن كان صومه تطوعًا خوفًا من الرياء- ويقولها بلسانه يزجر بها خصمه إن كان صومه فرضًا ، وزعم ابن عبد البر أن الخلاف في التطوع دون الفرض لأنه في الفرض يقولها بلسانه بلا خلاف .

خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك:

الخلوف بضم الخاء واللام وهو الصحيح وينطقها الكثيرون بفتح الخاء وهو خطأ ، نص على ذلك عياض والخطابي والنووي وحكى القابسي الوجهين.

واتفقوا على أنه تغير رائحة فم الصائم بسبب الصيام ومعلوم أن هذه الرائحة تكون مكروهة عند الآدميين ولكنها عند الله أطيب من ريح المسك عند بني آدم ، وهي عند الملائكة أيضًا أطيب من ريح المسك عند بني آدم وذهب البعض إلى أن رائحة الخلوف أكثر ثوابًا من المسك المندوب إليه في الجمع ومجالس الذكر ، ورجحه النووي ، وذهب آخرون إلى أن رائحة الخلوف تكون يوم القيامة أفضل من ريح المسك، فالله تعالى يجزي الصائم في الآخرة فتكون نكهته أطيب من ريح المسك كما يأتي الشهيد وريح جرحه تفوح مسكًا يوم القيامة ، ويؤيد ذلك ما جاء في رواية مسلم وأحمد والنسائي: «أطيب عند الله يوم القيامة من ريح المسك» . وذهب غيرهم إلى أن ذلك في الدنيا كابن الصلاح ، وطيب رائحة فم الصائم دليل على رضا الله عنه وثناؤه عليه ، وأصل أفضلية الخلوف ثابت في الدنيا والآخرة بالنصوص ويترتب على الخلاف السابق - وهو كَوْن الخلوف في الدنيا أو في الآخرة - خلاف آخر بين العلماء حول استعمال السواك بعد الزوال للصائم، فأباحه البعض وكرهه الآخرون لأنه يزيل رائحة الخلوف.

قال النووي : واحتج أصحابنا بهذا الحديث على كراهة السواك للصائم بعد الزوال لأنه يزيل رائحة الخلوف التي هي صفته وفضيلته وإن كان السواك فيه فضل أيضًا إلا أن فضيلة الخلوف أعظم ، وقالوا : كما أن دم الشهداء مشهود له بالطيب ويترك له غسل الشهيد مع أن غسل الميت واجب فإذا ترك الواجب للمحافظة على بقاء الدم المشهود له بالطيب فترك السواك الذي ليس بواجب للمحافظة على بقاء الخلوف المشهود له بذلك أولى .

«يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي» . وفي رواية الموطأ : «إنما يذر شهوته وطعامه وشرابه» . ولم يصرح بنسبته إلى الله للعلم به .

وقد روى أحمد هذا الحديث من طريق مالك أيضًا ، وجاء في آخره : يقول الله عز وجل : «إنما يذر شهوته وطعامه وشرابه من أجلي». ورواه البخاري في الرواية الثانية ، وفي أوله: «قال الله : كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به».

في قوله : «إنما يذر طعامه وشرابه وشهوته من أجلي» تنبيه على الجهة التي بها يستحق الصائم ذلك الفضل وهو الإخلاص ، فمن يترك طعامه وشرابه طلبًا للصحة لما يفعل الكثير اليوم «الريجيم» أو لفقر وقلة حاجة ، وغير ذلك لا يكون صائمًا لله ولا تحصل له فضيلة الصوم وثوابه، لذلك قال الله سبحانه وتعالى «من أجلي» ليحرص العبد على تحصيل الإخلاص من صومه فيكون تركه للطعام والشراب والشهوة مع وجود الداعي إليها والرغبة فيها لأجل الله عز وجل وطلبًا لمثوبته .

ومن هنا استنبط العلماء أن الذي جاهد نفسه

وشهوته أثناء صومه أفضل من الذي لم يتعرض لهذه الشهوات أصلاً ، فعلى قدر المشقة وجهاد النفس يكون الأجر ، فصوم المتيقظ الذي يجاهد شهواته أفضل من صوم النائم وإن كان صوم هذا الأخير صحيحًا أيضًا .

«كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به» . اختلف العلماء في ذلك ، أليست كل الأعمال - الطاعات - لله تعالى وهو يجزي بها؟ فلم اختص الصيام بذلك ؟

١- اختص الله تعالى الصيام بذلك لأنه لا يقع فيه الرياء كغيره من الأعمال وأعمال البر كلها لله وهو الذي يجزي بها وهو إنما اختص الصوم بذلك لأنه ليس يظهر من ابن آدم بفعله وإنما هو شيء في القلب ، ويؤيد ذلك ما روي أن النبي ﷺ قال : «ليس في الصوم رياء».

قال القرطبي : لما كانت الأعمال يدخلها الرياء، والصوم لا يطلع عليه بمجرد فعله إلا الله فأضافه الله إلى نفسه ، فجميع أفعال العباد يمكن دخول الرياء فيها ، وقلما تسلم منه ، فأضيفت إليهم بخلاف الصوم فهو إمساك وامتناع وحال الممسك شبعًا مثل حال الممسك تقربًا لا يميز ذلك إلا الله عز وجل .

وإذا كان الرياء لا يدخل الصوم بمجرد فعله فإنه قد يدخله بالقول ، لذلك استحب البعض للصائم تطوعًا ألا يتلفظ بلسانه بقوله : «إني صائم» كما بيناه من قبل .

٢- وقد يراد بقول الله : «الصيام لي وأنا أجزي به» . أي : أني أنفرد بعلم مقدار ثوابه وأما غيره من العبادات فقد اطلع عليها بعض الناس ، فالأعمال قد كشفت مقادير ثوابها للناس وأنها تضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، إلا الصوم فإن الله يثيب عليه بغير حساب ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾، والصابرون : هم الصائمون ، والصوم هو الصبر في أكثر الأقوال، فثواب الصوم لا يعلمه إلا الله ، وهذا واضح من قوله : «كل عمل ابن آدم له، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به» . والكريم إذا قال : أنا أتولى الإعطاء بنفسي كان في ذلك إشارة إلى تعظيم ذلك العطاء .

ولكن يضعف هذا الوجه قول النبي ﷺ : «من صام يومًا في سبيل الله باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفًا» . ولكن قد يكون الإبعاد - عن النار سبعين خريفًا هو أحد وجهي الثواب أما الوجه الآخر للثواب وهو الإعطاء فلا يعلمه ولا يقدره إلا الله.

الصوم من أحب العبادات إلى الله تعالى

ويستفاد من قوله تعالى : «الصوم لي» أنه أحب العبادات إلى الله وقد تقدم الحديث : «عليك بالصوم فإنه لا عدل له أو لا مثل له»، وتقدم قول ابن عبد البر : كفى بقوله الصوم لي فضلاً على سائر العبادات ولكن يعكر على ذلك قول النبي ﷺ : «واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة» .

ولا يغيب أن إضافة الصوم إلى الله فيها من التشريف والتعظيم كما يقال عن المسجد الحرام بيت الله وإن كانت المساجد كلها بيوت لله .

وقول الله : «الصوم لي» لأن العبد الصائم يتقرب إلى الله تعالى بصفة من صفات الملائكة - لا يأكلون ولا يشربون ولا يتناكحون ، وكذلك بصفة من صفات الله تعالى فهو تعالى لا يحتاج لأكل أو نحوه بل هو قيوم السماوات والأرض ليس كمثله شيء .

وسبب إضافة الصيام إلى الله أنه لم يُعبد به غير الله تعالى، وكل إله باطل يتقرب إليه عابدوه بالصلاة والقرابين وغير ذلك ، ولكن لا يتقربون إليه إلا أمامه وبحضرته ولا يتقربون إليه بصوم.

وللصوم خصوصية أخرى أن جميع العبادات تُوَفَّى منها مظالم العباد إلا الصيام . قال سفيان بن عيينة : إذا كان يوم القيامة يحاسب الله عبده ويؤدي ما عليه من المظالم من عمله حتى لا يبقى له إلا الصوم فيتحمل الله ما بقي عليه من المظالم ويدخله الجنة بالصوم، ولكن يعكر على ذلك حديث : أتدرون من المفلس ؟ ففيه أن الصوم كغيره من العبادات والطاعات يؤدي منها مظالم العباد .

قال ابن حجر : إن ثبت قول ابن عيينة أمكن تخصيص الصيام من ذلك .

وأخيرًا فالصيام قد لا يظهر فتكتبه الحفظة كما تكتب سائر الأعمال ، لذا قال الله : «الصوم لي وأنا أجزي به» . واتفق العلماء على أن المراد بالصوم هنا هو الصوم الصحيح السالم من المعاصي قولاً وفعلاً .

للصائم فرحتان : «إذا أفطر فرح» أي : بزوال تعبه وجوعه وعطشه وبتمام عبادته ، «وإذا لقي ربه فرح بصومه» أي : لما يجده من ثواب عند الله .

الريان للصائمين : وقد اختص الله الصائمين بباب من أبواب الجنة هو الريان ، قال ﷺ : «إن في الجنة بابًا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه غيرهم يقال : أين الصائمون ؟ فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد» .

فهلم - أيها المسلم الكريم - إلى باب الصلاة وباب الصيام وباب الصدقة وباب الجهاد وغيرها من الأبواب قد فتحها الله في رمضان وغلق أبواب النار وصفد مردة الشياطين ، فليس لك من عذر.

ويا من اتبعت غير سبيل المؤمنين فليس لك إلا النار ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ وبُعْدًا عن الله من أدرك رمضان ولم يغفر له .

ظهور الإسلام

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه، وبعد:

فقد خلق الله عباده حنفاء موحدين، خلق آدم بيده، علمه الأسماء كلها، أمر الملائكة بالسجود له تشريفًا وتعظيمًا، وأسكنه الجنة يأكل منها حيث شاء، ثم عاقبه بالخروج منها حين عصاه، ليتعلم درس الطاعة والانقياد لله عز وجل، ويعلم أن الشيطان عدوٌ له ولولده فيتخذونه عدوًا، ثم ألهمه التوبة فتاب عليه وهداه إلى صراط مستقيم، وأخذ الله العهد على بني آدم وهم في عالم الذر في صلب أبيهم أن يعبدوه وحده لا شريك له، وأشهدهم على أنفسهم فشهدوا وأقروا.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (١٧٢) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ (١٧٣) وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

ولكن الشيطان لعنه الله توعد بني الإنسان بالإضلال، فقال: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [ص٨٢- ٨٣]، ﴿وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا (١١٨) وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾ [النساء: ١١٨، ١١٩].

وقد نجح الشيطان في إغواء بني آدم وإضلالهم وحملهم على أن أشركوا بالله وعبدوا غيره، ولكن الله عز وجل أرسل المرسلين مبشرين ومنذرين وأيدهم بالمعجزات والبراهين، وأهلك الكافرين المعاندين.

روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس قال: صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد، أما ودٌ فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع فكانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجوف عند سبأ، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع، أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا، وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تُعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عُبدت.

[البخاري كتاب تفسير القرآن حديث رقم ٤٥٣٩]

فتذرع الشيطان - لعنه الله - إلى إغواء بني آدم وتسلل من باب حب الصالحين وتعظيم الصالحين، حتى عبد قوم نوح جماعة من الصالحين الموحدين، فلما دعاهم نوح إلى عبادة الله وحده لا شريك له رفضوا ﴿وَقَالُوا لاَ تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلاَ تَذَرُنَّ وَدًّا وَلاَ سُوَاعًا وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾.

فأرسل الله عليهم الطوفان فأهلكهم ولم ينج إلا نوح والذين آمنوا معه، ومع كل هذا استطاع الشيطان أن يفتح عليهم أبواب الضلالة بعد الهدى، حتى صارت هذه الأصنام عند العرب قبل بعثة النبي ﷺ. فبعث الله محمدًا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون.

وفي صحيح مسلم يقول النبي ﷺ في إحدى خطبه: «إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم،

رغم كيد أولياء الشيطان

إعداد/ د. جمال المراكبي
الرئيس العام

وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرَّمتْ عليهم ما أحللتُ لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانًا. وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب، وقال: إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك، وأنزلت عليك كتابًا لا يغسله الماء تقرؤه نائمًا ويقظان». [الحديث عند مسلم برقم ٥١٠٩: الجنة وصفة نعيمها]

فنهى النبي محمد ﷺ عن الشرك بالله، وسد كل سبيل يوصل إليه، وقاتل بمن أطاعه من المؤمنين من عصاه من الكافرين حتى أظهره ربه، وحطم الأصنام والأوثان في جزيرة العرب وهو يتلو قول ربه: ﴿وَقُلْ جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ إِنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾، ودخل الإسلام كل بيت بعز عزيز أو بذل ذليل، ودانت البشرية بظهور الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، وسقطت بلاد كسرى وقيصر، ولكن الشيطان تسلل إلى أبناء خير القرون من أمة محمد ﷺ ففرقهم شيعًا وزين لهم البدعة والضلالة حتى وقع بعضهم في الشرك كبيره وصغيره.

ذكر لي الشيخ عبد القادر شيبة الحمد- حفظه الله ونفع به- وهو من أعلام علماء السنة ومن مشايخ أنصار السنة المحمدية الذين صحبوا الشيخ محمد حامد الفقي رحمه الله أنه ذهب إلى بلاد النوبة في مصر داعيًا إلى الله، فوجد الناس يرددون بعد كل صلاة بصوت مسموع، وبخشوع وخضوع:

إذا كنت في هم وغم فنادني
أيا مرغني أنجيك من كل ضيقة
فاسمي مكتوبٌ على ساق عرشه
وفي اللوح محفوظ فاتقن عبادتي

فرد الشيخ هذه الفرية وسجل ذلك في قصيدة عصماء، فانظر أخي القارئ إلى هذا الشرك الجلي يردده بعض المسلمين في مساجدهم وفي صلواتهم بدعوى تعظيم الصالحين ومحبتهم، فكم جرَّتْ هذه الدعوى عل المسلمين من بلاء وصرفتهم عن صحيح دينهم إلى بدع ما أنزل الله بها من سلطان.

لقد استغل الكثيرون من دعاة الضلالة مناخ الجهل الذي ساد في كثير من بلاد المسلمين فزينوا للناس بدعًا ما أنزل الله بها من سلطان، وزعموا لأنفسهم مقامات ما وصل إليها أحد من العالمين، وزعموا أنهم يتصرفون في الكون ونسوا أن سيد ولد آدم أجمعين ﷺ يقول بوحي من الله: ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾. ﴿قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلاَ أَعْلَمُ الغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ (٥٠) وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ٥٠- ٥١].

ولكن هؤلاء الدجاجلة يزعمون لأنفسهم ولأوليائهم ما هو أعظم.

ذكر الشعراني في الطبقات (ص١٥٧ ج١) عن الدسوقي صاحب القبر المشهور بمدينة دسوق والمسجد والمولد الذي يرتاده الملايين: وكان رضي الله عنه يقول:

أنا موسى عليه السلام في مناجاته.
أنا علي رضي الله في حملاته.
أنا كل ولي في الأرض خلعته بيدي، ألبس منهم من شئت أنا في السماء شاهدتُ ربي، وعلى الكرسي خاطبته.
أنا بيدي أبواب النار غلقتها وبيدي جنة الفردوس فتحتُها من زارني أسكنته جنة الفردوس.
واعلم يا ولدي أن أولياء الله تعالى الذين لا

خوف عليهم ولا هم يحزنون متصلون بالله، وما كان ولي متصل بالله تعالى إلا وهو يناجي ربه كما كان موسى يناجي ربه، وما من ولي إلا ويحمل على الكفار كما كان عليٌّ رضي الله عنه يحمل.

وقد كنتُ أنا وأولياء الله تعالى أشياخًا في الأزل، بين يدي قديم الأزل، وبين يدي رسول الله ﷺ وأن الله عز وجل خلقني من نور رسول اللَّه ﷺ.

وأمرني أن أخلع على جميع الأولياء بيدي فخلعتُ عليهم بيدي.

وقال لي رسول اللَّه ﷺ: يا إبراهيم، أنت نقيبٌ عليهم فكنت أنا ورسول الله ﷺ، وأخي عبد القادر خلفي وابن الرفاعي خلف عبد القادر.

ثم التفت إليَّ رسول اللَّه ﷺ وقال لي: يا إبراهيم سر إلى مالِكْ وقل له يغلق النيران، وسر إلى رضوان وقل له يفتح الجنان، ففعل مالك ما أُمر به، وفعل رضوان ما أمر به.

وأطال في معاني هذا الكلام، ولم يكمل الشعراني الكلام بل اعتذر بقوله وهذا الكلام من مقام الاستطالة، تُعطي الرتبة صاحبها أن ينطق بما ينطق، وقد سبقه إلى نحو ذلك الشيخ عبد القادر وغيره، فلا ينبغي مخالفته إلا بنص صريح والسلام. اهـ.

فانظر إلى هذا الكلام، وسل نفسك هل ادعى رسول اللَّه ﷺ مثل هذا، وماذا بقي لله من الملك وهو مالك كل شيء ورب كل شيء، سبحانه وتعالى عما يشركون.

قال الشعراني: وقد كان سهل بن عبد الله التستري يقول: أعرف تلامذتي من يوم ألستُ بربكم، وأعرف من كان في هذا الموقف عن يميني، ومن كان عن شمالي، ولم أزل من ذلك اليوم أربي تلامذتي وهم في الأصلاب لم يحجبوا عني إلى وقتي هذا. وكان يقول: أشهدني ربي ما في العلا وأنا ابن ست سنين ونظرت في اللوح المحفوظ وأنا ابن ثمان سنين، وفككت طلسم السماء وأنا ابن تسع سنين، ورأيت في السبع المثاني حرفًا معجمًا حار فيه الجن والإنس ففهمته وحمدت الله على معرفته، وحركتُ ما سكن، وسكنت ما تحرك وأنا ابن أربع عشرة سنة.

وطبعًا مثل هذا لا يعجب أتباع البدوي فينتحلون لسيدهم ما هو أعظم من ذلك فكل الأولياء يحضرون مولده ويدينون له، وذكر الشعراني أنه اجتمع بولي من أولياء الهند بمصر المحروسة فقال: ضيفوني فإني غريب- وكان معه عشرة أنفس- فصُنِعَ له فطير وعسل فأكل، فقلت له: من أي البلاد؟ فقال: من الهند. فقلت: ما حاجتك في مصر؟ فقال: حضرنا مولد سيدي أحمد. فقلت له: متى خرجت من الهند؟ فقال: خرجنا يوم الثلاثاء فنمنا ليلة الأربعاء عند سيد المرسلين ﷺ وليلة الخميس عند الشيخ عبد القادر ببغداد وليلة الجمعة عند سيدي أحمد بطنتدتا (طنطا)، قال: فتعجبنا من ذلك، فقال: الدنيا كلها خطوة عند أولياء الله عز وجل.

قال: واجتمعنا يوم السبت انفضاض المولد طلعة الشمس فقلنا لهم: من عرفكم بسيدي أحمد في بلاد الهند؟ فقالوا: يا لله العجب، أطفالنا الصغار لا يحلفون إلا ببركة سيدي أحمد وهو من أعظم أيمانهم، وهل أحد يجهل سيدي أحمد؟ إن أولياء الله ما وراء البحر المحيط وسائر البلاد والجبال يحضرون مولده، وذكر أن شخصًا أنكر حضور مولد البدوي، فسُلب الإيمان فلم يكن فيه شعرة تحن إلى دين الإسلام، فاستغاث بسيدي أحمد، فقال: بشرط ألا تعود. فقال: نعم. فَرَدَّ عليه ثوب إيمانه، ثم قال له: وماذا تنكر علينا؟ قال: اختلاط الرجال والنساء. قال: ذلك واقع في الطواف ولم يُمنع أحد منه، ثم قال: وعزة ربي ما عصى أحد في مولدي إلا وتاب وحسنت توبته، وإذا كنت أرعى الوحوش والسمك في البحار وأحميهم من بعضهم بعضًا أفيعجزني الله عز وجل عن حماية من يحضر مولدي.

فانظر أخي المسلم إلى ما يزعم هؤلاء، وما نقلنا إلا من أقدس كتبهم، إنها الدعوة إلى هدم التوحيد، ودعاء غير الله عز وجل، بينما رسول اللَّه ﷺ يعلمنا: «احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف».

والحمد لله رب العالمين

نعيم الدنيا

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد:

فمنذ أخرج الله آدم من الجنة، والإنسان في سعي دائم وبحث مستمر عن هذه الجنة.

لقد أُخرج آدم من الجنة بسبب ذنب واحد، لتتعلم الذرية أن المعاصي والذنوب تحول بين الإنسان وبين ما يؤمله ويرجوه من الخير، لقد خرج آدم من الجنة وأُهبط إلى الأرض على وعد وأمل أن يعود إليها بعد أن تاب الله عليه وأسكنه دار البلاء والاختبار إلى حين.

قال الله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٣٥) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (٣٦) فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣٧) قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٥- ٣٩].

ولا شك أن آدم كان يحن إلى الجنة ويتشوق إليها، فتلقى منهج الهداية وعض عليه بالنواجد ودعا إليه ذريته، ولكن الشيطان قعد لهم على الصراط المستقيم، فأضل منهم خلقًا كثيرًا.

قال الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [الحجرات: ٣٩- ٤٠]، ﴿فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٦- ١٧]

وكل إنسان فيه ذرة من أبيه آدم، فهو يحن إلى المنزل الذي عرفه أبوه ويتشوق إليه.

ولكن بعض الناس ينسون هذا كله ويعرضون عن منهج الهداية ويعتقدون أنهم يستطيعون تحقيق هذه الأمنية على الأرض، فكان حلم الفلاسفة بالمدينة الفاضلة، وأحلام الماديين بتحقيق الرفاهية، ولا شك أن الإنسان قد وصل في تقدمه إلى تحقيق ما لم يكن يحلم به من الرفاهية ولكنه مع ذلك ظل متطلعًا إلى المزيد، ولا يجد راحة ولا سعادة في هذه الحياة الدنيا.

والإنسان في منهجه هذا يتغافل عن حقائق هامة؛ فالجنة من صنع الله الخلاق العظيم، وليست من صنع الإنسان، والجنة هدف لا يمكن الوصول إليه إلا بسلوك طريق واحد واضح المعالم هو عبادة الله وحده لا شريك له وفق ما شرع. والدنيا دار بلاء واختبار، لذا فهي ليست جنة، ولا يمكن أن تكون جنة.

قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا (٧) وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ [الكهف]، ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢].

الدنيا متاع قليل زائل، فنعيم الدنيا زينة غير دائمة وقد كتب الله عليها الفناء، ومع هذا يغتر بها أكثر الناس، قال تعالى: ﴿أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ [التوبة].

زينة وشهوة!!

إعداد
د/ جمال المراكبي
الرئيس العام

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢٤) وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [يونس: ٢٤- ٢٥].

وقال تعالى: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا (٤٥) الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً ﴾ [الكهف: ٤٥- ٤٦].

فالحياة الدنيا وزينتها وما فيها من النعيم لا تعدو أن تكون إلا مرحلة تنتهي بالزوال والفناء كزرع نما واستوى ثم زال وانتهى وأصبح هشيمًا تذروه الرياح.

قال تعالى: ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [الحديد: ٢٠].

ولهذا أمرنا ربنا أن نسابق إلى ما يضمن لنا حياة السعادة والنعيم المقيم، فقال سبحانه: ﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [الحديد: ٢١].

لقد جعل الله نعيم الدنيا زينة وشهوة ولكنه رغب فيما هو أبقى، وقال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤) قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [آل عمران: ١٤- ١٥].

ذكر البخاري أن عمر كان إذا قرأ هذه الآية يقول: اللهم إنا لا نستطيع إلا أن نفرح بما زينت لنا، اللهم إني أسألك أن أنفقه في حقه.

[ذكره البخاري في كتاب الرقاق معلقًا]

ووصله الدارقطني في غرائب مالك عن يحيى بن سعيد أن عمر أُتي بمال من المشرق يقال له نفل كسرى، فأمر به فصُب وغُطي ثم دعا الناس فاجتمعوا، ثم أمر به فكشف عنه، فإذا حليٌ كثير وجوهر ومتاع، فبكى عمر وحمد الله عز وجل. فقالوا له: ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ هذه غنائم غنمها الله لنا، ونزعها من أهلها. فقال: ما فتح من هذا على قوم إلا سفكوا دماءهم واستحلوا حرمتهم.

ثم قال: اللهم إنك قلت: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ ﴾ فتلا الآية حتى فرغ منها ثم قال: اللهم لا نستطيع إلا أن نحب ما زينت لنا، اللهم فقني شره، وارزقني أن أنفقه في حقه، فما قام حتى ما بقي منه شيء.

ونعيم الدنيا لا يُشْبِعُ، فالإنسان يتطلع فيها دائمًا إلى المزيد قال رسول الله ﷺ: «لو أن لابن آدم واديًا من ذهب أحب أن يكون له واديان ولا يملأ فاه إلا التراب ويتوب الله على من تاب».

[البخاري كتاب الرقاق]

فالإنسان إذا لم يستغن بالله، فلن يغنيه نعيم الدنيا وإن حازه بل يشعر بالهم ويرى الفقر ملازمًا له كما روي في الأثر: «من كانت الدنيا همه فرق الله عليه شمله وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له، ومن كانت الآخرة همه، جمع الله عليه شمله وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا

وهي راغمة».

ونعيم الدنيا لا يصفو، فكله تعب وكدر، لا يرى الإنسان فيها راحة، فالغني والفقير، والملك والسوقة، والطائع والعاصي، كل يرى الدنيا دار تعب ونصب وكدر.

وصدق حافظ المغرب ابن عبد البر إذ يقول:

من ذا الذي قد نال راحة فكره
في عمره من عسره أو يسره
يلق الغني لحفظه ما قد حوى
أضعاف ما يلقى الفقير لفقره
فيظل هذا ساخطًا في قله
ويظل هذا تاعبًا في كُره
عم البلاء لكل شمل فرقة
يرمي بها في يومه أو شهره
والجن مثل الإنس يجري فيهمُ
حكم القضاء بحلوه وبمره
ونبي صدق لا يزال مكذبا
يُرمى بباطل قولهم وبسحره
ومحقق في دينه لم يخل من
ضد يواجهه بتهمة كفره
والعالم المفتي يظل منازعًا
بالمشكلات لدى مجالس ذكره
والويل إن زَلَّ اللسان فلا يرى
أحدٌ يساعد في إقامة عذره
أو ما ترى الملك العزيز بجنده
رهن الهموم على جلالة قدره
فيسره خبرٌ وفي أعقابه
شر تضيق به جوانب مصره
وأخو العبادة دهره متنغص
يبغي التخلص من مخاوف قبره
وأخو التجارة حائر متفكر
مما يلاقي من خسارة سعره
وأبو العيال أبو الهموم وحسرة
الرجل العقيم كمينة في صدره
وكل قرين مُضمر لقرينه
حسدًا وحقدًا في غناه وفقره
ولرُب طالب راحةٍ في نومه
جاءته أحلامٌ فهام بأمره
والطفل في بطن أمه يخرج إلى
غصص الفطام تروعه في صغره
والوحش يأتيه الردى في بره
والحوت يأتي حتفه في بحره
ولقد حسدت الطير في أوكارها
فوجدتُ منها ما يُصاد بوكره
كيف التلذذ في الحياة بعيش من
لا زال وهو فُروعٌ في أسره
والله لو عاش الفتى في أهله
ألفًا من الأعوام مالك أمره
متنعمًا معهم بكل لذيذةٍ
متلذذًا بالعيش طيلة عمره
لا يعتريه النقص في أحواله
كلا ولا تجري الهموم بفكره
وما كان ذلك كله مما يفي
بنزول أول ليلة في قبره
كيف التخلص يا أخي مما ترى
صبرًا على حلو القضاء ومره[1]

إن نعيم الدنيا لا يقارن بنعيم أعده الله للمؤمنين في الجنة «فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»، «ينادي منادٍ إن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدًا وإن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدًا، وإن لكم أن تنعموا فلا تبئسوا أبدًا». فذلك قوله سبحانه وتعالى وتقدس: ﴿وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ رواه مسلم.

فانظر رحمك الله إلى حالك، هل أنت من أبناء الدنيا أم من أبناء الآخرة، واعلم أن حديثي هذا لا يعني ترك الدنيا وإعمارها، ولا يعني الزهد فيها على طريقة أهل البدع، وإنما أن تكون الآخرة في قلوب المؤمنين، ولا يغتروا بما في الدنيا من نعيم زائل وفتنة وشهوة.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

ارتحلت الدنيا مدبرة، وارتحلت الآخرة مقبلة، ولكل واحدة منها بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عملٌ ولا حساب، وغدًا حساب ولا عمل.

[ذكره البخاري معلقًا في كتاب الرقاق من صحيحه]

والحمد لله رب العالمين

---

(١) وقفت على هذه القصيدة في لقاء مع الشاعر الكبير الرويشد حفظه الله تعالى بالملحقية الثقافية السعودية.

الله أكبر

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد:

فإن الحالة المزرية التي تمر بها الأمة المسلمة من ضعف وتخاذل، وقد تكالبت عليها أمم الأرض وتداعت كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها، والأمة على كثرة عددها ومواردها أبعد ما تكون عن القوة والريادة، لا شك أن حالة الغثائية هذه تملأ قلوب بعض المؤمنين باليأس والجزع، فكيف بالمرجفين وأفراخ المنافقين من دعاة التغريب والعلمانية الذين يهللون لما تطرحه القوى العظمى من تصورات وأطروحات لمستقبل العرب والمسلمين.

إنهم يتعرضون لثوابت هذا الدين، يريدون أن يبدلوا ويغيروا، لأن الخطاب الديني أصبح لا يلائمهم ولا يعجبهم، فيشتاطون منه غضبا والأقوى والأعظم يملي عادةً شروطه ويفرض على المقهورين حلوله.

وأرباب البدع من المسلمين قد قويت شوكتهم وأصبح لبعضهم دول وأحزاب تتبنى منهجهم وتدفع عنهم وتروج لبدعهم، وتبث ذلك علنا في المطبوعات والقنوات الإذاعية والتليفزيونية.

وقنوات العرى والفجور تفسح في برامجها مساحة للتدين الملائم لمن يستقبلون هذه القنوات من عوام المسلمين، فيرضون بهذا الواقع المهين، فليس في الإمكان أبدع مما كان.

وقنوات التبشير صارت تهاجم المسلمين في عقائدهم وتسب دينهم ونبيهم وتدعو المسلمين في وقاحة إلى البحث والتأمل في العقائد الخربة والمنحرفة، ومراجعة بعض ما يعرفون من ثوابت عرفوها وعقائد تربوا عليها.

والفئة المؤمنة التي تسعى إلى الاعتصام بالله، وتتعلم علوم الدين وتدعو إليه، وتعض عليه بالنواجذ تتهم بالتطرف والإرهاب وتتحمل ضريبة تصرفات جماعات العنف المنحرفة عن الصواب، ولا تخلو من شقاق وصراع وتنابز بالألقاب.

ومع كل ما نحن فيه من واقع أليم ومهين، فإننا نرجوا من الله نصرًا وتأييدًا وتثبيتا، ولا نرضى باليأس والذل والخنوع، ألا إن نصر الله قريب، وإن وعد الله لآت «ولن تزال طائفة من هذه الأمة ظاهرين على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك».

الله أكبر وإن عمت خطوبٌ
الله أكبر وإن رغمت أنوفُ
الله أكبر ووعد الله آتٍ
وللباغي وللعادي حتوفُ
الله أكبر شعار المؤمنين
الله أكبر دليل الفاتحين
الله أكبر يَردُ الظالمين

اعرف ربك وكبره تكبيرا

الله سبحانه وتعالى خالق كل شيء ورب كل شيء ومليكه ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة:٥].

﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد:٨].

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة:٢٥٥].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * ذَلِكَ

وإن رغمت أنوف

إعداد
د/ جمال المراكبي
الرئيس العام

بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ [لقمان:٢٩-٣٠].

عرشه وسع سمواته وأرضه، وحملة عرشه يسبحون بحمده ويؤمنون به ويستغفرون للمؤمنين من عباده ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [غافر:٧-٩].

أما الكافرون أهل المقت والغضب فينادون يوم القيامة وقد مقتوا أنفسهم، إن مقت الله أشد، وغضب الله أكبر ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ (١٠) قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ (١١) ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ (١٢) هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلاَّ مَنْ يُنِيبُ (١٣) فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (١٤) رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلاَقِ (١٥) يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لاَ يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (١٦) الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لاَ ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [غافر:١٠-١٧].

فالله هو الكبير الأكبر، أمرنا بتوحيده في ربوبيته وإلهيته وأسمائه وصفاته وأمرنا أن نكبره تكبيرًا.

﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾ [الإسراء:١١١].

﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الجاثية:٣٦-٣٧].

الله أكبر:

لقد أرانا الله آية من عجائب قدرته ودلائل عظمته تلك الزلزلة التي هزت الأرض في أعماق المحيط، وتعدى أثرها إلى بلاد عديدة شاسعة في الهند وسيرلانكا وتايلاند وإندونسيا وغيرها من البلاد، ورأينا كيف خرجت أمواج المحيط الهادر تلتهم القرى السياحية والمنتجعات وتدفن الآلاف تحت أنقاضها، وتشرد الملايين من أبناء هذه البلاد، إنه لنذير يذكرنا بهلاك الأمم الماضية بالطوفان والريح الباردة العاتية، والصيحة الشديدة، إنه لنذير لإيقاظ الغافلين.

إن المؤمن إذا رأى هذه الآيات غير المألوفة يشتد خوفه من غضب الله وبطشه لأنه يعلم أن الله عز وجل عذب بها أقوامًا من قبل، وما هي من الظالمين ببعيد.

إنه يعلم أن هذه الآيات تصاحب الفتن العظام في آخر الزمان، وتأذن بانقطاع التوبة وإغلاق بابها وقيام الساعة فيرجع إلى ربه بالدعاء والصلاة.

الله أكبر شعار الفاتحين:

عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ كان إذا غزا قومًا لم يكن يغزو حتى يصبح وينظر، فإن سمع أذانًا كفَّ عنهم وإن لم يسمع أذانا أغار عليهم.

قال: فخرجنا إلى خيبر، فانتهينا إليهم ليلا، فلما أصبح ولم يسمع أذانا ركب، وركبتُ خلف أبي طلحة، وإن قدمي لتمس قدم النبي ﷺ.

قال: فخرجوا إلينا بمكاتلهم ومساحيهم(١)، فلما رأوا النبي ﷺ قالوا: محمد والله، محمد والخميس(٢)، فلما رآهم رسول الله ﷺ قال: الله أكبر خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين. [متفق عليه]

فالتكبير شعار المؤمنين الفاتحين في معاركهم وفتوحاتهم، وسيبقى كذلك حتى آخر الزمان، وقد روى مسلم في صحيحه في أحاديث الفتن أن النبي ﷺ قال: سمعتم بمدينة جانب منها في البر، وجانب منها في البحر؟ قالوا: نعم يا رسول الله.

قال: لا تقوم الساعة حتى يغزُوها سبعون ألفا من بني إسحاق، فإذا جاءوها نزلوا فلم يقاتلوا بسلاح ولم يرموا بسهم، قالوا: لا إله إلا الله والله أكبر، فيسقط أحد جانبيها، ثم يقولوا الثانية، لا إله إلا الله والله أكبر فيسقط جانبها الآخر،ثم يقولوا الثالثة لا إله إلا الله والله أكبر، فيُفرجُ لهم فيدخلوها. [مسلم ك الفتن ح٥١٩٩]

لقد كان الصحابة يكبرون عند القتال وعند الفتوح وبعد النصر وعند الموت في سبيل الله، حتى إن أحدهم يُضرب بالحربة فيقول: الله أكبر، فزتُ ورب الكعبة، يستبشر بالموت والشهادة وحسن الخاتمة. [البخاري ك المغازي ح٤٠٩١]

وروى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «يقول الله تعالى: يا آدم. فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك. فيقول: أخرج بعث النار. فيقول آدم: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين. فعنده يشيبُ الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد. قالوا: يا رسول الله وأينا ذلك الواحد؟ قال: أبشروا، والذي نفسي بيده إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة، قال أبو سعيد: فكبرنا. قال: إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة. قال: فكبرنا. قال: إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة. قال: فكبرنا. فقال: ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد الثور الأبيض أو كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود».

فكانوا رضوان الله عليهم يكبرون عند البشارة بخيري الدنيا والآخرة.

ونحن في أيام عشر ذي الحجة أفضل أيام العام، وفي يوم عرفة ويوم الحج الأكبر يوم النحر نذكر الله عز وجل الكبير المتعال ونكبره على ما هدانا ونذبح الأضاحي متقربين إليه سبحانه، مقتدين بخليله إبراهيم عليه السلام وبخليله محمد ﷺ ذاكرين قول الله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ * لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ * وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ * الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ * أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج:٣٢-٣٩].

لقد أصبح التكبير شعارًا للمؤمنين في صلواتهم وأذانهم وجنائزهم وأعيادهم ومعاركهم وفتوحاتهم وفرحهم وسرورهم، وإذا علوا على مكان مرتفع ذكروا الله وكبروا، ويتجلى ذلك في هذه الأيام.

كان ابن عمر وأبو هريرة يخرجان إلى السوق في أيام العشر يكبران، ويكبر الناس بتكبيرهما.

وكان عمر يكبر في قبته بمنى فيسمعه أهل المسجد فيكبرون، ويكبر أهل الأسواق حتى ترتج منى تكبيرًا.

وكان ابن عمر يكبر بمنى تلك الأيام، وخلف الصلوات، وعلى فراشه وفي فسطاطه ومجلسه وممشاه تلك الأيام جميعا.

وكانت ميمونة تكبر يوم النحر، وكان النساء يكبرن خلف أبان بن عثمان وعمر بن عبد العزيز ليالي التشريق مع الرجال في المسجد.

وكانوا يكبرون ويلبون في طريق الحق من منى إلى عرفة، قال أنس: كنا مع رسول الله ﷺ فكان يلبي الملبي ويهل المهل فلا يُنكر عليه، ويكبر المكبر فلا ينكر عليه.

وكان ﷺ إذا رمى الجمرات يكبر مع كل حصاة وكان يكبر في صلاة العيد في الركعة الأولى سبعًا قبل القراءة، وفي الركعة الثانية خمسًا قبل القراءة وكانوا يكبرون في طريق العيد ومصلى العيد حتى يروا الإمام فيصلي بهم صلاة العيد.

فهل نحيي سنة التكبير؟، وهل نعقل معنى التكبير؟ وهل نلجأ إلى الكبير المتعال الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر.

الله أكبر الله أكبر الله أكبر كبيرًا.

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر.

الله أكبر ولله الحمد.

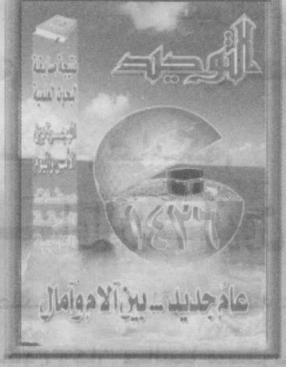

افتتاحية العدد

الاعتبار بآيات الله

إعداد
الرئيس العام
د. جمال المراكبي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

وبعد:

فإن الله سبحانه وتعالى قوي قاهر، الأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه.

وهو غالب على أمره، يفعل ما يشاء، لا يعجزه شيء، كثرت جنوده وآياته لا يعلمها إلا هو.

فيرسل بالآيات بركة وعبرة للمؤمنين، وتخويفا وإنذارًا للكافرين.

وهو على كل ذلك حكيم عليم.

الآيات من عند الله

الآيات: جمع آية وهي العلامة.

منها ما هو **مألوف ومعتاد** كقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾ [الروم:٢٢].

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا...﴾ [الروم:٢٠].

وقوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ...﴾ [فصلت:٥٣].

قال الزجاج:- معناه: نريهم الآيات التي تدل على التوحيد في الآفاق، أي: آثار من مضى قبلهم من خلق الله عز وجل في كل البلاد، وفي أنفسهم من أنهم كانوا نطفًا ثم علقًا ثم مُضغًا ثم عظامًا كسيت لحمًا ثم إلى التمييز والعقل، وذلك كله دليل على أن الذي فعله واحد ليس كمثله شيء تبارك وتقدس.

قلت: قد فسّر الآيات في الآفاق بآثار من مضى في البلاد، والآية تحتمل معنى سنريهم (في المستقبل) من الآيات ما يدل على أن القرآن حق من عند الله الخالق جلّ وعلا، وعلى هذا المعنى بنى أصحاب منهج الإعجاز مذهبهم في الإعجاز العلمي في القرآن.

ومن الآيات الكونية الباهرة الدالة على قدرة الله ووحدانيته كذلك ما هو **غير مألوف ولا معتاد**.

كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً....﴾ [المؤمنون:٥٠].

وقوله تعالى: ﴿.. وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ..﴾ [البقرة:٢٥٩].

والآية من القرآن: علامة على صدق رسول الله ﷺ، وإعجاز يتحدى الله عز وجل به الإنس والجن.

كقوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ...﴾ [البقرة:٢٥٢].

وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ [يونس:١].

موقف المؤمنين من آيات رب العالمين

وآيات الله المبثوثة في كتاب الكون المفتوح دعوة للتدبر والتأمل فيها، قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ * وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ [ق:٥-٨] يتأمل فيها المؤمن عظيم تدبير الخلاق العليم، فإن عظم آثاره وأفعاله دليل على عظمة الخالق وجلاله، فتمتلئ القلوب له إعظامًا وإجلالا، فتستغرق الألسنة في ذكره والأبدان في طاعته والقلوب في التفكر في دلائل عظمته، فتتعلق القلوب به ذاكرة لاهجة منيبة خاضعة. ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [آل عمران:١٩٠-١٩٢].

ثم يُعمِل المؤمن الذي اهتدى بنور الله عز وجل عقله بالتدبر؛ كيف يتحقق له من وراء تأمله في آيات ربه وسائل تحقق له الراحة والسعادة في معيشته، تكون ثمرة لهذا التأمل يزداد بالعلم بها إيمانًا ويقينًا، وبتسخير الله عز وجل له إياها شكرًا لله عز وجل وذكرا.

بينما يمر أهل الضلال والغفلة على آيات ربهم معرضين، ليس لهم في التأمل نصيب، وإذا تأملوا اكتفوا بظاهر الآية دون أن يصلوا بها إلى الإيمان بخالقها.

قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ (١٠٥) وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ (١٠٦) أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾ [يوسف:١٠٥-١٠٧].

ثم إذا تبدلت نواميس الآيات المألوفة، فتزلزلت الأرض الراسية، وطغى الماء حتى تفجرت البحار وأغرقت السهول والوديان، إن في ذلك ما يوقظ القلوب الغافلة، ويثير مشاعر الخوف والخشية من الجبار القهار ذي البطش الشديد، الفعال لما يريد، ويقوي في القلوب عبودية التسليم لمن بيده مقاليد الأمور.

الآيات مسخرة تسجد لربها وخالقها

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ...﴾ [النحل:٤٩].

وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلاَلُهُمْ..﴾ [الرعد:١٥].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ...﴾ [الحج:١٨].

وقال ﷺ لأبي ذر حين غربت الشمس، أتدري أين تذهب؟ قال أبو ذر: الله ورسوله أعلم. قال ﷺ: «فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤْذن لها ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها، ويقال لها ارجعي من حيث جئتِ، فتطلع من مغربها، فذلك قوله تعالى ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [يس:٣٨]». [البخاري]

وما نرسل بالآيات إلا تخويفا

عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال لما كسفت الشمس: «هذه الآيات التي يُرسل الله لا تكون لموت أحد ولا لحياته، ولكن يخوّف الله بها عباده...». [خ(١٠٥٩)م (٩١٢)]

قال الحافظ ابن حجر: (قوله يُخوف: فيه ردّ على من يزعم من أهل الهيئة أن الكسوف أمر عادي لا يتأخر ولا يتقدم؛ إذ لو كان كما يقولون لم يكن في ذلك تخويف). [فتح الباري: (٦٢٤/٢)]

قال ابن دقيق العيد: ينبغي الخوف عند وقوع التغيرات العلوية.

وقال قتادة: (إن الله تعالى يخوف الناس بما شاء من الآيات لعلهم يعتبرون ويذكّرون ويرجعون). [تفسير ابن كثير]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (والزلازل من الآيات التي يخوف الله بها عباده كما يخوفهم بالكسوف وغيره من الآيات، والحوادث لها أسباب وحِكم فكونها آية يُخوف الله عز وجل بها عباده هي من حكمة ذلك، وأما أسبابه فانضغاط البخار في جوف الأرض كما ينضغط الريح والماء في المكان الضيق، فإذا انضغط طلب مخرجًا، فيشق ويزلزل ما هرب منه من الأرض).

ولهذا تجد قلوب الموحدين إذا تغير شيء من ظواهر الكون المعتادة ونواميسه المعهودة يثور عندهم الخوف والوجل لقوة اعتقادهم في وحدانية ربهم مدبرًا لشئون خلقه، ما شاء وحده كان دون أن يُعجزه شيء.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (كانت الريح الشديدة إذا هبّت عُرف ذلك في وجه النبي ﷺ) [البخاري (١٠٣٤)]

وقالت عائشة رضي الله عنها كان النبي ﷺ إذا رأى مخيلة في السماء أقبل وأدبر، ودخل وخرج

وتغير وجهه، فإذا أمطرت السماء سُرِّي عنه، فعرّفته عائشة ذلك، فقال النبي ﷺ: «وما أدري لعله كما قال قوم عاد (فلما رأوه عارضًا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا.... أليم)» [البخاري (٣٢٠٦) م(٨٩٩)]

قال ابن حجر رحمه الله: وتأمل مع حال القلوب عند وقوع الآيات وقد دب فيها الخوف والهلع وحالها بعد انكشاف الضُّر.

ففيه إشارة للمسلم وتنبيه له على سلوك طريق الخوف والرجاء. ا.هـ [فتح الباري (٦١٩/٦)]

لذلك حث النبي ﷺ على الذكر والدعاء والصدقة والعتق والفزع إلى الصلاة عند نزول تلك الآيات.

فقال ﷺ: «... فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى ذكره ودعائه واستغفاره». [البخاري]

وقال في الحديث الذي رواه ابن مسعود: «..فافزعوا إلى الصلاة فإنها إن كانت التي تحذرون كانت وأنتم على غير غفلة، وإن لم تكن قد أصبتم خيرًا». [مسند أحمد]

النهي عن طلب الآيات

طلب الخوارق والمعجزات من شأن أهل الباطل الذين لن ينتفعوا بها ولا تزيدهم إلا عتوًا وعنادًا وإعراضًا عند ربهم، لأنها لا يطلبها إلا متعنت مكابر معاند.

قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَنْ كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء:٥٩].

روى أحمد في مسنده (١٣٦٤٤) بإسناده عن جابر قال: لما مرّ رسول الله ﷺ بالحِجر قال: «لا تسألوا الآيات وقد سألها قوم صالح فكانت تَرِدُ (أي الناقة) من هذا الفج وتصدر من هذا الفج فعتوا عن أمر ربهم فعقروها، فكانت تشرب ماءهم يومًا ويشربون لبنها يومًا فعقروها فأخذتهم صيحة أهمد الله عز وجل من تحت أديم السماء منهم...» الحديث.

من حكم إرسال الآيات الكونية

• تأتي الآيات تخويفًا للمسلمين ممن شاء الله عز وجل ردعهم من الغافلين وذلك بذنوبهم وما كسبت أيديهم، فالذي أهلك بها أقوامًا أعرضوا عن الله تعالى قادر على أن يهلك بها الآخرين من المعرضين، قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى:٣٠].

• وتأتي الآيات تطهيرًا للمؤمنين ورحمة من الله بهم: عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ: «أمتي هذه أمة مرحومة ليس عليها عذاب في الآخرة، وعذابها في الدنيا الفتن والزلازل والقتل». [أبو داود (٤٢٧٨) الصحيحة (٩٥٩)]

• ومن الآيات ما هو بركة للمؤمنين:

سمع عبد الله بن مسعود - بخسف - فقال: كنا أصحاب محمد ﷺ نعد الآيات بركة وأنتم تعدونها تخويفا ، كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فقلّ الماء فقال اطلبوا فضلة من ماء فجاءوا بإناء فيه ماء قليل؛ فأدخل يده في الإناء ثم قال: حي على الطهور المبارك والبركة من الله، فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ ، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل. [البخاري (٣٥٧٩)]

فانظر إلى الآيات وخوارق العادات فإن منها بركات وخيرات من الرحمن على أهل الإيمان، ولا تنظر إليها على أنها عذاب أو نكال بالمكذبين فحسب.

• وتأتي الآيات هلاكا للكافرين وتدميرًا لهم على تمردهم وطغيانهم وسوط عذاب الله تعالى عليهم، قال تعالى: ﴿فَكُلاً أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت:٤٠].

وكم خوّفهم الله تعالى من نزول تلك الآيات بهم ولكنهم زادوا في طغيانهم، قال تعالى: ﴿...وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء:٦٠].

• وتأتي الآيات تذكيرا بأهوال يوم القيامة:

يوم يقوم الناس لرب العالمين، يوم الرجفة، يوم الزلزلة، يوم القارعة، فالأرض تُزلزل، والجبال تُنسف وتُسيّر، والبحار تُفجّر، والسماء تمور، والشمس تذهب فتُكوّر.

وكثرة الآيات التي تتبدل فيها النواميس المعهودة التي أودعها الله عز وجل في كونه من أشراط وعلامات قرب الساعة. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ «لا تقوم الساعة حتى يُقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرْج (وهو القتل) وحتى يكثر فيكم المال فيفيض» [البخاري (١٠٣٦)]

ثم تأتي آيات تأذن بقيام الساعة وانقطاع التوبة.

فهل آن الأوان للعود الحميد إلى الله المجيد الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات؟

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج:١-٢].

والحمد لله رب العالمين

افتتاحية العدد

الصحابة أمان للأمة

إعداد
الرئيس العام
د. جمال المراكبي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه وبعد:

فإن أصحاب رسول الله خير هذه الأمة وأبرها قلوبًا، زكاهم الله تعالى في كتابه فقال: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

[التوبة: ١٠٠]

وقال تعالى: ﴿لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧].

وقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاً وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: ١٠].

وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩) وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠- ١٠].

والآيات في فضلهم كثيرة، وكل فضيلة اختصت بها هذه الأمة فهم أولى الناس بها لأنهم كانوا المشافهين بالخطاب والمختصين به، ومن بعدهم تبع لهم، وذلك كقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ

أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣].

فأصحاب رسول الله ﷺ خير قرون الأمة على الإطلاق، ولا يثبت الفضل ولا الخيرية لمن بعدهم إلا بقدر متابعتهم لهم.

ورسول الله ﷺ يقرر هذه الحقيقة في أحاديث كثيرة فيقول: «خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته». متفق عليه.

فجيل الصحابة هو خير أجيال هذه الأمة بشهادة النبي ﷺ، وهم أمان للأمة من البدع والضلالات والفتن، والضعف والتخاذل، والذل، وتكالب الأمم عليها، ففي صحيح مسلم ومسند أحمد من حديث أبي موسى الأشعري قال: صلينا المغرب مع رسول الله ﷺ، ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصلي معه العشاء، قال: فجلسنا، فخرج علينا رسول الله ﷺ فقال: ما زلتم هاهنا؟ قلنا: يا رسول الله صلينا معك المغرب ثم قلنا نجلس حتى نصلي معك العشاء. قال: أحسنتم أو أصبتم. قال: فرفع رأسه إلى السماء- وكان كثيرًا مما يرفع رأسه إلى السماء- فقال: النجوم أمنة للسماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون. مسلم ك فضائل الصحابة.

وكان من ثمرة هذا الأمان حفظ الدين ونقل القرآن والسنة وحسن الفقه في دين الله، ورفع راية الجهاد وفتوح البلدان، وعز الإسلام، ونبذ البدع وأهلها مما عانت الأمة بعد ذلك من فقده بعد قرون الخيرية الأولى قرن الصحابة ومن جاء بعدهم، وقد أكد النبي ﷺ على علاقة الصحابة بفتوح الإسلام فقال: «يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقال لهم: فيكم من رأى رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم، ثم يغزو فئام من الناس فيقال: فيكم من رأى مَنْ صَحِبَ رسول الله ﷺ، فيقولون: نعم، فيفتح لهم، ثم يغزو فئام من الناس، فيقال لهم: هل فيكم من رأى من صحب من صحب رسول الله ﷺ، فيقولون: نعم، فيفتح لهم». متفق عليه.

وفي رواية لمسلم: «فيوجد الرجل، فيفتح لهم به».

من هو الصحابي؟

قال البخاري: ومن صحب النبي ﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه، وهذا هو المشهور عند أهل السنة والحديث اعتبار الرؤية ومن العلماء من اشترط لثبوت الصحبة ملازمة النبي ﷺ فترة زمنية تعرف بها صحبته، وهذا رأي علماء الأصول، وكان سعيد بن المسيب لا يَعُد في الصحابة إلا من أقام مع النبي ﷺ سنة فصاعدًا، أو غزا معه غزوة فصاعدًا، ومن هنا قال عاصم الأحول: رأى عبد الله بن سرجس رسول الله ﷺ، غير أنه لم يكن له صحبة، مع أن عاصمًا روى عن عبد الله عدة أحاديث ومن جملتها أن النبي ﷺ استغفر له. ومن اشترط الصحبة العرفية أخرج من له رؤية أو من اجتمع به لكن فارقه عن قرب، كما جاء عن أنس أنه قيل له: هل بقي من أصحاب النبي ﷺ غيرك؟ قال: لا، مع أنه كان في ذلك الوقت عدد كثير ممن لقيه من الأعراب من أحداث الصحابة.

والقول الأول قول البخاري وأحمد وجمهور المحدثين، فإنهم اتفقوا على عد جم في الصحابة لم يجتمعوا بالنبي ﷺ إلا في حجة الوداع.

بدعة سب الصحابة:

وقد ظهرت هذه البدعة قديمًا بسبب الخلاف والقتال الذي نشب بين المسلمين في الفتنة بعد مقتل عثمان رضي الله عنه، وقد أخذت هذه البدعة مظهرين:

الأول: ما فعله بعض خلفاء بني أمية من سب علي بن أبي طالب، وعبد الله بن الزبير، وربما جعلوا ذلك على المنابر، وقد أبطل هذه البدعة عمر بن عبد العزيز، روى مسلم عن سعد بن أبي وقاص أن معاوية قال له: ما منعك أن تسب أبا تراب. فقال: أما ما ذكرت ثلاثًا قالهن له رسول الله ﷺ فلن أسبه، لأن تكون لي واحدة منهن أحب إليَّ من حمر النعم وذكر بعض فضائل علي رضي الله عنه وعن الصحابة أجمعين. [مسلم ك فضائل الصحابة- ب من فضائل علي رضي الله عنه]

الثاني: ما فعله أهل البدع من الخوارج والروافض من سب أعيان الصحابة وتفسيقهم وتكفيرهم، وقد حمل الروافض لواء هذا اللعن إلى يومنا هذا فعليهم من الله ما يستحقون، زعموا أنهم على مذهب آل بيت رسول الله ﷺ فنالوا من صحابته وتبنوا مذهب الوقيعة بين الصحابة وبين آل بيت النبوة ففرقوا بذلك بين الأمة وجعلوها شيعًا وأحزابًا، وقد نهى رسول الله ﷺ عن سب أصحابه فقال: «لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نصيفه». [متفق عليه]

والمد: ما يملأ الكفين من الطعام، ونصفه ما يملأ اليد الواحدة.

وذكر مسلم أن سبب الحديث ما كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف من خلاف، فسبه خالد، فقال النبي ﷺ: «لا تسبوا أصحابي».

وأخرج الحاكم عن عويم بن ساعدة أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تبارك وتعالى اختارني، واختار لي أصحابًا فجعل لي منهم وزراء وأنصارًا وأصهارًا، فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه يوم القيامة صرف ولا عدل». قال الحافكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه

الذهبي، لكن ضعفه الألباني في ظلال الجنة.

ومع هذا فإن بعض المنتسبين لأهل السنة شكلاً يقولون ببعض مقالة الشيعة ويسبون بعض أصحاب النبي ﷺ اعتمادًا منهم على بعض روايات الإخباريين التي حوتها كتب التاريخ دون أن يمحصوا هذه الروايات.

وكتاب الفتنة الكبرى لطه حسين خير دليل على هذا المنهج المتخبط، وقد تجرأ بعض القصاصين على هذا النهج في الآونة الأخيرة.

فتجرأ بعضهم ونال من بعض الصحابة، فهذا رئيس تحرير جريدة الوفد السابق جمال بدوي يتهم ابن عباس رضي الله عنه بالسرقة واختلاس بيت مال المسلمين اعتمادًا على رواية لا إسناد لها عند الطبري في التاريخ، مع أن الطبري ذكر ما ينفيها، وهذا كاتب مسلسلات يصف عمرو بن العاص بكلام ينبو القلم عن نقله، ولو قال بعض هذا الكلام في شخصية معاصرة لتعرض للمحاكمة بتهمة السب والقذف، ولكنه زمن اجترأ وتجرأ فيه سفلة الناس على من زكاهم الله في كتابه وزكاهم رسول الله ﷺ في صحيح السنة وأجمعت الأمة على فضلهم وعدالتهم.

المفاضلة بين الصحابة

وأصحاب رسول الله ﷺ ليسوا في درجة واحدة في الفضل، فمنهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، ومنهم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ومنهم من تبعهم بإحسان، وأنفق من بعد الفتح وقاتل.

والذي عليه أهل الحق أن خير الأمة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم أجمعين، ثم بقية العشرة المشهود لهم بالجنة وهم سعد وسعيد وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح وهم جميعًا من السابقين الأولين.

ثم بعد ذلك أهل بدر وكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً قال عنهم رسول الله ﷺ: «لعل الله اطلع على قلوب أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم». متفق عليه.

وقال عن حاطب بن أبي بلتعة: «لا يدخل النار فإنه قد شهد بدرًا والحديبية». متفق عليه.

ثم من بعد ذلك أهل بيعة الرضوان الذين بايعوا النبي ﷺ تحت الشجرة في الحديبية وأنزل الله تعالى في حقهم: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨].

قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة الذين بايعوا تحتها».

فقالت حفصة: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١].

فقال النبي ﷺ: قد قال الله عز وجل: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم]، والحديث متفق عليه.

ثم بعد ذلك سائر الصحابة يشملهم اسم الصحبة، ويلحقهم فضل الصحبة الثابت في الكتاب والسنة، وقد روى مسلم عن الحسن البصري أن عائذ بن عمرو دخل على عبيد الله بن زياد فقال له: أي بني إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن شر الدعاء الحطمة فإياك أن تكون منهم. فقال له: اجلس فما أنت إلا من نخالة أصحاب محمد رسول الله ﷺ.

فقال: وهل كانت لهم نُخالة، إنما كانت النخالة بعدهم وفي غيرهم. مسلم ك الإمارة ب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر.

موقف المسلم من الفتنة والقتال الذي دار بين الصحابة

قال شيخ الإسلام في العقيدة الواسطية: ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ، كما وصفهم الله به في قوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

ويتبرءون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم، ومن طريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل.

ويمسكون عما شجر بين الصحابة، ويقولون إن هذه الآثار المروية في مساوئهم منها ما هو كذب، ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغير عن وجهه، والصحيح منه هم فيه معذورون، إما مجتهدون مصيبون وإما مجتهدون مخطئون.

وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره، بل تجوز عليهم الذنوب في الجملة، ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر، حتى إنه يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم، لأن لهم من الحسنات التي تمحو السيئات ما ليس لمن بعدهم.

ثم القدر الذي ينكر من فعل بعضهم قليل مغمور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم من الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله والهجرة والنصرة والعلم النافع والعمل الصالح.

ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة، وما منَّ الله به عليهم من الفضائل علم يقينًا أنهم خير الخلق بعد الأنبياء، لا كان ولا يكون مثلهم، وإنهم هم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمها على الله.

افتتاحية العدد

بدعة أمريكية جديدة

إعداد
الرئيس العام
د. جمال المراكبي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وبعد:

في ظل الهجمة الشرسة على ثوابت الدين، تطل علينا من أمريكا الفتن والمؤامرات، وما أكثر ما يصيب الإسلام من أهله ببدعة جديدة، وهي إمامة المرأة لجموع المسلمين، لذا فقد دار هذا الحوار:

قال لي محاورًا: هل سمعت الخبر الذي تناولته وكالات الأنباء؟

قلت: أي خبر؟

قال: امرأة أمريكية مسلمة تؤم المسلمين في صلاة الجمعة.

قلت: لا حول ولا قوة إلا بالله وإنا لله وإنا إليه راجعون.

قال: لماذا تسترجع؟ وهل هناك مخالفة شرعية في ذلك أم أن المخالفة لأعرافنا وعاداتنا في بلاد حطت من شأن المرأة وظلمتها على مدى قرون عديدة؟

قلت: أنا أسترجع ولا أستغرب أن يحدث هذا وأكثر منه، فالنبي ﷺ أخبرنا عما يحدث في هذه الأمة من تفريط في الدين ومتابعة لهدي غير المسلمين، فقال: «لا تترك هذه الأمة شيئًا من سنن الأولين حتى تأتيه». وقال: «لتركبن سنن من كان قبلكم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضب لدخلتموه ولو أن أحدهم جامع امرأته بالطريق لفعلتموه. قالوا: اليهود والنصارى؟ قال: فمن».

وقد أصبح المسلمون يقلدون الغرب في كل شيء ويزعمون أن تقدم هذه البلاد في متابعة هؤلاء الغربيين ونقل حضارتهم وثقافتهم وياليتهم نقلوا لنا تقدمهم التقني والعلمي، بل نقلوا لنا من عاداتهم وأخلاقهم الفاسدة وانحرافاتهم الكثيرة، وأنا لا أستبعد أن يصل هؤلاء في تقليدهم للغرب وأهله أن يخرج علينا من يبيح الزواج المثلي، أي زواج الرجل بالرجل وزواج المرأة بالمرأة وإباحة اتخاذ المرأة صديقًا تعاشره معاشرة الأزواج، فهذه هي الحرية عندهم وهذه هي أمريكا كعبة الحرية وقبلة

الديمقراطية.

قال: دعك من هذا وقل لي: هل هناك ما يمنع المرأة من الإمامة وما الدليل؟

قلت: أجمعت الأمة على ذلك فلا يجوز للمرأة أن تؤم الرجل ولا نعرف في تاريخ المسلمين حالة واحدة لامرأة تؤم المصلين حتى خرجت علينا هذه الأمريكية بهذه البدعة.

قال: لم تأت بدليل من الكتاب والسنة وتدعي الإجماع على ذلك، وقد قال الإمام أحمد: «من ادعى فقد كذب»، وما يدريك لعل الناس اختلفوا؟ وإنما هي العادات والأعراف البالية التي حرمت المرأة من حقوقها عبر العصور، ولكن أين أدلة الكتاب والسنة على ما تقول؟

قلت: الإجماع دليل قطعي ولا يستطيع أحد أن يأتي بسابقة تخرق هذا الإجماع، ومع هذا سأذكر لك الأدلة من الكتاب والسنة وهي عام وخاص.

قال تعالى: ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾.

قال: هذه في الأسرة وليست في الصلاة.

قلت: نعم وفيها إشارة إلى أن النساء لا يتقدمن على الرجال، لقد جعل الله تعالى أحكامًا عامة للتكليف يشترك فيها كل المكلفين رجالاً ونساءً، وهذه عامة أحكام العقائد والتكاليف الشرعية وخص بعض المكلفين بأحكام خاصة، فالقوامة للرجال على النساء وترك الصلاة والصيام حال الحيض والنفاس من خصوصيات النساء وعدم وجوب الجهاد على النساء؛ لقول النبي ﷺ: «جهادكن الحج».

قال: أريد نصًا في الإمامة في الصلاة.

قلت: لن تفهم النص ودلالته ما لم تفهم هذه المسائل ومع هذا فسوف أعطيك ما تريد، قال رسول الله ﷺ: «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة».

قال: هذه واقعة عين، لما علم النبي ﷺ أن الفرس ولو- أمَّروا- عليهم ابنة كسرى أخبر أنهم لن يفلحوا وهذا خاص بالفرس.

قلت: ولكن الخبر خرج مخرج العموم والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

قال: ولكن هذا الخبر في الإمامة العامة وليس في إمامة الصلاة.

قلت: وإمامة الصلاة فرع عن الإمامة العامة لعموم المسلمين ومع ذلك فسأذكر لك ما ورد في الصلاة بصفة خاصة فقد جعل النبي ﷺ الإمامة للرجال فقال لنسائه وهو في مرض موته: «مروا أبا بكر فليصلّ بالناس». وأمر الرجال بالتقدم في الصفوف وأمر النساء بالتأخر وذلك في صلاة الجماعة، فقال: «خير صفوف الرجال أولها وشر صفوف الرجال آخرها، وخير صفوف النساء آخرها وشر صفوف النساء أولها». [رواه مسلم].

بل وجعل صفوف النساء خلف صفوف الرجال وخلف صفوف الصبيان وما هذا إلا لأن النساء أمرن بالفرار في البيوت ونهين عن البروز والتبرج، قال تعالى: ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا (٣٢) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾.

ولو كان التقدم في صفوف الصلاة صالحًا للنساء لما أمرهن النبي ﷺ بالتأخر فكيف تتقدم المرأة على الجميع رجالاً ونساءً في إمامة الصلاة وفي ذلك مفاسد عظيمة تتعلق بستر المرأة وعدم إظهار زينتها وعورتها حتى قال رسول الله ﷺ: «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله وليخرجن تفلات».

وقال ﷺ: «إذا شهدت إحداكن المسجد فلا تمس طيبًا»، رواه مسلم. وعند أبي داود: «وبيوتهن خير لهن».

وكان ﷺ إذا سلم من الصلاة ينتظر حتى ينصرف النساء فيدخلن بيوتهن قبل أن ينصرف الرجال وجعل للنساء بابًا وكان عمر ينهى أن يدخل الرجال من باب النساء. وقال ﷺ: لو تركنا هذا الباب للنساء. فلم يدخل منه ابن عمر حتى مات.

قال: لم تأتني بنص يمنع المرأة من إمامة وأنا أذكر لك حديثًا يبيح للمرأة أن تكون إمامًا في الصلاة.

قلت: تعني حديث أبي داود عن عبدالرحمن بن خلاد الأنصاري عن أم ورقة الأنصارية أن

النبي ﷺ كان يزورها في بيتها وجعل لها مؤذنًا يؤذن لها وأمرها أن تؤم أهل دارها.

قال: نعم والحديث رواه أحمد في مسنده من طريق أخرى.

قلت: الحديث في إسناده مقال، ولهذا اختلف أهل العلم في قبوله والعمل به.

قال شارح السنن: ثبت من هذا الحديث أن إمامة النساء وجماعتهن صحيحة ثابتة من أمر النبي ﷺ وقد أمت النساءَ عائشةُ وأُم سلمة رضي الله عنهما في الفرض والتراويح.

وذكر الحافظ في تلخيص الحبير هذه الأحاديث وأن عائشة كانت تؤم النساء فتقوم معهن في الصف.

وأن أم سلمة أمت نساء فقامت وسطهن. قال الدارقطني: إنما أذن لها أن تؤم نساء أهل دارها، وذهب الجمهور إلى عدم صحة إمامتها لهم.

قال صاحب «الفتح الرباني»: ويمكن الجواب عن حديث أم ورقة بأنه ليس صريحًا في أن المؤذن والغلام كانا يصليان خلفها، فيحتمل أن المؤذن كان يؤذن لها ثم يذهب إلى المسجد ليصلي فيه، وكذا الغلام، فكانت تؤم نساء دارها لا غير، ويؤيده ما رواه الدارقطني من طريق عمرو بن شيبة قال: حدثنا الوليد بن جميع عن أمه عن أم ورقة أن رسول اللّه ﷺ أذن لها أن يؤذن لها ويُقام وتؤم نساءها.

والحديث معارض بمثله وهو حديث جابر مرفوعًا: «ألا لا تؤمنّ امرأة رجلاً، ولا يؤم أعرابي مهاجرًا، ولا يؤم فاجر مؤمنًا، إلا أن يقهره سلطان يخاف سيفه وسوطه». رواه ابن ماجه في سننه وسنده ضعيف.

قال في سبل السلام: وهو يدل على أن المرأة لا تؤم الرجل وهو مذهب الهادوية والحنفية والشافعية وغيرهم.

وقال ابن حزم: وجميع فرق أهل القبلة ليس منهم أحد يجيز إمامة المرأة. [الفصل في الملل والأهواء والنحل].

قال: كلامهم هذا فيه ظلم للمرأة واتهام لها بالنقص.

قلت: أجمع العلماء على عدم جواز تولي المرأة منصب الخلافة، ويدخل في ذلك الآن رئاسة الدولة ورئاسة الحكومة، وذلك للحديث: «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة». وجمهور العلماء على عدم جواز توليها منصب القضاء.

قال البغوي: اتفقوا على أن المرأة لا تصلح أن تكون إمامًا ولا قاضيًا لأن الإمام يحتاج إلى الخروج لإقامة أمر الجهاد والقيام بأمور المسلمين والقاضي يحتاج إلى البروز لفصل الخصومات والمرأة عورة لا تصلح للبروز وتعجز لضعفها عن القيام بأكثر الأمور، ولأن المرأة ناقصة والإمامة والقضاء من كمالات الولايات فلا يصح لها إلا الكمال من الرجال. انتهى. [شرح السنة جـ١٠ ص٧٧].

قال: ما هذا الكلام، عورة وناقصة؟

قلت: الذي أمرها بالستر والقرار في البيوت هو الله سبحانه، ووصفُها بالنقص ثابت في صحيح السنة وهو من سماتها وخصائصها، ولا يعني هذا الحط عليها بل لعله من حسناتها، والكمال ليس محجوبًا عنها، ولكن الكمال بحسب الالتزام، ثم إن هؤلاء اللواتي يتحدثن عن حرية المرأة وحقوق المرأة هل ترى منهن امرأة ملتزمة في حجابها إلا من رحم ربي أم أن القضية هي الإفتتان بمنهج الغرب والسير على سننه، وأخيرًا أذكر بقول رسول اللّه ﷺ: «يا معشر النساء، تصدقن وأكثرن من الاستغفار فإني رأيتكن أكثر أهل النار». فقالت امرأة منهن جزلة- عاقلة-: وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النار؟ قال: «تكثرن اللعن وتكفرن العشير، وما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب لذي لُب منكن».

قال: يا رسول الله وما نقصان العقل والدين؟

قال: أما نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل فهذا نقصان العقل، وتمكث الليالي ما تصلي، وتفطر في رمضان فهذا نقصان الدين. رواه مسلم.

وقوله ﷺ: «كَمُلَ من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم ابنة عمران وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد». ﷺ ورضي الله عنهن.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

افتتاحية العدد

كتب الشيعة ترد غلوهم في آل البيت

إعداد
الرئيس العام
د. جمال المراكبي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد:

فإن محبة النبي ﷺ من الإيمان لأنها فرع عن محبة المؤمن لربه وخالقه ومولاه، فالله سبحانه وتعالى هو الذي كرمه وشرفه واصطفاه فجعله خاتمًا للنبيين، وإمامًا للمرسلين، وأرسله للناس كافةً بشيرًا ونذيرًا، وحباه الشفاعة العظمى والمقام المحمود، فأضحى أكثر الأنبياء تابعًا يوم القيامة وسيد ولد آدم ولا فخر.

وطاعة النبي ﷺ من لوازم محبته، وكذلك تعظيم النبي ﷺ وتوقيره، وتعظيم سنته وهديه، ونصرة دينه، والدعوة إلى منهاجه.

ومن لوازم محبته ﷺ محبة أصحابه وأنصاره ومحبة أهل بيته وقرابته ومودتهم.

قال تعالى: ﴿قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى:٢٣].

والمعنى لا أطلب منكم أجرًا على هذا البلاغ وهذه الهداية إلا أن توادوني لقرابتي منكم ولا تتعرضوا لي بالأذى والتكذيب، والمعنى الآخر: لا أسألكم أجرًا إلا أن تحبوا أهل بيتي وقرابتي، وهذا المعنى وإن لم يكن ظاهر الآية إلا أنه دلت عليه نصوص كثيرة مثل قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الاحزاب:٣٣].

وقول النبي ﷺ: «أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي» [مسلم] وقوله ﷺ: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما».

[رواه الترمذي: وهو في صحيح الجامع الصغير ٢٤٥٨]

وهم الآل الذين أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن نُصَلي عليهم حين نصلي عليه فنقول في صلاتنا: اللهم صل على محمد وعلى آله محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد».

أهل البيت

من هم أهل البيت؟ ورد في اللسان: أهل الرجل عشيرته وذوو قرباه، والجمع أهلون وأهال.

وأهل الرجل: زوجه، وتأهل يعني تزوج

وأهل القرآن حفظته والعاملون به.

وأهل المذهب من يدين به.

وأهل الإسلام من يدين به.
وأهل البيت سكانه.
وأهل الرجل أخص الناس به.
وأهل بيت النبي ﷺ أزواجه وبناته وصهره.

وقيل: نساء النبي ﷺ والرجال الذين هم آله، وآل الرجل أهله، أصلها أهل، ثم أبدلت الهاء همزة فصارت أأل، فلما توالت الهمزتان أبدلوا الثانية ألفًا. [لسان العرب جـ١ ص١٦٣-١٦٤، ومفردات الراغب ص٢٩]

والعترة هم الأهل والرهط، قال أبو بكر في أسارى بدر: يا رسول الله عترتك وأصلك وقومك، تجاوز عنهم يستنقذهم الله بك من النار.

ويتبين من هذه المعاني اللغوية أن أهل بيت النبي ﷺ هم أزواجه وذريته وقرابته من بني هاشم ممن حُرم الصدقة بعده، وقد اتفق أهل السنة والجماعة على ذلك، مع اختلافهم فيمن تحرم عليهم الصدقة، وقد وقع في صحيح مسلم من حديث زيد بن أرقم أنه قال: أهل بيته الذين حُرموا الصدقة بعده.

قيل: ومن هم يا زيد؟

قال: هم آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل عباس.

ويرى الشيعة على اختلاف مذاهبهم أن أهل البيت هم أصحاب الكساء علي وفاطمة والحسن والحسين لأن النبي ﷺ أدخلهم في كساء وقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا.

ولأن النبي ﷺ لما نزلت آية المباهلة مع نصارى نجران ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران:٦١].

أخرج عليًا وفاطمة والحسن والحسين ليباهل بهم نصارى نجران الذين يمارون في بشرية المسيح عيسى بن مريم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام.

ويزعم الشيعة أن هذا التخصيص يخرج أزواج النبي ﷺ وسائر بني هاشم من مسمى أهل البيت، مع أن الخطاب في سورة الأحزاب موجه من أوله إلى آخره إلى نساء النبي ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٢٨) وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا (٢٩) يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٣٠) وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا (٣١) يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا (٣٢) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣) وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾.

[الأحزاب:٢٨-٣٨]

فنساء النبي ﷺ أولى الناس بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ ومعهن باقي الذرية الطاهرة وسائر بني هاشم.

والعجب أن الشيعة وإن اتفقوا على أن أهل البيت هم علي وفاطمة والحسن والحسين دون ما سواهم، نراهم يختلفون على أشخاص الأئمة منهم اختلافًا عظيمًا ويطعنون على ذرية فاطمة من غير الأئمة، ولهذا يطعن الإمامية على أبناء الحسن بن علي، ولا يرونهم أهلا للإمامة، ويطعن الزيدية على الإمامية الاثنى عشرية ويرون إمامة زيد بن علي، ويطعن الإسماعيلية على إمامة جعفر الصادق ويرون إمامة إسماعيل.

موقف السلف من آل بيت النبي ﷺ

يعرف السلف الصالح من أصحاب رسول الله ﷺ حقوق آل بيت النبوة، فيحبونهم ويعظمونهم لقد كان صديق الأمة يقول: ارقبوا محمدًا في أهل بيته ويقول: والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلى أن أصل من قرابتي.

وأهل السنة متفقون على حب آل بيت رسول الله ﷺ ومودتهم، ومعرفة حقهم وفضلهم وعلو مكانتهم ومن كان من أهل البيت من صحابة رسول الله ﷺ فإنهم يحبونه لإيمانه وتقواه، ولصحبته إياه، ولقرابته منه ﷺ، ومن لم يكن منهم صحابيًا فإنهم يحبونه لإيمانه وتقواه، ولقربه من رسول الله ﷺ، ويرون أن شرف النسب تابع لشرف الإيمان، ومن جمع الله له بينهما فقد جمع له بين الحسنيين.

فأهل السنة هم أسعد الناس بتنفيذ وصية النبي ﷺ في أهل بيته حيث قال: «أذكركم الله في

أهل بيتي» لأنهم يحبونهم جميعا ويتولونهم وينزلونهم منازلهم التي يستحقونها بالعدل والإنصاف بخلاف غيرهم من الروافض.

موقف الروافض من أهل البيت

يزعم الروافض أنهم شيعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه وآل بيت النبي ﷺ، وأنهم أولى الناس بهم، ويزعمون أن أصحاب النبي ﷺ قد جحدوا حق آل البيت وغصبوهم، واستحلوا دماءهم، وسأنقل لك أخي القارئ هذه العبارة من كتاب حقوق آل البيت لبعض غلاتهم حيث يقول:

«ولكن سيدي يا رسول الله يا نبي الرحمة والهدى، أي مودة قدمت إليك بعد رحلتك الشريفة؟

إنها المودة التي أبعدوا بها وصيك وخليفتك عن مقامه وعن منصبه الذي أراده الله له، وأردته له. إنها المودة التي كسروا بها ضلع عزيزتك الزهراء، وأسقطوا جنينها، وأحرقوا بابها، ولطموا خدها وسودوا متونها، واقتادوا وصيك وأخيك علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو الكرار عند منازعة الأبطال. نعم هي المودة التي دسوا فيها السم بسبطك الحسن عليه السلام، والمودة التي أدت لحز رأس سيد الشهداء من الوريد إلى الوريد، واقتياد بناتك سبايا أمام البغاة.

بلى سيدي يا رسول الله إنهم ما أرادوا المودة ولا القربى وإنما أرادوا إبراز البغضاء والحنقاء، ولا عجب وقد أبانوا ذلك عند احتضارك سيدي يا رسول الله بقولهم والعياذ بالله إنه يهجر، وحاشاك من الهجر والنقص وقد مدحك الله تعالى في كتابه في محكم التنزيل ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾.

نعم هي الحقيقة عزيزي خذها هديت إلى الحق حتى يُفرج الله عن بقية الله الأعظم الحجة بن الحسن المهدي، أرواحنا لتراب مقدمه الفداء، وجعلنا الله من أنصاره وأعوانه ليثأر لله ولأهل بيت رسول الله ﷺ وآله ويقيم الحق ويدحض الباطل إن الباطل كان زهوقا». انتهى.

ولا أدري هل سيثأر هذا المنتظر من أبي بكر وعمر ومن المبشرين بالجنة، أم سيثأر من أهل السنة الذين لا يتبعون هذا الباطل.

ويكفي لرد هذا الغلو أن نذكر كلام بعض أئمة آل البيت في الغلاة، ومن كتب الشيعة أنفسهم قال جعفر الصادق: لعن الله عبد الله سبأ، إنه ادعى الربوبية في أمير المؤمنين، وكان والله أمير المؤمنين عبدًا طائعا لله. الويل لمن كذب علينا.

وإن قومًا يقولون فينا ما لا نقوله في أنفسنا، نبرأ إلى الله منهم، نبرأ إلى الله منهم.

[مودة آل البيت ص٣٥، وعزاه إلى رجال الكشي ص١٠٦]

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: سيهلك فيّ صنفان، محب مفرط يذهب به الحب إلى غير الحق، ومبغض مفرط يذهب به البغض إلى غير الحق، وخير الناس فيَّ حالا النمط الأوسط فالزموه. [نهج البلاغة خطبة ١٢٧ ـ السنة لابن أبي عاصم]

وقال الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم لرجل ممن يغلو في آل البيت: ويحكم أحبونا لله، فإن أطعنا الله فأحبونا، وإن عصينا الله فأبغضونا.

فقال الرجل: إنكم ذو قرابة من رسول الله ﷺ وأنتم أهل بيته.

فقال: ويحكم لو كان الله نافعًا بقرابة من رسول الله ﷺ بغير عمل بطاعته لنفع بذلك من هو أقرب إليه منا أباه وأمه.

والله إني لأخاف أن يضاعف الله للعاصي منا العذاب ضعفين. ووالله إني لأرجو أن يؤتى المحسن منا أجره مرتين.

لقد أساء آباؤنا وأمهاتنا إن كان ما تقولون من دين الله حقا ثم لم يخبرونا به ولم يطلعونا عليه ولم يرغبونا فيه، فنحن والله أقرب منهم قرابة منكم وأوجب عليهم حقا، وأحق بأن يرغبوا فيه منكم ولو كان الأمر كما تقولون إن الله ورسوله اختار عليا لهذا الأمر وللقيام على الناس بعده، إن كان علي لأعظم الناس في ذلك خطيئة وجرمًا، إذ ترك أمر رسول الله ﷺ أن يقوم فيه كما أمره ويعذر فيه إلى الناس.

فقال الرافضي: ألم يقل رسول الله ﷺ: من كنت مولاه فعلي مولاه؟

قال: أما والله لو أن رسول الله ﷺ يعني بذلك الإمرة والسلطان والقيام على الناس لأفصح لهم بذلك كما أفصح لهم بالصلاة والزكاة وصيام رمضان وحج البيت، ولقال لهم: أيها الناس هذا ولي أمركم من بعدي فاسمعوا له وأطيعوا فما كان من وراء هذا، فإن أنصح الناس كان للمسلمين رسول الله ﷺ.

اللهم إنا نشهدك أننا نحب آل بيت رسول الله ﷺ كما أوصانا الحبيب المصطفى، فاجعل حبنا لآل بيت رسولك الكريم حبًا خالصًا مطهرًا بعيدًا عمن يتوهمون حبهم ويستحلون دماءهم.

وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين.

افتتاحية العدد

الذلة والصغار على من أهمل القرآن

إعداد
الرئيس العام
د. جمال المراكبي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

روى البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول اللّه ﷺ نهى أن يسافَر بالقرآن إلى أرض العدو. [كتاب الجهاد]

وروى مسلم أن النبي ﷺ كان ينهى أن يسافَر بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن يناله العدو.

وفي رواية لمسلم: «لا تسافروا بالقرآن فإني لا آمن أن يناله العدو».

وكان رسول اللّه ﷺ يعيش بيننا وهو يحذرنا من هذا الأمر العظيم، أن يتمكن أعداء الله تعالى من هذا النيل، فيتعرضوا للقرآن بشيء من الامتهان.

استعرضت هذا الحديث حين تناقلت وكالات الأنباء الخبر الذي بثته مجلة النيوزويك الأمريكية عن قيام بعض الجنود الأمريكيين بإهانة القرآن في معتقل جوانتنامو، ذلك المعسكر الذي يحوي الكثيرين من أبناء المسلمين من كل بلاد الأرض بتهمة الإرهاب أو دعم الإرهاب، بينما تمارس الولايات المتحدة الأمريكية كل صنوف الإرهاب تجاه الإسلام والمسلمين.

والعجيب أن المجلة عادت وكذبت الخبر حين تظاهر المسلمون في الهند وباكستان وأفغانستان، ثم تأكد الخبر مرة أخرى باعتراف المحققين الأمريكيين؛ من تناول القرآن بالإهانة ويعلنون ذلك على الملأ يستفزون مشاعر المسلمين، ولكن ماذا يملك المسلمون سوى أن تظاهر المئات أو الآف يندون ويحرقون العلم الأميركي ثم ينفض الجمع، ويرجع الحال إلى ما كان عليه بل أسوأ مما

رئيس التحرير **جمال سعد حاتم** مدير التحرير الفني **حسين عطا القراط**

في هذا العدد

الافتتاحية: الذلة والصغار على من أهمل القرآن
د. جمال المراكبي ٢
كلمة التحرير: انحرافات الصوفية بين الماضي والحاضر
رئيس التحرير ٥
باب التفسير: «سورة المعارج» الحلقة الأخيرة
د. عبد العظيم بدوي ١١
باب السنة: صدقة المرأة على زوجها وولده... زكريا حسيني ١٣
السنة لا يستغنى عنها بالقرآن محمد ناصر الدين الألباني ١٨
درر البحار من صحيح الأحاديث: (١٦) علي حشيش ٢١
مختارات من علوم القرآن: فضل القرآن مصطفى البصراتي ٢٣
كلمات للدعاة في الدعوة إلى الله د. عبد الله شاكر الجنيدي ٢٥
القصة في كتاب الله: «قصة سليمان عليه السلام (٣)»
عبد الرزاق السيد عيد ٢٨
الإعلام بسير الأعلام مجدي عرفات ٣٠
مسابقة الشيخ صفوت نور الدين ٣٢
دمعة على أمة القرآن التحرير ٣٣
واحة التوحيد علاء خضر ٣٦
اتبعوا ولا تبتدعوا: العبادة الصوفية في ميزان الشريعة (٢)
معاوية محمد هيكل ٣٨
دراسات شرعية: مسائل في السنة (٤) متولي البراجيلي ٤٢
القضاء والقدر أسامة سليمان ٤٦
القول الصريح في حقيقة الضريح: دفع شبهات القبوريين
محمود المراكبي ٤٨
حماية أمن مصر واجب الجميع جمال عبد الرحمن ٥٠
أسئلة القراء عن الأحاديث أبو إسحاق الحويني ٥٣
تحذير الداعية: «قصة الصحابية التي أمرها النبي ﷺ بالسفور» علي حشيش ٥٦
الفتاوى لجنة الفتوى ٥٩
فقه الاستئذان صلاح نجيب الدق ٦٠
كيف تقضي الأجازة أحمد عبد المجيد مكي ٦٣
التأويل السائغ وغير السائغ في صفات الأفعال
محمد عبد العليم الدسوقي ٦٦
هدي النبي ﷺ في التعامل مع المخطئين (٣) محمد فتحي ٦٩
التفصيل لبعض ما ورد فيه التفضيل أحمد السيد ٧٠

صاحبة الامتياز

مصر ١٥٠ قرشًا، السعودية ٦ ريالات، الإمارات ٦ دراهم، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني، أمريكا ٢ دولار، أوروبا ٢ يورو.

١- في الداخل ٢٠ جنيهاً (بحوالة بريدية داخلية باسم مجلة التوحيد - على مكتب بريد عابدين).
٢- في الخارج ٢٠ دولاراً أو ٧٥ ريالاً سعودياً أو ما يعادلها. ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي - فرع القاهرة - باسم مجلة التوحيد - أنصار السنة (حساب رقم / ١٩١٥٩٠).

القاهرة - ٨ شارع قوله - عابدين
هاتف: ٣٩١٥٥٧٦ - ٣٩١٥٤٥٦
مطابع مؤسسة الأهرام التجارية - قليوب - مصر

مؤسسة الأهرام وفروع أنصار السنة المحمدية

هو عليه، وننسى أنهم هم الذين علمونا التظاهر وجعلوه وسيلة للضغط على حكوماتنا لتحقيق المزيد من مصالحهم وأهدافهم، ولهذا تعجب أخي القارئ أن تكون الأيام الماضية هي أيام المظاهرات.

مظاهرات المطالبين بالكفاية، ومظاهرات المبايعين والمؤيدين، ومظاهرات اللبنانيين، ومظاهرين المنددين، حتى أصبح عالمنا بحق عالم مظاهرات.. مظاهرات، هذا الذي تملكه أمة الغثاء حين تتداعى عليها الأمم ولو حدث هذا في زمن العز والتمكين لجيشت الجيوش لقتال الكافرين ومحاكمة المعتدين كما فعل رسول الله ﷺ بيهود بني قينقاع حين امتهنوا امرأة مسلمة هتكوا عرضها وكشفوا عورتها.

وكما فعل المعتصم العباسي حين جيش الجيوش لقتال الروم لأنهم اعتدوا على امرأة مسلمة فنادت: وامعتصماه.

ولكننا في زمن الغربة، زمن الضعف والذل والتخاذل، نعجز أن نقول مقالة عبد المطلب جد رسول الله ﷺ حين جاءت جيوش النصارى لهدم الكعبة فقال: للبيت رب يحميه، ثم أخذ بحلقة باب الكعبة وقال:

يا ناصر العبد يمنع رحله فامنع رحالك
وانصر على جيش الصليب وعابديه اليوم الله
لا يغلبن صليبهم ومحالهم عدوا محالك
إن كنت تاركهم وقبلتنا فأمر ما بدالك

إن كتاب ربنا عز وجل أعظم من أن تدنسه هذه الحماقات، فهو القرآن العظيم، والفرقان بين الحق والباطل، والمهيمن على الكتب السماوية وهو محفوظ بحفظ الله عز وجل، محفوظ من التبديل والتغيير والزيادة والنقصان، وهو عند الله تعالى في لوح محفوظ وكتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون، قال تعالى: ﴿فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (٧٦) إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ (٧٨) لاَ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ (٧٩) تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الواقعة: ٧٥- ٨٠].

قال قتادة: لا يمسه عند الله إلا المطهرون، فأما في الدنيا فيمسه المجوسي النجس والمنافق الرجس.

وقال بعضهم: وما تنزلت به الشياطين؛ لأنه لا يمسه إلا المطهرون، بل نزل به رسول كريم هو الروح الأمين جبريل على قلب خاتم النبيين محمد ﷺ كما قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾، وكما قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (٢١) وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ [التكوير: ١٩- ٢٢]. وقيل في معنى «المطهرون» أي من الجنابة والحدث، ولفظ الآية خبر ومعناها الطلب، أي لا يمس القرآن إلا طاهر كما جاء في كتاب النبي ﷺ لعمرو بن حزم، ولهذا نهى النبي ﷺ عن السفر بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن يناله العدو.

ومع هذا فقد نالوه وأهانوه في زمن الغثائية، وما فعلوا ذلك إلا حين أهانه المسلمون وتخلوا عن أحكامه واكتفوا بتعليمه والتبرك به وقراءته على الأموات وترك تدبره وفهم معانيه وتطبيق أحكامه.

تدبر القرآن

قال تعالى: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلا﴾ [النساء: ٨٣].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ القُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٢٠٤) وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الجَهْرِ مِنَ القَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلاَ تَكُن مِّنَ الغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤-٢٠٥].

وقال تعالى: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ القُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا القُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١].

فماذا يُنتظر من أمة جعلت كتاب ربها وراءها ظهريًا إلا الصراخ والمظاهرات.

القرآن الكريم معجزة النبي الخاتم، أحسن الحديث، الكتاب الذي لا يغسله الماء يعجز المسلمون عن فهمه وتدبره والعمل بحلاله وحرامه وابتغاء العز فيه، ورسولنا ﷺ يقول: «إن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وإن ما توعدون لآت».

ويقول النبي ﷺ: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إليَّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا». فهل تصدق علينا هذه المتابعة أم يشكونا رسول الله ﷺ كما قال ربنا عز وجل: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا القُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان].

الحث على تعاهد القرآن

القرآن كتاب كريم، محفوظ بحفظ الله. قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج: ٢١- ٢٢].

وفي صحيح مسلم يقول النبي ﷺ: «ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا، كل مالٍ نحلته عبدًا حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانًا وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب، وقال: «إنما بعثتك لأبتليك وابتلي بك، وأنزلت عليك كتابًا لا يغسله الماء تقرؤه نائمًا ويقظان». [مسلم].

فعلينا معشر المسلمين أن ننتصر لكتاب ربنا عز وجل بل ننتصر لديننا، نحرص على القرآن نتعاهد حفظه وتلاوته، فخير هذه الأمة من تعلم القرآن وعلمه وفهمه وتدبره، وأقبل عليه، وعمل به، ودعا إليه وجاهد به كما قال تعالى: ﴿وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾.

علينا أن نكون إيجابيين في رد فعلنا، نغير من سلوكنا ومن مناهجنا، نقترب من منهاج الهداية وسبيل العز، نعلمه للأجيال القادمة ونعلمهم كيف يحترمون كتاب الله ويتلونه حق تلاوته.

لكن هل يُرجى هذا من أمة الغثاء والضعف والتخاذل. يا أمة ذلت حين تخلت، للقرآن رب يحميه.

والحمد لله رب العالمين.

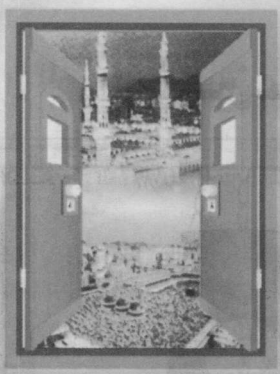

افتتاحية العدد

أمة الطهارة

إعداد
الرئيس العام
د. جمال المراكبي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد النبي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

شرع الله سبحانه وتعالى الطهارة وجعلها سمةً لأوليائه المتقين وعباده المصطفين الأخيار، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ [٤٢].

وقال تعالى: ﴿ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ [آل عمران: ٤٣].

فأخبر سبحانه بما خاطبت به الملائكة مريم عن أمر الله لهم أن الله اصطفاها لطهارتها، وطهرها لاصطفائها على نساء العالمين، فجعلها صديقة، وبشرها بمولد المسيح عيسى ابن مريم، وجعلها من الكاملات من النساء، وذلك لكثرة عبادتها وزهدها وشرفها وطهارتها من الأكدار والأرجاس.

وقال تعالى عن المسيح عيسى ابن مريم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام: ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ [آل عمران: ٥٥].

فأخبر الله سبحانه المسيح أنه مطهره من الذين كفروا برفعه إياه إلى السماء وعدم تمكين أعداء الله من قتله وصلبه والتسلط عليه.

وعهد الله إلى إبراهيم وولده إسماعيل عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام أن يطهرا بيته الحرام من أدران الكفر والشرك ومن كل سوء، فقال سبحانه: ﴿ وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ [البقرة: ١٢٥]، ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ [الحج: ٢٦].

قال الحسن: أمرهما الله أن يطهرا البيت من الأذى والنجس، وقال ابن عباس: من الأوثان. وقال مجاهد وسعيد بن جبير: من الأوثان والرفث وقول الزور والرجس.

ولا شك أن البيت الحرام لم يصبه شيء من الأرجاس والأدناس في حياة إبراهيم وإسماعيل عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام فيصبح المعنى أن طهرا النفوس من أدران الشرك والمعصية فلا يتلطخ البيت بشيء من ذلك.

ولقد بقي العرب على الحنيفية ملة إبراهيم مدة طويلة يعظمون فيها البيت ويطهرونه من الرجس والدنس حتى أحدث عمرو بن لحي عبادة الأصنام

والأوثان وجعلها حول البيت، وتابعه قومه على ذلك وتركوا ملة إبراهيم(١).

وبقي ذلك دأب العرب حتى بُعث النبي الخاتم محمد ﷺ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ويدعوهم إلى توحيد الله عز وجل وإحياء الحنيفية السمحة ملة أبيهم إبراهيم، وقد قام النبي ﷺ بذلك خير قيام منذ أرسله ربه عز وجل وأمره بإنذار قومه عاقبة الشرك، وأمره كذلك بتطهير قلبه وقلوبهم من هذه الأدران، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾. قال أبو سلمة: والرجز: الأوثان.

وقد تم ذلك التطهير للبيت العتيق على مراحل:

الأولى: تطهير القلوب من علائق الكفر والشرك بتوحيد الله عز وجل وإخلاص العبادة له.

الثانية: قتال أئمة الكفر الذين يصدون عن سبيل الله ويزعمون أنهم سدنة البيت وأخص الناس به وأصحاب السقاية فيه.

الثالثة: فتح مكة وتحطيم الأوثان والأصنام حول البيت.

الرابعة: نهيه ﷺ أن يحج المشركون البيت، فأرسل مناديًا ينادي في موسم الحج في العام التاسع للهجرة لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له من المشركين عهد فعهده إلى مدته، ثم كان تطهير جزيرة العرب من الشرك والمشركين، ثم وصية النبي ﷺ عند موته بإخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب.

وقد ظل البيت الحرام مطهرًا من أدران الشرك إلى يومنا هذا بفضل من الله وتوفيقه، ثم بجهود دعاة التوحيد حفظ الله أحياءهم، ورحم أمواتهم، وجعلنا وإياهم من الطائفة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة.

معنى الطهارة:

الطهارة نقيض النجاسة. والطُهور- بالضم- فعل التطهر وبالفتح الماء الذي يُتطهر به.

والطهارة من المنظور الشرعي ليست مقصورة على رفع الأحداث، وإزالة النجاسات، بل تعم إزالة العيوب والأدران من القلوب والأبدان، وبهذا وردت النصوص الشرعية وعلى هذا فالطهارة في الكتاب والسنة على أقسام:

أولا... الطهارة الحسية الظاهرة

وهذه إما طهارة من الحدث وإما طهارة من الخبث وطهارة الحدث برفعه بالوضوء أو الغسل وينوب عنهما التيمم عند عدم الماء، أو عند العجز عند استعمال الماء.

وطهارة الخبث تكون بإزالته بالماء ونحوه من الثوب والبدن ومواضع الصلاة.

وهذا القسم من الطهارة يعتنى الفقهاء ببيانه في كتب الفقه، وهو من الأهمية بمكان حيث لا تصح الصلاة إلا بالطهور كما أخبر النبي ﷺ: «لا صلاة إلا بطهور».

ثانيا: الطهارة المعنوية من الشرك والنفاق والرياء ومن الذنوب والمعاصي القلبية والبدنية

وهذه يعتني بها أهل السلوك، والسائرون إلى مرضاة رب العالمين، ويزعم المتصوفة أنهم المعتنون بهذا القسم، والحق أن أهل السنة وأصحاب الحديث والفقه أولى الناس بهذا ولكنهم يعتمدون منه ما دل عليه الدليل الشرعي من الكتاب والسنة وإجماع الأمة، بينما يعتمد غيرهم الأذواق والمواجيد وربما الأهواء ويحدثون فيه الكثير من البدع والضلالات(٢).

وقد جمع الله عز وجل لهذه الأمة بين طهارة الباطن وطهارة الظاهر حتى أضحت هذه الأمة بحق أمة الطهارة.

الدخول على الله مشروط بالطهارة

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦].

فجمع الله سبحانه بين طهارة الوضوء وطهارة الغسل والبديل عنهما وهو التيمم في آية واحدة، ثم أشار إلى طهارة الباطن في قوله في ختام الآية: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ يريد الله ليطهركم ظاهرًا وباطنًا، وبذلك يُتم نعمته عليكم، وتمام النعمة بدخول الجنة والنجاة من النار.

وجمع الله سبحانه بين طهارة الظاهر وطهارة الباطن في قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾، وأخبر أنه يحب التوابين ويحب المتطهرين، فجمع سبحانه بين طهارة الباطن بالتوبة، وبين طهارة الظاهر، وهي الطهارة من الحدث والتطهر من الحيض: قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا

النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

ومدح الله أصحاب نبيه ﷺ ووصفهم بالطهر ومحبة التطهر فقال: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨].

والدخول إلى الجنة مشروط بالطهارة، فالجنة طيبة لا يدخلها إلا الطيبون المطهرون من أدران الشرك والذنوب.

قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣].

فجعل المولى تبارك وتعالى دخول الجنة معلقًا على شرط أن يكونوا طيبين طاهرين متطهرين، لأجل ذلك يحبس المؤمنون على قنطرة بين الجنة والنار، ولا يدخلون الجنة حتى يقتص بعضهم من بعض، ولا يدخل الجنة إلا نفس طيبة.

ونساء الجنة طاهرات مطهرات كما أخبر المولى تبارك وتعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥].

وشراب الجنة طهور كما قال عز وجل: ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١].

ومن لم يتطهر باطنًا وظاهرًا ناله الخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة، وهذا حال المغضوب عليهم من الكافرين والمنافقين المسارعين إلى سخط الله وغضبه كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٤١].

كيف يتطهر المؤمن؟

يتطهر المؤمن من الخبث الحسي بإزالته بالماء أو بغيره ويتطهر من الحدث الأصغر بالوضوء، ومن الحدث الأكبر بالغسل، فإذا فقد الماء أو عجز عن استعماله تيمم كما هو معروف معلوم في النصوص الشرعية ومفصل في كلام الفقهاء عن الطهارة.

ويعتني المؤمنون بطهارة باطنهم وطهارة قلوبهم أكثر من اعتنائهم بطهارة الظاهر، لأن طهارة القلوب هي الأصل والأساس وعليها مدار القبول، وتتحقق هذه الطهارة بإخلاص العمل لله عز وجل، وتنقية القلوب من أدران الشرك والكفر والذنوب والمعاصي.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ ومعنى هذا أن نجاسة الشرك نجاسة أصلية لا تزول ولا تقبل التطهير ما دام وصف الشرك قائما، وعليه فإن الله حرم على المشركين الجنة، وأخبر أنه سبحانه لا يغفر الشرك بحال من الأحوال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾.

أما نجاسة الذنوب والمعاصي القلبية والبدنية فإنها ترتفع وتزول وتطهر بالتوبة النصوح والاستغفار والحسنات الماحية والمصائب المكفرة.

قال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧]

وقد جعل الله سبحانه أنهارًا للتطهير في الدنيا، ووصف النبي ﷺ الصلوات الخمس بأنها نهر يغتسل فيه المؤمن كل يوم خمس مرات حتى لا يبقى من درنه شيء، ومن لم تكفه هذه الأنهار كان عرضه لدخول النار يتطهر فيها من ذنوبه ثم يخرج منها، يقول ربنا عز وجل: «أخرجوا من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة». [مسند أحمد ح١٣٨٦٣ وإسناده صحيح]

---

(١) قال رسول الله ﷺ: رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار- أي يجر أمعاءه في النار- لأنه سيب السوائب وغير دين إبراهيم.

(٢) راجع مدارج السالكين شرح منازل السائرين لابن القيم ومنهاج القاصدين ومختصره على سبيل المثال.

افتتاحية العدد

من هو الأعظم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

ففي ظل الظروف العصيبة التي تعصف بالأمة الإسلامية وفي خضم الأحداث المتلاحقة التي تنزل بها صارت الفتن تعرض علينا في بيوتنا من خلال أجهزة الحاسب الآلي وشبكة الإنترنت وأجهزة التلفاز بلا ضوابط.

فقد تلقيت كتابًا عبر شبكة الإنترنت بعنوان «من هو الأعظم: المسيح أم محمد؟ سؤال لابد من جوابه»، والذي كتب هذا الكتاب قس نصراني، وقد أتى هذا القس بآيات من القرآن الكريم وعبارات من السنة النبوية المطهرة، وأولها على هواه ثم ساقها في صورة قصة، وظني به أنه يكذب ويريد أن يموه بكلامه على الشباب، ومما يؤكد هذا الظن أنه قد وزعت نشرة من قبل بعنوان: أي الإثنين أقدر عيسى أم محمد؟ وقد وردت تلك النشرة بصيغة أخرى، ولكن مضمونها واحد؛ يقول هذا القس: «اعتاد أحد خدام الرب زيارة السجون في إحدى البلدان العربية ليعلن طريق الحياة للمساجين وكان يحصل على رخصة رسمية من دوائر الحكومة لزيارة كل من يريد أن يسمع بشارة الحق والسلام التي تطهر القلوب وتغير الأذهان، دخل مرة إلى جماعة من السجناء محكوم عليهم بالسجن أكثر من عشر سنوات وكانوا قد عرفوه من زياراته السابقة وتعودوا أن يستمعوا إلى إرشاداته للحق وبشرى الخلاص وكانوا يتباحثون بعد خروجه حول خطاباته بشدة وحماس لا نظير لهما، ولما دخل هذه المرة إلى زنزانتهم أقفلوا فورًا الباب وراءه قائلين له: إنك لن تخرج من هذه الغرفة إلا إذا جاوبتنا جوابًا قاطعًا وصريحًا على سؤالنا، ثم سألوه هذا السؤال من هو الأعظم؟ محمد أم المسيح؟ فلما سمع خادم الرب هذا السؤال قال في نفسه وهو في حيرة: إن قلت إن محمدًا هو الأعظم يهاجمني السجناء المسيحيون، وإن قلت إن المسيح هو الأعظم لربما يقوم أحد المسلمين عليَّ ويكسر رقبتي من شدة غيظه، فصلى خادم الرب في قلبه سائلاً ربه ليلهمه الإجابة الحكيمة المقنعة لهؤلاء السجناء فالهم الروح القدس هذا الخادم المتضايق وهو خلف الباب المغلق جوابًا واضحًا قدمه بتواضع فابتدأ رجل الله يقول: أنا مستعد أن أقول لكم الحق الصريح، إنما السؤال المطروح أمامي ليس هو الموضوع الذي أعددته لكم اليوم من الكتاب المقدس ولكن إن صممتم على أن تسمعوا المقارنة بين محمد والمسيح فلا أخفي عنكم الحقيقة، إنما لست مسئولاً على ما ينتج عن شروحاتي بل أنتم المسئولون لأنكم أجبرتموني على إجابة سؤال لم أطرحه وما نويته إطلاقًا، فهذا هو ردي لا أقرر أنا من هو الأعظم، بل أترك القرآن والحديث أن يعطيكم جوابًا مقنعًا».

ثم بدأ يسوق مسائل معينة في صورة سانجة فتكلم عن ولادة محمد والمسيح عليهما السلام، وأن محمدًا ﷺ وُلد بطريقة طبيعية، أما المسيح فقد ولد من روح الله، ثم تحدث عن الوعود الإلهية عن محمد والمسيح عليهما السلام، وأن الله تعالى بشر مريم أنه سيولد المسيح منها فهو كلمة الله المتجسد، أما محمد ﷺ فليس كذلك، ولكنه كما في القرآن تلقى الوحي ونقله إلى مستمعيه ولم يبشر الله أمه آمنة بشارة خاصة، وأن مريم عليها السلام ورد اسمها في القرآن ٣٤ مرة، وأن آمنة لم يرد اسمها في القرآن ولو مرة واحدة؛ ثم تحدث عن براءة محمد والمسيح عليهما السلام، وأن محمدًا ﷺ لما كان فتىً أتى إليه ملكان وطهرا قلبه، أما المسيح فقد ورد في القرآن أن مريم ستلد غلامًا زكيًا، أي صافيًا نقيًا وبلا خطية، ثم تحدث عن الوحي لمحمد والمسيح عليهما السلام، وأن جبريل كان إذا نزل على النبي ﷺ يغشى عليه، أما المسيح فلم يرسل الله جبريل إليه البتة، ولم يتقبل المسيح وحيًا بواسطة شخص ثالث لأنه كان نفسه قول الحق المتجسد وكلمة الله الأزلي وروحًا منه منبثقًا من الله نفسه عارفًا إرادته، ثم

تحدث عن آيات محمد ﷺ، وآيات المسيح عليه السلام، وأن آيات محمد ﷺ هي القرآن، فليست آياته أعمالاً بل كلام، ويشهد القرآن للمسيح عليه السلام بكلمات محدودة أنه الطبيب الأعظم المبارك، وأنه محيي الموتى، وأنه الفتى الخالق وأنه الرازق اللطيف، وأنه كاشف الأسرار وأنه المشرع العظيم يريد بذلك أن يقول المسيح عليه السلام هو الله، ثم يقول: طوبى لمن يدرك أن المسيح عليه السلام ليس إنسانًا عاديًا، ولا مجرد نبي بل هو المشرع بلسطان الله؛ ثم تحدث عن محمد والمسيح عليهما السلام بعد موتهما، وأن محمدًا دفن في المدينة المنورة، أما المسيح عليه السلام فقد رفعه الله إليه، ثم تحدث عن سلام محمد وسلام المسيح عليهما السلام، وأن المسيح عليه السلام آية الله ورحمة الله.

وهكذا ظل هذا القس الجاهل يتحدث ويؤول آيات القرآن الكريم وعبارات السنة النبوية المطهرة على هواه، وبعد هذا الكلام قام من وسطهم ولم يمنعه أحد بل فتحوا له الباب وسمحوا له بالخروج وتهيجت الأبحاث في الزنزانة واستمرت إلى الليل.

ونقول: هذا الكلام لا خوف منه على من عرف عقيدته، لكن الخطر أننا تركنا أبناءنا في مقاهي الإنترنت، بل أصبحنا لا نخشى عليهم الشبهات التي تعرض عليهم وتركناهم يتعرضون للمواقع التبشيرية التي ازدادت بكثرة في وقتنا الحاضر وإلى غرف النصارى التي لا تخلوا من السب الدائم للنبي ﷺ والتطاول على الله سبحانه وتعالى وعلى الدين الإسلامي ولم نعلمهم شيئًا والمدرسة لا تعلمهم من ذلك شيئًا فيبقى الشاب عرضة لحديث شاب مثله ثم لا يوجد شيء يحميه من الشبهات وجميعنا نعلم أن هذه الشبكة العنكبوتية فيها من صنوف الضلالات ومن ألوان الشبهات ما يضل به الشيخ الكبير فضلاً عن الشاب الصغير، فلو عرضت على الشاب شبهة من الشبهات كتلك التي بين أيدينا تجده إما أن يتعصب لنبيه وربما ينال من المسيح عيسى عليه السلام، وإما أن يتشكك ويقول: لا أدري، وإما أن يسكت على جهل وشك، ولو عرف من كتاب ربه آية واحدة في خواتيم سورة البقرة هي قوله تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾، لما انطلت عليه هذه الشبهة؛ فنحن أمة الإسلام آمنا بالله تعالى وبملائكته وبكتبه وبرسله ثم نعلنها صريحة لا نفرق بين أحد من رسله فلا نقول هذا خير من هذا ودائمًا ما نقع في هذا الخطأ بل نجد خطيبًا يصعد المنبر فيبني خطبة كاملة على أفضلية محمد ﷺ على الرسل، ولا شك أنه ﷺ هو خاتم النبيين والمبعوث رحمة للعالمين، وأنه بعث للناس كافة وخصائصه وخصائص أمته كثيرة لكنه ﷺ نهانا عن التفضيل بين الأنبياء، فقال: «لا تفضلوني على موسى». وقال: «لا يقولن أحد أنا خير من يونس بن متى»، وكثرًا ما يفتعل أصحاب الضلالة معارك بين أنبياء الله ورسله وبين أتباع النبيين، وقديمًا قال المعرى أحد دعاة الضلالة:

في الأرض قامت ضجة
ما بين أحمد والمسيح
هذا بناقوس يدق
وذا بمئذنة يصيح
كل يعظم دينه
بالله قل لي ما الصحيح

بين أحمد والمسيح

أحمد والمسيح أخوان وهما رسولان كريمان بشر أحدهما بالآخر، والنبي ﷺ أولى الناس بعيسى، كما قال في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد». «البخاري: أحاديث الأنبياء: ح٣١٨٧، وفي لفظ: «وليس بيني وبين عيسى نبي ﷺ».

من هو عيسى؟

هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه.

من هو محمد؟

عبد الله ورسوله محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم.

عيسى بشر بمحمد: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ﴾ «الصف: ٦».

محمد بشر بعيسى:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يوشك المسيح عيسى ابن مريم أن ينزل حكمًا قسطًا وإمامًا عدلاً فيقتل الخنزير ويكسر الصليب وتكون الدعوة واحدة فاقرئوه أو أقرئه السلام من رسول الله ﷺ وأحدثه فيصدقني فلما حضرته الوفاة قال أقرئوه مني السلام». «مسند أحمد ك باقي مسند المكثرين ح٨٧٥٨».

وأتباع محمد هم من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وأقام الصلاة وآتى الزكاة وصام رمضان وحج البيت واعتمر إن استطاع إليه سبيلاً.

وأتباع عيسى هم من شهد أن لا إله إلا الله وأن عيسى عبد الله وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وهذا قبل بعثة محمد ﷺ، فلما بعث محمد ﷺ لابد من إضافة (وأن محمدًا رسول الله).

ولا فرق بين أتباع عيسى وأتباع محمد لأن أتباع عيسى هم أتباع محمد وأتباع محمد هم أتباع عيسى ومحمد أولى الناس بعيسى والمؤمنون أولى الناس بمحمد وعيسى وسائر النبيين.

وهذا الكلام مهم جدًا حتى لا نظن أننا أتباع محمد وهم أتباع المسيح والذي كتب ذلك الكلام ليس من أتباع المسيح بل إنه يوم القيامة يقول رب العزة: «لتتبع كل أمة ما كانت تعبد فيأتيهم ملك في

صورة المسيح المصلوب فيسيرون وراءه إلى النار»، أما أتباع المسيح الحق فيكونون مع محمد ﷺ، ومع المسيح عليه السلام ومع سائر النبيين عليهم السلام ينتظرون رب العزة حتى يتجلى لهم، ولهذا حين يسأل هذا الجاهل هذا السؤال من هو الأعظم؟ المسيح أم محمد نرد عليه ونقول له أيها الجاهل كلاهما عظيم يكفيه شرف النبوة ويكفيه شرف الرسالة، فإن كنت تزعم أن المسيح هو الله أو ابن الله أو ثالث ثلاثة، فهذا هو محض الكفر.

التفضيل ثابت عند الله

فالله تعالى فضل بعض النبيين على بعض، قال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ «البقرة: ٢٥٣»، وقال: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾.

فالله تعالى هو الذي يفضل ولسنا نحن، فما يكون لله لا نتصف نحن به، فالله تعالى يفضل ونحن نؤمن ونصدق بقول الله، ولقد نهينا عن هذا التفضيل لكونه مؤديًا إلى التفريق، ووجود مثل هذا الكلام على شبكة الإنترنت معناه أننا نفرق بين أحمد والمسيح، لكن عقيدتنا أننا لا نفرق بينهما، وبين كل أنبياء الله تعالى، والعجيب أن الله تعالى جعل لكل نبي ميزة يختص بها، فإبراهيم خليل الله، وموسى كليم الله، وعيسى روح الله، ومحمد سيد ولد آدم يوم القيامة وصاحب الشفاعة العظمى والمقام المحمود والخليل الثاني، ولما سئل النبي ﷺ عن آدم عليه السلام أنبي هو؟ قال: نعم نبي معلم مكلم، معلم أي عُلم الأسماء، مكلم أي كلمه ربه وناداه.

فنحن في هذه القضية لابد أن نكون على إيمان كامل بأننا لا ننال من عيسى عليه السلام حتى وإن سبوا هم نبينا محمدًا ﷺ، وإن سبه اليهود فلا نسب نحن موسى عليه السلام، لأنهم ليسوا أتباع موسى وليسوا أتباع عيسى، بل هم أتباع الشيطان وأتباع الضلالة، وليس بعد الكفر ذنب، بل إن الله تعالى أمرنا ألا نسب آلهة المشركين إذا ترتب على ذلك أن يسبوا الله فقال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾.

لهذا لا ينبغي لشبابنا أن يتلقوا دينهم من أمثال هؤلاء فهم أهل ضلالة، فتعرض الإنسان لمثل هذه الفتن والشبهات قد يضعف إيمانه لكونه غير متفقه في دينه فلا ينبغي له أن يعرض نفسه لهذه الفتن وتلك الشبهات عملاً بقول الله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾.

آيات محمد ﷺ

إذا كان القرآن الكريم هو الآية الكبرى لنبينا محمد ﷺ وهو معجزته الخالدة وحجة الله على الخلق حتى قال عنه نبينا محمد ﷺ: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة». «متفق عليه».

وقد حقق الله تعالى له رجاءه فهو أكثر النبيين تابعًا يوم القيامة والمؤمنون به أكثر أهل الجنة.

وليس معنى هذا أن النبي ﷺ لم تكن له معجزات غير القرآن بل إن آياته كثيرة ومعجزاته لا حصر لها، ونذكر من هذه المعجزات:

١- نبع الماء من بين أصابعه: فعن عبد الله قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فقل الماء فقال اطلبوا فضلة من ماء فاجاءوا بإناء فيه ماءٌ قليل فأدخل يده في الإناء ثم قال: حي على الطهور المبارك والبركة من الله، فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل. «البخاري: ك المناقب ح٣٥٧٩».

٢- إطعام الجيش الكثير من الطعام القليل:

ففي صحيح مسلم: لمَّا كان غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة، قالوا: يا رسول الله، لو أذنت لنا فنحرنا نواضحنا فأكلنا وادهنا، فقال رسول الله ﷺ: افعلوا، فجاء عمر فقال: يا رسول الله، إن فعلت قل الظهر ولكن ادعهم بفضل أزوادهم ثم ادع الله لهم عليها بالبركة لعل الله أن يجعل في ذلك، فقال رسول الله ﷺ: نعم. قال: فدعا بنطع فبسطه ثم دعا بفضل أزوادهم قال: فجعل الرجل يجيءُ بكفِّ ذُرَة قال: ويجيء الآخر بكفِّ تمر، قال: ويجيءُ الآخر بكسرة حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسيرٌ، قال: فدعا رسول الله ﷺ بالبركة، ثم قال: خذوا في أوعيتكم، قال: فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاءً إلا ملئوه، قال: فأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة، فقال رسول الله ﷺ: أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبدٌ غير شاك فيُحجب عن الجنة. (ك الإيمان ٤٥).

فمحمد ﷺ النبي المطاع الممكن الذي هدى الله به أعظم أمة وأسس أعظم دولة وخذل الشرك والمشركين وأذل الكفر والكافرين، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا.

وما يحدث للأمة المسلمة اليوم من ضياع وخذلان وتفرق إنما هو من آيات نبينا محمد ﷺ فقد حذرنا أنه ستكون فتن كقطع الليل المظلم، وأن أمم الأرض ستتكالب على هذه الأمة، ولكنه أيضًا وعدنا ببقاء هذه الأمة في زمن الغربة وبقاء هذا المنهج والمتمسكين به إلى أن ينزل المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام فيعمل في هذه الأمة بشريعة محمد ﷺ وبسنته ومنهاجه.

فاللهم اجعلنا من المؤمنين بك وبرسلك ووفقنا للتمسك بهدي نبيك ﷺ، واعصمنا من الضلالة بعد الهدى.

والله من وراء القصد.

افتتاحية العدد

ماذا نريد من الرئيس؟

إعداد
الرئيس العام
د. جمال المراكبي

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه وبعد:

فقد شهدت مصر في المرحلة الحالية جدلاً سياسيًا واسعًا بعد تعديل المادة ٧٦ من دستور ١٩٧١م والتحول من ظاهرة الاستفتاء الشعبي كطريق لانتخاب رئيس الجمهورية إلى انتخاب الرئيس بالاقتراع الحر المباشر من بين أكثر من مرشح للرئاسة وما استتبع ذلك من حالة رواج سياسي بعد حالة من الجمود، وقد تجلى هذا في تقدم المرشحين ببرامج انتخابية تعبر عن رؤية كل منهم للمرحلة المستقبلية؛ وتبع ذلك حالات من الجدل الفكري بين عموم الناس وكثرت الأسئلة حول رؤية أنصار السنة للحالة الراهنة.

ومن ثم كان هذا الحوار:

قال لي محاورًا: ما هذه السلبية التي تتمتعون بها؟ لماذا لا يكون لكم دور إيجابي ومشاركة فعالة في الحياة السياسية؟

قلت له: أي عمل سياسي تقصد؟

قال: انتخاب الرئيس واختيار النواب في البرلمان.

قلت له: نحن نهتم بأمر أكثر أهمية.

قال متعجبًا: أكثر أهمية!!

قلت: بلى، دعوة الناس إلى الله وتوحيده واتباع منهاج الرسول ﷺ ونبذ البدع والخرافات والضلالات التي يعج بها المجتمع المسلم وتعوق تقدمه وازدهاره.

قال: وهل هذا يمنع من مشاركة إيجابية في العمل السياسي؟

قلت له: أما باسم جماعتنا فنحن لا نشارك في هذه السياسة إلا بالمناصحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وطاعة ولاة الأمر في المعروف ما لم يأمروا بمعصية، فلا طاعة

في المعصية، وهذا موقف قديم ومعلن منذ أن تأسست هذه الجماعة عام ١٩٢٦م فنحن جماعة دعوة ولسنا حزبًا سياسيًا نسعى للوصول إلى السلطة وإنما نحن نسعى إلى التغيير في القاعدة العريضة من الشعب بدعوة الناس إلى منهج الرسول ﷺ وإلى العمل بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وإجماع الأمة - أعني سلف هذه الأمة - فلن تصلح هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، أما على المستوى الفردي فنحن لا نقاطع الانتخابات فأنا بنفسي أشارك في عملية الانتخاب ولكننا ندعو الناس إلى فهم سليم واختيار دقيق يراعى فيه اختيار الأصلح، ومدار الصلاحية على العلم والقوة والأمانة؛ قال تعالى ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص:٢٦].

وقال تعالى على لسان يوسف عليه السلام: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف:٥٥].

فالمسلمون جميعًا مسئولون عن تولية أصلح الناس وأقواهم على تحمل هذه الأمانة دون تهاون أو تقصير، ومدار الصلاحية كما قلنا على القوة والأمانة.

القوة والقدرة على تحمل أعباء هذا المنصب، والأمانة التي تجعله يؤدي لكل ذي حق حقه.

وما أعظم وما أخطر شأن هذه الأمانة وفي هذا يقول النبي ﷺ: "إنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها".

[مسلم ك الإمارة ح ١٨٢٥]

وضياع هذه الأمانة في الأمة من أشراط الساعة وأسباب قربها وفي هذا يقول نبينا ﷺ: "إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة، قيل: يا رسول الله وما إضاعتها؟ قال: إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة".

[البخاري ك العلم ح٥٩]

فهل يُظن بمن يؤمن بهذا أن يكون سلبيًا؟؟ ولكن أحيانًا يكون المعروض المتاح من البرامج والأفكار لا يتناسب مع طموحنا كمحكومين وهنا نسعى إلى الدعوة إلى الحق وبيانه المؤيد بالدليل، وهذا ما نطمح إليه.

قال: وما هي طموحاتكم؟

قلت: أولا أن نُحكم كأغلبية مسلمة بقوانين لا تتعارض مع شريعتنا، هل يعقل أن تكون البرامج الانتخابية المعروضة من جميع المرشحين لا تتناول مسألة تعديل القوانين التي تخالف صراحةً أحكام الشريعة الإسلامية؟ فإمكانية التغيير متاحة؛ إذ يعلن أكثر من مرشح في برنامجه إلغاء قانون الطوارئ أو تعديله بينما لا نجد أحدًا يشير من قريب أو بعيد لتعديل مواد القانون الجنائي التي تخالف صراحةً شريعة الإسلام مثل القوانين المتعلقة بجريمة الزنا مع أن تقاليد الشعب المصري ترفض مثل هذه القوانين البالية ولا تتعامل بها.

إننا نعيش مخالفة دستورية منذ تم تعديل دستور ١٩٧١م في عهد الرئيس السابق أنور السادات واشتمل التعديل فقرتين، الأولى: تجديد انتخاب الرئيس لمدد تالية بدلا من كلمة (مدة تالية)، والثانية: الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسي للتشريع بدلا من كلمة (مصدر رئيسي) وهذا يعني أن تكون كل القوانين موافقة لأحكام الشريعة، وإلا كانت غير دستورية وأن تكون الشريعة الإسلامية هي أم القوانين وألا يصدر تشريع أو لائحة تخالف الشريعة الإسلامية.

وها هو التعديل الأول يُطبق إلى الآن، أما عن التعديل الثاني فالقوانين ما زالت حبيسة الأدراج في المجلس الموقر، وعلى المجالس التشريعية والحكومة تقع تبعة هذه المخالفة.

قال محاوري: وماذا عن المشاكل التي يعاني منها الشعب من بطالة وتدنٍ في مستوى المعيشة وكذلك الإصلاحات التي تمت طيلة السنوات الماضية ألا تمثل لكم قيمة تختارون على أساسها من يمثلكم في الحكومة والبرلمان؟؟

قلت: نحن لا ننكر هذه الأشياء ولا نعيش بمعزل عنها ولكننا نرى أن تطبيق أحكام

الشريعة الإسلامية لا يمنع من الإصلاح ولا يعني العودة بالمجتمع إلى قرون ماضية مظلمة كما يروج لذلك دعاة العلمنة، بل إن المضي في هذا الطريق الذي ندعو إليه هو السبيل الأعظم للقضاء على البطالة ولرفع مستوى المعيشة وزيادة الإصلاحات، وكذلك يؤدي إلى القضاء على ظاهرة الإرهاب وعلى كل فكر ينبت في الظلام ويدعو إلى التكفير، فإن هؤلاء يرتكزون في منهجهم التكفيري على قضية غياب الشريعة الإسلامية.

إن أخوف ما نخافه أن تفرز المرحلة التي نعيشها الآن مزيدًا من العلمنة وأن تدير مصر في المرحلة المقبلة ظهرها لتراثنا وشريعتنا بدعوى التحرر وتحقيق النموذج الأمريكي والغربي باعتباره المثل الأعلى والنموذج الذي ينبغي أن يُحتذى، وهذا ما يروج له بعض المرشحين ويدندن حوله كثير ممن يزعمون الإصلاح ويسمون أنفسهم إصلاحيين.

قال محاوري: ولكننا لا نعيش وحدنا في هذا الوطن، بل معنا إخوة في الوطن من غير المسلمين، فكيف نطبق عليهم أحكام الشريعة الإسلامية؟

قلت: نحن لا ننكر وجود غير المسلمين، وشريعتنا لا تصادر حقوق غير المسلمين، والقوانين النابعة من الشريعة الإسلامية لا تمس حقوقهم من قريب أو بعيد وهذا أمر بديهي معلوم.

إننا نطبق قانون الميراث المستوحى من الشريعة الإسلامية والفقه الإسلامي في مصر ولم يقل أحد إن تطبيق مثل هذا القانون يمس حقوق غير المسلمين.

قال: فما الذي ترجوه من الرئيس القادم؟

قلت: الذي نريده من الرئيس القادم أن يجعل هذه النصيحة نصب عينيه، فإن رسول الله ﷺ يقول "الدين النصيحة. قلنا لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم". [رواه مسلم]؛ وقال ﷺ: "إن الله يرضى لكم ثلاثًا ويسخط لكم ثلاثًا: يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، وأن تُناصحوا من ولى الله أمركم، ويسخط لكم: قيل وقال، وإضاعة المال وكثرة السؤال". [رواه أحمد ومسلم]

وأن يجعل التعديلات للقوانين المخالفة للشريعة في حيز الاهتمام والتنفيذ، وأن يضرب بيد من حديد على الفساد والمفسدين، والله يعلم إني لناصحٌ "إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب".

●● تنويـــه ●●

بالنسبة لما نسب إلينا أننا بايعنا الرئيس حسني مبارك أميرًا للمؤمنين، وحكمنا على غيره من المرشحين أنهم آثمون فإننا نقول: إن الرئيس حسني مبارك - وليس أحد غيره - قد بادر مبادرة غير مسبوقة دعى فيها الشعب للاستفتاء على تغيير المادة ٧٦، ومن خلال هذه المادة فتح باب الترشيح لرئاسة الجمهورية وأصبح الرئيس مبارك بموجب ذلك مرشحًا مثل غيره من المرشحين وذلك من الناحية الدستورية، ومن هنا لا يمكن الحكم على مرشح أنه آثم بتقدُّمه للترشيح للرياسة، ولا يُعد ذلك خروجًا على الرئيس القائم، ولا خلعًا ليد الطاعة عنه، ولا منازعة له في حقوقه، والذي يقع عليه الاختيار بعد ذلك رئيسًا لمصر له حق الطاعة في المعروف، ولا يجوز شرعًا الخروج على الرئيس الحاكم بعد تنصيبه، ولا التشهير به في المجالس ولا نصحه على المنابر، بل يُدعى لولاة الأمور بالتوفيق والسداد، ففي توفيقهم وصلاحهم وسدادهم صلاح البلاد والعباد.

والله أسأل أن يوفق رئيسنا لما يحب ويرضى، ولما يحقق طموح هذا الشعب والأمة في هذه المرحلة المقبلة.

والله ولي التوفيق

افتتاحية العدد

رمضان والتوبة

إعداد
الرئيس العام
د. جمال المراكبي

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه وبعد..

فإن لربنا في أيام دهرنا لنفحات، تأتينا نفحة بعد نفحة تذكرنا إذا نسينا، وتوقظنا إن غفلنا، وإن من أعظم هذه النفحات شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، الشهر الذي أوجب الله علينا صومه، وسن لنا رسول الله ﷺ قيام ليله، الشهر الذي تغفر فيه الذنوب، «من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه» و«من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه» و«من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه»، فعجبًا لمسلم أدرك رمضان فلم يُغفر له ذنبه، فما أجرأه على الله! ما أتعسه! ما أبعده إذ فتحت أبواب الجنة! وفتحت أبواب السماء والرحمة وغلقت أبواب النار، وصفدت الشياطين ومردة الجان، وهو مصر على ذنبه! يعرض عن دعاء ربه، يقبل على إبليس وجنده، فما أتعسه! وما أشقاه! «بعد عن الله من أدرك رمضان فلم يغفر له». إن رمضان فرصة عظيمة للتوبة، وللتحول من منهاج الضلالة إلى سبيل الهدى، إنه نفحة من نفحات السماء، إذ تتهيأ الجنة للمتقين وتنادي أهلها المحبين الطائعين: «من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من أبواب الجنة: يا عبد الله هذا خير فإن كان من أهل الصلاة دُعي من باب الصلاة، وإن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد وإن كان من أهل الصوم دعي من باب الريان» وقد يدعى العبد من أبواب الجنة كلها إذا كان سباقًا إلى ألوان الخير، حريصًا على مرضاة ربه وخالقه ومولاه، لا يترك بابًا للخير إلا دخله ولا يترك بابا للشر إلا أغلقه وسده، مخلصًا لله في عمله كله، يرجو الله ويخاف ذنوبه، فمن منا الموفق؟ ومن منا المسدد؟ ومن منا من وكله الله إلى نفسه؟

«يا حي يا قيوم بك أستغيث فأصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين».

«اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي واجعل الحياة زيادة لي في كل خير واجعل الموت راحة لي من كل شر». [مسلم]

والتوبة هي الرجوع عن معصية الله تعالى إلى طاعته، الرجوع عما نهى الله عنه إلى ما أمر الله به، الرجوع عن سبل الضلالة التي على كل سبيل منها شيطان إلى صراط الله المستقيم ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾.

والتوبة واجبة على كل عبد بالكتاب والسنة وإجماع الأمة من كل ذنب صغيرًا كان أو كبيرًا، قال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور:٣١] فحث الله المؤمنين على التوبة، وعلق الفلاح عليها، فلا يرجو الفلاح في الدنيا والآخرة إلا التائبون.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ

وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يَوْمَ لاَ يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التحريم:٨]

فالتوبة الخالصة النصوح تكفر الخطايا والذنوب وتهيئ المؤمنين لدخول الجنة.

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات:١١] فالناس إما تائب وإما ظالم ولا يوجد قسم ثالث، وإن من أعظم التوبة وأوجبها التوبة من الكفر إلى الإيمان.

وقال تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال:٣٨]. وقال تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة:٥].

ولقد كان سيد التائبين محمد ﷺ يستغفر الله ويتوب إليه في اليوم مائة مرة، وهو الذي غفر له ربه ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ويحث الناس على متابعته على هذا الهدي فيقول: «يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإني أتوب إلى الله في اليوم مائة مرة». [رواه مسلم]، وفي رواية البخاري: «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة».

وفي رواية النسائي عن ابن عمر أنه سمع النبي ﷺ يقول: «أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه» مائة مرة.

وقال: «كنا نعد لرسول الله ﷺ في المجلس: «رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الغفور» مائة مرة ولعل البعض يتساءل لماذا يتوب النبي ﷺ على هذا النحو وهو سيد ولد آدم يوم القيامة، وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟

والجواب.. لأن الله يحب التوابين، ويفرح بتوبة عبده المؤمن «لله أشد فرحًا بتوبة عبده المؤمن من رجل في أرض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه، فنام فاستيقظ وقد ذهبت فطلبها حتى أدركه العطش، ثم قال: أرجع في مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى أموت، فوضع يده على ساعده ليموت فاستيقظ وعنده راحلته وعنده زاده وطعامه وشرابه، فالله أشد فرحًا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده».

قال ابن القيم: ومنزل التوبة أول المنازل، وأوسطها، وآخرها، فلا يفارقه العبد السالك، ولا يزال فيه إلى الممات. [مدارج السالكين]

والله سبحانه هو الذي يوفق إلى التوبة ويهدي عبده إليها فالله يتوب على عبده قبل أن يتوب عبده إليه، وبعد أن يتوب عبده إليه، فتوبة العبد محفوفة بتوبتين من الله ولقد بين الله جل وعلا هذا أتم بيان وأحسنه.

﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١١٧) وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لاَ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة:١١٧-١١٨].

ومن نظر في آيات القرآن يرى أن أول آية ذُكر فيها التوبة هي قول الله تعالى من سورة البقرة: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة:٣٧].

فانظر أخي وتدبر أول آية ذكر فيها التوبة في القرآن وهي أول توبة وقعت للإنسان إنما وقعت بهداية من الله وتلقين لعبده آدم، فعلمه التوبة ولقنه إياها فلما فعلها تلقاها منه بالقبول دون تراخ ولا تأخير «فتاب عليه» فور إعلانه التوبة، لأنه سبحانه هو التواب الرحيم، فالتواب هو اسمه عز وجل والتوبة فعله، فهو يتوب على عبده ليتوب عبده إليه فيقبل توبة عبده ويعفو عن ذنبه، ويجعل بفضله وكرمه السيئة حسنة.

﴿إِلاَّ مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا * وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ [الفرقان:٧٠-٧١].

وكثير من الناس يعتقد أن التوبة كلمة تقال فيقول «تبت إلى الله» وحاله أنه مُصرٌ على الذنب ومتلبسٌ به والحقيقة أن التوبة ليست قولاً باللسان دون عمل القلب والجوارح، بل هي عمل يشرع فيه التائب ولهذا ينبغي للمؤمن أن ينظر في الذنب إلى أمور ليكون ذلك أدعى إلى مسارعته في ترك الذنب توبة إلى الله.

الأول: ينظر إلى جلال الرب الذي يعصيه وعظمته، فلو عرف ربه وعظمته وقدرته عليه وقوته على مؤاخذته، وعرف أنه سبحانه ينظر إليه ويطلع على خفايا قلبه لحال هذا العلم بينه وبين معصية الله عز وجل، فلا يقع الذنب إلا في حالة من حالات الغفلة وغلبة الشهوة، فإذا ما أفاق استحيى من ربه وسارع إلى الرجوع عن زلته وذنبه.

وفي هذا يقول بعض السلف: «لا تجعل الله أهون الناظرين إليك».

الثاني: «ينظر إلى الاعتصام أي اعتصامه بالله فلو اعتصم بالله ولجأ إليه ولاذ به لما وقع في الذنب وخرج عن هداية الطاعة ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران:١٠١].

وكذلك عصمة الله له، فلو عصمه الله لحفظه على طريق الهداية ولكن خذله وخلى بينه وبين نفسه فوقع في الذنب.

الثالث: أن ينظر إلى الطاعة والمعصية فيعلم أن الطاعة تقربه إلى ربه، وإلى مرضاته سبحانه، وإلى جنته ويعلم أن التوبة من الذنب من أعظم الطاعات التي يحبها الله عز وجل، ويعلم أن المعاصي تنكت في قلبه نكتًا - نقطا - سوداء بها يبتعد عن ربه وعن جنات النعيم، فيورثه ذلك النظر حبا للطاعات وحرصًا عليها، وكرهًا للذنوب والخطايا ونفرة منها.

الرابع: أن يعلم أن فرحه بالمعصية دليل على التعلق بها والرغبة فيها والجهل بسوء عاقبتها، والجهل بقدر من عصاه، فيراجع إيمانه ويقينه، ويعلم أن الفرح بالمعصية أشد عليه من المعصية نفسها ومن مواقعتها.

الخامس: أن يعلم أن إصراره على الذنب، وعزمه على معاودته مما يحول بينه وبين الرجوع والتوبة، وهذا من علامة الهلاك وأشد منه المجاهرة بالذنب، والحديث عنه بشيء من الفخر والزهو، مع تيقنه من نظر الرب إليه فهذا من المحاربة لله عز وجل نعوذ بالله من الخذلان.

وللتوبة أركان وشروط:

أولها: الإخلاص لله تعالى، بأن يكون قصد الإنسان بتوبته وجه الله عز وجل، فيكون داعيه إلى التوبة خوف الله تعالى وخشيته، وطمع ورجاء في عفوه ورحمته ولا يكون داعيه إلى التوبة خوف الناس أو مراءاة الناس ولا تكون التوبة نصوحًا إلا بهذا الإخلاص. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾ [التحريم:٨].

الثاني: الندم على ما بدر من المعصية، فيتحسر على فوات الطاعة، وعلى الوقوع في المعصية.

ويرى أن الشهوة قد خمدت، واللذة زالت، ولم يبق له إلا جريمته في حق الله عز وجل وفي حق دينه، وفي حق نفسه وفي حق عباده، وأنه سيلقى الله عز وجل يوم القيامة فيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان، وليس بينه وبينه حجاب، وسوف يسأله ربه عن هذه المعصية كيف تجرأ عليها وقد نهاه الله، ويقول له كما قال لأبويه «ألم أنهكما؟» فماذا يجيب؟

فلا يبقى له إلا الندم، والحياء من خسة نفسه وعظمة ربه.

وهذا أول باب التوبة، فمن دخله تاب فتاب الله عليه ومن لم يدخل باب الندم بقي في وحل الإصرار على الذنب نعوذ بالله من الخذلان.

ولهذا روي في الأثر «الندم توبة».

الشرط الثالث: الإقلاع عن المعصية:

أن يقلع عن الذنب، ولا يصر عليه إن كان الذنب ترك واجب، فالإقلاع عن الذنب بفعل هذا الواجب، فلو كان تاركًا للزكاة فيجب عليه أن يزكي، وإن كان عاصيًا لوالديه فيجب عليه أن يطيعهما ويبرهما ويحسن إليهما.

وينبغي للعبد أن يحاسب نفسه على هذه الواجبات من أول سن البلوغ، فيتدارك ما فاته منها بتوبة وقضاء لما لابد فيه من القضاء، أو بالإكثار من نوافل الطاعات لما لا مجال للقضاء فيه.

وإن كانت المعصية بفعل محرم، فالواجب الإقلاع عن الحرام فورًا دون تسويف، فلو كان يأكل الربا، أو يشرب الخمر فالواجب أن يقلع عنه فورا وأن يخرج ما اكتسبه من مال عن هذا الطريق المحرم، وكذلك السرقة والغش وأكل أموال الناس بالباطل يجب أن يقلع عنه فورًا، وأن يرد ما اكتسبه من الحرام، أو يتحلله من أصحابه.

وإن كانت المعصية غيبة أو نميمة أو ما شابه ذلك فيجب عليه أن يقلع عنها، وأن يتحلل منها، واختلف أهل العلم في كيفية التحلل منها، فذهب البعض إلى وجوب إعلام من اغتابه وطلب عفوه وهذا قول الجمهور.

وذهب البعض إلى أنه يدعو له، ويذكر محاسنه في الموضع الذي أساء إليه فيه، لأن اطلاعه على الغيبة قد يوغر صدره.

فإن لم يقلع عن الذنب وأصر عليه فتوبته مردودة عليه، بل إن الذي يتوب مع الإصرار على الذنب يكون كالمستهزئ بربه عز وجل.

والإقلاع عن الذنب إذا كان بينك وبين الله تعالى فيكفيك أن تتوب، ولا يجوز أن تحدث الناس بما صنعت، إلا في حالة الإقرار بالذنب الذي يستوجب حدًا أمام الحاكم، والأولى عدم إظهار الذنب في هذه الحالة، والاكتفاء بالتوبة فيما بينك وبين الله، بل إن إظهار الذنب قد يكون من المجاهرة؛ خاصة إذا صاحبه فرح بالذنب، وعزم على معاودته، وفي الحديث «كل أمتي معافى إلا المجاهرين».

أما إذا كان الذنب بينك وبين الخلق، فيجب أن ترد المظالم إلى أهلها على التفصيل الذي ذكرناه.

الشرط الرابع: العزم على ألا تعود في المستقبل:

فإذا كنت تنوي أن تعود إلى الذنب متى قدرت عليه، فهذا ينافي التوبة، كمن كان يرتكب الفاحشة، ثم سافر إلى مكان لم يتيسر له فيه ارتكابها، فقال: تبت إلي الله، ولكنه في قلبه ينوي أنه متى عاد إلى بلده، عاد سيرته الأولى، فمثل هذا لم يتب، وتوبته غير مقبولة، لأنها توبة عاجز.

الشرط الخامس: أن يتوب في زمن تقبل فيه التوبة وهذا على نوعين:

أولا: باعتبار كل فرد على حدة، يشترط أن تكون التوبة قبل حلول الأجل، قبل أن يغرغر.

﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء:١٨].

وفي الحديث: «إن الله عز وجل يقبل توبة العبد ما لم يغرغر».

ثانيًا: باعتبار الناس جميعًا، يشترط أن تكون التوبة قبل طلوع الشمس من مغربها.

﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام:١٥٨].

وفي الحديث: «إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها». [رواه مسلم]

والله أعلم.

والحمد لله أولا وآخرًا.

افتتاحية العدد

إعداد
الرئيس العام
د. جمال المراكبي

رؤية عقدية لأخبار عالمية

إن الناظر والمتابع للأخبار يجد سيلاً من الأحداث والأخبار التي تمر على عموم الناس مرور الكرام، وينسي بعضها بعضًا، بل إن أكثر الناس يتابع ما يعرض في وسائل الإعلام بشيء من التبلد أو عدم المبالاة.

ولكن الناقد، صاحب المعتقد الصحيح ينبغي أن يتابع هذه الأحداث برؤية نقدية عقدية، وسوف أضرب مثلاً لبعض هذه الأخبار التي ربما لا يتوقف الناظر عندها طويلاً، بينما تستوقف صاحب المعتقد الصحيح فيخرج منها برؤية إيمانية يزداد بها إيمانًا ويقينًا.

الخبر الأول: الرئيس الأمريكي يطالب المدارس في الولايات المتحدة الأمريكية بتدريس نظرية في أصل نشأة الخلق تسمى نظرية التصميم الذكي وذلك جنبًا إلى جنب مع نظرية النشوء والارتقاء المعروفة بنظرية دارون التي تثبت أن الخلق تطور عن صورته البسيطة التي هي الخلية الأولية، ثم وصل في ارتقائه إلى صورة الإنسان العاقل المهيمن على مقاليد هذه الحياة الدنيا.

وإلى هنا الخبر عادي، ولكن غير العادي وغير المتصور أن دعاة العلمانية في الولايات المتحدة هاجموا الرئيس زاعمين أن الرئيس يريد أن يروج لنظرية دينية غيبية لا تمت للبحث العلمي بصلة، وأن الرئيس باعتباره يمينيًا متدينًا يخرج على أصول وقواعد الدولة العلمانية.

ونحن لا نريد أن نناقش قضية كون الرئيس الأمريكي متدينًا أو حتى يمينيًا متطرفًا كما يقولون، فإن تدينه أو تطرفه لا يمثل وزنًا في رؤيته العقدية، لأنه يمارس هذا التطرف فيما يتعلق بالإسلام والمسلمين، فيتهم الإسلام أولاً، بما هو منه براء، ثم يراجع نفسه ويتهم المسلمين أو بعض المسلمين بتهم تبدأ بالرجعية والتخلف وتنتهي بالإرهاب والتطرف، بينما هو أمام العلمانيين في أمريكا وغيرها حمل وديع بدون أنياب، ولا تظهر أنيابه إلا في العراق وأفغانستان، ومن يعترض فالمعتقلات في جوانتنامو أمامه، ومصير صدام وأخبار محاكمته بين يديه عبرة لمن يعتبر.

والحق يقال: فالرئيس الأميركي رجل ديمقراطي يقبل النقد طالما كان النقد في إطار الكلمات، وربما

المظاهرات، ولكن لو ظهر في صورة أخرى، فمن ليس معه في حربه على الإرهاب فهو عدوه، يؤوي القاعدة ويمولها حتى لو كان شيوعيًا غير مسلم كالرئيس الفنزويلي شافيز.

وأقول للرئيس الأميركي: إن النظرية التي طالبت المدارس بتدريسها إلى جانب نظرية دارون، وقامت عليها الدنيا ولم تقعد هي النظرية الصحيحة التي جاء بها الدين الحق، والتي تقبلها العقول الصحيحة والفطر السليمة، فهذا الكون وراءه خالق عالم حكيم، أحكم كل شيء خلقه، وهدى كل مخلوق لما أراده منه كما قرر الكليم موسى في رده على فرعون حين قال: ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى (٤٩) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (٥٠) قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى (٥١) قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٤٩- ٥٢].

وهذه هي الحقيقة العقلية التي تكلم عنها الفلاسفة قديمًا وصاغوا في سبيل إثباتها نظريات عقلية كلامية كحديثهم عن واجب الوجود ونظرية الحدوث وأن لكل حادث محدثًا.

وقد أشار القرآن الكريم إلى قضية الخلق وأن الله هو خالق كل شيء في مواضع عديدة، خاطب فيها العقول وأمر أصحابها بالنظر والتأمل. قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾، وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ (٦) وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٧) تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ (٨) وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ (٩) وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ (١٠) رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ [ق: ٦- ١١]. وقال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ [الطور: ٣٥، ٣٦].

ولكن التيار العلماني يرفض مقتضيات العقول، ويدندن حول نظرية دارون زاعمًا أنها نظرية علمية تدل عليها التجارب العلمية، بعكس غيرها من النظريات العقلية التي يزعم أنها غيبية دينية لا يدل عليها العلم، والمراد بالعلم هنا نظريات الإلحاد التي يتبناها العلمانيون.

الخبر الثاني: الإعصار الذي ضرب سواحل الولايات المتحدة الأمريكية والمعروف بإعصار «كاترينا».

في بداية تحرك الإعصار نشرت صحيفة غربية رسمًا كاريكاتيريًا عبارة عن فنجان من الشاي ورسمت الإعصار في داخل الفنجان وكتبوا تحت الرسم: «الإعصار في الدول المتقدمة زوبعة في فنجان، ورسموا رسمًا آخر عبارة عن إعصار هائج يعصف بالفنجان، وكتبوا: الإعصار في الدول النامية.

والمعنى واضح، فالأعاصير يتم رصدها والتعامل معها بوسائل التقنية الحديثة للتخفيف من آثارها المدمرة، ولا تملك هذه الوسائل إلا الدول المتقدمة وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية، أما الدول النامية فتعصف بها الأعاصير والكوارث الطبيعية التي تقتل الآلاف وتشرد الملايين كما حدث في الزلزال الذي ضرب المحيط الهندي وأدى إلى خروج أمواج المحيط تعصف بشواطئ دول عديدة في شرق آسيا وراح ضحيته أكثر من مائة ألف قتيل في أندونسيا وما حولها في العام الماضي وما تزال آثار الكارثة قائمة حتى الآن.

ولكننا فوجئنا في الأيام التالية بالذعر في تصريحات المسئولين عن الولايات التي ضربها الإعصار، لقد أغرقت المياه مدينة بأكملها وهي نيو أورليانز، وضربت ثلاث ولايات أمريكية وحطمت محطات بترولية، وبدأ الصراخ يعلو في أمريكا، وظهرت القوة العظمى والقطب الأوحد في صورة دولة نامية ضربتها كارثة مدمرة، وبدأت المساعدات الإنسانية تتسلل على استحياء من بعض الدول، حتى أعلن الرئيس الأمريكي استعداد بلاده لقبول المساعدات الإنسانية من كافة دول العالم نظرًا لحجم الكارثة، والارتفاع الجنوني في أسعار البترول، فانهالت المساعدات بصورة لم يسبق لها مثيل، حتى إن دولة صغيرة مثل الكويت قدمت خمسمائة مليون دولار مساعدات إنسانية وبترولية للدولة العظمى، وعلت الأصوات داخل الولايات المتحدة باتهام الرئيس وإدارته بأنه لم يحسن التعامل مع الأزمة، وارتفعت أصوات السود والملونين تتهم الولايات المتحدة باستمرار نزعتها العنصرية وتم إجلاء

سكان المناطق المضروبة، وإرسال قوات أمن لمنع عمليات السلب والنهب التي تعرضت لها المناطق المنكوبة.

ثم وردت أخبار الإعصار الثاني إعصار «ريتا» فازداد الهلع والفزع وقدرت أجهزة الرصد أن درجة الإعصار بلغت خمس درجات وهي أعلى درجة تدميرية، وتم إجلاء السكان الذين كانوا قد بدأوا في العودة، ولكن بقدرة عجيبة خفتت حدة الإعصار ثم تحول إلى ريح هادئة أو نسمة رقيقة.

ونعلم جميعًا أن رب العالمين سبحانه مدبر الأمر ومالك الملك يقول للشيء كن فيكون.

الخبر الثالث: ثم كانت انتخابات الرئاسة في مصر بمثابة إعصار يحرك الركود في الحياة السياسية والحزبية في مصر، وسمعنا لأول مرة أصواتًا تدعو للديمقراطية الليبرالية وتطالب بتغيير الدستور المصري، وتؤكد على تغيير المادة الثانية من الدستور والتي تقرر أن الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع.

إنه إعصار علماني جديد يريد أن يلتهم بلدنا الحبيب، لا يسره أن يقال دين الدولة الإسلام، فالدولة العلمانية لا تعترف بالدين، ولهذا كتبنا في العدد قبل الماضي مقالاً بعنوان: «ماذا نريد من الرئيس»؟ نحذر من هذا المد العلماني الخطير، ونؤكد على هوية مصر المسلمة كما جاء في الدستور المصري وكما هو مقرر في قلوب أغلبية المصريين.

ولأجل هذا أقول للمرشحين في الانتخابات البرلمانية المقبلة: نحن لا نلعب بالشعارات، ولا نحب من يعبث بالمقدسات، اعلموا أنكم على أبواب مسئولية عظيمة تحتاج إلى وعي وإلى علم وقوة، وأن الله عز وجل جعل الولاية أمانة، لا يقوى على حملها إلا الرجال أصحاب العلم والقدرة على تحقيق مصالح هذا الشعب.

قال تعالى: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾.

وقال تعالى على لسان يوسف: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥].

وقد قال النبي ﷺ لأبي ذر حين سأل الولاية: «إنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها». رواه مسلم.

وقال لعبد الرحمن بن سمرة: «يا عبد الرحمن، لا تسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها، وإن أعطيتها من غير مسألة أعنت عليها». متفق عليه.

وقال ﷺ: «اللهم من ولي من أمر أمتي شيئًا فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم فارفق به». رواه مسلم.

واعلموا أنكم مسئولون عن شريعة الإسلام، وعن كل تشريع أو قانون يخالف هذه الشريعة، فاتقوا الله فينا، اتقوا الله في هذا الشعب يا رعاة هذا الشعب، واعلموا أنكم ستقفون بين يدي الله عز وجل فيسألكم: «ألا كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم، والمرأة راعية في بيت زوجها وولده وهي مسئولة عنهم، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته». متفق عليه.

الخبر الرابع: ثم كان الزلزال الذي ضرب الهند وباكستان، وتركزت الإصابة في كشمير المسلمة المتنازع عليها بين الهند وباكستان، ومن العجيب أن الكارثة هدأت كثيرًا من التوتر الموجود بين الجارتين النوويتين، وسمح ببعض التعاون للتخفيف من آثار الكارثة التي راح ضحيتها أكثر من أربعين ألف قتيل، وأكثر من ثلاثة ملايين مشرد.

وأكثر ما ساء في هذا أن المساعدات لم تكن على المستوى اللائق ولا المطلوب، وكان بعض الدول المسلمة قد اكتفت بما تم إرساله للولايات المتحدة في الإعصار، ولم يعد لديها ما تساعد به في كارثة الزلزال، أو كأن الزلزلة لم توقظ النائمين من سباتهم، وتشعرهم بقول ربنا عز وجل: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، وبقول نبينا ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر».

نسأل الله تعالى أن يقي بلادنا وبلاد المسلمين الزلازل والمحن، والفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يعيذنا وبلادنا من شر الأشرار وكيد الفجار، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

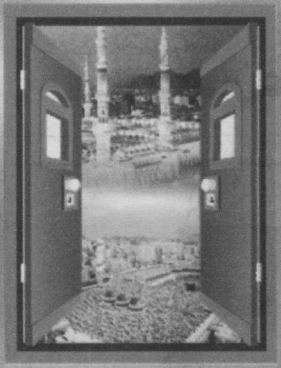

افتتاحية العدد

فضل الذكر والذاكرين

بقلم
الرئيس العام
د. جمال المراكبي

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه وبعد.

فإن الذكر ضد النسيان وضد الغفلة.

لأجل هذا أمر المولى تبارك وتعالى به عباده المؤمنين قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة:١٥٢].

وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلاَ تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف:٢٠٥].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [الأحزاب:٤١-٤٢].

وقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٢١].

وقال: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٣٥].

والذاكرون الله كثيرًا هم الذين يذكرون الله في كل حال كما قال ربنا: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران:١٩١].

وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبي ﷺ يذكر الله على كل أحيانه». [رواه مسلم]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة، فمر على جبل يقال له جمدان فقال: سيروا هذا جمدان، سبق المفردون.

قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات». [رواه مسلم]

قال ابن عباس: الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات يذكرون الله في أدبار الصلوات، وغدوًا وعشيًا أي صباحًا ومساءً، وفي المضاجع أي عند النوم، وكلما استيقظ من نومه، وكلما غدا أو راح من منزله أي في دخوله وخروجه والمعنى أنهم يذكرون الله في جميع أحوالهم.

وقال ابن الصلاح: إذا واظب المسلم على الأذكار المأثورة الثابتة صباحا ومساءً، وفي الأوقات والأحوال المختلفة ليلا ونهارًا كان من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات، وفي الحديث الذي رواه الأربعة إلا الترمذي «إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فصليا ركعتين جميعا، كتبا في الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات» ذكر ذلك النووي في الأذكار وروى ابن ماجه عن عبد الله بن بُسر رضي الله عنه أن أعرابيا قال لرسول الله ﷺ إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ فأنبئني منها بشيء

أتشبث به، قال: لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله عز وجل». [وصححه الألباني]

فما أعظم أخي المسلم وما أيسر أن تكون من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات، وأن يبقى لسانك وقلبك وظاهرك وباطنك على هذا الذكر، فلا تغفل عن الله طرفة عين.

وقد ورد في فضل الذكر آيات وأحاديث كثيرة يطول المقال بذكرها منها ما رواه ابن ماجه والترمذي عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأرضاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إعطاء الذهب والورق ومن أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟

قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: ذكر الله».

حضور الملائكة مجالس الذكر

والملائكة يتتبعون الذاكرين ويحرصون على مجالس الذكر كما في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: إن لله تبارك وتعالى ملائكة سيارة فُضلا يبتغون مجالس الذكر فإذا وجدوا مجلسًا فيه ذكر قعدوا معهم، وحف بعضهم بعضًا بأجنحتهم حتى يملأوا ما بينهم وبين السماء الدنيا، فإذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء، قال: فيسألهم الله عز وجل - وهو أعلم بهم - من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عند عباد لك في الأرض يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك، قال: وماذا يسألونني؟ قالوا: يسألونك جنتك. قال: وهل رأوا جنتي؟ قالوا: لا أي رب. قال: فكيف لو رأو جنتي؟

قالوا: ويستجيرونك. قال: ومم يستجيرونني؟

قالوا: من نارك يا رب.

قال: وهل رأوا ناري؟

قالوا: لا.

قال: فكيف لو رأوا ناري؟

قالوا: ويستغفرونك.

قال: فيقول: قد غفرتُ لهم، وأعطيتهم ما سألوا وأجرتهم مما استجاروا.

قال: يقولون: رب فيهم فلانٌ عبدٌ خطاء إنما مَرَّ فجلس معهم.

قال: فيقول: وله غفرت، هم القومُ لا يشقى بهم جليسهم. [رواه مسلم].

فتأمل أخي المسلم هذه المحاورة بين الله عز وجل وبين الملائكة، وفكر في قول الله تعالى: ﴿فاذكروني أذكركم﴾ وفي قوله في الحديث القدسي: «أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم وإن تقرب إلي شبرًا تقربت إليه ذراعا وإن تقرب إلي ذراعًا تقربت إليه باعًا وإن أتاني يمشي أتيته هرولة». [رواه البخاري]

وقوله: «أنا مع عبدي إذا هو ذكرني وتحركت بي شفتاه». [صحيح ابن ماجه]

وسل نفسك هل أنت مع ربك، وهل تحب أن يكون الله معك، وأن يذكرك في الملأ الأعلى من الملائكة، أم تريد أن تعرض عن الله وأن ترضى بملازمة الشياطين ومصاحبتهم أعاذنا الله منهم.

ذكر الله عز وجل عصمة من الشيطان

فيا من يشكو من مس الشيطان ومن وسوسة الشيطان أين أنت من ذكر الله ومعية الرحمن والله تبارك وتعالى يقول: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ * وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف:١٩٩-٢٠١] ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ * وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون:٩٦-٩٨].

﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥) وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت:٣٤-٣٦].

فهذه مواضع ثلاثة في الأعراف والمؤمنون وحم السجدة يرشد فيها المولى تبارك وتعالى إلى معاملة العاصي من الإنس بالمعروف وبالتي هي أحسن فإن هذا يُصلحه ويكفه عما هو فيه من التمرد بإذن الله تعالى حتى يصبح كأنه ولي حميم.

ثم يرشد المولى تبارك وتعالى إلى الاستعاذة به من العدو الأصيل وهو الشيطان الرجيم ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر:٦].

فإنه لا يكفه عنك الإحسان لإنه يريد هلاكك بالكلية وهو عدو لك ولأبويك من قبلك، وكل همه أن يحول بينك وبين الجنة كما فعل مع أبويك من قبل: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف:١٥-١٧].

ولهذا أرشد عباده إلى الاستعاذة بالله منه فهو سبحانه الذي يرد كيده، ويكف شره، ويعفو عن زلات عباده ويتوب عليهم كما تاب على الأبوين حين زلا ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف:٢٣] ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة:٣٧]

وذكر الله عز وجل في الجملة يحمي من الشيطان الرجيم، وفي الحديث الذي رواه الترمذي وأحمد عن الحارث الأشعري عن النبي ﷺ قال: إن

الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بهن وأن يأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن، فذكر أمرهم بالتوحيد والصلاة والصوم والصدقة ثم ذكر الخامسة وهي ذكر الله عز وجل فقال: «وآمركم أن تذكروا الله عز وجل، فإن مثل ذلك كمثل رجلٍ خرج العدو في أثره سراعًا حتى إذا أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم، فكذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله عز وجل». الحديث

قال ابن القيم: فلو لم يكن في الذكر إلا هذه الخصلة لكان حقيقًا بالعبد أن لا يفتر لسانه عن ذكر الله عز وجل وأن لا يزال لهجًا بذكره سبحانه، فإن العبد لا يحرز نفسه من عدوه إلا بالذكر، ولا يدخل عليه عدوه إلا من باب الغفلة، فهو يرصد العبد ويتربص به فإذا غفل العبد وثب عليه وافترسه، فإذا ذكر العبد ربه انخنس عدو الله وتصاغر حتى يكون كالذباب ولهذا سماه المولى تبارك وتعالى الوسواس الخناس لأنه يوسوس في الصدور فإذا ذكر الله تعالى خنس وكف وانقبض وتصاغر، ولا يتسلط إلا على من عجز عن ذكر ربه من أولياء الشيطان الضالين المضلين.

وقد روى أحمد في مسنده عن بعض أصحاب النبي ﷺ قال: كنتُ رديف النبي ﷺ على حمار فعثر الحمار فقلت: تعس الشيطان.

قال النبي ﷺ: لا تقل تعس الشيطان فإنك إذا قلت تعس الشيطان تعاظم في نفسه وقال: صرعته بقوتي.

فإذا قلت: بسم الله، تصاغرت إليه نفسه حتى تكون أصغر من الذباب». [شرح السنة جـ١٢ ص٣٥٤ ح٣٣٨٤]

وقد روى عن أبي هريرة أنه قال: إن الشيطان إذا لُعن ضحك وإذا تُعوذ منه هرب.

وقال ابن عباس: الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فإذا سها وغفل وسوس، فإذا ذكر الله تعالى خنس. [الوابل الصيب لابن القيم]

فالغفلة عن ذكر الله عز وجل موات للقلوب.

«ومثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت». [متفق عليه] والبيت الذي لا يصلي فيه أهله كالقبر الذي يسكنه الأموات، وفي الحديث الصحيح «اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تتخذوها قبورًا». [متفق عليه]، وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عُقد يضرب على مكان كل عقدة، عليك ليلٌ طويل فارقد، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقدة، فأصبح نشيطًا طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان».

وإن من الموات أن يترك بعض الناس اللجوء إلى الله تعالى ويلجأون إلى ما يضرهم ولا ينفعهم من السحرة المشعوذين والكهنة والعرافيين، وهذا أعظم ما يطمع فيه الشيطان من ابن آدم أن يوقعه في الشرك ويحول بينه وبين التوكل على الله وحده، وينسون قول الله تعالى ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٠٢].

وإن من العجب العجاب أن يلجأ بعض المسلمين إلى طلب الرقية ممن يزعمون أنهم يعالجون بالقرآن الكريم والرقية الشرعية مع أن نبينا محمدًا ﷺ الذي علمنا الرقية الشرعية حذرنا من أن نطلبها من أحد أو نسأل أحدًا وهو الذي يقول: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف». [الترمذي وأحمد]

وأخبرنا ﷺ أن السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب من صفوة هذه الأمة «هم الذين لا يسترقون» أي لا يطلبون الرقية من أحد من الناس مع أن الرقية مشروعة ونافعة بإذن الله تعالى ولكنها مع ذلك لا يطلبها المؤمنون المتوكلون على الله عز وجل فهم «لا يسترقون، ولا يكتوون، ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون» جعلنا الله منهم بمنه وكرمه.

واعلم أخي المسلم أن الغفلة عن ذكر الله تورث قسوة القلب، فيصدأ القلب، ويغلفه الران، حتى يصبح الغافل على شفا جرف هار ينهار به في أتون النفاق المفضي إلى الدرك الأسفل من النار، ولا ينقذنا من هذه الهاوية إلا الله عز وجل نحتمي به ونعتصم به من الضلالة.

وذكر الله عز وجل أمان من النفاق، لأن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا كما قال ربنا عز وجل.

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاَةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [النساء:١٤٢].

لأجل هذا ختم المولى تبارك وتعالى سورة «المنافقون» بالتحذير من الغفلة عن ذكر الله عز وجل مخالفةً لسبيل المنافقين فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ * وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلاَ أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون:٩-١١].

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

افتتاحية العدد

نداء التوحيد والذكر من الحجيج

بقلم
الرئيس العام
د. جمال المراكبي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الرسول الأمين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فلا يزال حديثنا موصولاً مع ذكر الله عز وجل.

وحيث إننا في أيام مباركات، وومناسك فيها نفحاتٌ وبركاتٌ وكراماتٌ، فكان الواجب أن نربط حديث الذكر بهذه الأيام والمناسك والبركات.

الذكر في الصلاة والحج

لا شك عند كل ذي علم وبصيرة أن العبادات ما شُرِعتْ إلا لإقامة ذكر الله عز وجل.

قال الله تعالى لنبيه وكليمه موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤].

والمعنى: أقم الصلاة لتذكرني بها، وقيل: وأقم الصلاة عند ذكرك لي.

[تفسير البغوي وابن كثير عن مجاهد ومقاتل]

والصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو ذكر الله عز وجل، وقد قال النبي ﷺ: «إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن».

[مسلم كتاب المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة] (ح٨٣٦)

وقال ﷺ عن المساجد التي هي مواضع الصلاة: «إنما هي لذكر الله عز وجل، والصلاة، وقراءة القرآن».

[مسلم كتاب الطهارة ح٤٢٩]

وفي الصحيحين: «إذا رقد أحدكم عن الصلاة أو نام عنها فليصلها إذا ذكرها، فإن الله عز وجل يقول: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي﴾».

وهذا وجه آخر لتفسير الآية ذكره ابن كثير وغيره.

والصلاة من أولها إلى آخرها ذكر ودعاءٌ وثناءٌ ومناجاة بين العبد وربه، فمفتاحها التكبير، وتحليلها التسليم، وبين ذلك دعاء الاستفتاح وقراءة الفاتحة وما تيسر من القرآن وأذكار الركوع والسجود والاعتدال والتشهد والصلاة على النبي ﷺ والتعوذ دبر الصلاة والدعاء، وبعدها أذكار الختام، والدعاء إليها ذكر وإجابة المؤذن الداعي إليها ذكر، وفيها من معاني الاستجابة لله والتلبية لدعائه ما لا يفطن إليه إلا كل ذاكر حاضر القلب ليس بغافل ولا ساهٍ لذا يقول المصلي في استفتاحها: «وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفًا مسلمًا وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين، اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت، أنت ربي وأنا عبدك، ظلمتُ نفسي واعترفتُ بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعًا إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت، لبيك وسعديك، والخير كله في يديك، والشر ليس إليك، أنا بك وإليك، تباركت وتعاليت، استغفرك وأتوب إليك». وإذا ركع المصلي (معظمًا ربه مسبحًا منزهًا إياه) يقول: «اللهم لك ركعت وبك آمنت، ولك أسلمت، خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي

وعصبي».

وإذا رفع قال: «اللهم ربنا لك الحمد ملء السماوات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد».

وإذا سجد قال: «اللهم لك سجدت، وبك آمنت، ولك أسلمت، سجد وجهي للذي خلقه وصوره، وشق سمعه وبصره، تبارك الله أحسن الخالقين». ثم يكون من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم: «اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررتُ وما أعلنت، وما أسرفت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت».

[رواه مسلم كتاب صلاة المسافرين، ح رقم ١٢٩٠]

فما أعظم هذا الذكر، وما أجمل هذه المناجاة من قلب يعي ما يقول، ويعرف عظمة من يناجي، فيخشع ظاهرًا وباطنًا ويخضع راضيًا مطمئنًا، ويمتزج هذا الخشوع بدمه وعظمه وعصبه ومخه، ويظهر على سمعه وبصره، فيكون الله سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، يوالي الله ويوالي في الله، ويعادي من عاداه، يحب الله ويجد قرة عينه في الصلاة، ويحب لله وفي الله، فهذا هو ولي الله الذي يدفع الله عنه ويغضب لغضبه ويؤذن من عاداه بالمحاربة، ويستجيب دعاءه وإذا أقسم على ربه وخالقه ومولاه أبر الله قسمه، وإن لم يكن من وجهاء الناس: «رب أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره».

وكذلك الحاج يأتي ربه ذاكرًا ملبيًا مستجيبًا، قد تجرد من دنياه، وترك بلده وأرضه وأهله وثياب زينته، وأقبل على الله أشعث أغبر مُحْرِمًا، يلبي ويكبر، ويدعو ويستغفر، ويقف عند المشاعر وقد تملكته مشاعر الحب والرغبة والرهبة والخوف والرجاء، ولا يفتر قلبه ولا لسانه عن ذكر ربه وخالقه ومولاه.

وقد أمر الله عز وجل الحاج بذكره، وكرر الأمر في مواضع من كتابه العزيز، حتى لا تكاد تجد آية في كتاب الله عز وجل تخاطب الحاج إلا وتجد فيها الأمر بذكر الله عز وجل.

قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ (١٩٨) ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٩٩) فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ (٢٠٠) وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (٢٠١) أُوْلَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٢٠٢) وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [البقرة: ١٩٨- ٢٠٣].

وقال تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (٢٨) ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج:٢٧-٢٩].

وقال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (٣٤) الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣٥) وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الحج:٣٤-٣٦].

ويبدأ الحاج ذكر الله عند إحرامه فيسمي نسكه حجًا كان أو عمرة، مفردًا أو متمتعًا أو قارنًا بين الحج والعمرة، ويُهل ويلبي بالتوحيد: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك». ويرفع صوته بالتلبية حتى يأتي البيت فيطوف بالكعبة سبعًا ويصلي ركعتي الطواف ثم يسعى بين الصفا والمروة وهو في ذلك كله لا يفتر لسانه عن ذكر الله عز وجل بما يفتح الله عليه من الذكر والدعاء والابتهال والمناجاة.

ثم يخرج إلى منى يوم التروية محرمًا يوم الثامن من ذي الحجة فيصلي بها يقصر الصلاة الرباعية، ثم يتوجه إلى عرفات صبح يوم التاسع فيقف بها ذاكرًا داعيًا متخشعًا ويصلي بها الظهر والعصر قصرًا وجمعًا ذاكرًا ربه على الهداية إلى الدين الحق، وإلى النسك الذي يقرب من الله عز وجل، ثم يفيض الحجيج من عرفات إلى المزدلفة فيبيتون بها، ويصلون بها المغرب مع العشاء جمعًا وقصرًا للرباعية، ثم يكثرون من الذكر والاستغفار والدعاء عند المشعر الحرام، ثم يتوجه الحجيج إلى منى يرمون الجمار ويذبحون- ينحرون- الهدي ذاكرين اسم الله عليه شاكرين الله تعالى على ما رزقهم من بهيمة الأنعام، يُكبرون في أيام منى بعد الصلوات، وعند رمي الجمرات في الأيام المعدودات، فإذا طافوا للإفاضة فقد تم الحج ولم يبق إلا وداع البيت بطواف الوداع، فإذا قضى الحاج المناسك كلها لم يغفل عن ذكر ربه، بل يذكره بطاعته وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويغار لحرمات الله أن تنتهك أكثر من غيرته على حرمة آبائه ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾، وهكذا فالحاج لا ينفك عن ذكر ربه عز وجل أبدًا، ويظل على سبيل الذاكرين وطريقتهم بعد قضاء المناسك، بل يبقى لسانه رطبًا من ذكر الله عز وجل، فيذكر الله عز وجل في سفره في العودة والإياب كما ذكره في الذهاب.

«اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر وسوء المنقلب وكآبة المنظر في المال والأهل، اللهم هون

علينا سفرنا هذا واطوعنا بُعْده، اللهم ارزقنا في سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى».

«آيبون تائبون عابدون سائحون لربنا حامدون».

وعلى قدر ذكر الله عز وجل في العبادة يكون الأجر والفضل؛ ففي المسند أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ فقال: أي المجاهدين أعظم أجرًا يا رسول الله؟ فقال ﷺ: أكثرهم لله ذكرًا.

قال: فأي الصائمين أكثر أجرًا؟

قال: أكثرهم لله ذكرًا.

ثم ذكر الصلاة والزكاة والحج والصدقة، كل ذلك رسول الله ﷺ يقول أكثرهم لله تبارك وتعالى ذكرًا.

فقال أبو بكر لعمر رضي الله عنهما: ذهب الذاكرون بكل خير.

فقال رسول الله ﷺ: «أجل». [المسند ح١٥٠٦١]

والحديث في إسناده ضعف، لكن له شاهد مرسل صحيح رواه ابن المبارك في الزهد، وله شاهد مرسل عند ابن أبي الدنيا وهو بشواهده صالح للاحتجاج، ومعناه الذي دل عليه حق لا ريب فيه، فأفضل أهل كل عمل أكثرهم فيه ذكرًا لله عز وجل كما ذكر ابن القيم رحمه الله في الوابل الصيب من الكلم الطيب.

[فقه الأدعية والأذكار ج١ ص٣٥- ٣٧]

ذكر الله في عشر ذي الحجة:

وهي الأيام المعلومات التي أمر الله عز وجل فيها بالذكر فقال: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾، فقيل: إن المراد ذكر الله عند ذبحها وهو حاصل يوم النحر فإنه أفضل أيام العشر.

والأصح أنه إنما أريد ذكره شكرًا على نعمة تسخير بهيمة الأنعام لعباده، فإن لله تعالى على عباده في بهيمة الأنعام نعمًا كثيرة، قد عدَّد بعضها في مواضع من القرآن كما في أول سورة النحل: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٥) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (٦) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٧) وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٥- ٨].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ﴾ [النحل: ٦٦].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٢١) وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ [المؤمنون:٢١،٢٢].

وللحجيج في ذلك خصوصية عن غيرهم فإنها تحملهم إلى الحرم لقضاء نسكهم، ويأكلون من لحومها ويتصدقون.

وفي الحديث الصحيح: «أفضل الحج العج والثج». والعج هو رفع الصوت بالتلبية والذكر، والثج هو إراقة دم الهدي فيكون كثرة ذكر الله عز وجل في أيام العشر شكرًا على هذه النعمة المختصة ببهيمة الأنعام.

أما الأيام المعدودات فهي أيام التشريق، أيام منى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى﴾، وهي ثلاثة أيام بعد يوم النحر، ويستقر فيها الحجيج في منى ويبيتون بها يرمون الجمار ويذكرون الله عقب كل صلاة بالتكبير، وأفضلها يوم القر وهو أولها وهو اليوم الحادي عشر، ثم يوم النفر الأول وهو أوسطها يتعجل فيه بعض الحجيج، ثم يوم النفر الثاني وهو آخرها، وفي الحديث الصحيح: «أعظم الأيام عند الله يوم النحر».

وذكر الله تعالى المأمورُ به في أيام التشريق أنواع متعددة منها: ذكر الله تعالى عقب الصلوات المكتوبات بالتكبير في أدبارها وهو مشروع إلى آخر أيام التشريق عند جمهور العلماء، وقد روي عن عمر وعلي وابن عباس وفيه حديث مرفوع في إسناده ضعف.

ومنها: ذكره بالتسمية والتكبير عند ذبح النسك، فإن وقت ذبح الهدايا والأضاحي يمتد إلى آخر أيام التشريق عند جماعة من العلماء، وهو قول الشافعي ورواية عن أحمد وفيه حديث مرفوع: «كل أيام منى ذبح». وفي إسناده مقال، وأكثر الصحابة على أن الذبح يختص بيومين من أيام التشريق مع يوم النحر وهو المشهور عن أحمد وهو قول مالك وأبي حنيفة والأكثرين.

ومنها: ذكر الله على الأكل والشرب فإن المشروع في الأكل والشرب أن يسمي الله في أوله ويحمده في آخره، وفي الحديث عن النبي ﷺ: «إن الله عز وجل يرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها».

وقد روي أن من سمى على أول طعامه وحمد الله على آخره فقد أدى ثمنه ولم يسأل بعد عن شكره.

ومنها: ذكره بالتكبير عند رمي الجمار في أيام التشريق وهذا يختص به أهل الموسم.

ومنها: ذكر الله عز وجل المطلق فإنه يستحب الإكثار منه في أيام التشريق، وقد كان عمر يكبر بمنى في قبته فيسمعه الناس فيكبرون فترتج منى تكبيرًا، وقد قال الله عز وجل: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾.

وقد استحب كثير من السلف كثرة الدعاء في أيام التشريق، قال عكرمة: كان يستحب أن يقال في أيام التشريق: ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

وعن عطاء قال: ينبغي لكل من نفر أن يقول حين ينفر متوجهًا إلى أهله: ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

[خرجهما عبد بن حميد في تفسيره]

وهذا الدعاء من أجمع الأدعية للخير، وكان النبي ﷺ يكثر منه، وروي أنه كان أكثر دعائه. [لطائف المعارف]

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

العائدون من الحج

إعداد
د. جمال المراكبي
الرئيس العام

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، أحمدك ربي حمدًا طيبًا مباركًا فيه، ملء السماوات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد.

وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفًا، وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له، وبذلك أمرت وأنا من المسلمين، اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت سبحانك، أنت ربي وأنا عبدك، ظلمت نفس واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعا إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت، لبيك وسعديك، والخير كله في يديك، والشر ليس إليك، أنا بك وإليك لا ملجأ ولا منجى لي منك إلا إليك، أستغفرك وأتوب إليك.

يا من ألوذ به فيما أؤمله
ومن أعوذ به مما أحاذره
لا يجبر الناس عظمًا أنت كاسره
ولا يهيضون عظمًا أنت جابره

اللهم اجبر عجزنا، وارحم ضعفنا، واستر عوراتنا واغفر ذنوبنا، واستر عيوبنا، وتول أمرنا، واجمع شملنا، وألف بين قلوبنا، وانصرنا على من عادانا، اللهم صل على عبدك ونبيك محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على طريقته واتبع نهجه إلى يوم الدين، وعلى رسل الله أجمعين، وألحقنا بهم بمنك وكرمك يا أكرم الأكرمين ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا (٦٩) ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾ [النساء:٦٩-٧٠].

ثمرة الحج المبرور

لا شك أن الحج من أفضل الأعمال بعد الإيمان، وأنه لون من ألوان الجهاد في سبيل الله.

وقد سُئل النبي ﷺ: أي العمل أفضل؟ فقال: «إيمان بالله ورسوله». قيل: ثم ماذا؟ قال: «جهاد في سبيل الله». قيل: ثم ماذا؟ قال: «حج مبرور».

[رواه البخاري]

وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: يا رسول الله نرى الجهادَ أفضلَ العمل، أفلا نجاهد؟

قال: «لا، ولكن أفضل الجهاد حج مبرور».

وفي رواية: «لَكُنَّ أفضل الجهاد حج مبرور». [رواه البخاري وغيره]

وبشر النبي ﷺ من حج واجتنب المحظورات ظاهرًا وباطنًا بغفران ذنوبه فقال «من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه».

[رواه البخاري]

وقال ﷺ: «والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة».

والحج المبرور هو المقبول الذي راعى فيه صاحبه شروط صحة العمل وشروط قبوله من إخلاص العمل لله تعالى، ومتابعة هدي النبي ﷺ، واجتناب الآثام والأوزار والفسق والرفث.

ومن علامات هذا الحج المبرور أن يرجع الحاج خيرًا مما كان وأن يترك ما كان عليه من التفريط والتقصير والمعاصي، وأن يتبدل بإخوانه البطالين، إخوانا صالحين، وبمجالس اللهو والغفلة، مجالس الذكر واليقظة.

والإخلاص من أصعب الأحوال، وأشق الأعمال خاصة إذا كان العمل باديًا ظاهرًا لا يستطيع المرء أن يخفيه كالحج، فالمسلم قد يصوم يومًا في سبيل

وعلامات القبول

الله لا يشعر أحد من الناس بصومه، وقد يصلي في جوف الليل في بيته لا يشعر به أحد ولكنه لا يستطيع أن يحج بيت الله الحرام دون أن يشعر به أحد، ومن هنا كان الجهد المبذول لتحقيق الإخلاص في الحج وفي سائر الأعمال الظاهرة مضاعفًا ممن وفقه الله وهداه، ولهذا كان ديدن الصالحين إظهار الزهد والتقشف في الحج، والتعبد لله عز وجل بالتذلل وإظهار الفاقة لله عز وجل، وقد أثر عن النبي ﷺ أنه حج على رحل، ورُوي أنه قال: اللهم حجة لا رياء فيها ولا سمعة. [رواه ابن ماجه]

وعند البخاري عن ثمامة بن عبد الله بن أنس قال: حج أنس على رحل، ولم يكن شحيحًا، وحدث أن رسول الله ﷺ حج على رحل وكانت زاملته.

[البخاري ك.الحج ح١٥١٧]

وقوله: ولم يكن شحيحًا إشارة إلى أنه فعل ذلك تواضعًا منه واتباعًا، لا عن قلة، ولا عن بخل.

فأين هذا من الحج الذي تدعو إليه بعض شركات السياحة أو حج الفضائيات وهو الذي يعرف بحج الخمس نجوم إشارة إلى قمة الترف والدعة والرفاهية.

وقد حدثتني بالهاتف سيدة فاضلة حجت هذا العام مع بعض الدعاة الذين يظهرون على القنوات الفضائية ويفتتن بهم الناس ممن يُعرفون بالدعاة الجدد، وقالت: هل رأيت الحج على قناة ـ اقرأ؟

قالت المرأة: لا يمكن أن يكون هذا الذي رأيناه وفعلناه هو الحج الذي أمرنا به الله عز وجل، وبينه لنا رسول الله ﷺ حين قال: «خذوا عني مناسككم» فقلت لها: هوني عليك، ما الذي حدث؟

فقالت بانفعال: لا يمكن أن يُترك هذا الرجل ليعبث بعقول شبابنا وبناتنا، لقد رأيت الشباب والشابات وقد فتنوا بكل ما يقوله وما يفعله، إن ابني مفتون به. قلت لها: أخبريني بما حدث.

قالت: لقد رأيت في هذه الرحلة عجبًا، فتيات فاتنات يسافرن بغير محرم، واختلاط بين الشباب والفتيات في هذه البقاع الطاهرة، ونرى في هذا الاختلاط من ألوان الصخب والتهريج ما لا يمكن أن يحتمله مسلم ملتزم، الداعية الشاب يأمر الشباب بحلق اللحى، ويقول [ما ينفعش تبقى من فوق زلبطة ومن تحت بشعر]. ويقول: [اللي مش أصلا ملتحي يحلق ذقنه].

وإذا وجد فتاةً منتقبة يأمرها أن تخلع النقاب ويقول: [طالما حتسالي أسئلة، الكاميرا حتيجي عليكي شيلي النقاب]، وقد فعلت واحدة ما أمرها به ثم دخلت على النساء باكية.

التصوير ليلا يمتد للساعة الثالثة صباحًا، وعادة ما يتعب الجميع وينام أكثرهم عن صلاة الفجر.

البنات يعرضن مشاريع مع الشباب، ويطلبون من رجال الأعمال تمويلها فيما يعرف بصناع الحياة، وفي يوم العيد رفض الداعية المشهور حلق رأسه وطلع على المسرح بمنى وقال: لم أحلق لأن عندي لقاءات بعد الحج ـ يعني لقاءات تلفزيونية.

هذا بعض ما ذكرته السيدة الفاضلة، بل وقالت إن ابني كان يصلي بالمسجد في الجماعة، وأصبح الآن لا يرتاد المسجد، وكل هذا يُفعل باسم الوسطية والحداثة التي تروج لها هذه القنوات وهؤلاء الدعاة.

والعجب أن بعض هذه المنكرات كانت تعرض على القناة الفضائية المشهورة، وكانت تعرض بعض البدع يوم عرفة مثل الدعاء الجماعي، ثم أخذ هؤلاء الحجيج يتعانقون يهنئ بعضهم بعضًا بالقبول بعد غروب شمس يوم عرفة.

ولا أريد أن أعلق على ما ذكرته السيدة الفاضلة، فكل من له علم ووعي يعلم أن روح العبادة أبعد ما تكون عن هذه التفاهات والحماقات.

ومعلوم أن أهل العلم لا يجزم أحد منهم بقبول العمل عند انقضائه، بل يستشعرون التقصير ويستغفرون الله عز وجل عند انقضاء العمل كما قال ربنا عز وجل ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة:١٩٩].

ومن أهل العلم من كان يغلب الخوف في هذا اليوم، ومنهم من كان يغلب الرجاء والطمع في القبول ومغفرة الذنوب لكنهم ما كانوا يتصافحون ولا يتعانقون ولا يهنئ بعضهم بعضا عند الإفاضة من عرفات، لكنهم يفيضون راجين راغبين راهبين خاشعين متذللين.

بل إن بدعة التصوير في المناسك مما يكاد يفرغ المناسك عن روحها، ويمنع تمام الخشوع فيها.

وقد لاحظنا انتشارها بين جموع الحجيج خاصة مع انتشار التليفونات التي فيها خاصية التصوير.

وداعية آخر ينزل من الحافلة ليلة المبيت بمزدلفة ويحلق شعره ويأمر من معه بالحلق والتقصير بدعوى أن النبي ﷺ قال: افعل ولا حرج، حتى قال بعضهم: لقد حولنا القاعدة الفقهية «المشقة تجلب التيسير» إلى لون من (الاستهبال والاستعباط) هكذا قال.

كيف نحقق بر الحج؟

لا يمكن أن نحقق البر في الحج إلا بتحري الإخلاص وحسن متابعة النبي ﷺ في قوله وفعله وأن نسعى لتحقيق معنى كلمة «لبيك اللهم لبيك» التي رددناها ورفعنا بها أصواتنا.

وتحقيق هذه الكلمة يكون أولا بفهم معناها، فهذه الكلمة يقولها الإنسان إذا دعاه من يحب ويعظم، فهي كلمة استجابة لمن تحب ومن ترغب وترهب وتعظم إذا دعاك أو ناداك، فتسارع بالإجابة قائلا لبيك أما إذا دعاك من لا تحب، ومن ليس له في قلبك مكانة فإنك تتثاقل عن إجابة دعائه وربما تمتنع من إجابته.

وفي رحلة الحج دعانا من له في قلوبنا كل الحب والرغبة والرهبة، دعانا ذو الجلال والإكرام، فسارعنا ولبينا؛ لأنه سبحانه أحب إلينا مما سواه، وهذا من علامة الإيمان كما في الحديث «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُلقى في النار».

[متفق عليه]

جزاء المستجيبين

إن من جزاء المستجيبين أن يكفيهم الله ما أهمهم وأن يدفع عنهم من السوء ما يخافون وما يحذرون.

﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٢) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ [آل عمران:١٧٢-١٧٤].

وإن من أعظم جزاء المستجيبين الهداية إلى الجنة ﴿ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ [الرعد:١٨].

إن أعظم ما في الحج أن يعتاد المسلم الاستجابة لله وللرسول ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال:٢٤].

ونماذج الاستجابة في الحج كثيرة، فهذا مولانا تبارك وتعالى دعانا لترك الأوطان، والأهل فاستجبنا، دعانا للطواف بالبيت فاستجبنا مع أن البيوت في الأرض كثيرة، ولكن تركنا كل البيوت قاصدين بيته، دعانا لاستلام الحجر وتقبيله أو الإشارة إليه فاستجبنا مع علمنا أنه حجر لا يضر ولا ينفع، ولكن لأن رسول الله ﷺ استلمه وقبله، وأشار إليه فعلنا اقتداءً به ﷺ، دعانا للخروج إلى منى والمبيت بها يوم التروية، فتركنا البيت وتوجهنا إلى منى ملبين مستجيبين.

دعانا للوقوف بعرفة فلبينا، دعانا للمبيت بمزدلفة فلبينا دعانا لرمي الجمار والمبيت بمنى فلبينا، ثم دعانا للطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة فلبينا واستجبنا، إن معظم هذه الأعمال لا يستشعر الحاج فيها معنى خاصًا سوى الاستجابة والتلبية لأمر الله عز وجل والاستسلام لحكمه.

فهل نحن في سائر أعمالنا ملبون مستجيبون؟ دعانا لتجريد التوحيد ونبذ الشرك فهل نحن ملبون؟ دعانا للحفاظ على الصلوات فهل نحن ملبون مستجيبون؟ دعانا لبر الوالدين وصلة الأرحام وحسن الجوار وحسن العشرة والمعاملة فهل نحن ملبون مستجيبون؟ دعانا لترك الحرام والفواحش ما ظهر منها وما بطن فهل نحن ملبون مستجيبون؟.

إذا استجبت لله عز وجل في كل ما دعاك إليه فقد حققت بر الحج ورجعت من ذنوبك كيوم ولدتك أمك.

التمس أسباب المغفرة بعد الحج

إن الحج المبرور من أعظم أسباب مغفرة الذنوب «فمن حج فلم يفسق ولم يرفث رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه».

ولكن التوحيد وترك الشرك أعظم

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة:٩].

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [النساء:٤٨].

ومن لقى الله عز وجل بقراب الأرض خطايا، ولم يشرك به شيئًا لقيه الله عز وجل بقرابها مغفرة.

والاستغفار من أعظم أسباب المغفرة.

فاحرص على الاستغفار فإن رسول الله ﷺ كان يكثر من التوبة والاستغفار ويقول: رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الغفور. مائة مرة.

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ [آل عمران:١٣٥-١٣٦].

واعلم أخي المسلم أن الأعمال التي توجب المغفرة أكثر من أن تحصر، فالوضوء، والذكر بعد الوضوء، والإنفاق في سبيل الله في السراء والضراء، وكظم الغيظ، والعفو عن الناس، والصبر، وصلاة ركعتين عقب الوضوء، والأذان للصلاة، وإجابة المؤذن، والمشي إلى المساجد والجماعات، وانتظار الصلوات، والصلوات الخمس، والجمعات، والتأمين في الصلوات، وقيام الليل، والذكر بعد الصلاة كل هذا مما تغفر به الذنوب والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة أكثر من أن تحصى.

وقد سبق أن كتبنا في ذلك بعنوان أسباب المغفرة، فنسأل الله العظيم رب العرش الكريم بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يجعلنا من أهلها. إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

العداء الغربيّ

إعداد
د. جمال المراكبي
الرئيس العام

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي المتقين وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الصادق الوعد الأمين، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن سار على طريقته وانتهج نهجه إلى يوم الدين وعلى رسل الله أجمعين، أما بعد:

فإن أعظم نعمة منّ الله بها علينا بعثة النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم، ختم به النبيين، وأرسله رحمة للعالمين، بشيرًا ونذيرًا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرًا تحقيقا لدعوة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران:١٦٤].

وتتجلى هذه النعمة وهذه المنة بالنظر إلى حال أهل الدين والإيمان قبل بعثته، وبعد بعثته ﷺ.

فلقد كان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعث النبي محمد ﷺ إلى الناس كافة، فأكمل الله تعالى به بنيان النبوة وانتظم عقدها، وفي ذلك تمام النعمة وكمال الدين وإظهاره على الدين كله ولو كره الكافرون والمشركون.

قال رسول الله ﷺ: «مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بنى بيتًا فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة. قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين». [متفق عليه]

وقد جعل المولى تبارك وتعالى الكتاب الذي أنزله على محمد ﷺ حَكَمًا ومُهَيْمِنًا على ما أنزل من وحيه على النبيين من قبله، وجعل شرعه ناسخًا لشرائع النبيين من قبله، وجعله تامًا كاملا بينًا فقال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

والإسلام هو دين الأنبياء جميعًا، أتمه الله وأكمله لعباده على لسان خاتم رسله، ولم يرض من أحد عبودية لسواه فقال ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ [آل عمران:١٩].

وقال: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥].

ولا يعذر أحد من البشر أعرض عن هذا الدين بعد بلوغه إياه ولا يقبل منه إلا أن يكون من المؤمنين كما قال نبينا ﷺ: «والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة - يعني أمة الدعوة، وهو كل من بلغته هذه الدعوة - يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرْسِلْتُ به إلا كان من أصحاب النار». [مسلم ك الإيمان ح٢٤٠]

إظهار الدين

وقد أظهر الله دينه، وأعز المؤمنين من عباده بنصر هذا النبي وتأييده، بما لم يكن للأنبياء والمرسلين من قبله فهذا خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام بعد أن أقام الحجة على قومه، لم يؤمن له إلا زوجته سارة، وابن أخيه لوط قال تعالى: ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [العنكبوت:٢٦].

وهذا كليم الله موسى يدعو قومه إلى الجهاد في سبيل الله فيقول له قومه ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا هَا هُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة:٢٤] وهذا كلمةُ اللهِ المسيحُ عيسى بنُ مريمَ يدعو بني إسرائيل إلى الإيمان به ويبشرهم ببعثة النبي الخاتم الذي يتم الظهور على يديه فيقول: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف:٦].

النبي الإسلام صلى الله عليه وسلم

لقد كان حال المؤمنين قبل بعثة محمد ﷺ في غاية الضعف ولم يعرف بنو إسرائيل التمكين إلا في ملك داود وسليمان ثم كان المؤمنون يتواصون بالإيمان ببعثة النبي الخاتم ويبشرون به لما أخذ الله العهد عليهم وعلى أنبيائهم بالإيمان به ونصره كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران:٨١].

وقد عبر النبي ﷺ عن حال الناس قبل بعثته فقال: «إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب».

[مسلم ك الجنة ح٢٨٦٥]

وكانت هذه البقايا من أهل الإيمان - وعددهم لا يكاد يذكر - تعيش في عالم مقيت قد أطبق أهله على الشرك والظلم والجاهلية ومن يطالع قصة سلمان الفارسي قبل إسلامه يعلم أن بعض قساوسة النصارى كانوا على الحق، بينما كان غيرهم في جاهلية وشر، وكان من أهل الحق في جزيرة العرب زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل، ولكن هؤلاء جميعا لم يكونوا ظاهرين بالدين ولم يُظهر الله الدين على الدين كله إلا بنصر محمد بن عبد الله رسول الله إلى الناس كافة.

حقوق النبي ﷺ

لأجل هذا كان للنبي ﷺ حقوقٌ على الناس، من هذه الحقوق: وجوب الإيمان به ووجوب طاعته واتباع هديه وسنته. قال ربنا عز وجل: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٢١].

ومن هذه الحقوق التي للنبي ﷺ لزوم محبته ﷺ وتقديم محبته على محبة المال والأهل والوالد والولد والنفس لأن محبته من محبة الله عز وجل. قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة:٢٤].

وقد أكد النبي ﷺ على هذا المعنى في قوله: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين».

[متفق عليه]

فانظر أخي الكريم هل يوجد شخص يجب على كل مؤمن أن يحبه أكثر من محبته لنفسه وللناس أجمعين إلا رسول الله ﷺ، وما ذلك إلا لأنه أولى بكل مؤمن من نفسه كما قال تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب:٦] ويلزم من هذه الأولوية تمام الحب والطاعة والانقياد ومحبة النبي ﷺ فرع عن محبة الله عز وجل لأنه هو الذي بعثه واصطفاه، وليس للخلق محبة أعظم ولا أتم من محبة المؤمنين لربهم، وليس في الوجود من يستحق أن يحب لذاته من كل وجه إلا الله تعالى، وكل ما يحب بعد الله عز وجل فمحبته تبع لحب الله عز وجل ولهذا كان النبي ﷺ إنما يُحَب لأجل الله، ويُطاع لأجل الله، ويتبع لأجل الله عز وجل.

ومن حقوق النبي ﷺ على العباد وجوب طاعته واتباع هديه وسنته، ونحن لا نكاد نعرف بشرًا أوجب الله على العباد أن يتخذوه أسوة وقدوة غير محمد ﷺ لأنه ﷺ اقتدى بإخوانه من النبيين والمرسلين الذين هداهم الله واصطفاهم، فصار بذلك مجمع الأسوة والقدوة، ويسر الله عز وجل للأمة فنقلت هديه وشمائله وأخلاقه لكي يقتدي به كل مؤمن، فهذا بلال بن رباح مؤذن النبي ﷺ تحضره الوفاة، فتقول امرأته: واكرباه فيقول بلال: وافرحاه، غدًا ألقى الأحبة محمدًا وحزبه. فمزج مرارة سكرات الموت بحلاوة الشوق إلى لقاء الأحبة ولله عز وجل في قلب المؤمن من المحبة والطاعة والتعظيم والشوق إلى لقائه وجنته أعظم لأي أحد، ولهذا علمنا حبيبنا محمد ﷺ أن نقول في صلاتنا: «ونسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين». [النسائي واحمد]

ومما يجب علينا تجاه النبي الخاتم أن نعرف له قدره ومنزلته عند الله فيكون في قلوبنا معظمًا موقرًا فلا نتقدم بين يدي الله ورسوله في شيء من الأمور بل نكون تابعين مستسلمين وأن نغض أصواتنا عند رسول الله ﷺ وألا نجهر له بالقول كجهر بعضنا لبعض، وقد كان سادات المتقين يراعون ذلك في الحديث عنه والرواية عنه صلوات ربي وسلامه عليه.

إيذاء النبي ﷺ

إن رجلا هذا حاله، وهذه درجته ومنزلته لابد أن يقدره قدره كل منصف، ولهذا كان المنصفون من الناس يعرفون له هذا القدر وهذا التأثير العظيم في تاريخ البشرية، حتى من لم يفتح الله للهداية قلبه من غير المسلمين إن كان منصفًا فإنه لا يملك ألا أن يعلن تقديره لهذه الشخصية العظيمة الأثر في التاريخ البشرى كله، وكتابات المنصفين من غير المسلمين كثيرة فهذا كاتب أميركي يكتب عن العظماء في تاريخ البشرية، ومعيار العظمة عنده القدرة على التأثير والتغيير في المجتمع البشري فيدون كتابه مائة شخص أثروا في تاريخ البشر، فيرى أن محمدًا ﷺ هو الأول والأعظم تأثيرًا على مر العصور ويجعل في المرتبة الثانية بولس الذي أسس دين النصرانية المبدل، ويجعل المسيح في المرتبة الثالثة ويربطه بالثاني لأن الدين عندهم يرجع إلى جهود الثاني، والنصارى في العالم اليوم يدينون بما سطره لهم هذا المبدل، فمحمد ﷺ غير شكل الأرض وأثر في أهلها حتى إن أكثر من مليار مسلم يعظمونه وبولس غير شكل الأرض وأثر في أهلها حتى إن أكثر من مليار مسيحي يتابعونه، ولكن شتان بين من غير دين المسيح وبدله وتحالف مع الشيطان الرجيم لإضلال أهل الأرض، وبين من بشر به المسيح فأحيا دعوة النبيين والمرسلين وأظهر الله به الدين.

هذا هو نبينا محمد ﷺ كما يراه كل عاقل منصف، آمن به أم لم يؤمن، ولكن السفهاء من الناس الذين استحوذ عليهم الشيطان يأبون هذا الإنصاف، ويدفعهم التعصب المقيت للنيل من مقام الرسول ومحاولة الطعن فيه، يدفعهم إلى هذا المنهج شياطين من الإنس والجن فتعمى أبصارهم بعد أن عميت منهم القلوب والبصائر، فنراهم يقلبون حقائق الأمور، فالجهاد في سبيل الله وإظهار دين الله عز وجل على الدين كله يراه أولئك نشرًا للدين بالسيف وإكراها للناس على الإيمان، وينسون أن محمدًا ﷺ نزل عليه قول الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة:٢٥٦] وينسون أن واقعهم في تكذيبه وعدم الإيمان به ينفي شبهة الإكراه، ولو أكره النبي ﷺ والمسلمون من بعده الناس فكيف بقي هؤلاء على دينهم في ذمة أهل الإسلام وفي حمايتهم، ولكنهم يسوءهم أن يعز الله دينه ورسوله فيخبطون ويكذبون.

لقد رأينا تلك الفزعة التي هزت المسلمين على اختلاف ألوانهم وألسنتهم حين نشر بعض السفهاء رسومًا كاريكاتيرية يسيئون فيها لمقام خاتم النبيين صلوات ربي وسلامه عليه وكيف غضب المسلمون، ودعوا إلى مقاطعة اقتصاديات الباغين المعتدين في الدنمارك والنرويج وغيرهما ممن أساء إلى رسول الله ﷺ، ولقد أثرت تلك الغضبة في الناس تأثيرًا عجيبًا، فحملت المخالفين على الدهشة والعجب وفتحت الباب للمغيبين من غير المسلمين ليروا عظمة هذا النبي ومدى تأثيره في أمة ظنوا أنها ماتت من قرون طويلة ولكنها بفضل الله لن تموت وفيها طائفة تتمسك بهدي النبي ﷺ وتحيي سنته، ولاشك أن الكثيرين من المغيبين ستتغير فكرتهم عن هذا الدين وهذا النبي وقد يفتح الله لهم أبواب الهداية، ورب ضارة نافعة ولكنها أيضا زادت من حدة السفاهة لدى السفهاء الذين يزعمون أنها الحرية، حتى رأينا بعض هؤلاء السفهاء يتصرف بغير عقل أو وعي، وتنتقل عدوى السفاهة عبر القارة الأوربية وتتسلل إلى بعض وسائل الإعلام العربية، ولكن خوف الناس من غضبة المسلمين ويقظة المسلمين مازال غالبا ولله الحمد.

وبالأمس القريب قام وزير إيطالي سفيه يهدد بنشر الرسوم المسيئة لا في صحيفة ولا في لوحة ولكن برسمها على قميص يرتديه، ولكن رئيس الوزراء الإيطالي طالب بعزله، فقدم هذا السفيه استقالته.

ولأجل هذا السفيه قامت مظاهرة في ليبيا أحرق المتظاهرون جزءًا من القنصلية الإيطالية ببنغازي وقتل عشرة وفي أوروبا بدأ المفكرون والساسة يعلنون أن أوروبا تواجه أزمة في هويتها بسبب غلبة العلمانية وتنكرها للمسيحية وكثرة الوافدين من المسلمين إليها حتى قال بعضهم إن الشعب الانجليزي أدار ظهره للمسيحية، وقال البعض إن المسلمين سيصبحون أغلبية في هولندا في سنة ٢٠٣٠م وهذا الذي يخشونه ويخافون منه سيتحقق بإذن الله عز وجل وأحاديث النبي ﷺ في الفتن والملاحم تؤكد ذلك.

المهم أن نستثمر هذه الغضبة في تحقيق اليقظة وترك الغفلة، إذا كانت المقاطعة تؤلمهم، والمظاهرات تغضبهم، فإن أعظم من ذلك نكاية فيهم أن نكون على هدي الحبيب وأن نحيي سنته فبها تستيقظ هذه الأمة من سباتها.

وما ذلك على الله بعزيز.

والله من وراء القصد. وهو الهادي إلى سواء السبيل

الذكر حصن من كيد الشيطان

إعداد
الرئيس العام
د.جمال المراكبي

تكلمنا في حلقات ماضية عن ذكر اللَّه عز وجل، كيف أمرنا اللَّه تعالى بالإكثار منه، وأثنى على أهله، وجعله أفضل العمل وأرضاه عند المليك المقتدر، وبين أن الملائكة تتبع مجالسه، وأنه العاصم من الشيطان الرجيم، وأن الغفلة عن ذكر اللَّه عز وجل موات للقلوب التي علاها الران والصدأ وغلفتها القسوة، فصار النفاق منهاجًا لها.

ثم تحدثنا عن ارتباط العبادات بذكر اللَّه عز وجل، فالصلاة تقام لذكر اللَّه تعالى، والحج يقوم على ذكره وتعظيم شعائره.

وها نحن بفضل اللَّه وعونه ومدده وتوفيقه نتحدث عن أنواع الذكر وأقسامه:

●●أولاً: ذكر اللَّه تبارك وتعالى بأسمائه الحسنى وبصفاته العليا، والثناء عليه بهما، وتنزيهه وتقديسه عما لا يليق به تبارك وتعالى، وهذا إما بإنشاء الثناء عليه سبحانه تسبيحًا وتحميدًا وتكبيرًا، وإما بالإخبار عنه سبحانه بأحكام أسمائه وصفاته.

مثال الأول: قول الذاكر سبحان اللَّه والحمد لله ولا إله إلا اللَّه والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وأمثال هذه الكلمات التي هي من أحب الكلام إلى اللَّه عز وجل، بل هي أحب إلى الذاكر مما طلعت عليه الشمس؛ لأنها تمحو الذنوب وإن عظمت، وتثقل الموازين يوم القيامة، ففي الصحيح عن النبي ﷺ : «أحب الكلام إلى اللَّه عز وجل بعد القرآن: سبحان اللَّه والحمد لله ولا إله إلا اللَّه والله أكبر، لا يضرك بأيهن بدأت».[رواه مسلم]

«لأن أقول سبحان اللَّه والحمد لله ولا إله إلا اللَّه والله أكبر، أحب إليَّ مما طلعت عليه الشمس». [رواه مسلم]

«من قال سبحان اللَّه وبحمده في اليوم مائة مرة حُطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر». متفق عليه.

«كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان اللَّه وبحمده، سبحان اللَّه العظيم». [متفق عليه]

ومثل قوله ﷺ : «والحمد لله تملأ الميزان» [مسلم]

وقوله ﷺ لأم هاني: «سبحي اللَّه مائة تسبيحة، فإنها تعدل مائة رقبة تعتقينها، واحمدي اللَّه مائة تحميدة تعدل مائة فرس مسرجة تحملين عليها في سبيل اللَّه، وكَبِّري اللَّه مائة تكبيرة فإنها تعدل مائة بدنة مقلدة متقبلة، وهللي اللَّه مائة تهليلة تملأ ما بين السماء والأرض، ولا يرفع لأحد عمل إلا أن يأتي بمثل ما أتيت به». (رواه أحمد وحسنه المنذري، وحسنه الألباني في الصحيحة ج٣/٣٠٣)

ومثل قوله ﷺ لأبي موسى الأشعري: «لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة». [متفق عليه]

ويلحق بهذه الكلمات قول الذاكر: استغفر اللَّه، وإنا لله وإنا إليه راجعون عند المصيبة، وحسبنا اللَّه ونعم الوكيل، وغيرها كثير يرددها الذاكر لله كثيرًا. والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

وأفضل هذا النوع من الذكر ما كان جامعًا للثناء والمدح مثل قول الذاكر: «سبحان اللَّه وبحمده عدد خلقه وزنة عرشه ورضا نفسه ومداد كلماته». فهذا أفضل من مجرد قولك سبحان اللَّه وبحمده فقط، وهذا هو الذكر المضاعف الثواب.

وقد روى مسلم في صحيحه عن جويرية رضي الله عنها أن النبي ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح، وهي في مسجدها، ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة، فقال: ما زلت على الحال التي فارقتك عليها؟ قالت: نعم. فقال النبي ﷺ : لقد قلتُ بعدك أربع كلمات، ثلاث مرات، لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان اللَّه وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته.

وفي المسند عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ مَرَّ به، وهو يحرك شفتيه، فقال: ماذا تقول يا أبا أمامة ؟ قال: أذكر ربي، فقال ﷺ: «ألا أخبرك بأفضل من ذكر الليل مع النهار، والنهار مع الليل، أن تقول: سبحان الله عدد ما خلق، وسبحان الله ملء ما خلق، وسبحان الله عدد ما في الأرض والسماء، وسبحان الله ملء ما في الأرض والسماء، وسبحان الله عدد ما أحصى كتابه، وسبحان الله عدد كل شيء، وسبحان الله ملء كل شيء، والحمد لله مثل ذلك». [صحيح الجامع: ٢٦١٥]

قال الشوكاني رحمه الله: صحح حديث أبي أمامة هذا باعتبار البعض من طرقه ثلاثة أئمة: ابن حبان والحاكم وابن خزيمة، وحسنه المنذري والهيثمي.

ومثال الثاني: الإخبار عن الرب سبحانه وتعالى بأحكام أسمائه وصفاته، مثل قولك: الله يسمع أصوات عباده ويرى أعمالهم، ولا يخفى عليهم شيء في الأرض ولا في السماء وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها، وأنه سبحانه يفرح بتوبة عبده، وأنه يرضى لعباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وأن يعتصموا بحبل الله جميعًا ولا يتفرقوا، وأن يناصحوا من ولى الله أمرهم، وأنه يكره لهم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال، وأنه يحب أوليائه ويبغض أعداءه، وأحب الناس إليه سبحانه أنفعهم للناس، وأحب العمل إليه إدخال السرور على المسلمين وقضاء حوائجهم، وأنه سبحانه استوى على عرشه، وأنه ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة فينادي: هل من تائب فأتوب عليه، هل من سائل فأعطيه.... إلخ.

والقرآن الكريم، والحديث الشريف مملوءان بنماذج لا تحصى من هذا النوع المتضمن للثناء على الله سبحانه بما أثنى به على نفسه، وبما أثنى به عليه أعلم الخلق به محمد صلوات ربي وسلامه عليه، وأهل الحق يثبتون لله تعالى هذا من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، ويتعبدون لله تعالى بذكر هذه العبارات والكلمات، والوقوف على ما تتضمنه من معاني الكلمات لذي الجلال والإكرام، ويرون هذا كله من ذكر الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العليا إنشاءً وإخبارًا عن الله، ثناءً ومدحًا، وتسبيحًا وتحميدًا وتمجيدًا، والله سبحانه وتعالى يحب هذا من عبده ويثني به عليه بين ملائكته كما ورد في الحديث الصحيح في فضل فاتحة الكتاب، فإذا قال العبد: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، قال الله تعالى: «أثنى عليَّ عبدي»، فإذا قال العبد: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، قال الله تعالى: «مجدني عبدي»، فإذا قال العبد: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قال الله تعالى: «هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل»، فإذا قال العبد: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ قال الله تعالى: «هذا لعبدي». الحديث [رواه مسلم]

•• ثانيًا: ذكر الله تعالى بذكر أمره ونهيه وأحكام شرعه علمًا وعملاً ودعوة وتعليمًا:

وهذا على أقسام: منها:

ذكر أوامره ونواهيه وأحكام شرعه علمًا وتعليمًا، بالإخبار عنه سبحانه أنه أمر بكذا، ونهى عن كذا، وأحب كذا وكره كذا، وأباح كذا، وتدارس ذلك في دروس العلم بالحلال والحرام، وهي بهذه المثابة من مجالس الذكر كما قال عطاء بن أبي رباح وغيره من السلف: مجالس الذكر هي مجالس الحلال والحرام، كيف تصلي وتصوم وتنكح وتطلق وتحج وتعتمر وتبيع وتشتري.

وكان أحد أئمة السلف في حلقة مع الناس يتذاكرون العلم، فقال لهم شاب: قولوا: سبحان الله والحمد لله، فقال الرجل: ويحك، في أي شيء كنا إذًا.

ومنها: ذكر أوامر الرب ونواهيه عملاً، عند تنفيذها وتطبيقها بالمبادرة إلى الصلاة في أوقاتها وتحقيق أركانها وشروطها والحرص على الطمأنينة والخشوع فيها، وكذا في الصوم والحج والبيع والشراء وسائر العبادات والمعاملات، فذكر أمر الله ونهيه شيء، وذكره عند أمره ونهيه بالانقياد والامتثال شيء آخر، وبهما يحقق العبد حقيقة التقوى بأن يعبد الله على نور من الله يرجو ثوابه ويخشى عقابه ويسارع في مرضاته سبحانه.

ويدخل في هذا النوع ذكر الوعد والوعيد والثواب والعقاب علمًا وعملاً، وذكر الموت، وذكر الجنة والنار.

فإن العبد إذا أكثر من ذكر الموت والاستعداد له، وذكر الجنة والنار والثواب والعقاب كان ذلك أدعى إلى إحسان العمل وإتقانه، وكف النفس عن شهواتها، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: اذكر الموت في صلاتك، فإن العبد إذا ذكر الموت في صلاته فإنه حريٌ أن يحسن صلاته، وصل صلاة رجل لا يظن أنه يصلي صلاةً غيرها. صحيح الجامع.

•• ثالثًا: ذكر الله تعالى بذكر آلائه وإنعامه ومواقع فضله:

وهذا يكون أولاً بمعرفة النعم ومعرفة صاحب النعم ثم بشكر المنعم على سابغ نعمه علمًا وعملاً.

قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾.

وقد جعل المولى تبارك وتعالى لذلك عبودية خاصة هي الشكر، قال تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ

شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨].

وقال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾.

وأركان الشكر: الاعتراف بالنعمة باطنًا، والتحدث بها ظاهرًا، وتصريفها فيما يرضي مسديها وواهبها.

وقد كان رسول الله ﷺ يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقيل له: هون على نفسك، تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال ﷺ: «أفلا أكون عبدًا شكورًا».

وقد أوصى حبيبه معاذ بن جبل، وأوصانا أن نقول دبر كل صلاة: اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

●● رابعًا: ذكر الله عز وجل عند الابتلاء بالمصائب:

ويكون ذلك بالاسترجاع والصبر والرضا بالقضاء، قال تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ (٤٥) الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ٤٥- ٤٦].

وقال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ (١٥٢) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (١٥٣) وَلاَ تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ (١٥٤) وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٢-١٥٧].

فالمؤمن يجمع بين دوام الذكر لله عز وجل وشكره على سابغ نعمه، والصبر على قضائه وبلائه فيقوده لك إلى مقام الرضا بالله والرضا عن الله، وفي الحديث الصحيح يقول النبي ﷺ: «عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابه سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابه ضراء صبر فكان خيرًا له». [رواه مسلم]

وفي الصحيح أيضًا يقول النبي ﷺ: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًا». [رواه مسلم]

●● خامسًا: ذكر الله عز وجل عند المعصية:

والمعاصي لا تقع من العبد المؤمن إلا حال الغفلة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [طه: ١٥]، ثم ساق قصة إغواء الشيطان لأبناء آدم وزوجه، وكيف أنه وسوس لهما، وكذب عليهما، وغرهما، ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَّ يَبْلَى (١٢٠) فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (١٢١) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ [طه: ١٢٠- ١٢٢].

والشاهد من الآيات أن الشيطان يسلك مع بني آدم نفس السبيل الذي سلكه مع آدم، وأن الإنسان الذي عرف ربه وآمن به لا يقع في الذنوب إلا في حال الغفلة عن الله وعن ذكر الله عز وجل، وفي حالة من الاغترار، وغلبة الشهوة وتمكنها منه، فلو ذكر الله عز وجل قبل المعصية لخاف، ولو ذكر أمره ونهيه ووعده ووعيده لانزجر، ولكنه نسي وغفل عن ذكر ربه تحت وطأة ووسوسة الشيطان وغوايته، وشهوات النفس الأمارة بالسوء، والاغترار باللذة العاجلة، والشهوة المسيطرة، فوقع في الذنب، وسقط في شرك الشيطان ومصايده، ولكنه مع ذلك إذا ذكر ربه فأسرع إليه لاجئًا إليه تائبًا فإن الله عز وجل يتوب عليه كما تاب من قبل على أبيه آدم ويبدل الله بعد التوبة سيئاته حسنات فضلاً منه ورحمة، كما قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٧٠) وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ [الفرقان: ٦٨- ٧١].

والله سبحانه هو الذي ألهمهم ذكره، وتاب عليهم ليتوبوا ثم قبل منهم توباتهم وغسل ذنوبهم وبدلهم حسنات فضلاً منه، قال تعالى: ﴿لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١١٧) وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٧- ١١٨].

وقد ربط الله سبحانه بين الذكر والاستغفار في سلوك عباد الله المؤمنين المسارعين إلى مرضاته، فقال: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُوْلَئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣- ١٣٦].

والله الموفق.

المسلمـــون والواقع المر

إعداد/ د. جمال المراكبي
الرئيس العام

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وبعد:

عجيب أمر الساسة الغربيين، فقد أوجعوا رؤوسنا بحديثهم عن الديمقراطية ووجوب تفعيل الخيار الديمقراطي، والضغط على الحكومات العربية لتساير التطور وتسعى نحو الديمقراطية من خلال تفعيل صناديق الاقتراع، وهم الليبراليات اليسارية العلمانية في العالم الثالث والمنطقة العربية، ودعم الجمعيات المشبوهة التي تعرف بجمعيات حقوق الإنسان ومنظمات المجتمع المدني ذات الطابع الليبرالي الغربي، التي سارعت ومعها تيارات أخرى للتفاعل مع الدعوة الغربية والضغوط الغربية على مجتمعاتنا لتحقيق أكبر قدر ممكن من المكاسب وأصبح الشعار المرفوع والمعلن هو: لن ترضى عنك أوربا وأمريكا حتى تتبع ديمقراطيتهم، وتحقق مصالحهم وتسير في ركابهم.

وبالفعل سار الجميع في هذا الركاب ما بين مسارع ومبطئ وخرجوا علينا بنماذج عديدة للديمقراطية التي تهدف إلى التداول السلمي للسلطة من خلال صناديق الانتخاب، وكان من أبرز هذه النماذج النموذج العراقي الطائفي المصبوغ باللون الأحمر، لون الدم العراقي الذي يسفك يوميًا وبزاد على الشاشات، والتفجيرات التي طالت المساجد وأصبح العراق في ظل هذه الديمقراطية الجديدة في مستنقع الحرب الطائفية المدمرة، ورأينا هذه الطائفية تطل برأسها في سائر البلاد سافرة أحيانًا ومستترة أحيانًا أخرى، ينفخ في نارها ويسعى في إشعالها هؤلاء المدعومون من الغرب الأوروبي والأمريكي، واللاحقون عن حقوق أقليات يزعمون أنها مقهورة، ويتجلى هذا واضحًا في لبنان والسودان، وظهرت بعض بوادره في أحداث الإسكندرية منذ عرضت المسرحية المشئومة.

اللنموذج الآخر البارز هو الانتخابات الفلسطينية، وقد جاءت نتائج الانتخابات برئيس حركة فتح على قمة السلطة، ثم جاءت الانتخابات التشريعية بأغلبية من حركة حماس التي تتبنى خيار المقاومة، وجاء الرد الغربي سريعًا وسافرًا بإعلان الحصار الاقتصادي وقطع المعونات عن الشعب الفلسطيني عقابًا له على هذا الخيار الديمقراطي، فيا ترى أيريدون لنا خيار الديمقراطية حقًا، أم يريدون خيار الخضوع والتبعية، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠]. ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٣٥) قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٦) فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٥ - ١٣٧]

نصرة الشعب الفلسطيني:

على المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها أن ينتبهوا لهذا المخطط الغربي، وأن يخرجوا من النفق المظلم الذي يسيرون فيه بتفعيل خيار التضامن والتكامل والتكافل، وأن يسارعوا لدعم الشعب الفلسطيني بكل ما أوتوا من قوة ومن مال، فهم إخواننا على ثغر من الثغور، ونحن جميعًا مستهدفون: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، ونبينا ﷺ يقول: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر».

ويقول ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يُسلمه».

فالواجب علينا حكامًا ومحكومين، شعوبًا ودولاً وحكومات أن نقف وراء إخواننا في فلسطين، وأن ندعمهم بكل قوة لفك هذا الحصار الغربي الصهيوني على الشعب الفلسطيني الباسل.

والعجيب أن الدعم العربي لا يزال ضعيفًا، يتحرك ببطء وعلى استحياء، يشعرنا بالخزي، فهل يسرنا أن تتقدم إيران الركب وتعلن عن دعمها للشعب الفلسطيني بما لم تتقدم بمثله دولة عربية سنية حتى الآن ؟!

لقد فتحت الجامعة العربية حسابًا لتلقي المساعدات في أحد البنوك المصرية، ونحن ندعو المسلمين جميعًا للمساهمة في هذا الدعم الشعبي ولو بالقليل، ونذكر إخواننا بالتلاحم الذي عليه لدعم الانتفاضة الفلسطينية، وأدعو إخواننا في فلسطين إلى هذا التلاحم والتعاون حتى لا تسفك لدماء الفلسطينية بأيدي فلسطينية، ففي الشدائد تعرف معادن الشعوب.

قال الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧]

فما يحدث لنا ولهم إنما هو ابتلاء واختبار وتمحيص من رب العالمين، ونصر الله قادم لا ريب فيه: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١]، ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢٣) إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاثَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُنزَلِينَ (١٢٤) بَلَى إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ (١٢٥) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٣- ١٢٦].

فخال الشدة لن يدوم، وإن مع العسر يسرًا، ولن يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

أخرج البخاري في صحيحه، كتاب فرض الخمس، باب بركة الغازي في ماله حيًا وميتًا عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال: لما وقف الزبير يوم الجمل دعاني فقمت إلى جنبه، فقال: يا بني، إنه لا يُقتل اليوم إلا ظالم أو مظلوم، وإني لا أراني إلا سأقتل اليوم مظلومًا، وإن من أكبر همي لديني، أفترى يُبقي ديننا من مالنا شيئًا، فقال: يا بني بع مالنا فاقض ديني وأوصي بالثلث وثلثه لبنيه، يعني بني عبد الله بن الزبير، يقول: ثلث الثلث، فإن فضل من مالنا فضل بعد قضاء الدين شيء فثلثه لولدك، قال هشام: وكان بعض ولد عبد الله قد وازى بعض بني الزبير خبيب وعباد وله يومئذ تسعة بنين وتسع بنات، قال عبد الله: فجعل يوصيني بدينه ويقول: يا بني إن عجزت عنه في شيء فاستعن عليه بمولاي، قال: فوالله ما دريت ما أراد حتى قلت: يا أبت من مولاك، قال: الله، قال: فوالله ما وقعت في كربة من دينه إلا قلت: يا مولى الزبير اقض عنه دينه فيقضيه، فقُتل الزبير رضي الله عنه ولم يدع دينارًا ولا درهمًا إلا أرضين منها الغابة وإحدى عشرة دارًا بالمدينة ودارين بالبصرة ودارًا بالكوفة ودارًا بمصر، قال: وإنما كان دينه الذي عليه أن الرجل كان يأتيه بالمال فيستودعه إياه فيقول الزبير: لا ولكنه سلف فإني أخشى عليه الضيعة وما ولي إمارة قط ولا جباية خراج ولا شيئًا إلا أن يكون في غزوة مع النبي ﷺ أو مع أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، قال عبد الله بن الزبير: فحسبت ما عليه من الدين فوجدته ألفي ألف ومائتي ألف، قال: فلقي حكيم بن حزام عبد الله بن الزبير فقال: يا ابن أخي، كم على أخي من الدين فكمته، فقال: مائة ألف، فقال حكيم: والله ما أرى أموالكم تسع لهذه فقال له عبد الله أفرأيتك إن كانت ألفي ألف ومائتي ألف، قال: ما أراكم تطيقون هذا فإن عجزتم عن شيء منه فاستعينوا بي، قال: وكان الزبير اشترى الغابة بسبعين ومائة ألف فباعها عبد الله بألف ألف وستمائة ألف ثم قام فقال: من كان له على الزبير حق فليوافنا بالغابة فأتاه عبد الله بن جعفر وكان له على الزبير أربع مائة ألف، فقال لعبد الله: إن شئتم تركتها لكم، قال عبد الله: لا، قال: فإن شئتم جعلتموها فيما تؤخرون إن أخرتم، فقال عبد الله: لا، قال: قال: فاقطعوا لي قطعة، فقال عبد الله: لك من هاهنا إلى هاهنا، قال: فباع منها فقضى دينه فأوفاه وبقي منها أربعة أسهم ونصف فقدم على معاوية وعنده عمرو بن عثمان والمنذر بن الزبير وابن زمعة فقال له معاوية: كم قُومت الغابة ؟ قال: كل سهم مائة ألف، قال: كم بقي ؟ قال: أربعة أسهم

ونصف، قال المنذر بن الزبير: قد أخذت سهمًا بمائة ألف، قال عمرو بن عثمان: قد أخذت سهمًا بمائة ألف، وقال ابن زمعة: قد أخذت سهمًا بمائة ألف، فقال معاوية: كم بقي ؟ فقال: سهمٌ ونصفٌ، قال: قد أخذته بخمسين ومائة ألف، قال: وباع عبد الله بن جعفر نصيبه من معاوية بست مائة ألف فلما فرغ ابن الزبير من قضاء دينه قال بنو الزبير: اقسم بيننا ميراثنا قال: لا والله لا أقسم بينكم حتى أنادي بالموسم أربع سنين ألا من كان له على الزبير دينٌ فليأتنا فلنقضه، قال: فجعل كل سنة ينادي بالموسم فلما مضى أربع سنين قسم بينهم، قال: فكان للزبير أربع نسوة ورفع الثلث فأصاب كل امرأة ألف ألف ومائتا ألف فجميع ماله خمسون ألف ألف ومائتا ألف.

فانظروا كيف بارك الله تعالى في مال الزبير حتى وفى دينه وفاض، وفي هذا الحديث تسلية للمجاهدين في سبيل الله، فكما بارك الله تعالى في جهادهم، واشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، وجعل للمجاهدين مائة درجة من درجات الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض قال رسول الله ﷺ «من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقًا على الله أن يدخله الجنة، جاهد في سبيل الله أم مات في أرضه التي ولد فيها.

قالوا: أفلا نبشر الناس يا رسول الله ؟ قال: إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن منه تفجر أنهار الجنة». [البخاري].

فكذلك يبارك الله تعالى في أموالهم ومواردهم، ويخرجون من الابتلاء بخير حال، وهذا ما نرجوه للشعب المجاهد في فلسطين.

وكما وصى الزبير ولده قائلاً: إن عجزت عن شيء من ديني فاستعن عليه بمولاي. قال: يا أبت، من مولاك ؟ قال: الله.

فأعان الله عبد الله بن الزبير على سداد الدين وأداء الحق، وفاض المال حتى استغنى الورثة، فكذلك أوصي إخواننا أن يستعينوا في كل أحوالهم بالله مولانا ومولاهم خاصة في كشف الكروب، واذكرهم بقول نبينا: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفت الصحف». رواه الترمذي وأحمد.

﴿رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وأخيرًا فليس غريبًا على رموز الإسلام السياسي أن يعلنوا عن المزيد من التنازلات لنيل الرضى السامي، فهذا أحد رموز الإسلام السياسي في السودان الدكتور الترابي يلبس رداء التجديد والتقدمية ويعلنها صراحة من غير مواربة خارجًا عن إجماع الأمة ضاربًا بالنصوص الشرعية عرض الحائط وذلك فيما يلي:

أولاً: زواج المرأة المسلمة الرجل الكتابي يهوديًا كان أو مسيحيًا جائز، والقول بحرمة ذلك مجرد أقاويل وتخرصات وأوهام وتضليل الهدف منها جر المرأة إلى الوراء.

ثانيًا: شهادة المرأة تساوي شهادة الرجل تمامًا وتوازيه دونما اعتبار لقول الله تعالى في باب المعاملات: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى﴾ [البقرة: ٢٨٢].

ثالثًا: حجاب المرأة المسلمة وهو الخمار لتغطية الصدر وجزء من محاسن المرأة ولا يعني تكميم النساء بناءً على الفهم الخاطئ لمقاصد الدين، والآيات التي نزلت بخصوص الحجاب. اهـ.

وهذه بعض سقطات الترابي ودعاة الإسلام السياسي، ويبدو أن القوم وقد أدمنوا العمل السياسي، وعجبتهم السياسة علموا أن خيوط اللعبة بيد الغرب وأمريكا، فبدأوا في اتصالاتهم بالقوى الخارجية الضاغطة، وأعلنوا عن استعدادهم لتقديم التنازلات والتخلي عن الرجعية - كما يزعمون - التي تهدف إلى جر المرأة إلى الوراء، ونسوا قول الله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾.

نعوذ بالله من الخذلان، ونسأله سبحانه العصمة من الزيغ والزلل، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

من يدخل الجنة؟

إعداد/ د. جمال المراكبي
الرئيس العام

عرضت شاشة إحدى الفضائيات حوارًا بين ممثلي الملل والنحل والأديان والفرق أسمته «حوار بلا أسوار» ولقد استوقفني في هذا الحوار سؤال وجّهه المذيع إلى المتحاورين جميعًا هو: من يدخل الجنة؟ وقد حاول بعض المتحاورين أن يجيب جوابًا عامًا فضفاضًا وحاول البعض الآخر أن يكون أكثر تحديدًا ووضوحًا وصراحة.

قال أحد ممثلي الكنيسة: من جاء بالمحبة لله وللناس دخل الجنة، مهما كانت عقيدته في الإله.

فقال له المذيع: وإن كان ملحدًا لا دين له؟

فقال: وإن كان ملحدًا أو لا دين له، وضرب المثل على ذلك بالزعيم الهندي المعروف غاندي فقال له المذيع: فلم تبذلون جهدكم في التبشير بالنصرانية إذا كنتم تعتقدون أن من جاء بالمحبة دخل الجنة سواء أكان مسيحيًا أو يهوديًا أو مسلمًا أو حتى من لا دين له؟ فلم يذكر جوابا مقنعًا.

أما الممثل الآخر للكنيسة فكان أكثر صراحة ووضوحًا فقال: من آمن بالمسيح المخلص دخل الجنة، ومن لم يؤمن بالوهية المسيح لم يدخل الجنة.

فقال له: هل عندكم نص في كتابكم يدل على هذا؟ فقال: إن الكنيسة قررت هذا، وما قررته الكنيسة فهو نص محكم.

فقال له المذيع، ولكن الكنيسة من قبل أعطت صكوك الغفران، ومنحت الملوك الحكم بمقتضى الحق الإلهي المقدس، حتى كفر أكثر النصارى بتسلط الكنيسة وفصلوا الدين عن الدولة فيما عرف بعد ذلك بالعلمانية.

فلم يقدم جوابًا شافيًا.

أما أحد المتحاورين من المسلمين فقال: لقد ذكر القرآن عن المسيح عيسى بن مريم أنه لن يدخل الجنة مشرك فقال: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

ولم يذكر المحاور صدر الآية ربما استحيى من ممثل الكنيسة أن يلمزه بالكفر، لأن مطلع هذه الآية ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ بْنُ مَرْيَمَ﴾ وفيها ردٌ صريح على ممثل الكنيسة الذي زعم أنه لن يدخل الجنة إلا من آمن بالوهية المسيح المخلص، وبيان أن ما يعتقده هؤلاء في المسيح إنما هو كفر صريح لن يدخل صاحبه الجنة أبدًا، بل كل من كفر بالله أو أشرك فمأواه النار، لأن الله عز وجل حرم عليه الجنة وقد حفزني هذا الحوار لأكتبه في هذه القضية.

من يدخل الجنة؟

الذي لا شك فيه أن أتباع كل دين أو ملة أو نحلة يزعمون أنهم أولى بالحق من غيرهم، وأنهم وحدهم المستحقون للجنة، وأن من عداهم فمن أهل النار لكن تبقى دعوى كل منهم مجرد أماني وأحلام كاذبة حتى يقيم الدليل عليها.

وقد قرر القرآن هذه الحقيقة في آيات بينات فقال المولى سبحانه: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١١١) بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ (١١٢) وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [البقرة: ١١١-١١٣].

فاليهود قوم متعصبون لعنصرهم يزعمون أنهم شعب الله المختار، وأنهم وحدهم أهل الجنة، ويكفرون بالمسيح عيسى بن مريم ويفخرون بتكذيبهم إياه وسعيهم في قتله وصلبه، ويرون أن النصارى ليسوا على شيء من الحق والنصارى في المقابل يرون اليهود أعداء المسيح الذين كذبوه وصلبوه وكفروا به فهم ليسوا على شيء من الحق بحال، وكل فرقة منهم تزعم أنها الأولى والأحق بالجنة، فاليهود قالوا لن يدخل الجنة إلا من كان يهوديًا، والنصارى قالوا لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيًا.

والمولى سبحانه وتعالى يُسَفِّه أقوالهم ويدحض دعواهم ويتحداهم أن يأتوا بدليل واحد على ما يقولون فيقول ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فالجنة لا تنال بالأماني الكاذبة والدعاوي الباطلة وإنما يدخلها

بفضل الله المؤمنون المتقون ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

ولهذا يخاطب المولى تبارك وتعالى المؤمنين أن يقولوا في دعوتهم ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٦) فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٦-١٣٧]

ولكن اليهود والنصارى كما أنكر بعضهم على بعض فقد اتفقوا على جحود ما أنزل الله على خاتم رسله محمد ﷺ وكفروا به، رغم البشارات التي يحملونها في كتبهم وسعيهم في تحريفها وتبديلها، وحاولوا رد المؤمنين عن إيمانهم ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٩].

﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [آل عمران: ٦٩].

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٥٩].

القضية ليست بالدعاوي ولا بالأماني وإنما بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره وعدم التفرقة بين رسل الله عز وجل، بل الإيمان بهم جميعًا دون تفرقة بين أحد منهم، والإيمان بأن الله يجازي بالإحسان إحسانًا، وبالإساءة عقوبة وخذلانًا فهو الحكم العدل الحكيم العليم، ولهذا حذر المسلمين من الأماني الكاذبة، فقال: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلاَ أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا (١٢٣) وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيرًا (١٢٤) وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾ [النساء: ١٢٣-١٢٥].

فليس الإيمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل، ولاشك أن العمل الصالح من الإيمان، فالإيمان عند أهل الحق قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالجوارح والأركان، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان، ولا يدخل الجنة إلا من وفقه الله وهداه للإيمان.

هل الأعمال في مقابل الجنة؟

الجنة هي دار الكرامة ومحل الرحمة، قال المولى تبارك وتعالى للجنة: «أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي» ولا يدخل أحد الجنة بمجرد العمل، بل يدخل المؤمنون الجنة بفضل الله ورحمته، فهو سبحانه الذي هداهم للإيمان ووفقهم للأعمال الصالحة وقبلها منهم، وأدخلهم الجنة برحمته فهو سبحانه المتفضل أولاً وآخرًا له المنة وله الفضل وله الثناء الحسن.

وفي هذا المعنى يقول النبي ﷺ: «لن يُدخل أحدًا عمله الجنة. قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضل ورحمته، فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة والقصد القصد تبلغوا، وإن أحب الأعمال أدومها إلى الله عز وجل وإن قل»، وهذه روايات متعددة للبخاري جمعتُ بعضها إلى بعض راجع أحاديث ٣٩ - ٥٦٧٣ ٦٤٦٤ - ٦٤٦٧ في الصحيح ولا تتعارض هذه الأحاديث مع قول الله عز وجل ﴿تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣].

لأن العمل هذا ليس ثمنًا للجنة وإنما هو سبب للجنة والعمل والجزاء من فضل الله ورحمته، فلولا فضل الله ورحمته ما كان الإيمان وما كانت الهداية وما كان العمل وما كانت الجنة.

ولقد تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ في دخول الجنة بالإيمان والعمل الصالح على ما بينا.

قال رسول الله ﷺ: «من آمن بالله وبرسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقا على الله أن يدخله الجنة جاهد في سبيل الله أم مات في أرضه التي ولد فيها قالوا: أفلا نبشر الناس؟

قال: «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة فوقه عرش الرحمن منه تفجر أنهار الجنة». [رواه البخاري]

وقال رسول الله ﷺ: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من عمل». [متفق عليه]

وقال رسول الله ﷺ: «إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من الشرق أو الغرب لتفاضل ما بينهم. قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال: بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين». [البخاري ح٣٠١٦]

أمة محمد ﷺ أكثر أهل الجنة

ومن فضل الله ورحمته أن وفق الله هذه الأمة أمة محمد ﷺ فجعلها أكثر أهل الجنة كما جعله ﷺ أكثر الأنبياء تابعًا يوم القيامة والأحاديث في ذلك كثيرة منها:

قول النبي ﷺ عرضت عليَّ الأمم فرأيت النبي ومعه الرهيط، ورأيت النبي ومعه الرجل والرجلان، ورأيت النبي وليس معه أحد، إذ رفع لي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي، فقيل لي وهذا موسى وقومه، ولكن انظر إلى الأفق فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لي: انظر إلى الأفق الآخر فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك، ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب».

[متفق عليه واللفظ لمسلم]

وقول النبي ﷺ: «أنا أكثر الأنبياء تبعًا يوم القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة». [رواه مسلم]

وقوله ﷺ: «أنا أول شفيع في الجنة لم يُصدق نبيٌ من الأنبياء ما صُدقت، وإن من الأنبياء نبيا ما يصدقه من أمته إلا رجل واحد». [رواه مسلم]

ويقول الله عز وجل لجبريل: اذهب إلى محمد فقل له: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك».

[رواه مسلم]

وقول النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة». [متفق عليه]

وقوله ﷺ: «أهل الجنة عشرون ومائة صف، ثمانون منها من هذه الأمة، وأربعون من سائر الأمم». [رواه الترمذي وابن ماجه وسنده صحيح]

أقسام ودرجات للناس في الجنة

الجنة درجات يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدري في أفق السماء وأهل الجنة يتفاوتون في الدرجات على حسب ما عندهم من الإيمان والعمل الصالح، ويتفاوتون أيضا في الدخول إلى الجنة بغير حساب، وقد أخبرنا النبي ﷺ أنه يدخل الجنة ـ من أمته سبعون ألفا بغير حساب ولا عذاب، وأكثرهم من الجيل الأول كما قال المولى تبارك وتعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (١٢) ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ (١٣) وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾

[الواقعة: ١٠-١٤]

وهم الذين وصفهم ربهم بقوله: «ومنهم سابق بالخيرات».

ويدخل هؤلاء الجنة متماسكون، آخذ بعضهم بعضًا لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر، كما في رواية مسلم عن سهل بن سعد ويأتي بعد هؤلاء أصحاب اليمين المقتصدون، لم يسبقوا غيرهم ولكنهم يلحقونهم في الأجر والخير وهم كثيرون «ثلة من الأولين وثلة من الآخرين» وهؤلاء هم الذين تعرض عليهم الأعمال في الموقف ويحاسبون حسابًا يسيرًا، فيغفر الله لهم الذنوب ويبارك لهم في ثواب أعمالهم.

منهم من يقول الله عز وجل لملائكته: اعرضوا عليه صغار ذنوبه، فيعرضونها عليه وهو مقر بها مشفق من كبارها، فيقول الله عز وجل لملائكته: اعطوه مكان كل سيئة حسنة، فيقول العبد: ما لي لا أرى ذنوبًا قد ذكرت ها هنا، وذلك من فرحه بفضل الله، ومنهم من يستره ربه عن الخلق، ثم يعرض عليه ذنوبه حتى إذا كاد يذوب حياءً من ربه قال الله عز وجل: إني قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، فيأخذ صحيفة حسناته بيضاء.

ومنهم من يقف عند الميزان فتنشر له سجلات الذنوب حتى إذا أيقن أنه هلك، جاءت بطاقة فيها لا إله إلا الله فطاشت سجلات الذنوب.

ومنهم من يُخدش على الصراط ثم ينجو بفضل الله ورحمته ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

ثم يكون بعد هؤلاء قوم مؤمنون أوبقتهم أعمالهم فدخلوا نار جهنم يهذبون فيها وينقون، ثم يأمر الله تعالى بإخراجهم من النار فيقول: أخرجوا من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة.

فإذا دخل أهل الجنة الجنة زال عنهم كل بؤس وشقاء تعرضوا له في الدنيا أو في القبر أو في الوقف، حتى إنه ليؤتى بأشد الناس بؤسًا في الدنيا فيصبح في الجنة صبغة ويغمس فيها غمسة فيقال له: هل رأيت بؤسًا قط؟ هل مرَّ بك شدة قط؟ فيقول: لا والله يا رب.

وينادي الله على أهل الجنة: يا أهل الجنة هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من العالمين.

فيقول: فإني أعطيكم أفضل من ذلك: «أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبدًا».

ويؤتى بالموت على صورة كبش فيذبح بين الجنة والنار ويقال: يا أهل الجنة خلود بلا موت.

ويتجلى لهم ربهم تبارك وتعالى ويكشف الحجاب ينظرون إلى وجه ذي الجلال والإكرام.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾

[القيامة: ٢٢-٢٣]

فاللهم يا ذا الجلال والإكرام أسألك بوجهك الكريم أن تدخلنا الجنة بغير سابقة عذاب فنعوذ بوجهك أن نكون من أصحاب النار... اللهم آمين.

دور المؤسسات الدعوية في

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله،

أما بعد:

فقد وردت إلينا دعوة كريمة من لجنة الشئون الدينية والاجتماعية والأوقاف بمجلس الشعب لحضور عدة جلسات لمناقشة موضوع «توحيد الخطاب الديني ودور المؤسسات الدينية في صد الموجات المضادة للإسلام والمسلمين» بحضور الأستاذ الدكتور محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف.

وكان من الواجب علينا تلبية هذه الدعوة وتمثيل الجمعية في مثل هذه اللقاءات،وتوجهت إلى المجلس في الموعد المحدد، وطلبت الدخول وحضرت الحوار وكانت المناقشات الساخنة تدور حول قضايا عامة مثل البنوك الربوية وفتوى شيخ الأزهر بمشروعية التعامل معها، وكانت الأصوات تعلو، والمقاطعة للمتحدث تتكرر، ويتدخل في النقاش بعض الحاضرين، والكل يسعى للحديث أو طلب الكلمة على المنصة، فقلت في نفسي: لن أتكلم إلا إذا دعيت للحديث.

فجاء أحد المسئولين عن اللجنة ليتعرف على اسمي، فكتبت له اسمي وصفتي في أوراق يحملها فلما عرفني رحبَّ بي وانصرف، وبعد دقائق جاء مسئول آخر وقال لي: هل تريد أن تقول كلمة يا دكتور جمال؟ فقلت له لا مانع عندي، فذهب ودون اسمي في الكشف المدون به أسماء الذين يطلبون الحديث وإلقاء الكلمات.

وتكلم السيد الوزير عن جهود الوزارة في الدعوة إلى الله، وضم المساجد الأهلية إلى وزارة الأوقاف وتعيين الأئمة والخطباء في المساجد عن طريق مسابقات لانتقاء أفضل المتقدمين، بعد أن كان التعيين يتم عن طريق وزارة القوى العاملة، وعمل الدورات التدريبية لرفع مستوى الأئمة، والاستعانة بأصحاب الكفاءة من خارج الوزارة الحاصلين على تراخيص ممارسة الدعوة. وكان الحديث لا يخلو من مقاطعات ومعارضات من بعض الحضور، وتقدم بعض الأعضاء بطلبات إحاطة بخصوص ضم المساجد، وبناء المساجد الجديدة.

وهنا تدخلت السيدة وكيلة المجلس، معلنة أن ما يجري في الجلسة بعيد كل البعد عن الموضوع الذي دعينا من أجل مناقشته، وقاطعها أحد الأعضاء الذين يريدون التعليق وارتفعت الأصوات، وتدخل الأعضاء والضيوف لتهدئة الأمور، وتكلم الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس اللجنة قائلاً: لقد وجهنا الدعوة لكل المهتمين بالدعوة إلى الله كالجمعية الشرعية وجماعة أنصار السنة والعشيرة المحمدية. وكثرت الشكوى من التفريعات الجانبية وعدم التركيز على موضوع المناقشة، وقال الدكتور رئيس اللجنة إن أمامي أربعة عشر اسمًا يريدون الحديث، والوقت المحدد كاد ينتهي، واقترح أن تؤجل المناقشات والكلمات لموعد قادم، وكان قد تكلم اثنان أو ثلاثة قبل التأجيل عن ضرورة توحيد الجهود وتوحيد الكلمة حتى يظهر المسلمون بالمظهر اللائق أمام غيرهم، وانتهت الجلسة على وعد باللقاء، وقمت من مكاني وصافحت رئيس اللجنة ووزير الأوقاف، واعتذر لي الدكتور أحمد عمر هاشم بأن طالبي الكلمات كثيرون، وأنني سأتكلم في الجلسة القادمة إن شاء الله وألقيت السلام وانصرفت. وكنت أردد في نفسي: سبحان الله، المفترض أن الحضور في هذه اللجنة هم أهل الحل والعقد في هذا البلد، ومع هذا فالأداء في غاية الضعف، وكثير من السادة الأعضاء والسادة الضيوف يحتاجون إلى معرفة آداب الحوار، وآداب الاختلاف، بل وأدب الإنصات والاستماع حتى لا يتحول اللقاء إلى نوع من حوار العشوائية، حوار يتكلم فيه الجميع، ولا يسمع أحد ما يقوله الآخرون، حوار الباعث على الكلام فيه إثبات الذات وحب الظهور ولكن ماذا نملك وهذا ما أفرزته الانتخابات وهذا هو الحوار الديمقراطي المنشود.

ولا أدري لماذا لم يُفَعَّل السادة النواب شعار

توحيد الخطاب الديني

إعداد/ د. جمال المراكبي
الرئيس العام

الإسلام هو الحل إلى واقع عملي في هذه الجلسة فإن الإسلام يعلمنا دون شك أدب الحوار ويعلمنا دون شك أدب الدعوة إلى الله. قال الله تعالى ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل:١٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران:١٥٩].

سبحان الله.. أين نحن من هذا الهدي القويم الرحمة والرفق واللين والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، أين نحن من المشاورة وهي من سبيل المؤمنين ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٣٦) وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ (٣٧) وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ (٣٩) وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [الشورى: ٣٦-٤٠].

وإذا كانت السيدة وكيلة المجلس قد تكلمت عن صورة المسلمين في الغرب، ووجوب تحسين هذه الصورة وعرض الصور الصحيحة للإسلام على الآخر، فإنني أقول إن هذه الصورة الصحيحة لديننا الحنيف يجب علينا أولا أن نعرفها نحن، يجب علينا أن نعرف ديننا، وأن نتحلى بآداب وأخلاق هذا الدين حتى نستطيع توصيل هذه الصورة لغير المسلمين ولا شك أن فاقد الشيء لا يعطيه لغيره وهذا مدخل مُهم لكلمتي التي أعرضها على كل مسلم يهتم بأمر دينه ويهتم لأمر المسلمين وينصح لإخوانه في الدين لأئمتهم وعامتهم عملا بقول نبينا ﷺ، «الدين النصيحة. قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم». [رواه مسلم]

ولقول جرير بن عبد الله البجلي يوم مات المغيرة بن شعبة والي الكوفة سنة ٥٠هـ فقام جرير فحمد الله وأثنى عليه وقال: عليكم باتقاء الله وحده لا شريك له، والوقار والسكينة حتى يأتيكم أمير، فإنما يأتيكم الآن، ثم قال: استعفوا لأميركم فإنه كان يحب العفو، ثم قال: أما بعد فإني أتيت النبي ﷺ قلت أبايعك على الإسلام. فشرط علي: والنصح لكل مسلم. ورب هذا المسجد إني لناصح لكم. ثم استغفر الله ونزل. [رواه البخاري في آخر كتاب الإيمان رقم ٥٨]

وقول معقل بن يسار - وقد عاده عبيد الله بن زياد في مرضه الذي مات فيه -: إني محدثك حديثا سمعته من رسول الله ﷺ، سمعت النبي ﷺ يقول: «ما من عبد يسترعيه الله رعية، فلم يُحُطْها بنُصحه لم يجد رائحة الجنة». [رواه البخاري في كتاب الأحكام ح٧١٥٠]

والقضية التي اجتمعت اللجنة الدينية بمجلس الشعب لمناقشتها قضية خطيرة، إنها قضية أمة وصفها رب العزة سبحانه بقوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران:١١٠]

ولكن الأمة اليوم ليست هي الأمة وقت نزول هذه الآية، الأمة الآن ليست في طور عزها وريادتها، وإنما هي طوائف وشيع بأسها بينها شديد، تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى، والله تعالى قد حذر الأمة من هذا الواقع المرير فقال: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣) وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٣- ١٠٥].

ولكن قدر الله غالب فأصاب الأمة داء الأمم قبلها ووقعت في التفرق والاختلاف فكيف يستقيم الحديث عن توحيد الخطاب الديني، ولكل فرقة من فرق الأمة منهاجها ومنطلقها الذي تنطلق منه في خطابها ودعوتها، ولهذا فليكن منطلقنا في هذا الحوار حتى لا يأخذنا التشاؤم إلى درجة التسليم بالضعف والعجز، ونبينا ﷺ كان ينهى عن الطيرة - التشاؤم - وكان يحب الفأل، والفأل قد يأتي بكلمة طيبة.

فأقول: لاشك أن هناك اختلافات كثيرة بعضها سائغ وبعضها مما يثير التنازع والشقاق، ولا شك أننا نرتكز في دعوتنا على كتاب ربنا عز وجل، وسنة نبينا ﷺ، وهذا لا يخالف فيه أحد منا بفضل الله عز

وجل، فلنبدأ إذن دعوتنا من هذا المنطلق الذي لا نختلف فيه ولا نختلف عليه، لابد أن نُفَعِّلَ هذا الذي نتفق عليه، ننطلق منه في خطابنا الدعوي، ونحتكم إليه عند اختلافنا، ونعلم الخلاف السائغ فيعذر بعضنا فيه بعضًا ونعلم الخلاف الذي لا يجوز فنحذر من الوقوع فيه، لأنه يؤدي إلى النزاع وإلى الشقاق.

إننا جميعا ننتسب إلى أهل السنة والجماعة، هذا المذهب الوسط في فرق الأمة فكما أن هذه الأمة هي الأمة الوسط ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]. فأهل السنة والجماعة هم الوسط بين فرق الأمة. يجب علينا نشر هذا المنهج الوسط بين دعاتنا وبين شبابنا، هناك مسائل كثيرة يطرحها شبابنا أو ربما تأتيهم من الخارج تدور حول قضايا فكرية تثير الخلاف والاختلاف مثل قضايا وجوب تحكيم الشريعة الإسلامية، وقضايا التعامل مع ولاة الأمور والسمع والطاعة لهم في المعروف أو نبذ السمع والطاعة وتزيين منهج الخوارج في التكفير والخروج على ولاة الأمور، وهناك قضايا أخرى يطرحها دعاة المذاهب المخالفة لمذهب أهل السنة والجماعة مثل قضايا الإمامة، وعدالة الصحابة واعتبار السنة أو الطعن في السنة وهناك نوع آخر يطرحه من يعتنقون العلمانية وضرورة فصل الدين عن الدولة، وهؤلاء الذين يمتطون الدين لتحقيق طموحاتهم السياسية، ولا شك أن هذه الأفكار وهذه القضايا ستجد سوقًا رائجة بين شبابنا الذين يفقدون الحصانة، والحصانة التي أعنيها ليست هي الحصانة التي يمنحها الدستور لأعضاء مجلس الشعب، ولكنها الحصانة التي يمنحها العلم بالمنهاج الصحيح لأهله، إن هذه القضايا والأفكار الخطيرة التي تروج بين شبابنا، ويتكلم فيها من يعلم ومن لا يعلم، يتحرج كثير من أهل العلم من الخوض فيها ربما يدافعهم إلى ذلك مصلحة استقرار الدعوة، والخوف من مخاطبة ولاة الأمر في قضايا حساسة، فيقولون ندرأ المفاسد ونجلب المصالح، ولا شك أن درء المفاسد وجلب المصالح من القواعد المهمة عند أهل السنة، ولكن ترك الخوض في هذه القضايا بضوابط أهل السنة والجماعة يؤدي إلى وقوع الشباب في شراك المروجين لهذه الشبهات، والواجب علينا ألا نترك هذه المسائل المهمة لمن لا يحسنون الحديث عنها، إنني أطالب شيخ الأزهر ووزير الوقاف بإصدار كتاب سنوي أو شهري تناقش فيه هذه القضايا من خلال منهج أهل السنة والجماعة، وأذكر شيخ الجامع الأزهر بكتاب «هذا بيان للناس» الذي عالج بجرأة كثير من هذه القضايا، وكذلك أذكر وزير الأوقاف بسلسلة «كتاب الإمام» وغيره من الكتب التي صدرت عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية سنة ١٩٨٦م مثل كتاب «المنبر»، هذا بعض ما يجب علينا للإصلاح الداخلي، إضافة إلى منح المزيد من تراخيص الوزارة للخطباء والدعاة المعروفين بالاعتدال والوسطية ويمارسون الدعوة ممارسة فعلية ليكون ذلك بإشراف من الوزارة بدلاً من العمل خارج هذا الإطار.

أما عن الدعوة إلى الله في الخارج، وصد الموجات المعادية للإسلام والمسلمين فهذا يحتاج إلى جهد كبير لا يمكن أن تتحمله وزارة الأوقاف أو الأزهر أو الجمعيات الأهلية المعنية بالدعوة إلى الله، بل لابد من دور ظاهر للدولة في هذا المجال، وليبدأ هذا الدور من اللجنة الدينية بمجلس الشعب بتقديم توصيات للحكومة وأجهزة الدولة المعنية.

وأقترح بعض هذه التوصيات

أولا: إنشاء معهد دعوي متخصص لتخريج دعاة متميزين في العلوم الشرعية والثقافية الإسلامية وكذلك الثقافة العامة واللغات، ولا يشارك في هذا المعهد إلا المتميزون من خريجي الجامعة، ومن يشاركون في الدراسات العليا، ويشارك مع هؤلاء بعض الدعاة المتميزين على الساحة الدعوية ويكون هذا المعهد على غرار معاهد إعداد القادة، أو ما يعرف بفرقة أركان الحرب في القوات المسلحة، ويتم توجيه هؤلاء بعد الدراسة للدعوة إلى الله في البلاد المختلفة لنشر صحيح الدين، وذلك من خلال الملحق الثقافي في السفارات المصرية، وكذلك المراكز الإسلامية، ولابد من تعاون الدولة مع غيرها من الدول المسلمة المعنية بهذا الشأن.

ثانيا: إنشاء مجلس قومي للدعوة الإسلامية، تكون له ميزانية خاصة، وظيفته الدعوة في الخارج وتكون له سلطة التعاون والتنسيق مع وزارة الخارجية لتوجيه الممثلين الدعويين من خلال السفارات المصرية، وذلك على غرار المجالس القومية المتخصصة.

ثالثا: إنشاء قناة فضائية تبث باللغة العربية وباللغات الأجنبية لبيان صحيح الدين وعدم الاكتفاء بالجهود الفردية في هذا المجال.

رابعا: تفعيل المواقع الدعوة على شبكة الانترنت وذلك بالتعاون مع كل المعنيين بهذا الشأن.

وأخيرًا فإن الهداية بيد الله تعالى يهدي من يشاء ويضل من يشاء، وإنما ندعو للأخذ بالأسباب وبالله التوفيق.

﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود:٨٨]. والله من وراء القصد.

أمة الخيرية في زمن الغثائية

إعداد
د. جمال المراكبي
الرئيس العام

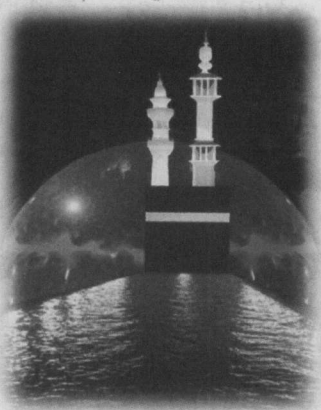

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فعجيب شأن هذه الأمة، أمة التوحيد، حاملة لواء الدعوة إلى الله عز وجل، صاحبة هدي النبي محمد ﷺ والتي يعلو فيها صوت الأذان بالتكبير والتهليل في كل يوم وليلة وفي مشارق الأرض ومغاربها الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله في كل ساعة من ليل أو نهار.

ما الذي أصاب هذه الأمة فأفقدها عزها وسيادتها وريادتها للعالم أجمع ؟

هل هذه الأمة هي التي قال فيها ربنا عز وجل ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

هل صحيح ما يردده البعض اليوم أننا كنا خير أمة أخرجت للناس، ولم يعد فينا ذرة من خير ؟

هل هذه الأمة هي الأمة التي طمع رسول الله ﷺ أن تكون نصف أهل الجنة فأعطاه الله عز وجل أكثر مما رجا فجعلها ثلثي أهل الجنة كما ورد في الحديث: «أهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الأمة». [رواه احمد والترمذي]

هل هذه هي الأمة التي بكى رسول الله ﷺ شفقة عليها فقال له ربه عز وجل: « إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك » [رواه مسلم]، وذلك تصديقاً لقول الله تعالى: «ولسوف يعطيك ربك فترضى».

لا شك أن حالة الضعف والوهْن التي تعيشها الأمة منذ فترة طويلة، ونراها الآن مجسدة في تسلط الحثالة من أحفاد القردة والخنازير على مصائرها، تضرب وتقصف وتحاصر وتجوِّع الشعب الفلسطيني الأسير في غزة، من أجل جندي أسرته المقاومة في فلسطين، ثم نراها تضرب وتدمر لبنان لذات السبب ولا نجد في هذه الأمة حراكاً !

ألم يبق في هذه الأمة ومضة من أمل وجذوة من خير لتغيير هذا الوضع، والخروج من هذا المأزق ؟

لماذا نجد أصحاب البدعة والضلالة من هذه الأمة من حملة لواء التكفير من الخوارج والروافض يرفعون راية الجهاد في سبيل الله، والأمة في سبات عميق ؟

هل صار حزب الله ممثل الروافض في لبنان هو رمز المقاومة والدفاع عن هذه الأمة، وهل صارت القاعدة أمل الأمة في التصدي لهذا الواقع المرير ؟ هيهات هيهات، فهل يأتي الشر بالخير، وهل يجلب الخوارج والروافض خيراً لهذه الأمة وهم في الأصل من أعظم أسباب نكبتها على مدى تاريخها كله ؟!

ماذا يفعل الضعفاء والأبرياء من الأطفال والنساء تحت وطأة القصف والنيران المعتدية صباح مساء، وماذا يفعل أصحاب الضمائر الحية من هذه الأمة أمام هذه الحالة من الضعف والتردي سوى أن يقولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل... هو سبحانه حسبنا وكافينا وعاصمنا من كل سوء، وعليه وحده نعتمد، وإليه سبحانه نلجأ، بأكف الضراعة نبتهل إليه أن يرفع مقته وغضبه عنا، وأن لا يأخذنا بما فعل السفهاء منا، ولنا في ذلك أسوة وقدوة في خليل الرحمن إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام وفي نبينا محمد ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم حين خَوَّفَهُم الناس فقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل.

عن ابن عباس رضي الله عنهم قال: «حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل» [رواه البخاري]، فنجى الله إبراهيم من النار، قال تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ (٦٩) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ [الانبياء: ٦٩-٧٠].

ونصر الله نبيه والذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح والجراح « ﴿فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللّهِ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران:١٧٤].

ما أشبه حال المستضعفين من أمة محمد ﷺ اليوم بحال الجارية التي أنطق الله الصبي الرضيع بشأنها فقد مروا بها وهم يضربونها ويقولون لها ظلماً وعدواناً زنيت، سرقت، وهي تقول حسبي الله ونعم الوكيل، فقالت أم الصبي: اللهم لا تجعل ابني مثلها، فترك الرضاع ونظر إليها وقال: اللهم اجعلني مثلها». [رواه مسلم]

فلم تملك هذه الجارية المظلومة المستضعفة أن تدفع عن نفسها إلا بهذه الكلمة التي تتضمن معاني اللجوء إلى الله عز وجل والرضى بحكمه وقضائه والثقة بعدله سبحانه ونصره لأوليائه ولو بعد حين.

ولا شك أن المولى سبحانه يبتلي أولياءه ليرفع من شأنهم ومنزلتهم عنده سبحانه، ويميز الخبيث من الطيب، لأجل هذا يؤيد أولياءه ويثبت قلوبهم بقوله: ﴿وَلاَ تَهِنُواْ وَلاَ تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٣٩) إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠) وَلِيُمَحِّصَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ (١٤١) أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾

[آل عمران: ١٣٩- ١٤٢]

إن هذا البلاء يعم الدنيا بأسرها إلى قيام الساعة ونبينا ﷺ يخبرنا أن من وعى ذلك لا يتلذذ بنعمة في الدنيا لأن الآخرة تشغل باله وهمه فيقول: « كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الْقَرْنِ- إسرافيل- قَدْ الْتَقَمَ الْقَرْنَ وَاسْتَمَعَ الإِذْنَ مَتَى يُؤْمَرُ بِالنَّفْخِ فَيَنْفُخُ ». فكأن ذلك ثقل على أصحاب النبي ﷺ فقال لهم قولوا: «حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا».

[رواه الترمذي وحسنه]

فالنبي ﷺ يعلم أصحابه هذه الكلمة التي هي من أسس التوحيد

مما لا شك فيه أن حالة الضعف والوهن التي تعيشها الأمة منذ فترة طويلة هي بسبب بعدها عن كتاب ربها وسنة نبيها ﷺ.

إن الخيرية لا تنتزع من الأمة بحالٍ من الأحوال فهي رغم ضعفها وتخاذلها لا يزال الخير فيها بحمد الله.

والاعتماد على الله عز وجل والتوكل عليه كما علمه ربه سبحانه وتعالى فقال عز وجل: ﴿وَإِن يُرِيدُواْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللّهُ هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (٦٢) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٣) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٦٤) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفاً مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنفال: ٦٢ - ٦٥].

فأين نحن اليوم من هذا التأييد ومن هذا الحسب والكفاية، وهل يمن الله تعالى علينا بمثل هذا التآلف والتناصر والتعاضد مرة أخرى فنصبح بنعمة الله تعالى علينا إخواناً ويتحقق فينا قول نبينا ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يسلمه».

هل يتحقق فينا قول ربنا عز وجل: ﴿وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

لا شك أن ذلك ممكن إذا استجبنا لله وللرسول ﷺ واعتصمنا بحبل الله جميعاً، ولم نسمح للتفرق والشقاق أن يعصف بنا، فإن لم نفعل فحسبي قول ربي: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩]

وقوله عز وجل: ﴿أَلَيْسَ اللّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٦) وَمَن يَهْدِ اللّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ أَلَيْسَ اللّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انتِقَامٍ (٣٧) وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٦ - ٣٨]

ولنعلم يقيناً أن العاجز المفرط الذي لا يحسن التوكل على الله لا يقبل منه قول اللسان حسبي الله ونعم الوكيل لأن هذا القول يتضمن معتقداً راسخاً في القلب يدعو ويدفع إلى العمل والحرص على ما ينفع من أمري الدنيا والآخرة، وهذا من قوة الإيمان واليقين، قال رسول الله ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز فإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان». [رواه مسلم]

أما المفرط المتكاسل فتقول له ما قاله النبي ﷺ للرجل الذي قضى عليه في قضية فقال حسبنا الله ونعم الوكيل فقال ﷺ: «إن الله يلوم على العجز، ولكن عليك بالكيس فإذا غلبك أمر فقل حسبي الله ونعم الوكيل». [رواه أبو داود وأحمد]

والسؤال الذي يلح علينا، ما الذي أصاب الأمة وهل فقدت الأمة خيريتها، وأين عز الأمة وظهورها ؟ والجواب: أن الأمة قد أصابها داء الأمم قبلها من التنافس في الدنيا، والتحاسد والتباغض، فصارت غثاءً مثل الغثاء الذي يحمله السيل ويلقيه فلا خير فيه ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ﴾ [الرعد: ١٧].

وقد حدث النبي ﷺ أصحابه عن هذا المصير فقال في حديث ثوبان: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها»، فقال قائل: أومن قلة نحن يا رسول الله ؟ قال: «بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوَهْنَ»، فقالوا: وما الوَهْنُ يا رسول الله؟ قال: «حب الدنيا وكراهية الموت».

إذن فقد فقدت الأمة عزها وريادتها وقيادتها حين أصابها داء الأمم قبلها، ولذلك أسباب سوف نعرض لها بشيء من التفصيل إن شاء الله.

أما الخيرية فهي لا تنتزع من الأمة بحال من الأحوال، فهي رغم ضعفها وتخاذلها لا تزال فيها خير، ولكنه عزيز ونادر «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك». [متفق عليه]

وهؤلاء هم الغرباء في الأمة الذين يصلحون إذا فسد الناس، ويُصلحون ما أفسده الناس من السنة في زمن الغربة، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء الذين يُصلحون ما أفسد الناس من بعدي من سنتي».

[قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وأصله عند مسلم]

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى

داء الفرقة

إعداد
د. جمال المراكبي
الرئيس العام
WWW.ELMRAKBY.COM

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فقد صدر أخيراً قرار مجلس الأمن ذي الرقم ١٧٠١ بوقف العمليات العسكرية في لبنان، مع الحرص الشديد على حفظ ماء الوجه (للمدللة المعتدية إسرائيل)، وأعلنت الحكومة اللبنانية قبول القرار بالإجماع، وهل تملك حكومة لبنان سوى القبول بما يُعرض عليها ؟ وهل تملك أمة الغثائية سوى القبول بما يفرض عليها ؟ فما الذي أصاب الأمة التي هي خير أمة أخرجت للناس فأفقدها عزها وسيادتها وريادتها، وهوى بها في حضيض الذل والتبعية؟

إنه حال الغثائية «يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ الأُمَمُ كَمَا تَدَاعَى الأُكَلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا قَالوا أَوَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ: بل أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُم غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ وَلَيَنْزِعن الله الْمَهَابَةَ مِنْكم مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ، وَلَيلقين فِي قُلُوبِكُمْ الْوَهْنَ قَالوا: وَمَا الْوَهْنُ يا رسول الله ؟ قَالَ حُبُّ الدنيا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ».

[ابو داود ٣٧٤٥، حم ٢١٣٦٣]

إنه حال التبعية الذي حدثنا عنه نبينا ﷺ حين قال: «لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لدخلتموه قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلْيَهُودُ وَالنَّصَارَى قَالَ فَمَنْ» البخاري ومسلم وأحمد .

وفي رواية: «لَيَحْمِلَنَّ شِرَارُ هَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى سَنَنِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلِ الْكِتَابِ حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ». [حم ١٧٠٧٠ وإسناده حسن]

إنه حال التفرق والاختلاف والتشرذم الذي حذرنا منه رب العالمين، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ(٣٠) مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَلاَ تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم ٣٠: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣) وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾

[آل عمران ١٠٣: ١٠٥]

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام١٥٩].

وقال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى١٣].

ولكن الأمة أبت إلا التفرق والاختلاف، وانقسمت فرقاً وشيعاً وأحزاباً كل حزب بما لديهم فرحون، وبدأ هذا الانقسام بخروج الخارجين على الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه، وقتله شهيداً مظلوماً، ثم دب القتال والنزاع بين الأمة في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه حتى قتله الخوارج غيلةً، ثم كانت خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه بعد تنازل الحسين بن علي له عن الخلافة ثم كانت الثورات والفتن التي قتل فيها من قتل من المسلمين من خيار التابعين وتابعيهم، ثم خرج بنو العباس على بني أمية وأزالوا ملكهم وأقاموا على أنقاضه ملك بني العباس، واستقل بعض بني أمية بالأندلس فانقسمت الأمة إلى دولتين وخلافتين، ثم ضعفت شوكة الخلافة وتسلط الولاة والأمراء واستقل أكثرهم بما تحت يده من الملك فلم يعد للخليفة إلا الاسم، حتى زالت دولة الخلافة، وتتابعت على الأمة المسلمة دولٌ مستعمرة بدأت بالصليبيين والمغول وانتهت بالاستعمار الأوروبي لبلاد المسلمين، فلما سعى المسلمون للاستقلال عن الاستعمار صاروا دولاً صغيرة متصارعة لا يستطيعون تحقيق شيء من التكامل أو الترابط في عالم لا يعترف إلا بالقوة، وصدق رسول الله ﷺ حين قال: «إنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً» الترمذي وأحمد، وقال: «وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة».

وكان من أعظم آثار هذا التفرق والاختلاف أن فقدت الأمة عصمتها التي حازتها باعتصامها بالله عز وجل واعتصامها بحبل الله ودينه وشرعه، ففقدت الأمة وحدة الصف وصارت تبحث عن التقدم والرقي في مناهج غيرها من الأمم، فلم تجن من وراء ذلك إلا الضعف والتبعية قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقاً مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (١٠٠) وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٠١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢) وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾

[آل عمران ١٠٠: ١٠٣]

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً (١٤٥) إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَاعْتَصَمُواْ بِاللّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلّهِ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْراً عَظِيماً﴾

[النساء ١٤٥- ١٤٦]

وقال تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً (١٧٤) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ بِاللّهِ وَاعْتَصَمُواْ بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً﴾ [النساء ١٧٤- ١٧٥].

وقال تعالى: ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨].

لقد صار من أعظم أسباب ضعف الأمة ونكبتها أنها تركت الجهاد في سبيل الله، حتى أصبح الحديث عن فقه الجهاد وأحكام الجهاد في سبيل الله أمراً محفوفاً بالمخاطر، وأضحى الحديث عن الجهاد مجرد روايات تروى وحكايات

ترك الجهاد في سبيل الله عز وجل:

لقد صار من أعظم أسباب ضعف الأمة ونكبتها أنها تركت الجهاد في سبيل الله، حتى أصبح الحديث عن فقه الجهاد وأحكام الجهاد في سبيل الله أمراً محفوفاً بالمخاطر، وأضحى الحديث عن الجهاد مجرد روايات تروى وحكايات، فلما رمانا المستشرقون بفرية انتشار الإسلام بالسيف قام مفكرونا للدفاع عن الإسلام والرد على هذه الفرية بشتى السبل فتبرأ المسلمون من الجهاد وزعموا أنه مجرد حرب دفاعية للدفاع عن أرض الإسلام وصد عدوان المعتدين عليها، فتبرأ المسلمون من فتوحات الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ونسوا أن الجهاد إنما شرع لإعلاء كلمة الله ودحر أئمة الكفر الذين يصدون عن سبيل الله، ويكفي لدحر هذه الترهات أن تقرأ قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ(٣٨) إِلاَّ تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئاً وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٩) إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٠) انْفِرُواْ خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة ٣٨: ٤١].

وقوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاَكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨].

لقد جمع النبي ﷺ هذه الأسباب (من التفرق والضعف والركون إلى الدنيا وترك الجهاد في سبيل الله) وبين أنها جميعاً من أسباب الذل الذي أصاب الأمة فقال:«إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد في سبيل الله، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم». [أبو داود ٣٠٠٣ - احمد ٤٥٩٣]

فهل ينزع الله عنا هذا الذل، ويعيد إلينا العز؟ وهل نراجع ديننا فنرجع إلى عقيدتنا وشريعتنا وأخلاقنا ومعاملاتنا المنضبطة بشرع الله عز وجل؟

إن العز يحتاج إلى رجال من أمثال عمر الذي دعا له رسول الله ﷺ بالهداية فكانت هدايته عزاً للإسلام والمسلمين، قال ﷺ: «اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب» وكان أحبهما إلى الله عمر. [رواه الترمذي]

- قال ابن مسعود: ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر. [رواه البخاري]

وكتب إليه أمراء الفتوح يقولون: إن الموت قد جاش إلينا، وطلبوا منه المدد والعون، فكتب إليهم: إنه قد جاء في كتابكم تستمدونني، وإني أدلكم على من هو أعز نصراً وأحضر جنداً، الله عز وجل فاستنصروه فإن محمداً ﷺ قد نُصر يوم بدر في أقل من عدتكم، فإذا جاءكم كتابي هذا فقاتلوهم ولا تراجعوني، فقاتلوهم فهزموهم رضوان الله عليهم في اليرموك . [رواه احمد ح ٣٣٦]

فهل يرزقنا الله عز وجل بمن يحيي موات هذه الأمة أم يستبدل غيرنا ولا يكونون أمثالنا، قال تعالى: ﴿هَاأَنتُمْ هَؤُلاَءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاء وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨]

وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤]

أم سنظل في أوهام النصر دون أن نقوم بنصرة الله عز وجل؟

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤]

وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ (٣) إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف ٢: ٤]

والحمد لله رب العالمين

كيف نستقبل

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، وبعد:

فإن لربنا في أيام دهرنا نفحات؛ تأتينا نفحة بعد نفحة، تذكرنا إذا نسينا، وتنبهنا إذا غفلنا، تدعونا للخير وتحثنا عليه وترغبنا فيه، وتحول بيننا وبين سبيل الشر والمعاصي وترغبنا في الإقلاع عنه، وإننا نستقبل نفحة من أعظم نفحات الخير، نستقبل شهر رمضان ذلك الشهر الكريم المبارك الذي أنزل الله تبارك وتعالى فيه القرآن، قال تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

هكذا بين الله تبارك وتعالى فضله وبين أن من أعظم فضائله إنزال القرآن فيه وجعله آيات بينات تتضمن سبيل الهداية والفرقان بين الحق والباطل بين الطاعة والمعصية، بين الإيمان والكفر، ثم أمر عباده المؤمنين وقد أوجب عليهم الصوم كما أوجبه على الذين من قبلهم أمرهم بصيام هذا الشهر إذا شهدوه، إذا رأوا هلاله: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾، ورسول الله ﷺ يذكرنا بفضائله، فيذكر لنا الكثير والكثير: «إذا جاء رمضان فتحت أبواب السماء»، إشارة إلى استجابة دعاء الداعين، كأن هذا الشهر هو شهر إجابة الدعاء لمن حقق شرط الإجابة، وشرط الإجابة كما قال ربنا: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾، قالها بعد أن دعا عباده لسؤاله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾، فإنها دعوة للاستجابة لله ولرسوله ولدينه ولشرعه ولمنهاجه، نخلع رداء الغفلة ونقبل على الله فقد لا تسنح لنا مثل هذه الفرصة نجأر إلى الله تبارك وتعالى بالدعاء والابتهال، سائلين المولى تبارك وتعالى أن يكشف ما بنا، وأن يردنا إلى الحق.

يقول النبي ﷺ: «إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة» قبلها قال: فتحت أبواب السماء وبعدها قال: فتحت أبواب الجنة؛ إشارة إلى كثرة الطاعة، بل أقول: إن الجنة تتهيأ وتستعد، وكذلك النار تتهيأ وتستعد ولكنه استعداد عجيب؛ فتحت أبواب الجنة، وغُلقت أبواب النار، وصفدت الشياطين ومردة الجان.

انظروا لهذا الفضل كيف تفتحت أبواب الجنة تنادي أهلها وساكنيها، كأني بالجنة تتشوق للطائعين والمؤمنين فتفتح أبوابها في كل عام مرة

الصوم سبيل من سبل مجاهدة النفس، وعلى الإنسان أن يحملها على ترك الشهوات وعدم تجاوز الحدود الشرعية، والصوم معين بإذن الله على ذلك.

رمضان

إعداد
د. جمال المراكبي
الرئيس العام

WWW.ELMRAKBY.COM

طيلة الشهر تدعو الصائمين المصلين المتصدقين المجاهدين في سبيل الله: «من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من أبواب الجنة يا عبد الله ذلك خير». الحديث.

وإذا كانت الجنة مفتحة أبوابها فإن النار في هذا الشهر من فضل الله تغلق الأبواب إشارة إلى أنها تزجر العصاة، فاتقوا ربكم، واغتنموا هذا الوقت الذي جعله الله موسمًا للتوبة والرجوع إليه سبحانه.

وإشارة أيضًا إلى أن الإنسان يستطيع أن يتغلب على أبواب النار إذا استطاع أن يتغلب على شهواته، والنبي ﷺ قالها لنا: «حُفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات» . فمن أراد الجنة فعليه أن يحمل نفسه على ما تكره لكي تتحول من نفس أمارة بالسوء إلى نفس مطمئنة تطمئن إلى دين الله وشرعه، وإلى عبادة الله، وهذا يحتاج إلى مجاهدة، والصوم سبيل من سبل هذه المجاهدة، وكذلك يحمل نفسه على ألا تتجاوز الحدود وتتخطى العقبات التي توردها المهالك، التي تسوق إلى النار فيحرص الإنسان في هذا الشهر على أن يكبح جماح النفس، وأن يكبح جماح الشهوة، فيمنع نفسه عن الطعام والشراب والجماع في نهار رمضان.

سبحان الله! يمنع نفسه عن طعامه وقد أحله الله تبارك وتعالى له، يمنع نفسه عن الشراب الحلال، يمنع نفسه عن الزوجة وقد أحلها الله له ليدرب نفسه إذا دعته إلى معصية كيف يمنعها وكيف يلزمها أن تمتنع، إذا كنت قد ألزمت نفسي أن تمتنع عما أحله الله وللنفس فيه حاجات وحاجات فكيف أعجز عن الامتناع عما حرم الله، وهو باب لإهلاك النفس وطغيانها وليس للنفس المستقيمة فيه حاجة.

إن الصوم مدرسة لتعليم التقوى، ولهذا قال ربنا: «لعلكم تتقون»، فإذا اتقينا كان أعظم ما نتقيه أن نتقي النار وأسباب العذاب، فكأني بالنار تدعو الناس إلى ذلك فتغلق أبوابها، وتصفد الشياطين ومردة الجان ولا يقولن قائل فما بالنا نرى المعصية، ولكن ليقل ما بالنار نرى في رمضان صحوة لا نراها في غيره؟ إنه سبب من أسباب إغلاق النار وتصفيد الشياطين .

ثم إن الله سبحانه وتعالى ييسر أسباب الخير ويغلق أبواب الشر والمعصية، ولهذا كان تمام ذلك كله أن ينادي مناد من عند الله: «يا باغي الخير أقبل»، هذه أبواب الخير تنادي، هذه أبواب الخير مفتحة، هذه سبل الخير ممهدة، هذه معالم الخير واضحة، «ويا باغي الشر أقصر» . اتق الله، لقد يسر الله لك فحال بينك وبين سبل المعصية، حال بينك وبين أن تغلبك نفسك، ويسر لك أن تدربها وأن تردها إلى الحق، وأن تحملها على الحق، فما لك لا تقصر وترجع وتعود وقد فتح الله لك أيها العاصي أبواب المغفرة: «من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه» . «من

سبل الخير في شهر رمضان ممهدة، وأسبابه ميسَّرة، فالجنان مفتحة، والنيران أبوابها مغلقة، والشياطين مصفدة، فليُقبل باغي الخير، وليُدبر باغي الشر.

قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه»، «من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه». «رمضان إلى رمضان كفارة لما بينهما». الحديث.

انظر إلى أسباب المغفرة كيف تعددت وكيف تنوعت، كأنها تدعو العبد أن يدخل على ربه ويعاهده ويغير من منهاجه ومن سلوكه المعوج طيلة السنة، فجعل الله هذا الشهر فرصة ربما لا تتكرر، ولهذا فمن ضيعها كيف يطمع في فرصة غيرها، والنبي ﷺ يصعد إلى المنبر فيقول: «آمين، بعد عن الله من أدرك رمضان ولم يغفر له». الحديث.

أرأيتم إلى دعوة دعا بها أمين السماء جبريل وأمن عليها أمين الأرض كيف يردها الله؟! إنها فرصة ما أحوجنا جميعًا إلى أن نغتنمها، إن الله سبحانه وتعالى جعل هذا الشهر موسمًا من مواسم الخير فهل تجهزت لهذا الموسم؟ نحن نرى أهل الضلال وقد تجهزوا بكل طاقاتهم في استقبال هذا الموسم، فقنوات التلفاز رصدت كل طاقاتها وحشدت حشودها لاستقبال رمضان بكم من اللهو والعبث والفوازير والمسلسلات، حتى تجار الدنيا قد تجهزوا لاستقبال هذا الشهر بتهيئ بضائعهم حتى إننا نرى الصين الشيوعية التي لا تدين بالإسلام قد تجهزت فصنعت لأبنائنا جيلاً جديدًا من اللعب والفوانيس، كل هؤلاء قد تجهزوا مع أنهم من أهل الضلال، فهل تجهزت أنت يا عبد الله لكي تكون من أهل الحق؟ لكي تكون من تجار الآخرة الذين يتاجرون مع الله؟ هل تجهز هؤلاء؟ لكن - وللأسف - فإن هؤلاء علموا أن كثيرًا من المسلمين قد قدموا عاداتهم على عباداتهم في هذا الشهر، حتى إن بعضهم أصبح يصوم عادة، ويدخل المسجد في رمضان عادة، فإذا ما انقضى رمضان غلبت عليهم عاداتهم فعادوا سيرتهم الأولى .

ما هكذا أراد الله لنا، إذا كان تجار الدنيا تأهبوا وتجهزوا وتهيأوا، فما بال تجار الآخرة لا يتأهبون لربح واضح بين مضمون ميسور، مغفرة فتح الله لنا بابها رحمة، فتح الله لنا أبوابها جنة مفتحة الأبواب تنادي، نار غلقت أبوابها، شياطين تغل وتقيد وتصفد، ثم بعد ذلك لا نقبل ولا نغتنم هذه الفرصة .

إن رمضان فرصة عظيمة للسبق، انظروا إلى قصة الرجلين من بلي حينما قدما على النبي ﷺ، والحديث عند أحمد: «عن طلحة بن عبيد الله: أن رجلين قدما على رسول الله ﷺ وكان إسلامهما جميعًا، وكان أحدهما أشد اجتهادًا من صاحبه، فغزا المجتهد منهما فاستشهد ثم مكث الآخر بعده سنة ثم توفي، قال طلحة: فرأيت فيما يرى النائم كأني عند باب الجنة إذا أنا بهما وقد خرج خارج من الجنة فأذن للذي تُوفي الآخر منهما ثم خرج فأذن للذي استشهد ثم رجعا إليَّ فقالا لي: راجع فإنه لم يأن لك بعد فأصبح طلحة يحدث به الناس فعجبوا لذلك، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: من أي ذلك تعجبون، قالوا: يا رسول الله، هذا كان أشد اجتهادًا ثم استشهد في سبيل الله ودخل هذا الجنة قبله، فقال: أليس قد مكث هذا بعده سنة . قالوا: بلى وأدرك رمضان فصامه . قالوا: بلى، وصلى كذا وكذا سجدة في السنة قالوا: بلى . قال رسول الله ﷺ، فلما بينهما أبعد ما بين السماء والأرض».

فانظروا إلى فضل الله وإلى رحمته سبحانه وتعالى.

إن فرص الربح عظيمة ولكن القليل من يغتنمها، إنهم رجال أحبهم الله، رجال هداهم الله، رجال وفقهم الله: ﴿رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾، إنها دعوة لأن نكون من هؤلاء أن نرتسم خطاهم وأن نسير على منهاجهم، وأن نرتسم خطى الحبيب محمد ﷺ، فلا ندع سبيلاً للمغفرة إلا حرصنا عليه سائلين المولى أن ييسره لنا، ولا ندع سبيلاً للمعصية إلا وأغلقناه طالبين من المولى أن يبعدنا عنه .

إن أسباب المغفرة كثيرة، وأراها تتواطأ وتتجمع في هذا الشهر الكريم المبارك، وإن أعظم أسباب المغفرة هو التوحيد وترك الشرك وإخلاص العمل لله، وفي هذا يقول المولى تبارك وتعالى في الحديث القدسي الذي أخرجه الترمذي: «يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم، لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم، إنك لو أتيتني بقُرَابِ الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة».

هكذا جعل المولى تبارك وتعالى التوحيد من أعظم أسباب المغفرة، ثم يفتح الله لنا أبواب

الاستغفار والتوبة، وهي باب لمحو الذنوب وتحويلها إلى حسنات: ﴿ فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [الفرقان: ٧٠]

وهذا من فضل الله ورحمته، ثم يجعل الدعاء بابًا للمغفرة، ولهذا كان أول الحديث: «يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي».

ثم نجد أسباب المغفرة منها ما هو سهل يسير، إذا لقيت أخاك فصافحته غفر الله لكما، تساقطت الذنوب والخطايا، وإذا أكلت الأكلة فحمدت الله عليها غفر الله لك ذنوبك، ولو كانت مثل زبد البحر، بل تعالوا للصلاة وانظروا كيف جعلها الله كفارة للخطايا: «عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهن ما لم تُغْشَ الكبائر».

[رواه مسلم]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «أرأيتم لو أن نهرًا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمسًا ما تقول ذلك يبقى من درنه» قالوا: لا يبقى من درنه شيئًا . قال: «فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله به الخطايا».

[رواه البخاري]

بل قبل الصلاة «الوضوء» إذا توضأ العبد المؤمن خرجت خطايا وجهه ويديه مع آخر قطر الماء، فإذا ما تشهد بعد الوضوء «أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين»، فتحت له أبواب الجنة الثمانية تدعوه وتناديه يدخل من أيها شاء، فإذا انتقل إلى المسجد متوضئًا كانت خطواته خطوة تحط خطيئة وخطوة يكتب له بها حسنة ويرفع له بها درجة .

الخطايا كفرت قبل الصلاة بالوضوء وبالمشي إلى المسجد والخطايا تكفر في الصلاة وبالصلاة والخطايا تكفر بعد الصلاة، فإذا ما سبح العبد (٣٣) وكبر (٣٣) وحمد (٣٣) وقال تمام المائة: «لا إله إلا الله» غُفرت ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر .

كل هذه الأسباب للمغفرة، ثم يخرج منا من أدرك رمضان فلم يغفر له، ويخرج منا من يعرض عن الصلاة يخرج منا من يعلن ويجاهر بالفطر في رمضان!!

إن هذا الشهر قد جاءنا ضيفًا كريمًا عزيزًا فينبغي لنا أن نحسن استقباله، وأن نحسن وفادته، ينبغي لنا أن نستغل وقته وألا نضيع الأوقات، وإنما نشغل أنفسنا بنوافل الطاعات، ولن تجد لحظة من لحظات العمر تعجز أن تشغلها في طاعة حتى لحظات نومك وأكلك وشربك وعملك، ولهذا لما تناظر أبو موسى ومعاذ ابن جبل حول قيام الليل قال معاذ رضي الله عنه: «أما أنا فأصلي وأرقد وأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي».

لقد كان هدي نبينا ﷺ وسلفنا الصالح استغلال الشهر كله فقد كانوا يرحبون به ويتهيأون له طاعة لله عز وجل، وما شغلهم عن أن يقوموا بواجبهم تجاه هذا الدين، ولهذا خرجوا في أول رمضانَ فرض فيه القتال في غزوة بدر فكان يوم الفرقان، وبعد سنوات خرجوا يوم الفتح الأكبر، وظل هذا شأن رمضان مع المسلمين إذا رجعوا إلى الله يعينهم على الطاعة وعلى الجهاد في سبيل الله، ولهذا كانت معظم فتوحات الإسلام وأعظمها في هذا الشهر لأن أعظم سبب من أسباب الانتصار تأييد الله لعباده الذين أحبهم والذين ينصرونه فينصرهم سبحانه وتعالى ويثبتهم ويرسل ملائكته لتدافع عنهم وتقتل عدوهم .

هكذا كان رسول الله ﷺ وأصحابه الذين تربوا على يديه وتخرجوا في مدرسته، هكذا كانوا يتعاملون مع هذا الشهر يرونه تطهيرًا للذنوب والآثام، كانوا يرونه فرصة للعمل الصالح وفرصة للتقرب إلى الله عز وجل، ولهذا علمنا النبي ﷺ أن نحسن الصيام وألا نجعله عادة، فقد قال ﷺ في الحديث الذي أخرجه ابن ماجه وله شاهد عند مسلم: «إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يجهل وإن جهل عليه أحد فليقل إني امرؤ صائم».

ينبغي لنا أن نحمد الله عز وجل على هذه النعمة العظيمة، وأن نبدأ شهرنا بالتوبة من جميع الذنوب، وأن نخرج من المظالم ونرد الحقوق إلى أصحابها، وأن نغتنم هذه الفرصة لتلاوة القرآن ومدارسته، والإكثار من الصدقات، فقد كان رسول الله ﷺ يدارس جبريل القرآن في رمضان ويجود بالخير كأنه الريح المرسلة .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

هل زكيت

على كل مسلم أن يسأل نفسه هل غفر الله لنا الذنوب في رمضان، فالسعيد منا الذي نال مغفرة الغفور الرحيم، والمحروم من أدرك رمضان فأبعده الله ولم يغفر له

الحمد لله، رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فها هو رمضان قد ارتحل، حل علينا ضيفًا كريمًا، ثم ما لبثت أيامه ولياليه أن انقضت فهل استفدنا من هذه النفحات والبركات؟

هل غفر الله لنا الذنوب في رمضان، وقد أخبرنا رسول الله ﷺ أن من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم ما ذنبه، ومن قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه.

مَن السعيد منا الذي نال مغفرة الغفور الرحيم لنهنيه؟ ومَن المحروم الذي أدرك رمضان فأبعده الله ولم يغفر له الله لنبكيه ونعزيه؟ هل استفدنا من أبواب الجنة المفتحة في رمضان فتعلقت بها قلوبنا، وأخذنا بأسباب الوصول إليها ودخولها بالحرص على الطاعات والتنافس في القربات، وهل أنت من أهل الصلاة لتدخل من باب الصلاة؟ أم من أهل الصوم لتدخل من باب الريان؟ أم من أهل الصدقة والزكاة؟ أم من أهل الجهاد في سبيل الله؟ أم أنك أعرضت عن هذه الأبواب المفتحة كلها كأنها لا تعنيك وأقبلت تقتحم الشهوات والموبقات التي تقودك إلى النار، والعياذ بالله.

هل استفدنا من رمضان في التعلق بأبواب الجنان بعد رمضان، وقد أخبرنا النبي ﷺ «من شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق، وأن النار حق، أدخله الله الجنة من أي الأبواب الثمانية شاء».

وأن من يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا

نفسك ؟

إعداد / د. جمال المراكبي الرئيس العام

WWW.ELMARAKBY.COM

الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله، فُتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء».

إن أبواب الجنة تفتح يوم الاثنين ويوم الخميس، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئًا، إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء وعداوة وبغضاء فيقال: أنظروها حتى يصطلحا.

[رواه مسلم والترمذي وابو داود وابن ماجه واحمد]

فهل أنت حريص أخي المسلم على أبواب الجنة وأبواب المغفرة، أم أن حظ نفسك من البغي أولى عندك من حظها من الرحمة والمغفرة والجنة؟

هل تطمع أن تكون من هذه الزمرة الطيبة المباركة التي تدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب، وجوههم على هيئة القمر ليلة البدر، متماسكون يأخذ بعضهم بايدي بعض؟ يشفع النبي ﷺ الشفاعة العظمى لفصل القضاء، فيقال له: يا محمد ارفع رأسك وسل تعطه، واشفع تشفع، فيقول: أمتي يا رب أمتي يا رب، فيقال: يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب.

[رواه البخاري ومسلم]

أتدري مَن هؤلاء المكرمون، إنهم سبعون ألفًا، وفي رواية: سبعمائة ألف يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، أتدري ما هي أوصاف من يدخلون الجنة بغير حساب؟

إنهم الذين جردوا التوحيد ولم يقعوا في الشرك صغيره ولا كبيره، هم الذين لا يسترقون؛ أي لا يطلبون الرقية من أحد؛ لأنهم لا يسألون إلا الله، ولا يكتوون وإن كان شفاؤهم في الكي؛ لأن النبي ﷺ نهى عن الكي، وقال: ما أحب أن أكتوي، ولا يتطيرون ولا يتشاءمون؛ لأن الأمور كلها بمشيئة الله وتقديره، ولأن النبي ﷺ نهى عن الطيرة وقال: «الطيرة شرك».

من علامات النفس الأمارة بالسوء الامتناع عن الطاعات والتسويف فيها وإننا لم ننهزم أمام أعداء الله إلا حين هزمتنا النفس الأمارة بالسوء فلا يمكن أن ينتصر المسلم على عدوه إلا إذا انتصر على نفسه

وهم في أمورهم كلها يحسنون التوكل على الله عز وجل، فيأخذون بالأسباب الموصلة إلى خَيْري الدنيا والآخرة، ويحرصون على ما ينفع من علم نافع وعمل صالح يقرب من الجنة، ويتركون كل ما يباعدهم عن الجنة ويقربهم من النار، يهتدون بقول النبي ﷺ: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، جفت الأقلام، وطويت الصحف». [رواه الترمذي]

وبقوله ﷺ: «احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، فإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان». [رواه مسلم]

هل زكيت نفسك وطهرتها من دنس الذنوب والخطايا، أم تركت لشهوات نفسك العنان تقودك إلى الطغيان، وتجرك إلى النيران، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [الأعلى: ٧-٩].

لقد ذكر الله النفس في القرآن الكريم ووصفها بأوصاف عدة، فذكر لنا المولى تبارك وتعالى نفسًا تأمر بالسوء وتحض عليه فقال سبحانه على لسان امرأة العزيز: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٣].

علامات النفس الأمّارة بالسوء

فالنفس الأمارة بالسوء علامتها أنها تحب الشهوات وتكره الطاعات، وهي أمارة بالسوء تأمر به مرة بعد مرة وتعتاده وتزينه، وقد قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [آل عمران: ١٤].

وقد ذكر الله لنا أصناف الشهوات فاستوعبها، ولم يذكر لنا مَن الذي زينها هل هو الله؟ أم هو الشيطان؟ ولا شك أن الله عز وجل يزين الشهوات المباحة على سبيل الابتلاء والاختبار، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [الكهف].

والشيطان يزين للناس الشهوات المحرمة والذنوب والمعاصي كما قال الله سبحانه: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾.

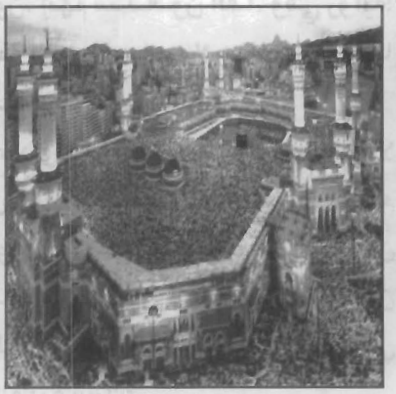

فالحلال من الشهوات أمرنا الله أن نأخذه من حله وننفقه في حقه من غير إسراف ولا مخيلة، والحرام من الشهوات نهانا الله عنه وجعله محرمًا.

لقد كان عمر بن الخطاب يقرأ آية آل عمران

فيبكي ويقول: «اللهم إنا لا نملك إلا أن نحب ما زينت لنا، فاللهم ارزقنا إياه من حله، ووفقنا أن ننفقه في حقه».

أما الحرام من الشهوات فنعوذ بالله منه، ونعوذ بالله من شر أنفسنا أن تزينه لنا وأن تعتاده، ونعوذ بالله من شر الشيطان أن يزينه لنا ويحثنا عليه.

ومن علامات النفس الأمارة بالسوء الامتناع عن الطاعات والتسويف فيها، إذا دعوتها إلى الإنفاق خوفتك من الفقر، وإذا دعوتها إلى قراءة القرآن سوفت وأجلت، وإذا دعوتها لصلاة الليل حدثتك عن حق الأهل والبدن، فهي ثقيلة في الطاعات حريصة على الشهوات.

وهذا يبين لنا: لماذا أصبحنا مهزومين كأمة أمام أعدائنا فإننا لم ننهزم أمام أعداء الله إلا حين هزمتنا النفس الأمارة بالسوء، فلا يمكن للمسلم أن ينتصر على عدوه إلا إذا انتصر على نفسه أولاً، وقد جعل الله لنا ميزانًا نعرض عليه أنفسنا فقال سبحانه: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات: ٣٧- ٣٩].

إن هذه النفس لا يمكن أن تزكو إلا إذا حاسبها الإنسان حسابًا دقيقًا، حاسبها كما يحاسب الشريك شريكه، حاسبها على الطاعات والتفريط فيها، وعلى المعاصي والاجتراء عليها، وعلى المباحات والانغماس فيها، والصوم من أعظم الأسباب المعينة على تزكية النفس حيث يعود الإنسان نفسه ترك الطعام والشراب والشهوة المباحة طاعة لله، فتتعود النفس الطاعة والانقياد.

الوصف الثاني للنفس النفس اللوامة وهي أرقى من النفس الأمارة بالسوء، تلومك على المعاصي والذنوب وهي التي يسميها بعض الناس تأنيب الضمير، أو الضمير الحي، وليس في الإنسان عضو اسمه الضمير ولكنها النفس اللوامة التي أقسم الله بها في كتابه، وما أقسم الله بها إلا لشرفها، قال تعالى: ﴿لاَ أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (١) وَلاَ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: ١، ٢].

والوصف الثالث للنفس النفس المطمئنة التي تحبب إليك الطاعة وتكره إليك المعصية، وتطمئن النفس بذكر الله عز وجل وذكر الموت والخشية من الله تبارك وتعالى.

قال تعالى: ﴿أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾، وقال تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾.

فهل نفسك التي دخلت بها رمضان هي نفسك التي خرجت بها من رمضان؟

نسأل الله تعالى أن يزكي نفوسنا، وأن يرزقنا تقواه.

والحمد لله رب العالمين

أدب الاختلاف

إعداد / د.
جمال المراكبي
الرئيس العام
WWW.ELMARAKBY.COM

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الصادق الوعد الأمين، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد.. فقد تلقيت دعوة كريمة من الأستاذ الدكتور محمد المختار المهدي الرئيس العام للجمعيات الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة المحمدية للمشاركة في ندوة بعنوان أدب الاختلاف، وقد رحبت بهذه الدعوة وحرصت على المشاركة ليعلم الذين يسعون للوقيعة بين العاملين في حقل الدعوة أن بيننا مساحة كبيرة للاتفاق والالتقاء، وأن الاختلاف بين العاملين في هذا المجال قد يكون سائغًا مقبولاً، وقد يكون من جنس الخطأ والصواب، وقد يكون من جنس الحق والباطل، والسنة والبدعة، وأن الالتقاء بين العاملين في حقل الدعوة يذيب جبال الجليد، ويقرب وجهات النظر، خاصة بين من يتفقون في الأصول ويعتبرونها، وقد حرصت على أن تقوم كلمتي على محاور أهمها:

مساحة الاتفاق يسع الجميع

مساحة الالتقاء والاتفاق بين جمعية أنصار السنة المحمدية والجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة المحمدية، والذي يظهر من عنوان الجمعيتين واسمهما، وحرصهما منذ النشأة الأولى على إحياء منهج التعاون على البر والتقوى ورد المسلمين إلى النبع الصافي الذي تؤخذ منه أحكام الدين وهو كتاب الله عز وجل، وسنة النبي محمد ﷺ وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده، عملاً بقول نبينا ﷺ: «إنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة».

ولا شك أن هذه النشأة التي ترجع إلى ما يقرب من قرن من الزمان عاش فيها المسلمون في ظروف حالكة بعد قيام تركيا العلمانية وإلغاء رسم الخلافة العثمانية واسمها، وسيطرة المحتل الغربي على بلاد المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها فكريًا وعسكريًا واقتصاديًا، وسيطرة الجهل والأمية الدينية على عقول المسلمين حتى فشا بينهم

اللجوء إلى الأموات يسالونهم ويدعونهم من دون الله، ويقول قائلهم: إذا ضاقت بكم الصدور، وأعيتكم الأمور فعليكم باهل القبور.

المحور الثاني: أن الذي أودى بالأمة وأوصلها إلى هذا الواقع الأليم هو الانحراف عن منهاج السنة المحمدية، وأن هناك فرقًا بين الاختلاف السائغ وبين الانحراف عن منهاج النبي ﷺ الذي يعني الطعن في الدين وتغيير معالمه.

اختلاف الصحابة في حياة النبي ﷺ

لقد اختلف الصحابة في حياة النبي ﷺ، وأقرهم النبي ﷺ ولم يعب على أحد منهم كما حدث في قول النبي ﷺ: «لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة» واختلاف الصحابة كان في فهم النص والعمل بظاهره أو اعتبار مفهومه، وتفرع عن هذا الاختلاف تراث فقهي عظيم في العبادات والمعاملات وفي أصول الفقه وفروعه، وتفرع عن هذا أيضا معرفة أدب الاختلاف والمناظرة والمحاورة، وصنفت في ذلك المصنفات الكثيرة.

لقد نقلت لنا كتب السنة اختلاف الصحابة في بعض المسائل العقدية، مثل خلاف عائشة وابن عباس حول رؤية النبي ﷺ ربه عز وجل في الدنيا، فاثبت ابن عباس الرؤية، ونفتها عائشة.

واختلفت عائشة مع ابن عمر في مفهوم حديث «إن الميت ليعذب ببكاء الحي»، وفي زمن التابعين: انكر شريح القاضي قراءة ابن مسعود لقول الله تعالى: ﴿بل عجبتُ ويسخرون﴾ بضم التاء فقال شريح، إن الله لا يعجب، فبلغ ذلك إبراهيم النخعي فقال: إنما شريح شاعر يعجبه علمه، وكان عبد الله بن مسعود أعلم منه، وكان يقرأ «بل عجبتُ»، فانكر إبراهيم النخعي على شريح القاضي إنكاره على قراءة ابن مسعود.

ولكن الأمة اجمعت على أن كل إنسان يؤخذ منه ويرد إلا رسول الله ﷺ المعصوم بوحي السماء ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾.

وأن من وافق السنة كان قوله معتبرًا، ومن ابتعد عن منهاج السنة كان قوله ومنهجه مرفوضًا مردودًا.

ولقد ذكر ابن السبكي في طبقات الشافعية مناظرة وقعت بين أبي الحسن الأشعري وبين أبي علي الجبائي المعتزلي وقد تربى الأشعري في بيت الجبائي وأخذ عنه منهج الاعتزال ثم تاب الله عليه وتبرأ من هذا المنهج، وأعلن انتصاره لمنهج أهل السنة الذي كان عليه إمام أهل السنة احمد بن حنبل وقرر ذلك في كتابه الإبانة عن اصول الديانة، وكانت المناظرة بسبب سؤال تم توجيهه للجبائي: هل يُسمى الله عاقلاً؟ فقال: لا، لأن العقل من العقال أي القيد، والله عز وجل لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه وأمره.

فقال الأشعري: على طريقتك لا ينبغي أن يسمى الله حكيمًا، لأن الحكيم من الحَكَمَة بفتح الحاء والكاف - وهي حديدة توضع في فم الفرس لقيادته.

كان الصحابة يكرهون الخلاف لأجل الخصومات التي تنتج عنه ويرون الاجتماع والاتفاق خيراً من الفُرقة، لكنهم في الوقت نفسه أنكروا الانحراف الفكري إنكاراً شديداً

فقال الجبائي: فلم سميت الله حكيمًا ولم تسمِّه عاقلاً؟ فقال: لأن الله سمى نفسه حكيمًا، ولم يسم نفسه عاقلاً، فأنا أسمي الله بما سمى به نفسه.

ولهذا صار الأشعري إمامًا لمتكلمة السنة لأنه انتصر لكتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ وناظر على ذلك، وإن كان بعض أئمة السنة ممن لا يرى جواز تعاطي الكلام قد أنكر على الأشعري، لأن الكلام مذموم مطلقًا، ولا يخلو من مخالفة لمنهاج السنة النبوية مثل البر بهاري وغيره ممن أنكر على الأشعري.

ومما يؤثر في هذا الباب أن ابن عساكر شيخ الشافعية والأشاعرة بالشام صنف رسالة صغيرة في العقيدة سماها «المرشدة» نفى فيها علو الله عز وجل، ونفى أن يقال: متى كان ولا أين كان ولا كيف كان.

وقد ذكر ابن السبكي هذه العقيدة في طبقات الشافعية وقال: هذا آخر العقيدة، وليس فيها ما ينكره سني.

ولقد كان علماء الحنابلة المثبتين لصفات الله عز وجل ينكرون هذه العقيدة ويسمونها «المضلة» ورُوى أن ابن عساكر ربما مرَّ بالموفق ابن قدامة المقدسي فسلم عليه، فلم يرد الموفق السلام فقيل له: لم لا ترد عليه؟ فقال: إنه يقول بالكلام النفسي وأنا أرد عليه في نفسي.

وظني أن هذا من التزيد ومن الكذب علي ابن قدامة المقدسي فإنه كان أنبل وأجلّ من هذا، مع اعتبار أنهم كان يختلفون وينكر بعضهم على بعض، وأقربهم للحق أقربهم للعمل بالسنة، وأبعدهم عن الحق أبعدهم عن العمل بالسنة. ولكن الآفة في التعصب لقول إمام أو مذهب إمام مهما علا شأنه ونبل قدره، ولقد كانوا لأجل هذا التعصب ينسبون من علا قدره من العلماء للمذهب وإن لم يكونوا عليه، ولنضرب لذلك مثلاً.

الخطيب البغدادي أحد أعلام الحفاظ وأئمة الحديث يوضح منهجه في صفات الله عز وجل فيقول: وأما الكلام في الصفات فإن ما روي منها في السنن والصحاح، مذهب السلف إثباتها وإجراؤها على ظواهرها، ونفي الكيفية والتشبيه عنها، وقد نفاها قوم فأبطلوا ما أثبته الله، وحققها قوم من المثبتين فخرجوا بذلك إلى ضرب من التشبيه والتكييف.

دين الوسطية.. طريق السلامة

والقصد إنما هو سلوك الطريقة المتوسطة بين الأمرين، ودين الله بين الغالي فيه والمقصر عنه.

والأصل في هذا أن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات، ويحتذى في ذلك حذوه ومثاله، فإن كان معلومًا أن إثبات رب العالمين إنما هو إثبات وجود لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وكيفية.

فإن قيل: لله يد وسمع وبصر، فإنما هي صفات أثبتها الله لنفسه، ولا نقول: إن معنى اليد القدرة، ولا إن معنى السمع والبصر العلم، ولا نقول إنها جوارح، ولا نشبهها بالأيدي والأسماع والأبصار التي هي جوارح.

إنما وجب إثباتها لأن التوقيف ورد بها، ووجب نفي التشبيه عنها لقوله سبحانه ﴿ليس كمثله شيء﴾ وقوله سبحانه: ﴿ولم يكن له كفوا أحد﴾ راجع سير أعلام النبلاء وتذكره الحفاظ؛ قال ابن السبكي في ترجمته للخطيب: قال عبد العزيز الكتاني: وكان يذهب إلى مذهب أبي الحسن الأشعري.

وهو مذهب المحدثين قديمًا وحديثًا، إلا من ابتدع فقال في التشبيه وعزاه إلى السنة، أو لم يدر مذهب الأشعري فرده بناءً على ظن فيه ظنَّه، والفريقان من أصاغر المحدثين وأبعدهم عن الفطنة.

وقال شيخنا الذهبي هنا عقيب قول الكتاني: مذهب الخطابي في الصفات أنها تمر كما جاءت، صرح بذلك في تصانيفه.

قلت - أي السبكي - : وهذا مذهب الأشعري، فقد أُتى الذهبي من عدم معرفته بمذهب الشيخ أبي الحسن، كما أتى قوم آخرون، وللأشعري قول آخر بالتأويل. اهـ

فانظر إلى العصبية التي جعلت ابن السبكي ينكر أشد الإنكار على أستاذه وشيخه الذهبي،

ويتهمه بما وقع هو فيه ثم يقر بأن مذهب الأشعري في الصفات أنها تمر كما جاءت وهو مذهب المحدثين قديمًا وحديثًا، وهو الحق الذي قرره في الإبانة، ثم يعود فيقول: وللأشعري قول آخر بالتأويل والحق أن هذا ليس قول الأشعري، بل هو قول متأخري الأشاعرة والمعتمد عندهم.

هذا هو الخلاف بحلوه ومره، ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يكرهون الخلاف والاختلاف لأجل هذه الخصومات التي تنتج عنه، ويرون الاجتماع والاتفاق خيرًا من الخلاف والفرقة .

لقد نهى عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن بيع أمهات الأولاد من الإماء فلما تولى علي بن أبي طالب رضي الله عنه الخلافة قال: أرى أن يُبَعْن، فقال له قاضيه عبيدة السلماني: رأيك مع عمر في الجماعة أحب إليَّ من رأيك وحدك في الفرقة.

أما نماذج الانحراف الفكري فقد أنكروه إنكارًا شديدًا ولهذا قال النبي ﷺ عن الرجل الذي اعترض على النبي ﷺ وقال: اعدل يا محمد: «إنه يخرج من ضئضئ هذا قوم يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وقراءته مع قراءتهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية». [متفق عليه]

وقال ابن عمر رضي الله عنه عن منكري القدر: إذا لقيت هؤلاء فأخبرهم أني بريء منهم، وهم برءاء مني. والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أنفق أحدهم مثل جبل أحد ذهبًا ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر». [مسلم]

وردّ الإمام أحمد وأهل السنة على الجهمية والمعتزلة في إنكار صفات الله عز وجل والقول بخلق القرآن أو التوقف فيه.

وردوا على الروافض الذي سعوا للوقيعة بين أصحاب النبي ﷺ وآل بيته الكرام، وخاضوا في الفتنة التي وقعت بين الصحابة.

تميز منهاج أهل السنة والجماعة عن المناهج الأخرى

ومن هنا تميز منهاج أهل السنة والجماعة عن المناهج التي انحرفت عن الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

وأخيرًا فالعجب كل العجب ممن يسعى في إخماد السنة والدعوة إلى مناهج البدع والضلالات تحت شعار حرية الرأي والفكر، ويُلَبِّس على عوام المسلمين في أمر العقيدة.

الجرائد الصفراء والعفن الأخلاقي

هل يُعقل أن تنشر جريدة حزبية مصرية ملحقًا بعنوان أسوأ عشرة في تاريخ الإسلام من أم المؤمنين عائشة إلى عثمان بن عفان رضي الله عنهما؟ والعجيب أن هؤلاء العشرة أكثرهم من العشرة المبشرين بالجنة.

وهل يعقل أن تعقد المحاكمة في جريدة أخرى للسيدة عائشة أم المؤمنين، وأحب الناس إلى قلب رسول الله ﷺ، وتتهم بأنها تسببت في مقتل أكثر من مائة ألف من المسلمين في معركة الجمل وصفين.

من الذي يغذي هذا الانحراف عن منهج أهل السنة والجماعة، لقد حُكِم بالسجن على أحد هؤلاء الصحفيين لأنه أهان رئيس الجمهورية في الجريدة التي يرأس تحريرها مع أنه منذ سنوات يُعَرِّض بالصحابة همزًا ولمزًا في برنامج تلفزيوني على قناة مشبوهة كل همها الطعن على النقاب والمنتقبات، والسنة ومن ينتسب إليها والطعن عليهم بتهمة التزمت والتطرف والإرهاب.

أفلا يتعرض هؤلاء المأجورون للمحاكمة لسب ذي النورين عثمان بن عفان، وطلحة والزبير والصديقة بنت الصديق المبرأة من فوق سبع سماوات؟

أرجو أن تحرك النيابة العامة الدعوى على هؤلاء المأجورين لينالوا ما يستحقون بمقتضى القانون.

ولقد أحسن فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر عندما رفع دعوى ضد الكاتب والصحيفة، وفقه الله وجميع علماء المسلمين لكل خير.

أما جزاؤهم عند الله عز وجل فهو جزاء من بدّل وغير ومرق من الدين ما لم يرجعوا ويتوبوا إلى الله عز وجل.

وصدق رسول الله ﷺ: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت». [متفق عليه]

والله من وراء القصد

حج ولم يحج

إعداد / د.
جمال المراكبي
الرئيس العام
WWW.ELMARAKBY.COM

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام المرسلين، نبينا محمد وآله وصحبه وسلم... وبعد:

فالحج ركن ركين من أركان هذا الدين، ولهذا فرضه الله عز وجل في كتابه العزيز فقال: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾ [آل عمران: ٩٧]، وقال ﷺ: « بني الإسلام على خمس وذكر منها: وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً ».

ولقد تأخر فرض الحج عن سائر الفرائض فلما حج رسول الله وأصحابه نزل عليه ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ فلا يكمل دين المسلم إلا بحج بيت الله الحرام إن كان مستطيعاً.

ولا يزال الناس يحجون منذ عرف الناس البيت وإلى أن يشاء الله تعالى، قال ﷺ : «ليحجن هذا البيت، وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج». [صحيح الجامع ٥٣٦١]

فإذا قبض الله أرواح المؤمنين في آخر الزمان ولم يبق على الأرض إلا شرار الخلق توقف الحج، قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى لا يحج البيت». [صحيح الجامع ٧٤١٩]

ولهذا وجب على كل مستطيع أن يتعجل الحج، وأن يحرص على أن يكون حجه صحيحاً مبروراً، والصحيح ما كان لله، يبتغي به الحاج وجه الله و كان على هدي رسول الله ﷺ، حيث قال: «خذوا عني مناسككم ».

والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة». [متفق عليه]

وهو يعدل الجهاد في سبيل الله فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: يا رسول الله، نرى الجهاد أفضل العمل، أفلا نجاهد؟ قال: «لا، لكن أفضل الجهاد حج مبرور». [البخاري كتاب الحج حديث رقم ١٤٢٣]. وعند النسائي: « جهاد الكبير والصغير والضعيف والمرأة الحج والعمرة ».

[ك مناسك الحج باب فضل الحج حديث ٢٥٧٩]

وهو من أفضل القربات فقد سئل رسول الله ﷺ: أي العمل أفضل؟ قال: «إيمان بالله ورسوله». قيل: ثم ماذا؟ قال: «الجهاد في سبيل الله». قيل: «ثم ماذا؟» قال: «حج مبرور». [متفق عليه]

وروى أحمد بسند صحيح أن النبي ﷺ سئل: أي الأعمال أفضل ؟ قال: إيمان بالله وحده ثم الجهاد ثم حجة برة تفضل سائر الأعمال ما بين مطلع الشمس إلى مغربها) [حم١٥٨٣١ وصححه الألباني في صحيح الترغيب١١٠٣]

وهو سبب لغفران الذنوب فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من حج لله فلم يرفث ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه». [البخاري ١٤٢٤]

وقال ﷺ: « الحجاج والعمار وفد الله، إن دعوه أجابهم، وإن استغفروه غفر لهم». [ابن ماجه ح٢٨٨٣، النسائي ٢٥٧٨ - ٣٠٢٠]. وقال: «تابعوا بين الحج والعمرة، فإن المتابعة بينهما تنفي الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد». [حم ١٦٢ عن عمر]

وروى أحمد بسند ضعيف عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ (٦١٥٥٤):« إذا لقيت الحاج فسلم عليه وصافحه ومُرْهُ أن يستغفر لك قبل أن يدخل بيته فإنه مغفور له » [حـ ٥١١٦]. ويشهد لمعناه ما رواه مسلم في قصة أويس القرني مع رجل من قبيلته حين قال له: استغفر لي فقال له: أنت حديث عهد بنسك.

الحاج الذي لم يحج

إذا كان هذا فضل الحج الذي لا ينكر فهل ينال هذا الأجر كل من لبس ملابس الإحرام وسافر إلى بيت الله الحرام ووقف بعرفة وبات بمنى ومزدلفة ووقف عند المشعر الحرام وفعل ما يفعله الناس وأفاض من حيث أفاض الناس أم أن هناك من الحجيج من يصلح أن يقال لهم:(حجوا فإنكم لم تحجوا) كما قال النبي ﷺ للمسئ في صلاته: (صل فإنك لم تصل). [متفق عليه]

فمن حج بمال حرام وحرص على أكل أموال الناس بالباطل ولم يترك ذنباً إلا وفعله ومن شغل لسانه بالغيبة والنميمة وأكل لحوم المؤمنين فهل ينفعه حجه ! أمن هو ممن قال الله فيه: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

وإذا كان الحاج يحرم عليه حال إحرامه الرفث فإذا وقع في الرفث بجماع زوجته فسد حجه باتفاق أهل العلم، وأمر أن يتم نسكه مع فساده وأن يقضي حجه في عام قابل مع أن جماع الزوجة أصله حلال فكيف بمن أسرف على نفسه في الموبقات حال الحج وقبله وبعده فهل ينفع هذا حجه؟!

إن الحج من الأعمال الظاهرة التي لا يملك العبد أن يخفيها عن الناس ومثل هذه الأعمال التي تكثر فيها المباهاة ويقل فيها الإخلاص ويفشو فيها الرياء والسمعة ويصاحبها العجب يكون الإخلاص فيها عزيزاً ولا يبلغه إلا من جاهد نفسه في طاعة الله حتى إن نبينا ﷺ لما ركب ناقته وأهل بالحج سأل ربه عز وجل أن يجعل حجه خالصاً لوجهه الكريم فقال: (اللهم حجة لا رياء فيها ولا سمعة).

ولا يصح الحج إلا بتمام متابعة النبي ﷺ في الشروط والأركان حيث قال: (وقفت هاهنا وعرفة كلها موقف). وقال: (خذوا عني مناسككم لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا).

فما هو البر؟ وكيف يكون الحج مبروراً؟

ورد البر في النصوص الشرعية بإطلاقين:

أولهما: فعل الطاعات كلها من الإيمان بالله واليوم الآخر، وإعطاء المال للفقراء والمساكين، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والوفاء بالعهود، والصبر على البلاء كما في قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾.

والحاج يحتاج إلى هذه الأمور كلها فإنه لا يصح حجه بدون الإيمان، ولا يكمل حجه ويكون مبروراً بدون إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، فإن أركان الإسلام بعضها مرتبط ببعض، ولا يكمل بر الحج بدون الوفاء بالعهود التي يلتزم بها الحاج مثل تأشيرة الدخول وتأشيرة الحج وعدم التضييق على الحجيج في الطرقات ونحو ذلك.وكذلك يحتاج الحاج إلى الصبر على ما يصيبه من المشاق في سفر الحج فلا يخرجه ذلك عن حسن الصحبة والعشرة لرفقائه.

ثانيهما: حسن الخلق، وقد ورد هذا مرفوعاً في صحيح مسلم أن النبي ﷺ سئل عن البر فقال(البر حسن الخلق) ولا شك أن حسن الخلق من تمام الإيمان وكماله ومن أفضل العمل الصالح الذي يفضي إلى الجنة فأكمل المؤمنين إيماناً أحاسنهم أخلاقاً.

وقد سئل النبي ﷺ عن بر الحج فقال (إطعام الطعام وطيب الكلام وإفشاء السلام) وكان ابن عمر يقول (إن البر شئ هين وجه طليق وكلام لين) وبالجملة فإنه يشمل معاملة الناس بخلق حسن وهذا يحتاج إليه الناس في الحج كثيرا حتى قال بعضهم (إنما سمي السفر سفراً لأنه يسفر عن أخلاق الرجال).

فهذا هو الحج المبرور الذي جعل الله ثوابه الجنة.

فيا من سافرت إلى بلد الله الحرام وتلبست بأعمال الحج ولبست ملابس الإحرام، سل نفسك هل حججت حقًا؟

وهل ترجو أن يكون حجك مبرورا؟

أم تكتفي بأن يكون حجك ظاهرا أمام الناس؟

الصنف الآخر من الناس من عجز عن الحج فلم يسافر إلى بيت الله الحرام ولم يتلبس بأعمال الحج ومع ذلك فقد نال ثواب الحج كاملاً وربما حصل على أعلى وأعظم من ثواب الحج وهؤلاء هم الذين يلحقون من سبقهم ويسبقون غيرهم ولم يدركهم أحد بعدهم إنهم هم الموفقون حقا.

روى البخاري في صحيحة عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (جَاءَ الْفُقَرَاءُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ مِنْ الأَمْوَالِ بِالدَّرَجَاتِ الْعُلاَ وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ وَلَهُمْ فَضْلٌ مِنْ أَمْوَالٍ يَحُجُّونَ بِهَا وَيَعْتَمِرُونَ وَيُجَاهِدُونَ وَيَتَصَدَّقُونَ قَالَ أَلاَ أُحَدِّثُكُمْ إِنْ أَخَذْتُمْ أَدْرَكْتُمْ مَنْ سَبَقَكُمْ وَلَمْ يُدْرِكُكُمْ أَحَدٌ بَعْدَكُمْ وَكُنْتُمْ خَيْرَ مَنْ أَنْتُمْ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِ إِلاَّ مَنْ عَمِلَ مِثْلَهُ تُسَبِّحُونَ وَتَحْمَدُونَ وَتُكَبِّرُونَ خَلْفَ كُلِّ صَلاَةٍ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ فَاخْتَلَفْنَا بَيْنَنَا فَقَالَ بَعْضُنَا نُسَبِّحُ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ وَنَحْمَدُ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ وَنُكَبِّرُ أَرْبَعًا وَثَلاَثِينَ فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ تَقُولُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَاللَّهُ أَكْبَرُ حَتَّى يَكُونَ مِنْهُنَّ كُلِّهِنَّ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ).

[البخاري كتاب الأذان رقم ٧٩٨ باب الذكر بعد الصلاة]

لقد أخبر النبي ﷺ الفقراء من أصحابه أنهم بهذا الذكر اليسير يحرزون الدرجات العلا والأجر الكبير كما قال ﷺ (ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا بلى يا رسول الله قال:ذكر الله).

[رواه الترمذي وابن ماجه بسند صحيح]

ولما كان الحج من أفضل الأعمال، والنفوس تتوق إليه لما جعل الله في القلوب من الحنين إلى بيت الله الحرام الذي جعله الله مثابة للناس وأمناً تهفوا النفوس وتشتاق القلوب ويعاودها الحنين إليه، ولما كان كثير من الناس يعجز عنه ولاسيما في كل عام فقد شرع الله لعبادة أعمالا يسيرة يبلغ أجرها أجر الحج فيعتاض بذلك العاجزون عن التطوع بالحج والعمرة.

١- فمن صلى الصبح في جماعة ثم جلس في مصلاه يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كان له مثل أجر حجة وعمرة تامة تامة.

[رواه الترمذي وحسنه الألباني في الصحيحة رقم ٣٤٠٣]

٢- ومن بكر إلى الجمعة فراح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة ,والبدنة: هي الناقة التي تهدى إلى بيت الله الحرام في الحج والعمرة ولهذا قال النبي ﷺ (فكأنما قرب بدنة) ولم يقل فكأنما تصدق بناقة. فليست كل ناقة بدنة.

لهذا المعنى ذهب بعض السلف إلى أن شهود الجمعة يعدل في الأجر حج النافلة.

قال سعيد بن المسيب: (هو أحب إلي من حجة النافلة).

ويروى بسند ضعيف (الجمعة حج المساكين) فطوبى لمن حج في الشهر أربع مرات وفي العام أكثر من خمسين مرة مع أنه لم يسافر إلى بيت الله الحرام ولم يتجشم أعباء السفر الجسام خاصة إذا حرص على الاغتسال للجمعة واحتسب خطواته إليها وراح في الساعات الأولى وسبق إلى الصف الأول ودنا من الأمام فاستمع وأنصت ولم يلغ كما جاء في الحديث (من غسل واغتسل وبكر وابتكر ومشى ولم يركب ودنا من الإمام فاستمع ولم يلغ كان له بكل خطوة يخطوها أجر سنة صيامها وقيامها).

فإذا كان هذا الأجر لمن شهد الجمعة وأنصت للموعظة، فكيف بأجر الإمام الواعظ الذي يقوم في المصلين في مقام النبي ﷺ إذا أخلص النية، ووافق السنة.

٣- ولقد ورد في الفضل ما هو أعظم من ذلك فمن تطهر في بيته ثم خرج إلى المسجد لأداء الصلاة في جماعة فقد نال مثل أجر الحاج وقد ورد هذا في حديث مرفوع: (من تطهر في بيته ثم خرج إلى المسجد لأداء صلاة مكتوبة فأجره مثل أجر الحاج المحرم، ومن خرج لصلاة الضحى كان له مثل أجر المعتمر). رواه أبو داود وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

٤- وصوم يوم عرفة يكفر سنتين سنة ماضية وسنة باقية كما صح عن رسول الله ﷺ.

فإذا كان المرجو من الحج غفران الذنوب فإن صيام هذا اليوم كفارة للذنوب.

فأين المسارعون إلى الخيرات؟ وأين السابقون إلى القربات؟ والله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُوْلَئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [آل عمران].

وقال سبحانه﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاء وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد٢١].

ومع كل هذا الفضل الذي ذكره رسول الله ﷺ ليربت به على قلوب الفقراء فتطيب به،فإن منهج المتسابقين إلى الخيرات والمسارعين إلى القربات يملأ قلوب المؤمنين شوقاً وحسرةً وألماً وحزناً على كل خير فاتهم ويغبطون ويحسدون من سبقهم إليه.

لقد كان الأغنياء من أصحاب رسول الله ﷺ يوظفون أموالهم في سبيل الله، وكان فقراء الصحابة كلما رأوا أصحاب الأموال منهم ينفقون في هذه القربات يصيبهم الحزن لأنهم لا يجدون ما ينفقون ولقد ذكرهم الله في كتابه ومدحهم بهذا فقال﴿لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاء وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٩١) وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلاَّ يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ﴾** [التوبة].

حتى قال بعض أهل العلم هذا والله بكاء الرجال بكوا على فقدهم وسائل تحملهم إلى الموت في سبيل الله لأنهم لا يريدون إلا وجه الله لأجل هذا عوضهم الله تبارك وتعالى بالنية الصادقة الخالصة ثواب العاملين لما علم صدقهم واختبر أحوالهم فأخبر نبيه ﷺ أنهم شاركوا المجاهدين في أجورهم.

فقال تعالى عن المجاهدين ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَطَؤُونَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (١٢٠) وَلاَ يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً وَلاَ يَقْطَعُونَ وَادِياً إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [التوبة].

وقال النبي ﷺ عن الفقراء الذين حرموا هذا الجهاد (إن بالمدينة لرجالاً ما سرتم مسيرا ولا قطعتم وادياً إلا شاركوكم في الأجر حبسهم العذر) [متفق عليه]

وإذا كان أهل الفضل يتنافسون في الخيرات ويتسابقون في القربات أذن الله لهم أن يغبط بعضهم بعضاً، وأن يحسد بعضهم بعضاً حسداً محموداً يتشاركون به في الأجر إذا خلصت النوايا وصدق العزم، قال ﷺ: (لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فهو ينفقه في سبيل الله آناء الليل وآناء النهار ورجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار) [متفق عليه]

ويشارك هذين في الفضل رجل صادق النية يقول: (لو أتيت مثل ما أوتي هذا لفعلت كما يفعل) [البخاري٧٢٣٢]

عن أَبي كَبْشَةَ الأَنْمَارِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «ثَلاَثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ، قَالَ: مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ وَلاَ ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً فَصَبَرَ عَلَيْهَا إِلاَّ زَادَهُ اللَّهُ عِزًّا، وَلاَ فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلاَّ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا، وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ قَالَ إِنَّمَا الدُّنْيَا لأَرْبَعَةِ نَفَرٍ عَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالاً وَعِلْمًا فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ وَيَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالاً فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ يَقُولُ لَوْ أَنَّ لِي مَالاً لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلاَنٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ لاَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ وَلاَ يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ وَلاَ يَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَخْبَثِ الْمَنَازِلِ وَعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ اللَّهُ مَالًا وَلاَ عِلْمًا فَهُوَ يَقُولُ لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلاَنٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ) قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

فنسأل الله العظيم رب العرش الكريم بمنه وكرمه أن يرزقنا حج بيت الله الحرام، وأن يجعل عملنا خالصاً لوجهه إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

خطبة الغدير

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وعلى رسل الله أجمعين، وبعد:

فإن المد الرافضي في عصرنا صار أمرًا مقلقًا لكل صاحب سُنَّة فقد أصبح لهم دعاة وعملاء يجوبون القرى ويشككون عوام المسلمين في ثوابت الدين، وصحفيون يبثون سمومهم في بعض الصحف الصفراء وأصبح لهم دعاة يحسنون التلفيق والتزوير ويدخلون على عوام المسلمين بيوتهم من خلال شاشات الفضائيات التي تروج لمذاهبهم وتشكك المسلمين في أصول السنة وما أجمع عليه أهل الفضل من سلف الأمة، وبعض عوام المسلمين خاصة ممن تغلب عليهم الكثير من البدع يرون هذه القنوات قنوات دينية يأخذون منها الدين والعقائد والأحكام الشرعية (مثل قناة الأنوار الكويتية، وقناة الفرات العراقية، وقناة الكوثر الإيرانية وغيرها الكثير، وإنما ذكرتها لنحذر منها ونحذر عوام المسلمين من الاغترار بها).

ومن المسائل التي كثر الكلام عنها في هذه القنوات في هذه الأيام مسألة النص على خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكيف أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه يوم الغدير (من كنت مولاه فعلي مولاه)، وما رتبوه على ذلك من اعتبار علي بن أبي طالب رضي الله عنه هو الخليفة بعد رسول الله ﷺ بالنص الواضح الجلي، وكيف تآمر الصحابة رضوان الله عليهم - بزعم هؤلاء الروافض على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فحرموه حقه الشرعي في ولاية أمر المسلمين الذي أوجبه الله تعالى له، وحرموا الأمة المسلمة من الخليفة الشرعي في ولاية أمر المسلمين الذي يقوم فيهم مقام النبي ﷺ، وهو المعصوم الذي لا يخطئ هو وسائر الأئمة من بعده كما أن رسول الله ﷺ هو المعصوم بوحي السماء كما قال الله عز وجل ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ [النجم: ٣-٥].

وأن هؤلاء الصحابة حملهم الحقد عليه والحسد له ولبني هاشم أن تجتمع النبوة والخلافة والإمامة فيهم وهم آل بيت النبي ﷺ الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا، فما كان منهم إلا أنهم جحدوا وصية رسول الله ﷺ التي أشهدهم عليها يوم الغدير ونكصوا على أعقابهم وارتدوا على أدبارهم، وحملهم على ذلك عصبية جاهلية وحقد دفين على آل بيت النبي الكريم صلوات ربي وسلامه عليهم، وكان الذي تولى كبر هذا الإفك شيخا قريش أبو بكر وعمر ومن بعدهم عثمان وسائر المهاجرين والأنصار، ولهذا استحق الشيخان أن يكونا عند هؤلاء الأفاكين والمزورين صنمي قريش والجبت والطاغوت، وأن تكون ابنتاهما عائشة وحفصة من ألد أعداء آل البيت لأنهما خانتا الله ورسوله كما كان من امرأة نوح وامرأة لوط عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام!!

سبحان الله العظيم، ما هذا الكذب والبهتان الذي يروج له هؤلاء الروافض ويريدون أن يلبسوا به على عوام المسلمين كذبًا وزورًا.

وقديمًا قال الإمام الشافعي: «ما رأيت أحدًا أشهد بالزور من الرافضة».

[سير أعلام النبلاء جـ١٠ ص٨٩]

لقد افتعل هؤلاء المزورون الوقيعة بين أصحاب رسول الله ﷺ ورضوان الله عليهم، وبين آل بيت رسول الله ﷺ وحكموا على خير قرون هذه الأمة بأنهم شر القرون على الإطلاق، وطعنوا على السابقين الأولين من المهاجرين

WWW.ELMARAKBY.COM

وتزوير الروافض

إعداد / د.
جمال المراكبي
الرئيس العام

والأنصار الذين زكاهم المولى تبارك وتعالى في كتابه ورضي عنهم ورضوا عنه فكذبوا القرآن وكذبوا الرسول ﷺ وكذبوا على أهل بيته الطيبين الطاهرين، وافتعلوا باسمهم صراعات أدت إلى سفك الدماء وانتهاك الحرمات على مدى تاريخ الأمة.

فما هي قصة الغدير؟ وماذا قال رسول الله ﷺ في خطبته في غدير خم؟

روى مسلم في صحيحه ـ ك فضائل الصحابة ب من فضائل علي رضي الله عنه برقم ٤٤٢٥:

«عن يزيد بن حيان قال: انطلقت أنا وحصين ابن سبرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم فلما جلسنا إليه قال له حصين لقد لقيتَ يا زيد خيرًا كثيرًا؛ رأيت رسول الله ﷺ وسمعت حديثه وغزوت معه وصليت خلفه، لقد لقيت يا زيد خيرًا كثيرًا، حدِّثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله ﷺ، قال: يا ابن أخي والله لقد كبرت سني وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله ﷺ، فما حدثتكم فاقبلوا، وما لا فلا تكلفونيه، ثم قال: قام رسول الله ﷺ يومًا فينا خطيبًا بماء يدعى خُمًا بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال: «أما بعد؛ ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال: وأهل بيتي أُذَكِّركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، فقال له حصين: ومن أهل بيته يا زيد أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته؛ ولكن أهل بيته من حُرِمَ الصدقة بعده، قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس، قال: كل هؤلاء حُرِمَ الصدقة؟ قال: نعم». [والحديث رواه الإمام أحمد في أول مسند الكوفيين برقم ١٨٤٦٤ بنحو من لفظ مسلم] ورواه الدارمي في فضائل القرآن برقم ٣١٨٢:

«عن زيد بن أرقم قال: قام رسول الله ﷺ يومًا خطيبًا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «يا أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيبه وإني تارك فيكم الثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فتمسكوا بكتاب الله وخذوا به فحث عليه ورغب فيه ثم قال: وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، ثلاث مرات».

وروى الإمام أحمد في مسنده في باقي مسند الأنصار برقم ٢٢٤٦١:

«عن رياح بن الحارث قال جاء رهط إلى علي بالرحبة فقالوا: السلام عليك يا مولانا؛ قال كيف أكون مولاكم وأنتم قوم عرب؟ قالوا: سمعنا رسول الله ﷺ يوم غدير خُمٍّ يقول: «من كنت مولاه فإن هذا مولاه»، قال رياح: فلما مضوا تبعتهم فسألت: من هؤلاء؟ قالوا: نفر من الأنصار فيهم أبو أيوب الأنصاري، حدثنا أبو أحمد حدثنا حنش عن رياح بن الحارث قال: رأيت قومًا من الأنصار قدموا على علي في الرحبة فقال: من القوم؟ قالوا: مواليك يا أمير المؤمنين فذكر معناه».

وروى ابن ماجة في المقدمة برقم ١١٨: «عن عبد الرحمن عن سعد بن أبي وقاص قال: قدم معاوية في بعض حجاته فدخل عليه، سعد فذكروا عليًا فنال منه، فغضب سعد وقال تقول هذا لرجل سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كنت مولاه فعلي مولاه»؟ وسمعته يقول: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»، وسمعته يقول: «لأعطين الراية اليوم رجلاً يحب الله ورسوله».

[الصحيحة (٤/٣٣٥) ورواه مسلم بنحو من هذا اللفظ مطولاً]

وروى أحمد في مسند العشرة برقم ٩٠٦: عن سعيد بن وهب وعن زيد بن يُثَيْع قالا: نشد علي الناس في الرحبة: من سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خم إلا قام، قال: فقام مِنْ قِبَل سعيد

ستة ومِنْ قِبَل زيد ستة فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله ﷺ يقول لعلي رضي الله عنه يوم غدير خم: «أليس الله أولى بالمؤمنين»؟ قالوا: بلى، قال: «اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه».

هذه هي خطبة الغدير كما رواها أئمة السُّنَّة في الصحاح والمسانيد وقد أفردها بعضهم بالتصنيف كما فعل ابن جرير الطبري، وابن عساكر.

ولو كان الصحابة رضوان الله عليهم قد جحدوا وصية رسول الله ﷺ فَلِمَ لم يكتموا أمر هذه الوصية ويمنعوا هذه الروايات؟ ولماذا تناقلها علماء السنة جيلاً بعد جيل يتعبدون لله عز وجل بحب آل بيت النبي ﷺ ممتثلين وصيته ﷺ «أذكركم الله في أهل بيتي»؟

لقد عاش آل بيت النبي ﷺ في كنف الخلفاء الراشدين بخير حال، حتى وقعت الفتنة واقتتل الصحابة في الجمل وصفين، وتعرض بعض أهل البيت لكثير من الفتن بعد زوال الخلافة الراشدة، واستغل هؤلاء الروافض هذه الأجواء لبث سمومهم في الأمة الإسلامية فطعنوا على خير قرون الأمة، متوسلين بذلك للطعن في دين الله عز وجل، لأن الصحابة هم نقلة هذا الدين قرآنًا وسنةً، (قال أبو داود السجستاني: لما أتى الرشيد بشاكر رأي الزنادقة ليضرب عنقه قال: أخبرني لِمَ تعلمون المتعلم منكم أول ما تعلمونه الرفض والقدر؟ قال: أما قولنا بالرفض، فإننا نريد الطعن على الناقلة، فإذا بطلت الناقلة أوشك أن نبطل المنقول، وأما قولنا بالقدر فإنا نريد أن نجوز إخراج بعض أفعال العباد لإثبات قدر الله، فإذا جاز أن يخرج البعض جاز أن يخرج الكل).

[تاريخ بغداد جـ٥ ص٦٦]

لقد زعم بعض الأفاكين أن الصحابة حرفوا القرآن وحذفوا آيات الولاية والوصية لأمير المؤمنين علي رضي الله عنه وللأئمة من بعده، فضلا عن تحريف أقوال النبي ﷺ وسنته.

ومن الكذب الذي يروج له هؤلاء المزورون أن قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧].

نزلت في غدير خم، وقد بلغ النبي ﷺ أن عليًا هو الخليفة من بعده كما يزعم هؤلاء الأفاكون.

وزعموا أن قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥]، نزلت في علي رضي الله عنه وأنه تصدق بخاتمه وهو راكع في الصلاة، وأن الآية نص على ولاية علي وإمامته.

ومن تتبع إفك هؤلاء يجد العجب العجاب كقولهم إن آية الإكمال نزلت يوم الغدير، وهي قول الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ ومعلوم أنها نزلت على النبي ﷺ بعرفة في الموقف وأن النبي ﷺ أشهد الناس على البلاغ فقال: ألا هل بلغت؟ فقالوا نعم، فقال: «اللهم اشهد».

ويكفي للرد على كذب هؤلاء أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بايع الخلفاء الراشدين قبله، وكان بمثابة الوزير والمستشار لهم؛ ولما آلت إليه الخلافة ووقعت الفتنة وزعم الخوارج أنه لا يصلح للخلافة جعل يستشهد بالصحابة رضوان الله عليهم أن رسول الله ﷺ قال: من كنت مولاه فعلي مولاه؛ ولم يقل أمير المؤمنين يومًا: إن الصحابة قد غصبوا حقه في خلافة النبي، بل إنه توعد من طعن في الشيخين أبي بكر وعمر وجحد فضلهما وسابقتهما فقال: «من فضلني على أبي بكر وعمر جلدته حد الفرية»، وهذا ولده الحسن سبط رسول الله ﷺ يتنازل عن الخلافة بعد أن بايعه أهل العراق؛ ليجمع شمل المسلمين ويقطع دابر الفتنة؛ وصدق فيه قول النبي ﷺ: «إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين». [رواه البخاري]

فإذا كانت الإمامة عند هؤلاء هي أصل الأصول في الدين؛ فكيف تنازل الإمام عنها وهي أصل الدين؟ ولماذا لم يطالب بها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ويذكر الصحابة بوصية النبي ﷺ له.

ويكفي لرد إفك الروافض أنهم لم يتفقوا على أشخاص الأئمة واختلفوا فيهم اختلافا عظيما؛ ولو كان هناك نص لما اختلفوا.

لقد خرج زيد بن علي بن الحسين في خلافة هشام بن عبد الملك، والروافض يزعمون أن أخاه محمد الباقر هو الإمام المعصوم فكيف ساغ لزيد بن علي أن يخالف أخاه إن كان إمامًا؟ ولماذا لم يقل الباقر لأخيه أنا الإمام المعصوم فكيف تخرج وتدعو الناس إلى نفسك؟ وكذلك خرج محمد بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن الحسين أيام المأمون سنة مائتين هجرية ودعا إلى نفسه وبايعه أهل الحجاز ولكن الروافض يزعمون أن أخاه موسى الكاظم هو الإمام المعصوم، فكيف ساغ لمحمد بن جعفر الصادق أن يدعو الناس لنفسه لو كان يعلم أن أخاه هو الإمام؛ فكان الأولى أن يدعو لإمام زمانه، لو كان يعتقد أنه إمام الزمان المعصوم، ثم إن هؤلاء الأفاكين الذين يزعمون أن الزمان لا يجب أن يخلو من إمام، يعيشون منذ أكثر من ألف سنة بغير إمام ويزعمون أن إمامهم المعصوم غائب ويدعون الله عز وجل أن يعجل فرجه.

إن أعظم ما يرد هذه الفرية ما قاله الحسن بن الحسن لرجل ممن يغلو فيهم: ويْحكم أحبونا لله، فإن أطعنا الله فأحبونا، وإن عصينا الله فأبغضونا. فقال له الرجل: إنكم ذو قرابة رسول الله ﷺ وأهل بيته، فقال: ويحكم لو كان الله نافعًا بقرابة من رسول الله ﷺ بغير عمل بطاعته، لنفع بذلك من هو أقرب إليه منا أباه وأمه، والله إني لأرجو أن يؤتي المحسن منا أجره مرتين.

ثم قال: لقد أساء آباؤنا وأمهاتنا إن كان ما تقولون من دين الله ثم لم يخبرونا به، ولم يطلعونا عليه، ولم يرغبونا فيه، فنحن والله كنا أقرب منهم قرابة منكم، وأوجب عليهم حقا، وأحق أن يرغبونا فيه منكم، ولو كان الأمر كما تقولون، إن الله ورسوله اختار عليا لهذا الأمر، وللقيام على الناس بعده، إن كان علي لأعظم الناس خطيئة وجرمًا إذ ترك أمر رسول الله ﷺ أن يقوم فيه كما أمره، أو تعزر فيه إلى الناس، فقال له الرافضي: ألم يقل رسول الله ﷺ لعلي: «من كنت مولاه فعلي مولاه»؟

قال: أما والله لو كان رسول الله ﷺ يعني بذلك الإمرة والسلطان والقيام على الناس لأفصح لهم بذلك، كما أفصح لهم بالصلاة والزكاة وصيام رمضان وحج البيت، ولقال لهم أيها الناس إن هذا ولي أمركم بعدي فاسمعوا له وأطيعوا فما كان من وراء هذا شيء، فإن أنصح الناس كان للمسلمين رسول الله ﷺ.

[أخرجه ابن سعد في الطبقات جـ٥ ص٣١٩ - ٣٢٠، وابن عساكر في تاريخ دمشق، والمزي في تهذيب الكمال بسند صحيح، قال المزي: وهذا من أصح الأسانيد وأعلاها]

وما أجمل ما قاله زيد بن علي بن الحسين: البراءة من أبي بكر وعمر وعثمان براءة من علي، والبراءة من علي براءة من أبي بكر وعمر وعثمان.

ولكن الروافض أقاموا دينهم ومعتقدهم على الوقيعة في هؤلاء الأكابر المبشرين بالجنة على لسان الصادق المصدوق الذي لا ينطق على الهوى.

أما أهل السنة فيحبون الجميع، ويتولونهم ويترضون عنهم ويتابعونهم بإحسان كما قال الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر:١٠].

قال سفيان الثوري: (لا يجتمع حب عثمان وعلي إلا في قلوب نبلاء الرجال).

[تاريخ بغداد جـ٥ ص٢١٩]

وما أروع قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لسيدة نساء العالمين فاطمة بنت رسول الله عليها وعلى أبيها السلام: (يا بنت رسول الله ﷺ: ما كان أحد من الناس أحب إلينا من أبيك، وما أحد بعد أبيك أحب إلينا منك).

[تاريخ بغداد جـ٥ ص١٦٨]

فاللهم إنا نشهدك ونشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك أنك أنت الله لا إله إلا أنت وأن محمدًا عبدك ورسولك، وأننا نحب أصحاب نبيك رضوان الله عليهم أجمعين، ونتقرب إليك بمودة آل بيت نبيك صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ولا نرى الوقيعة في أحد منهم، ولا نخوض فيما شجر بينهم، ونرجوا أن يحشرنا الله عز وجل معهم فالمرء مع من أحب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عقيدة الشافعي

إعداد
د. جمال المراكبي
الرئيس العام
WWW.ELMARAKBY.COM

الحمد لله، والصلاة والسلام على خير خلق الله، وعلى آله وصحبه، وبعد:

فقد سبق أن تكلمنا عن أصول السنة والعقائد المتفق عليها عند أئمة أعلام الأمة، وسيراً على هذا النهج نتكلم عن عقائد بعض أعيان العلماء، ونبدأ في هذا اللقاء بالحديث عن عقيدة الإمام الشافعي.

محمد بن إدريس الشافعي إمام جليل عظيم القدر، قال عنه الذهبي: الإمام عالم العصر ناصر الحديث فقيه الملة أبو عبد الله القرشي ثم المطلبي الشافعي المكي، الغزي المولد، نسيب رسول الله ﷺ وابن عمه، فالمطلب هو أخو هاشم والد عبد المطلب. وقال عنه الخطيب البغدادي: الإمام زين الفقهاء وتاج العلماء.

أثر الشافعي في الأمة

وقد صنف العلماء في مناقبه المصنفات، وأثر الشافعي في الأمة عظيم، فهو مجدد القرن الثاني بعد عمر بن عبد العزيز، وهو الذي نصر السنة والحديث، وأول من صنف في أصول الفقه وانتشرت أقواله في ربوع الأرض وكثر مادحوه وصار للمذهب الشافعي مدرسة من أكبر المدارس الفقهية إلى يومنا هذا.

وكان الشافعي فقيهاً أديباً شاعراً حسن العشرة، اختلف ذات يوم مع أحد جلسائه في مسألة ثم انفض المجلس فإذا به يأتي دار صاحبه ويقرع بابه ليقول له: ألا يسعنا أن نكون إخواناً وإن اختلفنا في مسألة ؟

وعاتب مرةً صديقاً بلغه عنه شيء فكتب إليه:

اذهب فإنك من وادي طالقٌ
لا طالقٌ مني طلاق البينِ
فإن ارعويت فإنها تطليقةٌ
ويُقيم وُدُّكَ لي على ثنتينِ
وإن اعوججت شفعتُها بمثالها
فيكون تطليقين في قُرءَيْنِ
وإن الثلاث أتتك مني بَتَّةً
لم يُغنِ عنك شفاعةُ الثقلينِ

وليس مرادي أن أترجم للإمام الشافعي فتراجمه كثيرة، ولكن مرادي أن أتحدث عن عقيدته لأن الناس يتحدثون عن مذهبه الفقهي فيكثرون، ولا أرى أحداً من الشافعية يتحدث عن معتقد هذا الإمام، بل إن اللافت للنظر أن أكثر الشافعية يعلنون دائماً أبداً أنهم في باب العقائد أشاعرة، فينتسبون للشافعي في فروع الدين، وينتسبون للأشعري في أصول الدين وهذا يجعل الباحث في حيرة، ويثير عديداً من التساؤلات هل كان الشافعي أشعريًا؟؟

هذا محال لأن الأشعري كان بعد وفاة الشافعي، فهل كان الشافعي إماماً في الفقه، ولم يكن إماماً في أصول الدين، وما هو المنقول عن هذا الإمام في باب العقيدة ؟ ويجد الباحث صعوبة في تحرير هذه المسألة.

تعرض الشافعي في حياته للهمز والطعن

لقد تعرض الشافعي في حياته للهمز والطعن في

عقيدته، وتعرض لشكاية ظالمة حُمل بسببها إلى الخليفة العباسي فبرأه الله مما قالوا، وكان عند الله وعند الناس وجيهاً، ونسبه بعض النواصب للرافضة ظلماً وزوراً لأنه يعلن حبه لآل بيت رسول الله ﷺ فقال في ذلك:

إن كان رفضاً حُبُّ آل محمد
فليشهد الثقلان أني رافضي

تعرض بعض متعصبي الحنفية للشافعي

قال ابن كثير: ليس برفض حب آل محمد، وكان أهل السنة يحبون محمداً ﷺ وآله ويجب عليهم ذلك كما يجب عليهم حب أصحاب رسول الله ﷺ أجمعين.

وتعرض للشافعي بعض متعصبي الحنفية فوضع حديثاً في فضل أبي حنيفة وذم الشافعي ونسبه إلى رسول الله ﷺ كذباً فقال: سيكون في أمتي رجل يقال له أبو حنيفة هو سراج أمتي، وسيكون في أمتي رجل يقال له محمد بن إدريس فتنته على أمتي أضر من فتنة إبليس.

[ذكره الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد]

ورد بعض متعصبي الشافعية بمثل ذلك، ومما يروى في هذا قول بعضهم:

مثل الشافعي في العلماء
مثل البدر في نجوم السماء
قل لمن قاسه بنعمان جهلاً
أيُقاس الضياءُ بالظلماء

الشافعي لم يكتب عقيدته

وإذا كان الشافعية لم ينقلوا لنا معتقداً منسوباً إلى الشافعي كما نُقل عن أحمد بن حنبل معتقده، فهذا لأن الشافعي لم يكتب عقيدته، وما كان العلماء يكتبون عقائدهم إلا بعد ظهور فتنة المعتزلة الجهمية، وحملهم الناس على البدعة والقول بخلق القرآن، وثبات إمام أهل السنة في وجه هذه البدعة حتى رد الله كيدهم في نحورهم فكتب علماء السنة محذرين من عقائد المبتدعة مبينين للناس المعتقد الحق الموافق للسنة.

وقد نُقل عن الشافعي مسائل متفرقة في العقيدة تدل على عقيدته ومذهبه منقولة في تراجمه.

وقد سُئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن رجلين اختلفا في الاعْتِقَادِ. فَقَالَ أَحَدُهُمَا: مَنْ لاَ يَعْتَقِدُ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي السَّمَاءِ فَهُوَ ضَالٌّ. وَقَالَ الآخَرُ: إنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لاَ يَنْحَصِرُ فِي مَكَانٍ وَهُمَا شَافِعِيَّانِ فَبَيِّنُوا لَنَا مَا نَتَّبِعُ مِنْ عَقِيدَةِ «الشَّافِعِيِّ» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَمَا الصَّوَابُ فِي ذَلِكَ ؟

معتقد الشافعي لا يختلف عن معتقد سلف الأمة

فأجاب: الْحَمْدُ لِلَّهِ اعْتِقَادُ الشَّافِعِيِّ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- هُوَ اعْتِقَادُ «سَلَفِ الإِسْلاَمِ» كَمَالِكِ وَالثَّوْرِيِّ وَالأَوْزَاعِي وَابْنِ الْمُبَارَكِ وَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَإِسْحَاقَ بْنِ رَاهويه ؛ وَهُوَ اعْتِقَادُ الْمَشَايِخِ الْمُقْتَدَى بِهِمْ كالفضيل بْنِ عِيَاضٍ وَأَبِي سُلَيْمَانَ الدَّارَانِي وَسَهْلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ التستري وَغَيْرِهِمْ. فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ هَؤُلاَءِ الأَئِمَّةِ وَأَمْثَالِهِمْ نِزَاعٌ فِي أُصُولِ الدِّينِ. وَكَذَلِكَ أَبُو حَنِيفَةَ- رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ- فَإِنَّ الاِعْتِقَادَ الثَّابِتَ عَنْهُ فِي التَّوْحِيدِ وَالْقَدَرِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مُوَافِقٌ لاِعْتِقَادِ هَؤُلاَءِ وَاعْتِقَادُ هَؤُلاَءِ هُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَهُوَ مَا نَطَقَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ. قَالَ الشَّافِعِيُّ فِي أَوَّلِ خُطْبَةِ «الرِّسَالَةِ»: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هُوَ كَمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ وَفَوْقَ مَا يَصِفُهُ بِهِ خَلْقُهُ. فَبَيَّنَ- رَحِمَهُ اللَّهُ- أَنَّ اللَّهَ مَوْصُوفٌ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ .اهـ

وذكر رحمه الله في القصيدة المنسوبة إليه في السُّنة قوله:

هذا اعتقادُ الشافعيِّ ومالك
وأبي حنيفة ثم أحمدَ يُنْقَلُ
فإن اتبعتَ سبيلَهم فموفقٌ
وإن ابتدعت فما عليك مُعَوَّلُ

وقد صنف بعض الفضلاء في عقيدة الشافعي مصنفات لم تُنقل إلينا وقد جاء في ترجمة الحافظ عبد الغني المقدسي المتوفى سنة ٦٠٠ هـ أن له مصنفاً بعنوان عقيدة الشافعي.

[ذيل طبقات الحنابلة]

وذكر الذهبي في ترجمة الشافعي أن الهكاري له كتاب في عقيدة الشافعي روى فيه بإسناده

عن يونس بن عبد الأعلى قال: سمعت الشافعي يقول: وقد سُئل عن صفات الله تعالى وما يؤمن به فقال: لله أسماء وصفات جاء بها كتابه، وأخبر بها نبيه ﷺ أمته، لا يسع أحداً قامت عليه الحجة ردها، لأن القرآن نزل بها وصح عن رسول الله ﷺ القول بها، فإن خالف ذلك بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر، فأما قبل ثبوت الحجه فمعذور بالجهل، لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا بالروية والفكر، ولا نكفر بها أحداً إلا بعد انتهاء الخبر إليه بها، ونُثبت هذه الصفات، وننفي عنه التشبيه، كما نفاه عن نفسه فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

[سير اعلام النبلاء جـ١٠ صـ٧٩-٨٠]

وما نقله ابن تيمية وابن القيم والهكاري يدل على أن معتقد الشافعي في الأسماء والصفات لم يكن يختلف عن عقيدة إخوانه من العلماء المتبعين للأثر، خاصة وأن الشافعي كان معروفاً بنصرته للسنة وحرصه على اتباع الأثر حتى قال عنه أحمد بن حنبل: ما رأيت أحداً أتبع للأثر من الشافعي.

وسوف أنقل لك- حفظك الله- طرفاً من أقوال الشافعي في مسائل الإيمان والقدر والقول في القرآن والقول في الصحابة وغيرها من المسائل ليتبين لك أن معتقد الشافعي هو معتقد أهل السنة والجماعة المتبعين للأثر، المنكرين على المتكلمين والفلاسفة ما ابتدعوه في أصول الدين.

أقوال الشافعي في الإيمان

قال السبكي في طبقات الشافعية جـ١ صـ١٣٠: وإلى مذهب السلف ذهب الإمام الشافعي ومالك وأحمد والبخاري وطوائف من الأئمة المتقدمين والمتأخرين. اهـ

ومذهب السلف أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص وأن الأعمال تدخل في مسمى الإيمان خلافاً للمرجئة.

وقد نقل البيهقي وابن عبد البر عن الربيع بن سليمان قال: سمعت الشافعي يقول: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص.

والمنقول عن الشافعي في هذا الباب يطول ذكره

والعجيب أن السبكي نقل في طبقاته أن أبا حنيفة والأشعري خالفا في هذه المسالة وقالا: الإيمان هو التصديق، وأن المشهور من مذهب الأشعري أنه لا يقبل الزيادة والنقص، وذكر عدداً ممن خالف من الأشاعرة الذين وافقوا السلف، ومع ذلك فقد حاول الانتصار لرأي الأشعري وترجيحه، ثم حاول رفع الخلاف في المسالة زاعما أنه خلاف لفظي.

٢- قوله في القدر:

سُئل الشافعي عن القدر فقال:

ما شئتُ كان وإن لم أشأ
ومنهم قبيحٌ ومنهم حسن
خلقت العباد عليما علمتَ
وهذا أعنتَ وذا لم تُعن
على ذا منَنتَ، وهذا خذلتَ
ففي العلم يجري الفتى والمسن
فمنهم شقيٌ ومنهم سعيدٌ
وما شئتُ إن لم تشا لم يكن

[مناقب الشافعي للبيهقي - وشرح أصول اعتقاد أهل السنة]

وقال رحمه الله: مشيئة العباد هي إلى الله تعالى ولا يشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين، فإن العباد لم يخلقوا أعمالهم، وإنَّ القدر خيره وشره من الله عز وجل، وإن عذاب القبر حق، ومسألة أهل القبور حق، والبعث حق، والحساب حق، والجنة والنار حق، وغير ذلك مما جاءت به السنن. [مناقب الشافعي]

وقال: القدرية الذين قال رسول الله ﷺ: «هم مجوس هذه الأمة» الذين يقولون إن الله لا يعلم المعاصي حتى تكون. [مناقب الشافعي]

قول الشافعي في القرآن

قال رحمه الله: من قال القرآن مخلوق فهو كافر. [شرح أصول اعتقاد أهل السنة]

وذكر عنده رجل من الجهمية فقال: أنا مخالف له في كل شيء وفي قوله لا إله إلا الله، أنا

أقول: لا إله إلا الذي كلم موسى تكليماً من وراء حجاب وهو ويقول: لا إله إلا الذي خلق كلاماً أسمعه موسى من وراء حجاب. [ابن عبد البر، والبيهقي]

قول الشافعي في الصحابة

قال رحمه الله: أثنى الله تبارك وتعالى على أصحاب رسول الله ﷺ في القرآن والتوراة والإنجيل وسبق لهم على لسان رسول الله ﷺ من الفضل ما ليس لأحد بعدهم، فرحمهم الله وهناهم بما آتاهم من ذلك ببلوغ أعلى منازل الصديقين والشهداء والصالحين، فهم أدوا إلينا سُنن رسول الله ﷺ وشاهدوه والوحي ينزل عليه، فعلموا ما أراد رسول الله ﷺ عاماً وخاصاً وعزماً وإرشاداً، وعرفوا من سنته ما عرفنا وجهلنا، وهم فوقنا في كل علم واجتهاد، وورع وعقل وآراؤهم لنا أحمد وأولى من آرائنا عندنا لأنفسنا والله أعلم.

وأخرج البيهقي عن ربيع بن سليمان قال: سمعت الشافعي يقول في التفضيل: أبو بكر وعمر وعثمان وعلى.

وأخرج البيهقي عن محمد بن عبد الله بن الحكم قال: سمعت الشافعي يقول: أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي .؟

ومن شعره في الصحابة ما رواه صاحب المناقب وصاحب الطبقات عن المزني:

شهدت بأن اللهَ لا ربَّ غيرُهُ
وما لسفيه لا يُجابُ فيُخْرَصُ
وأن عُرَى الإيمان قولٌ مُبَيَّنٌ
لحا اللهُ من إياهمُ يتنقَّصُ
وأن أبا بكرٍ خليفةُ أحمدٍ
وأن عليًا فضلُهُ متخصصُ
وأشهدُ ربي أن عثمانَ فاضلٌ
وكان أبو حفصٍ على الخيرِ يحرصُ
أئمةُ قومٍ يُهتدى بهداهمُ
وفعل زكي قد يزيدُ وينقصُ
فما لغواةٍ يشتمونَ سفاهةً
وأشهدُ أن البعثَ حقٌ وأخلَصُ

قوله في الرؤية

قال الشافعي: في كتاب الله عز وجل: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] دلالة على أن أولياءه يرونه على صفته. وفي رواية: دلالة على أن أولياءه يرونه يوم القيامة بأبصارهم. [الإبانة جـ٣ صـ٥٩ - الاعتقاد للبيهقي صـ ٦٣ - اللالكائي شرح أصول الاعتقاد حـ ٨٨٣ - وابن كثير في ترجمة الشافعي]

قوله في ما ورد في الحديث من صفات الله عز وجل

عن يونس بن عبد الأعلى قال: سمعت الشافعي يقول: ما صح أن رسول الله ﷺ قاله فلا يقال له لِمَ وكيف. [الإبانة جـ٣ صـ٢٠٣ الرد على الجهمية]

وعن الربيع بن سليمان قال: قال الشافعي رحمه الله: وليس في سنة رسول الله ﷺ إلا اتباعها بفرض الله عز وجل والمسالة بكيف في شيء قد ثبتت فيه السنة لا يسع عالماً.

قوله في أهل البدع وأصحاب الكلام

قال الشافعي: ما رأيت أحداً ارتدى شيئاً من الكلام فأفلح.

وقال: لو أردت أن أضع على كل مخالف كتاباً كبيراً لفعلت، ولكن ليس الكلام من شأني، ولا أحب أن ينسب إلى منه شيء.

وأخرج الهروي عن يوسف بن يحيى البوطي قال: سألت الشافعي أأصلي خلف الرافضي ؟ قال: لا تصل خلف الرافضي ولا القدري ولا المرجيء، قلت: صفهم لنا، قال: من قال:الإيمان قول فهو مرجيء، ومن قال إن أبا بكر وعمر ليسا بإمامين فهو رافضي، ومن جعل المشيئة إلى نفسه فهو قدري.

وبعد.. فهذه نبذ مختصرة من أقوال الشافعي حررها من نقل مذهبه وكتب في فضائله، فهل يقال بعد ذلك إلا أن الشافعي كان كسابقيه من أئمة السلف وعلى معتقدهم؟ وهل يُقبل من أحد بعد ذلك أن يقول أنا شافعي المذهب أشعري المعتقد ؟!

والحمد لله رب العالمين.

شجرة الخرافة والغلو في الدين

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وبعد:

فمن المضحكات المبكيات في هذا الزمان تلك الشجرة التي التف الناس حولها فجأة ونسجوا حولها الأساطير، وقديما قال الشاعر:

وكم ذا بمصر من المضحكات
ولكنه ضحك كالبُكا

إعداد
د. جمال المراكبي
الرئيس العام
WWW.ELMARAKBY.COM

شجرة عتيقة موجودة في مكانها شرق مدينة القاهرة منذ سنوات طويلة، وفجأة اكتشف أحد الجنود بمعسكر الأمن المركزي المجاور لها أن الشجرة مكتوب على ساقها لفظ الجلالة «الله» واسم النبي «محمد» ﷺ، وتحدث الناس بذلك في موقف السيارات المجاور، واشتد الزحام عند الشجرة وتوقف الطريق السريع الذي يربط القاهرة بالإسماعيلية، وأصبح الناس يتحدثون عن تلك الآية، ويبالغون في وصفها بما لا يقبله عقل، فهذا يقول: الشجرة تفوح برائحة المسك وهذا يقول: سالت الدماء من الشجرة المباركة.

والناس يتهافتون حول الشجرة يصورونها بأجهزة المحمول ويزعمون أنها آية وكرامة، وما العجيب في هذا والأمة في زمن الغثائية تعيش فترة من الفتن وتتخبط في أمرها وتحيا على الخرافات والأباطيل.

وأصبح لزامًا على دعاة التوحيد أن يكثفوا الجهود لوأد الخرافة في مهدها، ورد الناس بالحكمة إلى صحيح الدين ومنهاج السنة، والدعوة إلى التوحيد الخالص ونبذ البدع والضلالات، ولقد حذرنا من هذه البدعة من خلال حديثنا على المنبر وفي التلفاز، وكان لابد لمجلة التوحيد مجلة أنصار السنة أن تتقدم في هذا الميدان الذي برزت فيه منذ نشأتها.

شجرة وشجرة

ونقول للمفتونين بالخرافة والبدعة: اقرأوا واسمعوا وتعلموا، وقارنوا بين هذه الشجرة التي نسجتم حولها الأساطير، وهي شجرة كسائر الشجر، كتب عليها أحد الناس ما كتب، ومع هذا فقد تعلق بها كثيرون جهلاً وسفهًا، وبين شجرة ذكرها الله تعالى في كتابه وبايع النبي ﷺ خير أهل الأرض من المؤمنين تحتها، بيعة الرضوان بالحديبية، وكان رسول الله ﷺ قد خرج في أصحابه من المدينة محرمين يريدون الطواف ببيت الله الحرام والسعي بين الصفا والمروة تصديقًا لرؤيا رآها النبي ﷺ في منامه، وصدق الله عز وجل رسوله الرؤيا، ولكن المشركين أبوا أن يدخل النبي ﷺ وأصحابه مكة وعزموا على قتالهم وصدهم عن البيت الحرام، فبعث رسول الله ﷺ عثمان بن عفان يفاوضهم ويقنعهم ألا يحولوا بين النبي ﷺ وأصحابه وبين ما يريدون فإنهم لا يريدون قتالاً، وإنما جاءوا معظمين لله عز وجل ومعظمين لشعائر الله، وما كانت قريش في جاهليتها تمنع أحدًا من تعظيم بيت الله والطواف به، فكيف يمنعون محمدًا ﷺ وأصحابه وهم أولى الناس بهذا البيت، وتأخر عثمان وأشيع بين المسلمين أن قريشًا قتلته، عند ذلك بايع رسول الله ﷺ أصحابه على القتال حتى الموت، وكانوا ألفا وأربعمائة أو أربع عشرة مائة على حد تعبير البراء بن عازب رضي الله عنهم أجمعين، ثم ظهرت الحقيقة، وعاد عثمان بن عفان رضي الله عنه سالمًا وجاءت معه الوفود لتفاوض النبي ﷺ وصالح النبي ﷺ قريشًا على أن تضع الحرب عشر سنين وأن يرجع النبي ﷺ وأصحابه من الحديبية إلى المدينة وأن يعودوا للعمرة في العام المقبل، وشق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ ورضوان الله

عليهم حتى أنزل الله على نبيه ﷺ سورة الفتح، فكانت الحديبية فتحًا مبينًا للإسلام وأهله كما ذكر ربنا عز وجل ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا (١) لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (٢) وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا (٣) هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (٤) لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح: ١-٥].

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح:١٠].

﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح: ١٨].

لقد كانت الحديبية فتحًا مبينا كما قال الله عز وجل.

قال البراء: تعدون أنتم الفتح فتح مكة، وقد كان فتح مكة فتحًا، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية. [البخاري ك المغازي غزوة الحديبية ح٣٨٣٥]

وقال جابر بن عبد الله: قال لنا رسول الله ﷺ يوم الحديبية أنتم خير أهل الأرض وكنا ألفا وأربعمائة ولو كنت أبصرُ اليوم لأريتكم مكان الشجرة. [البخاري٣٨٣٩]

شجرة وبيعة

شجرة ذكرها الله سبحانه في كتابه، شجرة بايع النبي ﷺ المؤمنين تحتها، شجرة نزلت السكينة على المؤمنين في ظلها، لابد أن يكون لهذه الشجرة شأنٌ وأن يعرفها الصحابة، لتذكرهم بفضل الله عليهم، كان لابد أن يجعلوا عليها سياجًا يحميها، وأن يأتوا من حين لآخر ليزوروها، ويحتفلوا في ظلها، ويُصلون لله تعالى عندها شكرًا لله على نعمته وفضله.

ولكن العجيب والغريب أن الصحابة لم يفعلوا شيئًا من هذا، ولم يفكروا فيه، ولم يحثهم رسول الله ﷺ على هذا، أتدرون لماذا؟

لأن منطقهم بخلاف منطقنا، لأن قلوبهم العامرة بالإيمان ليس فيها مكان لتعظيم غير الله، لأن حياتهم العامرة بالجهاد في سبيل الله ليس فيها وقت لهذه الخزعبلات، بخلاف غيرهم.

روى البخاري بسنده عن طارق بن عبد الرحمن قال: انطلقت حاجًا فمررت بقوم يصلون. قلت: ما هذا المسجد؟

قالوا: هذه الشجرة حيث بايع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان.

قال: فأتيت سعيد بن المسيب فأخبرته. فقال سعيد: حدثني أبي أنه كان فيمن بايع رسول الله ﷺ تحت الشجرة، قال: فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها فلم نقدر عليها.

فقال سعيد: إن أصحاب محمد ﷺ لم يعلموها، وعلمتموها أنتم!! فأنتم أعلم!!! [ح٣٨٤٥]

وفي رواية عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: فرجعنا إليها العام المقبل فعميت علينا. [ح٣٨٤٦]

ولكن الناس ظلوا على هذه البدعة يصلون عند شجرة زعموا أنها شجرة الرضوان مع أن أهل العلم من الصحابة والتابعين أنكروا عليهم ذلك، فما كان من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلا أن قطعها ليسد الذريعة إلى تعظيم الأشجار والآثار مما يجر إلى الشرك.

عن نافع قال: كان الناس يأتون الشجرة التي يقال لها شجرة الرضوان فيصلون عندها، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب، فأوعدهم فيها، وأمر بها فقطعت.

[طبقات ابن سعد جـ٢ ص١٠٠]

وذلك لأن تعظيم الآثار من طريقة الجاهلية، واتباع سنن من كان قبلنا، لا من

نقول للمفتونين بالخرافة والبدعة: اقرأوا واسمعوا وتعلموا وقارنوا بين هذه الشجرة التي نسجتم حولها الأساطير وبين الشجرة التي ذكرها الله في كتابه

طريقة النبي ﷺ وهديه، بل كان النبي ﷺ ينهى عنه ويحذر منه.

روى الترمذي بإسناده عن أبي واقد الليثي واسمه الحارث بن عوف أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى حنين مَرَّ بشجرة للمشركين يقال لها ذات أنواط يعلقون عليها أسلحتهم.

فقالوا: يا رسول الله: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال النبي ﷺ: «سبحان الله، هذا كما قال قوم موسى اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة، والذي نفسي بيده لتركبن سنن من كان قبلكم».

[قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح ك الفتن ح٢١٠٦]

وفي رواية: «خرجنا مع رسول الله إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم...». الحديث.

لقد حذر النبي ﷺ أمته من الغلو في الدين فقال في حجة الوداع بعد أن نزلت عليه آية الكمال ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا ﴾ [المائدة:٣]

«إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين».

والغلو في الدين سمة من كان قبلنا ممن غيروا وبدلوا قال تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُوا ثَلاَثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً ﴾ [النساء]

لأجل هذا حذرنا نبينا ﷺ من الغلو ومن المبالغة في الإطراء والمدح ولو كان الممدوح هو سيد ولد آدم وصاحب الشفاعة العظمى والمقام المحمود والحوض المورود صلوات ربي وسلامه عليه فقال: «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، فإنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله». [متفق عليه]

لقد ضل كثير من بني آدم بسبب الغلو في الدين، ووجد الشيطان الرجيم في هذا الغلو بابًا عظيمًا للإغواء والضلال وتدنيس الفطرة السليمة بأوحال الشرك والكفر، لقد عاش بنو آدم مع أبيهم آدم حياة الإيمان والطاعة حتى أخرجهم الشيطان من النور إلى الظلمات ومن الهدى إلى الضلال، فلما أرسل الله إليهم رسوله نوحًا ﷺ ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ رفضوا ذلك ﴿ وَقَالُوا لاَ تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلاَ تَذَرُنَّ وَدًّا وَلاَ سُوَاعًا وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ قال تعالى: ﴿ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا ﴾.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد، أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع فكانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجرف عند سبأ، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع. أسماء رجال صالحين من قوم نوح عمل كما قال رسول الله ﷺ ومن شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من عمل». وفي رواية: «من أي أبواب الجنة الثمانية شاء». [متفق عليه]

ومن عجب هذا الزمان أن يتبجح سفيه جاهل متعالم يزعم أن عقيدة التثليث هي الحق من ربنا، ثم يقول في غباء متناهٍ إن التثليث موجود في القرآن الكريم ثم يقرأ هذه الآية قراءة جاهل بالتلاوة جاهل بالمعنى ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾ ويقول: أليس هذا تثليثًا؟ ونقول لهذا ولمن يدندن معه:

﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُوا ثَلاَثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً ﴾.

فالذي جاء به الرسول ﷺ هو النور المبين والبرهان الساطع والشريعة السمحة كما قال ربنا عز وجل ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا (١٧٤) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾ [النساء]

لأجل هذا حذرنا نبينا ﷺ من الغلو ومن المبالغة في الإطراء والمدح ولو كان الممدوح هو سيد ولد آدم وصاحب الشفاعة العظمى والمقام المحمود والحوض المورود صلوات ربي وسلامه عليه فقال: «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، فإنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله». [متفق عليه]

لقد ضل كثير من بني آدم بسبب الغلو في الدين، ووجد الشيطان الرجيم في هذا الغلو بابًا عظيمًا للإغواء والضلال وتدنيس الفطرة السليمة بأوحال الشرك والكفر، لقد عاش بنو آدم مع أبيهم آدم حياة الإيمان والطاعة حتى أخرجهم الشيطان من النور إلى الظلمات ومن الهدى إلى الضلال، فلما أرسل الله إليهم رسوله نوحًا ﷺ ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ رفضوا ذلك ﴿ وَقَالُوا لاَ تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلاَ تَذَرُنَّ وَدًّا وَلاَ سُوَاعًا وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ قال تعالى: ﴿ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا ﴾.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد، أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع فكانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجرف عند سبأ، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع. أسماء رجال صالحين من قوم نوح

فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت». [رواه البخار ك التفسير ح٤٩٢٠]

ومثل هذا ما يلقيه الشيطان من فتنة في باب الرقى والتمائم حتى قال النبي ﷺ: «إن الرقى والتمائم والتولة شرك» وقال: «من تعلق شيئًا وكل إليه» [ت حسن]

قالت زينب الثقفية امرأة عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما: إن عبد الله بن مسعود رأى في عنقي خيطًا، فقال: ما هذا؟ قلت: خيط رُقي لي فيه. قالت: فأخذه ثم قطعه ثم قال: أنتم آل عبد الله لأغنياء عن الشرك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الرقى والتمائم والتولة شرك». قالت: لقد كانت عيني تقذف، وكنت أختلف إلى فلان اليهودي، فإذا رقى سكنت.

فقال: إنما ذاك عمل الشيطان، كان ينخسها بيده، فإذا رقى كف عنها، إنما كان يكفيك أن تقولي كما كان رسول الله ﷺ يقول: «أذهب البأس رب الناس واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاءً لا يغادر سقمًا».

[أبو داود وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه الذهبي والألباني]

نقول هذا لهؤلاء الذين يسعون خلف الدجالين والمشعوذين والمعالجين.

الغلو في التكفير

ومن الغلو الذي حذرنا منه رسول الله ﷺ الاجتراء على تكفير المسلم بغير بينة وبغير حق، قال رسول الله ﷺ: «من قال لأخيه يا كافر باء بها أحدهما». وفي رواية: «إما أن يكون كما قال، وإلا حارت - رجعت عليه».

وقصة أسامة بن زيد حين قتل الرجل الذي قاتل المسلمين وطارده أسامة ليقتله، فلما رأى الرجل شعاع السيف قال: لا إله إلا الله، فقتله أسامة، فلما علم رسول الله ﷺ قال: أقتلته بعد ما قالها؟». فماذا تفعل بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة. مشهورة، أقول هذا لأني قرأت مقالاً على موقع إخوان أون لاين بعنوان اخلع إسلامك تعش آمنا، ثم يردد الكاتب القول ويفصله فيقول: لا مفر إذن من خلع الإسلام حتى ترضى عنك السلطة، وكتاب لاظوغلي، واليسار المتأمرك وأهل الهوى وأصحاب البلد. وإذا لم تخلع إسلامك فيجب أن تدفع الثمن غاليًا.

ويذكر الكاتب في مقاله أن هناك من يحاول جمع مليون توقيع لحذف المادة الثانية من الدستور.

ولست أدري من أين حصل الكاتب على هذا الإحصاء العجيب؟ وهل يتم تعديل الدستور في بلدنا بجمع التوقيعات؟ وهل الذين يعيشون في هذا البلد بعيدًا عن صراع السلطة الدائر بين الإخوان المسلمين وبين التيارات السياسية الأخرى وعلى رأسها الحزب الوطني الحاكم، هل هؤلاء الدين ينأون عن هذه الصراعات والصدامات قد خلعوا إسلامهم ليعيشوا في هذا البلد آمنين، وإن كانوا يمارسون الدعوة إلى الله عز وجل على بصيرة، ويدعون الناس جميعًا حكامًا ومحكومين عملاً بقول نبينا ﷺ الدين النصيحة.. لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم؟ [رواه مسلم]

وقول النبي ﷺ: «ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله والنصيحة للمسلمين، ولزوم جماعتهم فإن دعوتهم تحيط من ورائهم».

[الترمذي وقال حسن صحيح وابن ماجة والبغوي]

وقول النبي ﷺ: «إن الله يرضى لكم ثلاثًا ويسخط لكم ثلاثًا: يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا، وأن تناصحوا من ولى الله أمركم، ويسخط لكم قيل وقال، وإضاعة المال وكثرة السؤال». [رواه مسلم وأحمد]

لقد خاطبنا رئيس الجمهورية على صفحات مجلة التوحيد تحديدًا وتحدثنا عن المادة الثانية من الدستور وهؤلاء الذين يدعون لتعديلها ويكثرون الشغب حولها، وطالبنا رئيس الدولة بضرورة الإبقاء على هذه المادة، بل والعمل على تفعيلها على كافة المستويات، وهذا من باب النصيحة الواجبة لولاة الأمور، وقدر الله لي أن أجلس مع مسئول رفيع في مؤسسة الرئاسة وكلمته عن هذه المادة فأخبرني أنه لا يمكن لأحد المساس بها، وبالفعل طرح رئيس الجمهورية بعض مواد الدستور للتعديل، ولم يتم طرح هذه المادة، ولكن بعض الناس يحلو لهم دائما الصراخ والتشغيب.

لهذا أقول للمشغبين: ارفعوا أيديكم عن هذا الشعب فإنه معتز بدينه متمسك به، وأقول لهذا الكاتب: حنانيك؛ لا ترفع في وجوهنا سيف التكفير، وأقول لولاة الأمور ما قاله الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨].

وأقول لعموم المسلمين ما قاله الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [النساء: ٥٩].

وأختم بقول نبينا محمد ﷺ: «إنما الطاعة في المعروف».

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

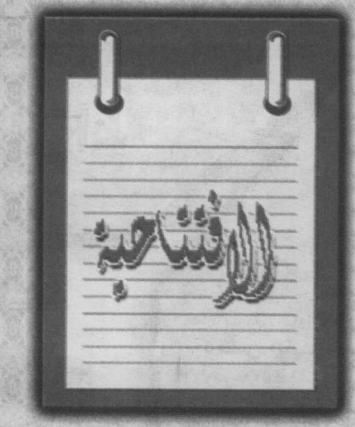

التعديلات الدستورية بين التأييد والمعارضة

الافتتاحية

إعداد
د. جمال المراكبي
الرئيس العام
WWW.ELMARAKBY.COM

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

لا شك أن الحراك السياسي الذي شغل الساحة السياسية في مصر منذ التعديل الدستوري الذي سمح بانتخاب رئيس الجمهورية انتخابًا مباشرًا دون اللجوء إلى طريقة الاستفتاء على المرشح الوحيد قد وصل إلى ذروته مع اقتراح تعديل بعض مواد الدستور وعرض هذه المواد على مجلسي الشعب والشورى لإقرار التعديل، ثم عرضها على الاستفتاء الشعبي، ولكن هذا الحراك ما لبث أن تحول إلى عداء وصراخ بين تيارين، تيار الحكومة ووسائل إعلامها، ويرى في هذه التعديلات أعظم فرصه في تاريخ مصر الحديث للنهوض بالبلاد وتحقيق الديمقراطية الحقيقية التي تسمح بتداول سلمي للسلطة، والتيار الثاني هو تيار الأحزاب المعارضة وجماعة الإخوان المسلمين الذين دعوا إلى مقاطعة الاستفتاء ورفض التعديلات ووصفوا يوم الاستفتاء بأنه يوم أسود في تاريخ مصر، وبين هؤلاء وأولئك تقف الأغلبية الصامتة تنظر إلى هذا الصراع ولا تشارك فيه، ربما تعتبره أمرًا لا يعنيها، لا يساهم في حل المشاكل الجذرية التي تعانيها، مع أن أطراف الصراع حاولوا التأثير على هذه الأغلبية الصامتة، وادعوا أنها تقف وراءهم وأنهم يمثلونها ويعبرون عنها، ورفع البوق الإعلامي لكلا التيارين عقيرته، حتى قام شيخ الأزهر يدعو المواطنين للإدلاء بأصواتهم والاستجابة لأمر الله عز وجل الذي حرم كتمان الشهادة فقال عز وجل ﴿وَلاَ تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ [البقرة: ٢٨٣]، وتساءل كثيرون ما موقف أنصار السنة من هذه التعديلات، وحاول البعض التأثير على بعض إدارات فروع أنصار السنة للانحياز لأحد هذين التيارين.

ونسي هؤلاء جميعًا أن جماعة أنصار السنة المحمدية منذ نشأتها قد آلت على نفسها ألا تنتصر لحزب أو تيار سياسي معين، سواء تبنته الحكومة أو تبنته قوى المعارضة، واعتبرت أنصار السنة المحمدية أن قضية التصحيح العقدي، ورد الناس إلى صحيح الدين، ومحاربة البدعة والخرافة هي قضيتها الأساسية، فالتصحيح العقدي يسبق التصحيح السياسي.

وليس معنى هذا أننا سلبيون أو أننا ندعو الناس إلى السلبية كما يروج الكثيرون، ولكن الحقيقة أننا لا نسمح لجماعتنا الدعوية أن تنجر إلى هاوية السياسة أو أن يلعب بها الساسة والفرقاء الحزبيون.

نحن ندعو المسلم إلى إيجابية تحكمها قواعد الشريعة الإسلامية وندعوه أن يشارك بإيجابية في هموم وطنه وقضاياه، ولكننا لا نسمح لأنفسنا ولا لجماعتنا أن تتبنى شعارًا سياسيًا أو أن تنضم إلى تيار سياسي أو فصيل سياسي مهما علا شأنه، لأننا اخترنا منذ اليوم الأول دعوة الجميع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بفهم سلف الأمة، واخترنا منذ اليوم الأول لدعوتنا منهج الدين النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن.

وقد يقول قائل: ما هذه النصيحة التي تتشدقون بها وتدندنون حولها، وما جدواها، وهل يرجى من ورائها إصلاحٌ أو خيرٌ ؟

ولهؤلاء نقول: النصيحة مصطلح شرعي ورد على لسان سيد ولد آدم ﷺ ووصفه بأجل وأعظم وصف فهو أس الدين، (الدين النصيحة).

والنصيحة كلمة يعبر بها عن جملة، وهذه الجملة هي إرادة الخير للمنصوح له، فهي كلمة ليس لها مرادف في لغة العرب، ولا يمكن ترجمتها في اللغات الأخرى بكلمة مثلها، ولكنها تترجم بجملة طويلة، ويجب على المجتمع المسلم أن يترجمها إلى واقع عملي وسلوك حضاري في التعامل مع غيره، فهي كلمة جامعة تتضمن قيام الناصح للمنصوح له بوجوه الخير إرادة وفعلاً.

وقد وردت هذه الكلمة بصيغة المفاعلة في قول رسول الله ﷺ : «ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مسلم، إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمور، ولزوم جماعة المسلمين» [رواه أحمد والحاكم وصححه الذهبي].

وفي قوله ﷺ : «إن الله يرضى لكم ثلاثًا ويسخط لكم ثلاثًا: يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا، وأن تناصحوا من ولى الله أمركم، ويسخط لكم: قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال» [مسلم].

وفي هذه الصيغة - مناصحة - ما يدل على وجوبها على كل فرد

ندعو المسلم إلى إيجابية تحكمها قواعد الشريعة الإسلامية، وأن يشارك في هموم وطنه وقضاياه، لكننا لا نسمح لأنفسنا أن نتبنى شعارًا سياسيًا أو أن ننضم إلى تيار سياسي مهما علا شأنه لأننا ندعو الناس إلى العمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

تعتبر جماعة أنصار السنة المحمدية أن رد الناس إلى صحيح الدين، ومحاربة البدعة والخرافة هي قضيتها الأساسية، فالتصحيح العقدي يسبق التصحيح السياسي.

مسلم تجاه المجموع كما أنها حق لكل فرد مسلم على مجموع المسلمين، لأجل هذا كان رسول الله ﷺ يبايع أصحابه على ممارسة هذه النصيحة وتحويلها إلى واقع عملي.

عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: «بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم». متفق عليه

وفي لفظ جامع قال: (بايعت رسول الله ﷺ على شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والسمع والطاعة والنصح لكل مسلم».

[البخاري كتاب البيوع ٢١٥٧].

فقرن النبي ﷺ شهادة التوحيد وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة بالسمع والطاعة في المعروف والنصح لكل مسلم حاكمًا أو محكومًا، وفي هذا الاقتران دلالة على عظمة المناصحة والسمع والطاعة حيث قرنها بأهم أركان الدين.

ولهذا وقف جرير بن عبد الله يوم مات المغيرة بن شعبة وكان أميرًا لبني أمية، فقام جرير فحمد الله وأثنى عليه وقال: «عليكم باتقاء الله وحده لا شريك له، والوقار والسكينة حتى يأتيكم أمير فإنما يأتيكم الآن، ثم قال: استغفروا لأميركم فإنه كان يحب العفو، ثم قال: أما بعد فإني أتيت النبي ﷺ قلت أبايعك على الإسلام فشرط علي: «والنصح لكل مسلم» فبايعته على هذا، ورب هذا المسجد إني لناصح لكم، ثم استغفر ونزل» [رواه البخاري آخر كتاب الإيمان].

فانظر أخي القارئ كيف حول جرير بن عبد الله رضي الله عنه هذه البيعة لواقع عملي ودرأ به فتنة كان من الممكن أن تقع بين المسلمين عندما يموت أمير في بلدة ما خاصة في أوقات الفتن، لقد كان جرير بن عبد الله إذا اشترى شيئًا أو باعه يقول لصاحبه اعلم أن ما أخذنا منك أحب إلينا مما أعطيناكه، فاختر (ابن حبان) واشترى غلام له فرسًا بثلاث مائه، فلما رآه جاء إلى صاحبة فقال: إن فرسك خير من ثلاث مائه، فلم يزل يزيده حتى أعطاه ثمان مائه.

(ذكره الطبري في ترجمته، ونقله الحافظ في الفتح).

وربما يقول البعض: هل نرجو الخير ووجوه الإصلاح من وراء هذه التعديلات كما يقول المروجون لها ؟ أم أن هذه التعديلات لن تضيف جديدًا، وربما يزداد الأمر سوءًا كما يردد المعارضون؟

والحق أننا نرجو الخير من جراء هذه التعديلات، ولكننا لا نبالغ في هذا الرجاء لأن العبرة في التطبيق لا في النصوص.

ونحن نعلم أن الرئيس السابق نص في دستور ١٩٧١ على أن مدة الرئيس لفترتين اثنتين، وأن التجديد للرئيس يكون لمدة واحدة، ولما مضت فترة رئاسته الأولى ودخل في الثانية قدم اقتراحًا بتعديل الدستور، وتم تعديل هذه المادة والنص فيها على أن يكون التجديد للرئيس لمدد تالية.

ونستطيع بالوقوف على السوابق التاريخية وخبرات الأمم الأخرى أن نؤكد على هذه الحقيقة وهي أن العبرة بالتطبيق لا بروعة النصوص وجلالها، وسنضرب لذلك الأمثال.

أولاً: إن المسلمين يمتلكون أعظم دستور يمكن أن تحيا به أمة من الأمم وهذا الدستور هو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم عليم ولكن أين هذا الدستور من واقع المسلمين العملي اليوم ؟ لقد ضيعه أكثر الناس إلا من رحم ربي عز وجل.

ثانيًا: كل الثورات والانقلابات التي شهدها العالم الإسلامي منذ زوال الخلافة الراشدة، وإلى يومنا هذا لم تحقق الخير للمسلمين، ولم ير المسلمون من جرائها إلا المزيد من التفرق والشتات وسفك الدماء المعصومة، وشق عصا الطاعة والخروج على الجماعة، لأنها إما أن تفشل ويترتب على فشلها مزيدًا من الطغيان

والفساد، وإما أن تنجح وتأتي بنظام لا يختلف كثيرًا عن النظام الذي ثارت وخرجت عليه، بينما نجد أن أعظم وسائل الإصلاح جاءت بالمناصحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة دون خروج أو ثورات تسفك فيها الدماء وتتفرق الأمة بسببها، وأعظم نموذج على ذلك النموذج الإصلاحي الذي قام به الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز.

ثالثًا: إن أعظم ديمقراطيات العالم اليوم الديمقراطية الإنجليزية وهي لم تكن وليدة ثورة أو انقلاب، بل إن انجلترا لا تحكم إلى يومنا هذا بدستور مكتوب.

لقد كان الملك في إنجلترا يملك رقاب الناس، ويحكم بمقتضى حق إلهي مقدس، فالقانون هو ما يقوله الملك ويفعله، وليس للشعب معه أدنى حق.

ثم تحول الملك في إنجلترا إلى رمز يملك كل شيء، ولا يحكم في شيء، فسلبوا الملك ملكه الحقيقي، وأبقوه رمزًا يسود ولا يحكم.

لقد نجح الإنجليز في الوصول إلى هذه الصورة بغير دستور مكتوب، ولكن برجال يحترمون أنفسهم ويحترمون تاريخهم ويخشون حكم التاريخ على أفعالهم وتصرفاتهم.

ما أحوجنا إلى رجال يحترمون تاريخهم، ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب، ويسعون لرضا الله عز وجل أما حين يكون المثقفون متحررين من دينهم وشريعة ربهم حين يتحول أكثر المثقفين إلى مجرد مصفقين أو مشغبين كل يتكلم في الإصلاح من منطلق مصالح شخصية ورؤية قصيرة دون نظر للمصلحة العامة فقل على الإصلاح السلام.

الجامعة الإسلامية والتواصل مع الخريجين

اعتدنا أن يقتصر دور الجامعة على النشاط التعليمي وبعض النشاط التثقيفي، ويتخرج الطلاب في الجامعة وينتقلون إلى مرحلة العمل والوظيفة وتنقطع كل الصلات بين الطلاب وبين الجامعة التي تخرجوا فيها ولا تبقى إلا بعض الذكريات.

ولكن الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأتم السلام نهجت نهجًا مختلفًا ومتميزًا، فهذه الجامعة جامعة عالمية حرصت منذ نشأتها على أن يكون طلابها من جميع بلدان العالم، وأن تستعين بهؤلاء الطلاب الخريجين على نشر الدعوة الصحيحة إلى الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة في بلدانهم ومجتمعاتهم التي ينتمون إليها، وحرصت كذلك على التواصل مع هؤلاء الخريجين بعد تخرجهم ومحاولة التعرف على مشاكلهم وما يعترض دعوتهم من صعوبات والمشاركة في حلها.

وفي هذا السبيل قامت الجامعة بتنظيم الملتقى الثاني لخريجي الجامعات السعودية من أفريقيا، وقامت فعاليات هذا الملتقى على ثلاثة محاور:

الأول: جهود خريجي الجامعات السعودية من أفريقيا في نشر العقيدة الإسلامية.

الثاني: جهود خريجي الجامعات السعودية في الرد على الحملات المعادية للإسلام.

الثالث: جهود خريجي الجامعات السعودية من أفريقيا في التعاون مع الهيئات الدعوية والإغاثية والرد على الحملات المشككة فيها.

وتم عرض البحوث ومناقشتهم وكان أعظم ثمرات هذا الملتقى هو التواصل بين الجامعة وبين الخريجين وتواصل الخريجين مع بعضهم البعض.

عقيدة أبي زرعة وأبي حاتم الرازيَيْن

بقلم
د. جمال المراكبي
الرئيس العام
WWW.ELMARAKBY.COM

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده... وبعد:

فقد سبق أن تكلمنا عن عقيدة الإمام الشافعي ووعدنا بذكر عقائد بعض أعيان العلماء، وفي هذا اللقاء نتكلم عن عقيدة أبي زرعة وأبي حاتم الرازيَيْن.

-أبو زرعة الرازي هو الإمام، سيد الحفاظ،عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ: محدث الري.

طلب العلم وهو حدث، وارتحل إلى الحجاز والشام، ومصر والعراق والجزيرة وخراسان، وكتب ما لا يوصف كثرة.

قال عنه أبو بكر الخطيب: وكان إماماً ربانياً، حافظاً متقناً مكثراً..جالس أحمد بن حنبل، وذاكره.

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل، سمعت أبي يقول: ما جاوز الجسر أحد أفقه من إسحاق بن راهويه، ولا أحفظ من أبي زرعة.

وكان إسحاق بن راهويه يقول: كل حديث لا يعرفه أبو زرعة الرازي، فليس له أصل.

وقال سعيد بن عمرو البرذعي: سمعت محمد بن يحيى يقول: لا يزال المسلمون بخير ما أبقى الله لهم مثل أبي زرعة، وما كان الله ليترك الارض إلا وفيها مثل أبي زرعة، يعلم الناس ما جهلوه.

وقال إسحاق بن إبراهيم بن عبد الحميد القرشي: سمعت عبد الله بن أحمد يقول: ذاكرت أبي ذات ليلة عن الحفاظ، فقال: يا بني ! قد كان الحفظ عندنا، ثم تحول إلى خراسان، إلى هؤلاء الشباب الأربعة.

قلت: من هم ؟ قال: أبو زرعة، ذاك الرازي، ومحمد بن إسماعيل، ذاك البخاري، وعبد الله بن عبد الرحمن، ذاك السمرقندي، والحسن بن شجاع ذاك البلخي.

قلت: يا أبه فمن أحفظ هؤلاء ؟ قال: أما أبو زرعة فأسردهم، وأما البخاري فأعرفهم، وأما عبد الله- يعني الدارمي- فأتقنهم، وأما ابن شجاع: فأجمعهم للأبواب.

حسن الخاتمة:

قال أبو جعفر محمد بن علي، وراق أبي زرعة: حضرنا أبا زرعة بماشهران، وهو في السوق، وعنده أبو حاتم، وابن وارة، والمنذر بن شاذان، وغيرهم، فذكروا حديث التلقين: «لقنوا موتاكم: لا إله إلا الله» واستحيوا من أبي زرعة أن يلقنوه، فقالوا: تعالوا نذكر الحديث.

فقال ابن وارة: حدثنا أبو عاصم، حدثنا عبد الحميد بن جعفر، عن صالح، وجعل يقول: ابن أبي، ولم يجاوزه.

وقال أبو حاتم: حدثنا بندار، حدثنا أبو عاصم، عن

عبد الحميد بن جعفر، عن صالح، ولم يجاوز، والباقون سكتوا، فقال أبو زرعة وهو في السوق: حدثنا بندار، حدثنا أبو عاصم، حدثنا عبد الحميد، عن صالح بن أبي عريب، عن كثير بن مرة، عن معاذ ابن جبل، قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان آخر كلامه: لا إله إلا الله دخل الجنة»، وتوفي رحمه الله.

توفي أبو زرعة الرازي، في آخر يوم من سنة أربع وستين ومئتين، ومولده كان في سنة مئتين.

أبو حاتم الرازي:

أبو حاتم بن إدريس بن المنذر الرازي هو الإمام الحافظ، الناقد، شيخ المحدثين، الحنظلي الغطفاني، من تميم بن حنظلة بن يربوع، كان من بحور العلم، طوف البلاد، وبرع في المتن والإسناد، وجمع وصنف، وجرح وعدل، وصحح وعلل.

ولد سنة خمس وتسعين ومئة، وأول كتابته للحديث كان في سنة تسع ومئتين.

قال عبد الرحمن بن أبي حاتم: سمعت موسى بن إسحاق القاضي يقول: ما رأيت أحفظ من والدك.

وقال الخطيب: كان أبو حاتم أحد الأئمة الحفاظ الأثبات..أول سماعه سنة تسع ومئتين.

قال الخليلي: كان أبو حاتم عالما باختلاف الصحابة، وفقه التابعين، ومن بعدهم، سمعت جدي وجماعة، سمعوا علي بن إبراهيم القطان يقول: ما رأيت مثل أبي حاتم ! فقلنا له: قد رأيت إبراهيم الحربي، وإسماعيل القاضي ؟ قال: ما رأيت أجمع من أبي حاتم، ولا أفضل منه.

قال القاسم بن صفوان، سمعت أبا حاتم يقول، أورع من رأيت أربعة: آدم، وأحمد بن حنبل، وثابت بن محمد الزاهد، وأبو زرعة الرازي.

قال القاسم: فذكرته لعثمان بن خرزاذ.

فقال: أنا أقول أحفظ من رأيت أربعة: محمد بن المنهال الضرير، وإبراهيم بن عرعرة، وأبو زرعة، وأبو حاتم.

قال الحافظ عبدالرحمن بن خراش: كان أبو حاتم من أهل الأمانة والمعرفة.

وقال هبة الله اللالكائي: كان أبو حاتم إماما حافظا متثبتا.

وذكره اللالكائي في شيوخ البخاري.

قال ابن أبي حاتم: سمعت أبي يقول: جرى بيني وبين أبي زرعة يوما تمييز الحديث ومعرفته، فجعل يذكر أحاديث وعللها، وكذلك كنت أذكر أحاديث خطأ وعللها، وخطأ الشيوخ، فقال لي، يا أبا حاتم ! قل من يفهم هذا، ما أعز هذا ! إذا رفعت هذا من واحد واثنين فما أقل من يحسن هذا !وربما أشك في شيء، أو يتخالجني في حديث، فإلى أن التقي معك لا أجد من يشفيني منه. قال أبي: وكذلك كان أمري.

قال أبو الحسن علي بن إبراهيم الرازي الخطيب في ترجمة عملها لابن أبي حاتم: كان- رحمه الله- قد كساه الله نورا وبهاء، يسر من نظر إليه.

كان آخر كلام أبي زرعة عند موته روايته لحديث: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة». وهذا ينبئ عن حُسن الخاتمة

ومات الحافظ أبو حاتم الرازي في شعبان، سنة سبع وسبعين ومئتين. وقيل: عاش ثلاثا وثمانين سنة.

عقيدة أبي زرعة وأبي حاتم:

عن أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم، قال: سألت أبي وأبا زرعة عن مذاهب أهل السنة في أصول الدين، وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار، وما يعتقدان من ذلك، فقالا: « أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازاً وعراقاً وشاماً ويمناً فكان من مذهبهم:

١- الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص.

٢- والقرآن كلام الله غير مخلوق.

٣- والقدر خيره وشره من الله عز وجل.

٤- وخير هذه الأمة بعد نبيها عليه الصلاة والسلام أبو بكر الصديق، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، ثم علي بن أبي طالب عليهم السلام، وهم الخلفاء الراشدون المهديون.

٥- وأن العشرة الذين سماهم رسول الله ﷺ وشهد لهم بالجنة على ما شهد به رسول الله ﷺ وقوله الحق، والترحم على جميع أصحاب محمد ﷺ والكف عما شجر بينهم.

٦- وأن الله عز وجل على عرشه بائن من خلقه كما وصف نفسه في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ بلا كيف، أحاط بكل شيء علما، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير (سورة: الشورى آية رقم: ١١).

٧- وأنه تبارك وتعالى يرى في الآخرة، يراه أهل الجنة بأبصارهم ويسمعون كلامه كيف شاء وكما شاء.

٨- والجنة حق والنار حق وهما مخلوقان لا يفنيان أبدا، والجنة ثواب لأوليائه، والنار عقاب لأهل معصيته إلا من رحم الله عز وجل.

٩- والصراط حق.

١٠- والميزان حق، له كفتان، توزن فيه أعمال العباد حسنها وسيئها حق.

١١- والحوض المكرم به نبينا حق.

١٢- والشفاعة حق.

١٣- والبعث من بعد الموت حق.

١٤- وأهل الكبائر في مشيئة الله عز وجل.

١٥- ولا نكفر أهل القبلة بذنوبهم، ونكل أسرارهم إلى الله عز وجل.

١٦- ونقيم فرض الجهاد والحج مع أئمة المسلمين في كل دهر وزمان.

١٧- ولا نرى الخروج على الأئمة ولا القتال في الفتنة.

١٨- ونسمع ونطيع لمن ولاه الله عز وجل أمرنا ولا ننزع يدا من طاعة، ونتبع السنة والجماعة، ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة.

١٩- وأن الجهاد ماض منذ بعث الله عز وجل نبيه عليه الصلاة والسلام إلى قيام الساعة مع أولي الأمر من أئمة المسلمين لا يبطله شيء.

والحج كذلك، ودفع الصدقات من السوائم إلى أولي الأمر من أئمة

كان أبو حاتم رحمه الله عالمًا باختلاف الصحابة وفقه التابعين ومن بعدهم وقد ظهر عليه نور هذا العلم، حتى قيل عنه: كان رحمه الله قد كساه الله نورًا وبهاءً يسّر مَن نظر إليه.

المسلمين.

٢٠- والناس مؤمنون في أحكامهم ومواريثهم، ولا ندري ما هم عند الله عز وجل.

فمن قال: إنه مؤمن حق (أي حق الإيمان كاملة) فهو مبتدع، ومن قال: هو مؤمن عند الله فهو من الكاذبين، ومن قال: هو مؤمن بالله حقا (أي غير كافر) فهو مصيب.

٢١- والمرجئة المبتدعة ضلال.

٢٢- والقدرية المبتدعة ضلال.

فمن أنكر منهم أن الله عز وجل يعلم ما لم يكن قبل أن يكون فهو كافر. وأن الجهمية كفار.

٢٣- وأن الرافضة رفضوا الإسلام.

٢٤- والخوارج مراق.

٢٥- ومن زعم أن القرآن مخلوق فهو كافر بالله العظيم كفرا ينقل عن الملة. ومن شك في كفره ممن يفهم فهو كافر.

ومن شك في كلام الله عز وجل فوقف شاكا فيه يقول: لا أدري مخلوق أو غير مخلوق فهو جهمي

ومن وقف في القرآن جاهلا علم وبدع ولم يكفر.

ومن قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي أو القرآن بلفظي مخلوق فهو جهمي.

قال أبو محمد: وسمعت أبي يقول:

٢٦- وعلامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر.

وعلامة الزنادقة تسميتهم أهل السنة حشوية يريدون إبطال الآثار.

وعلامة الجهمية تسميتهم أهل السنة مشبهة.

وعلامة القدرية تسميتهم أهل الأثر مجبرة.

وعلامة المرجئة تسميتهم أهل السنة مخالفة ونقصانية.

وعلامة الرافضة تسميتهم أهل السنة ناصبة.

ولا يلحق أهل السنة إلا اسم واحد ويستحيل أن تجمعهم هذه الأسماء.

٢٧- قال أبو محمد: وسمعت أبي وأبا زرعة يأمران بهجران أهل الزيغ والبدع يغلظان في ذلك أشد التغليظ، وينكران وضع الكتب برأي في غير آثار.

وينهيان عن مجالسة أهل الكلام والنظر في كتب المتكلمين، ويقولان: لا يفلح صاحب كلام أبدا.

قال أبو محمد: « وبه أقول أنا ».

وهو قول أئمة أهل السنة قاطبة.

وفقنا الله وكل مؤمن لما يحب ويرضى من القول والعمل، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

من مذهب أهل السنة والجماعة والتي كان عليها الإمامان الرازيان أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، ومن علامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر.

فضائيات تُفسد في الأرض

بقلم
د. جمال المراكبي
الرئيس العام
WWW.ELMARAKBY.COM

في عصر العولمة، في زمن السماء المفتوحة، تتساقط علينا الفتن من الفضائيات كما ينهمر المطر غزيراً متتابعاً، فما من بلدة من بلدان المسلمين إلا وتزخر بالأطباق والهوائيات التي تعبر عن غزوة شرسة تأتينا من الفضاء محملة بصنوف من الفتن ولقد تنبأ رسول الله ﷺ بهذا الواقع المرير، حين صعد قمة عالية فنظر في البيوت وقال: إني أرى الفتن تقع خلال بيوتكم كمواقع المطر. والحديث رواه البخاري ومسلم عن أسامة بن زيد - رضي الله عنهما - قال: أشرف النبي ﷺ على أُطُم من آطام المدينة فقال: «هل ترون ما أرى ؟» قالو: لا، قال: «فإني أرى الفتن تقع خلال بيوتكم كمواقع القطر».

وإذا كان شراح هذا الحديث قد حملوا هذا على الفتن التي وقعت بالمدينة بعد مقتل عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان - رضي الله عنهما - لم يقع ببال أحد من أهل العلم قديماً ولا خطر على قلبه أن تظهر مثل هذه القنوات، وأن تكون هناك شبكة للمعلومات تسع الدنيا بأسرها وتطل على الناس بالغث والسمين، والطالح والصالح.

التنصير يطل بوجهه القبيح

أصبح التبشير بالنصرانية في زماننا هذا سهلاً ميسوراً، مواقع للتبشير، وقنوات فضائية عديدة تنفق المليارات على التبشير المسيحي وتقتحم البيوت، ويشاهدها أبناؤنا وبناتنا من غير حرج، بل إن بعض هذه القنوات تتبنى منهج السب والطعن في القرآن الكريم وفي نبي الإسلام محمد ﷺ وتصفه بأقبح الأوصاف.

ونجد بعض المسلمين يشكو ويقول لماذا لا تردون على هذا الهجوم السافر على دين الله عز وجل ؟

الدجالون

نوع آخر من القنوات يقوم على الدجل والشعوذة ويستغل البسطاء من المسلمين فيوقعهم في ألوان من الشرك كبيره وصغيره، ويسطو على أموالهم بألوان من الخداع والتضليل، والمشاهدون يتهافتون على هذه القنوات كما يتهافت الفراش على النار يحوم حولها ويسقط في أتونها .

هذا مع أن ربنا تبارك وتعالى حذرنا هذا الدجل وأخبرنا أن السحرة يتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ويسعون للتفريق بين المرء وزوجه فقال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاء ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ

السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة:١٠١، ٠٢١).

ورسول الله ﷺ يحذرنا إتيان الكهان ويقول: «من أتى كاهناً أو عرافاً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ».

ويقول معاوية بن الحكم السلمي لرسول الله ﷺ: «منا أناس يأتون الكهان. فقال ﷺ: لا تأتهم».

قنوات تبث الفواحش والضلالات

وأكثر القنوات تبث المشاهد الخليعة والصور الفاضحة والأغاني الماجنة والأفلام والمسلسلات الهابطة، ولا بأس أن يتخللها برامج الأبراج وتوقع الحظ وادعاء العلم بما يكون في غد من أمور الغيب، وبرامج تفسير الأحلام، والقنوات التي تخاطب أطفالنا وتشكل عقولهم ووجدانهم، فضلاً عن القنوات الرياضية، وبعض هذه القنوات لا يتم استقباله إلا بعد دفع اشتراكات مالية ومع هذا فالناس اليوم يتهافتون عليها بصورة أو بأخرى ويستوي في ذلك الفقراء والأغنياء

ولكن الأعجب من هذا كله أن تجد قنوات للدعارة والجنس تدعو صراحة للممارسات المحرمة عن طريق التواصل بالهاتف، وإني لأعجب كيف تدخل هذه القنوات بيوتاً تمتلئ بالشباب من الجنسين ذكوراً وإناثاً، وما الذي يُنتظر يُرجى من وراء هذا الخبث، وقد عادت صاحبات الرايات الحمر يقتحمن البيوت، وينشرن البغاء ويدخلن غرف النوم عبر هذه القنوات والفضائيات التي أصبحت «فضائحيات».

أضف إلى هذا كله قنوات البدع والضلال التي تروج للفكر الشيعي الرافضي وتُنظر له.

ولكن الذي أدهشني أن أجد قناة تدعو للإسلام على الطريقة القاديانية أو الأحمدية وهي التي تُدعى إم تي إيه MTA3 أي تليفزيون المسلم الأحمدي، وتبث بعدة لغات منها العربية، وهذا ما يدعونا للتعرف مجدداً على هذه الطائفة وعلى ظروف نشأتها وتطورها وانتشارها والتبشير بها، وما يُبث اليوم في هذه القناة، ما له وما عليه.

نشأة القاديانية القاديانية حركة نشأت في الهند، زعم مؤسسها أنه مجدد جاء برؤية جديدة لدين الإسلام، ومؤسسها هو مرزا غلام أحمد القادياني نسبة إلى بلدة يقال لها قاديان، ثم ادعى هذا المجدد أنه المهدي المنتظر والمسيح الموعود الذي يكون على يديه ظهور الدين والنصر المبين، ثم ادعى بعد ذلك أنه نبي يوحى إليه وأنه أفضل النبيين، وانقسم القاديانيون إلى قسمين، قسم يدعي نبوته، وقسم آخر يرفض دعوى النبوة ويراه مجدداً وأنه هو المهدي المنتظر والمسيح الموعود، وهؤلاء هم جماعة لاهور الأحمدية، وهذا هو الذي يبشرون به وينشرونه من خلال القنوات الفضائية التي أنشئت في لندن، ثم بدأت البث باللغة العربية من خلال التليفزيون الإسلامي الأحمدي MTA

ولما مات غلام أحمد سنة ١٩٠٨ بعد أن أسس جماعته بثمان سنوات بايعوا الخليفة الذي يسمونه أمير المؤمنين، وقد صنف تفسيراً للقرآن الكريم

لقد أصبح التنصير في زماننا سهلاً ميسوراً وذلك من خلال العديد من القنوات الفضائية التي تنفق المليارات على هذه الدعوة الباطلة

زعم فيه أن الله أوحى إليه بقوله تعالى: «اعملوا آل داود شكراً» بما يعني أنه سيصبح خليفة للمهدي، وزعيمهم الذي يلقبونه أمير المؤمنين اليوم يتحدث الإنجليزية بطلاقة ويخطب باللغة الإنجليزية، وإن كان يقرأ الآيات والأحاديث بلكنة عربية ركيكة، وله برنامج في هذه القناة بعنوان حديث إلى العرب.

لقد قرأت عن القاديانية كدعوة منحرفة عن الدين يحميها المستعمر ويشجعها، وتابعت الفتاوى العديدة التي حكمت بكفر منتحليها، من ذلك قرار رابطة العالم الإسلامي في جلستها المنعقدة بمكة المكرمة في ربيع الأول ١٣٩٤هـ إبريل ١٩٧٤م الذي أعلن كفر هذه الطائفة وخروجها عن الإسلام، وكذلك قرار البرلمان - مجلس الأمة - الباكستاني باعتبار القاديانية أقلية غير مسلمة.

القاديانية والتقية

ويبدو أن القاديانية قد أخذت عن الشيعة مبدأ التقية، أو أن القائمين على هذه القناة الفضائية ينتحلون فكر جماعة لاهور الذين لا يزعمون نبوة مرزا غلام أحمد لأنهم يرددون دائماً هذا الشعار على قناتهم ونصه كالتالي:

إنا نحن مسلمون نؤمن بالله الفرد الصمد الأحد قائلين لا إله إلا هو، ونؤمن بكتاب الله القرآن، ورسوله سيدنا محمد خاتم النبيين، ونؤمن بالملائكة، ويوم البعث والجنة والنار، ونصلي ونصوم ونستقبل القبلة، ونحرم ما حرم الله ورسوله، ونحل ما أحل الله ورسوله، ولا نزيد على الشريعة ولا ننقص منها مثقال ذرة، ونقبل كل ما جاء به رسول الله # إن فهمنا أو لم نفهم سره ولم ندرك حقيقته.

ويوردون مع هذا البيان صورة لإمامهم مكتوب تحتها «الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام».

ملاحظات على برامج القناة

ومما لاحظته على البرامج التي تبثها هذه القناة ما يلي:

أولاً: هذا البيان الذي يؤكدون فيه على إيمانهم بالله وبكتابه وبرسوله محمد ﷺ خاتم النبيين.

ثانياً: يعظمون أصحاب رسول الله ﷺ ويقرون بخلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم.

ثالثاً: يعتبرون زوال الخلافة بعد الراشدين الأربعة حتى جددها خلفاء إمامهم المهدي والمسيح الموعود.

رابعاً: يردون على الشيعة الروافض، وسمعت أميرهم ينتقد قول الشيعة بزواج المتعة.

خامساً: يقدمون برنامجاً حوارياً يناقشون فيه عقائد النصارى ويردون على زكريا بطرس افتراءاته على الإسلام وعلى النبي ﷺ، وقد افتتن كثير من عوام المسلمين بهذه القناة بسبب هذا البرنامج.

سادساً: يوافقون النصارى في عقيدة صلب المسيح إلا أنهم يقولون إنه لم يمت على الصليب بل توفاه الله ورفعه إليه وطهره من الكافرين.

سابعاً: يناقشون بطريقة عقلية المعجزات الواردة في القرآن، ويزعمون أن البحر لم ينشق بعصا موسى وإنما سلك موسى طريقاً في البحر يابساً فيه بعض الارتفاع للأرض كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً لاَّ تَخَافُ دَرَكاً وَلاَ تَخْشَى﴾ (طه:٧٧).

ويقول لما سار فرعون في هذا الطريق جاء المد فأغرق فرعون، ولا أدري

إن مما يؤسف له أن نجد في هذا العصر العجيب قنوات تبث المشاهد الخليعة والصور الفاضحة ومنها ما يدعوا صراحة للممارسات المحرمة

ماذا يصنعون بقول الله تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ (الشعراء:٦٣).

ويقولون إن الهدهد في سورة النمل في قوله تعالى ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لاَ أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ (النمل:٢٠) رجل اسمه هدهد، والنملة امرأة اسمها نملة، وأن قول إبراهيم عليه السلام ﴿أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ كناية عن استفساره كيف يدعو قومه ويحيي موات قلوبهم.... إلخ.

ثامناً: يزعمون أن وعد رسوله الله ﷺ بعودة الخلافة على منهاج النبوة كما في قوله ﷺ: «تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن يكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ثم تكون ملكا عاضا فيكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ثم يكون ملكا جبريا فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ثم سكت» يزعمون أن هذا الوعد قد تحقق بإمامهم المهدي ومسيحهم الموعود وأنه أعلن أن هذا الأمر سيبقى على الأقل لمدة ألف سنة.

ويقولون: زالت خلافة النبوة بمقتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه وفقدت الأمة الخلافة، ولم يبق إلا خلافة المجددين على رأس كل مائة سنة يبعث الله للأمة من يجدد دينها، ثم جاءت الخلافة على منهاج النبوة بظهور الإمام المهدي والمسيح الموعود وستبقى على أقل تقدير ألف عام.

تاسعاً: في موضوع السحر يقولون بقول المعتزلة ويقول قائلهم أكثر ما يقوله المعتزلة صحيح، وأكثر ما يقوله أهل السنة أو أكثر أهل السنة باطل، ويضعفون حديث البخاري في قصة سحر النبي ﷺ.

وأخيراً.. بعد ما رأينا عوام المسلمين يفتتنون بمثل هذه القناة كان لا بد من التحذير، وأزعم أن كل ما ذكرته في هذا المقال مما شاهدته أو سمعته بنفسي لم ينقله لي أحد.

ولا يبقى في هذا الزخم الإعلامي إلا ما تبثه قنوات أهل السنة مثل: قنوات المجد، وقناة الحكمة، وغيرها، نفع الله بها ووفق القائمين عليها إلى ما يحبه ويرضاه.

الرويبضة.. والصحافة الصفراء!!

وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: «سيأتي على الناس سنوات خداعات يصدق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق ويؤتمن فيها الخائن ويخون فيها الأمين وينطق فيها الرويبضة» قيل: وما الرويبضة؟ قال: «الرجل التافه يتحدث في أمر العامة». صحيح ابن ماجه.

وقد سألني كثير من الناس الغيورين على الدين عما سطرته «الصحافة الصفراء» من إساءات وبذاءات عن التوحيد وأهله، فقالوا: ألا ترد على هذه الصحيفة؟ قلت:

لو كل كلب عوى ألقمته حجراً ... لكان وزن الذر مثقالاً بدينار

والله من وراء القصد

القاديانية طائفة منحرفة عن الدين يحميها المستعمر ويشجعها. ولقد أعلنت رابطة العالم الإسلامي كفرها وخروجها عن الإسلام كما اعتبرها مجلي الأمة الباكستاني أقلية مسلمة

فضائيات تُفسد في الأرض

الحلقة الثانية

بقلم

د. جمال المراكبي

الرئيس العام

WWW.ELMARAKBY.COM

الحمد لله وحده.. والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه واتبع هداه إلى يوم الدين، وعلى رسل الله أجمعين.

أما بعد.. فلا يزال حديثنا موصولاً عن هذه الفرقة التي ظهرت في بداية القرن العشرين الميلادي في قاديان من بلاد الهند، وزعم مؤسسها أنه المهدي المنتظر والمسيح الموعود، وقد أطلت علينا إطلالة جديدة وخطيرة من خلال قناة تليفزيونية تُعرف بـ MTA3 العربية.

وكما وعدت إخواني القراء في افتتاحية العدد الماضي، لن انطلق في التحذير من هذه القناة من منطلق ما حكم به علماء الملة من حكم بتكفير القاديانية أو الأحمدية، كما يطلقون هم على جماعتهم، ولكني سأنطلق من منطلق واحد هو ما يبثونه ويعرضونه على هذه القناة، وما يبثونه على موقعهم على شبكة الانترنت المسمى بالموقع الرسمي للأحمدية.

وقد ذكرت في مقالي السابق أنهم يعلنون الإيمان بالله الفرد الصمد الأحد، ويؤمنون بكتاب الله القرآن وبرسول الله محمد ﷺ خاتم النبيين، إلا أنهم يناقشون ما جاء في القرآن بطريقة عقلية متحررة أدت إلى إنكار بعض ما ورد فيه من المعجزات التي أيد الله به أنبياءه ورسله وذكرت أنهم يوافقون النصارى في عقيدة صلب المسيح إلا أنهم يقولون إنه لم يمت على الصليب بل ظن أعداؤه أنه مات، أما حواريوه فقد حملوه وعالجوه، وأنه هاجر إلى بلاد الهند لدعوة بني إسرائيل ثم مات هناك ودفن وقبره عندهم معروف مشهور.

واعترف أنني أخطأت في نقل هذا المعتقد عنهم إذ قلت في العدد الماضي «إلا أنهم يقولون إنه لم يمت على الصليب بل توفاه الله ورفعه إليه وطهره من الكافرين»

والحقيقة أنهم لا يعترفون أصلاً بعقيدة رفع المسيح ويرون أن الأمة المسلمة قد أخطأت في فهم الآية الكريمة ورتبت عليها هذه العقيدة الفاسدة خطأً ووهمًا!!!، والحق عندهم أن المسيح عليه السلام قد مات وقبر ودفن وأنه يستحيل أن يبعثه الله في الدنيا بعد موته.

قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ

اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (النساء١٥٧- ١٥٨).

ونلاحظ أنهم خالفوا ظاهر الآية ووافقوا اليهود والنصارى في قصة الصلب، وزعموا أن قصة الشبيه ﴿وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ من خيال بعض الجاهلين، وأن معنى ﴿شُبِّهَ لَهُمْ﴾ أي اشتبه عليهم موته فظنوا أنه مات على الصليب.

أما قوله تعالى ﴿وَمَا صَلَبُوهُ﴾ فمعناه عندهم أنه لم يمت مصلوبًا وإن كان قد صُلب وعُلق على الصليب فعلاً.

أما قوله تعالى ﴿بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ﴾ فليس على ظاهره لأنه يستحيل أن يصعد بشر إلى السماء حيًا، ويزعمون أن هذه العقيدة الفاسدة في رفع المسيح وحياته جعلت النصارى يستطيلون على المسلمين.

ومثل هذا التأويل البعيد ما قالوه في كلام المسيح في المهد ووافقوا فيه النصارى وزعموا أن المسيح لم يتكلم في المهد وإنما تكلم في طفولته حينما بلغ السن التي يتكلم فيها الناس عادةً، وردوا ظاهر قول الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (آل عمران ٤٥ - ٤٦).

وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ (المائدة: ١١٠).

ويقول قائلهم إنه كان في سن التمييز سبع سنوات أو أكثر ولكنه كان فصيحًا بليغًا كما يقولون: الديك الفصيح في البيضة يصيح، هكذا يقولون بالحرف الواحد.

ولا أدري هل اختفت مريم بولدها ست سنوات أو أكثر قبل أن تأتي به، أم جاءت به بعد ولادته كما قال تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًا (٢٧) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًا (٢٨) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًا (٢٩) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًا (٣١) وَبَرًا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًا (٣٢) وَالسَّلاَمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًا﴾ (مريم: ٢٧ - ٣٢).

لقد زعم القادياني أنه جاء ليجدد للأمة دينها، ثم زعم أنه المهدي المنتظر والمسيح الموعود، ثم زعم أنه يتلقى الوحي من السماء وأن جبريل يتنزل عليه كما كان يتنزل على النبيين والمرسلين من قبل، ثم يزعم أنه يؤمن برسول الله محمد ﷺ خاتم النبيين.

والذي يؤكد كلامي هذا ذلك النشيد الذي يترنم به المنشد بين البرامج التي تبثها هذه القناة، فبينما نسمع صوت القارئ يقرأ قول الله تعالى ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ

القاديانية يعلنون كذباً أنهم يؤمنون بالله الفرد الصمد، ويؤمنون بكتاب الله القرآن وبرسول الله محمد ﷺ خاتم النبيين، إلا أنهم يناقشون ما جاء في القرآن بطريقة عقلية متحررة أدت إلى إنكار بعض ما ورد فيه من معجزات، ويوافقون النصارى في عقيدة صلب المسيح!!

عَلِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٤٠) نسمع بعدها صوت المنشد المترنم يقول:

في قاديان أتى المهدي جبريل
فعمت الكربات تهليل وترتيل
طوبى لأرض أتى المهدي ساحتها
مجاهدًا سيفه بالحق مصقول
حسامه قلم ورايته
شريعة الله تحرير وتحليل
قد بشر الله في التوراة مقدمه
وجدد الموعد للموعود إنجيل
الأحمدية هدىً للتقى أبدًا
والأحمدية في الظلماء قنديل
الأحمدية ملح الأرض ما بقيت
وإنها في جبين الشمس إكليل

فكيف يتوافق هذا المعتقد الذي يصرح بنبوة هذا القادياني مع الإيمان بأن محمدًا ﷺ خاتم النبيين ؟!

يقول قائلهم إن النبوة على قسمين: نبوة تشريعية بمعني أن يأتي النبي الرسول بشريعة جديدة مثل موسى عليه السلام ومحمد ﷺ، ونبوة غير تشريعية بمعنى أن يأتي النبي تابعًا لشريعة سابقة مثل المسيح عيسى ابن مريم وأنبياء بني إسرائيل حيث كانوا تابعين لشريعة موسى عليه السلام، وكذلك فالقادياني نبي غير تشريعي تابع لمحمد ﷺ في شريعته وهذا ما يصرحون به بغير خفاء ولا مداراة، ويزعمون أن لفظة خاتم النبيين في آية الأحزاب لا تعني بالضرورة آخر النبيين، بل تعني أنه ﷺ أفضل النبيين، كما يقال خاتمة الحفاظ والمحققين، ولا يعني هذا بالضرورة انعدام الحفاظ والمحققين بعد ذلك.

ولكن السخافة الكبرى أن يحاول منظرو القاديانية التدليل على نبوة القادياني بإشارات من القرآن الكريم فقال بعضهم: قوله تعالى ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلاَ تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾ (هود: ١٧) فمن كان على بينة من ربه هو رسول الله ﷺ والشاهد الذي يتلوه أي يأتي بعده هو النبي القادياني فلا تك في مرية منه أي لا تشك في نبوته إنه الحق من ربك. فهل هناك تفسير أسخف من هذا؟! قالوا: وفي آية الأحزاب ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾

(الأحزاب: ٧).

فالله تعالى قد اخذ الميثاق من النبيين ومن محمد ﷺ، قالوا: ثم أخبرنا في سورة آل عمران أنه سبحانه أخذ الميثاق على النبيين أن يؤمنوا بالنبي القادياني وذلك في قوله تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لَّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ فَمَن

زعم القادياني أنه جاء ليجدد للأمة دينها، ثم زعم أنه المهدي المنتظر والمسيح الموعود، ثم زعم أنه يتلقى الوحي من السماء، وأن جبريل كان يتنزّل عليه كما كان يتنزل على النبيين والمرسلين من قبل، ثم يزعم أنه يؤمن برسول الله ﷺ، أبعد ذلك بهتان وضلال!!

تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (آل عمران: ٨٢).

والآية واضحة الدلالة ولا تنطبق إلا على محمد رسول الله وخاتم النبيين، حيث أخذ الله ميثاق النبيين أن يؤمنوا به ويبشروا به أقوامهم، ولكن منظري القاديانية يجعلونها في نبيهم المزعوم، وينسون أنهم زعموا أنه نبي ولم يدعوا أنه رسول جاء برسالة من رب العالمين.

ولو تتبعنا سخافاتهم في تحريف القرآن لطال المقام جدًا، ولكن كيف يتعامل منظرو القاديانية مع الأحاديث الصحيحة التي تؤكد أن محمدًا ﷺ لا نبي بعده مثل قوله ﷺ فُضلت على الأنبياء بست ذكر منها «وختم بي النبيون» ولا يمكن أن يكون معناها وفضلت على النبيين كما زعموا في تحريف الآية لأن قوله تعالى ﴿وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ إن زعموا أن معناها أفضل النبيين وليس آخرهم، فإن هذا المعنى لا يستقيم مع هذا الحديث

وكذلك قوله ﷺ لعلي بن أبي طالب عند خروجه لغزوة تبوك: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي. متفق عليه.

إنهم يتعاملون مع الأحاديث بمعيار الهوى والغرض فإذا وافق الحديث أهواءهم انتصروا له وجعلوا دينهم يدور عليه كما فعلوا في حديث «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها» وإذا خالف الحديث أهواءهم ومنهاجهم الباطل ردوه ولو كان في أعلى درجات الصحة وقالوا حسبنا القرآن فما وافق القرآن قبلناه، وما خالف القرآن رددناه ويجعلون فهمهم وأهواءهم الحكم في الموافقة والمخالفة ثم إنهم يسعون لتحريف الأحاديث كما فعلو مع القرآن حيث يحرفون معاني الآيات بما يتماشى مع عقائدهم ولأجل هذا قالوا: إن أهل الإسلام مجمعون على نزول المسيح في آخر الزمان، والمسيح نبي ورسول فإما أن يقولوا بوجود نبي بعد محمد ﷺ وهو ما يعتقدونه في نزول المسيح، وإما أن ينفوا نزول المسيح في آخر الزمان وهذا ما لم يقولوا به، إذن فالمسيح إذا كان سيحكم في آخر الزمان بشريعة محمد ﷺ باعتباره نبيًا تابعًا، فلماذا تنكرون نبوة القادياني باعتباره تابعًا لشريعة محمد ﷺ ويزعمون أن عائشة قالت: قولوا خاتم النبيين ولا تقولوا لا نبي بعده.

ويقولون إن الجماعة الأحمدية لم تنفرد بهذا الاعتقاد وهو وجود أنبياء بعد محمد ﷺ، بل قال ذلك ابن عربي الطائي، والحكيم الترمذي وغيرهما.

والذي لا شك فيه أن لابن عربي، وللحكيم الترمذي انحرافات عقدية خالفا فيها إجماع الأمة، فهما شر سلف لشر خلف.

ثم يعرضون هذا التساؤل: إذا كان القرآن محفوظًا فما فائدة بعثة نبي بعد محمد ﷺ، ويردون: إذا كان القرآن محفوظًا، فإن تفسيرات القرآن غير محفوظة، قد شابها أغاليط كثيرة لأجل هذا جاء نبيهم المزعوم ليبين الحق منها، ويضرب على الباطل، ويرد كيد المستعمرين النصارى الذين احتلوا بلاد المسلمين وحاولوا إفساد عقائدهم.

وأخيرًا لماذا زعم القادياني أنه المهدي المنتظر والمسيح الموعود قبل أن يدعي النبوة، وهل ختمت النبوة به أم هي موجودة في أتباعه، ولماذا حكم علماء المسلمين بكفر القادياني ومن تابعه ؟

والجواب على هذا في اللقاء القادم بإذن الله .

نفعنا الله وإياكم بما يحب ويرضى.

القاديانية الذين يسمون أنفسهم بالأحمدية، يتعاملون مع الأحاديث بمعيار الهوى والغرض، فإذا وافق الحديث أهواءهم انتصروا له وجعلوا دينهم يدور عليه، كما فعلوا في حديث: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها». فإذا خالف الحديث أهواءهم ردوه وقالوا: حسبنا القرآن، فما وافق القرآن قبلوه، وما خالف القرآن ردوه!!

دجالون كذابون

بقلم

د. جمال المراكبي

الرئيس العام

WWW.ELMARAKBY.COM

الحمد لله وحده.. والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه ومن سار على طريقته ونهجه واتبع هداه إلى يوم الدين، وعلى رسل الله أجمعين.

أما بعد: فهذا هو لقاؤنا الثالث على التوالي نتحدث فيه عن ضلالات الطائفة الأحمدية القاديانية وانحرافاتها.

وقد تساءلنا في اللقاء السابق عن سبب زعم القادياني أنه هو المهدي المنتظر والمسيح الموعود قبل أن يدعي النبوة والجواب من وجهين:

الأول: أن رسول الله ﷺ أخبرنا أنه سيكون في آخر الزمان رجل من آل بيته يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، وأنه سينزل المسيح عيسى ابن مريم من السماء ليكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويقتل الدجال وسوف نتحدث عن هذا تفصيلاً.

الثاني: أنه قد دأب كل صاحب ضلالة وانحراف عن منهاج الرسول ﷺ يزعم أنه هو المهدي أو يدعي أتباعه وأنصاره هذا، ولا يلبث كل واحد من هؤلاء أن يتضح كذب دعواه، وزيف ما افتراه، فما هؤلاء إلا أتباع مسيلمة الكذاب في طريقته ونهجه، وبين يدي الساعة دجالون وكذابون كثيرون أعظمهم فتنة هذا الذي يخر في آخر الزمان يزعم أنه رب العالمين ويملك الدنيا بأسرها، كما قال رسول الله ﷺ: «ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة» متفق عليه.

مع أنه أعور مكتوب بين عينيه كافر كما قال النبي ﷺ «ما بعث نبي إلا أنذر أمته الأعور الكذاب، ألا إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور، مكتوب بين عينيه كافر» متفق عليه.

وصدق رسول الله ﷺ «لا تقوم الساعة حتى يُبعث دجالون كذابون قريباً من ثلاثين، كلهم يزعم أنه رسول الله» .

متفق عليه- البخاري ك المناقب باب علامات النبوة في الإسلام، ومسلم ك الفتن وأشراط الساعة.

وفي رواية: «إن بين يدي الساعة ثلاثين كذاباً دجالاً كلهم يزعم أنه نبي».

أما عن المهدي فقد تواترت الأخبار عن النبي ﷺ بأنه سيخرج في آخر الزمان، وأحاديث المهدي كثيرة ومتنوعة، منها الصحيح ومنها الحسن ومنها الضعيف والموضوع، لكنها في الجملة مستفيضة متواترة.

قال أبو الحسين الآبري: وقد تواترت الأخبار واستفاضت عن رسول الله ﷺ بذكر المهدي وأنه من أهل بيته وأنه يملك سبع سنين وأنه يملأ الأرض عدلاً، وأن عيسى يخرج فيساعده على قتل الدجال وأنه يؤم هذه الأمة ويصلي عيسى خلفه.

(المنار المنيف لابن القيم)

وقد وردت أحاديث المهدي في معظم دواوين السنة عن أكثر

من عشرين صحابياً في أكثر من ثلاثين مرجعاً حديثياً منها السنن الأربعة ومسند أحمد ومستدرك الحاكم وصحيح ابن حبان ومصنف ابن أبي شيبة وصحيح ابن خزيمة ومعاجم الطبراني وغيرها ولم يرد ذكر المهدي في الصحيحين بالنص، وإنما ورد ذكره ضمناً في صحيح مسلم في قصة نزول المسيح عيسى ابن مريم، هذا وقد اعتنى بعض المصنفين في ذكر المهدي فصنفوا فيه مصنفات مستقلة كالحافظ أبي نعيم، والسيوطي وابن كثير وابن حجر المكي وغيرهم.

روى مسلم في كتاب الإيمان من صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ «كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم فأمكم منكم» وفي رواية «وإمامكم منكم» وفسرها ابن أبي ذئب راوي الحديث بقوله «فأمكم بكتاب ربكم تبارك وتعالى وسنة نبيكم ﷺ» وروى مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول: لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون عن الحق ظاهرين إلى يوم القيامة. قال: فينزل عيسى ابن مريم فيقول أميرهم: تعال صَلِّ لنا. فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله لهذه الأمة»

(ك الإيمان باب نزول عيسى ابن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد ﷺ).

والأمير المذكور في هذه الرواية هو المهدي، وقد ورد ذلك صريحاً في مسند الحارث بن أبي أسامة بسنده عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ «ينزل عيسى ابن مريم، فيقول أميرهم المهدي تعال صلِّ بنا، فيقول لا، إن بعضهم أمير بعض تكرمة الله لهذه الأمة» قال ابن القيم: إسناده جيد.

وليس غرضنا استقصاء روايات أحاديث المهدي في هذا المقال ولكن الغرض مجرد الإشارة إلى بعضها، ومن أراد الاستقصاء فليرجع إلى دواوين السنة.

ومن أمثلة هذه الأحاديث مما صح سنده أو حَسُن: «المهدي منا أهل البيت يصلحه الله في ليلة».

«المهدي من ولد فاطمة» «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطولَّ الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلاً مني- أو قال: من أهل بيتي- يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض عدلا كما ملئت جوراً» «المهدي مني، أجلى الجبهة، أقنى الأنف، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً».

والسؤال الذي نطرحه على كل أحمدي مفتون أي هذه الأوصاف ينطبق على مهديكم المزعوم ؟

والجواب.. كل هذه الأوصاف غير موافقة لما تزعمون، فمهديكم المزعوم ليس من أهل بيت النبي ﷺ ولا من ولد فاطمة، ولم يملك، ولم يملأ شيئاً من الأرض عدلاً، ولم ينزل المسيح عيسى ابن مريم ليصلي خلفه، ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويقتل المسيح الدجال، ولكنكم تزعمون أنه هو المهدي وهو المسيح أفلا تعقلون ؟

ومع هذا فلا يزال هؤلاء الحمقى يزعمون أن غلامهم هذا هو المهدي وهو المسيح وهو الذي أوحى الله إليه ليعيد للأمة المسلمة عزها وريادتها ويعيدها إلى صحيح الدين، ويتشبثون في ضلالتهم بالواهي والضعيف من الروايات الحديثية، ويحملونها ما لا تحتمل من الدلالات والمعاني المغلوطة كما يفعلون مع آيات القرآن الكريم حتى زعموا أن تنزل الملائكة والروح في ليلة القدر وتنزل الملائكة على المؤمنين الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا هو أعظم دليل على أن نبيهم المزعوم كانت تتنزل عليه الملائكة بالوحي

سبحان الله ما أقبح هذا التأويل الفج الذي يفترونه، ثم إنهم يحكمون على أمة الإسلام بأنهم ما فهموا دين الإسلام حتى جاء الغلام القادياني بهذا الفهم المغلوط ليصحح ما أفسده المسلمون على مر العصور.

ثم إننا نقول لهم، لقد أخرج الله عز وجل الناس من الظلمات إلى النور وبعث رسوله بالهدى والدين الحق فأظهره على الدين، ولم يمض قرن من الزمان حتى دان أهل الأرض جميعاً لهذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، فصاروا ما بين عزيز باتباع هذا الرسول ﷺ، وما بين ذليل يدين لهذه الأمة بالحماية والرعاية، ثم دب داء الأمم إلى المسلمين فتفرقوا شيعاً وأحزاباً وتسلط عليهم أعداؤهم وتكالبوا عليهم في زمن الغثائية، وهذا غلامكم قد جاء من أكثر من قرن من الزمان فما الذي عاد على الإسلام وأهله من دعوته وهل عاد العز، وامتلأت الأرض عدلاً بعد الجور ؟

لقد صرح الغلام القادياني أنه أفضل من المسيح عيسى ابن مريم فقال: إن الله بعث في هذه الأمة مسيحاً موعوداً هو أعلى مرتبة وشأناً من المسيح السابق، والذي نفسي بيده

لو كان المسيح ابن مريم في زمني لما استطاع انجاز ما أستطيع انجازه، ولما قدر على إظهار آيات تظهر مني.

الخزائن الروحانية جـ٢٢ صـ١٥٢- منقول بنصه عن خطبة للخليفة الرابع يرد على البيان الأبيض.

ولست أدري هل الإنجاز الذي يقصده هذا المختل هو تلك القناة الفضائية ؟!

ويقول كذلك: «الدنيا لا تعرفني ولكن يعرفني من بعثني إنهم بسبب خطئهم وشقاوتهم الشديدة يريدون إبادتي إنني ذلك الغراس الذي غرسه المالك الحقيقي بيده.

أيها الناس، تأكدوا أن معي يداً لن تزال وفية معي إلى آخر الأمر.

ولئن اجتمع رجالكم ونساؤكم وشبابكم وشيوخكم وصغاركم وكباركم كلهم وابتهلوا إلى الله تعالى ودعوا لهلاكي في اضطرار وابتهال حتى تسقط أنوفهم وتشل أيديهم فلن يستجيب الله لهم، ولن يبرح حتى يتم ما أراد.

فلا تظلموا أنفسكم إن للكذابين وجوهاً غير وجوه الصادقين والله تعالى لا يترك أمراً دون أن يحسمه.... فكما أن الله حكم بين أنبيائه ومكذبيهم في الماضي، فإنه تعالى سوف يحكم الآن أيضاً.

إن لمجيء أنبياء الله موسماً ولرحيلهم موسما كذلك.

فتأكدوا أنني لم آت بدون موسم، ولن أذهب بدون موسم فلا تختصموا مع الله، فلن تستطيعوا إبادتي». الخزائن الروحية جـ ١٧- نقلاً عن موقع الأحمدية على الانترنت بعنوان هل الأحمدية غراس الإنجليز- خطبة أول فبراير ١٩٨٥ بمسجد الفضل بلندن.

لقد ابتلى الله هذه الأمة بسلسلة من الدجالين الكذابين منذ عصر النبوة وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولكن هؤلاء الدجالين وقد جعلهم المولى تبارك وتعالى فتنة نعوذ بالله منها ومن كل فتنة مضلة، لم يُمكن الله عز وجل لهم في الأرض، ولم تظهر دعوتهم ولا دينهم على الدين كله لأن الظهور على الدين كله لم ولن يكون إلا لخاتم النبيين محمد ﷺ «هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا» (الفتح: ٢٨)، ولو كره الكافرون،ولو كره المشركون.

أما هؤلاء الدجالون فقد يتمكن بعضهم من التلبيس والتدليس على بعض الناس لبعض الوقت، ثم يفضحهم العزيز الحكيم.

ابن صياد والأعور الدجال

كان ابن صياد غلاماً يهودياً يأتيه شيطانه بوحي شيطاني وكان النبي ﷺ يظن في أول الأمر أنه المسيح الدجال ثم تبين له بعد ذلك أمره وأنه من إخوان الكهان، وقد قال له رسول الله ﷺ ذات مرة: إني قد خبأت لك خبيئاً. فقال: الدُخ. فقال له رسول الله ﷺ: اخسأ فلن تعدو قدرك، لأنك من إخوان الكهان. وقال له رسول الله ﷺ: أتشهد أني رسول الله ؟ فقال للنبي ﷺ: أتشهد أني رسول الله ؟ وقال له النبي ﷺ ما ترى ؟ قال: أرى عرشاً على الماء، فقال رسول الله ﷺ: ترى عرش إبليس على البحر، وقد هم عمر بن الخطاب بقتله واستأذن رسول الله ﷺ في ذلك فنهاه رسول الله ﷺ، ويقال إنه أسلم بعد ذلك.

وقد كان عمر بن الخطاب يقسم أنه المسيح الدجال فقال له رسول الله ﷺ: إن يكن الذي تخاف فلن تستطيع قتله.

أما المسيح الدجال فقد أخبر النبي ﷺ أنه يملك الأرض ويعيث فيها فساداً، يمر بالأرض الخربة فيقول لها أخرجي كنوزك، يبقى في الأرض أربعين يوماً، يقول للناس أنا ربكم، معه مثل الجنة لمن أطاعه، والنار لمن عصاه، وهو أعظم فتنة من كل دجال سواه، فيظل على حاله حتى ينزل المسيح عيسى ابن مريم فيطلب الدجال ويقتله.

(مسلم ك الفتن ب ذكر الدجال وصفته).

وبين الدجال الأول- ابن صياد- وبين الدجال الأكبر المسيح الدجال دجالون كذابون كما في حديث رسول الله ﷺ، منهم من زعم أنه نبي يأتيه الوحي من السماء، ومنهم من زعم أنه المهدي المنتظر، وهم كثيرون لا تنطلي بدعتهم إلا على السفهاء والجهلاء، ثم يفضحهم الله عز وجل وتنتهي دعواتهم إلى زوال.

لقد ادعى النبوة في حياة النبي ﷺ الأسود العنسي صاحب صنعاء، ومسيلمة الكذاب صاحب اليمامة، وقد رأى النبي ﷺ في منامه سوارين في يده، فكرههما، فقيل له:

انفخهما، قال: فنفختهما فطارا، قال ﷺ: فأولتهما كذابين يخرجان صاحب صنعاء وصاحب اليمامة.

أما الأسود العنسي فقُتل في حياة النبي ﷺ قتله فيروز الديلمي، وأما مسيلمة الكذاب الحنفي فقد زعم أن محمداً ﷺ أشركه معه في الأمر، وكان مسيلمة في وفد بني حنيفة، وجعل يقول: لو جعل لي محمد الأمر من بعده اتبعته.

وقال له النبي ﷺ لو سألتني هذا العسيب- جريدة من النخل- ما أعطيتكه ولئن أدبرت ليعقرنك الله، وإني لأراك الذي أُريت فيه ما أريت.

وقد قاتله المسلمون في حروب الردة وكان جند مسيلمة مائة ألف أو يزيدون وكان المسلمون بضعة عشر ألفاً، فلما التقوا جعل كثير من الأعراب يفرون فقال المهاجرون والأنصار: خلصنا يا خالد، فميزهم عنهم وكانوا قريباً من ألفين وخمسمائة، فصمموا الحملة يقولون يا أصحاب سورة البقرة بطل السحر اليوم، فهزموهم بإذن الله حتى ألجأوهم إلى حديقة الموت فتحصنوا بها، ففتح البراء بن مالك باب الحديقة، وقد حملوه على الأسنة وقذفوه من سورها، وقتل مسيلمة الكذاب بحربة وحشي، فصرخت جارية: وآ أميراه قتله العبد الأسود.

(البداية والنهاية).

وتنبأت في نفس الوقت امرأة يُقال لها سجاح وتعاونت مع مسيلمة الكذاب ثم هربت بعد ذلك ويقال إنها تابت وكذلك طُليحة الأسدي تنبأ وارتد في حياة النبي ﷺ وكان معه قومه بنو أسد، ومعهم غطفان وعبس وذبيان وكان معه عيينة بن حصن الفزاري في سبعمائة من قومه واستنقذ الله طيء ببركة ثبات عدي بن حاتم فصاروا مع خالد بن الوليد.

وكان عيينة بن حصن قد تابع طليحة وقال: لَنَبيٌّ من بني أسد خير من نبي من بني هاشم، وكان يقاتل في قومه ضد المسلمين، ثم يأتي طليحة فيقول له: هل جاءك جبريل ؟ فيقول: لا، ثم يقاتل ويعود فيقول: هل جاءك جبريل ؟ فيقول: لا، فلما كان الثالثة: قال: هل جاءك جبريل ؟ قال: نعم، قال: فما قال لك ؟ قال: قال لي إن لك رحاء كرحاه، وحديثاً لا تنساه.

فقال عيينة: أظن أن قد علم الله سيكون لك حديث لا تنساه، ثم انصرف عنه بقومه وانهزم، وانهزم الناس عن طليحة، وفر طليحة بامرأته إلى الشام، ثم رجع بعد ذلك تائباً وشارك مع خالد بن الوليد في الفتوح.

ومن الذين ادعوا النبوة أيضاً: المختار بن أبي عبيد الثقفي حيث خرج في خلافة بني أمية ثائراً للحسين بن علي وجعل يتتبع قتلة الحسين ويقتلهم، ثم غلب على الكوفة وادعى النبوة وزعم أن جبريل يأتيه، روى أبو داود الطيالسي بسند صحيح عن رفاعة بن شداد قال: كنت أبطن شيء بالمختار، فدخلت عليه يوماً، فقال: دخلت وقد قام جبريل قبل من هذا الكرسي.

وروى يعقوب بن سفيان بإسناد حسن عن الشعبي أن الأحنف بن قيس أراه كتاب المختار إليه يذكر أنه نبي، وقتل المختار سنة بضع وستين قتله مصعب بن الزبير.

ومن الذين ادعوا المهدوية محمد بن تومرت حيث تغلب على بلاد المغرب وأقام دولته التي عرفت بدولة الموحدين على أنقاض دولة المرابطين وكان شراً على الملة من الحجاج بن يوسف بكثير، فقد كان يضع بعض أتباعه في القبور، ثم يخرجون على الناس فيقولون لهم إنه المهدي الذي بشر به رسول الله ﷺ، وانتصر لعقائد الجهمية نفاة الصفات وله عقيدة مكتوبة يقال لها المرشدة وكان بعض الحنابلة يسميها المضلة.

ومن الذين ادعوا المهدوية أيضاً عبد الله بن ميمون القداح، وانتسب كذباً وزوراً لأهل البيت واستولت ذريته على بلاد المغرب ومصر والشام والحجاز وأقاموا خلافتهم الباطنية الرافضية، وأباد الله عز وجل ملكهم على يد صلاح الدين الأيوبي.

وختاماً: فهل القادياني والبهائي وأمثالهما إلا من أمثال هؤلاء ؟

فاعتبروا يا أولى الأبصار

وأتساءل أيها القاديانيون ما حكم من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأقام الصلاة وآتى الزكاة وصام رمضان وحج البيت وآمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره وآمن بالقرآن الكريم وأحل حلاله وحرم حرامه ولم يؤمن بغلامكم القادياني ؟ هل هو مؤمن عندكم أم لا؟؟

اغتنام الأوقات في شهر الخيرات

بقلم

د. جمال المراكبي

الرئيس العام

WWW.ELMARAKBY.COM

رمضان شهر الخيرات والبركات، يجمع الله فيه للمؤمن ألواناً من الطاعات قلما تتيسر له في غير رمضان، فهو سوق رائجة للجنة «إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين ومردة الجان» متفق عليه.

وقد جعل الله سبحانه أبواب الجنات على حسب ألوان الخيرات والطاعات، فجعل للصلاة باباً وللصوم باباً وللجهاد في سبيل الله باباً، فعن أبي هريرة رضي اللهُ عنه أن رسول الله ﷺ قال «من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من أبوب الجنة: يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دُعي من باب الصلاة ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة، فقال أبو بكر: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها ؟ قال: نعم وأرجو أن تكون منهم» متفق عليه

فهل ترجو أن تكون من أهل هذه الأبواب وقد جمع الله تعالى لعباده في رمضان بين الصلاة فرضاً ونفلاً، ويسر لهم قيام الليل في رمضان، وبين الصوم المفروض في رمضان النافلة بعده، وبين الزكاة والصدقة وإطعام الطعام وتفطير الصائمين ومجاهدة النفس والشيطان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقراءة القرآن وسماعه في الصلاة وخارج الصلاة، والدعوات، والأذكار، والعمرة والطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة والاعتكاف في المساجد وغيرها من أعمال البر والخيرات والناس ما بين مستقل ومستكثر، ومقبل ومدبر وحريص على الخير ومعرض عنه، فاختر لنفسك، وسل ربك الهداية إلى الخيرات، فإنما التوفيق والسداد بيد الله عز وجل، ولن تنال هذه البركات، وتنهل من معين الخيرات والقربات ما لم تطهر نفسك من الذنوب والآثام بالتوبة النصوح

والاستغفار وقد من الله تعالى علينا فجعل صيام رمضان وقيامه سبباً لمغفرة الذنوب والعتق من النيران فلله عتقاء من النار وذلك في كل ليلة من ليالي رمضان، فمن صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، والتعيس البائس الذي يُحرم هذه البركات ومن أدرك رمضان ولم يغفر له أبعده الله، فيا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر ويا طالب المغفرة استغفر ويا مشمراً للجنة هذه جنة الخلد قد تهيأت.

منهج عملي لاغتنام رمضان

أولاً : ارفع جهاز التلفاز من البيت ودع الأفلام والمسلسلات والفوازير والمباريات فهي أعظم شاغل يحول بينك وبين اغتنام الأوقات في شهر الخيرات، أو على أقل تقدير اضبط جهازك على قنوات تبث القرآن الكريم والعلم الشرعي النافع.

ثانياً : حافظ على أداء الصلوات الخمس في المسجد واحرص على صلاة الجماعة حيث يتضاعف الأجر كما قال رسول الله ﷺ «صلاة الرجل في جماعة تعدل صلاته في بيته بسبع وعشرين درجة».

والزم مسجداً يقيم السنة، ويدحض البدعة، واحرص على احتساب خطواتك إلى المسجد، فإن كل خطوة يكتب الله لك بها درجة كما ذكر النبي ﷺ.

واحرص على التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل بعد كل صلاة وقراءة آية الكرسي وسورة الإخلاص والمعوذتين، واعلم أن جلوسك في المسجد بعد الصلاة يساوي ثواب الصلاة، والملائكة يصلون على أحدكم ما دام في مجلسه الذي صلى فيه يقولون: اللهم ارحمه، اللهمّ اغفر له، اللهم تب عليه، ما لم يؤذ فيه، ما لم يحدث فيه.

ثالثاً : احرص على أداء السنن الرواتب في بيتك ولا تجعل بيتك كالقبر الذي لا يُصلى فيه، واعلم أن ثواب النافلة في البيت خير من ثوابها في المسجد لقول النبي ﷺ : «أفضل صلاة الرجل في بيته إلا المكتوبة» ولقوله ﷺ: «صلاة الرجل النافلة في بيته أفضل من صلاة في مسجدي هذا، فإذا كانت الصلاة في مسجد النبي ﷺ خير من ألف صلاة فيما سواه عدا المسجد الحرام، فصلاة النافلة في البيت تفضل صلاتها في المسجد بهذا القدر وزيادة.

واحرص على ركعتين قبل الصبح، فهما خير من الدنيا وما فيها وأربع قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين بعد المغرب وركعتين بعد العشاء لقول النبي ﷺ «من صلى اثنتي عشرة ركعة في يوم وليلة بُني له بهن بيت في الجنة» ولو صليت أربعاً قبل العصر، وركعتين قبل المغرب، وركعتين قبل العشاء، فضلاً عن تحية المسجد وسنة الوضوء فهو خير، واعلم أن رسول الله ﷺ قال: «رحم الله امرءاً صلى قبل العصر أربعاً»، وقال ﷺ: «صلوا قبل المغرب».

واحرص على قيام الليل في رمضان مع الإمام، فمن صلى مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة، وصلاتك في جوف الليل خير من صلاتك في أوله، واجعل آخر صلاتك من الليل وتراً.

ونصيحتي للأئمة في المساجد بالتخفيف في دعاء القنوت وعدم الإطالة فيه، مع الحرص على دعاء الاستفتاح والدعاء قبل السلام فإنه أقرب للسنة وهدي النبي ﷺ.

دخل بعض السلف على أحد الصالحين قال: فأطال الصلاة فلما فرغ قلت: قد

إذا أردت اغتنام رمضان فارفع جهاز التلفاز ودع الأفلام والمسلسلات والفوازير والمباريات، فإنها أعظم شاغل يحول بينك وبين اغتنام الأوقات في شهر الخيرات

كبرت ووهن عظمك ورق جلدك وضعفت قوتك ولو اقتصرت على بعض صلاتك، فقال: اسكت، طريق عرفنا به ربنا، لا ينبغي لنا أن نقتصر منه على بعضه، والنفسُ ما حملتها تتحملُ، والصلاة صلة بين العبد وربه، فالله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت، والسجود قربة كما قال تعالى: ﴿ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾، وقال ﷺ: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد» ومن ترك طريق القرب يوشك أن يُسلَك به طريق البعد، ثم أنشد:

صبرت عن اللذات حتى تولت
وألزمت نفسي هجرها فاستمرتِ
وكانت على الأيام نفسي عزيزة
فلما رأت صبري على الذل ذلتِ
وما النفس إلا حيث يجعلها الفتى
فإن تُوَقَتْ تاقت وإلا تسلتِ

واعلم أخي المسلم أنك تستطيع أن تصلي في رمضان أكثر من ألف ركعة، في كل يوم أكثر من خمسين ركعة إذا حرصت على هذه النوافل، والحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة.

رابعاً : احرص على قراءة القرآن بترتيل واحرص على تدبره ولا يكن همك كم مرة تختم القرآن، ولكن كيف تأثرت بتلاوة القرآن وسماع القرآن، واعلم أن الله تعالى يستمع إليك كما قال رسول الله ﷺ: «ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به». واعلم أن السكينة تتنزل للقرآن، والملائكة تدنو منك تستمع للقرآن، فاحرص على أن تفرغ قلبك من الشواغل والصوارف، وأن تتدبر القرآن لقول الله تعالى: ﴿ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾

واعلم أن رسول الله ﷺ خرج على الناس يوماً فقال: أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان، أو إلى العقيق فيأتي منه بناقتين كوماوين - عظيمتين - في غير إثم ولا قاطع رحم. فقالوا: يا رسول الله كلنا نحب ذلك، فقال: أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله عز وجل خير من ناقتين، وثلاث خير من ثلاث وأربع خير من أربع، ومن أعدادهن من الإبل. رواه مسلم

واعلم أن الله عز وجل يعطيك بكل حرف تقرؤه حسنة والحسنة بعشر أمثالها كما قال رسول الله ﷺ «من قرأ حرفاً من كتاب الله له حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول «ألم» حرف ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف» رواه الترمذي وقال حسن صحيح.

واعلم أن قارئ القرآن يرتقي في درج الجنة كما قال رسول الله ﷺ: «يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها» رواه أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح.

فاحرص على ختم القرآن تلاوة وسماعاً في الصلاة وخارج الصلاة واعقد المنافسة بين الأهل والأولاد واشغلهم بالقرآن.

خامساً : احرص على الأذكار الموظفة في الأوقات كأذكار الصباح والمساء والأدعية والتعوذات الثابتة عن النبي ﷺ، واعلم أنه عمل قليل وأجر كبير، تدرك به من سبق، وتسبق به غيرك ويذكرك الله عز وجل فيمن عنده ويُشهد ملائكته أنه سبحانه قد غفر لك، وسوف أضرب لك مثلاً:

يا باغي الخير: أقبل على ربك وحافظ على أداء الصلوات في جماعة واحتسب خطواتك إلى المساجد، والزم مسجداً يقيم السنة ويدحض البدعة، واحرص على الأذكار بعد كل صلاة، واعلم أن الملائكة تصلي عليك ما دمت في مصلاك. يسر الله لك وسدد خطاك

اقرأ سورة الإخلاص وسورتي المعوذتين ثلاث مرات في الصباح والمساء وعند النوم، واحتسب بها ثواب قراءة القرآن كله ثلاث مرات، وأن يكفيك الله عز وجل من كل شيء.

قل سبحان الله وبحمده مائة مرة

قل لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مائة مرة.

ويا حبذا لو استخدمت كتاباً صغيراً يتضمن صحيح الأذكار حتى تحفظها.

سادساً : احرص على الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان ما أمكن ذلك، فإن لم تستطع فليلة من ليالي الوتر من العشر الأواخر من رمضان غلبه الظن على ظنك أنها ليلة القدر.

فلقد كان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله تعالى ثم اعتكف أزواجه من بعده. متفق عليه

ويا حبذا لو كان الاعتكاف في المسجد الحرام حيث يضاعف الله سبحانه الأجر أضعافاً كثيرة، والعمرة في رمضان تعدل ثواب الحج كما ذكر النبي ﷺ.

سابعاً : احرص على الإخلاص وترك الرياء والعجب فإن الله عز وجل لا يقبل من العمل إلا ما كان لله خالصاً وابتغى به صاحبه وجه الله عز وجل، فاحرص على المداومة على هذا العمل، واحتسب الثواب على الله عز وجل، ولا تنس ضعفك وعجزك وتقصيرك فاستغفر الله عز وجل، واعلم أن الله هو الغني الحميد، وأنك فقير إلى عفوه ومغفرته ومثوبته.

ثامناً : طهر صومك، وطهر يومك وليلتك وشهرك من الغيبة والنميمة وقول الزور وشهادة الزور واعلم أن الصوم جُنة وحصن حصين من النار فلا تخرق هذه الجنة وقد قال رسول الله ﷺ: الصوم جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يفسق ولا يجهل، وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إني صائم إني صائم، واعلم أن سلفنا الصالح كانوا أحرص الناس على سلامة الصوم من آفات اللسان، وكان بعضهم يجلس في المسجد ويقول نطهر صومنا.

تاسعاً : احرص على الصدقة والجود، وأد زكاة مالك وأنفق في وجوه الخير، واعلم أنه لا ينقص المال بالصدقة وقد أقسم النبي ﷺ على ذلك

واعلم أن رسول الله ﷺ كان أجود الناس بالخير وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة في رمضان يعرض عليه النبي ﷺ القرآن، فإذا لقيه جبريل عليه السلام كان أجود بالخير من الريح المرسلة. متفق عليه

واحرص على إطعام الطعام، وتفطير الصائمين فمن فطر صائماً كان له مثل أجره، لا ينقص من أجر الصائم شيئاً.

وأخيراً : تذكر أن العمر قصير، فاغتنم حياتك قبل موتك وشبابك قبل هرمك - شيخوختك - وصحتك قبل مرضك، وسل ربك التوفيق والسداد.

الصوم جنة وحصن حصين من النار، فطهر صومك وطهر يومك وليلتك من الغيبة والنميمة وشهادة الزور، وسر على درب سلفك فقد كانوا أحرص الناس على سلامة صومهم من الآفات

خواطر إيمانية بعد انقضاء شهر القرآن

بقلم
د. جمال المراكبي
الرئيس العام
WWW.ELMARAKBY.COM

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله الصادق الوعد الأمين، صلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه ومن تبع هداه إلى يوم الدين، وعلى رسل الله أجمعين، أما بعد:

فكل عام وأنتم بخير، وتقبل الله منا ومنكم صالح العمل، وبارك لنا في أعمالنا وأعمارنا، وغفر الله لنا ولكم الذنوب والخطايا ما تقدم منها وما تأخر، ورزقنا المزيد من القُرْبِ منه سبحانه بالحرص على القُرُبَات، والبعد عن مواطن الزلات والعثرات، ووفقنا للمزيد من ذكره وشكره وحسن عبادته، وحسن الظن به سبحانه، وثبتنا على الإيمان والإسلام، ووفقنا للإحسان.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرَّبَ إليَّ شبرًا تقربتُ إليه ذراعًا، وإن تقرب إليَّ ذراعًا، تقربت إليه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة». رواه البخاري، ك التوحيد، ومسلم ك الذكر، والترمذي ك الزهد، والدعوات، وابن ماجه ك الأدب، وأحمد في مسند المكثرين بروايات عديدة وفي بعضها: «من عمل حسنة فله عشر أمثالها أو أَزِيدُ، ومن عمل سيئة فجزاؤه سيئة أو أَغْفِرُ، ومن عمل قراب الأرض خطايا ثم لقيني لا يشرك بي شيئًا جعلت له مثلها مغفرة، ومن اقترب إلي شبرًا اقتربت إليه ذراعًا، ومن اقترب إليَّ ذراعًا اقتربت إليه باعًا، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة».

هل شعرت بالقرب من ذي الجلال والإكرام ؟

هل قرأت القرآن في رمضان ؟

هل زال الران من على قلبك أم على قلوب أقفالها؟

هل استشعرت حلاوة القرآن ؟

هل تعرفت على ربك وأنت تتلو كلامه؟

هل وقفت على أحكامه وعرفت حلاله وحرامه؟

هل تاثرت بوعده ووعيده، فأورثك ذلك رغبةً ورهبة، وامتلأ قلبك رجاءً وخشية ؟

هل اقشعر قلبك، وجلدك ؟

هل اطمأن قلبك ؟

﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ (٢٢) اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ [الزمر: ٢٢- ٢٣].

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (٢٨) الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ (٢٩) كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾ [الرعد].

هل تعرفت على ربك الرحمن من آيات القرآن؟ لا شك أن القرآن الكريم هو كلام ربنا العظيم، نزل به الروح الأمين على قلب رسوله الصادق الأمين، وقد حفظه الله تبارك وتعالى فلم تنله أيدي العابثين ولم تطله أيدي المحرفين.

﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلاَ بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ (٤٢) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٣) وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ (٤٤) لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (٤٧) وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ (٤٨) وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ (٤٩) وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ (٥٠) وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ (٥١) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ [الحاقة: ٤٠-٥١].

سبحان ربي العظيم، ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠) وَسَلاَمٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الصافات: ١٨٠- ١٨١].

إن أول سورة في القرآن، وهي أعظم سورة في القرآن لم يعرف البشر مثيلاً لها، ولم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الفرقان مثلها، فاتحة الكتاب وأم القرآن تُعرفنا على ربنا الرحمن فهو رب العالمين الذي خلق كل شيء فقدره تقديرًا، الرزاق ذو القوة المتين، فما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها، مدبر الأمر: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلاَ شَفِيعٍ أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ (٤) يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (٥) ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٦) الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (٨) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ ﴾ [السجدة: ٤- ٩].

ذلكم الله رب العالمين المستحق لجميع أنواع المحامد والمدائح لما له من صفات الجلال والكمال، وبما أنعم به على عباده من نعم لا سبيل لحصرها ولا طاقة لهم على عدها وإحصائها: ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا ﴾، سبحانك اللهم وبحمدك، لا نحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك، ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾، وتسترسل السورة الكريمة فتعرفنا بربنا الرحمن الرحيم، قسم الرحمة مائة جزء، فانزل منها جزءًا واحدًا منه يتراحم الخلق حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه، فلو يعلم الكافر بكل

القرآن يُعرفك بالذي أنزله جل وعلا، فهل ذقت حلاوة معرفة الله بآياته وصفاته؟

الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة، ولو يعلم المسلم بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن النار، خلق الله سبحانه الجنة وجعلها دارًا للرحمة لا يدخلها إلا أهل رحمة الله، وقال لها: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء، فهو سبحانه أرحم بعباده من الوالدة بولدها: ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٧) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٨) وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [غافر: ٧-٩].

وهو سبحانه الملك، مالك يوم الدين، حيث يرث الأرض ومن عليها، ويحشر الناس حفاة عراة غرلاً بهما: ﴿ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾، ﴿ يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لاَ يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (١٦) الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لاَ ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [غافر: ١٦-١٧].

فمن يستحق العبادة سِوَاه، وإلى من نلجأ إلا لله، ومن يمد لنا يد العون إلا الله، فإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن أهل الدنيا لو اجتمعوا على أن ينفعوك لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وطويت الصحف وجف القلم بما أنت لاق، فاللهم اهدنا بفضلك إلى صراطك المستقيم الموصل إلى جنات النعيم مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا، وقنا يا مولانا سبيل المغضوب عليهم بتكذيبهم الحق ومعاندتهم له، وسبيل الضالين الذين ضلوا الحق وأخطأوه وتخبطوا فيه: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧].

وهو سبحانه الذي خلقنا والذين من قبلنا، وخلق لنا ما في الأرض جميعًا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات وهو بكل شيء عليم، جعل لنا الأرض فراشًا والسماء بناءً وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقًا لنا، انظر إلى ثمره إذا أثمر وينعه، وكلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين.

خلق الله تعالى آدم واستخلفه في الأرض وقال للملائكة إني أعلم ما لا تعلمون، وعلم آدم الأسماء، وتاب عليه حين عصاه، وعلمه كيف يتوب، ثم تاب عليه، فهو سبحانه التواب الرحيم.

ولو تتبعنا ما في أي القرآن من أوصاف وأفعال وأسماء لربنا الرحمن لطال بنا المقام والمقال، ولكن القلم يعجز عن الإحصاء، والقلب والعقل يعجز عن الإحاطة والإدراك، فسبحانك اللهم لا نحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك.

ومما وصف الله به نفسه في كتابه ما ذكره سبحانه في أعظم آية في القرآن، التي من قرأها في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح: ﴿ اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ

الجنة دار رحمة الله تعالى يرحم بها من يشاء، ولو يعلم الكافر سعة رحمة الله لم ييأس من الجنة

عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وما وصف الله به نفسه في سورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن، ويحب الله تبارك وتعالى من يحبها ويدخله الجنة، كما قال النبي ﷺ للرجل الذي كان يقرأ بها في كل صلاة: «حُبك إياها أدخلك الجنة». وقال ﷺ: «أخبروه أن الله يحبه». وما هذا إلا لأن الرجل قال عنها: «لأنها صفة الرحمن فأنا أحب أن أقرأ بها».

وهي المتضمنة لاسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سُئل به أعطى، فـ «اللهم إني أسألك بأنك أنت الله الواحد الأحد، الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد» أن تملأ قلوبنا بمحبتك وطاعتك، وأن ترزقنا حبك، وحب من يحبك، وحب عمل يقربنا إلى حبك، وأن ترزقنا خشيتك في الغيب والشهادة، وكلمة الحق في الغضب والرضى، والقصد في الفقر والغنى، ونعيمًا لا ينفد، وقرة عين لا تنقطع، والرضا بعد القضاء، وبرد العيش بعد الموت، ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مُضلة.

اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين.

وما بين دفتي المصحف من آيات تتضمن الكثير من الأسماء والصفات لنتعرف على ربنا الرحمن كلما تلونا آيات القرآن الواجب علينا تجاه هذه الآيات أن نعلمها لنعرف بها ربنا، وأن نعلم يقينًا أن الله عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، ولا يحيطون به علمًا ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء، فتقطع الطمع عن إدراك كيفية ذاته العليا، وصفاته السرمدية، مع اثباتنا لما أثبته القرآن ونفينا ما نفاه القرآن، وأن نسكت عما سكت عنه القرآن، وكذلك مع ما ثبت عن الرسول ﷺ في صحيح السنة، نثبته لله على الوجه اللائق بالله، ولا نرد على رسول الله ﷺ، فهو أعلم بالله عز وجل من كل أحد سواه لأنه لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى.

ولهذا قال علماؤنا الأجلاء: إن اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

وأن من الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصفه به أعلم الخلق به رسول الله ﷺ من غير تمثيل ولا تكييف ومن غير تعطيل ولا تحريف.

رزقنا الله وإياكم من الإيمان به وطاعته ما يبلغنا به جنته ورضوانه، ومن الخوف منه وخشيته ما يحول به بيننا وبين معاصيه، ومن اليقين ما يهون به علينا مصائب الدنيا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

بالإنصاف

بقلم

د. جمال المراكبي

الرئيس العام

WWW.ELMARAKBY.CO

الحمد لله رب العالمين.. واشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين واشهد أن محمداً عبده ورسوله الصادق الوعد الأمين صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين..

أما بعد..

فإن من الإيمان أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك من الخير، وتكره لأخيك ما تكره لنفسك من الشر فتعطي أخاك من الحق مثل الذي تحب أن تأخذه منه لو كنت مكانه ويكون ذلك بالأقوال والأفعال في الرضا والغضب مع من تحب ومع من تكره، فهذا هو خلق المؤمنين كما قال رسول الله ﷺ «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» متفق عليه ك الإيمان.

وقال عمار بن ياسر رضي الله عنه(ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان: الإنصاف من النفس، وبذل السلام للعالم، والإنفاق من الإقتار).

وفي دعاء النبي ﷺ : (اللهم أسالك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسالك كلمة الحق في الغضب والرضا، وأسالك القصد في الفقر والغنى) أحمد والنسائي بسند صحيح.

وأصل ذلك في كتاب الله عز وجل قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة٨).

قدم إلي أحد أبنائي من طلبة العلم غاضباً وسلمني رسالة يقول فيها «اطلعت على شبكة الإنترنت على أحد المنتديات السلفية، أو التي تدعي أنها سلفية فاستبشرت خيراً، وشاركت في المنتدى بصفتي عضوا محبًا للمنهج السلفي ثم فوجئت بمنبر يطلقون عليه«أرشيف أهل الأهواء والانحرافات»، فلم أجد شيخاً معروفاً في مجال الدعوة إلى الله إلا وقدحوا فيه ونالوا منه ونسبوه إلى البدعة والضلالة والانحراف.

لكن الذي أفزعني شيخي الجليل هذا الذي ساتلوه عليك:

ورد سؤال من بعض الإخوة في ليبيا يسمعون لجمال المراكبي الذي يظهر في قناة الحكمة فما حال هذا الرجل ؟»

فأجاب أحد مشرفي المنتدى بقوله: «وعليكم السلام ورحمة الله، جمال المراكبي ، من جماعة أنصار السنة ، ومعلوماتي عنه أنه حزبي جلد ويدافع عن أهل الأهواء عندنا في مصر...

وليس عندي أقوال أهل العلم فيه إلا كلاما للقوصي- ردّه الله للحق- ، وكان ذلك من زمن بعيد...»

فكتب أحد الأعضاء متسائلاً:

هل كل من في جماعة أنصار السنة حزبيون، الرجل الذي تقدح فيه هو الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية بمصر. أتدرك ما تقول يا أخي؟ معنى هذا أن الجماعة كلها

حزبية، وهذا ليس صحيحًا، ثم من هم أهل الأهواء الذين يدافع عنهم؟ فأنا أشعر أن البلد على قياساتك كلها من أهل الأهواء. والله المستعان.

فرد المشرف هذا على الأخ وقال «من قال لك: إني قلت: إن كل من في جماعة أنصار السنة من المنحرفين عن السنة !!!!

ألا تدري بارك الله فيك أن الشيخ حسن عبد الوهاب البنا حفظه الله عضو في هذه الجماعة ؟؟

فلا تتكلم فيما لا تحسنه بارك الله فيك ولا تُقوّلني ما لم أقل !

راجع كلامي مرة أخرى يا رعاك الله خاصة قولي (جمال المراكبي ، من جماعة أنصار السنة ، ومعلوماتي عنه أنه حزبي جلد ويدافع عن أهل الأهواء عندنا في مصر... فهل تفهم من هذه الجملة أني أرمي جماعة أنصار السنة بكل أعضائها بالبدعة !!!؟

ثم تابع فقال «بالنسبة لقولك من أهل الأهواء الذين يدافع عنهم ؟؟

لتعلم يا أخانا الكريم أني ما قلت ذلك إلا نقلا عن كثير من المشايخ ولكن كما قلت سابقا ، ليس عندي كلام مسجّل لأحد المشايخ إلا كلاما لأسامة القوصي قال فيه عن المراكبي: إنه كان سببا في انحراف الجماعة عن الجادة بشكل كبير وأنه أدخل في الجماعة أنفاس الإخوانيين والتكفيريين.... وهو كلام قديم منذ أكثر من ست سنوات وكان القوصي أيامها على الجادة بشهادة أهل العلم جميعا ولكن لا أجيز لنفسي أن أضع له شيئا هنا بعد أن انحرف القوصي عن سواء الصراط وتكلم فيه علماء السنة في المملكة وفي اليمن الحبيب... فتنبه أخي الفاضل قبل أن ترمي الكلام على عواهنه، وهذا هو موقع المراكبي أمامك على الشبكة العنكبوتية فانظر فيه وأنت تعلم من هم أهل الأهواء الذين ينافح عنهم .

فانظر على سبيل المثال لحلقاته المعروضة على موقعه والتي خرج فيها في قناة الحكمة الحزبية !!!! التي يظهر عليها دائما !!! وكان معه مصطفى العدوي في إحدى الحلقات !! واستمع له وهو يثني على العدوي ثناءً عطرا!

أو انظر إن شئت إلى حلقاته المسجلة على قناة الناس المنحرفة !!! ، فهو دائم الظهور في هذه القناة التي حذّر منها العلماء ، وما أدراك ما قناة الناس ثم ما أدراك ما قناة الناس !

واقرأ مقالاته في مجلة التوحيد وطالع ثناءه المتواصل على محمد حسان والحويني ويعقوب ... إلخ القائمة السوداء !!!

يكفيك زيارة واحدة لموقعه الرسمي على الشبكة لتجد هذه الطوام.

فالرجل حاله ظاهر للجميع بارك الله فيك منذ سنوات عديدة ، وما تكلم فيه مشايخ مصر من فراغ ، فاسأل المشايخ فهم أحياء يرزقون ! ، فإن كنت لا تثق في نقلي فعليك بالمشايخ

قال شيخ الإسلام- رحمه الله-: (وأما الحذر من الرجل في شهادته وأمانته ونحو ذلك ، فلا يحتاج إلى المعاينة، بل الاستفاضة كافية في ذلك، وما هو دون الاستفاضة ، حتى أنه يستدل عليه بأقرانه كما قال ابن مسعود: «اعتبروا الناس بأخدانهم» فهذا لدفع شره ، مثل الاحتراز من العدو..)

السياسة الشرعية...ص١٥٢ .

فما بالك بمن كان ممشاه ومدخله وألفته مثل المراكبي هذا ، بل وتكلم فيه أهل العلم أيضا ؟؟

ثم تابع هجومه على الأخ بقوله(أسلوبك هذا أسلوب غير مهذب و غير مقبول بارك الله فيك ، فأرجو عدم العودة لمثل ذلك ثانية حتى لا تتعرض عضويتك في المنابر للإيقاف ، وهذا ما لا أرجوه

وتذكر قول النبي ﷺ: " رحم الله عبدا قال خيرا وغنم أو سكت عن سوء فسلم "

وعندما يلتبس عليك شيء فراسل المشرف على الخاص ولا تتسرع هكذا على العام وتخوض فيما لا تفهمه وما لم تحط به علما ، ثم ترمي إخوانك-بسبب ذلك- بالتهم جزافا !! والله المستعان.

وهذا هو منهج كثير من المشتركين بالمنتدى حتى إننا وجدنا تصديقًا على قول هذا المشرف فقال عضو آخر:

«نعم جمال المراكبي مندمج مع الحزبيين ويدرس في مساجدهم ومسجد العزيز بالله فهذا الرجل حزبي ولم يظهر منه منهج سلفي جاد حتى الآن ؛فعلى الإخوة في ليبيا أن يغسلوا أيديهم من هذا الرجل».

فصدّق هذا المشرف على هذا القول وقال: «نعم ، هذا صحيح وله دروس ثابتة في مسجد العزيز بالله كما في جدول الدروس الذي على موقعه وهذا المسجد قال المشايخ إن كل من يدّرس فيه هم من التكفيريين أو الحركيين فليس فيه من أهل السنة أحد، بل حذّر بعض المشايخ من الذهاب إلى هذا الشارع- العزيز

بالله- أصلا، درءا للشبهات.

فصدَّق عضو آخر وقال: «بارك الله فيكم فحال الرجل صار معروفًا ويكفينا انه يظهر على قناة الحكمة مع العدوي بارك الله فيكم».

فكتبت مستعيناً بالله أنافح عنكم وقلت: «لا أقول إلا كما قال إبراهيم عليه السلام وكما قال رسولنا محمد ﷺ حين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانًا وقالوا (حسبنا الله ونعم الوكيل).

ما هذا الهراء الذي أرى وهذا الجرح غير المفسر الذي تنقلونه عن الشيخ جمال؟

ما هي أسس الجرح عندكم؟؟؟

هل من أسس الجرح أن تقول ليس عندي دليل على جرح الرجل إلا كلام لشيخ كان على الجادة ثم انحرف؟ ثم إنني لن آخذ كلامه بوجه الاعتبار وأين النقول عن أهل العلم المعتبرين في جرح الرجل وأنت تقول لم أقف على كلام أحد من أهل العلم؟ فهلا نقلت لنا قولاً واحداً نثبت به هذا الجرح وهل قرأت كلام الشيخ القوصي جيداً ورأيته يذكر جمال المراكبي تحديداً.

هل الرجل الذي يكتب عقيدة الإمام الشافعي ويؤكد أن عقيدة الإمام الشافعي هي عقيدة أهل السنة والجماعة وليست عقيدة الأشاعرة!! يقال عنه: إنه من أهل الأهواء والبدع؟

هل الرجل الذي يشرح أصول السنة عند أهل السنة والجماعة على القنوات الفضائية يقال إنه من أهل البدع؟

وبعد ذلك لم تأت بدليل آخر على جرح الرجل؟؟

مع العلم أن الشيخ أسامة القوصي لم يقصد الدكتور جمال المراكبي بقوله بل قصد الأستاذ جمال سعد وهذا رأي الشيخ وأنا لست بصدد أن أرد على الشيخ ولكني سقت هذا الكلام لكي أبين لك خطأك في نقل الدليل الذي جئت به في جرحك للشيخ.

ثم هل من أسس الجرح أن الشيخ إذا جلس مع مبتدع هل هذا يقدح في الشيخ؟؟

فهل أئمة السلف كالشافعي وأحمد وغيرهما من الأئمة الأعلام لما كانوا يجلسون مع المخالفين لهم في المنهج كان هذا يقدح في إمامتهم؟

لو أنصفت لعلمت منهج أهل السنة من الأئمة الأعلام في التعامل مع المخالفين فلو نظرت إلى فعل شيخ الإسلام ابن تيميه لما اجتمع عليه فقهاء الحنفية والشافعية والمالكية والحنابلة في مصر ثم أجمعوا على سجنه وبعد فترة أخرجه الأمير وقال له ائذن لي أن اسجنهم أو اقتلهم فقال له الإمام «لا إنك إن سجنتهم لن تجد أمثالهم) هذا مع أنهم مخالفون له. فهذا والله هو المنهج القويم..

ثم إنك أخي شنعت على الأخ الذي اتهمك بأنك ترمي أنصار السنة كلها بالبدعة وقلت في الجماعة الشيخ حسن عبد الوهاب البنا وهو من علماء المنابر السلفية كما قلت ولذلك فأنا أوجهك إلى الشيخ الذي هو عضو في مجلس الإدارة الذي يرأسه الدكتور جمال المراكبي.

فهل الشيخ يقبل أن يكون عضواً في جماعة يرأسها مبتدع على حد زعمك؟؟

ثم ألم تكلف خاطرك أن تسأل الشيخ حسن البنا عن شيخنا المراكبي ليجيبك هل هو على الجادة أم انه من أهل الأهواء والبدع؟

ثم ألم تعلم أن دروس الشيخ في مسجد العزيز بالله وغيره من المساجد يشرح فيها (عقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني) و(عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي) ويشرح (كتاب التوحيد من صحيح البخاري) (وكتاب الإيمان من الصحيحين)؟

هل طالعت هذه الدروس وهي موجودة على موقع الشيخ؟ أم جرحت الشيخ لأنه دخل مسجد العزيز بالله أو مشى في شارع العزيز بالله؟

ثانياً: أنا لن أجيبك إلا بما ألزمت نفسك به وسأنقل لك نماذج من أقوال المشايخ في جماعة أنصار السنة المحمدية بمصر وفي شيخنا جمال المراكبي. تباعاً لتعود إلى الحق وتمحو البهتان الذي رميت به الشيخ إن كنت رجاعاً إلى الحق!!

هذا تحديداً ما كتبته أنافح به عنك شيخي الجليل.

فما كان منه إلا أن حذف مشاركتي وحظر عضويتي بالمنتدى من غير أن يرد علي أو يبين لي خطأ قولي إن كنت قد أخطأت. وهذا يدل على سوء فعله وسوء منهجه فأخذتم بما بدأت به(حسبنا الله ونعم الوكيل)..

هذا ما كتبه ابننا المبارك تحديداً وأنا لا أملك أن أعلق عليه إلا بقول نبينا محمد ﷺ (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده.) وبقوله ﷺ(إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت).

وقديماً تعرض أئمة السنة لمثل هذا النقد من أمثال هؤلاء الأغمار، فقد ذكر الصابوني في عقيدة السلف أصحاب الحديث بإسناده إلى إسحاق بن إبراهيم الحنظلي قال (قدم ابن المبارك الري (مدينة مشهورة من أعمال خراسان) فقام رجل الظن به أنه يذهب مذهب الخوارج، فقال له: يا أبا عبد الرحمن، ما تقول فيمن يزني ويسرق ويشرب الخمر ؟ قال لا أخرجه من الإيمان.فقال:يا أبا عبد الرحمن على كبر السن صرت مرجئاً؟ فقال:لا تقبلني المرجئة. المرجئة تقول: حسناتنا مقبولة وسيئاتنا مغفورة، ولو علمت أنه قبلت مني حسنة لشهدت أني في الجنة).(عقيدة السلف أصحاب الحديث صـ٢٧٤) وكذلك أقول لك يا أخي الحزبيون لا يقبلونني وأهل الأهواء يهاجمونني لأنني على رأس جماعة تنصر السنة وتدحض البدعة وأنا بفضل الله أعلم منك بعيوب نفسي وأنعم بستر ربي ودائماً اردد مقولة القحطاني:

والله لو علموا قبيح سريرتي
لأبى السلام عليّ من يلقاني
ولأعرضوا عني وملوا صحبتي
ولبؤت بعد كرامة بهوان

ورحم الله أبا حاتم الرازي حينما قال(علامة أهل البدع: الوقيعة في أهل الأثر. وعلامة الزنادقة: تسميتهم أهل الأثر حشوية يريدون بذلك إبطال الآثار. وعلامة القدرية: تسميتهم أهل السنة مجبرة(١). وعلامة الجهمية: تسميتهم أهل السنة مشبهة. وعلامة الرافضة: تسميتهم أهل الأثر نابتة (٢) وناصبة (٣).

قال الإمام الصابوني (وكل ذلك عصبية ولا يلحق أهل السنة إلا اسم واحد، وهو أصحاب الحديث

وأنا رأيت أهل البدع في هذه الأسماء التي لقبوا بها أهل السنة سلكوا معهم مسلك المشركين مع رسول الله ﷺ، فإنهم اقتسموا القول فيه: فسماه بعضهم ساحراً، وبعضهم كاهناً،وبعضهم شاعراً، وبعضهم مجنوناً، وبعضهم مفتوناً، وبعضهم مفترياً مختلقاً كذاباً، وكان النبي ﷺ من تلك المعائب بعيداً بريئاً، ولم يكن إلا رسولاً مصطفى نبياً. قال الله عز وجل ﴿انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً﴾.

كذلك المبتدعة خذلهم الله اقتسموا القول في حملة أخباره، ونقلة آثاره، ورواة أحاديثه، المقتدين بسنته، فسماهم بعضهم حشوية، وبعضهم مشبهة، وبعضهم نابتة، وبعضهم ناصبة، وبعضهم جبرية.

وإحدى علامات أهل السنة: حبهم لأئمة السنة وعلمائها، وأنصارها،وأوليائها، وبغضهم لأئمة البدع، الذين يدعون إلى النار، ويدلون أصحابهم على دار البوار.

ولقد زين الله سبحانه قلوب أهل السنة، ونورها بحب علماء السنة فضلاً منه جل جلاله ومنة.

الهوامش

١- مجبرة: نسبة إلى الجبر وهو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى من غير استطاعة من العبد أصلاً.

٢- نابتة: أي من الأحداث الأغمار.

٣- ناصبة: هم الذين ينصبون العداوة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه.

إضافة وتعليق

ذكر طالب العلم الذي كان يدفع الكذب والبهتان عن الدكتور جمال المراكبي، أن عضو المنتدى استدل بكلام أسامة القوصي عن الأستاذ جمال سعد رئيس تحرير مجلة التوحيد خطأ فذكر مكانه الدكتور جمال المراكبي. والحق أن ما رمى به القوصى رئيس التحرير ليسًا صحيحًا، وقد جانبه فيه الصواب.

وكذلك استدلال عضو المنتدى على حزبية الدكتور جمال المراكبي بجلوسه مع الشيخ مصطفى العدوي- حفظه الله- مبني على الهوى لأن الشيخ العدوي من أنصار السنة، وأنصار السنة منه، وهو مشهود له بالخير في العلم الدين.

وأما عن تدريس الدكتور جمال المراكبي في مسجد العزيز بالله فلا دلالة فيه على ما قاله عضو المنتدى من حزبية الدكتور جمال، فمسجد العزيز لا يدرس فيه الدروس ولا الخطب إلا دعاة أنصار السنة وليس بينهم حزبي ولا حركي.

وأخيرًا فإن عضو المنتدى يحيل محدثه ومستمعيه إلى سؤال المشايخ عن الدكتور جمال، فمن هؤلاء المشايخ الوهميين الذين ذكرهم ولم يسم أحدًا منهم؟!

اللجنة العلمية

رسالة النبي محمد ﷺ شاهدة بصدقه

بقلم
د. جمال المراكبي
الرئيس العام
WWW.ELMARAKBY.CO

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الصادق الوعد الأمين.. صلوات ربي وسلامه عليه وعلى إخوانه من المرسلين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد..

سيرة الرسول ﷺ شاهدة بصدقه

فلقد كانت سيرة خاتم النبيين وإمام المرسلين من أعظم آيات صدقه ودلائل نبوته، أدبه ربه ورباه، وصنعه على عينه، وبعثه ليتمم مكارم الأخلاق، وجعله قدوة صالحة وأسوة حسنة لكل من يرجو الله واليوم الآخر. عرفه أهل الجاهلية صادقاً أمينا، ما جربوا عليه كذباً قط، ولم يتكلم في صباه ولا في شبابه حتى بلغ أربعين سنة في شيء من علوم الأولين، فلما جاءه أمين الوحي جبريل بمطلع سورة العلق: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١] لم يدُر بخَلَده أن قومه سيقفونَ منه موقف المخالف المعادي، فحين قال له ورقة بن نوفل: يا ليتني فيها جذع، ليتني أكون حيًا إذ يخرجك قومك، فقال ﷺ: «أو مخرجي هم ؟» قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرْك نصراً مؤزراً.

النبي ﷺ يبلغ رسالة ربه

أنزل الله تبارك وتعالى عليه قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ [المدثر: ١، ٢]، وقوله: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾، فقام ﷺ مشمراً عن ساعد الجد يدعو إلى الله طيلة ثلاثة وعشرين عاماً.

وقف على جبل الصفا ودعا بطون قريش حتى اجتمعوا إليه فقال لهم: إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فانفَضُّوا عنه ولم يستجب منهم أحد، بل قال له عمه أبو لهب: «تبا لك ألهذا جمعتنا؟»

تحمل العذاب في سبيل الدعوة

ثم تحمل هو واتباعه أشد ألوان العداء والاضطهاد واضطر أتباعه إلى الهجرة إلى بلد بعيد إلى الحبشة، ثم اضطروا إلى الهجرة إلى يثرب بعد ثلاثة عشر عاماً واستطاع النبي ﷺ أن يرسي دعائم المجتمع المسلم في المدينة المنورة فعاهد وسالم وجاهد في سبيل الله حتى دانت جزيرة العرب للإسلام ودخل الناس في دين الله أفواجاً، ورأى النبي ﷺ وأصحابه ثمار دعوتهم وجهادهم، وأظهره الله على من عاداه.

ثمار الدعوة

قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٣٢) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة ٣٢-٣٣].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ

الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا (٢٧) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح ٢٧-٢٨].

لقد عبرت هذه الآيات عن سيرة النبي محمد ﷺ أصدق تعبير فلم تعرف الدنيا رجلاً أظهره الله كما أظهر محمداً ﷺ مع كثرة أعدائه وحساده الذين قاموا عليه يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ولكن الله عز وجل أيد نبيه ﷺ وأظهر دينه على الدين كله، فالحمد لله وحده،صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده.

دعوته ﷺ الملوك والأمراء

أرسل النبي ﷺ كتاباً إلى هرقل قيصر الروم يدعوه إلى الإسلام فقال هرقل لأبي سفيان:

إن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج ولم أكن أظن أنه منكم فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه، وقال هرقل لعظماء الروم: هل لكم في الفلاح والرشاد وأن يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبي؟ (البخاري كتاب بدء الوحي).

ومزق كسرى كتاب النبي ﷺ فدعا عليه فمزق الله ملكه، وافتتح المسلمون بلاد كسرى وقيصر وغنموا كنوزهما ببركة هذه الدعوة المباركة.

خطبة الوداع وإرساء دعائم الإسلام

وقف النبي ﷺ بعرفة يخطب الناس في حجة الوداع، ليثبت دعائم الإسلام ويهدم أركان الجاهلية فيقول: « أيها الناس اسمعوا قولي، فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدا، أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا، وكحرمة شهركم هذا، وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم وقد بلغت، فمن كان عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها، وإن كل ربا موضوع، ولكن لكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون.

قضى الله أنه لا ربا، وأن ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله، وإن كل دم كان في الجاهلية موضوع، وأن أول دمائكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وكان مسترضعًا في بني ليث، فقتلته هذيل، فهو أول ما أبدأ به من دماء الجاهلية.

أيها الناس، إن الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبدا، ولكنه رضي بما تحقرون من أعمالكم فاحذروه على دينكم، أيها الناس إن النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا، يحلونه عامًا ويحرمونه عامًا، ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله ويحرموا ما أحل الله.

إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرًا، منها أربعة حرم، ثلاثة متوالية ورجب مضر، الذي بين جمادى وشعبان.

أيها الناس، إن لكم على نسائكم حقا، ولهن عليكم حقا، لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدًا تكرهونه وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضربًا غير مبرح، فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف، واستوصوا بالنساء خيرًا، فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئًا، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمات الله، فاعقلوا أيها الناس قولي، فإني قد بلغت، وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً، أمرًا بينًا، كتاب الله وسنة نبيه.

أيها الناس اسمعوا قولي واعقلوه، المسلم أخ المسلم والمسلمون إخوة فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه، فلا تظلمن أنفسكم، اللهم هل بلغت؟ فذكر لي أن الناس قالوا: اللهم نعم، فقال رسول الله ﷺ: اللهم اشهد.

أنموذج من مناظرة غير المسلمين

قال ابن القيم: (وقد جرت لي مناظرة بمصر مع أكبر من يشير عليه اليهود بالعلم والرياسة، فقلت له في أثناء الكلام: أنتم بتكذيبكم محمدًا ﷺ قد شتمتم الله أعظم شتيمة. فعجب من ذلك، وقال: مثلك يقول هذا الكلام؟ فقلت له: اسمع الآن تقريره، إذا قلتم: إن محمدًا ملك ظالم قهر الناس بسيفه وليس

قد علم الخاص والعام أن محمداً رسول الله ﷺ أخبر أنه رسول الله إلى الخلق كافة، وأن من لم يتبعه فهو كافر.

برسول من عند الله، وقد أقام ثلاثًا وعشرين سنة يدعي أنه رسول الله أرسله إلى الخلق كافة، ويقول: أمرني الله بكذا ونهاني عن كذا وأوحى إلي كذا؛ ولم يكن من ذلك شيء، ويقول: إنه أباح لي سبي ذراري من كذبني وخالفني ونساءهم وغنيمة أموالهم وقتل رجالهم، فلا يخلو إما أن تقولوا إن الله سبحانه كان يطلع على ذلك ويشاهده ويعلمه، أو تقولوا إنه خفي عنه ولم يعلم به، فإن قلتم لم يعلم به نسبتموه إلى أقبح الجهل وكان من علم ذلك أعلم منه، وإن قلتم بل كان ذلك كله بعلمه ومشاهدته واطلاعه عليه فلا يخلو إما أن يكون قادرًا على تغييره والأخذ على يديه ومنعه من ذلك، أو لا، فإن لم يكن قادرًا فقد نسبتموه إلى أقبح العجز المنافي للربوبية، وإن كان قادراً وهو مع ذلك يعزه وينصره ويؤيده ويعينه ويعلي كلمته، ويجيب دعاءه ويمكنه من أعدائه ويظهر على يديه من أنواع المعجزات والكرامات ما يزيد على الألف ولا يقصده أحد بسوء إلا أظفره به، ولا يدعوه بدعوة إلا استجابها له، فهذا من أعظم الظلم والسفه الذي لا يليق نسبته إلى آحاد العقلاء فضلاً عن رب الأرض والسماء؛ فكيف وهو يشهد له بإقراره على دعوته وبتأييده وبكلامه وهذه عندكم شهادة زور وكذب، فلما سمع ذلك قال معاذ الله أن يفعل الله هذا بكاذب مفتر بل هو نبي صادق من اتبعه أفلح وسعد، قلت: فما لك لا تدخل في دينه؟ قال: إنما بعث إلى الأميين الذين لا كتاب لهم، وأما نحن فعندنا كتاب نتبعه، قلت له: غُلِبتَ كل الغلب، فإنه قد علم الخاص والعام أنه أخبر أنه رسول الله إلى جميع الخلق، وإن من لم يتبعه فهو كافر من أهل الجحيم، وقاتل اليهود والنصارى وهم أهل كتاب، وإذا صحت رسالته وجب تصديقه في كل ما أخبر به؛ فامسك ولم يحر جوابًا. (هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى).

حملة الإساءة مستمرة

منذ زمن ليس بالبعيد تعرض النبي الكريم محمد ﷺ لبعض ألوان الاستهزاء في بعض دول أوروبا وتحديداً الدانمارك والنرويج، وكان هذا الاستهزاء في صورة مسابقة للرسوم الكاريكاتورية، وقد حركت هذه الإساءات جموع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، فخرجت المظاهرات المنددة بهذه الإساءات، وفشت الدعوة إلى مقاطعة المنتجات، وتحرك بعض علماء الدعوة إلى هذه الدول لتعريف هؤلاء الناس منزلة النبي الكريم ﷺ، واعترض البعض على هذا الأسلوب الذي يفتح الباب واسعاً لمداهنة هؤلاء المعتدين والمجرمين، وبعد فترة وجيزة عم الهدوء وخفتت الأصوات وانشغل المسلمون بواقعهم الأليم وكأن شيئاً لم يكن، ولأجل هذا فإن مسلسل الإساءة لم يتوقف ولن يتوقف، بل إنه يزداد سوءاً يوماً بعد يوم في داخل بلاد المسلمين وخارجها، ويرحم الله زمن العز والتمكين حيث كان من يسب رسول الله ﷺ يتعرض للمحاكمة وتوقع عليه أقصى عقوبة وهي القتل كما قرر ذلك علماء المسلمين. [«الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ»].

أقول هذا لأنني طالعت مقالاً لأحد القساوسة الأقباط ممن يسمون أنفسهم أقباط المهجر، يرد فيه على كاتب مصري، لم يقتصر هذا القس على الرد على الكاتب المسلم، وإنما ذهب يتطاول على سيد الخلق ﷺ وصحابته الكرام بكلام ننزه مجلة التوحيد عن ذكره فيها، مما يدل على حقد دفين عند هذا القسيس وأمثاله ممن لا يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، بل حرفوا الكلم عن مواضعه، ويدعون القداسة لرهبانهم، بينما ينسبون لله تعالى الصاحبة والولد، ولسان حالهم يفصح عن تقديسهم للبشر تقديسًا أعظم من تقديسهم لرب البشر سبحانه، ولقد جاء في الحديث القدسي

قال ﷺ: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم، الأنبياء إخوة لعلات، وليس بيني وبين عيسى نبي».

الشريف الذي يرويه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «قال الله تعالى كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، أما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون عليّ من إعادته، وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولداً وأنا الأحد الصمد لم أالد ولم أولد ولم يكن لي كفوًا أحد». (رواه البخاري ٣١٩٣، ٤٩٧٤، ٤٩٧٥)

فمن نسب لله الولد، أو جعله ثالث ثلاثة، أو قال: إن الله هو المسيح فقد شتم الله تعالى.

فإذا كان هؤلاء يسبون الله تعالى، فليس غريبًا عليهم أن يسيئوا إلى خاتم المرسلين محمد ﷺ. فالتطاول على سيد المرسلين كان ولا يزال دأبهم عبر الزمان.

وأقول لهذا القس: إن محمداً ﷺ سيد ولد آدم، وصاحب الشفاعة العظمى والمقام المحمود، والحوض المورود، والمبعوث إلى الناس كافة، لا ينال من قدره ولا من كرامته ما يقوله أمثالك.

وأصحاب محمد ﷺ هم خير قرون هذه الأمة، التي هي خير أمة أخرجت للناس، فليسوا قتلة ولا سفاحين، وإنما هم قديسون أطهار أبرار، قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ﴾ [الفتح: ٢٩].

أما محمد والمسيح صلوات ربي وسلامه عليهما فهما أخوان بينهما أخوة الإيمان والنبوة والرسالة، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم، الأنبياء إخوة لعلات، وليس بيني وبين عيسى نبي»، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول «من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من عمل» وفي رواية: «من أي أبواب الجنة الثمانية شاء».

وصدق المسيح عيسى بن مريم إذ يقول كما قص ربنا تبارك وتعالى عنه: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (٦) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الإِسْلاَمِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الصف: ٦، ٧].

وأقول لمن يدخلون مع هؤلاء المغرورين في معارك كلامية: لا ينبغي لمحمد ﷺ أن يُسب بكم أو بسببكم.

روى أحمد في مسنده عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى قَالَ نَظَرَ عُمَرُ إِلَى أَبِي عَبْدِ الْحَمِيدِ أَوْ ابْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ شَكَّ أَبُو عَوَانَةَ وَكَانَ اسْمُهُ مُحَمَّدًا، وَرَجُلٌ يَقُولُ لَهُ يَا مُحَمَّدُ فَعَلَ اللَّهُ بِكَ وَفَعَلَ وَفَعَلَ، قَالَ: وَجَعَلَ يَسُبُّهُ، قَالَ: فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ ذَلِكَ: يَا ابْنَ زَيْدٍ، ادْنُ مِنِّي، قَالَ: أَلاَ أَرَى مُحَمَّدًا يُسَبُّ بِكَ؟ لاَ وَاللَّهِ لاَ تُدْعَى مُحَمَّدًا مَا دُمْتُ حَيًا، فَسَمَّاهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى بَنِي طَلْحَةَ لِيُغَيِّرَ أَهْلُهُمْ أَسْمَاءَهُمْ وَهُمْ يَوْمَئِذٍ سَبْعَةٌ وَسَيِّدُهُمْ وَأَكْبَرُهُمْ مُحَمَّدٌ، قَالَ: فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ طَلْحَةَ أَنْشُدُكَ اللَّهَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَوَاللَّهِ إِنْ سَمَّانِي مُحَمَّدًا يَعْنِي إِلاَّ مُحَمَّدٌ ﷺ، فَقَالَ عُمَرُ: قُومُوا لاَ سَبِيلَ لِي إِلَى شَيْءٍ سَمَّاهُ مُحَمَّدٌ ﷺ.

وصدق الله إذ يقول: «ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم».

وحسبنا الله ونعم الوكيل.

الإيمان عند أهل

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

أما بعد:

فإن الإيمان عند أهل السنة والجماعة قول وعمل فهو اعتقاد بالجنان وقول باللسان وعملُ بالجوارح والأركان، وهو على حد تعبير الحسن البصري (ما وقر في القلب وصدقه العمل) فالعمل من الإيمان ومصداق ذلك في كتاب الله عز وجل﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (البقرة١٧٧).

فجمع الله تعالى في هذه الآية العظيمة الجامعة أمور الإيمان فبدأ بأركان الاعتقاد القلبية وهي الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب المنزلة والأنبياء والمرسلين، ولم يذكر القدر في هذه الآية مع أنه ركن من هذه الأركان كما بين ذلك نبينا محمد ﷺ في حديث جبريل حين سأل عن الإيمان فقال النبي : (الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره حلوه ومره).

وذلك لأن الإيمان بالقدر يرجع إلى الركن الأول وهو الإيمان بالله عز وجل، فالقدر قدرة الله وكل شيء خلقه الله عز وجل بمشيئته وتقديره كما قال عز وجل ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (القمر٤٩) ولا يستقيم الإيمان بالقدر إلا على ساق الإيمان بالله تعالى وأن الله ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾،﴿ لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء﴾، ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ كتب الله عز وجل فيه مقادير كل شيء كما قال تعالى ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ (يس١٢).

ثم يكون كل شيء بقدرته ومشيئته فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً﴾ ﴿وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾.

فالإيمان بالقدر هو إيمان بقدرة الله وأنه على كل شيء قدير وأنه بكل شيء عليم وأنه خلق الخلائق على مقتضى علمه وقدرته﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً﴾ (الطلاق١٢).

ولهذا لم ينتظم ذكر الإيمان بالقدر مع سائر

السنة والجماعة

بقلم
د. جمال المراكبي
الرئيس العام
WWW.ELMARAKBY.COM

أركان الإيمان في هذه الآية ولا في غيرها من آي القرآن لدخول الإيمان بالقدر في الإيمان بالله عز وجل، فالإيمان بالله عز وجل يشمل ويتضمن الإيمان بالقدر خيره وشره حلوه ومره.

ثم ذكر الله عز وجل في هذه الآية العظيمة _آية البر _صنوفاً من الأعمال فقال ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ﴾.

فالمؤمن مع أنه مجبول على حب المال يحبه حباً جماً فإنه يحمله إيمانه على أن ينفق هذا المال فيما يحبه الله عز وجل من وجوه الخير فيعطي ذوي القربى ويصلهم،ويعطى اليتامى والمساكين والسائلين وأبناء السبيل الذين انقطعت بهم السبل، ويفك به العاني ويعتق به الرقاب صدقة يبتغي بها وجه الله عز وجل، وهو مع هذا كله يقيم الصلاة فيؤديها على مواقيتها ويحافظ على شروطها من طهارة وتجمل واستقبال القبلة ويحافظ على خشوعها وحضور القلب فيها كما قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ ثم هو يؤدي زكاة ماله طيبة بها نفسه ليتطهر بها قلبه وتزكو بها نفسه كما قال الله عز وجل﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة١٠٣].

ثم إن المؤمن في هذا كله حريص على الوفاء بعهده مع الله عز وجل، والوفاء بعهده مع من عاهده من الناس فلا ينكث ولا يغدر ولهذا قال سبحانه ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ﴾.

ثم مدحهم الله عز وجل لصبرهم على طاعة الله وعن معصيته وعلى قضائه وقدره، فهم به راضون وهم عنه راضون وهو سبحانه راضٍ عنهم ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة١٠٠].

﴿أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢]، ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ [البينة].

والمدح هنا على الإغراء ليثير المولى سبحانه في نفوس المؤمنين الحرص على تحصيل هذا الصبر والمداومة عليه فإن فيه حلاوة طعم الإيمان ولهذا نصب سبحانه كلمة ﴿والصابرين في البأساء والضراء﴾ مع أن السياق في الآية في محل الرفع، ثم ختم الآية الكريمة ببيان صدقهم في الإيمان قولا وعملاً ووصولهم إلى مرتبة التقوى فقال سبحانه﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾.

وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول (ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً). وقوله ﷺ(عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابه سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابه ضراء صبر فكان خيراً له) رواهما مسلم.

والآية الكريمة أبلغ دليل على أن العمل من

الإيمان بالقدر هو إيمان بقدرة الله وأنه على كل شيء قدير وأنه بكل شيء عليم وأنه خلق الخلائق على مقتضى علمه وقدرته

الإيمان كما هو واضح لكل ذي عقل قال تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق٣٧].

ومثل هذه الآية في الدلالة تلك الآيات التي افتتح الله بها سورة المؤمنون قال تعالى﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون].

ولقد فطن سلفنا الصالح إلى هذه الحقيقة فذكروا في عقائدهم أن الإيمان قول وعمل، وأن العمل من الإيمان ويدخل في مسمى الإيمان فقالوا: (الإيمان قول وعمل ونية واتباع السنة، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية).

وما أحسن صنيع البخاري رحمه الله في كتاب الإيمان من صحيحه فقد ذكر أمور الإيمان واستدل بهذه الآية وبالآيات من مطلع سورة المؤمنون. ثم ذكر حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: (الإيمان بضع وستون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان).

ومراده رحمه الله تعالى أن أمور الإيمان يمكن الوقوف عليها من مثل هذه الآيات وهذه الأحاديث، وقد روى عبد الرزاق في المصنف بإسناده إلى أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أنه سأل رسول الله ﷺ عن الإيمان فتلا عليه هذه الآية ﴿ليس البر﴾.

وفي صحيح البخاري عن عبد الله بن عمرو- رضى الله عنهما- قال قال رَسُولُ اللَّهِ- ﷺ- « أَرْبَعُونَ خَصْلَةً أَعْلاَهُنَّ مَنِيحَةُ الْعَنْزِ، مَا مِنْ عَامِلٍ يَعْمَلُ بِخَصْلَةٍ مِنْهَا رَجَاءَ ثَوَابِهَا وَتَصْدِيقَ مَوْعُودِهَا إِلاَّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ بِهَا الْجَنَّةَ ». قَالَ حَسَّانُ فَعَدَدْنَا مَا دُونَ مَنِيحَةِ الْعَنْزِ مِنْ رَدِّ السَّلاَمِ، وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ، وَإِمَاطَةِ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَنَحْوِهِ، فَمَا اسْتَطَعْنَا أَنْ نَبْلُغَ خَمْسَ عَشْرَةَ خَصْلَةً.

والمنيحة هي العطية وهي على وجهين:

الأول: أن يعطي الرجل صاحبه من باب الصلة فتكون له هبة أو صدقة.

والثاني: أن يعطيه ناقة أو شاة ينتفع بحلبها ووبرها زمناً ثم يردها. وهذا هو المراد من الحديث.

وقد تكلم جماعة من العلماء عن أمور الإيمان وحاولوا حصر هذه الشعب، ومن أشهر المصنفات في شعب الإيمان كتاب البيهقي، وكتاب الحليمي قال الحافظ ابن حجر في الفتح قَالَ الْقَاضِي عِيَاض: تَكَلَّفَ جَمَاعَة حَصْر هَذِهِ الشُّعَب بِطَرِيقِ الِاجْتِهَاد، وَفِي الْحُكْم بِكَوْنِ ذَلِكَ هُوَ الْمُرَاد صُعُوبَة،وَلاَ يَقْدَح عَدَم مَعْرِفَة حَصْر ذَلِكَ عَلَى التَّفْصِيل فِي الإِيمَان. ا ه. وَلَمْ يَتَّفِق مَنْ عَدَّ الشُّعَب عَلَى نَمَط وَاحِد، وَأَقْرَبهَا إِلَى الصَّوَاب طَرِيقَة اِبْن حِبَّان، لَكِنْ لَمْ نَقِف عَلَى بَيَانهَا مِنْ كَلَامه، وَقَدْ لَخَّصْت مِمَّا أَوْرَدُوهُ مَا أَذْكُرهُ، وَهُوَ أَنَّ هَذِهِ الشُّعَب تَتَفَرَّع عَنْ أَعْمَال الْقَلْب، وَأَعْمَال اللِّسَان، وَأَعْمَال الْبَدَن. فَأَعْمَال الْقَلْب فِيهِ الْمُعْتَقَدَات وَالنِّيَّات، وَتَشْتَمِل عَلَى أَرْبَع وَعِشْرِينَ خَصْلَة: الإِيمَان

من عقيدة أهل السنة والجماعة أن الإيمان قول وعمل ونية واتباع السنة، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية

بِاللَّهِ، وَيَدْخُلُ فِيهِ الإِيمَان بِذَاتِهِ وَصِفَاته وَتَوْحِيده بِأَنَّهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْء، وَاعْتِقَاد حُدُوث مَا دُونه. وَالإِيمَان بِمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبه، وَرُسُله، وَالْقَدَر خَيْره وَشَرّه. وَالإِيمَان بِالْيَوْمِ الآخِرِ، وَيَدْخُل فِيهِ الْمَسْأَلَة فِي الْقَبْر، وَالْبَعْث، وَالنُّشُور، وَالْحِسَاب، وَالْمِيزَان، وَالصِّرَاط، وَالْجَنَّة وَالنَّار. وَمَحَبَّة اللَّه. وَالْحُبّ وَالْبُغْض فِيهِ وَمَحَبَّة النَّبِيّ ﷺ، وَاعْتِقَاد تَعْظِيمه، وَيَدْخُل فِيهِ الصَّلَاة عَلَيْهِ، وَاتِّبَاع سُنَّته، وَالإِخْلَاص، وَيَدْخُل فِيهِ تَرْك الرِّيَاء وَالنِّفَاق، وَالتَّوْبَة، وَالْخَوْف، وَالرَّجَاء، وَالشُّكْر، وَالْوَفَاء، وَالصَّبْر، وَالرِّضَا بِالْقَضَاءِ وَالتَّوَكُّل. وَالرَّحْمَة. وَالتَّوَاضُع. وَيَدْخُل فِيهِ تَوْقِير الْكَبِير وَرَحْمَة الصَّغِير. وَتَرْك الْكِبْر وَالْعُجْب. وَتَرْك الْحَسَد. وَتَرْك الْحِقْد. وَتَرْك الْغَضَب. وَأَعْمَال اللِّسَان، وَتَشْتَمِل عَلَى سَبْع خِصَال: التَّلَفُّظ بِالتَّوْحِيدِ. وَتِلَاوَة الْقُرْآن. وَتَعَلُّم الْعِلْم. وَتَعْلِيمه. وَالدُّعَاء. وَالذِّكْر، وَيَدْخُل فِيهِ الإِسْتِغْفَار، وَاجْتِنَاب اللَّغْو. وَأَعْمَال الْبَدَن، وَتَشْتَمِل عَلَى ثَمَان وَثَلَاثِينَ خَصْلَة، مِنْهَا مَا يَخْتَصّ بِالأَعْيَانِ وَهِيَ خَمْس عَشْرَة خَصْلَة: التَّطْهِير حِسًّا وَحُكْمًا، وَيَدْخُل فِيهِ اجْتِنَاب النَّجَاسَات. وَسَتْر الْعَوْرَة. وَالصَّلَاة فَرْضًا وَنَفْلًا. وَالزَّكَاة كَذَلِكَ. وَفَكّ الرِّقَاب. وَالْجُود، وَيَدْخُل فِيهِ إِطْعَام الطَّعَام وَإِكْرَام الضَّيْف. وَالصِّيَام فَرْضًا وَنَفْلًا. وَالْحَجّ، وَالْعُمْرَة كَذَلِكَ. وَالطَّوَاف. وَالاِعْتِكَاف. وَالْتِمَاس لَيْلَة الْقَدْر. وَالْفِرَار بِالدِّينِ، وَيَدْخُل فِيهِ الْهِجْرَة مِنْ دَار الشِّرْك. وَالْوَفَاء بِالنَّذْرِ، وَالتَّحَرِّي فِي الأَيْمَان، وَأَدَاء الْكَفَّارَات. وَمِنْهَا مَا يَتَعَلَّق بِالأَتْبَاع، وَهِيَ سِتّ خِصَال: التَّعَفُّف بِالنِّكَاحِ، وَالْقِيَام بِحُقُوقِ الْعِيَال ؛ وَبِرّ الْوَالِدَيْنِ، وَفِيهِ اجْتِنَاب الْعُقُوق. وَتَرْبِيَة الأَوْلَاد وَصِلَة الرَّحِم. وَطَاعَة السَّادَة أَوْ الرِّفْق بِالْعَبِيدِ .وَمِنْهَا مَا يَتَعَلَّق بِالْعَامَّةِ، وَهِيَ سَبْع عَشْرَة خَصْلَة: الْقِيَام بِالإِمْرَةِ مَعَ الْعَدْل. وَمُتَابَعَة الْجَمَاعَة. وَطَاعَة أُولِي الأَمْر. وَالإِصْلَاح بَيْن النَّاس، وَيَدْخُل فِيهِ قِتَال الْخَوَارِج وَالْبُغَاة. وَالْمُعَاوَنَة عَلَى الْبِرّ، وَيَدْخُل فِيهِ الأَمْر بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْي عَنْ الْمُنْكَر وَإِقَامَة الْحُدُود. وَالْجِهَاد، وَمِنْهُ الْمُرَابَطَة. وَأَدَاء الأَمَانَة، وَمِنْهُ أَدَاء الْخُمُس. وَالْقَرْض مَعَ وَفَائِهِ. وَإِكْرَام الْجَار. وَحُسْن الْمُعَامَلَة، وَفِيهِ جَمْع الْمَال مِنْ حِلّه. وَإِنْفَاق الْمَال فِي حَقّه، وَمِنْهُ تَرْك التَّبْذِير وَالإِسْرَاف. وَرَدّ السَّلَام. وَتَشْمِيت الْعَاطِس. وَكَفّ الأَذَى عَنْ النَّاس. وَاجْتِنَاب اللَّهْو وَإِمَاطَة الأَذَى عَنْ الطَّرِيق. فَهَذِهِ تِسْع وَسِتُّونَ خَصْلَة، وَيُمْكِن عَدّهَا تِسْعًا وَسَبْعِينَ خَصْلَة بِاعْتِبَارِ إِفْرَاد مَا ضُمَّ بَعْضه إِلَى بَعْض مِمَّا ذُكِرَ. وَاَللَّه أَعْلَم. اهـ.

ومن فضل الله وتوفيقه أن يقف المؤمن على هذه الأمور والشعب العقدية والقولية والعملية علماً وعملاً فيعض عليها بالنواجذ، ويزداد بها إيمانه ويقينه ويرتقي بها في سيره وسلوكه إلى مرضاة الله عز وجل قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (٥٧) وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨) وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لاَ يُشْرِكُونَ (٥٩) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠) أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ (٦١) وَلاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾ [المؤمنون].

وللحديث بقية إن شاء الله.

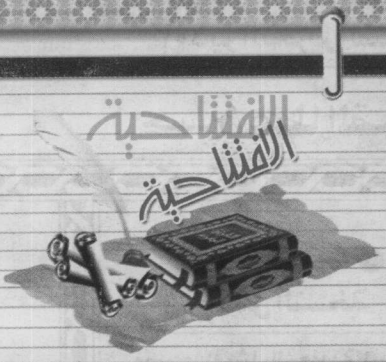

حصار غزة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فإن غزة تحت الحصار، والمسجد الأقصى يئن وجدرانه تتصدع، وإخوان القردة والخنازير يحفرون الأنفاق من تحته يبحثون عن هيكلهم المزعوم ويقيمون الجدار العازل يعزلون به الشعب الفلسطيني الباسل، ويمزقون أرضه تمزيقاً، والمسلمون في شتى بقاع الأرض قد أثقلتهم الهموم فلبنان يبحث عن رئيس يجتمع عليه الفرقاء المتنازعون، والسودان يبحث عن الجنوب الضائع، ويئن في دارفور، وباكستان الدولة النووية تنتهي من كارثة قدرية بفعل الزلازل إلى كوارث إنسانية إلى قتل وعنف وتفجيرات واغتيالات.

وأفغانستان من الاحتلال الروسي إلى الاقتتال الداخلي ثم الاحتلال الأمريكي، وإندونسيا أكبر الدول المسلمة تغرق في الفيضانات، ودول الخليج تبحث عمن يحميها من أطماع جيرانها، عراق صدام، ثم إيران الثورة التي تسعى لتصدير مذهبها، والدول العربية لا تملك القدرة على اتخاذ القرار الفعال في أي مشكلة من هذه المشكلات، وكلها تعاني المشكلات، ليست غزة وحدها محاصرة، بل إن أمتي كلها محاصرة، قد غلت يدها فهي عاجزة عن الحراك، ولكنها تئن وتتألم فأنينها وآلامها هو الدليل الوحيد على بقائها على قيد الحياة، ليس هذا أول حصار، ولن يكون آخر حصار، لقد حوصر النبي ﷺ وأصحابه في مكة في شعب أبي طالب، وقد أجمع المشركون على أن يتعاقدوا على بني هاشم وبني المطلب وبني عبد مناف، وأن لا يبايعوهم ولا يناكحوهم ولا يكلموهم ولا يجالسوهم حتى يُسلموا إليهم محمداً ﷺ، وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها في سقف الكعبة - مثلما تفعل أمريكا اليوم حين تفرض الحصار على أمة أو دولة فتستخرج من مجلس الأمن الدولي وثيقة الحصار - وقد دام حصار المسلمين الأوائل نحو ثلاث سنين حتى بلغ منهم الجهد مبلغه، ومع هذا بقوا صامدين صابرين، حتى قيض الله عز وجل لهذه الصحيفة الظالمة من ينقضها، ولهذا الحصار الشديد من يكسره، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاء وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ أُولَـئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٣: ١٥٧].

و قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١].

ثم كان الحصار الشديد للمسلمين في المدينة حينما تمالأت عليهم جنود الكفر والشرك وجاءوهم بما لا قبل لهم به، فوفق الله عز وجل نبيه ﷺ وأصحابه فحفروا خندقاً وتحصنوا به، وجاء المشركون فنزلوا غربي المدينة قريباً من جبل سلع، ونزلت طائفة منهم في أعالي أرض المدينة كما قال تعالى: ﴿إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ [الأحزاب: ١٠].

وخرج رسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين وأسندوا ظهورهم إلى جبل سلع، ووجوههم نحو العدو، والخندق يحول بينهم وبين عدوهم، ثم بلغهم أن يهود بني قريظة قد نقضوا عهدهم وتحالفوا مع المشركين على قتالهم فكان الأمر شديداً لولا أن تداركهم الله عز وجل برحمته فنصرهم ودحر عدوهم وأنزل في ذلك سورة تتلى إلى يوم القيامة وهي سورة الأحزاب وفيها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً﴾ [الأحزاب: ٩-١١].

حصار وانتصار

ولكن ماذا فعل النبي ﷺ وأصحابه في مثل هذا لحصار والخوف والجوع ونقص الأموال والأنفس والثمرات واسترجعوا عند المصائب قائلين: «إنا لله وإنا إليه راجعون». فألقى الله عز وجل السكينة في قلوبهم، وألقى الرعب في قلوب أعدائهم، وثبت الله المؤمنين وأيدهم بجند من عنده: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَاناً وَتَسْلِيماً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاء أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيّاً عَزِيزاً﴾ [الأحزاب: ٢٢: ٢٥].

لقد زرع النبي ﷺ في نفوس أصحابه الثقة في الله ونصره وتأييده حتى قبل مجيء الأحزاب فكان يبشرهم وهم يحفرون الخندق بفتح بلاد كسرى وقيصر، فلما رجع الأحزاب خائبين وردهم الله عز وجل فلم ينالوا خيراً، قال النبي ﷺ الآن نغزوهم ولا يغزوننا.

فهل تعي الأمة اليوم هذا الدرس، وهل نتعلم من الحصار كيف يكون الثبات والصبر واليقين،

الدول العربية لا تملك القدرة على اتخاذ القرار الفعال في أي مشكلة من المشكلات، فليست غزة وحدها هي المحاصرة، بل الأمة كلها محاصرة، فقد غلّت يدها وأصبحت عاجزة عن الحراك!!

وكيف تكون الأخوة الإيمانية ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات:١٠].

إن الحصار يكشف خبايا القلوب، ففي الحصار تظهر معادن الرجال، ويتميز الأشرار من الأخيار، والذين في قلوبهم مرض والمرجفون، عن الرجال الصادقين المؤمنين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وما بدلوا تبديلاً.

لقد ابتلى الله سبحانه وتعالى إخواننا في غزة بالحصار ليميز الله الخبيث من الطيب، وابتلانا الله عز وجل في مشارق الأرض ومغاربها بهم لينظر ماذا نصنع لإخواننا، فماذا نحن فاعلون؟ هل نُسلم هؤلاء الضعفاء للخوف والجوع والظلام إلا من بريق القنابل والصواريخ، وضوء الحرائق التي تلتهم البيوت؟

هل نُسلم إخواننا وننسى قول نبينا ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يُسلمه ولا يظلمه، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه».

ماذا نحن قائلون لربنا عز وجل، والأمة في ثبات عميق فمتى نفيق، وهل أصبحنا أمة لا تستشعر طعم النصر إلا في مباراة للكرة ينشغل بها أهل الفراغ الذين يهونون عظائم الأمور فلا يلقون لها بالاً، ويهولون من صغائر الأمور حتى تملأ القلوب والأسماع والأبصار، فمتى تفيق هذه الأمة من حال الغثائية، وتعلم أن الله عز وجل أراد لها أن تكون خير أمة أخرجت للناس.

لقد اعتدنا في نثل هذا البلاء أن يلقي كل واحد منا باللائمة على غيره، فتلقى الشعوب الغارقة في الوهم باللائمة على قادتها وحكوماتها، ويلقي الحكام والولاة باللائمة على الشعوب، فمتى ستعرف الأمة مصالحها؟

لبست ثوب الرجا والناس قد رقدوا
وبت أشكوا إلى مولاي ما أجد
فقلت يا أملي في كل نائبة
ومن عليه لكشف الضر أعتمد
أشكو إليك أموراً أنت تعلمها
مالي إلى حملها صبرٌ ولا جَلَدُ
أشكو إليك هواناً عمَّ أمتنا
وعسكر الكفر من أرجائها احتشدوا
يبغون قلع جذور الدين من غدنا
والمسلمون بقاع الأرض قد رقدوا

لقد ابتلى الله سبحانه وتعالى إخواننا في غزة بالحصار ليميز الله الخبيث من الطيب، وابتلانا الله عز وجل في مشارق الأرض ومغاربها بهم لينظر ماذا نصنع لإخواننا، فماذا نحن فاعلون؟

قد ضيعوا الدين الذي به عزوا
قد فرطوا في قول الله وأعدوا
وقد مددت يدي بالذل مبتهلاً
إليك يا خير من مدت إليه يد
فلا تردنها يا رب خائبة
فبحر جودك يروي كل من يرد
واجمع على الحق والإيمان أمتنا
ولا تردنا يا فرد يا صمد

فلا تلق أخي المسلم باللائمة على غيرك، وسل نفسك ماذا أنت قائل لربك غداً؟

وماذا أنت فاعلٌ لنصرة إخوانك ؟

ماذا أنت فاعلٌ لنصرة دين الله عز وجل ؟

أين أنت من دعوة صالحة تدعو بها لإخوانكم

أين أنت من صدقة تواسي بها إخوانك

أين أنت من كلمة طيبة تناصح بها ولاة الأمور حتى يعلموا أن وراءهم شعوباً يقظة تعي دورها جيداً وتراقب وتحاسب.

لقد أحسن رئيس الجمهورية - حفظه الله - حين فتح الحدود أمام إخواننا ليتزودوا بالمؤن من طعام ودواء ووقود، فاستجاب لنداء الصالحين واستشعر نبض الأمة فكان على قدر المسئولية، ونحن ننتظر منه ومن إخوانه المزيد فشعوبنا عطشى.

فنسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يسدد على طريق الحق خطاه، وأن يوفقه لما يحبه ويرضاه.

واليوم وأنا أكتب هذه الكلمات يجلس السيد الرئيس مع الفرقاء من فتح وحماس لتوحيد الكلمة ورأب الصدع وتوحيد الجهود، ففي أتون الحصار ينبغي أن تتوحد الجهود وأن ننسى الضغائن والأحقاد.

وأقول لإخواننا من المسلمين في كل مكان شعوباً وقادة: نريد دوراً فعالاً وتعاوناً بناءً عسى أن يرفع الله عنا ويدفع كيد أعدائنا، وتخرج أمتنا من دائرة الحصار.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

إنا كفيناك

الحمد لله رب العالمين، واشهد ان لا إله إلا الله ولي الصالحين، واشهد ان محمداً عبده ورسوله الصادق الوعد الأمين، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه اجمعين، شرح الله له صدره، ووضع عنه وزره، ورفع له بين الأنام قدره وذكره، وجعل الذلة والصغار على من خالف امره، وافترض على عباده المؤمنين طاعته ومحبته والقيام بحقوقه، وسدَّ كل طريق إلى جنته فلم يفتح لأحد إلا من طريقه فلا يدخل الجنة احد إلا تحت لوائه، يوم ياتي باب الجنة فيستفتح فتقول له خزنتها: بك امرنا الا نفتح لأحد قبلك (مسلم)، اعطاه الله الشفاعة العظمي والمقام المحمود، والحوض المورود، من شرب منه شربة لم يظما بعدها ابداً.

قال له ربه تبارك وتعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً﴾ (الإسراء:٧٩)

وقال له سبحانه: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣) وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الأُولَى (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ (الضحى ٣: ٥)، وقال له سبحانه وتعالى: ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾ (الكوثر)

فهو سيد ولد آدم يوم القيامة، اتخذه الله خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، وجعله خاتماً للنبيين وإماماً للمرسلين، وهو أكثر النبيين تابعاً يوم القيامة، وأمته أكثر أهل الجنة / وقد رجا أن تكون أمته شطر (نصف) أهل الجنة فأعطاه الله أكثر مما رجا فجعل أمته ثلثي أهل الجنة، فقال ﷺ «أهل الجنة مائة وعشرون صفاً، ثمانون منهم من أمتي» (رواه الترمذي وأحمد)

هذا النبي الكريم، المبعوث رحمة للعالمين، تعرض لمسلسل من الإيذاء منذ أن جهر بالدعوة في مكة، وحتى بعد أن أظهره الله عز وجل على عدوه، وأظهر به دينه على الدين كله.

وفي زمن الفتنة التي تموج وتضطرب مثل موج البحر الهائج، في زمن ضعفت فيه الأمة وتخلت عن ريادتها وسيادتها وعزها، وتداعت عليها الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها تطور مسلسل الإيذاء والاستهزاء على يد عباد الصليب وإخوان القردة والخنازير، ومنافقي هذا الزمان وزنادقته في زمن العولمة، فنشرت بعض الصحف الغربية رسوماً كاريكاتورية يسخرون فيها من سيد ولد آدم ﷺ، وكتبت بعض المواقع على شبكة الإنترنت وخاصة المواقع التبشيرية النصرانية تطعن في نبوة محمد ﷺ وتشكك في رسالته وتصفه صلوات ربي وسلامه عليه بأنه قاطع طريق نشر دينه الذي تعلمه من بعض اليهود والنصارى بالإرهاب وحد السيف، وأنه ﷺ كان مغرماً بالنساء، وأنه تزوج طفلة في السابعة من عمرها، وأنه تزوج بأكثر من خمسين امرأة، والأعجب من ذلك أن تخرج علينا امرأةٌ المفترض أنها مسلمة فتكتب كتاباً بعنوان: الحب والجنس في حياة النبي، ويتم عرض الكتاب وبيعه في معرض القاهرة الدولي للكتاب، ثم تعيد الصحف الدانماركية نشر الرسوم المسيئة للنبي ﷺ وكأن حلقات هذا المسلسل القذر قد كُتب لها ألا تتوقف ليبقى هذا المستنقع الآسن تفوح منه رائحة الكذب والافتراء.

المستهزئين

بقلم

د. جمال المراكبي

الرئيس العام

WWW.ELMARAKBY.COM

إنا كفيناك المستهزئين

لقد أيَّد الله عز وجل نبيه ﷺ، ونصره على عدوه، وأظهر دينه على الدين كله، وكفاه سبحانه وتعالى شر الكافرين والمشركين والمنافقين، وأمره سبحانه أن يجهر بدعوته من غير خوف ولا وجل فقال سبحانه: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ(٩٤) إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (٩٥) الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٩٦) وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (٩٧) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ (٩٨) وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (الحجر: ٩٤: ٩٩)

لقد بدأ مسلسل الإيذاء والاستهزاء بالنبي ﷺ من اللحظة الأولى للجهر بالدعوة، فلما دعا قومه وعشيرته الأقربين، قال له عمه أبو لهب: تباً لك ألهذا جمعتنا؟ فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ (المسد)

وزعم المشركون أن محمداً ﷺ تعلم القرآن من رجل نصراني فقالوا: إنما يعلمه بشر، فرد الله تبارك وتعالى عليهم بقوله: ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ (النحل: ١٠٣)

وقالوا: شاعر أو كاهن؟ فقال ربنا عز وجل: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلاَ بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ (٤٢) تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الحاقة: ٤٠: ٤٣

ثم قالوا: ساحر أو مسحور ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاؤُوا ظُلْماً وَزُوراً (٤) وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً (٥) قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً (٦) وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ لَوْلاَ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً (٧) أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُوراً (٨) انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً (٩) تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاء جَعَلَ لَكَ خَيْراً مِّن ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُوراً﴾ (الفرقان: ٤ - ١٠)

ولقد كان النبي ﷺ يحزن لإعراضهم ويضيق صدره بقولهم فأمره ربه أن يعرض عنهم وأن يعبد ربه حتى يأتيه اليقين.

ثم تطور مسلسل الإيذاء فأخذ صوراً أخرى مثل مقاطعة النبي ﷺ ومن معه ومن يدافع عنه من بني هاشم وبني المطلب فكان الحصار في شعب أبي طالب.

ثم كان التعرض بالأذى لرسول الله ﷺ وهو يصلي عند الكعبة قائماً أو ساجداً، فخنقه عقبة بن أبي معيط بردائه، وطرح فرث الجذور على رأسه وهو ساجد.

كل هذا الأذى ورسول الله ﷺ صابر محتسب لا يصده ذلك عن تبليغ رسالة ربه عز وجل إلى الناس كافة ليخرجهم من الظلمات إلى النور.

فلما كان يوم بدر، يوم الفرقان، وقع صناديد الكفر والشرك صرعى بأسياف الفئة القليلة المستضعفة، فهزموهم بإذن الله، وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثير بإذن الله والله مع الصابرين، وأمر رسول الله ﷺ

بضرب عنق عقبة بن أبي معيط من دون سائر الأسرى، وحفر المسلمون حفرة - قليباً - دفنوا فيه قتلى المشركين، ووقف النبي ﷺ يناديهم بأسمائهم ويقول: هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟ إني وجدت ما وعد ربي حقاً.

ومات أبو لهب بعد بدر منبوذاً مذموماً، وكفى الله عز وجل نبيه هؤلاء المشركين المعاندين المستهزئين، وصدق ربي عز وجل إذ يقول: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾، ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنفال:٦٤).

فصار المؤمنون مع رسول الله ﷺ في معية الله وكفايته ونصرته لا يخشون أحداً إلا الله، ولما حاول بعض المشركين إخافتهم وإلقاء الرعب في قلوبهم بعد غزوة أحد قالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل.

عقاب الله عز وجل لمن آذى نبيه ﷺ

روى البخاري في كتاب المناقب من صحيحه باب علامات النبوة في الإسلام- عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَجُلٌ نَصْرَانِيًّا فَأَسْلَمَ وَقَرَأَ الْبَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ، فَكَانَ يَكْتُبُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَعَادَ نَصْرَانِيًّا فَكَانَ يَقُولُ مَا يَدْرِي مُحَمَّدٌ إِلاَّ مَا كَتَبْتُ لَهُ، فَأَمَاتَهُ اللَّهُ فَدَفَنُوهُ، فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الأَرْضُ. فَقَالُوا هَذَا فِعْلُ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ، لَمَّا هَرَبَ مِنْهُمْ نَبَشُوا عَنْ صَاحِبِنَا فَأَلْقَوهُ. فَحَفَرُوا لَهُ فَأَعْمَقُوا، فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الأَرْضُ، فَقَالُوا هَذَا فِعْلُ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ نَبَشُوا عَنْ صَاحِبِنَا لَمَّا هَرَبَ مِنْهُمْ فَأَلْقَوْهُ. فَحَفَرُوا لَهُ وَأَعْمَقُوا لَهُ فِي الأَرْضِ مَا اسْتَطَاعُوا، فَأَصْبَحَ قَدْ لَفَظَتْهُ الأَرْضُ، فَعَلِمُوا أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ فَأَلْقَوْهُ.

إيذاء اليهود والمنافقين لرسول الله ﷺ

ثم تعرض النبي ﷺ للون آخر من الإيذاء وهو إيذاء اليهود والمنافقين، فكان اليهود يشككون في نبوته ورسالته، وقد فضحهم الله عز وجل وبيَّن إفكهم، وكان إسلام من أسلم من أحبارهم بعد تأكده من علامات النبوة مثل عبد الله بن سلام الذي وصفوه بقولهم «خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا» فلما علموا بإسلامه قالوا «هو شرنا وابن شرنا».

وزيد بن سَعَنة الذي قال: «لم يبق من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفته في وجه رسول الله ﷺ حين نظرت إليه إلا اثنتان لم أخبرْهما منه: يسبق حلمه جهله: ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً، فقد اختبرته منه، فأشهدك يا عمر أني رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا».

(رواه ابن حبان والحاكم والطبراني في الكبير والبيهقي في السنن الكبرى والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة).

وكذبه هؤلاء المغضوب عليهم، ومع ذلك عاشوا معه في المدينة وقد دخلوا في عهده، فلم ينقض معهم عهداً ولم يعتد عليهم أحد من أصحابه، بل كان يصبر على أذاهم ويرجو هدايتهم، فكان بعضهم يدخل على النبي ﷺ ويقول مُعَرِّضاً: السام عليك يا محمد، فيقول لهم ﷺ: وعليكم، والسام يعني الموت، فتسمع عائشة قولهم فتغضب وتقول: عليكم السام واللعنة فيقول لها النبي ﷺ: «لا تقولي هذا يا عائشة»، فتقول: ألم تسمع ما يقولون ؟ فيقول لها: قالوا: السام عليك، فقلت وعليكم».

فلما نقضوا عهودهم قاتلهم النبي ﷺ وأجلاهم عن المدينة، فأجلى بني قينقاع، ثم بني النضير، ثم بني قريظة، كلما نقض فريق منهم عهده أجلاه النبي ﷺ، ولم يأخذ غيره بذنبه، وهو الذي أنزل الله عليه: ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ وقال: ﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾.

أما أهل النفاق الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر فقد اشتد أذاهم لرسول الله ﷺ حتى قال زعيمهم: ﴿لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ﴾، فرد الله عز وجل عليهم بقوله: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ (المنافقون٨)

وقد فضحهم الله عز وجل في سورة التوبة فقال: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (التوبة: ٦١)

ومع هذا فقد صبر رسول الله ﷺ على أذى المنافقين مع قدرته على أن يوقع بهم العذاب والقتل في الدنيا لأنه كان يخشى أن يقول الناس: إن محمداً يقتل أصحابه فيصدهم ذلك عن الدخول في دين الله عز وجل، وصدق الله إذ يقول: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء].

لقد عمّت هذه الرحمة المهداة الناس جميعاً، مؤمنهم وكافرهم أما أهل الكفر فقد أمنوا عذاب الاستئصال في الدنيا ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾.

وأما أهل الإيمان فهم المستحقون لرحمة الله عز وجل في الدنيا والآخرة ﴿وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾.

فكانت بعثة النبي ﷺ رحمة عامة لكل أهل الأرض ورحمة خاصة للمؤمنين الذين يتبعون الرسول النبي الأمي صلوات ربي وسلامه عليه.

وقد فصل الله عز وجل في قصة موسى عليه السلام وقومه حين عبدوا العجل، فلما رجع موسى غضبان مما صنعوا وحرق العجل ونسفه في اليم، واختار سبعين رجلاً من قومه وصعد بهم الجبل، فرجف بهم الجبل، فدعا موسى ربه وطلب المغفرة والرحمة فأخبره ربه أنه سبحانه يصيب بعذابه من يشاء ممن طغى وتكبر، ويرحم المتقين من عباده، وخص بالرحمة منهم أتباع الحبيب محمد ﷺ قال تعالى: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّا إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاء وَتَهْدِي مَن تَشَاء أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ (١٥٥) وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاء وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧) قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (الأعراف ١٥٥ - ١٥٨)

فانظر إلى هؤلاء السفهاء يصفون الرحمة المهداة بالإرهاب والقتل وسفك دماء الأبرياء، فما أبعد أمثال هؤلاء عن هذه الرحمة الخاصة بالمتقين، وانظر كيف رسموا صوراً زعموا أنها لرسول الله ﷺ وقد نزّه الله عز وجل نبيه عن أن يعبث أحد من الناس بصورته، فأجمعت الأمة على تحريم تمثيل النبي ﷺ وتصويره إجلالاً له وتوقيراً

بل إن الله عز وجل منع الشيطان أن يتمثل بصورة النبي ﷺ لأحد في نومه، فقال رسول الله ﷺ «من رآني في المنام فقد رآني حقاً، فإن الشيطان لا يتمثل بي» وفي رواية «فإن الشيطان لا يتكونني» متفق عليه

وما مثل هؤلاء الحمقى الذين نشروا هذه الصور وزعموا كذباً وزوراً أنها للنبي ﷺ إلا مثل كفار قريش الذين سبوا النبي ﷺ فقد سموه مذمماً وجعلوا يسبونه، وكان رسول الله ﷺ يقول: انظر كيف يصرف الله عني شتم قريش، يسبون مذمماً وأنا محمد».

فليموتوا بغيظهم، فلن ينالوا من سيد ولد آدم وقد رفع الله قدره وذكره.

وأنتم يا معشر المسلمين أين أنتم من نصرة الحبيب محمد ﷺ، أفيقوا من غفلتكم واستيقظوا من سباتكم، أين أنتم من سنة الحبيب محمد ﷺ وهديه، أين أنتم من شريعته ومنهاجه، أين أنتم من سيرته وشمائله وأخلاقه، ألا تشعرون أنكم قد أسأتم إلى الحبيب حين تركتم سنته وهجرتم هديه، أين مقاطعة هؤلاء السفهاء، هل توقف مسلسل الإيذاء حتى تهدأ غضبتكم؟!

فاللهم إنا نبرأ إليك من تطاول السفها وتخاذل الجبناء.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

شبهات حول

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه، وبعد

فإن الإيمان بالقدر من أركان الإيمان، ولا يتم إيمان العبد حتى يعلم أن كل شيء بقدر، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وكل شيء عنده بقدر فالله سبحانه وتعالى رب العالمين ﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً ﴾ [الفرقان ٢].

قال تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر:٤٩].

قال الحافظ ابن حجر: هذه الآية نص في أن الله تعالى خالق كل شيء ومقدره وهي نص من قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الزمر:٦٢] وقوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات:٩٦].

وقد اشتهر عن أهل العلم سلفاً وخلفاً أن هذه الآية نزلت في منكري القدر، كما روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر، فنزلت ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر].

وفي صحيح مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «كل شيء بقدر حتى العجز والكيس».

والإيمان بالقدر من ربوبية الله عز وجل ولهذا قال الإمام أحمد: القدر قدرة الله.

أقسام الناس في القدر

والناس في القدر على ثلاثة أقسام: قسم غلوا في إثبات القدر وزعموا أن العبد لا قدرة له على اختيار أفعاله بل هو كالريشة في مهب الريح، يقول قائلهم:

ألقاه في اليم مكتوفاً وقال له ... إياك إياك أن تبتل بالماء

ولم يفرق هؤلاء بين ما يقع من العبد باختياره وما يقع منه بغير اختيار منه وهؤلاء هم الجهمية الجبرية أتباع الجهم بن صفوان.

وقسم غلوا في إثبات قدرة العبد واختياره ونفوا أن يكون لله تعالى مشيئة في خلق ما يفعله العباد، حتى غلا بعضهم وزعموا أن الله لا يعلم أفعال العباد إلا بعد وقوعها، وانحرف بعضهم فزعموا أن الله يعلم أفعال العباد ولكنه بيّن للناس سبيل الخير والشر والهدى والرشاد، وترك الناس يعملون، فنفوا عن الله سبحانه وتعالى الهداية والإضلال والتوفيق والخذلان، فالله عندهم لا يوفق عبده المؤمن إلى ما يحبه ويرضاه بل المؤمن هو الذي يسعى في مرضاة ربه بغير معونة من الله، والكافر هو الذي يسعى في سخط ربه بغير خذلان من الله عز وجل، وقالوا إن هذا هو مقتضى العدل الإلهي، وأن العبد المؤمن يدخل الجنة بمحض عمله لا بتوفيق من ربه واستدلوا على ذلك بقوله تعالى ﴿ ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النحل:٣٢] وهؤلاء هم المعتزلة القدرية.

وقد ظهر هؤلاء في أواخر عصر الصحابة كما روى مسلم في صحيحه من حديث يحيى بن يعمر قال: كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني فانطلقت أنا وحميد بن عبدالرحمن الحميري حاجين أو معتمرين فقلنا: لو لقينا أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر فوفق لنا عبدالله بن عمر بن الخطاب داخلاً المسجد فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلي فقلت: أبا عبدالرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن ويتقفرون العلم وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أُنف قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم برآء مني والذي يحلف به

القدر

بقلم د: جمال المراكبي
الرئيس العام
WWW.ELMARAKBY.COM

عبدالله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أُحُد ذهبًا فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر.

والعجيب أن أصحاب هذين القولين المتناقضين في القدر قد اتفقا على نفي صفات الله عز وجل بدعوى أنهم ينزهون الله عز وجل عن مشابهة المخلوقات.

أما أهل السنة فقد هداهم الله عز وجل لما اختلف فيه من الحق بإذنه فساروا مع القرآن والسنة حيث سارا، ووظفوا عقولهم في فهم النصوص الشرعية لا في ردها ومعارضتها، وعلموا أنه لا يقع في الكون شيء إلا بمشيئة الله عز وجل، ولكنهم قسموا الأشياء إلى قسمين: قسم يقع بمشيئة الله ولا دخل لأحد فيه كالموت والحياة والصحة والمرض وكل ما يقع في السماوات والأرض مما لا اختيار للعبد فيه كجريان الريح وإنزال المطر وإنبات النبات وخلق الإنسان والحيوان.

وقسم آخر وهو ما يفعله الإنسان بإرادته واختياره كالطاعة والمعصية والسفر والإقامة والسعي في طلب الرزق وطلب العلم، وهذه الأشياء تقع من الإنسان بإرادته واختياره وعليها مناط التكليف قال تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [المزمل: ٢٨، ٢٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٣٠].

فالإنسان يفعل هذه الأفعال الاختيارية بمشيئته وإرادته واختياره، ولكن إرادته واختياره تابعة لمشيئة الله وإرادته، والمؤمن أحوج ما يكون إلى توفيق الله وهدايته ومعونته، ولهذا علمنا ربنا عز وجل أن نقول في صلواتنا: (إياك نعبد وإياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم) [الفاتحة].

وعلمنا رسول الله ﷺ أن نقول بعد الصلاة «رب أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»

والله تبارك وتعالى يقول في الحديث القدسي:» يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه» [مسلم].

ودخول الجنة ليس بمجرد طاعة العبد وعمله بل هو بتوفيق الله وهدايته ورحمته، ولهذا قال رسول الله ﷺ «لن يُدخل أحداً عمله الجنة، قالوا ولا أنت يا رسول الله؟، قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضل منه ورحمة، فسددوا وقاربوا وأبشروا، وفي رواية فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة والقصد القصد تبلغوا» [البخاري].

فأثبت النبي ﷺ دخول الجنة برحمة الله عز وجل وأمر في نفس الوقت بالعمل بالطاعات، والله سبحانه وتعالى حكم عدل حكيم عليم خبير لا يفعل الشيء إلا لحكمة بالغة، فلا يدخل الجنة إلا من كان أهلاً لرحمته، ولا يدخل النار إلا من كان أهلاً لعذابه، وتقف عقول البشر قاصرة وعاجزة عن إدراك هذه الحكمة البالغة لماذا أضل

هذا وقدر عليه العذاب، وهدى هذا ووفقه للنعيم؟ ولهذا فكل من خاض في مسألة القدر بعقله بعيداً عن النصوص فقد ضل وأضل عن سواء السبيل.

قال بعض أهل العلم: سبيل معرفة هذا الباب (القدر) التوقيف من الكتاب والسنة دون محض القياس والعقل، فمن عدل عن التوقيف فيه ضل وتاه في بحار الحيرة، لأن القدر سر من أسرار الله تعالى اختُص به الحكيم العليم الخبير به سبحانه، وضرب دونه الأستار وحجبه عن عقول الخلق ومعارفهم لما علمه سبحانه من الحكمة، فلم يعرفه نبي مرسل ولا ملَك مقرب. اهـ

ولهذا قدر الله عز وجل الهداية لامرأة فرعون، وجعلها ممن كمل من النساء، وقدر الله عز وجل الضلالة على امرأة نوح وولده قال تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (٤٥) قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [هود: ٤٥، ٤٦].

لأجل هذا أمرنا رسول الله ﷺ ألا نخوض في هذا الباب بغير علم من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ فقال فيما أخرجه الطبراني بسند حسن عن ابن مسعود رضي الله عنه يرفعه «إذا ذكر القدر فأمسكوا».

شبهات حول القدر

وتبقى قضية الإيمان بالقدر من القضايا التي تثور حولها الشكوك والشبهات، ولا تزول هذه الشكوك والشبهات إلا بالعلم واليقين والتسليم لحكم الله عز وجل وحكمته، ومن هذه الشبهات ما طرأ على قلوب بعض أصحاب النبي ﷺ وهم خير قرون الأمة وأعلمهم وأتقاهم، ومنها ما يطرأ على قلوب الناس من بعدهم.

- الشبهة الأولى: لماذا العمل ؟

إذا كان الله عز وجل قد علم أهل الجنة وأهل النار فلماذا يعمل العاملون ؟ فإذا كان الرجل من أهل النار لا ينفعه عمل صالح عمله، وإذا كان الرجل من أهل الجنة فما حاجته للعمل ؟وقد ثارت هذه الشبهة في قلوب بعض أصحاب النبي ﷺ فقالوا: ففيم العمل إذاً يا رسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ «اعملوا فكل ميسر لما خلق له»

عن علي رضي الله عنه قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا رسول الله ﷺ فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس فجعل ينكت بمخصرته ثم قال ما منكم من أحد ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار وإلا وقد كتبت شقية أو سعيدة، قال: فقال رجل: يا رسول الله أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل ؟ فقال اعملوا فكل ميسر أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة ثم قرأ «فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى» [الليل ٥- ١٠] [رواه مسلم].

وعن جابر رضي الله عنه قال: جاء سراقة بن مالك قال: يا رسول الله بين لنا ديننا كأنا خلقنا الآن فيم العمل اليوم ؟ أفيم جفت به الأقلام وجرت به المقادير أم فيم نستقبل ؟ قال لا بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير، قال: ففيم العمل ؟ فقال: (اعملوا فكل ميسر) [رواه مسلم].

وعن عمران بن حصين قال: قيل: يا رسول الله، أعُلِم أهل الجنة من أهل النار ؟ فقال: «نعم» قال: قيل ففيم يعمل العاملون ؟ قال: «كل ميسر لما خلق له». [رواه مسلم].

فالهداية والإضلال ودخول الجنة والنار بتقدير الله عز وجل، والعمل بطاعة الله عز وجل بتوفيقه سبحانه ولهذا أمرنا رسول الله ﷺ بالعمل وقال: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له» ونهانا ﷺ عن العجز والتواكل، فلا ينبغي لعاقل أن يترك العمل ويقول: «ففيم العمل ؟» خاصة وأن الإنسان لا يدري ولا يعلم ما قُدِّر له، فلا ينبغي عليه أن يترك العمل الذي أمره الله عز وجل به اتكالاً على القدر الذي لا يعلمه، وقد أمرنا رسول الله ﷺ بحسن العمل وترك العجز والكسل فقال: المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان. [رواه مسلم].

- الشبهة الثانية: أفلا يكون ظلماً ؟

قد تقع هذه الشبهة في قلوب البعض فيتساءل في نفسه قائلاً: إذا كان الله قد علم أهل الجنة وأهل النار قبل أن يخلق السماوات والأرض أفلا يكون ظلماً لأولئك الذين قدر عليهم العذاب والخلود في النار ؟

ورد هذه الشبهة باليقين بأن الله عز وجل حكم عدل، لا يظلم الناس مثقال ذرة، وأنه سبحانه حرم الظلم على نفسه، وقد أورد الصحابي الجليل عمران بن حصين هذه الشبهة على بعض تلامذته ليختبر ما عنده من العقل والإيمان واليقين، ففي صحيح مسلم عن أبي الأسود الدؤلي قال: قال لي عمران بن حصين: أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه أشيء قضي عليهم ومضى عليهم من قدر مًا سبق ؟ أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم ؟ فقلت: بل شيء قضي عليهم ومضى عليهم، قال: فقال: أفلا يكون ظلما؟ قال ففزعت من ذلك فزعًا شديدًا وقلت: كل شيء خلق الله وملك يده فلا يسأل عما يفعل وهم يسألون، فقال لي: يرحمك الله إني لم أرد بما سألتك إلا لأحزر عقلك، إن رجلين من مزينة أتيا رسول الله ﷺ فقالا: يا رسول الله؛ أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه أشيء قضي عليهم ومضى فيهم من قدر قد سبق أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم ؟ فقال: «لا بل شيء قضي عليهم ومضى فيهم وتصديق ذلك في كتاب الله عز و جل ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس ٧- ٨].

وفي مسند أحمد وسنن ابن ماجة بإسناد صحيح عَنِ ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ قَالَ وَقَعَ فِى نَفْسِى شَىْءٌ مِنْ هَذَا الْقَدَرِ خَشِيتُ أَنْ يُفْسِدَ عَلَىَّ دِينِى وَأَمْرِى فَأَتَيْتُ أُبَىَّ بْنَ كَعْبٍ فَقُلْتُ: أَبَا الْمُنْذِرِ، إِنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِى قَلْبِى شَىْءٌ مِنْ هَذَا الْقَدَرِ فَخَشِيتُ عَلَى دِينِى وَأَمْرِى فَحَدِّثْنِى مِنْ ذَلِكَ بِشَىْءٍ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَنْفَعَنِى بِهِ. فَقَالَ: لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ لَكَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ كَانَ لَكَ مِثْلُ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا أَوْ مِثْلُ جَبَلِ أُحُدٍ تُنْفِقُهُ فِى سَبِيلِ اللَّهِ مَا قُبِلَ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، فَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَأَنَّكَ إِنْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا دَخَلْتَ النَّارَ وَلاَ عَلَيْكَ أَنْ تَأْتِىَ أَخِى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ فَتَسْأَلَهُ. فَأَتَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ فَسَأَلْتُهُ فَذَكَرَ مِثْلَ مَا قَالَ أُبَىٌّ، وَقَالَ لِى: وَلاَ عَلَيْكَ أَنْ تَأْتِىَ حُذَيْفَةَ. فَأَتَيْتُ حُذَيْفَةَ فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ مِثْلَ مَا قَالاَ، وَقَالَ: ائْتِ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ فَاسْأَلْهُ. فَأَتَيْتُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ لَكَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ وَلَوْ كَانَ لَكَ مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا أَوْ مِثْلُ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا تُنْفِقُهُ فِى سَبِيلِ اللَّهِ مَا قَبِلَهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ كُلِّهِ فَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ وَأَنَّكَ إِنْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا دَخَلْتَ النَّارَ».

فقد تقع الشبهة للمؤمن التقي، ولا تزول مثل هذه الشبهات إلا بالعلم النافع، ولهذا لما وقعت الشبهة في قلب عبد الله بن فيروز الديلمي وهو تابعي جليل وخاف أن تفسد عليه دينه وأمره توجه إلى أهل العلم من أصحاب رسول الله ﷺ، فازالوا عنه اللبس ورفعوا عنه الشبهة بما وقر في قلوبهم من علم نافع أخذوه عن رسول الله ﷺ وأجمعوا عليه، فالله سبحانه وتعالى حكم عدل لا يظلم الناس شيئاً، ولو فُرض جدلاً أنه عذب أهل سماواته وأرضه، وهذا فرض جدلي غير واقع، لعذبهم وهو غير ظالم لهم، وبما يستحقون من سوء عملهم، والله تبارك وتعالى هو الرحمن الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء ولا يدخل أهل الجنة الجنةَ إلا برحمته،/فالمؤمن يثق في عدل الله وأنه لا يظلم الناس شيئاً بل يضاعف لعباده ثواب عملهم، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عز وجل له حسنة كاملة، وإن هم بها فعملها كتبها له عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عز وجل له حسنة كاملة، وإن هم بها فعملها كتبها له سيئة واحده.

وقد قال بعض سلفنا الصالح: عجباً لمن غلبت آحاده عشراته، وانظر إلى فضل الله ورحمته كيف أكد الحسنة فكتبها كاملة، وكيف قلل السيئة فكتبها واحدة، ثم فتح لعباده باب التوبة على مصراعيه لا يغلق حتى تطلع الشمس من مغربها، وحتى تصل الروح إلى الحلقوم، وأخبر عباده التائبين أنه يبدل سيئاتهم حسنات، فكيف يقع في قلب عاقل أن من سبقت رحمته غضبه ومن حرم الظلم على نفسه وجعله بين العباد محرماً أن يظلم عبده، سبحانك هذا بهتان عظيم.

هذه بعض الشبهات التي تعرض في باب القدر وغيرها كثير لا يندفع عن الإنسان إلا بالعلم واليقين وحسن التوكل على الله وإخلاص العمل له، فمن سعى في مرضات الله عز وجل مخلصاً راغباً راهباً فلن يخذله الله، ومن أعرض وأبى فلا يلومن إلا نفسه.

وفقنا الله وإياكم لما يحب ويرضى، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أثر الإيمان بالقدر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه.

أما بعد:

فقد تكلمنا في لقاء سابق عن الإيمان بالقدر باعتباره من أركان الإيمان، فلا يتم إيمان العبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره حلوه ومره ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن عمله لا يُقبل حتى يؤمن بالقدر، وإذا علمنا أن الإيمان قول وعمل، فإن للإيمان تأثيراً واضحاً على سلوك المؤمن وأخلاقه ومعاملاته، وللإيمان بالقدر خاصة أبلغ الأثر في هذا السلوك وهذه الأخلاق والمعاملات، فالمؤمن قريب من ربه عز وجل، يستشعر مراقبته سبحانه ويسعى في مرضاته في القول والعمل، والسر والعلن.

والإيمان بالقدر يملأ القلب رضاً بالله عز وجل وبدينه وبرسوله ﷺ، ورضًا عن الله عز وجل في قضائه وابتلائه، فيتذوق حلاوة الإيمان ولا يرضى به بدلاً، كما قال رسول الله ﷺ: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ رسولاً» [مسلم ك الإيمان].

وقال ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار» [متفق عليه].

ويتجلى تأثير الإيمان بالقدر في سلوك المؤمن في نواح شتى؛ أولها: إتقان العمل وحسن التوكل على الله عز وجل، فالمؤمن كما قلنا حريص على ما ينفع به نفسه، وينفع به غيره في الدنيا والآخرة، حريص على دعوة الناس وهدايتهم إلى خيري الدنيا والآخرة، صابر على ما يناله من الأذى في سبيل مرضاة الله عز وجل، محتسب أجره على الله، مستعين بالله، غير عاجز ولا متوان ولا متواكل، وهذا هو المؤمن القوى حقاً كما قال رسول الله ﷺ «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز فإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان» [رواه مسلم].

وهو مع شدة حرصه على الأشياء النافعة في الدنيا والآخرة كالعلم النافع والعمل الصالح والسعي إلى تحقيق الريادة والتقدم في كل مناحي الحياة، يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، يأكل من الحلال الطيب ويأنف من كل حرام وخبيث، الغاية عنده لا تبرر الوسيلة فغايته كريمة، ووسائله لتحقيق غاياته شريفة، عفيف القلب، عفيف اللسان، لا يجهر بالسوء، ولا يعمل الفواحش، وهو مع هذا كله راض بما قسمه الله عز وجل له، وبما قدره الله عز وجل عليه، يصبر على البلاء ويشكر النعماء، كما قال نبينا ﷺ: «عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابه سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابه ضراء صبر فكان خيراً له» [رواه مسلم].

لا يندم ولا يتحسر على ما فاته من رزق في الدنيا ولا يفرح ولا يتفاخر بما أعطاه الله عز وجل، ولا يقول مقالة الكافر بأنعم الله عز وجل ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾، وإنما يقول: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ

في سلوك المؤمنين

د. جمال المراكبي
بقلم/ الرئيس العام
WWW.ELMARAKBY.COM

وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾، قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِكَيْلاَ تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٢، ٢٣].

وهو في هذا كله معتمد على الله تعالى، يأخذ بالأسباب ويتعلق قلبه بمسبب الأسباب سبحانه وتعالى، ينازع أقدار الله بأقدار الله عز وجل، ويفر من قدر إلى قدر كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين دخل الشام فبلغه أن الطاعون قد استشرى بأرضها، فأراد أن يرجع، فقال له أبو عبيدة بن الجراح: أتفر من قدر الله ؟ فقال عمر: لو غيرك قالها!! أفر من قدر الله إلى قدر الله. ويعلم أن الدعاء يرد القضاء، فيلجأ إلى الله عز وجل يسأله التوفيق والثبات والهداية والرشاد ودفع الضر والبلاء.

ثانياً: السلوك المستقيم مع الآخرين

إذا أيقن العبد أن النفع والضر بيد الله عز وجل، وأن الخلق ليس لهم من الأمر شيء تعلق قلبه بالله، وحرص على مرضاته، لا على مرضاة الناس فيتخلى عن الأساليب السيئة في تعامله مع الناس، فلا يكذب ولا ينافق، ولا يداهن ليصل إلى غرض دنيوي وهذا يورثه الصدق والاستقامة على أمر الله عز وجل.

وإذا علم العبد أن أجله بيد الله عز وجل، وأن أقصى ما يناله منه عدوه وهو القتل إنما هو بتقدير الله عز وجل لا بيد أحد من الخلق أورثه ذلك شجاعة في مواجهة عدوه، وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾، وقال تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَا هُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

وإذا علم العبد كذلك أن ما يقع من الناس في حقه من تقصير أو إساءة إنما هو بتقدير من الله عز وجل أورثه ذلك رغبة في العفو عمن ظلمه أو أساء إليه أو قصر في حقه، ويتجلى هذا في سلوك النبي ﷺ حيث كان يصبر على الأذى ويدفع بالتي هي أحسن فكان لا ينتقم لنفسه قط، فإذا انتهكت حرمات الله لم يقم لغضبه شيء حتى ينتقم لله عز وجل.

وكثيراً ما قال النبي ﷺ عند تعرضه للأذى: «يرحم الله موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر».

يقول أنس بن مالك رضي الله عنه: خدمت النبي ﷺ عشر سنين فما قال لي لشيء فعلته لم فعلته ؟ ولا لشيء تركته لم تركته ؟ وكان بعض أهله إذا لامني يقول ﷺ : «دعوه فلو قضي شيء لكان»

ثالثاً: الجمع بين الخوف والرجاء

المؤمن بالقدر يعبد ربه خوفاً وطمعاً، لأنه يعلم يقيناً أن العبرة بالخواتيم، وأن السعيد من عباد الله عز وجل من هيأ الله له أسباب السعادة، وكتبه من السعداء، وأن الشقي من شقي في بطن أمه، وأن العبد قد يعمل بعمل أهل الجنة فيما يرى الناس ثم يختم له بعمل يؤدي إلى النار فيخاف من سوء الخاتمة، وقد يعمل بعمل أهل النار ثم يتوب الله عليه فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها، فيطمع في عفو ربه وفي جنته.

وقد كان النبي ﷺ وهو سيد ولد آدم وكذلك كان أنبياء الله ورسله يجمعون بين الخوف والرجاء، قال تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لاَ تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء٨٩- ٩٠].

وكان رسول الله ﷺ يقول في دعائه: «اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبَ وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي، اللَّهُمَّ وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ وَأَسْأَلُكَ الْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لاَ يَنْفَدُ وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لاَ تَنْقَطِعُ وَأَسْأَلُكَ الرِّضَاءَ بَعْدَ الْقَضَاءِ وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ وَلا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الإِيمَانِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ» [رواه النسائي]. فَوَالَّذِي لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلاَّ ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلاَّ ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا». [مسلم ك القدر].

هذا وقد ترجم البخاري في كتاب الرقاق من صحيحه باب الرجاء مع الخوف وذكر حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فأمسك عنده تسعا وتسعين رحمة وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار».

رابعاً: الحرص على الرزق الحلال

لا شك أن أمر الرزق يشغل عامة الناس، وكذلك أمر الأجل، والمؤمن المتوكل على الله لا ينشغل كثيرًا بهما؛ لأنه مطمئن تمامًا إلى أن الرزق مقسوم، والأجل معلوم، فلا يملك أحد أن ينقص من رزقه، كما لا يملك أحد من الخلق أن يغير أو يقدم أجله، وهذا لا يعني أن يهمل المتوكل أمر السعي لطلب الرزق، وأن ما أصابه من خير لا يمكن أن يخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، ولهذا فهو لا يقتل ولده من إملاق أو خشية إملاق؛ كما فعل أهل الجاهلية الأولى، ولا يمنع نسله ويجهض امرأته؛ كما يفعل بعض الناس في العصر الحديث، وإنما يتعامل مع النسل على أنه رزق من عند الله، قد كفله الله، ولكنه يأخذ بالأسباب لتحسين مستوى النسل، ورفع مستوى الفرد، وتعليمه وتثقيفه بما يحقق نفعه في الدنيا والآخرة. وهذه مسئولية الرجل في بيته وأسرته، ومسئولية المرأة في بيتها مع أولادها، ومسئولية المعلم مع تلامذته، ومسئولية الحاكم في المجتمع المسلم، كما قال النبي ﷺ: «كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته...» الحديث.

والمؤمن في أمر الرزق لا يركن إلى الحرام، فيسعى إلى كل كسب طيب، ويبتعد عن سبل الكسب الخبيث، وقد علم أن رزقه لن يخطئه أبدًا، فلماذا يحرص على الحرام ويستكثر منه مادام أن الرزاق قد كفل له رزقه، وهو كذلك لا ينشغل عن آخرته بسعيه لأجل دنياه، بل يحرص على الخيرات، ويسابق إلى الطاعات؛ لأنه يتطلع إلى الحظ الأوفر، والنصيب الأعظم من الرزق المقسوم؛ ألا وهو الجنة، فيطمع في الفردوس الأعلى، ويسأل ربه التوفيق والمعونة؛ عملاً بقول النبي ﷺ: «إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس الأعلى، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة، فوقه عرش الرحمن منه تفجر أنهار الجنة». [رواه البخاري].

لقد وثق المسلمون الأوائل بوعد الله، واطمأنوا إلى كفايته، فبذلوا الأموال والأرواح في سبيل الله، شوقًا إلى الجنة، وخوفًا من النار، حتى جاء الصديق في غزوة العسرة بماله كله، فقال له النبي ﷺ: «ما أبقيت لأهلك؟» فقال: أبقيت لهم الله ورسوله. [متفق عليه].

ومع أهمية الرزق فهو ليس ما يطلبه الناس من أمر الدنيا فحسب، فالرزق أشمل وأعم من المال أو المتاع، ولهذا يحرص المؤمن المتوكل على طلب الزوجة الصالحة ذات الدين التي تعينه على أمري الدنيا والآخرة، وقد قال النبي ﷺ: «فاظفر بذات الدين تربت يداك». [متفق عليه].

وكذلك يحرص المؤمن على طلب الذُرية الصالحة التي تقر بها عينه وترثه من بعده في عمارة الأرض، وعبادة الله سبحانه، فيلحقه من عملها ودعائها بعد موته الخير الكثير، ولهذا قال إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصافات: ١٠٠]، وقال زكريا عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران: ٣٨]، ومن فضل الله ورحمته أن جعل عمل الذرية الصالح ودعاءها في ميزان الآباء، وألحق الأبناء بالآباء، قال عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١]، وقال النبي ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث:

صدقة جارية، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعو له». [رواه مسلم].

وأفضل ما يحرص عليه المؤمن بعد الإيمان واليقين أن يرزقه الله العافية في الدنيا والآخرة، ولهذا قال النبي ﷺ: «أيها الناس، سلوا الله العافية، فإن أحدًا لم يُعط بعد اليقين خيرًا من العافية». [رواه أحمد والترمذي].

والمؤمن يعلم يقيناً أن الآجال مضروبة وأن الأرزاق مقسومة، وأن الله عز وجل هو الرزاق ذو القوة المتين ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ [فاطر: ٣].

ولهذا فهو يسعى في طلب الرزق آخذاً بالأسباب المباحة وقد تعلق قلبه بالرزاق فاطمأن أن الرزق مكفول مضمون، فطلب الرزق بغير استشراف نفس ولا ركون إلى دنيا متمثلاً قول الحبيب محمد ﷺ: «إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب».

وقال رسول الله ﷺ: «لا تسأل المرأة طلاق أختها لتستفرغ صحفتها، ولتنكح فإنه يأتيها ما قُدر لها».

وسمع النبي ﷺ أم حبيبة رضي الله عنها تقول: «اللهم متعني بزوجي رسول الله ﷺ وبأبي أبي سفيان وبأخي معاوية فقال لها رسول الله ﷺ إنك سألت الله لآجال مضروبة وآثار موطوءة وأرزاق مقسومة لا يعجل شيئا منها قبل حله ولا يؤخر منها شيئا بعد حله ولو سألت الله أن يعافيك من عذاب في النار وعذاب في القبر لكان خيرًا لك» [مسلم ك القدر].

خامساً: مشاهدة القدر

والمؤمن بقدر الله عز وجل يعلم يقيناً أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، فيصبر ويثبت عند المصائب التي لا يملك لها دفعاً قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾.

فيشهد المؤمن قدر الله عند المصائب فيرضى ويُسلم ويقول مقالة الحبيب محمد ﷺ: «إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا».

وكذلك يرى الهداية والتوفيق للطاعة، فلا يرى لنفسه حسنة، ولا يدخل العُجب إلى قلبه، بل يرى منة الله عز وجل عليه أن وفقه وهداه، وفي المقابل يرى قصور نفسه وعجزها عن الوفاء بحقوق العبودية، ولقد كان أصحاب النبي ﷺ يقولون:

والله لولا الله ما اهتدينا
ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا
وثبت الأقدام إن لاقينا

قال ابن القيم: حق الله في العبادة ست: الإخلاص، المتابعة، النصح، الإحسان، شهود منة الله تعالى، ومطالعة عيب النفس.

أما في الذنوب والمعاصي فلا يحتج بقدر الله تعالى عليها ليبرئ نفسه بل يعود على نفسه باللوم والتأنيب ويحملها على التوبة والإنابة. فإذا تاب وأناب فليس لأحد كائنًا من كان أن يلومه على ذنب تاب منه. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ عِنْدَ رَبِّهِمَا فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى قَالَ مُوسَى أَنْتَ آدَمُ الَّذِى خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ وَأَسْجَدَ لَكَ مَلاَئِكَتَهُ وَأَسْكَنَكَ فِى جَنَّتِهِ ثُمَّ أَهْبَطْتَ النَّاسَ بِخَطِيئَتِكَ إِلَى الأَرْضِ فَقَالَ آدَمُ أَنْتَ مُوسَى الَّذِى اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلاَمِهِ وَأَعْطَاكَ الأَلْوَاحَ فِيهَا تِبْيَانُ كُلِّ شَىْءٍ وَقَرَّبَكَ نَجِيًّا فَبِكَمْ وَجَدْتَ اللَّهَ كَتَبَ التَّوْرَاةَ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ قَالَ مُوسَى بِأَرْبَعِينَ عَامًا. قَالَ آدَمُ فَهَلْ وَجَدْتَ فِيهَا (وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى) قَالَ نَعَمْ. قَالَ أَفَتَلُومُنِى عَلَى أَنْ عَمِلْتُ عَمَلاً كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَىَّ أَنْ أَعْمَلَهُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِى بِأَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى».

والحمد لله رب العالمين.

الوصية

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله الصادق الوعد الأمين، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين، وعلى رسل الله أجمعين، أما بعد:

فقد شرع الله لعباده الوصية في كتابه وأمر بها على لسان رسوله ﷺ فقال سبحانه: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ [البقرة: ١٨٠].

وقال رسول الله ﷺ: (ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده). متفق عليه.

وظاهر الآية والحديث إيجاب الوصية على كل مسلم ومسلمة، وإلى هذا ذهب بعض أهل العلم، قال ابن حزم: الْوَصِيَّةُ فَرْضٌ عَلَى كُلِّ مَنْ تَرَكَ مَالاً، لِمَا رُوِّينَا مِنْ طَرِيقِ مَالِك، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَهُ شَيْءٌ يُوصِي فِيهِ يَبِيتُ لَيْلَتَيْنِ إِلاَّ وَوَصِيَّتُهُ عِنْدَهُ مَكْتُوبَةٌ». قَالَ ابْنُ عُمَرَ: مَا مَرَّتْ عَلَيَّ لَيْلَةٌ مُنْذُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ ذَلِكَ إِلاَّ وَعِنْدِي وَصِيَّتِي. وَرُوِّينَا إِيجَابَ الْوَصِيَّةِ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ الْمُبَارَكِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَوْنٍ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ مِنْ قَوْلِهِ. وَمِنْ طَرِيقِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ قَالَ: كَانَ طَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ يُشَدِّدَانِ فِي الْوَصِيَّةِ وَهُوَ قَوْلُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى، وَطَلْحَةَ بْنِ مُصَرِّفٍ، وطَاوُوس، وَالشَّعْبِيِّ، وَغَيْرِهِمْ وَهُوَ قَوْلُ أَبِي سُلَيْمَانَ وَجَمِيعِ أَصْحَابِنَا.

قال ابن حجر في الفتح: واستدل بهذا الحديث مع ظاهر الآية على وجوب الوصية وبه قال الزهري وأبو مجلز وعطاء وطلحة بن مصرف في آخرين، وحكاه البيهقي عن الشافعي في القديم، وبه قال إسحاق وداود، واختاره أبو عوانة الإسفرايني وابن جرير وآخرون.

وذهب جماهير العلماء إلى عدم وجوب الوصية، قال ابن حجر: ونسب ابن عبد البر القول بعدم الوجوب إلى الإجماع سوى من شذ، كذا قال، واستدل لعدم الوجوب من حيث المعنى لأنه لو لم يوص لقسم جميع ماله بين ورثته بالإجماع، فلو كانت الوصية واجبة لأخرج من ماله سهمًا ينوب عن الوصية. اهـ.

وهذا الذي نفاه بالإجماع قد قال به جماعة من أهل العلم منهم ابن حزم وهو عمدة القائلين بالوصية الواجبة.

قال ابن عبد البر في «التمهيد»: وأجمعوا أن الوصية ليست بواجبة إلا على من كانت عليه حقوق بغير بينة أو كانت عنده أمانة بغير شهادة، فإن كان ذلك فواجب عليه الوصية فرضًا، لا يحل له أن يبيت ليلتين إلا وقد أشهد بذلك، وأما التطوع فليس على أحد أن يوصي به إلا فرقة شذت فأوجبت ذلك، والآية بإيجاب الوصية للوالدين والأقربين، منسوخة ولم يوص رسول الله ﷺ ولو كانت الوصية واجبة كان أبدر الناس إليها رسول الله ﷺ بل قال عليه الصلاة والسلام: «أفضل الصدقة أن تعطي وأنت صحيح شحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر ولا تمهل حتى إذا بلغت النفس الحلقوم قلت: هذا لفلان وهذا لفلان».

الواجبة

د. عجال المرأكبي
بقلم/ الرئيس العام
WWW.ELMARAKBY.COM

قال: وحدثنا إسماعيل قال: سمعت عبد الله بن عون يقول: إنما الوصية بمنزلة الصدقة، فأحب إلي إذا كان الموصى له غنيًا عنها أن يدعها، وأما قول سعد في الحديث وأنا ذو مال ففيه دليل على أنه لو لم يكن ذا مال ما أذن له رسول الله ﷺ في الوصية، والله أعلم، ألا ترى إلى قوله «لأن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس» وقد منع علي بن أبي طالب أو ابن عمر مولى لهم من أن يوصي وكان له سبع مائة درهم، وقال: إنما قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾، وليس لك كبير مال.

وروى ابن جريج عن ابن طاوس عن أبيه قال لا يجوز لمن كان ورثته كثيرًا وماله قليلاً أن يوصي بثلث ماله.

وقد أجمع العلماء على أن من لم يكن عنده إلا اليسير التافه من المال أنه لا يندب إلى الوصية.

قال أبو عمر: ليس في كتاب الله ذكر الوصية إلا في قوله عز وجل: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾. وهذه الآية نزلت قبل نزول الفرائض والمواريث، فلما أنزل الله حكم الوالدين وسائر الوارثين في القرآن نسخ ما كان لهم من الوصية وجعل لهم مواريث معلومة على حسب ما أحكم من ذلك تبارك وتعالى، وقد روي عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن أن آية المواريث نسخت الوصية للوالدين والأقربين الوارثين وهو مذهب الشافعي وأكثر المالكيين وجماعة من أهل العلم وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «لا وصية لوارث» وهذا بيان منه ﷺ أن آية المواريث نسخت الوصية للوارثين وأما من أجاز نسخ القرآن بالسنة من العلماء فإنهم قالوا هذا الحديث نسخ الوصية للورثة وللكلام في نسخ القرآن بالسنة موضع غير هذا. اهـ.

واحتج ابن بطال تبعًا لغيره بأن ابن عمر لم يوص فلو كانت الوصية واجبة لما تركها، وهو راوي الحديث، فعن نافع قال: قيل لابن عمر في مرض موته: ألا توصي ؟ قال أما مالي فالله يعلم ما كنت أصنع فيه، وأما رباعي فلا أحب أن يشارك ولدي فيها أحد أخرجه بن المنذر وغيره وسنده صحيح ويجمع بينه وبين ما رواه مسلم بالحمل على أنه كان يكتب وصيته ويتعاهدها ثم صار ينجز ما كان يوصي به معلقًا، وإليه الإشارة بقوله فالله يعلم ما كنت أصنع في مالي ولعل الحامل له على ذلك حديثه في الرقاق إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح الحديث فصار ينجز ما يريد التصدق به فلم يحتج إلى تعليق.

فمن مات ولم يوص فهو آثم عند من قال بوجوب الوصية ولا يجب في ماله وصية ولا صدقة إلا أنَّ ابن حزم الظاهري قد أوجب الوصية في ماله وان لم يوص فقال: فَمَنْ مَاتَ وَلَمْ يُوصِ: فَفُرِضَ أَنْ يَتَصَدَّقَ عَنْهُ بِمَا تَيَسَّرَ، وَلاَ بُدَّ، لأَنَّ فَرْضَ الْوَصِيَّةِ وَاجِبٌ، كَمَا أَوْرَدْنَا.فَصَحَّ أَنَّهُ قَدْ وَجَبَ أَنْ يَخْرُجَ شَيْءٌ مِنْ مَالِه بَعْدَ الْمَوْتِ، فإن كان ذَلِكَ كَذَلِكَ فَقَدْ سَقَطَ مِلْكُهُ عَمَّا وَجَبَ إخْرَاجُهُ مِنْ مَالِه، وَلاَ حَدَّ فِي ذَلِكَ إلاَّ مَا رَاهُ الْوَرَثَةُ، أَوْ الْوَصِيُّ مِمَّا لاَ إجْحَافَ فِيهِ عَلَى الْوَرَثَةِ وَهُوَ قَوْلُ طَائِفَةٍ مِنْ السَّلَفِ، وَقَدْ صَحَّ بِهِ أَثَرٌ. عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ: أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ إنَّ أُمِّي افْتُلِتَتْ نَفْسُهَا وَإِنَّهَا لَوْ تَكَلَّمَتْ تَصَدَّقَتْ، أَفَأَتَصَدَّقُ عَنْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَعَمْ، فَتَصَدَّقْ عَنْهَا؟ فَهَذَا إيجَابُ الصَّدَقَةِ عَمَّنْ لَمْ يُوصِ، وَأَمْرُهُ عليه الصلاة والسلام: فَرْضٌ. وروى مسلم، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ إنَّ أَبِي مَاتَ وَلَمْ يُوصِ، فَهَلْ يُكَفِّرُ عَنْهُ أَنْ أَتَصَدَّقَ عَنْهُ قَالَ عليه الصلاة والسلام: «نَعَمْ». فَهَذَا إيجَابٌ لِلْوَصِيَّةِ، وَلاَنْ يُتَصَدَّقَ عَمَّنْ لَمْ يُوصِ، وَلاَ بُدَّ، لأَنَّ التَّكْفِيرَ لاَ يَكُونُ إلاَّ فِي ذَنْبٍ، فَبَيَّنَ عليه الصلاة والسلام: أَنَّ تَرْكَ الْوَصِيَّةِ يَحْتَاجُ فَاعِلُهُ إلَى أَنْ يُكَفِّرَ عَنْهُ ذَلِكَ، بِأَنْ يَتَصَدَّقَ عَنْهُ، وَهَذَا مَا لاَ يَسَعُ أَحَدًا خِلاَفُهُ. وعَنِ الْقَاسِمِ

بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ قَالَ: مَاتَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ فِي مَنَامٍ لَهُ فَاعْتَقَتْ عَنْهُ عَائِشَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ تِلاَدًا مِنْ تِلاَدِه. فَهَذَا يُوَضِّحُ أَنَّ الْوَصِيَّةَ عِنْدَهَا، رضي الله عنها، فَرْضٌ، وَأَنَّ الْبِرَّ عَمَّنْ لَمْ يُوصِ: فَرْضٌ، إِذْ لَوْلاَ ذَلِكَ مَا أَخْرَجَتْ مِنْ مَالِه مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِإِخْرَاجِه. وَمِنْ طَرِيقِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَيْسَرَةَ أَنَّهُ سَمِعَ طَاوُوسًا يَقُولُ: مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ لَمْ يُوصِ إِلاَّ وَأَهْلُهُ أَحَقُّ، أَوْ مُحِقُّونَ أَنْ يُوصُوا عَنْهُ قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ فَعَرَضْتُ عَلَى ابْنِ طَاوُوسٍ هَذَا وَقُلْتُ: أَكَذَلِكَ فَقَالَ: نَعَمْ. وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاوُوسٍ، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أُمِّي تُوُفِّيَتْ وَلَمْ تُوصِ، أَفَأُوصِي عَنْهَا فَقَالَ: « نَعَمْ». وَمِنْ طَرِيقِ مَعْمَرٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَعْتَقَ، عَنْ امْرَأَةٍ مَاتَتْ وَلَمْ تُوصِ وَلِيدَةً وَتَصَدَّقَ عَنْهَا بِمَتَاعٍ». وَلاَ مُرْسَلَ أَحْسَنُ مِنْ هَذَيْنِ.

وقد تلقف المشرع المصري هذا القول وبنى عليه حكم الوصية الواجبة بقوة القانون، فنص في المادة ٣٦ من قانون الوصية رقم ٧١ الصادر سنة ١٩٤٦: «إذا لم يوص الميت لفرع ولده الذي مات في حياته أو معه ولو حكماً بمثل ما كان يستحقه هذا الولد ميراثاً في تركته لو كان حياً عند موته، وجبت للفرع وصية بقدر هذا النصيب في حدود الثلث بشرط أن يكون غير وارث، وألا يكون الميت قد أعطاه بغير عوض قدر ما يجب له، وإن كان ما أعطاه أقل وجبت الوصية بقدر ما يكمله، وتكون هذه الوصية لأهل الطبقة الأولى من أولاد البنات وأولاد الأبناء من أولاد الظهور وإن نزلوا على أن يحجب كل أصل فرعه دون فرع غيره ويقسم نصيب كل أصل على فرعه وإن نزل قسمة الميراث».

وقد يخطئ كثير من الناس في فهم هذا الأمر ويخلط بين الوصية وبين الميراث ويعتقد هؤلاء أن الأحفاد يرثون على خلاف ما هو معلوم بالضرورة من دين الله عز وجل من أن الأبناء يحجبون الأحفاد في الميراث وهذا الاعتقاد غير صحيح، فالقانون قد أوجب لهؤلاء الأحفاد وصية بناء على اجتهاد معتبر لبعض أهل العلم ولم يوجب لهم حقًا في الميراث على خلاف شرع الله عز وجل.

وقد سألت الشيخ صالح بن حميد- حفظه الله- عمن يقولون إن هذا القانون مخالف للشريعة فقال بل هو اجتهاد معتبر ولولي الأمر أن يلزم الناس باجتهاده.

الثلث والثلث كثير

قال ابن عبد البر: وأجمع علماء المسلمين على أنه لا يجوز لأحد أن يوصي بأكثر من ثلثه إذا ترك ورثة من بنين أو عصبة.

واختلفوا إذا لم يترك بنين ولا عصبة ولا وارثًا بنسب أو نكاح، فقال ابن مسعود: إذا كان كذلك جاز له أن يوصي بماله كله، وعن أبي موسى الأشعري مثله، وقال بقولهما قوم منهم مسروق وعبيدة السلماني وبه قال إسحاق بن راهويه واختلف في ذلك قول أحمد ذهب إليه جماعة من المتأخرين ممن يقول بقول زيد بن ثابت في هذه المسألة ومن حجتهم أن الاقتصار على الثلث في الوصية إنما كان من أجل أن يدع ورثته أغنياء وهذا لا ورثة له فليس ممن عني به الحديث والله أعلم.

وذكر عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن ابن سيرين أن أبا موسى أجاز وصية امرأة بمالها كله لم يكن لها وارث.

وعن الثوري عن أبي إسحاق عن أبي ميسرة قال: قال لي ابن مسعود إنكم من أحرى حي بالكوفة أن يموت ولا يدع عصبة ولا رحما فما يمنعه إذا كان ذلك أن يضع ماله في الفقراء والمساكين وعن معمر عن أيوب عن ابن سيرين عن عبيدة قال «إذا مات الرجل وليس عليه دين لأحد ولا عصبة يرثونه فإنه يوصي بماله كله حيث شاء» وعن ابن عيينة عن إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي عن مسروق مثله.

وقال زيد بن ثابت لا يجوز لأحد أن يوصي بأكثر من ثلثه كان له بنون أو ورث كلالة أو ورثه جماعة المسلمين لأن بيت مالهم عصبة من لا عصبة له وبهذا القول قال جمهور أهل العلم وإليه ذهب جماعة فقهاء الأمصار.

وأجمع فقهاء الأمصار أن الوصية بأكثر من الثلث إذا أجازها الورثة جازت وإن لم يجزها الورثة لم يجز

منها إلا الثلث.

وقال أهل الظاهر: إن الوصية بأكثر من الثلث لا تجوز أجازها الورثة أم لم يجيزوها، وهو قول عبد الرحمن بن كيسان وإلى هذا ذهب المزني لقول رسول الله ﷺ لسعد حين قال له أوصي بشطر مالي؟ قال «لا» ولم يقل له إن أجازه ورثتك جاز، وكذلك قالوا: إن الوصية للوارث لا تجوز أجازها الورثة أو لم يجيزوها لقول رسول الله ﷺ «ولا وصية لوارث» وسائر الفقهاء يجيزون ذلك إذا أجازها الورثة ويجعلونها هبة مستأنفة من قبل الورثة في الوجهين جميعًا منهم مالك والليث والأوزاعي والثوري وأبو حنيفة والشافعي وأصحابهم، وفي قول رسول الله ﷺ الثلث كثير« دليل على أنه الغاية التي إليها تنتهي الوصية وإن ذلك كثير في الوصية وأن التقصير عنه أفضل، ألا ترى إلى قول رسول الله ﷺ بعقب قوله «الثلث كثير، «ولأن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس» فاستحب له الإبقاء لورثته.

وكره جماعة من أهل العلم الوصية بجميع الثلث ذكر عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه قال: «إذا كان ورثته قليلاً وماله كثيرًا فلا بأس أن يبلغ الثلث في وصيته واستحب طائفة منهم الوصية بالربع روى ذلك عن ابن عباس وغيره.

وقد روى عن أبي بكر الصديق أنه كان يفضل الوصية بالخمس وبذلك أوصى وقال: رضيت لنفسي ما رضى الله لنفسه كأنه يعني خمس الغنائم.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لو أن الناس غضوا من الثلث فإن رسول الله ﷺ قال «الثلث والثلث كثير» فليتهم نقصوا إلى الربع.

وقال قتادة: الثلث كثير والقضاة يجيزونه والربع قصد وأوصى أبو بكر بالخمس.

الوصية للأقارب وغيرهم

قال في «التمهيد»: ولا خلاف بين العلماء أن الوصية للأقارب أفضل من الوصية لغيرهم إذا لم يكونوا ورثة وكانوا في حاجة، وكذلك لا خلاف علمته بين العلماء في جواز وصية المسلم لقرابته الكفار لأنهم لا يرثونه وقد أوصت صفية بنت حيي لأخ لها يهودي، واختلفوا فيمن أوصى لغير قرابته وترك قرابته الذين لا يرثون، فروي عن عمر أنه أوصى لأمهات أولاده لكل واحدة بأربعة آلاف، وروي عن عائشة أنها أوصت لمولاة لها بأثاث البيت، وروي عن سالم مثل ذلك قال الضحاك إن أوصى لغير قرابته فقد ختم عمله بمعصية، وقال طاووس: من أوصى فسمى غير قرابته وترك قرابته محتاجين ردت وصيته على قرابته، ذكره عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاووس عن أبيه وهو مشهور عن طاووس، وروي عن الحسن البصري مثله، وقال الحسن أيضا وجابر بن زيد وسعيد بن المسيب: إذا أوصى لغير قرابته وترك قرابته فإنه يرد إلى قرابته ثلثاً الثلث ويمضي ثلثه.

وقال مالك وسفيان الثوري والأوزاعي وأبو حنيفة والشافعي وأصحابهم: إذا أوصى لغير قرابته وترك قرابته محتاجين أو غير محتاجين جاز ما صنع وبئسما فعل، وبه قال أحمد بن حنبل وهو قول عمر وعائشة وابن عباس وعطاء ومجاهد وقتادة وسعيد بن جبير وجمهور أهل العلم واحتج الشافعي وغيره في جواز الوصية لغير الأقارب بحديث عمران بن حصين في الذي أعتق ستة أعبد له عند موته في مرضه لا مال له غيرهم فأقرع رسول الله ﷺ بينهم فأعتق اثنين وأرق أربعة، فهذه وصية لهم في ثلثه لأن أفعال المريض كلها وصية في ثلثه وهم لا محالة من غير قرابته وحسبك بجماعة أهل الفقه والحديث يجيزون الوصية لغير القرابة وفي ذلك ما يبين لك المراد من معاني الكتاب وبالله العصمة والتوفيق.

صيغة الوصية

أخرج عبد الرزاق بسند صحيح أن أنسًا رضي الله عنه قال: كانوا يكتبون في صدور وصاياهم بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما أوصى به فلان بن فلان أن يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ويشهد أن محمدا عبده ورسوله وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور وأوصى من ترك من أهله أن يتقوا الله ويصلحوا ذات بينهم ويطيعوا الله ورسوله إن كانوا مؤمنين وأوصاهم بما أوصى به إبراهيم بنيه ويعقوب: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾. ثم يوصي بما يوصي به من مال والله أعمل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الشوق إلى

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد:

فان من أصول الإيمان أن يعتقد المؤمن أن لقاء الله حق، ويندرج هذا تحت الركن الخامس من أركان الإيمان وهو الإيمان باليوم الآخر والبعث بعد الموت، إلا انه قد ورد النص عليه صريحا لأهميته، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه في حديث سؤال جبريل للنبي ﷺ عن الإيمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وبكتابه وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث بعد الموت.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يوماً بارزاً للناس فأتاه رجل فقال: يا رسول الله، ما الإيمان ؟ قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتابه ولقائه ورسله وتؤمن بالبعث الآخر». قال: يا رسول الله، ما الإسلام ؟ قال: «الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان». قال: يا رسول الله، ما الإحسان ؟ قال: «أن تعبد الله كأنك تراه فإنك إن لا تراه فإنه يراك». قال: يا رسول الله متى الساعة ؟ قال: «ما المسئول عنها بأعلم من السائل، ولكن سأحدثك عن أشراطها: إذا ولدت المرأة ربها فذاك من أشراطها، وإذا تطاول رعاة البهم في البنيان فذلك من أشراطها في خمس لا يعلمهن إلا الله»، ثم تلا ﷺ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان ٣٤]. متفق عليه.

ولقاء الله حق، وقد كان رسول الله ﷺ يذكر بهذه الحقيقة فيقول في دعاء الاستفتاح من صلاة الليل: «أنت الحق ولقاؤك حق».

فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ- ﷺ - كَانَ يَقُولُ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلاَةِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيَّامُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ أَنْتَ الْحَقُّ وَوَعْدُكَ الْحَقُّ وَقَوْلُكَ الْحَقُّ وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ حَقٌّ اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ وَبِكَ آمَنْتُ وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ وَبِكَ خَاصَمْتُ وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَأَخَّرْتُ وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ أَنْتَ إِلَهِى لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ ». (أخرجه البخاري ومسلم).

حب لقاء الله والشوق إليه

إذا أحب الإنسان أحدا أحب لقاءه، ولم يطق فراقه والبعد عنه، فإذا فارقه امتلأ قلبه بالشوق إلى لقائه والحنين إليه.

قال ابن زيدون في فراق محبوبه:

أضحى التنائي بديلاً من تدانينا
ونابَ عن طيب لقيانا تجافينا
بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا
شوقاً إليكم ولا جفت مآقينا
تكاد حين تناجيكم ضمائرنا
يقضي علينا الأسى لولا تأسينا

لقاء الله

د. محمد المراكبي
بقلم/ الرئيس العام
WWW.ELMARAKBY.COM

فإذا كان هذا الشوق لمحبوبه من الخلائق فكيف بمن حبه إيمان يملأ عليه قلبه

لقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يقدمون محبة النبي ﷺ على كل محبوب من الخلائق سواه متمثلين في ذلك قوله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين »، وقوله لعمر: «حتى أكون أحب إليك من نفسك ».

فكانوا يحبونه أكثر من أنفسهم، ويفتدونه بكل غال ونفيس، شعارهم فداك أبي وأمي يا رسول الله.

ولما مات رسول الله ﷺ أظلمت الدنيا في عيونهم لولا تعللهم بحب من هو أعظم منه قدراً؛ وهو حب الله عزوجل الذي كلفهم بحمل الأمانة وتبليغ الرسالة للناس أجمعين.

وقد عبر صديق الأمة عن هذا بقوله: «من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ».

لما حضرت بلالَ بنَ رباحٍ الوفاةُ وغشيته سكرات الموت قالت امرأته واكرباه فقال لها بلال بل وافرحاه غداً ألقى الأحبة محمداً وحزبه.

وليس هناك محبوب أعظم في قلب المؤمن من الله عز وجل، فمحبته فوق كل محبة، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾، ورسول الله ﷺ يقول: «مَن أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ». فقالت عَائِشَةُ أو بَعْضُ أَزْوَاجِهِ: إنا لَنَكْرَهُ الْمَوْتَ. قال: «ليس ذاك، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إذا حَضَرَهُ الْمَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللَّهِ وَكَرَامَتِهِ فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إليه مِمَّا أَمَامَهُ، فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ وَأَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وإن الْكَافِرَ إذا حَضَرَهُ الْمَوْتُ بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ وَعُقُوبَتِهِ، فَلَيْسَ أَكْرَهَ إليه مِمَّا أَمَامَهُ فَكَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ وَكَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ».

وفي رواية أخرى يقول: «مَن أحب لقاء الله عز وجل أحب الله تعالى لقاءه، ومن كره لقاء الله تعالى كره الله عز وجل لقاءه»، فبكي القوم، فقالوا: يا رسول الله، وأينا لا يكره الموت. قال ﷺ: «لست ذلك أعني، ولكن الله تبارك وتعالى قال: ﴿فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾، فإذا كان عند ذلك أحب لقاء الله تعالى، والله عز وجل للقائه أحب، ﴿وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (٩٢) فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾، فإذا كان كذلك كره لقاء الله تعالى، والله عز وجل للقائه أكره. قال النووي: الكراهة المعتبرة هي التي تكون عند النزع في حالة لا تقبل التوبة؛ فحينئذٍ يكشف لكل إنسان ما هو صائر إليه، فأهل السعادة يحبون الموت ولقاء الله لينتقلوا إلى ما أعد الله لهم، ويحب الله لقاءهم ليجزل لهم العطاء والكرامة، وأهل الشقاوة يكرهونه لما علموا من سوء ما ينتقلون إليه ويكره الله لقاءهم.

وعن الحسن قال: والذي نفسي بيده ما أصبح في هذه القرية من مؤمن إلا وقد أصبح مهموما محزونًا، ففروا إلى ربكم وافزعوا إليه فإنه ليس لمؤمن راحة دون لقائه.

لقد كان رسول الله ﷺ يسأل ربه في دعائه أن يرزقه لذة النظر إلى وجهه الكريم في الجنة، والشوق إلى لقائه فيقول: «وأسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك، في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين». رواه النسائي وأحمد.

ويخرج النبي ﷺ على أصحابه ويقول لهم: «إن عبدا خيره الله بين الدنيا والآخرة فاختار لقاء الله ». فبكى الصحابة لما علموا بفراقه لهم ولكنه يطمئنهم ويقول لهم: «إن موعدكم الحوض».. ثم تصعد روحه الطاهرة وهو يرفع سبابته للسماء معلنا ومعترفا بوحدانية الخالق ويقول: «بل الرفيق الأعلى.. بل الرفيق الأعلى».

كان رسول الله ﷺ يسأل ربه في دعائه أن يرزقه لذة النظر إلى وجهه الكريم في الجنة، والشوق إلى لقائه فيقول: «وأسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك، في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين»

وفي حديث القراء أصحاب بئر معونة بلغوا قومنا عنا أن قد لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه، وروي أنه كان قرآنًا فنسخت تلاوته.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا: «اهتز العرش لحب لقاء الله سعدًا».

قالَ عبد الرحمن بن أبى ليلى: فما ظنك بهم حين ثقلت موازينهم، وحين طارت صحفهم في أيمانهم، وحين جازوا جسر جهنم فقطعوه، وحين دخلوا الجنة فأعطوا فيها من النعيم والكرامة فكأن هذا لم يكن شيئاً فيما أُعطوه بالنسبة للنظر إلى وجه الله الكريم.

ويوم المزيد في الجنة، يرجع المؤمن بعد لقاءَ الله والنظر إلى وجهه تعالى، وقد ازداد نضرة ونوراً وجمالاً يراه أهله فيبتهجون ويبشرون به، والله تعالى يقول: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، قَالَ الحسن البصري: الناضرة: الحسنة، حسنها الله بالنظر إلى ربها، وحُقَّ لها أن تنضرُ وهى تنظرُ إلى ربها. مع أن هذه الوجوه قد دخلت الجنةَ بنورٍ على قدر إيمانها، ففي الصحيحين من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قال: «أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ وَالَّذِينَ عَلَى آثَارِهِمْ كَأَحْسَنِ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً.. الحديث».

والشوق: اهتياج القلوب إلى لقاء المحبوب، وعلى قدر المحبة يكون الشوق.

قال بعض السلف: في قوله عزَّ وجلَّ: وعجلت إليك ربِّ لترضي قال: معناه: شوقاً إليك.

وقال: من علامات الشوق: حب الموت على بساط العافية، كيوسف عليه السلام لمَّا ألقي في الجب لم يقل توفني؛ ولما أدخل السجن لم يقل توفني؛ ولما دخل عليه أبواه وإخوته وخروا له سُجداً وتم له الملك والنعمة قال: توفني مسلماً وألحقني بالصالحين.

قال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [العنكبوت: ٥]. قيل: هذا تعزية للمشتاقين وتسلية لهم، أي أنا أعلم أن من كان يرجو لقائي فهو مشتاق إلي فقد أجلت له أجلا يكون عن قريب فإنه آت لا محالة وكل آت قريب.

وفيه لطيفة أخرى وهي تعليل المشتاقين برجاء اللقاء:

لولا التعلل بالرجاء لقطعت
نفس المحب صبابة وتشوقا
ولقد يكاد يذوب منه قلبه
مما يقاسي حسرة وتحرقا
حتى إذا روح الرجاء أصابه
سكن الحريق إذا تعلل باللقا

وهذا الشوق على درجات:

- الدرجة الأولى: شوق العابد إلى الجنة، ليأمن الخائف ويفرح الحزين ويظفر الآمل.

قال ابن القيم: يعني شوق العابد إلى الجنة فيه هذه الحكم الثلاث.

أحدها: حصول الأمن الباعث على الأمل فإن الخوف المجرد عن الأمن من كل وجه لا ينبعث صاحبه لعمل

قال بعض السلف: من علامات الشوق: حب الموت على بساط العافية، كيوسف عليه السلام لما ألقي في الجب لم يقل توفني، ولما أدخل السجن لم يقل توفني، ولما دخل عليه أبواه وإخوته وخروا له سجدا وتم له الملك والنعمة قال: توفني مسلما وألحقني بالصالحين

البتة إن لم يقارنه أمل فإن تجرد عنه قطع وصار قنوطا.

الثاني: فرح الحزين فإن الحزن المجرد أيضا إن لم يقترن به الفرح قتل صاحبه فلولا روح الفرح لتعطلت قوى الحزين وقعد حزنه به ولكن إذا قعد به الحزن قام به روح الفرح.

الثالث: روح الظفر فإن الآمل إن لم يصحبه روح الظفر مات أمله، والله أعلم.

- الدرجة الثانية: شوق إلى الله عز و جل زرعه الحب الذي ينبت على حافات المنن فعلق قلبه بصفاته المقدسة فاشتاق إلى معاينة لطائف كرمه وآيات بره وأعلام فضله وهذا شوق.

- الدرجة الثالثة: نار أضرمها صفو المحبة فنغصت العيش، وسلبت السلوى ولم ينهنهها معزى دون اللقاء.

يريد أن الشوق في هذه المرتبة شبيه بالنار التي أضرمها صفو المحبة وهو خالصها وشبهه بالنار لالتهابه في الأحشاء.

وفي قوله: صفو المحبة ؛ إشارة إلى أنها محبة لم تكن لأجل المنة والنعم ولكن محبة متعلقة بالذات والصفات.

قوله: فنغصت العيش ؛ أي منعت صاحبها السكون إلى لذيذ العيش والتنغيص قريب من التكدير.

وقوله: لم ينهنهها معزى دون اللقاء ؛ أي لم يكفها ويردها قرار دون لقاء المحبوب وهذه لا يقاومها الاصطبار لأنه لا يكفها دون لقاء من يحب قرار. [مدارج السالكين].

هذا هو حال المحبين المشتاقين للقاء الله عز وجل وهم أهل الإيمان والتقوى.

قال تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ (٤٥) الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاَقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ٤٥، ٤٦].

وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلاَقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

وقال تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلاَمٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

قال ابن المبارك في تفسير هذه الآية: فليعمل عملا صالحاً ولا يخبر به أحداً.

أما أهل الإعراض والغفلة الذين لا يرجون لقاء الله ولا يحبونه فهم أخسر الناس عملاً وأشقى الناس مآلاً.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ (٧) أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يونس ٧-٨].

وقال تعالى ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف ١٠٣-١٠٥].

فاللهم املأ قلوبنا حبا وإخلاصا ورغبة ورهبة وشوقا إلى لقائك، ووفقنا لما تحب وترضى يا أكرم الأكرمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

خوف المؤمنين

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فإنهم يريدون منا في الخطاب الدعوي الجديد ألا نذكر الناس بالخوف وأن نكتفي بأحاديث الرجاء وكأن الخوف قد أصاب الناس باليأس والقنوط وهل جرأ الناس على المعاصي إلا قلة الخوف من الله عز وجل؟

الخوف من الله من أعلى مراتب الإيمان، ومن ضرورات تحقيقه، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢- ٤]، ويقول: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

قال إبراهيم التيمي: «ينبغي لمن لا يحزن أن يخاف أن يكون من أهل النار، لأنّ أهل الجنّة قالوا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِن ربنا لغفور شكور﴾ [فاطر: ٣٤]، وينبغي لمن لا يشفق أن يخاف ألا يكون من أهل الجنّة، لأنهم قالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (٢٦) فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ (٢٧) إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٦-٢٨].

والخوف المحمود تارة يتعلّق بالمخوف ذاته ؛ كخوف مقام الربّ أو عذابه، وتارة يتعلّق بوسائل المخوف ؛ كخوف ردّ العمل، أو الوقوع في الموبقات ؛ قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦]، وقال: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾ [النازعات: ٤٠]، وقال تعالى ﴿يوفون بالنذر ويَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧]، وقال: ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَاعِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾ [الزمر: ١٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (٥٧) وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨) وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (٥٩) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠) أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧ - ٦١].

روى الإمام أحمد والترمذي عن عائشة- رضي الله عنها- قَالَتْ: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ أَهُوَ الرَّجُلُ يَزْنِي وَيَسْرِقُ وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ ؟ قَالَ: لا يَا ابنة الصِّدِّيق، وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ يَصُومُ وَيُصَلِّي وَيَتَصَدَّقُ وَهُوَ يَخَافُ أَنْ لا يُقْبَلَ مِنْهُ أولئك الذين يسارعون في الخيرات» صححه الألباني.

والإشفاق رقة الخوف وهو خوف برحمة من الخائف لمن يخاف عليه فنسبته إلى الخوف نسبة الرأفة إلى الرحمة فإنها ألطف الرحمة وأرقها ولهذا قال صاحب المنازل: والإشفاق: دوام الحزن مقرونا بالترحم وهو على ثلاث درجات الأولى: إشفاق على النفس أن تجمح إلى العناد أي تسرع وتذهب إلى طريق الهوى والعصيان ومعاندة العبودية، وإشفاق على العمل أن يصير إلى الضياع أي يخاف على عمله أن يكون من الأعمال التي قال الله تعالى فيها: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]، وهي الأعمال التي كانت لغير الله وعلى غير أمره وسنة رسوله ويخاف أيضا أن يضيع عمله في المستقبل إما بتركه وإما بمعاص تفرقه وتحبطه فيذهب ضائعا ويكون حال صاحبه كالحال التي قال الله تعالى عن أصحابها: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٦].

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للصحابة رضي الله عنهم فيمن ترون هذه الآية نزلت فقالوا: الله أعلم فغضب عمر وقال: قولوا: نعلم أو لا نعلم فقال ابن عباس في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين قال: يا ابن أخي قل ولا تحقرن نفسك قال ابن عباس: ضربت مثلا لعمل قال عمر: أي عمل قال ابن عباس لعمل قال عمر: لرجل غني يعمل بطاعة الله فبعث الله إليه الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق جميع أعماله. [مدارج السالكين- ج ١/ص ٥١٩].

قال الحسن: عملوا والله بالطاعات واجتهدوا فيها وخافوا أن ترد عليهم إن المؤمن جمع إحسانا وخشية والمنافق جمع إساءة وأمنا. وفي صحيح البخاري في كتاب الإيمان، باب خَوْفِ الْمُؤْمِنِ مِنْ أَنْ يَحْبَطَ عَمَلُهُ وَهُوَ لاَ يَشْعُرُ، قال: وَقَالَ

من رب العالمين

د. عجل المراكبي
بقلم/ الرئيس العام
WWW.ELMARAKBY.COM

إبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ مَا عَرَضْتُ قَوْلِي عَلَى عَمَلِي إِلاَّ خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ مُكَذِّبًا.

وَقَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ أَدْرَكْتُ ثَلاَثِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ - ﷺ - كُلُّهُمْ يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَى نَفْسِه، مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ يَقُولُ إِنَّهُ عَلَى إِيمَانِ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ. وَيُذْكَرُ عَنِ الْحَسَنِ مَا خَافَهُ إِلاَّ مُؤْمِنٌ، وَلاَ أَمِنَهُ إِلاَّ مُنَافِقٌ. وَمَا يُحْذَرُ مِنَ الإِصْرَارِ عَلَى النِّفَاقِ وَالْعِصْيَانِ مِنْ غَيْرِ تَوْبَةٍ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾. وفي صحيح مسلم- في كتاب التوبة- باب فَضْلِ دَوَامِ الذِّكْرِ وَالْفِكْرِ فِي أُمُورِ الآخِرَةِ وَالْمُرَاقَبَةِ وَجَوَازِ تَرْكِ ذَلِكَ فِي بَعْضِ الأَوْقَاتِ وَالاشْتِغَالِ بِالدُّنْيَا. وعَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ عَنْ حَنْظَلَةَ الأُسَيِّدِيِّ قَالَ- وَكَانَ مِنْ كُتَّابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - قَالَ- لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ، قَالَ: قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ مَا تَقُولُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْىَ عَيْنٍ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ # عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلاَدَ وَالضَّيْعَاتِ فَنَسِينَا كَثِيرًا قَالَ أَبُو بَكْرٍ فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا. فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَمَا ذَاكَ». قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْىَ عَيْنٍ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلاَدَ وَالضَّيْعَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِى وَفِى الذِّكْرِ لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلاَئِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِى طُرُقِكُمْ وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً». ثَلاَثَ مَرَّاتٍ.

فانظر رحمك الله كيف كان خوف أصحاب رسول الله من النفاق مع ما هم فيه من الدرجة العالية الرفيعة، حتى يتهم حنظلة نفسه بالنفاق لما يرى تغير حاله من حال الذكر وحضور القلب إلى حال الغفلة والانشغال بالدنيا مع انه شغل مباح ويستطيع المؤمن أن يحوله بالنية الصادقة الخالصة إلى طاعة يثاب عليها وقد قال رسول الله لسعد بن أبي وقاص: إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها حتى اللقمة تجعلها في في امرأتك، والصدِّيق يقول: إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا، والفاروق عمر يخاف النفاق على نفسه ويسأل حذيفة بن اليمان هل سماني لك رسول الله، وسائر أصحاب النبي ﷺ يخافون النفاق.

ثمرات الخوف:

إنّ للخوف من الله ثمرات عظيمة في الدنيا والآخرة أما في الدنيا:

فالخوف من الله أولاً من أسباب التمكين في الأرض، وزيادة الإيمان والطمأنينة، قال عز وجل: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ (١٣) وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: ١٣، ١٤]، إذاً الخوف من الله يؤدي إلى التمكين في الأرض والانتصار على الأعداء وأن يهلك الله عدوهم ويخزيهم ويورث المؤمنين أرضهم وديارهم.ولما كان أصحاب محمد أكثر الناس خوفا فتح الله عليهم مشارق الأرض ومغاربها وفتح الله بهم البلاد وقلوب العباد.

والخوف من الله ثانياً يبعث على العمل الصالح والإخلاص فيه وعدم طلب المقابل في الدنيا فلا ينقص الأجر في الآخرة قال تعالى ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا (٧) وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لاَ نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُورًا (٩) إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (١٠) فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان: ٧-١١]

وقال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لاَ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ﴾ [النور ٣٦-٣٧]، أي تضطرب وتتقلب وهذا هو الذي دفعهم للعمل، يريدون النجاة ويحذرون الهلاك ويخافون سوء الحساب.

وأمّا في الآخرة:

فأولاً: الخوف من الله عز وجل يجعل الإنسان في ظل العرش يوم القيامة، ويحول بينه وبين النار:

ذكر النبي ﷺ في حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله «ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله»، «ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه»، فالخشية الموجبة لدمع العين تؤدي إلى أن النار لا تمس

العين يوم القيامة. وفى الحديث قال رسول الله ﷺ: عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله. رواه الترمذي وحسنه، وقال رسول الله ﷺ: لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع. رواه الترمذي وقال حسن صحيح

ثانياً: الخوف من الله من أسباب المغفرة:

روى البخاري في الصحيح عن حذيفة عن النبي ﷺ أن رجلا كان فيمن قبلنا فقال لبنيه لما حضره الموت: أي أب كنت لكم؟قالوا: خير أب، قال: فإني لم أعمل خيراً قط فإذا مت فأحرقوني ثم اسحقوني ثم ذروني في يوم عاصف، ففعلوا فجمعه الله كما كان، فقال: لم فعلت ذلك ؟ قال:من مخافتك أو قال من خشيتك،فغفر الله له فتلقاه برحمته.. !!، وعذره الله بجهله وشفع له خوفه من ربه وإلا فان الذي ينكر البعث كافر.والكافر لا يغفر الله له

ثالثاً: الخوف من الله يقودك إلى الجنة قال الله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾، وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾.

والنبي ﷺ يقول: «من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة» رواه الترمذي وقال حديث حسن. أي الذي يخاف من إغارة العدو وقت السحر يسير من أول الليل فيبلغ المنزل والمأمن والمطلب، وهذا مثل ضربه الرسول ﷺ لسالك الآخرة فإن الشيطان على طريقه والنفس الأمارة بالسوء والأماني الكاذبة وأعوان إبليس يترصدونه ويتربصون به، فإن تيقظ في مسيره وأخلص النية في عمله أمن من الشيطان وكيده وممن قطع الطريق عليه،حتى يبلغ الجنة سلعة الله الغالية التي من دخلها كان من الآمنين الذين هم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. قال ابن القيم: فالخوف ليس مقصوداً لذاته بل هو مقصود لغيره قصد الوسائل ولهذا يزول بزوال المخوف فإن أهل الجنة لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

رابعاً: الخوف من الله في الدنيا يرفع الخوف عن الخائف يوم القيامة: ولهذا تأتي الملائكة لتبشر المؤمنين عند الموت لا تخافوا ولا تحزنوا، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠].

وقال ﷺ: قال الله تعالى: «وعزتي وجلالي، لا أجمع على عبدي خوفين وأمنين، إذا خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة، وإذا أمنني في الدنيا أخفته في الآخرة» رواه ابن حبان في صحيحه.

خوف النبي ﷺ:

لقد كان النبي ﷺ أعظم الناس خوفاً وأشدهم لله خشية وهو الذي يقول: تعلمون أني اتقاكم لله وأشدكم له خشية، وكان يقول في دعائه: اللهم وأسالك خشيتك في الغيب والشهادة، ويقول: اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك.

جلس النبي ﷺ على شفير قبر فبكى حتى بل الثرى ثم قال: «يا إخواني لمثل هذا فاعدوا» عنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ أَنَّ النَّبِيَّ- ﷺ - ذَكَرَ النَّارَ فَأَشَاحَ بِوَجْهِهِ فَتَعَوَّذَ مِنْهَا، ثُمَّ ذَكَرَ النَّارَ فَأَشَاحَ بِوَجْهِهِ فَتَعَوَّذَ مِنْهَا، ثُمَّ قَالَ «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ». رواه البخاري.

وفي صحيح مسلم عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ-ﷺ - إِذَا صَلَّى قَامَ حَتَّى تَفَطَّرَ رِجْلاَهُ قَالَتْ عَائِشَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَصْنَعُ هَذَا وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ فَقَالَ «يَا عَائِشَةُ أَفَلاَ أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا».

وفي صحيح البخاري عَنْ أَبِى مُوسَى قَالَ خَسَفَتِ الشَّمْسُ، فَقَامَ النَّبِيُّ- ﷺ - فَزِعًا، يَخْشَى أَنْ تَكُونَ السَّاعَةُ، فَأَتَى الْمَسْجِدَ، فَصَلَّى بِأَطْوَلِ قِيَامٍ وَرُكُوعٍ وَسُجُودٍ رَأَيْتُهُ قَطُّ يَفْعَلُهُ وَقَالَ «هَذِهِ الآيَاتُ الَّتِي يُرْسِلُ اللَّهُ لاَ تَكُونُ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلاَ لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنْ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَافْزَعُوا إِلَى ذِكْرِهِ وَدُعَائِهِ وَاسْتِغْفَارِهِ».

وفي رواية فَقَالَ- ﷺ - «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، لاَ يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلاَ لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ». قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ، رَأَيْنَاكَ تَنَاوَلْتَ شَيْئًا فِي مَقَامِكَ، ثُمَّ رَأَيْنَاكَ كَعْكَعْتَ. قَالَ- ﷺ - «إِنِّي رَأَيْتُ الْجَنَّةَ، فَتَنَاوَلْتُ عُنْقُودًا، وَلَوْ أَصَبْتُهُ لأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا، وَأُرِيتُ النَّارَ، فَلَمْ أَرَ مَنْظَرًا كَالْيَوْمِ قَطُّ أَفْظَعَ، وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ». قَالُوا بِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ «بِكُفْرِهِنَّ». قِيلَ يَكْفُرْنَ بِاللَّهِ قَالَ «يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ كُلَّهُ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا قَالَتْ مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ».

أقسام الخوف:

أولاً: خوف الهيبة والإجلال والتعظيم وهذا هو خوف النبي وخوف النبيين والصديقين.

قال رسول الله ﷺ: «لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً».

ثانياً: خوف العقوبة:

وهذا هو خوف المذنبين التائبين وهو الخوف الذي يصح به الإيمان وهو يتولد من تصديق الوعيد وذكر الجناية ومراقبة العاقبة فالخوف مسبوق بالشعور والعلم ومحال خوف الإنسان مما لا شعور له به وله متعلقان أحدهما: نفس

المكروه المحذور وقوعه والثاني: السبب والطريق المفضي إليه فعلى قدر شعوره بإفضاء السبب إلى المخوف وبقدر المخوف: يكون خوفه وما نقص من شعوره بأحد هذين نقص من خوفه بحسبه فمن لم يعتقد أن سبب كذا يفضي إلى محذور كذا: لم يخف من ذلك السبب ومن اعتقد أنه يفضي إلى مكروه ما ولم يعرف قدره: لم يخف منه ذلك الخوف فإذا عرف قدر المخوف وتيقن إفضاء السبب إليه: حصل له الخوف هذا معنى تولده من تصديق الوعيد وذكر الجناية ومراقبة العاقبة.

ثالثاً: خوف المكر وخوف حبوط الأعمال والخوف من النفاق وهو خوف الصالحين المشفقين.

رابعاً: خوف السر وهو الخوف الشركي وهو أن يخاف من غير الله أن يصيبه بما لا يقدر عليه إلاّ الله سواءً اعتقد أنّ ذلك على سبيل الكرامة أو الاستقلال. وهذا المعنى هو الّذي يعتقده المشركون في آلهتهم ؛ ولهذا كانوا يخافونها ويخوّفون بها أولياء الرّحمن، قال تعالى: ﴿أليس الله بكاف عبده وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ومن يضلل الله فما له من هاد﴾ [الزّمر: ٣٦]، وقال- حكاية عن قوم هود-: ﴿إِنْ نَقُولُ إِلا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ [هود: ٥٤]، وقد ورث هذا الشّرك كثيرٌ من غلاة الشّيعة والصوفيّة وغيرهم.

خامساً: الخوف المحرم وهو ترك بعض الواجبات خوفًا من النّاس ؛ كترك ما يجب من الجهاد والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر فهذا ممّا دون الشّرك من المحرّمات، وهو الّذي نزل فيه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥] ؛ أي يخوفكم بأوليائه ؛ لئلا تجاهدوهم، ولا تأمروهم بمعروف ولا تنهوهم عن منكر.

سادساً: الخوف الطبيعي مثل الخوف من الحيوان المفترس والحاكم الظالم وهذا لا يلام الإنسان عليه ولكن المؤمن يعلم يقينا أن النفع والضر بيد الله فيكون شعاره.. قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون.

الفرق بين الخوف والخشية:

الخشية أخص من الخوف فإن الخشية للعلماء بالله قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨] فهي خوف مقرون بمعرفة وقال النبي ﷺ: تعلمون أني أتقاكم لله وأشدكم له خشية فالخوف حركة والخشية انجماع وانقباض وسكون فإن الذي يرى العدو والسيل ونحو ذلك: له حالتان إحداهما: حركة للهرب منه وهي حالة الخوف والثانية: سكونه وقراره في مكان لا يصل إليه فيه وهي الخشية ومنه: انخشى الشيء وعلى قدر العلم والمعرفة يكون الخوف والخشية كما قال النبي: إني لأعلمكم بالله وأشدكم له خشية وفى رواية خوفا وقال لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى.

فصاحب الخوف: يلتجىء إلى الهرب والإمساك وصاحب الخشية: يلتجىء إلى الاعتصام بالعلم ومثلهما مثل من لا علم له بالطب ومثل الطبيب الحاذق فالأول يلتجىء إلى الحمية والهرب والطبيب يلتجىء إلى معرفته بالأدوية والأدواء.

وكل أحد إذا خفته هربت منه إلا الله عز و جل فإنك إذ خفته هربت إليه فالخائف هارب من ربه إلى ربه قال الله تعالى: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [فاطر:٥٠].

أسير الخطايا عند بابك واقف ... على وجلٍ ممّا به أنت عارف
يخاف ذنوباً لم يغب عنك غيبها ... ويرجوك فيها فهو راجٍ وخائف
فمن ذا الّذي يرجو سواك ويتّقي ... ومالك من فصل القضاء مخالف
فيا سيّدي لا تخزني في صحيفتي ... إذا نشرت يوم الحساب الصّحائف
وكن مؤنسي في ظلمة القبر عندما ... يصدُّ ذوو ودّي ويجفو المؤالف

وقال أبو العتاهية:

إذا ما اتّقى الله امرؤٌ لان جانبه ... وقارب بالإحسان من لا يقار
يقول الفتى أرجو وأرجو وما له ... نزوعٌ عن الذّنب الذي هو راد
ألا ليس يرجو الله من لاّ يخافه ... وليس يخاف الله من لا يراقبه

وعن أبي موسى التميمي، قال: توفيت النّوار امرأة الفرزدق الشاعر فخرج في جنازتها وجوه أهل البصرة وخرج فيها الحسن البصري، فقال للفرزدق: ما أعددت لهذا اليوم يا أبا فراس؟ قال: شهادة ألاّ إله إلا الله منذ ثمانين سنة، فلما دفنت قام الفرزدق على قبرها فقال:

أخاف وراء القبر إن لم يعافني ... شدَّ من القبر التهاباً وأضيقا
إذا جاءني يوم القيامة قائدٌ ... عنيفٌ وسوّاقٌ يسوق الفرزدقا
لقد خاب من أولاد آدم من مشى ... إلى النار مغلول القلادة أزرقا

قال: فبكى وأبكى.

نسأل الله العافية ونعوذ به من الخذلان، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه... وبعد:

فإن الصوم من أفضل العبادات وأشرف القربات، أخرج أحمد والنسائي وابن خزيمة وابن حبان والحاكم وصححه والبيهقي والطبراني في الكبير وعبد الرزاق في مصنفه عن رجاء بن حيوة عن أبي أمامة قال: انشأ رسول الله ﷺ غزوا فأتيته فقلت: يا رسول الله ادع الله لي بالشهادة، فقال: «اللهم سلمهم وغنمهم» قال: فسلمنا وغنمنا ثم أنشأ غزوة فأتيته، فقلت: يا رسول الله ادع الله لي بالشهادة، فقال: «اللهم سلمهم وغنمهم». قال: فسلمنا وغنمنا، ثم أنشأ غزوة ثالثة فقلت: يا رسول الله، إني أتيتك مرتين قبل مرتي هذه فسألتك أن تدعو الله لي بالشهادة فدعوت الله أن يسلمنا ويغنمنا فسلمنا وغنمنا يا رسول الله فادعو الله لي بالشهادة، فقال: «اللهم سلمهم وغنمهم» قال: فسلمنا وغنمنا. قال: ثم أتيته فقلت: يا رسول الله مرني بعمل لعلي أنتفع به؟ فقال: «عليك بالصوم فإنه لا مثل له» قال: فما رؤي أبو أمامة ولا امرأته ولا خادمه إلا صيامًا. قال: فكان إذا رؤي في داره الدخان بالنهار قيل: اعتراهم ضيف نزل بهم نازل. قال: فلبثت بذلك ما شاء الله، ثم أتيته فقلت: يا رسول الله أمرتنا بالصيام وأرجو أن يكون الله قد بارك لنا فيه. يا رسول الله مرني بعمل آخر. فقال: «اعلم أنك لن تسجد لله سجدة إلا رفع الله لك بها درجة وحط عنك بها خطيئة».

في الحديث بيان الهمة العالية لأبي أمامة وحرصه على الخير ورغبته في الشهادة والموت في سبيل الله والحرص على العمل الصالح والتزام الأفضل من نوافل الطاعات وبيان فضيلة الصوم وأنه لا مثيل له في القربات.

قال الحافظ في فتح الباري: وَأَشَارَ ابن عَبْد الْبَرّ إِلَى تَرْجِيح الصِّيَام عَلَى غَيْره مِنْ الْعِبَادَات فَقَالَ: حَسْبك بِكَوْنِ الصِّيَام جُنَّة مِنْ النَّار فَضْلاً وبقول النبي: «عَلَيْك بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لا مِثْل لَهُ». وَفِي رِوَايَة: «لا عَدْل لَهُ» وَالْمَشْهُور عِنْد الْجُمْهُور تَرْجِيح الصَّلاة.

وقد ورد في هذا المعنى أحاديث صحيحة منها أنه ﷺ سئل عن أفضل الأعمال فقال: «إيمان بالله ورسوله ثم جهاد في سبيله ثم حج مبرور». وفي حديث آخر قال: «الصلاة لوقتها ثم بر الوالدين ثم الجهاد في سبيله».

وفي آخر: «واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة». وحديث: أي الأعمال أفضل؟ قال: «الصبر والسماحة» وقال لأبي أمامة: عليك بالصوم فإنه لا مثل له .

فقيل في الجواب إن المراد أي من أفضل الأعمال النظائر وقيل إنه ﷺ أجاب كل سائل بحسب ما هو الأفضل في حقه و بحسب ما يناسبه والأصلح له وما يقدر عليه ويطيقه ولهذا وفق أهل العلم بين هذه الأحاديث بحمل اختلاف الإجابات على اختلاف أحوال السائلين، كما تختلف إجابات الطبيب الماهر للمرضى بحسب اختلاف أحوالهم.

ولكن لماذا كان الصوم بهذه المثابة حيث عده النبي ﷺ من أفضل العبادات وقال لأبي أمامة: «عليك بالصوم فإنه لا عدل له» والجواب: لأن الصوم قد تفرد بما يأتي:

فالصوم جُنة وحصن حصين من النار كما ثبت في الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رضى الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الصِّيَامُ جُنَّةٌ».

وعَنْ أَبِي صَالِحٍ الزَّيَّاتِ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ- رضى الله عنه- يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلاَّ الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ فَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلاَ يَرْفُثْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَسْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، وَلِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا؛ إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بِفِطْرِهِ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ».

بالصوم

د. جمال المراكبي
بقلم/ الرئيس العام
WWW.ELMARAKBY.COM

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ الخدري- رضى الله عنهما- قَالاَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: إِنَّ الصَّوْمَ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ إِنَّ لِلصَّائِمِ فَرْحَتَيْنِ إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ وَإِذَا لَقِيَ اللَّهَ فَرِحَ. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ».

قال ابن حجر في فتح الباري: قَوْله: «الصِّيَام جُنَّة». زَادَ سَعِيد بْن مَنْصُور عَنْ مُغِيرَة بْن عَبْد الرَّحْمَن عَنْ أَبِي الزِّنَاد «جُنَّة مِنْ النَّار» وَلِلنَّسَائِيِّ مِنْ حَدِيث عَائِشَة مِثْله، وَلَهُ مِنْ حَدِيث عُثْمَان بْن أَبِي الْعَاص «الصِّيَام جُنَّة كَجُنَّةِ أَحَدكُمْ مِنْ الْقِتَال» وَلِأَحْمَدَ مِنْ طَرِيق أَبِي يُونُس عَنْ أَبِي هُرَيْرَة «جُنَّة وَحِصْن حَصِين مِنْ النَّار» وَلَهُ مِنْ حَدِيث أَبِي عُبَيْدَة بْن الْجَرَّاح «الصِّيَام جُنَّة مَا لَمْ يَخْرِقهَا» زَادَ الدَّارِمِيُّ «بِالْغِيبَةِ» وَبِذَلِكَ تَرْجَمَ لَهُ هُوَ وَأَبُو دَاوُدَ، وَالْجُنَّة بِضَمِّ الْجِيم الْوِقَايَة وَالسِّتْر. وَقَدْ تَبَيَّنَ بِهَذِهِ الرِّوَايَات مُتَعَلَّق هَذَا السِّتْر وَأَنَّهُ مِنْ النَّار، وَبِهَذَا جَزَمَ ابْن عَبْد الْبَرّ. وَأَمَّا صَاحِب «النِّهَايَة» فَقَالَ: مَعْنَى كَوْنه جُنَّة أَيْ يَقِي صَاحِبه مَا يُؤْذِيه مِنْ الشَّهَوَات. وَقَالَ الْقُرْطُبِيّ: جُنَّة أَيْ سُتْرَة، يَعْنِي بِحَسَبِ مَشْرُوعِيَّته، فَيَنْبَغِي لِلصَّائِمِ أَنْ يَصُونَهُ مِمَّا يُفْسِدهُ وَيَنْقُص ثَوَابه، وَإِلَيْهِ الإِشَارَة بِقَوْلِهِ: «فَإِذَا كَانَ يَوْم صَوْم أَحَدكُمْ فَلَا يَرْفُث إِلَخْ»، وَيَصِحّ أَنْ يُرَاد أَنَّهُ سُتْرَة بِحَسَبِ فَائِدَته وَهُوَ إِضْعَاف شَهَوَات النَّفْس، وَإِلَيْهِ الإِشَارَة بِقَوْلِهِ: «يَدَع شَهْوَته إِلَخْ»، وَيَصِحّ أَنْ يُرَاد أَنَّهُ سُتْرَة بِحَسَبِ مَا يَحْصُل مِنْ الثَّوَاب وَتَضْعِيف الْحَسَنَات. وَقَالَ عِيَاض فِي «الإِكْمَال»: مَعْنَاهُ سُتْرَة مِنْ الآثَام أَوْ مِنْ النَّار أَوْ مِنْ جَمِيع ذَلِكَ، وَبِالأَخِيرِ جَزَمَ النَّوَوِيّ. وَقَالَ ابْن الْعَرَبِيّ: إِنَّمَا كَانَ الصَّوْم جُنَّة مِنْ النَّار لِأَنَّهُ إِمْسَاك عَنْ الشَّهَوَات، وَالنَّار مَحْفُوفَة بِالشَّهَوَاتِ. فَالْحَاصِل أَنَّهُ إِذَا كَفَّ نَفْسه عَنْ الشَّهَوَات فِي الدُّنْيَا كَانَ ذَلِكَ سَاتِرًا لَهُ مِنْ النَّار فِي الآخِرَة. وَفِي زِيَادَة أَبِي عُبَيْدَة بْن الْجَرَّاح إِشَارَة إِلَى أَنَّ الْغِيبَة تَضُرّ بِالصِّيَامِ، وَقَدْ حُكِيَ عَنْ عَائِشَة، وَبِهِ قَالَ الأَوْزَاعِيُّ: إِنَّ الْغِيبَة تُفْطِر الصَّائِم وَتُوجِب عَلَيْهِ قَضَاء ذَلِكَ الْيَوْم. وَأَفْرَطَ ابْن حَزْم فَقَالَ: يُبْطِلهُ كُلّ مَعْصِيَة مِنْ مُتَعَمِّد لَهَا ذَاكِر لِصَوْمِهِ سَوَاء كَانَتْ فِعْلًا أَوْ قَوْلًا، لِعُمُومِ قَوْله: «فَلَا يَرْفُث وَلَا يَجْهَل» وَلِقَوْلِهِ فِي الْحَدِيث الآخَر: «مَنْ لَمْ يَدَع قَوْل الزُّور وَالْعَمَل بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَة فِي أَنْ يَدَع طَعَامه وَشَرَابه»، وَالْجُمْهُور وَإِنْ حَمَلُوا النَّهْي عَلَى التَّحْرِيم إِلاَّ أَنَّهُمْ خَصُّوا الْفِطْر بِالأَكْلِ وَالشُّرْب وَالْجِمَاع. وقد وردت معظم هذه الروايات التي أشار إليها الحافظ في مصنف ابن أبي شيبة حيث ترجم لها بعنوان: ما ذكر في فضل الصيام وثوابه

عن مطرف بن عبد الله بن الشخير قال أتيت عثمان بن أبي العاص فدعا لي بلبن لقحة فقلت إني صائم فقال أما إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الصيام جنة من النار كجنة أحدكم من القتال وصيام حسن صيام ثلاثة أيام من كل شهر». وعن هبيرة قال: قال عبد الله: الصوم جنة من النار كجنة الرجل إذا حمل من السلاح ما أطاق.

وعن عياض بن غطيف قال دخلنا على أبي عبيدة بن الجراح في مرضه فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الصوم جنة ما لم يخرقها».

ولأجل هذا كان السلف الصالح من الصحابة ومن تبعهم بإحسان يحافظون على الصوم ويكثرون من التطوع فيه ويحفظون فيه الجوارح من اللغو والرفث.

روى ابن أبي شيبة في مصنفه باب ما يؤمر به الصائم من قلة الكلام وتوقي الكذب:

قال طليق بن قيس: قال أبو ذر: إذا صمت فتحفظ ما استطعت، وكان طليق إذا كان يوم صومه دخل فلم يخرج إلا لصلاة.

قال جابر: إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمآثم ودع أذى الخادم وليكن عليك وقار وسكينة يوم صيامك ولا تجعل يوم فطرك ويوم صيامك سواء.

وعن أبي المتوكل أن أبا هريرة وأصحابه كانوا إذا صاموا جلسوا في المسجد.

و عن الشعبي قال: قال عمر: ليس الصيام من الطعام والشراب وحده ولكنه من الكذب والباطل واللغو والحلف.

وعن كثير بن هشام عن جعفر قال: سمعت ميمونا يقول: إن أهون الصوم ترك الطعام والشراب.

وعن الشعبي عن علي أن الصيام ليس من الطعام والشراب ولكن من الكذب والباطل واللغو.

وعن الشعبي عن مسروق أن عمر قال مثل ذلك.

وعن مجاهد قال خصلتان من حفظهما سلم له صومه الغيبة والكذب.

وعن الاعمش عن إبراهيم قال كانوا يقولون الكذب يفطر الصائم.

وعن أبي العالية قال الصائم في عبادة ما لم يغتب.

خلوف فم الصائم:

بِضَمِّ الْمُعْجَمَة وَاللاَّم وَسُكُون الْوَاو بَعْدهَا فَاء. قَالَ عِيَاض: هَذه الرِّوَايَة الصَّحِيحَة، وَبَعْض الشُّيُوخ يَقُولهُ بِفَتْحِ الْخَاء، قَالَ الْخَطَّابِيُّ: وَهُوَ خَطَأ، وَحَكَى الْقَابِسِيّ الْوَجْهَيْن، وَبَالَغَ النَّوَوِيّ فِي «شَرْح الْمُهَذَّب» فَقَالَ لا يَجُوز فَتْح الْخَاء، أَوَّله-، وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ الْمُرَاد بِهِ تَغَيُّر رَائِحَة فَم الصَّائِم بِسَبَبِ الصِّيَام.

«أَطْيَب عِنْد اللَّه مِنْ رِيح الْمِسْك» اُخْتُلِفَ فِي كَوْن الْخُلُوف أَطْيَب عِنْد اللَّه مِنْ رِيح الْمِسْك.

قَالَ الْمَازِرِيّ: هُوَ مَجَاز لِأَنَّهُ جَرَتْ الْعَادَة بِتَقْرِيبِ الرَّوَائِح الطَّيِّبَة مِنَّا فَاسْتُعِيرَ ذَلِكَ لِلصَّوْمِ لِتَقْرِيبِهِ مِنْ اللَّه، فَالْمَعْنَى أَنَّهُ أَطْيَب عِنْد اللَّه مِنْ رِيح الْمِسْك عِنْدكُمْ أَيْ يُقَرِّب إِلَيْهِ أَكْثَر مِنْ تَقْرِيب الْمِسْك إِلَيْكُمْ، وَإِلَى ذَلِكَ أَشَارَ ابْن عَبْد الْبَرّ، وَقِيلَ الْمُرَاد أَنَّ ذَلِكَ فِي حَقّ الْمَلائِكَة وَأَنَّهُمْ يَسْتَطِيبُونَ رِيح الْخُلُوف أَكْثَر مِمَّا يَسْتَطِيبُونَ رِيح الْمِسْك، وَقِيلَ الْمُرَاد أَنَّ اللَّه تَعَالَى يَجْزِيه فِي الآخِرَة فَتَكُون نَكْهَته أَطْيَب مِنْ رِيح الْمِسْك كَمَا يَأْتِي الْمَكْلُوم وَرِيح جُرْحه تَفُوح مِسْكًا. وَقِيلَ الْمُرَاد أَنَّ صَاحِبه يَنَال مِنْ الثَّوَاب مَا هُوَ أَفْضَل مِنْ رِيح الْمِسْك لا سِيَّمَا بِالإِضَافَةِ إِلَى الْخُلُوف حَكَاهُمَا عِيَاض. وَقَالَ الدَّاوُدِيّ وَجَمَاعَة: الْمَعْنَى أَنَّ الْخُلُوف أَكْثَر ثَوَابًا مِنْ الْمِسْك الْمَنْدُوب إِلَيْهِ فِي الْجُمَع وَمَجَالِس الذِّكْر، وَرَجَّحَ النَّوَوِيّ هَذَا الأَخِير، وَحَاصِله حَمْل مَعْنَى الطِّيب عَلَى الْقَبُول وَالرِّضَا.

وَقَدْ نَقَلَ الْقَاضِي حُسَيْن فِي تَعْلِيقه أَنَّ لِلطَّاعَاتِ يَوْم الْقِيَامَة رِيحًا تَفُوح. قَالَ فَرَائِحَة الصِّيَام فِيهَا بَيْن الْعِبَادَات كَالْمِسْك، وَيُؤَيِّد الثَّلاثَة الأَخِيرَة قَوْله فِي رِوَايَة مُسْلِم وَأَحْمَد وَالنَّسَائِيّ مِنْ طَرِيق عَطَاء عَنْ أَبِي صَالِح: «أَطْيَب عِنْد اللَّه يَوْم الْقِيَامَة» وَقَدْ تَرْجَمَ ابْن حِبَّان بِذَلِكَ فِي صَحِيحه، ثُمَّ قَالَ: «ذِكْر الْبَيَان بِأَنَّ ذَلِكَ قَدْ يَكُون فِي الدُّنْيَا» ثُمَّ أَخْرَجَ الرِّوَايَة الَّتِي فِيهَا «فَم الصَّائِم حِين يَخْلُف مِنْ الطَّعَام» وَهِيَ عِنْده وَعِنْد أَحْمَد مِنْ طَرِيق الأَعْمَش عَنْ أَبِي صَالِح، وَيُمْكِن أَنْ يُحْمَل قَوْله: «حِين يَخْلُف» عَلَى أَنَّهُ ظَرْف لِوُجُودِ الْخُلُوف الْمَشْهُود لَهُ بِالطِّيبِ فَيَكُون سَبَبًا لِلطِّيبِ فِي الْحَال الثَّانِي فَيُوَافِق الرِّوَايَة الأُولَى وَهِيَ قَوْله: «يَوْم الْقِيَامَة» لَكِنْ يُؤَيِّد ظَاهِره وَأَنَّ الْمُرَاد بِهِ فِي الدُّنْيَا مَا رَوَى الْحَسَن بْن سُفْيَان فِي مُسْنَده وَالْبَيْهَقِيُّ فِي الشُّعَب مِنْ حَدِيث جَابِر فِي أَثْنَاء حَدِيث مَرْفُوع فِي فَضْل هَذِهِ الأُمَّة فِي رَمَضَان، وَأَمَّا الثَّانِيَة «فَإِنَّ خُلُوف أَفْوَاههمْ حِين يَمَسُّونَ أَطْيَب عِنْد اللَّه مِنْ رِيح الْمِسْك».

وَهَذِهِ الْمَسْأَلَة إِحْدَى الْمَسَائِل الَّتِي تَنَازَعَ فِيهَا ابْن عَبْد السَّلام وَابْن الصَّلاح، فَذَهَبَ ابْن عَبْد السَّلام إِلَى أَنَّ ذَلِكَ فِي الآخِرَة كَمَا فِي دَم الشَّهِيد وَاسْتَدَلَّ بِالرِّوَايَةِ الَّتِي فِيهَا «يَوْم الْقِيَامَة» وَذَهَبَ ابْن الصَّلاح إِلَى أَنَّ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا وَاسْتَدَلَّ بِمَا تَقَدَّمَ وَأَنَّ جُمْهُور الْعُلَمَاء ذَهَبُوا إِلَى ذَلِكَ، فَقَالَ الْخَطَّابِيُّ: طيبه عِنْد اللَّه رِضَاهُ بِهِ وَثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ. وَقَالَ ابْن عَبْد الْبَرّ: أَزْكَى عِنْد اللَّه وَأَقْرَب إِلَيْهِ. وَقَالَ الْبَغَوِيُّ: مَعْنَاهُ الثَّنَاء عَلَى الصَّائِم وَالرِّضَا بِفِعْلِهِ، وَبِنَحْوِ ذَلِكَ قَالَ الْقُدُورِيّ مِنْ الْحَنَفِيَّة وَالدَّاوُدِيّ وَابْن الْعَرَبِيّ مِنْ الْمَالِكِيَّة وَأَبُو عُثْمَان الصَّابُونِيّ وَأَبُو بَكْر بْن السَّمْعَانِيّ وَغَيْرهمَا مِنْ الشَّافِعِيَّة، جَزَمُوا كُلّهمْ بِأَنَّهُ عِبَارَة عَنْ الرِّضَا وَالْقَبُول، وَأَمَّا ذِكْر يَوْم الْقِيَامَة فِي تِلْكَ الرِّوَايَة فَلأَنَّهُ يَوْم الْجَزَاء وَفِيهِ يَظْهَر رُجْحَان الْخُلُوف فِي الْمِيزَان عَلَى الْمِسْك الْمُسْتَعْمَل لِدَفْعِ الرَّائِحَة الْكَرِيهَة طَلَبًا لِرِضَا اللَّه تَعَالَى حَيْثُ يُؤْمَر بِاجْتِنَابِهَا، فَقَيَّدَهُ بِيَوْمِ الْقِيَامَة فِي رِوَايَة وَأَطْلَقَ فِي بَاقِي الرِّوَايَات نَظَرًا إِلَى أَنَّ أَصْل أَفْضَلِيَّته ثَابِت فِي الدَّارَيْنِ، وَهُوَ كَقَوْلِهِ: «إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِير» وَهُوَ خَبِير بِهِمْ فِي كُلّ يَوْم.

وَيَتَرَتَّب عَلَى هَذَا الْخِلاف الْمَشْهُور فِي كَرَاهَة إِزَالَة هَذَا الْخُلُوف بِالسِّوَاكِ، والراجح ان السواك سنة مستحبة على كل حال.

وَيُؤْخَذ مِنْ قَوْله: «أَطْيَب مِنْ رِيح الْمِسْك» أَنَّ الْخُلُوف أَعْظَم مِنْ دَم الشَّهَادَة لِأَنَّ دَم الشَّهِيد شَبَّهَ رِيحه بِرِيحِ الْمِسْك، وَالْخُلُوف وُصِفَ بِأَنَّهُ أَطْيَب، وَلا يَلْزَم مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَكُون الصِّيَام أَفْضَل مِنْ الشَّهَادَة لِمَا لا يَخْفَى.

قال الحافظ: وَقَدْ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاء فِي الْمُرَاد بِقَوْلِهِ تَعَالَى: «الصِّيَام لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ» مَعَ أَنَّ الأَعْمَال كُلّهَا لَهُ وَهُوَ الَّذِي يَجْزِي بِهَا عَلَى أَقْوَال: أَحَدهَا أَنَّ الصَّوْم لا يَقَع فِيهِ الرِّيَاء كَمَا يَقَع فِي غَيْره، حَكَاهُ الْمَازِرِيّ وَنَقَلَهُ عِيَاض عَنْ أَبِي عُبَيْد، وَلَفْظ أَبِي عُبَيْد فِي غَرِيبه: قَدْ عَلِمْنَا أَنَّ أَعْمَال الْبِرّ كُلّهَا لِلَّهِ وَهُوَ الَّذِي يَجْزِي بِهَا، فَنَرَى وَاَللَّه أَعْلَم أَنَّهُ إِنَّمَا خَصَّ الصِّيَام لأَنَّهُ لَيْسَ يَظْهَر مِنْ ابْن آدَم بِفِعْلِهِ وَإِنَّمَا هُوَ شَيْء فِي الْقَلْب. وَيُؤَيِّد هَذَا التَّأْوِيل قَوْله ﷺ: «لَيْسَ فِي الصِّيَام رِيَاء» حَدَّثَنِيه شَبَابَة عَنْ عُقَيْل عَنْ الزُّهْرِيّ فَذَكَرَهُ يَعْنِي مُرْسَلًا قَالَ: وَذَلِكَ لأَنَّ الأَعْمَال لا تَكُونُ إِلاَّ بِالْحَرَكَاتِ، إِلاَّ الصَّوْم فَإِنَّمَا هُوَ بِالنِّيَّةِ الَّتِي تَخْفَى عَنْ النَّاس، وَهَذَا وَجْه الْحَدِيث عِنْدِي، انْتَهَى.

وَقَالَ الْقُرْطُبِيّ: لَمَّا كَانَتْ الأَعْمَال يَدْخُلهَا الرِّيَاء وَالصَّوْم لا يَطَّلِع عَلَيْهِ بِمُجَرَّدِ فِعْله إِلاَّ اللَّه فَأَضَافَهُ اللَّه إِلَى نَفْسه، وَلِهَذَا قَالَ فِي الْحَدِيث «يَدَع شَهْوَته مِنْ أَجْلِي» وَقَالَ ابْن الْجَوْزِيّ: جَمِيع الْعِبَادَات تَظْهَر بِفِعْلِهَا وَقَلَّ أَنْ يَسْلَم مَا يَظْهَر مِنْ شَوْب، بِخِلاف الصَّوْم. وَارْتَضَى هَذَا الْجَوَاب الْمَازِرِيّ وَقَرَّرَهُ الْقُرْطُبِيّ بِأَنَّ أَعْمَال بَنِي آدَم لَمَّا كَانَتْ يُمْكِن دُخُول الرِّيَاء فِيهَا أُضِيفَتْ إِلَيْهِمْ، بِخِلاف الصَّوْم فَإِنَّ حَال الْمُمْسِك شِبْعًا مِثْل حَال الْمُمْسِك تَقَرُّبًا يَعْنِي فِي الصُّورَة الظَّاهِرَة.

ثَانِيهَا أَنَّ الْمُرَاد بِقَوْلِهِ: «وَأَنَا أَجْزِي بِهِ» أَنِّي أَنْفَرِد بِعِلْمِ مِقْدَار ثَوَابه وَتَضْعِيف حَسَنَاته. وَأَمَّا غَيْره مِنْ الْعِبَادَات فَقَدْ اطَّلَعَ عَلَيْهَا بَعْض النَّاس. قَالَ الْقُرْطُبِيّ: مَعْنَاهُ أَنَّ الأَعْمَال قَدْ كَشَفَتْ مَقَادِير ثَوَابهَا لِلنَّاسِ وَأَنَّهَا تُضَاعَف مِنْ عَشَرَة إِلَى سَبْعمِائَة إِلَى مَا شَاءَ اللَّه، إِلاَّ الصِّيَام فَإِنَّ اللَّه يُثِيب عَلَيْهِ بِغَيْرِ تَقْدِير. وَيَشْهَد لِهَذَا السِّيَاق الرِّوَايَة الأُخْرَى يَعْنِي رِوَايَة الْمُوَطَّأ، وَكَذَلِكَ رِوَايَة الأَعْمَش عَنْ أَبِي صَالِح حَيْثُ قَالَ «كُلّ عَمَل ابْن آدَم يُضَاعَف الْحَسَنَة بِعَشْرِ أَمْثَالهَا إِلَى سَبْعمِائَة ضِعْف إِلَى مَا شَاءَ اللَّه- قَالَ اللَّه- إِلاَّ الصَّوْم فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ» أَيْ أُجَازِي عَلَيْهِ جَزَاء كَثِيرًا مِنْ غَيْر تَعْيِين لِمِقْدَارِهِ، وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: «إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَاب» انْتَهَى. وَالصَّابِرُونَ الصَّائِمُونَ فِي أَكْثَر الأَقْوَال. وَسَبَقَ إِلَى هَذَا أَبُو عُبَيْد فِي غَرِيبه فَقَالَ: بَلَغَنِي عَنْ ابْن عُيَيْنَة أَنَّهُ قَالَ ذَلِكَ، وَاسْتَدَلَّ لَهُ بِأَنَّ الصَّوْم هُوَ الصَّبْر لأَنَّ الصَّائِم يَصْبِر نَفْسه عَنْ الشَّهَوَات، وَقَدْ قَالَ اللَّه تَعَالَى: «إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَاب» انْتَهَى.

وَيُؤَيِّدهُ أَيْضًا الْعُرْف الْمُسْتَفَاد مِنْ قَوْله: «أَنَا أَجْزِي بِهِ» لأَنَّ الْكَرِيم إِذَا قَالَ: أَنَا أَتَوَلَّى الإِعْطَاء بِنَفْسِي كَانَ فِي ذَلِكَ إِشَارَة إِلَى تَعْظِيم ذَلِكَ الْعَطَاء وَتَفْخِيمه.

ثَالِثهَا مَعْنَى قَوْله: «الصَّوْم لِي» أَيْ أَنَّهُ أَحَبّ الْعِبَادَات إِلَيَّ وَالْمُقَدَّم عِنْدِي، وَقَدْ تَقَدَّمَ قَوْل ابْن عَبْد الْبَرّ: كَفَى بِقَوْلِهِ: «الصَّوْم لِي» فَضْلًا لِلصِّيَامِ عَلَى سَائِر الْعِبَادَات وقوله: «عَلَيْك بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لا مِثْل لَهُ» لَكِنْ يُعَكِّر عَلَى هَذَا الْحَدِيث الصَّحِيح «وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْر أَعْمَالكُمْ الصَّلاة».

رَابِعهَا: الإِضَافَة إِضَافَة تَشْرِيف وَتَعْظِيم كَمَا يُقَال بَيْت اللَّه وَإِنْ كَانَتْ الْبُيُوت كُلّهَا لِلَّهِ. قَالَ الزَّيْن بْن الْمُنِير: التَّخْصِيص فِي مَوْضِع التَّعْمِيم فِي مِثْل هَذَا السِّيَاق لا يُفْهَم مِنْهُ إِلاَّ التَّعْظِيم وَالتَّشْرِيف.

خَامِسهَا: أَنَّ جَمِيع الْعِبَادَات تُوَفَّى مِنْهَا مَظَالِم الْعِبَاد إِلاَّ الصِّيَام، رَوَى ذَلِكَ الْبَيْهَقِيّ مِنْ طَرِيق إِسْحَاق بْن أَيُّوب بْن حَسَّان الْوَاسِطِيّ عَنْ أَبِيه عَنْ ابْن عُيَيْنَة قَالَ: إِذَا كَانَ يَوْم الْقِيَامَة يُحَاسِب اللَّه عَبْده وَيُؤَدِّي مَا عَلَيْهِ مِنْ الْمَظَالِم مِنْ عَمَله حَتَّى لا يَبْقَى لَهُ إِلاَّ الصَّوْم، فَيَتَحَمَّل اللَّه مَا بَقِيَ عَلَيْهِ مِنْ الْمَظَالِم وَيُدْخِلهُ بِالصَّوْمِ الْجَنَّة. قَالَ الْقُرْطُبِيّ: قَدْ كُنْت اسْتَحْسَنْت هَذَا الْجَوَاب إِلَى أَنْ فَكَّرْت فِي حَدِيث الْمُقَاصَّة فَوَجَدْت فِيهِ ذِكْر الصَّوْم فِي جُمْلَة الأَعْمَال حَيْثُ قَالَ «الْمُفْلِس الَّذِي يَأْتِي يَوْم الْقِيَامَة بِصَلاةٍ وَصَدَقَة وَصِيَام، وَيَأْتِي وَقَدْ شَتَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا وَأَكَلَ مَال هَذَا» الْحَدِيث وَفِيهِ «فَيُؤْخَذ لِهَذَا مِنْ حَسَنَاته وَلِهَذَا مِنْ حَسَنَاته، فَإِذَا فَنِيَتْ حَسَنَاته قَبْل أَنْ يَقْضِيَ مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتهمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّار» فَظَاهِرُهُ أَنَّ الصِّيَام مُشْتَرَك مَعَ بَقِيَّة الأَعْمَال فِي ذَلِكَ.

قلت (القائل ابن حجر): إِنْ ثَبَتَ قَوْل ابْن عُيَيْنَة أَمْكَنَ تَخْصِيص الصِّيَام مِنْ ذَلِكَ، فَقَدْ يُسْتَدَلّ لَهُ بِمَا رَوَاهُ أَحْمَد مِنْ طَرِيق حَمَّاد بْن سَلَمَة عَنْ مُحَمَّد بْن زِيَاد عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رَفَعَهُ «كُلّ الْعَمَل كَفَّارَة إِلاَّ الصَّوْم، الصَّوْم لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ» وَكَذَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُد الطَّيَالِسِيّ فِي مُسْنَده عَنْ شُعْبَة عَنْ مُحَمَّد بْن زِيَاد وَلَفْظه «قَالَ رَبُّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: كُلّ الْعَمَل كَفَّارَة إِلاَّ الصَّوْم».

اللهم وفقنا لصيام رمضان وقيامه، والعمل الصالح فيه، واجعله خالصاً لوجهك الكريم. والله من وراء القصد.

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فإن سورة البقرة أطول سورة في القران، وهي سورة مدنية نزلت علي مدى عشر سنوات قضاها رسول الله في المدينة، ففيها أول ما نزل من الأحكام في المدينة بعد الهجرة بشأن تحويل القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام، قال تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٣].

روي مسلم عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا حَتَّى نَزَلَتِ الآيَةُ الَّتِي فِي الْبَقَرَةِ: ﴿وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾، فَنَزَلَتْ بَعْدَ مَا صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ فَانْطَلَقَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فَمَرَّ بِنَاسٍ مِنَ الأَنْصَارِ وَهُمْ يُصَلُّونَ فَحَدَّثَهُمْ فَوَلَّوْا وُجُوهَهُمْ قِبَلَ الْبَيْتِ.

وفيها أخر آية نزلت من القران وهي قول الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١]،وهي الآية التي ختم الله بها آخر أحكام القران نزولا وهي آيات تحريم الربا: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧٥) يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (٢٧٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٧٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ (٢٧٩) وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٨٠) وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٥- ٢٨١].

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ: لَمَّا أُنْزِلَتِ الآيَاتُ الأَوَاخِرُ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَتَلاَهُنَّ فِي الْمَسْجِدِ، فَحَرَّمَ التِّجَارَةَ فِي الْخَمْرِ. متفق عليه.

وفيها أطول آية في القران وهي آية الدين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلاَ يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلاَ يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى وَلاَ يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلاَ تَسْأَمُوا

أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلاَّ تَرْتَابُوا إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلاَّ تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلاَ يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

عن يُوسُفُ بْنُ مَاهَكَ رضي الله عنه قَالَ: إِنِّي عِنْدَ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ - رضى الله عنها - إِذْ جَاءَهَا عِرَاقِيٌّ فَقَالَ أَيُّ الْكَفَنِ خَيْرٌ؟ قَالَتْ: وَيْحَكَ وَمَا يَضُرُّكَ؟ قَالَ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَرِينِي مُصْحَفَكِ. قَالَتْ: لِمَ؟ قَالَ: لَعَلِّي أُؤَلِّفُ الْقُرْآنَ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ يُقْرَأُ غَيْرَ مُؤَلَّفٍ؟ قَالَتْ: وَمَا يَضُرُّكَ أَيَّهُ قَرَأْتَ قَبْلُ؟ إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ سُورَةٌ مِنَ الْمُفَصَّلِ فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الإِسْلاَمِ نَزَلَ الْحَلاَلُ وَالْحَرَامُ، وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ لاَ تَشْرَبُوا الْخَمْرَ. لَقَالُوا: لاَ نَدَعُ الْخَمْرَ أَبَدًا. وَلَوْ نَزَلَ. لاَ تَزْنُوا. لَقَالُوا: لاَ نَدَعُ الزِّنَا أَبَدًا. لَقَدْ نَزَلَ بِمَكَّةَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ وَإِنِّي لَجَارِيَةٌ أَلْعَبُ ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾ وَمَا نَزَلَتْ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَالنِّسَاءِ إِلاَّ وَأَنَا عِنْدَهُ. قَالَ فَأَخْرَجَتْ لَهُ الْمُصْحَفَ فَأَمْلَتْ عَلَيْهِ آيَ السُّوَرِ. رواه البخاري.

وفيها أعظم آية في القران ألا وهي آية الكرسي: ﴿اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ العَلِيُّ العَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

فضائل سورة البقرة

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لاَ تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ». رواه مسلم.

٢- عَنْ زَيْدٍ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا سَلاَّمٍ يَقُولُ: حَدَّثَنِي أَبُو أُمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ وَلاَ تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ». قَالَ مُعَاوِيَةُ بَلَغَنِي أَنَّ الْبَطَلَةَ السَّحَرَةُ». [رواه مسلم وأحمد].

٣- عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلاَّ الْيَوْمَ فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ، فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلاَّ الْيَوْمَ فَسَلَّمَ وَقَالَ: أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلاَّ أُعْطِيتَهُ. [رواه مسلم].

٤- عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ: لَقِيتُ أَبَا مَسْعُودٍ عِنْدَ الْبَيْتِ فَقُلْتُ: حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكَ فِي الآيَتَيْنِ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ. فَقَالَ: نَعَمْ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الآيَتَانِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مَنْ قَرَأَهُمَا فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ». [متفق عليه].

وعَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ قَيْسٍ عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ قَالَ: قَالَ

رَسُولُ اللَّه ﷺ: «مَنْ قَرَأَ هَاتَيْنِ الآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ». قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: فَلَقِيتُ أَبَا مَسْعُودٍ وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ فَسَأَلْتُهُ فَحَدَّثَنِي بِهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

٥- عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ وَالأَسْوَدِ بْنِ يَزِيدَ قَالاَ: سَمِعْنَا عَبْدَ اللَّه بْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ بِجَمْعٍ- مزدلفة - الَّذِي أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ هَا هُنَا يَقُولُ: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ». ثُمَّ لَبَّى وَلَبَّيْنَا مَعَهُ. [رواه مسلم].

وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ: رَمَى عَبْدُ اللَّه مِنْ بَطْنِ الْوَادِى، فَقُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، إِنَّ نَاسًا يَرْمُونَهَا مِنْ فَوْقِهَا، فَقَالَ: وَالَّذِي لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ هَذَا مَقَامُ الَّذِي أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ - ﷺ - [رواه البخاري].

٦- عَنْ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ قَالَ: بَيْنَمَا هُوَ يَقْرَأُ مِنَ اللَّيْلِ سُورَةَ الْبَقَرَةِ وَفَرَسُهُ مَرْبُوطٌ عِنْدَهُ إِذْ جَالَتِ الْفَرَسُ فَسَكَتَ فَسَكَتَتْ فَقَرَأَ فَجَالَتِ الْفَرَسُ، فَسَكَتَ وَسَكَتَتِ الْفَرَسُ ثُمَّ قَرَأَ فَجَالَتِ الْفَرَسُ، فَانْصَرَفَ وَكَانَ ابْنُهُ يَحْيَى قَرِيبًا مِنْهَا فَأَشْفَقَ أَنْ تُصِيبَهُ فَلَمَّا اجْتَرَّهُ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ حَتَّى مَا يَرَاهَا فَلَمَّا أَصْبَحَ حَدَّثَ النَّبِيَّ - ﷺ - فَقَالَ: «اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ». قَالَ: فَأَشْفَقْتُ يَا رَسُولَ اللَّه أَنْ تَطَأَ يَحْيَى وَكَانَ مِنْهَا قَرِيبًا فَرَفَعْتُ رَأْسِى فَانْصَرَفْتُ إِلَيْهِ فَرَفَعْتُ رَأْسِى إِلَى السَّمَاءِ فَإِذَا مِثْلُ الظُّلَّةِ فِيهَا أَمْثَالُ الْمَصَابِيحِ فَخَرَجَتْ حَتَّى لاَ أَرَاهَا. قَالَ «وَتَدْرِى مَا ذَاكَ». قَالَ لاَ. قَالَ «تِلْكَ الْمَلاَئِكَةُ دَنَتْ لِصَوْتِكَ وَلَوْ قَرَأْتَ لأَصْبَحَتْ يَنْظُرُ النَّاسُ إِلَيْهَا لاَ تَتَوَارَى مِنْهُمْ» [رواه البخاري].

٧- عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «لاَ تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ وَإِنَّ الْبَيْتَ الَّذِى تُقْرَأُ فِيهِ الْبَقَرَةُ لاَ يَدْخُلُهُ الشَّيْطَانُ». قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

٨- عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّه ﷺ بَعْثًا وَهُمْ ذُوو عَدَدٍ عَدَدٍ فَاسْتَقْرَأَهُمْ فَاسْتَقْرَأَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ مَا مَعَهُ مِنَ الْقُرْآنِ فَأَتَى عَلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ مِنْ أَحْدَثِهِمْ سِنًّا فَقَالَ: «مَا مَعَكَ يَا فُلاَنُ». قَالَ مَعِى كَذَا وَكَذَا وَسُورَةُ الْبَقَرَةِ. قَالَ: «أَمَعَكَ سُورَةُ الْبَقَرَةِ»؟ فَقَالَ نَعَمْ. قَالَ: «فَاذْهَبْ فَأَنْتَ أَمِيرُهُمْ». فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ وَاللَّه: يَا رَسُولَ اللَّه مَا مَنَعَنِى أَنْ أَتَعَلَّمَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ إِلاَّ خَشْيَةَ أَلاَّ أَقُومَ بِهَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ فَاقْرَءُوهُ وَأَقْرِئُوهُ فَإِنَّ مَثَلَ الْقُرْآنِ لِمَنْ تَعَلَّمَهُ فَقَرَأَهُ وَقَامَ بِهِ كَمَثَلِ جِرَابٍ مَحْشُوٍّ مِسْكًا يَفُوحُ رِيحُهُ كُلَّ مَكَانٍ وَمَثَلُ مَنْ تَعَلَّمَهُ فَيَرْقُدُ وَهُوَ فِي جَوْفِهِ كَمَثَلِ جِرَابٍ وُكِئَ عَلَى مِسْكٍ». قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ.

٩- وعن سُفْيَانَ قَالَ: سَمِعْتُ الزُّهْرِيَّ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ فَلَمْ أَحْفَظْهُ عَنْ كَثِيرِ بْنِ عَبَّاسٍ قَالَ كَانَ عَبَّاسٌ وَأَبُو سُفْيَانَ مَعَهُ أي مع النَّبِيِّ ﷺ قَالَ فَخَطَبَهُمْ وَقَالَ: «الآنَ حَمِيَ الْوَطِيسُ». وَقَالَ: «نَادِ يَا أَصْحَابَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ». [رواه أحمد].

قال ابن كثير: كان المسلمون يتنادون في معاركهم يوم حنين ويوم اليمامة يَا أَصْحَابَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ.

مقاصد السورة

وهذه السورة العظيمة اشتملت على منهجين عظيمين:

الأول: من أولها إلى الآية ١٤٢ منها ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ﴾ وطابعه أنه خطاب عام لجميع الناس، فقد بدئت السورة بالكلام عن القرآن كمنهاج هداية وأثره وموقف الناس منه، فمنهم المؤمن التقي المفلح ومنهم الكافر المجاهر البعيد عن الهداية، ومنهم المنافق المخادع الذي اشترى الضلالة بالهدى.

قال صاحب نظم الدرر: وتصنيف الناس آخر الفاتحة ثلاثة أصناف: مهتدين ومعاندين وضالين، مثل تصنيفهم أول البقرة ثلاثة: متقين وكافرين مصارحين وهم المعاندون وضالين وهم المنافقون، وإجمالهم في الفاتحة وتفصيلهم هنا من بديع الأساليب وهو دأب القرآن العظيم الإجمال ثم التفصيل.

ثم اتجهت السورة لخطاب أمة الدعوة - الناس جميعا - ودعوتهم إلى الإيمان الصحيح مع بيان إعجاز القرآن وصدق الرسول، ثم بين الله سبحانه وتعالى أنه خلق لنا ما في الأرض جميعاً، ثم خلق

الإنسان لعمارة الأرض والاستخلاف فيها، ثم بين الله أن الشيطان يجتال الناس عن منهج الحق ليخرجهم من الجنة ويبعدهم عن طريقها.

ثم توجه الخطاب إلى بني إسرائيل - الطبقة الواعية في المجتمع المدني الأول - فدعاهم إلى ما فيه خيرهم، وذكرهم بنعم الله عليهم، وحذرهم من نقمته.

ثم بين لنا أن الله فضلهم على العالمين، فنكصوا على أعقابهم فعاقبهم، وسلب النبوة والرسالة والفضيلة منهم، وتعرض لأبي الأنبياء إبراهيم، وبناء الكعبة، وبين أن الإسلام هو دين المؤمنين في كل مكان وزمان.

وفي هذا تحذير للمسلمين ليتعلموا من هذا الدرس ولا يقعوا فيما وقع فيه بنو إسرائيل.

فالأمة في عصور الفتن تسير على خطوات بني إسرائيل مع خلاف رئيس:

- أن الله تعالى حفظ لهذه الأمة كتابها ومنهجها فلا يضيع.
- أنه يبقى في هذه الأمة طائفة على الحق ظاهرين به.

قال ﷺ: «لتتبعن سنن من كان قبكم حذو القذة بالقذة إن شبراً فشبر وإن ذراعاً فذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه، قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى ؟ قال: فمن ؟ ».

أما المنهج الثاني: فطابعه أنه خطاب للمسلمين - أمة الإجابة - وهو واقع في عجز السورة، وقد بُدئ الكلام على أول حادثة دينية تمس المسلمين وأهل الكتاب وهي تحويل القبلة، ممهداً لها بالحديث عن النسخ والحديث عن بناء إبراهيم للبيت الحرام قبلة المسلمين الذي جعله الله مثابة للناس وأمناً.

ثم عالجت السورة المجتمع الإسلامي فذكرت الكثير من التشريعات والأحكام التي يقوم عليها المجتمع المسلم، وكان الأساس الأول: الدعوة إلى التوحيد الخالص والاستعانة بالصبر والصلاة، وترك سبيل الشيطان الذي يأمر بالفحشاء والمنكر، وبالقول على الله بغير علم، ثم تعرضت للذين غيروا وبدلوا كلام الله تعالى وشرعه ليأكلوا به ثمناً قليلاً.

ثم بينت السورة جماع الخير والبر من الإيمان والعمل الصالح، وتعرضت لأحكام القصاص والوصية والصيام والحج والقتال والخمر والميسر ونكاح المشركين والمحيض والأيمان والإيلاء والطلاق الرجعي والبائن والرضاع والعدة.

ثم بينت كيف كان الملك في بني إسرائيل وقصة طالوت وجالوت، ثم تحدثت عن المرسلين وتفضيل بعضهم على بعض واختلاف الناس إلى مؤمن وكافر واقتتالهم، وأنه واقع بمشيئة الله سبحانه.

ثم آية الكرسي أعظم آية في القرآن.

وحجاج إبراهيم النمروذ، وقصة الرجل الذي أماته الله ثم أحياه، وطلب إبراهيم معرفة كيفية إحياء الموتى، ثم حديث عن الربا، والدين، ثم ختمت السورة بعقد الإيمان - خواتيم سورة البقرة -: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾.

والله من وراء القصد وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عندما يتسلط

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعلى رسل الله أجمعين. وبعد:

فإن الله ابتلى هذه الأمة فجعل بأسها بينها شديدًا، وقدّر عليها من الاختلاف والافتراق مثل ما كتب على الأمم قبلها؛ عَنْ ثَوْبَانَ رضى الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِيَ الأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الأَحْمَرَ وَالأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لأُمَّتِي أَنْ لاَ يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ، وَأَنْ لاَ يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لاَ يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لأُمَّتِكَ أَنْ لاَ أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ، وَأَنْ لاَ أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا - أَوْ قَالَ: مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا - حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا.

وعن عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَقْبَلَ ذَاتَ يَوْمٍ مِنَ الْعَالِيَةِ، حَتَّى إِذَا مَرَّ بِمَسْجِدِ بَنِي مُعَاوِيَةَ دَخَلَ فَرَكَعَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ وَصَلَّيْنَا مَعَهُ وَدَعَا رَبَّهُ طَوِيلاً، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَيْنَا، فَقَالَ ﷺ: « سَأَلْتُ رَبِّي ثَلاَثًا فَأَعْطَانِي ثِنْتَيْنِ وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً، سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ لاَ يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لاَ يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالْغَرَقِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لاَ يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ فَمَنَعَنِيهَا». رواهما مسلم.

وقال رسول الله ﷺ: «فإنه من يعش منكم يرى اختلافًا كثيرًا، وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة، فمن أدرك ذلك منكم، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ». رواه الترمذي.

وإن أعظم بلاء وقع على هذه الأمة ما أحدثه الروافض من بدع وضلالات تتعلق بالإمامة وعصمة الأئمة والطعن على خير قرون الأمة من أصحاب رسول الله ﷺ، والغلو في آل بيت النبي ﷺ.

لقد قدر الله لهذه الأمة أن تبقي عزيزة قوية ما دام هؤلاء الروافض مقهورين، فإذا تسلط علينا هؤلاء الروافض كانت الطامة الكبرى التي تودي بهذه الأمة حين يكون للروافض دولة يتسلطون بها على مقادير هذه الأمة، وعادة ما تنشى هذه الدولة حزبًا من الخارجين وقطاع الطريق ليعيث في الأرض فسادًا وينفذ مخططاتها لتفتيت وحدة المسلمين. ولكن الله تبارك وتعالى يقيض لهذه الأمة من يدفع عنها الفتنة ويرد كيد الظالمين إلى نحورهم ليحفظ هذه الأمة.

ولقد ظل هذا الدين عزيزًا طوال حقبة الخلافة الراشدة، ثم في خلافة بني أمية والطور الأول من خلافة بني العباس، حتى دب الضعف إلي الخلفاء وتسلط عليهم الأمراء والوزراء، وتمكن أهل البدع من الروافض والمعتزلة القدرية، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: « لاَ يَزَالُ الإِسْلاَمُ عَزِيزًا إِلَى اثْنَىْ عَشَرَ خَلِيفَةً ». « كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ».

ومن أعظم الدول الرافضية بلاءً علي أهل الإسلام دولة العبيدين الروافض في المغرب ومصر التي عم بلاؤها لمدة تقرب من ثلاثة قرون، وتحالفت مع القرامطة قطاع الطريق المحاربين لله ولرسوله الذين عم بلاؤهم حتى قتلوا

الشيعة ويهيمنون

د. جمال المراكبي
بقلم/ الرئيس العام
WWW.ELMARAKBY.COM

الحجيج في البلد الحرام واقتلعوا الحجر الأسود من الكعبة وعلقوه على بيت بالبحرين قرابة عشرين عاما.

«ودامت دولة الفاطميين ٢٦٠ سنة ,منها اثنتان وخمسون سنة بالمغرب ,ومائتان وثماني سنوات بمصر, وعدد خلفائها أربعة عشر خليفة ,أولهم عبيد الله المهدي ,وآخرهم العاضد الذي توفى بمصر يوم عاشوراء سنة ٥٦٧هـ ,وبموته انقرضت دولة الفاطميين من المشرق والمغرب. والملك لله وحده يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء.

قال الذهبي -رحمه الله-: «ظهر في هذا الوقت الرفض ,وأبدى صفحته وشمخ بأنفه في مصر والشام والحجاز والمغرب بالدولة العبيدية ,وبالعراق والجزيرة والعجم ببني بويه ,وكان الخليفة المطيع ضعيف الرتبة مع بني بويه وضعف بدنه ثم أصابه فالج ,وخرس فعزلوه وأقاموا ابنه الطائع لله ,وله السكة والخطبة ,وقليل من الأمور فكانت مملكة المعز أعظم وأمكن.

وقال ابن كثير: وقد كان الفاطميون أغنى الخلفاء وأكثرهم مالاً ,وكانوا من أغنى الخلفاء وأجبرهم وأظلمهم, وأنجس الملوك سيرة ,وأخبثهم سريرة ,وظهرت في دولتهم البدع والمنكرات ,وكثر أهل الفساد ,وقل عندهم الصالحون من العلماء والعباد ,وكثرت بأرض الشام النصيرية والدرزية والحشيشية ,وتغلب الفرنج على سواحل الشام بكامله ,حتى أخذوا القدس ونابلس وعجلون والغور وبلاد غزة وعسقلان وكرك والشوبك وطبرية وبانياس وصور وعكا وصيدا وبيروت وصفد وطرابلس وأنطاكية وجميع ما والى ذلك ,وقتلوا من المسلمين خلقًا وأممًا لا يحصيهم إلا الله ,وسبوا ذراري المسلمين من النساء والولدان مما لا يحد ولا يوصف ,وكل هذه البلاد كانت الصحابة قد فتحوها وصارت دار إسلام ,وأخذوامن أموال المسلمين ما لا يحد ولا يوصف ,وكادوا أن يتغلبوا على دمشق ولكن الله سلم ,وحين زالت أيامهم وانْتَقَضَ إبرامهم أعاد الله عز وجل هذه البلاد كلها إلى المسلمين بحوله وقوته وجوده ورحمته.

وقال السيوطي ولم أورد أحدًا من الخلفاء العبيدين لأن إمامتهم غير صحيحة لأمور:

منها: أنهم غير قرشيين وإنما سمتهم بالفاطميين جهلة العوام وإلا فجدهم مجوسي، قال القاضي عبد الجبار البصري: اسم جد الخلفاء المصريين سعيد وكان أبوه يهوديا حدادا نشابة، وقال القاضي أبو بكر الباقلاني: القداح جد عبيد الله الذي يسمي علماء النسب، وسماهم جهلة الناس الفاطميين، قال ابن خلكان: أكثر أهل العلم لا يصححون نسب المهدي عبيد الله جد خلفاء مصر حتى إن العزيز بالله ابن المعز في أول ولايته صعد المنبر يوم الجمعة فوجد هناك ورقة فيها هذه الأبيات:

إنما سمعنا نسبا منكـــــرا ... يتلى على المنبـــر في الجامـع
إن كنت فيمـا تدعي صـــادقًا ... فاذكر أبًا بعد الأب الســـابـع
إن تُرد تحقيـــقَ مـا قلتُـه ... فَانسب لنا نفســك كالطائـع
أو لا دَعِ الأنساب مستـــورة ... وادخل بنا في النسب الواسـع
فإن أنساب بني هاشـــــم ... يقصر عنها طمـع الطامـــع

وكتب العزيز إلى الأموي صاحب الأندلس كتابا سبه فيه وهجاه فكتب إليه الأموي: «أما بعد فإنك عرفتنا فهجوتنا ولو عرفناك لأجبناك». فاشتد ذلك على العزيز فأفحمه عن الجواب - يعني أنه دعي لا تعرف قبيلته - قال الذهبي: المحققون متفقون على أن عبيد الله المهدي ليس بعلوي وما أحسن ما قال حفيده المعز صاحب القاهرة - وقد سأله ابن طباطبا العلوي عن نسبهم - فجذب سيفه من الغمد وقال: هذا نسبي ونثر على الأمراء والحاضرين الذهب وقال: هذا حسبي.

ومنها: أن أكثرهم زنادقة خارجون عن الإسلام ومنهم من أظهر سب الأنبياء ومنهم من أباح الخمر ومنهم من

أمر بالسجود له والخير منهم رافضي خبيث لئيم يأمر بسب الصحابة رضي الله عنهم ومثل هؤلاء لا تنعقد لهم بيعة ولا تصح لهم إمامة.

قال القاضي أبو بكر الباقلاني: كان المهدي عبيد الله باطنيًا خبيثًا حريصًا على إزالة ملة الإسلام، أعدم العلماء والفقهاء ليتمكن من إغواء الخلق وجاء أولاده على أسلوبه: أباحوا الخمر والفروج وأشاعوا الرفض.

وقال الذهبي: كان القائم بن المهدي شرًا من أبيه زنديقًا ملعونًا أظهر سب الأنبياء وقال: وكان العبيديون على ملة الإسلام شرا من التتر.

وقال أبو الحسن القابسي: إن الذين قتلهم عبيد الله وبنوه من العلماء والعباد أربعة آلاف رجل ليردوهم عن الترضي عن الصحابة فاختاروا الموت فيا حبذا لو كان رافضيا فقط ولكنه زنديق.

وقال القاضي عياض: سئل أبو محمد القيرواني الكيزاني من علماء المالكية عمن أكرهه بنو عبيد - يعني خلفاء مصر - على الدخول في دعوتهم أو يقتل ؟ قال: يختار القتل ولا يعذر أحد في هذا الأمر، كان يمكن دخوله قبل أن يعرف أمرهم وأما بعد فقد وجب الفرار، فلا يعذر أحد بالخوف بعد إقامته لأن المقام في موضع يطلب من أهله تعطيل الشرائع لا يجوز وإنما أقام من أقام من الفقهاء على المباينة لهم لئلا تخلو للمسلمين حدودهم فيفتنوهم عن دينهم.

وقال يوسف الرعيني: أجمع العلماء بالقيروان على أن حال بني عبيد حال المرتدين والزنادقة لما أظهروا من خلاف الشريعة.

وقال ابن خلكان: وقد كانوا يدعون علم المغيبات وأخبارهم في ذلك مشهورة حتى إن العزيز صعد يوما المنبر فرأى ورقة فيها مكتوب:

بالظلم والجور قد رضينا ... وليس بالكفر والحماقة

إن كنت أعطيت علم غيب ... بين لنا كاتب البطاقة

وكتبت إليه امرأة قصة فيها: بالذي أعز اليهود بميشا والنصارى بابن نسطور وأذل المسلمين بك إلا نظرت في أمري وكان ميشا اليهودي عاملا بالشام وابن نسطور النصراني بمصر

ومنها: أن مبايعتهم صدرت والإمام العباسي قائم موجود سابق البيعة فلا تصح إذ لا تصح البيعة لإمامين في وقت واحد والصحيح المتقدم. اهـ. [تاريخ الخلفاء ج ١ / ص ١٢].

تسلط البويهيين على الخليفة العباسي

وفي خلافة المستكفي تسلط أحمد بن بويه علي الخلافة العباسية وتلقب بمعز الدولة وكان رافضيًا خبيثًا أذل الخلفاء من بني العباس وقمع السنة ونصر البدعة.

لم يخف البويهيون تشيعهم، بل شجعوا أتباع المذهب الشيعي في بغداد للقيام بالأعمال الاستفزازية ضد أهل السنة، فكانت لا تمر سنة دون شغب واصطدامات تقع بين السنة والشيعة تذهب فيها الأرواح، والممتلكات وتحرق الأسواق، وجاء في حوادث ٣٥١هـ: وكتب الشيعة في بغداد بأمر معز الدولة على المساجد بلعن معاوية والخلفاء الثلاثة والخليفة العباسي لا يقدر على منع ذلك، وفي سنة ٣٥٢هـ أمر معز الدولة الناس أن يغلقوا دكاكينهم ويبطلوا الأسواق والبيع والشراء وأن يظهروا النياحة وأن يخرج النساء منتشرات الشعور، مسودات الوجوه، يدرن في البلد بالنوائح ويلطمن وجوههن على الحسين بن علي - رضي الله عنه - ففعل الناس ذلك ولم يكن للسنة قدرة على المنع منه لكثرة الشيعة ولأن السلطان معهم، وهذا أول مانيح عليه وقد وصف ابن كثير ما يفعل الشيعة من تعدي لحدود الله في دولة بني بويه في حدود الأربعمائة وما حولها فقال: فكانت الدَّبادب، تضرب ببغداد ونحوها من البلاد في يوم عاشوراء ويُذرُّ الرماد والتبن في الطرقات والأسواق وتعلق المسوح على الدكاكين ويظهر الناس الحزن والبكاء وكثير منهم لا يشرب الماء ليلتئذ موافقة للحسين، لأنه قتل عطشان ثم تخرج النساء حاسرات عن وجوههن ينحن ويلطمن وجوههن وصدورهن حافيات في الأسواق إلى غير ذلك من البدع الشنيعة والأهواء الفظيعة والهتائك المخترعة.

وأول إشارة إلى الفتن بين الشيعة وأهل السنة خلال العصر البويهي حصلت سنة ٣٣٨هـ / ٩٥١م وقد كان من نتيجتها أن نهبت الكرخ (٣)، وفي رمضان من سنة ٣٤٠هـ / ٩٥١م وقعت فتنة عظيمة بالكرخ بسبب المذهب (٤)، وفي السنة نفسها ظهر ببغداد رجل أدعى بأن أرواح الأنبياء والصديقين تنتقل إليه، وقد وجدت في داره كتباً تدينه بالزندقة فتم القبض عليه: فلما تحقق أنه هالك أدعى أنه شيعي ليحضر عند معز الدولة ابن بويه وقد كان معز الدولة ابن بويه يؤيد الرافضة، فلما اشتهر عنه ذلك، لم يتمكن الوزير منه خوفاً على نفسه من معز

الدولة وأن تقوم عليه الشيعة، إنا لله وإنا إليه راجعون.

وحدث في سنة ٣٤١هـ أن ظفر الوزير المهلبي بقوم من التناسخية وفيهم امرأة تزعم أن روح فاطمة رضي الله عنها، انتقلت إليها، وفيهم آخر يزعم أنه جبريل، فضربوا فتعذروا بالانتماء لأهل البيت فأمر معز الدولة بإطلاقهم لتشيع كان فيهم، والمشهور عن بني بويه التشيع والرفض، وهكذا كان لمغالاة بني بويه في التشيع نتائج سيئة الأثر حيث عمت الفوضى والانحرافات العقدية ولم تعد الفوضى قاصرة على بغداد أو مدن العراق الأخرى، بل شملت بعض أنحاء الدولة العباسية الأخرى.

وفي سنة ٣٤٦ تجددت الفتنة بين السنة والشيعة في بغداد بسبب سب الصحابة وكان من نتيجة ذلك أن قتل من الفريقين خلق كثير دون أن تتحرك السلطة لمعالجة الصراع وفي السنة التالية ٣٤٧هـ انتشرت ظاهرة سب وتكفير الصحابة في كثير من البلدان، واشتدت الفتنة الطائفية بين الرافضة والسنة ووقعت في جمادى الأولى سنة ٣٤٨هـ حرب شديدة بين أتباع مذاهب السلف من أهل بغداد والمتشيعة وقتل فيها جماعة واحترق من البلد كثير وفي السنة التي تلت، أي سنة ٣٤٩هـ وبسبب الفتنة الطائفية تعطلت صلاة الجمعة في جميع مساجد بغداد، وفي سنة ٣٥١هـ كتب العامة على مساجد بغداد لعن معاوية بن أبي سفيان ولعن من غصب فاطمة فدكاً، ومن أخرج العباس من الشورى ومن نفي أبا ذر الغفاري ومن منع دفن الحسن عند جده.

ولم يمنع معز الدولة ذلك وقد ثار أهل السنة من هذا التعريض المباشر بصحابة النبي ﷺ، وخصوصاً الخلفاء الراشدين الثلاثة الأول وأقدموا خلال ساعات الليل على إزالة الشعارات التي رفعها الرافضة، غير أن الأمير البويهي معز الدولة أصر على ضرورة إعادة تلك الشعارات وإبقائها مرفوعة رغم ما تشكل من تحد سافر لمشاعر عموم المسلمين من إتباع مذاهب السلف وأهل السنة، وقد نصحه وزيره المهلبي بالامتناع عن ذلك مداراة للرأي العام وبأن يكتب مكان ما محى: لعن الله الظالمين لآل رسول الله ﷺ، وصرحوا بلعنة معاوية فقط.

قال الذهبي: وضاع أمر الإسلام بدولة بني بويه وبني عبيد الرافضة، وتركوا الجهاد وهاجت نصارى الروم، وأخذوا المدائن وقتلوا وسبوا. وقال: فلقد جرى على الإسلام في المئة الرابعة بلاء شديد بالدولة العبيدية بالمغرب، وبالدولة البُويهية بالمشرق، وبالأعراب القرامطة، فالأمر لله تعالى.

وقال عن عضد الدولة أبو شجاع فنّاخسرو:.. وكان شيعياً جلداً أظهر بالنجف قبراً زعم أنه قبر الإمام علي بنى عليه المشهد، وأقام شعار الرفض ومأتم عاشوراء، ونُقل أنه لما احتُضر ما انطلق لسانه إلا بقوله تعالى: ﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾.

انتهاء التسلط الشيعي

ساند السلاجقة الخلافة العباسية في بغداد ونصروا مذهبها السنّي بعد أن أوشكت على الانهيار بين النفوذ البويهي الشيعي في إيران والعراق، والنفوذ العبيدي (الفاطمي) في مصر والشام. فقضى السلاجقة على النفوذ البويهي تماماً وتصدوا للخلافة العبيدية (الفاطمية).

لقد استطاع طغرل بك الزعيم السلجوقي أن يسقط الدولة البويهية في عام ٤٤٧هـ في بغداد وأن يقضي على الفتن وأزال من على أبواب المساجد سب الصحابة، وقتل شيخ الروافض أبي عبدالله الجلاب لغلوه في الرفض.

ثم كان السقوط التام للدولة العبيدية علي يد صلاح الدين، رحمه الله.

وقد مدح علماء أهل السنة وفقهاؤهم وحكامهم هذا الفعل الجميل لصلاح الدين؛ ألا وهو القضاء على دولة العبيديين الرافضية الباطنية ,وأكثر الشعراء القصائد في مدح صلاح الدين فقال بعضهم:

أبدتم دولة الكفر من بني عبيد ... بمصر إن هذا هو الفضل

زنادقة شيعية باطنية مجوس ... وما في الصالحين لهم أصل

يُسرون كفرًا يظهرون تشيعًا ... ليستروا سابور عمهم الجهل

هكذا يكون حال الأمة المسلمة في زمن التخاذل والفرقة والغثائية، فكيف إذا تسلط أهل البدع والضلالات فقمعوا السنة، وحاربوا أهلها، واستعانوا بأهل الكفر والشرك؟

فنسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يحفظ على هذه الأمة دينها ووحدتها، وأن يردها إلى الحق ردًا جميلاً. والله من وراء القصد.

المراجع

- دولة السلاجقة للدكتور الصلابي.
- تاريخ الخلفاء للسيوطي.
- البداية والنهاية لابن كثير.

معالم التوحيد

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فإن الله خلق الخلق ليعبدوه وبالألوهية يفردوه؛ قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، ولقد بعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، وداعين إلى عبادة الله وحده لا شريك له، قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]. ولأجل هذا كانت العبادات المشروعة علامةً على هذا التوحيد وتأكيدا له؛ فالصلوات لإقامة ذكر الله، قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤]، والله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت .والصوم عبودية خالصة لله تعالى كما جاء في الحديث المتفق عليه: «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به». والمال مال الله يستخلف فيه عباده، والزكاة حق الله في هذا المال قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (٢٤) لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [المعارج: ٢٤، ٢٥].

والحج لزيارة بيت الله الحرام، وإدامة ذكر الله وإعلان الطاعة والانقياد له سبحانه وتعظيم شعائره وشرائعه. وتتجلى معالم التوحيد في الحج في كل شعيرة من شعائره، وموقف من مواقفه وعمل من أعماله وذكر من أذكاره.

أولا: بناء البيت العتيق

أمر الله خليله إبراهيم عليه السلام أن يبني البيت الحرام ليكون مثابة للناس وأمنا، وليكون قبلة للمؤمنين الموحدين ومنارة لنداء التوحيد فكان إبراهيم يبني ويرفع القواعد من البيت ومعه ولده إسماعيل وهما يدعوان الله تعالى: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]، وهذا الدعاء منهما عليهما السلام وهما يبنيان البيت من أدل الدلائل على توحيدهما، ورجائهما في الله تعالى، وخوفهما ألا يقبل عملهما، وكان بعض السلف يبكي إذا قرأ هذه الآية: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ [البقرة: ١٢٧]، ثم يقول: يا خليل الرحمن، ترفع قوائم بيت الرحمن وأنت مشفق أن لا يتقبل منك. وأراد الله تعالى أن يكون هذا البيت الذي بناه إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام موضعاً للمناسك، ومكاناً للطواف، وأمر سبحانه بتطهيره من كل ما يعارض التوحيد ثم قام ولدهما محمد الخليل الثاني بتطهير البيت من الأصنام والأوثان يوم فتح مكة وهو يتلو قول الله تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]، ثم بين النبي ﷺ للناس مناسكهم ومشاعرهم ليبقى البيت منارة للتوحيد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وجعل يقول للناس: «خذوا عني مناسككم» ويقول: «قفوا على مشاعر أبيكم إبراهيم». قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (١٢٥) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٢٦) وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٥-١٢٩]. وقال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لاَّ تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (٢٦) وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللّهِ فِي أَيَّامٍ

في الحج

د. جمال المراكبي
بقلم/ الرئيس العام
WWW.ELMARAKBY.COM

مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (٢٨) ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ (٢٩) ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ (٣٠) حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ (٣١) ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٢٦-٣٢].

ثانياً: التلبية شعار المؤمنين الموحدين

التلبية شعار الحجيج منذ نادى إبراهيم في الناس بالحج ممتثلاً قول الله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾.

لقد كان العرب في الجاهلية يحجون ويلبون، ولكنهم يلبسون حجهم وتلبيتهم بما كانوا عليه من الشرك بالله فيقولون: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك، إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك».

وجاء النبي الخاتم ﷺ ليعلن التوحيد ويهدم أركان الشرك، لبى بالتوحيد: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك». وكان بعض الناس يزيد على تلبية رسول الله ﷺ فلم ينكر عليهم ماداموا على التوحيد، ولكنه ﷺ التزم هذه التلبية لا يزيد عليها، ففيها توحيد الله عز وجل، ونفي الشريك عنه، وإثبات الحمد والنعمة والملك لله وحده لا شريك له.

وقد صح عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يلبي بتلبية رسول الله ﷺ ويزيد مع هذا: «لبيك وسعديك، والخير بيديك، والرغباء إليك والعمل». رواه مسلم. «لبيك مرغوبًا ومرهوبًا إليك، ذا النعماء والفضل الحسن». [ابن أبي شيبة، كما ذكره ابن حجر فتح الباري: ٣/٤١٠].

ويروى عن أنس: «لبيك حجًا حقًا تعبدًا ورقًا».

وتبدأ التلبية عند الإهلال، وتستمر حتى يرى المعتمر الكعبة فيقطع التلبية ويبدأ الطواف، وتستمر مع الحاج حتى يرمي جمرة العقبة يوم النحر.

ويستحب رفع الصوت بالتلبية، فأفضل الحج العج والثج، والعج: رفع الصوت بالتلبية، والثج: إراقة الدماء يوم النحر (أي ذبح الهدي والأضحية).

وفي الحديث يقول النبي ﷺ: «أتاني جبريل فقال: يا محمد، مُر أصحابك أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية فإنها من شعائر الحج». رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي.

وتكرار التلبية، وتكرار لفظ لبيك يفيد استمرار الإجابة أي إجابة بعد إجابة وقيل التلبية من اللزوم والإقامة، والمعنى: أقمت ببابك إقامة بعد أخرى وأجبت نداءك مرة بعد أخرى، ولازمت الإقامة على طاعتك.

ولقد كان الصحابة يلبون إذا دعاهم رسول الله ﷺ فيقول الواحد منهم: لبيك رسول الله وسعديك، فالتلبية لرسول الله ﷺ متابعة هديه وسنته، والتلبية لله توحيد وطاعة، والمؤمن لا ينفك عن التلبية والاستجابة حتى يلقى الله عز وجل، ومن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، وبشرته الملائكة برضوان الله فاستبشر، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه.

وجزاء المستجيبين لله ولرسوله الجنة قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [الرعد: ١٨].

ثالثاً: تعظيم البيت من تعظيم رب البيت سبحانه وتعالى

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٩٦].

وتعظيم البيت العتيق يكون بالتوجه إليه في الصلاة كما قال تعالى: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة: ١٤٤]، ويكون كذلك بالطواف به، واستلام الركنين اليمانيين، وتقبيل الحجر الأسود، اقتداءً برسول الله ﷺ.

لقد أمر الله بالطواف ببيته فقال تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ مما يدل على أن الطواف خاص بهذا البيت فلا يجوز الطواف ببيت غيره على وجه الأرض، لا بالأضرحة ولا بالأشجار ولا بالأحجار. ومن هنا يعلم الحاج أن كل طواف بغير البيت العتيق فهو باطل، وليس عبادة لله عز وجل، وإنما هو عبادة لمن شرعه وأمر به من شياطين الإنس والجن.

ومن مظاهر توحيد الله في الطواف بالبيت العتيق: أن الطائف حين يستلم الركن اليماني والحجر الأسود يعتقد أنه يستلمهما لأنهما من شعائر الله فهو يستلمهما طاعة لله واقتداء برسوله ﷺ، ولهذا قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما استلم الحجر وقبله: والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك.

ومن مظاهر التوحيد أن الطائف بالبيت العتيق يصلي خلف مقام إبراهيم ركعتين خفيفتين يقرأ فيهما بفاتحة الكتاب وسورتي الإخلاص، فيقرأ في الأولى سورة البراءة من الشرك ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الكافرون: ١، ٢]، ويقرأ في الثانية سورة الإخلاص التي هي صفة الرحمن والتي تعدل ثلث القرآن.

رابعاً: السعي بين جبلي الصفا والمروة والدعاء والتهليل فيه

لقد كان رسول الله ﷺ يصعد جبلي الصفا والمروة ويسعى بينهما ممتثلاً أمر الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: ١٥٨]، فيبدأ بجبل الصفا قائلاً: «أبدأ بما بدأ الله به» ثم يصعد الجبل ويرفع يديه مستقبلاً البيت معلناً توحيد الله قائلاً: «لا إله إلا الله، والله أكبر، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده» ثم يدعو بما تيسر رافعا يديه، ويكرر هذا الذكر والدعاء ثلاث مرات.رواه مسلم.

خامساً: دعاء يوم عرفة

سار النبي ﷺ بأصحابه إلى عرفة وكان من أصحابه الملبِّي، ومنهم المُكبِّرُ، وهو يسمعُ ذلك ولا يُنْكِرُ على هؤلاء ولا على هؤلاء، فوجد القُبَّةَ قد ضُرِبَتْ له بنَمِرَة بأمره، فنزل بها، حتى إذا زالت الشمسُ، أمر بناقته القَصواء فَرُحِلتْ، ثم سار حتى أتى بَطن الوادي من أرض عُرَنَةَ ,فخطب النَّاسَ وهو على راحلته خُطبة عظيمة قرَّرَ فيها قواعد الإسلام، وهَدَمَ فيها قواعدَ الشِّرْك والجاهلية، وقرَّر فيها تحريمَ المحرَّمات التي اتفقت المللُ على تحريمها، وهي الدِّماءُ، والأموالُ، والأعراض، ووضع فيها أُمورَ الجاهلية تحتَ قدميه، ووضع فيها ربا الجاهلية كُلَّه وأبطله، وأوصاهم بالنساء خيراً، وذكر الحقَّ الذي لهن والذي عليهن، وأن الواجبَ لهن الرزقُ والكسوةُ بالمعروف، ولم يُقدِّر ذلك بتقدير، وأوصى الأُمَّة فيها بالاعتصام بكتاب الله، وأخبر أنهم لن يَضِلُّوا ما داموا معتصمين به، ثم أخبرهم أنهم مسئولون عنه، واستنطقهم: بماذا يقولُون، وبماذا يشهدون، فقالوا: نشهد أنك قد بَلَّغْتَ وأدَّيْتَ ونَصَحْتَ، فرفع أُصبعه إلى السماء، واستشهد اللهَ عليهم ثلاثَ مرات، وأمرهم أن يُبلِّغ شاهدُهم غائبَهم، ثم صلى الظهر والعصر جمعًا وقصرًا، فلما فرغ من صلاته، ركب حتى أتى الموقفَ، فوقف، واستقبل القِبْلة، فأخذَ في الدُّعاء والتضرُّع والابتهال إلى غروب الشمس، وأمر النَّاس أن يرفعُوا عن بطن عُرَنَةَ، وأخبر أن عرفة لا تختص بموقفه ذلك، بل قال: «وقَفْتُ هاهنا وعَرَفَةُ كلُّها مَوْقِفٌ».

وكان في دعائه رافعاً يديه إلى صدره كاستطعام المسكين، وأخبرهم أنَّ خَيْرَ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ.

وذكر الإمام أحمد: من حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدِّه قال: كان أكثرُ دُعاء النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ عَرَفَةَ: «لا إله إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ ولَهُ الحمدُ، بيدِه الخَيْرُ وَهُوَ عَلى كُلِّ شيءٍ قَدير».

وذكر البيهقيُ من حديث عليّ رضي الله عنه، أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أَكْثَرُ دُعائي ودُعاءِ الأَنْبياءِ مِنْ

قَبْلِي بِعَرَفَةَ: لا إله إلاَّ الله وَحْدَه لا شَرِيكَ لَه، لَهُ المُلْكُ ولَهُ الحَمْدُ وهُوَ عَلى كُلِّ شَيءٍ قَدِير». [زاد المعاد].

سادساً: الحج يذكر بمواطن ومشاهد الآخرة

ويتجلى هذا حينما يترك الحاج وطنه وبلده وأهله وولده قادماً على الله عز وجل، فيتجرد من ثيابه ويلبس إزاراً ورداءً أبيضين نظيفين كأنهما أكفان الموتى، ويقف مع الحجيج على صعيد عرفات فيتذكر الموقف العظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين

قال بعض العلماء: من أعظم معاني التوحيد في الحج أن الحج يذكر الإنسان بالآخرة، فإن الإنسان من أول لحظة في الحج إذا خرج من بيته يتوجه إلى الميقات، فيأتيه أمر الله عز وجل في الميقات أن يتجرد من ثيابه، وأن ينزع عنه المخيط. فإذا تجرد من ثيابه تذكر إذا جرده أهله من ثيابه حين يموت ليغسلوه، هو اليوم يجرد نفسه؛ ولكنه غداً يُجَرَّدُ. ثم إذا لبس ثياب الإحرام فإنه يتذكر لبس الأكفان، وعندما يلبس ثياب الإحرام فإنه يمنع من الطيب، ومن قص الشعر، ومن الترفه، فيتذكر أنه إذا صار إلى قبره يحال بينه وبين أي شيء من ملاذ الدنيا ومتعها وما فيها من الشهوات والملهيات، كذلك هو في حجه يُمنع من هذه الأمور لكي يتذكر الآخرة.

ثم إذا صار إلى صعيد عرفات تذكر وقوف الناس بين يدي الله عز وجل حفاة عراة غرلاً، فيتذكر مثل هذه المواقف؛ ولذلك يقولون: الحج يعين على تذكر الآخرة.

قال أبو العتاهية:

لعَمْرُكَ، ما الدّنيا بدارِ بَقَـــاء ؛ كَفَاكَ بدارِ المَوْتِ دارَ فَنَـــاء
فَـلا تَعشَقِ الدّنْيا، أُخَيَّ، فإنّمَا يُرَى عاشِقُ الدُّنيَـا بجَهْدِ بَـلاَء
حَـلاَوَتُهَا مَـمْـزُوجَـةٌ بمـرارةٍ ورَاحتُهَـا ممـزوجَـةٌ بعَنَـاء
فَـلا تَمـشِ يَوْماً في ثِيابٍ مَخيلَةٍ فإنَّكَ مِـن طِـينٍ خلقـتَ ومَـاء
لَقَـلَّ امـرُؤٌ تَلقاهُ للـه شاكِـراً وقَـلَّ امـرؤٌ يرضَـى لهُ بقضَـاء
وللّـه نَعْمَـاءٌ عَلَينـا عَظِيمَـةٌ وللـه إحسـانٌ وفضلُ عطـاء
أزُورُ قبـورَ المترفينَ فَـلا أرَى بَهاءً، وكانـوا، قَبلُ، أهـل بهـاء

سابعاً: ذكر الله في الحج

فالحاج يأتي ربه ذاكرًا ملبيًا مستجيبًا، قد تجرد من دنياه، وترك بلده وأرضه وأهله وثياب زينته، وأقبل على الله أشعث أغبر مُحْرِمًا، يلبي ويكبر، ويدعو ويستغفر، ويقف عند المشاعر وقد تملكته مشاعر الحب والرغبة والرهبة والخوف والرجاء، ولا يفتر قلبه ولا لسانه عن ذكر ربه وخالقه ومولاه.

وقد أمر الله عز وجل الحاج بذكره، وكرر الأمر في مواضع من كتابه العزيز، حتى لا تكاد تجد آية في كتاب الله عز وجل تخاطب الحاج إلا وتجد فيها الأمر بذكر الله عز وجل.

قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ (١٩٨) ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٩٩) فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ (٢٠٠) وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (٢٠١) أُوْلَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٢٠٢) وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [البقرة: ١٩٨- ٢٠٢].

وقد ختمت هذه الآيات بذكر الله تعالى تنويهًا بختام الحج بالذكر، فكما يبدأ الحج بالذكر ينتهي بالذكر.

هذا، وقد سبق أن كتبنا مقالاً مفصلاً عن ذكر الله في الحج يُغني عن إعادته.

فانظر رحمك الله إلى هذه العبادة الجليلة وما فيها من المشاعر التي تجيش لها المشاعر فتنبض القلوب المؤمنة بذكر الله عز وجل وإعلان الاستجابة لندائه سبحانه والتوجه إليه وحده لا شريك له.

نسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل والسر والعلن وأن يملأ قلوبنا بطاعته ومحبته وتعظيمه وخشيته، وأن يرزقنا حج بيته، وأن يقبل عباده الذاكرين الملبين، وأن يردهم إلى أهليهم سالمين غانمين بحج مبرور وذنب مغفور وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

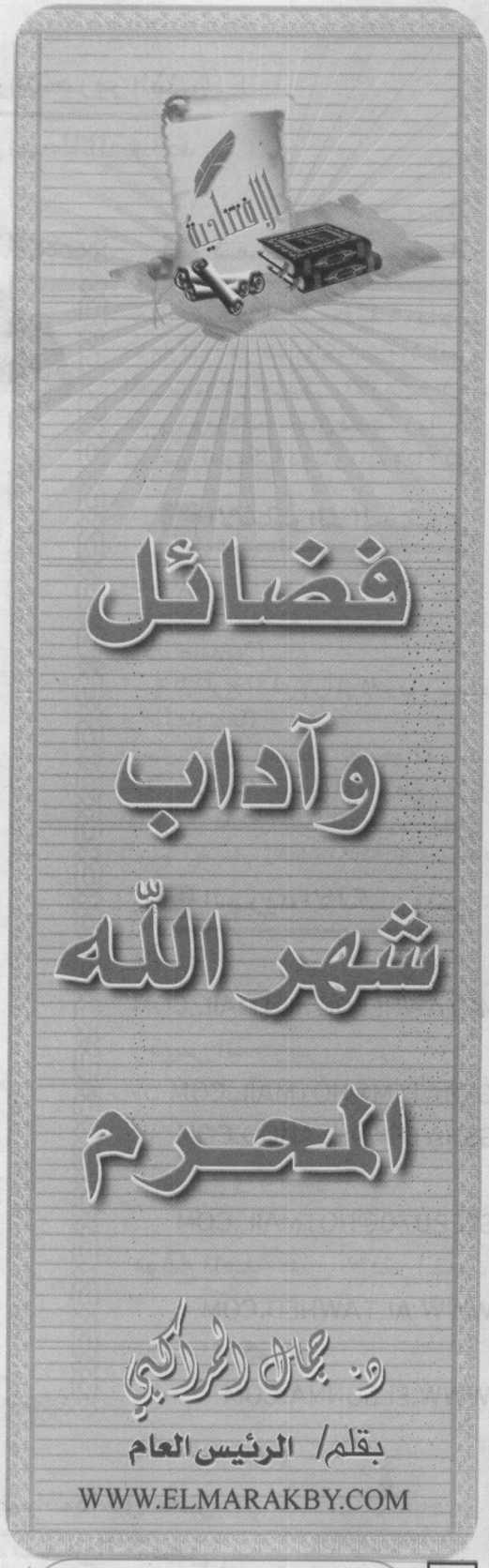

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الرسول الأمين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن الله سبحانه وتعالى فضل بعض الأيام والشهور على بعض، فخير الأيام عند الله يومُ النحر، وهو يومُ الحج الأكبر كما في «السنن» عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «أَفْضَلُ الأَيَّامِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمُ النَّحْرِ، ثُمَّ يَوْمُ القَرِّ». وقيل: يومُ عرفة أفضلُ منه، وهذا هو المعروف عند أصحاب الشافعي قالوا: لأنه يومُ الحج الأكبر، وصيامُه يكفر سنتين، وما مِنْ يَوْمٍ يَعْتِقُ اللهُ فيه من الرقاب مثل يوم عرفة. وكذلك فضل عشر ذي الحجة على غيره من الأيام، فإنَّ أيامه أفضلُ الأيام عند الله، وقد ثبت في الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ أَيَّامٍ العَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنْ هذه الأَيَّامِ العَشْرِ» قَالُوا: وَلاَ الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ قَالَ: «وَلاَ الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ، إِلاَّ رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، ثُمَّ لَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ». [رواه ابن حبان والبيهقي، وصححه الألباني].

وهي الليالي العشر التي أقسم الله بها في كتابه بقوله: «وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ» [الفجر: ٢،١] ولهذا يُستحب فيها الإكثارُ من التكْبير والتهليل والتحميد، كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَأَكْثِرُوا فِيهِنَّ مِنَ التَّكْبِيرِ وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّحْمِيدِ».

وَمِنْ ذَلِكَ تفضيلُ شهر رمضان على سائر الشهور، وتفضيلُ عشره الأخير على سائر الليالي، وتفضيلُ ليلة القدر على ألف شهر. هذا وقد فضل الله شهر المحرم بأن نسبه إليه وجعله شهرا حراما وجعل الصيام فيه أفضل من غيره من الشهور بعد الفريضة. قال الله تعالى: «إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (٣٦) إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلِّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِؤُواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ» [التوبة: ٣٦، ٣٧].

وقد أجمع العلماء على أن الأشهر الأربعة المذكورة هي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقد اختلف في الابتداء بعددها فذهب أهل المدينة إلى أنه يبتدأ بذي القعدة فيقال ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ويحتجون على ذلك بأن النبي عدها في خطبة حجة الوداع كذلك فقال السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاثة متواليات وواحد فرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب واختاره أبو جعفر النحاس.

وذهب أهل الكوفة إلى أنه يبتدأ بالمحرم فيقال المحرم ورجب وذو القعدة وذو الحجة ليأتوا بها من سنة واحدة. وكانت العرب في الجاهلية مع ما هم عليه من الضلال والكفر يعظمون هذه الأشهر ويحرمون القتال فيها حتى لو لقي الرجل فيها قاتل أبيه لم يهجه

إلى أن حدث فيهم النسيء فكانوا ينسئون المحرم فيؤخرونه إلى صفر فيحرمونه مكانه وينسئون رجبًا فيؤخرونه إلى شعبان فيحرمونه مكانه ليستبيحوا القتال في الأشهر الحرم.

واعلم أنه يجوز أن يضاف لفظ شهر إلى جميع الأشهر فيقال شهر المحرم وشهر صفر وشهر ربيع الأول وكذا في البواقي على أن منها ثلاثة أشهر لم تكد العرب تنطق بها إلا مضافة إليها وهي شهرا ربيع وشهر رمضان ويؤيد ذلك في رمضان ما ورد به القرآن من إضافته قال تعالى: «شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ» [البقرة: ١٨٥].

ويقال في المحرم أيضًا شهر الله المحرم ويقال في الربيعين ربيع الأول وربيع الآخر وفي الجمادين جمادى الأولى وجمادى الآخرة.

قال النحاس: وإنما قالوا ربيع الآخر وجمادى الآخرة ولم يقولوا ربيع الثاني وجمادى الثانية كما قالوا السنة الأولى والسنة الثانية لأنه إنما يقال الثاني والثانية لما له ثالث وثالثة ولما لم يكن لهذين ثالث ولا ثالثة قيل فيهما الآخر والآخرة كما قيل الدنيا والآخرة.

ويقال في رجب الفرد لانفراده عن بقية الأشهر الحرم ويقال فيه أيضا رجب مضر الذي بين جمادى وشعبان، ويقال في شعبان: المكرم لتكرمته وعلو قدره، وفي رمضان: المعظم لعظمته وشرفه، وفي شوال: المبارك للفرق بينه وبين شعبان خشية الالتباس في الكتابة، ويقال في كل من ذي القعدة وذي الحجة الحرام كما قال النبي في خطبة عرفة:«أي يوم هذا؟ فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: أليس يوم الحج الأكبر؟ قلنا: بلى. ثم قال: أي شهر هذا؟ فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، فقال: أليس شهر الله المحرم ؟ قلنا: بلى».

صوم المحرم

عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال:«أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم». رواه مسلم.

قَالَ الْحَافِظ أَبُو الْفَضْل الْعِرَاقِيّ فِي شَرْح التِّرْمِذِيّ: الْحِكْمَة فِي تَسْمِيَة الْمُحَرَّم شَهْر اللَّه وَالشُّهُور كُلّهَا لِلَّهِ، يَحْتَمِل أَنْ يُقَال: إِنَّهُ لَمَّا كَانَ مِنْ الْأَشْهُر الْحُرُم الَّتِي حَرَّمَ اللَّه فِيهَا الْقِتَال وَكَانَ أَوَّل شُهُور السَّنَة أُضِيفَ إِلَيْهِ إِضَافَة تَخْصِيص، وَلَمْ يَصِحّ إِضَافَة شَهْر مِنْ الشُّهُور إِلَى اللَّه تَعَالَى عَنْ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا شَهْر اللَّه الْمُحَرَّم. وقال البغوي: نسبه إلى نفسه على جهة التعظيم مع أن الشهور كلها لله، كما قال الله سبحانه وتعالى: «نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا» [الشمس: ١٣]. وكان سفيان بن عيينة يقول في قوله عز وجل: «وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ» [الأنفال: ٤١]، نسب المغنم إلى نفسه لأنه أشرف الكسب، ولم يقل ذلك في الصدقة، فقال: «إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ» [التوبة: ٦٠] ولم يقل: لله، لأنها أوساخ الناس، واكتسابها مكروه إلا للمضطر إليها.

قال ابن رجب: ولما كان هذا الشهر مختصاً بإضافته إلى الله تعالى، وكان الصيام من بين الأعمال مضافاً إلى الله تعالى، ناسب أن يختص هذا الشهر المضاف إلى الله بالعمل المضاف إليه المختص به وهو الصيام.

وقال السيوطي: سئلت لم خص المحرم بقولهم: شهر الله دون سائر الشهور مع أن فيها ما يساويه في الفضل أو يزيد عليه كرمضان ووجدت ما يجاب به أن هذا الاسم إسلامي دون سائر الشهور فإن أسماءها كلها على ما كانت عليه في الجاهلية وكان اسم المحرم في الجاهلية صفر الأول، والذي بعده صفر الثاني فلما جاء الإسلام سماه الله المحرم فأضيف إلى الله بهذا الاعتبار وهذه الفائدة لطيفة رأيتها في الجمهرة.

قال القرطبي: إنما كان صوم المحرم أفضل الصيام من أجل أنه أول السنة المستأنفة فكان استفتاحها بالصوم الذي هو أفضل الأعمال.

فإن قلت: قد ثبت إكثار النبي ﷺ من الصوم في شعبان وهذا الحديث يدل على أن أفضل الصيام بعد صيام رمضان صيام المحرم، فكيف أكثر النبي ﷺ منه في شعبان دون المحرم ؟ قلت: لعله لم يعلم فضل المحرم إلا في آخر الحياة قبل التمكن من صومه، أو لعله كان يعرض فيه أعذار تمنع من إكثار الصوم فيه كسفر ومرض وغيرهما كذا نقله النووي رحمه الله في شرح مسلم عن القرطبي.

قال ابن رسلان: فإن قيل كيف كان رسول الله ﷺ يخص شعبان بصيام التطوع فيه مع أنه قال أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم فالجواب أن جماعة أجابوا عن ذلك بأجوبة غير قوية لاعتقادهم أن صيام المحرم أفضل من شعبان كما صرح به الشافعية وغيرهم، كما قال النووي: أفضل الشهر للصوم بعد رمضان الأشهر الحرم، وأفضلها المحرم، ويلي المحرم في الفضل رجب، والأظهر كما قال بعض الشافعية والحنابلة وغيرهم أن أفضل الصيام بعد شهر رمضان شعبان لمحافظته ﷺ على صومه أو صوم أكثره فيكون قوله أفضل الصيام بعد رمضان المحرم محمولا على التطوع المطلق وكذا أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل إنما أريد به تفضيل قيام الليل على التطوع المطلق دون السنن والرواتب التي قبل الفرض وبعده خلافا لبعض الشافعية، فكذلك ما كان قبل رمضان أو بعده من شوال تشبيهًا له بالسنن والرواتب. اهـ.

فمن أحب أن يصوم أفضل الصيام بعد شهر رمضان، فعليه أن يصوم في شهر الله المحرم، فصوم يوم من هذا الشهر أفضل من صوم أي يوم من أيام العام، ولا يُفهم من هذا القول أنه يُلغي أو يُبطل أفضلية صيام ما ورد الشرع بذكره والتنويه به وبيان فضله، مثل صيام الأيام البيض، أو صيام يومي الاثنين والخميس، أو

صيام يوم عرفة، فالتنويه بشيء ليس بالضرورة ملغيًا فضيلة غيره. ثم إن قولنا إن الصيام في المحرَّم أفضل الصيام، يعني تفضيل شهر المحرم في الصوم على غيره من الأشهر على العموم، ويبقى التنويه بأنواعٍ من الصيام على حاله من الفضل، وفي العاشر من هذا الشهر يومُ عاشوراء وصيامُه يكفِّر السنة التي قبله.

أحاديث في فضل الصوم في هذا الشهر

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرَّم». وعنه رضي الله عنه يرفعه «قال: سُئل: أي الصلاة أفضل بعد المكتوبة ؟ وأي الصيام أفضل بعد شهر رمضان ؟ فقال: أفضل الصلاة بعد الصلاة المكتوبة الصلاة في جوف الليل، وأفضل الصيام بعد شهر رمضان صيام شهر الله المحرم».

عن النعمان بن سعد عن علي رضي الله عنه قال «سأله رجل فقال: أي شهر تأمرني أن أصوم بعد شهر رمضان ؟ فقال له: ما سمعت أحداً يسأل عن هذا إلا رجلاً سمعتُه يسأل رسول الله ﷺ وأنا قاعد عنده فقال: يا رسول الله: أيَّ شهر تأمرني أن أصوم بعد شهر رمضان ؟ قال: إن كنتَ صائماً بعد شهر رمضان، فصم المحرَّم فإنه شهر الله فيه يومٌ تاب الله فيه على قوم ويتوب فيه على قومٍ آخرين». رواه الترمذي. وقال: هذا حديث حسن غريب. وأقرَّ المنذري تحسين الترمذي له. ورواه أحمد بلفظ عن علي قال: «أتى النبيَّ ﷺ رجلٌ فقال: يا رسول الله أخبرني بشهرٍ أصومُه بعد رمضان ؟ فقال رسول الله ﷺ: إن كنتَ صائماً شهراً بعد رمضان فصم المحرَّم، فإنه شهر الله، وفيه يوم تاب فيه على قوم، ويُتاب فيه على آخرين».

حدث في شهر الله المحرم

١- نجاة موسى ومن معه من المؤمنين من فرعون:

فإن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قدم المدينة، ووجد اليهود يصومون يوم العاشر من المحرم، فسألهم: لماذا تصومون؟ قالوا: إنه يوم نجى الله فيه موسى وقومه وأهلك فرعون وقومه، فنصومه شكراً لله، فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «نحن أولى بموسى منكم»، ثم صامه وأمر بصيامه.

٢- سرية أبي سلمة بن عبد الأسد إلى طليحة الأسدي سنة ٤ هـ.

وعاد أبو سلمة وقد نفر عليه جرح كان قد أصابه في أحد، فلم يلبث حتى مات.

٣- سرية محمد بن مسلمة قبل نجد، وهي التي أسر فيها ثمامة بن أثال سنة ٦ هـ.

وكانت أول سرية بعد الفراغ من الأحزاب وقريظة، وكان عدد قوات هذه السرية ثلاثين راكباً.

٤- خروجه ﷺ إلى خيبر سنة ٧ هـ.

٥- زواجه ﷺ بصفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها.

٦- وفاة أبي قحافة التيمي والد أبي بكر الصديق رضي الله عنهما سنة ١٤هـ.

٧- وفاة مارية أم إبراهيم بن رسول الله ﷺ سنة ١٦هـ.

٨- قتل الحسين رضي الله عنه يوم الجمعة، العاشر من المحرم، سنة ٦١هـ.

بداية التاريخ الهجري

اتفق المسلمون على أن يكون هذا الشهر هو افتتاح السنة، وذلك أن الناس فيما سبق حتى في أول عهد الإسلام كانوا لا يؤرخون، فأمة العرب أمة أمية لا تقرأ ولا تكتب، ربما يؤرخون مثلاً بعام الفيل، فيقولون: هذا حصل عام الفيل، لكن في عهد عمر رضي الله عنه عندما اتسعت رقعة الإسلام شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، وصارت الرسائل تأتيه، ويشتبه عليه: هل هذه الرسالة قبل الرسالة الأخرى أو بعدها؟ قال: لا بد من تاريخ، فتشاوروا كعادتهم في النوازل: من أين نبدأ التاريخ ؟ هل من مولد النبي عليه الصلاة والسلام، أو من بعثته، أو من هجرته؟ إن بدأ من مولده صار المسلمون أتباعاً للنصارى؛ لأن النصارى ابتدءوا التاريخ من مولد عيسى، والمسلمون أمة مستقلة، ذات طابع خاص،وكيان خاص متميزة عن غيرها. قالوا: إذاً نبدأ من البعثة؛ لأن ببعثته بدأ النور ينزل على هذه الأمة: «وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً» [النساء:١٧٤] فيكون من البعثة، ولكن البعثة لم يظهر فيها للإسلام دولة، ونحن نريد أن نؤرخ تاريخاً خاصاً بدولة الإسلام، والدولة لم تكن إلا بعد الهجرة، فإنه بعد الهجرة صار للأمة الإسلامية بلد خاص مستقلٌ. قالوا: إذاً يكون ابتداء التاريخ من الهجرة التي تكونت بها الدولة الإسلامية. ثم اختلفوا اختلافاً آخر قالوا: من أي الشهور؟ قال بعضهم: من شهر رمضان؛ لأنه الشهر الذي أنزل فيه القرآن. وقال آخرون: بل من شهر ربيع الأول؛ لأن ربيعًا الأول هو الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وهو الذي كانت فيه هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام، وهو الشهر الذي توفي فيه الرسول عليه الصلاة والسلام، ولكن يخشى أن يكون هذا ذكرى لوفاته، ثم اختاروا أن يكون ابتداء التاريخ من المحرم؛ لأنه الذي ينصرف فيه المسلمون من أداء آخر أركان الإسلام وهو الحج، فكأن شهر ذي الحجة به تمام الأركان، فبدأوا التاريخ من شهر المحرم.

عاشوراء بين السنة والبدعة

أولاً: صوم عاشوراء

روى البخاري في صحيحه، باب صوم عاشوراء: عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان يوم عاشوراء

تصومه قريش في الجاهلية وكان رسول الله ﷺ يصومه فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه فلما فرض رمضان ترك يوم عاشوراء فمن شاء صامه ومن شاء تركه».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال:«قدم النبي ﷺ المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء فقال:«ما هذا؟» قالوا هذا يوم صالح، هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى، قال:«فأنا أحق بموسى منكم»، فصامه وأمر بصيامه.

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: كان يوم عاشوراء تعده اليهود عيدًا قال النبي ﷺ:«فصوموه أنتم».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال:«ما رأيت النبي ﷺ يتحرى صيام يوم فضله على غيره إلا هذا اليوم يوم عاشوراء وهذا الشهر يعني شهر رمضان».

وعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال:«أمر النبي ﷺ رجلا من أسلم أن أذن في الناس أن من كان أكل فليصم بقية يومه ومن لم يكن أكل فليصم فإن اليوم يوم عاشوراء».

وعن إِسْمَاعِيلُ بْنُ أُمَيَّةَ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا غَطَفَانَ بْنَ طَرِيفٍ الْمُرِّيَّ يَقُولُ سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ - رضى الله عنهما - يَقُولُ حِينَ صَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ يَوْمٌ تُعَظِّمُهُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَإِذَا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - صُمْنَا الْيَوْمَ التَّاسِعَ». قَالَ فَلَمْ يَأْتِ الْعَامُ الْمُقْبِلُ حَتَّى تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ - رَضِى الله عنهما - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَئِنْ بَقِيتُ إِلَى قَابِلٍ لأَصُومَنَّ التَّاسِعَ».

قال الحافظ في الفتح: الأكثر على أن عاشوراء هو اليوم العاشر من شهر الله المحرم وهو مقتضى الاشتقاق والتسمية وقيل هو اليوم التاسع فعلى الأول فاليوم مضاف لليلته الماضية، وعلى الثاني هو مضاف لليلته الآتية، وقيل: إنما سمي يوم التاسع عاشوراء أخذًا من أوراد الإبل كانوا إذا رعوا الإبل ثمانية أيام ثم أوردوها في التاسع قالوا: وردنا عشرًا، بكسر العين.

وروى مسلم من طريق الحكم بن الأعرج انتهيت إلى بن عباس وهو متوسد رداءه فقلت أخبرني عن يوم عاشوراء قال إذا رأيت هلال المحرم فاعدد واصبح يوم التاسع صائمًا. قلت: أهكذا كان النبي ﷺ يصومه؟ قال: نعم وهذا ظاهره أن يوم عاشوراء هو اليوم التاسع. لكن قال الزين بن المنير: قوله: إذا أصبحت من تاسعة فأصبح يشعر بأنه أراد العاشر لأنه لا يصبح صائما بعد أن أصبح من تاسعة إلا إذا نوى الصوم من الليلة المقبلة وهو الليلة العاشرة.

قلت: ويقوى هذا الاحتمال ما رواه مسلم أيضًا من وجه آخر عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع». فمات قبل ذلك، فإنه ظاهر في أنه ﷺ كان يصوم العاشر وهم بصوم التاسع فمات قبل ذلك ثم ما هم به من صوم التاسع يحتمل معناه أنه لا يقتصر عليه بل يضيفه إلى اليوم العاشر إما احتياطا له وإما مخالفة لليهود والنصارى وهو الأرجح وبه يشعر بعض روايات مسلم ولأحمد من وجه آخر عن ابن عباس مرفوعا صوموا يوم عاشوراء وخالفوا اليهود صوموا يوماً قبله أو يوماً بعده وهذا كان في آخر الأمر، وقد كان ﷺ يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء ولا سيما إذا كان فيما يخالف فيه أهل الأوثان فلما فتحت مكة واشتهر أمر الإسلام أحب مخالفة أهل الكتاب أيضاً كما ثبت في الصحيح، فهذا من ذلك، فوافقهم أولاً، وقال: نحن أحق بموسى منكم. ثم أحب مخالفتهم فأمر بأن يضاف إليه يوم قبله ويوم بعده خلافا لهم، ويؤيده رواية الترمذي من طريق أخرى بلفظ أمرنا رسول الله ﷺ بصيام عاشوراء يوم العاشر، وقال بعض أهل العلم قوله ﷺ في صحيح مسلم لئن عشت إلى قابل لأصومن التاسع يحتمل أمرين أحدهما أنه أراد نقل العاشر إلى التاسع والثاني أراد أن يضيفه إليه في الصوم فلما توفي ﷺ قبل بيان ذلك كان الاحتياط صوم اليومين وعلى هذا فصيام عاشوراء على ثلاث مراتب أدناها أن يصام وحده وفوقه أن يصام التاسع معه وفوقه أن يصام التاسع والحادي عشر، والله أعلم.

ثانيا: بدع عاشوراء

قال ابن رجب: وكل ما رُوِيَ في فضل الاكتحال في يوم عاشوراء والاختضاب والاغتسال فيه فموضوع لا يصح. وأما التوسعة فيه على العيال فقال حرب: سألت أحمد عن الحديث الذي جاء: «من وسع على أهله يوم عاشوراء» فلم يره شيئا. وقال العقيلي: هو غير محفوظ وقد روي عن عمر من قوله وفي إسناده مجهول لا يعرف.

وأما اتخاذه مأتما كما تفعله الرافضة لأجل قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما فيه فهو من عمل من ضل سعيه في الحياة الدنيا وهو يحسب أنه يحسن صنعًا، ولم يأمر الله ولا رسوله باتخاذ أيام مصائب الأنبياء وموتهم مأتما فكيف بمن دونهم.

والله سبحانه وتعالى يعلم أننا نحب الحسين ونتولاه في الدنيا والآخرة ونحب كل آل بيت رسول الله ﷺ ونعلم أن الحسين قُتل شهيداً مظلوماً، ونبرأ إلى الله عز وجل ممن قتله، ونبرأ كذلك من منهج أهل الضلالة الذين يتاجرون بدم الحسين وهو منهم ومن منهاجهم براء.

والله من وراء القصد.

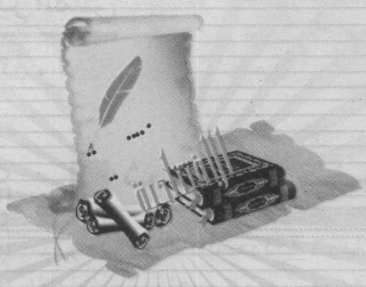

بيان للناس.. وتعليق على الأحداث

د. جمال المراكبي

بقلم/ الرئيس العام

WWW.ELMARAKBY.COM

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ,صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن سار على طريقته واتبع هداه إلى يوم الدين وعلى رسل الله أجمعين،

أما بعد:

فإن كل مسلم غيور على دينه وأمته ليتقطع قلبه ألمًا وحسرة لما يراه في غزة من دماء تسيل وأشلاء تتطاير، وما يسمعه من أنات الجرحى وصرخات الثكلى ونداءات المستضعفين واستغاثات المستغيثين تحت وابل من القنابل والصواريخ والأسلحة المحرمة دوليًا ,مع صمت دولي ,وعجز عربي ,وتراشق بالاتهامات ,وصراخ التظاهرات ,وعصابة الصهاينة تعيث في الأرض فسادًا وترتكب الجرائم والمجازر دونما رادع أو زاجر.

ما هذا الضعف الذي أصاب الأمة ؟

أمتي ماذا دهاها
أي خطب قد رماها
أمة ضلت وضاعت
أمة لانت وماعت
مهما لاقت من سقوطْ
باسْمِ ربي لن تموتْ

أولا: الأمة في زمن الغثائية لا تملك إنهاء الصراع لا سلما ولا حربا

يخطئ من يظن أن الصراع بين المسلمين وبين اليهود، يمكن أن ينقضي بعملية سلام شامل وعادل كما يزعمون، إن السلام ليس سوى مجرد هدنة مؤقتة، سرعان ما تنتهي وتزول، واليهود

أهل غدر وخيانة، ونحن نراهم الآن يتفلتون من كل اتفاق أبرموه، لقد عاهدهم النبي ﷺ حين قدم المدينة ولكنهم سرعان ما نقضوا العهد فقاتلهم النبي ﷺ وأجلاهم عن المدينة، وحاصرهم بعد ذلك في خيبر حتى نزلوا على حكم اللّه وحكم رسول اللّه ﷺ.

اليهود والمسيح الدجال

لقد حذرنا النبي ﷺ من فتنة المسيح الدجال، وبين لنا أنه يملك الأرض في زمن هذه الفتنة فلا يمتنع عليه شيء منها سوى مكة والمدينة، فإنه لا يدخلها تمنعه ملائكة اللّه عز وجل، وأخبرنا أن أهل الكفر جميعًا يتابعونه، وأن اليهود جميعاً يكونون من جنده وشيعته، وأن المؤمنين لا يملكون إلا الفرار بدينهم من هذه الفتنة العظيمة التي يظهر فيها الكفر، ويكون فيها عز اليهود، ولكن اللّه سبحانه يتدارك بفضله ورحمته أولياءه المؤمنين فيعزهم وينصرهم، وينزل المسيح عيسى ابن مريم ويَلْتف حوله المؤمنون، فيقتل المسيح الدجال، ويذيق اللّه اليهود والكافرين بأسه بأيدي المؤمنين، فيقتل المسلمون اليهود، حتى إن اليهودي يختفي ويختبئ، فينادي الحجر وينادي الشجر جند المسلمين: يا مسلم، إن ورائي يهوديًا فاقتله.

فهذا وعد اللّه، ووعد رسول اللّه ﷺ، وإن اللّه لا يخلف الميعاد والأيام دول ,والصراع جولات ولكن النصر في النهاية سيكون لعباد الله المؤمنين.

لقد أخبرنا النبي ﷺ عن حالة الغثائية التي تصيب الأمة فقال: «لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى قَالَ: فَمَنْ».

أخرجه البخاري في: كتاب الاعتصام: باب قول النبي ﷺ لتتبعن سنن من كان قبلكم. وأخرجه مسلم في العلم باب اتباع سنن اليهود والنصارى.

وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ الأُمَمُ مِنْ كُلِّ أُفُقٍ كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا. قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمِنْ قِلَّةٍ بِنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنْ تَكُونُونَ غُثَاءً كَغُثَاءِ السَّيْلِ، يَنْتَزِعُ الْمَهَابَةَ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ وَيَجْعَلُ فِي قُلُوبِكُمْ الْوَهْنَ. قَالَ: قُلْنَا: وَمَا الْوَهْنُ ؟ قَالَ: حُبُّ الْحَيَاةِ وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ». رواه أحمد.

وقال رسول الله ﷺ: «إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم». [صحيح سنن أبي داود، وانظر السلسلة الصحيحة (ح١١)].

والأمة في زمن الغثائية لا تزال تختلف حول توصيف القضية هل هي قضية الفلسطينيين وحقهم في إيجاد دولة لهم ؟

أم أن الصراع هو صراع قومي عربي إسرائيلي؟

أم هو صراع ديني يهدف إلى استرجاع الأراضي المقدسة من دنس المعتدين ؟

فما أحوج الأمة في زمن الغثاء أن تراجع دينها وأن تعتصم بربها وبدين ربها، وأن تترك أسباب الفرقة والضلال حتى يأتي نصر الله.

قال الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (١٠٠) وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» [آل عمران: ١٠٠، ١٠١].

وقال الله تعالى: «وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا» [آل عمران: ١٠٣].

ثانيا: الجهاد في سبيل الله سبب النصر والتمكين

وللجهاد فوائد كثيرة، وحكم جليلة منها:

١- إظهار دين الله وإعزاز المسلمين وقمع الكافرين، قال تعالى: «هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ» [الصف: ٩].

٢- كسر شوكة المشركين، وتحقيق الأمن للمسلمين، قال تعالى: «وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ» «البقرة: ١٩٣»، وقال النبي ﷺ: «ليُتمن الله هذا الأمر، حتى يسير الراكب من بُصرى إلى صنعاء لا يخشى إلا الله». [صحيح سنن أبي داود].

٣- تمكن المسلمين من القيام بمصالح دينهم ودنياهم، ودعوة غير المسلمين لما فيه خير الدنيا والآخرة.

روى البخاري في صحيحه- كتاب الجزية والموادعة- من حديث جبير بن حبة قال: فندبنا عمر، واستعمل علينا النعمان بن مقرن، حتى إذا كنا بأرض العدو، وخرج علينا عامل كسرى في أربعين ألفًا، فقام ترجمان فقال: ليكلمني رجل منكم، فقال المغيرة: سل عما شئت. قال: ما أنتم؟ قال: نحن أناس من العرب كنا في شقاء شديد، وبلاء شديد، نمص الجلد والنوى من الجوع، ونلبس الوبر والشعر، ونعبد الشجر والحجر، فبينا نحن كذلك إذ بعث رب السماوات ورب الأرضين تعالى ذكره وجلت عظمته إلينا نبيًا من أنفسنا، نعرف أباه وأمه، فأمرنا نبينا رسولُ ربنا ﷺ أن نقاتلكم حتى تعبدوا الله وحده، أو تؤدوا الجزية، وأخبرنا نبينا ﷺ عن رسالة ربنا أنه من قتل منا صار إلى الجنة في نعيم لم يُر مثله قط، ومن بقي منا ملك رقابكم. [ح٣١٥٩].

ولقد أظهرت المقاومة الباسلة في غزة أن الأمة إن سلكت سبيل الجهاد وأخذت بأسبابه، يسر الله لها سبيل النصر والتمكين.

ثالثا: بيان للناس

البيان من رب العالمين ولكن لا يهتدي به إلا عباد الله المؤمنون المتقون ليهلك من هلك عن بينة ويحي من حيي عن بينة.

قال الله تعالى: «هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ» [آل عمران: ١٣٨].

● البند الأول: مكاسب المؤمنين في الجنة:

قال تعالى: «وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣٩) إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠) وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ (١٤١) أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ». [آل عمران: ١٣٩-١٤٢]

فلاَ تَضْعُفُوا عَنِ الجِهَادِ، وَمَا يَتَطَلَّبُهُ مِنْ حُسْنِ التَّدْبِيرِ وَالإِعْدَادِ، بِسَبَبِ مَا أَصَابَكُمْ مِنَ الفَشَلِ وَالجِرَاحِ، وَلاَ تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَقَدْتُمْ، فَإِنَّ العَاقِبَةَ وَالنَّصْرَ سَيَكُونَانِ لَكُمْ إِذَا تَمَسَّكْتُمْ بِحَبْلِ اللهِ، وَرَاعَيْتُمْ تَعَالِيمَهُ، فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ اللهِ أَنْ يَجْعَلَ العَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ.فأنتم وإياهم قد تساويتم في القرح، ولكنكم ترجون من الله ما لا يرجون كما قال تعالى: «إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لاَ يَرْجُونَ».

ومن الحكم في ذلك أن هذه الدار يعطي الله منها المؤمن والكافر، والبر والفاجر، فيداول الله الأيام بين الناس، يوم لهذه الطائفة، ويوم للطائفة الأخرى؛ لأن هذه الدار الدنيا منقضية فانية، وهذا بخلاف الدار الآخرة، فإنها خالصة للذين آمنوا.

«وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا» هذا أيضا من الحكم أنه يبتلي الله عباده بالهزيمة والابتلاء، ليتبين المؤمن من المنافق؛ لأنه لو استمر النصر للمؤمنين في جميع الوقائع لدخل في الإسلام من لا يريده، فإذا حصل في بعض الوقائع بعض أنواع الابتلاء، تبين المؤمن حقيقة الذي يرغب في الإسلام، في الضراء والسراء، واليسر والعسر، ممن ليس كذلك.

«وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ» وهذا أيضًا من الحكم، لأن الشهادة عند الله من أرفع المنازل، ولا سبيل لنيلها إلا بما يحصل من وجود أسبابها، فهذا من رحمته بعباده المؤمنين، أن قيَّض لهم من الأسباب ما تكرهه النفوس، لينيلهم ما يحبون من المنازل العالية والنعيم المقيم، «وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ» الذين ظلموا أنفسهم، وتقاعدوا عن القتال في سبيله.

● البند الثاني: موقف أهل الإيمان من الأزمات وثوابهم:

قال تعالى: «وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (١٤٦) وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (١٤٧) فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ» [آل عمران: ١٤٦-١٤٨].

● البند الثالث: الولاء والبراء يجلب تأييد الله عز وجل:

قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ (١٤٩) بَلِ اللَّهُ مَوْلاَكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ (١٥٠) سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ» [آل عمران: ١٤٩-١٥١].

● البند الرابع: رحمة القائد برعيته، والله غالب على أمره:

قال تعالى: «فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (١٥٩) إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ» [آل عمران: ١٥٩-١٦٠].

● البند الخامس: بشريات الشهداء:

قال تعالى: «وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ» [آل عمران: ١٦٩-١٧١].

● البند السادس: أوامر ونواهٍ للمسارعين إلى الجنة، وصفات المتقين:

قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٣٠) وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (١٣١) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٣٢) وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ» [آل عمران: ١٣٠-١٣٦].

«إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ». فهل من مدكر ؟

والله من وراء القصد.

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فإن الدعاء من أعظم أسباب النصر على الأعداء، وقد اعتاد الجهلاء والسفهاء أن يهونوا من أمر الدعاء معتقدين أن من يأمر المسلمين بالدعاء علي عدوهم يكتفي بالدعاء ولا يأخذ بسائر أسباب النصر من إعداد العدة ,والصبر والثبات وتقوى الله عز وجل كما في قول الله تعالى: «وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ» [الأنفال: ٦٠]، وقوله تعالى: «بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ» [آل عمران: ١٢٥].

وإذا كان النصر من عند الله العزيز الحكيم فقد أمر الله عباده المؤمنين أن يطلبوا منه النصر، وأن يستغيثوا به سبحانه، وأن يلحوا في الدعاء.

فإن الدعاء سبب للثبات والنصر على الأعداء، قال تعالى عن طالوت وجنوده: «وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ» [البقرة:٢٥٠]. فماذا كانت النتيجة: «فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ» [البقرة:٢٥١].

قال الله تعالى: «أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ» [البقرة: ٢٨٦].

فشأن المولى أن ينصر مولاه ,وفيه إيذان بتأكيد طلب إجابة الدعاء بالنصر، لأنّهم جعلوه مرتّباً على وصف محقّق، ألا وهو ولاية الله تعالى للمؤمنين، قال تعالى: «اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا» [البقرة: ٢٥٧] وفي حديث يوم أحد لَمَّا قال أبو سفيان: «لَنا العُزّى ولا عُزّى لكم» قال النبي ﷺ «ألا تجيبوه ,قولوا: الله مولانا ولا مولَى لكم». ووجه الاهتمام بهذه الدعوة أنّها جامعة لخيري الدنيا والآخرة ؛ لأنّهم إذا نصروا على عدوهم، فقد طاب عيشهم وظهر دينهم، وسلموا من الفتنة، ودخل الناس في دين الله أفواجاً.

وقال تعالى: «وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (١٤٦) وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (١٤٧) فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللَّهُ

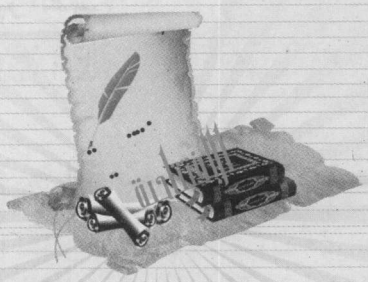

الدعاء .. من أعظم أسباب النصر على الأعداء

د. جمال المراكبي

بقلم/ الرئيس العام

WWW.ELMARAKBY.COM

يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٤٨)» [آل عمران: ١٤٦- ١٤٨]

وقال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٤٥) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ» [الأنفال: ٤٥]

والمعنى: إذا لقيتم جماعة كافرة فاثبتوا لقتالهم - والثبات هو أن يوطنوا أنفسهم على لقاء العدو وقتاله ولا يحدثوها بالتولي والفرار- وكونوا ذاكرين الله عند لقاء عدوكم ذكراً كثيراً بقلوبكم وألسنتكم.

فأمر الله عباده المؤمنين وأولياءه الصالحين أن يذكروه في أشد الأحوال وذلك عند لقاء العدو وقتاله , وفيه تنبيه على أن المؤمن لا يجوز أن يخلو قلبه ولسانه عن ذكر الله.

وقيل: المراد من هذا الذكر هو الدعاء بالنصر على العدو وذلك لا يحصل إلا بمعونة الله تعالى، فأمر الله سبحانه وتعالى عباده أن يسألوه النصر على العدو عند اللقاء.

وعن النعمان بن مقرن أن النبى ﷺ كان إذا لم يقاتل فى أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس وتهب الرياح وينزل النصر. [أخرجه أبو داود في الجهاد ٤ / ٧ والترمذي في السير ٥ / ٢٣٨ وقال: حديث حسن صحيح، والحاكم ٢ / ١١٦ وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي].

وفي البخاري: «انتظر حتى تهب الأرواح وتحضر الصلوات».

وفي فتح فارس قال النعمان للجند: يا أيها الناس أهتز ثلاث هزات فأما الهزة الأولى فليقضي الرجل حاجته، وأما الثانية فلينظر الرجل في سلاحه وسيفه، وأما الثالثة فإني حامل فاحملوا فإن قتل أحد فلا يلوي أحد على أحد، وإن قُتلت فلا تلووا عليّ، وإني داع الله بدعوة فعزمت على كل امرىء منكم لما أمَّن عليها، فقال: اللهم ارزق اليوم النعمان شهادة تنصر المسلمين، وافتح عليهم، فأمَّن القوم، وهز لواءه ثلاث مرات، ثم حمل فكان أول صريع رضي الله عنه وفتح الله على المسلمين.

وفي الآية مع الأمر بالذكر والدعاء الأمر بطاعة الله والرسول ,والأمر بالصبر والثبات ,والنهي عن التنازع والفرقة والشتات المؤدي الى الهزيمة والضعف.

وقال تعالى: «إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ» [الأنفال: ٩].

قال أَبُو زُمَيْلٍ حَدَّثَنِى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ قَالَ حَدَّثَنِى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُمِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلاً فَاسْتَقْبَلَ نَبِىُّ اللَّهِ ﷺ الْقِبْلَةَ ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ «اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِى مَا وَعَدْتَنِى اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِى اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الإِسْلاَمِ لاَ تُعْبَدْ فِى الأَرْضِ». فَمَازَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ مَادًا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ. وَقَالَ يَا نَبِىَّ اللَّهِ كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ «إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ مُرْدِفِينَ» فَأَمَدَّهُ اللَّهُ بِالْمَلاَئِكَةِ. قَالَ أَبُو زُمَيْلٍ فَحَدَّثَنِى ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَشْتَدُّ فِى أَثَرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بِالسَّوْطِ فَوْقَهُ وَصَوْتَ الْفَارِسِ يَقُولُ أَقْدِمْ حَيْزُومُ. فَنَظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ خَرَّ مُسْتَلْقِيًا فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ خُطِمَ أَنْفُهُ وَشُقَّ وَجْهُهُ كَضَرْبَةِ السَّوْطِ فَاخْضَرَّ ذَلِكَ أَجْمَعُ. فَجَاءَ الأَنْصَارِىُّ فَحَدَّثَ بِذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ «صَدَقْتَ ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ». فَقَتَلُوا يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ وَأَسَرُوا سَبْعِينَ. [رواه مسلم].

وفي صحيح مسلم باب استحباب الدُّعاء بالنَّصر عند لقاء العدوِّ: عَنْ عَبْد اللَّه بْن أَبِى أَوْفَى قَالَ دَعَا رَسُولُ اللَّه ﷺ عَلَى الأَحْزَاب فَقَالَ «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَاب سَرِيعَ الْحِسَاب اهْزِمِ الأَحْزَابَ اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ».

قال القحطاني: إن من أعظم وأقوى عوامل النصر الاستغاثة بالله وكثرة ذكره، لأنه القوي القادر على هزيمة أعدائه ونصر أوليائه، قال تعالى: «وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ» وقال: «وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ» وقال: «إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ».

وقد أمر الله بالذكر والدعاء عند لقاء العدو، قال تعالى: «يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ»، لأنه سبحانه النصير فنعم المولى ونعم النصير «وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ»، ولهذا كان النبي ﷺ يدعو ربه في معاركه ويستغيث به سبحانه، فينصره ويمده بجنوده، ومن ذلك قوله: «اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، مجري السحاب، هازم الأحزاب، اهزم الأحزاب،

اللهم اهزمهم وزلزلهم، وانصرنا عليهم».

وكان يقول عند لقاء العدو: «اللهم أنت عضدي، وأنت نصيري، بك أحول، وبك أصول، وبك أقاتل».

وكان إذا خاف قوماً قال: «اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم».

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم حين ألقي في النار، وقالها محمد حين قال له الناس: إن الناس قد جمعوا لكم»، وهكذا ينبغي أن يكون المجاهدون في سبيل الله تعالى لأن الدعاء يدفع الله به من البلاء ما الله به عليم. [الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى للقحطاني].

وفي معركة ملاذ كرد سنة ٤٦٣ هـ خرج ملك الروم (رومانوس) في جمع كبير من الروم والروس والكرج والفرنجة وغيرهم من الشعوب النصرانية، حتى قدر ذلك الجمع بثلاثمائة ألف جندي، أعدهم الإمبراطور لملاقاة السلطان السلجوقي ألب أرسلان، الذي ما إن علم باقتراب الروم ومن معهم حتى استعد للأمر واحتسب نفسه ومن معه، وكان في قلة من أصحابه لا تقارن بعدد الروم وأتباعه قيل إنهم قرابة خمسة عشر ألفاً، ولم يكن لديه وقت لاستدعاء مدد من المناطق التابعة له وقال قولته المشهورة: أنا أحتسب عند الله نفسي إن سعدت بالشهادة ففي حواصل الطيور الخضر أصبح وأمسي ,ومن حواصل النسور الغبر رمسي، وإن نصرت فما أسعدني وأنا أمسي، ويومي خير من أمسي، وهجم بمن معه على مقدمة الأعداء وكان فيها عشرون ألفاً معظمهم من الروس، فأحرز المسلمون عليهم انتصاراً عظيماً وتمكنوا من أسر معظم قوادهم.

وكان السلطان قد أرسل من قبله وفداً إلى إمبراطور الروم وعرض عليه المصالحة ولكنه تكبر وطغى ولم يقبل العرض وقال: هيهات !! لا هدنة ولا رجوع إلا بعد أن أفعل ببلاد الإسلام مثل ما فُعل ببلاد الروم، وجاء في رواية: لا هدنة إلا ببذل الرِّي - وهي بلاد شاسعة تحت إمرة المسلمين -، فحمى السلطان وشاط، فقال إمامه أبو نصر محمد بن عبد الملك البخاري الحنفي: إنك تقاتل عن دين وعد الله بنصره وإظهاره على سائر الأديان، وأرجو أن يكون الله قد كتب باسمك هذا الفتح فالقهم يوم الجمعة في الساعة التي يكون الخطباء على المنابر، فإنهم يدعون للمجاهدين.

واجتمع الجيشان يوم الخميس الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة ٤٦٣هـ، فلما كان وقت الصلاة من يوم الجمعة صلى السلطان بالعسكر ودعا الله تعالى وابتهل وبكى وتضرع وقال لهم: نحن مع القوم تحت الناقص وأريد أن أطرح نفسي عليهم في هذه الساعة التي يدعى فيها لنا وللمسلمين على المنابر، فإما أن أبلغ الغرض وإما أن أمضي شهيداً إلى الجنة، فمن أحب أن يتبعني منكم فليتبعني، ومن أحب أن ينصرف فليمض مصاحباً، فما هاهنا سلطان يأمر ولا عسكر يؤمر فإنما أنا اليوم واحد منكم، وغاز معكم، فمن تبعني، ووهب نفسه لله تعالى فله الجنة أو الغنيمة ومن مضى حقت عليه النار والفضيحة فقالوا: مهما فعلت تبعناك فيه وأعناك عليه، فبادر ولبس البياض وتحنط استعداداً للموت وقال: إن قتلت فهذا كفني، ثم وقع الزحف بين الطرفين ونزل السلطان ألب أرسلان عن فرسه ومرغ وجهه بالتراب وأظهر الخضوع والبكاء لله تعالى وأكثر من الدعاء ثم ركب وحمل على الأعداء، وصدق المسلمون القتال وصبروا وصابروا حتى زلزل الله الأعداء وقذف الرعب في قلوبهم، ونصر الله المسلمين عليهم، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة وأسروا منهم جموعاً كبيرة، كان على رأسهم ملك الروم نفسه. [دولة السلاجقة للصلابي].

الدعاء للمؤمنين والدعاء على الكافرين في القنوت

روى البخاري و مسلم في صحيحهما عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ «وَاللَّهِ لَأُقَرِّبَنَّ بِكُمْ صَلَاةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» فَكَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يَقْنُتُ فِي الظُّهْرِ وَالْعِشَاءِ الْآخِرَةِ وَصَلَاةِ الصُّبْحِ وَيَدْعُو لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَلْعَنُ الْكُفَّارَ.

وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد أن يدعو على أحد أو يدعو لأحد قنت بعد الركوع فربما قال إذا قال سمع الله لمن حمده: «اللهم ربنا لك الحمد اللهم أنج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش ابن أبي ربيعة اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها سنين كسني يوسف»، يجهر بذلك وكان يقول في بعض صلاته في صلاة الفجر «اللهم العن فلانًا وفلانًا»، لأحياء من العرب حتى أنزل الله تعالى: «ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظلمون».

عن خباب بن الأرَتّ (قال: شكونا إلى رسول الله، ﷺ وهو متوسد بردة في ظل الكعبة، فقلنا: ألا تستنصر لنا، أو تدعو لنا؟ فقال: «قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيُحفر له في الأرض فيجعل فيها، ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، ما يبعده ذلك عن دينه، والله ليتمن الله تعالى هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت فلا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون».

فهذا خبّاب جاء إلى رسول الله ﷺ يطلب منه الدعاء بالنصر، هكذا أطلق خباب، وهو يريد النصر الظاهر، برفع العذاب والأذى الذي كانت قريش تصبه على رسول الله، ﷺ وصحابته.

فنقله رسول الله، ﷺ نقلة أخرى مبينا له معنى آخر من معاني الانتصار، وهو الثبات على دين الله، وتحمل المشاق والعقبات، حتى لو ذهبت روح المسلم فداء لدينه وعقيدته.

ثم يذكر له رسول الله ﷺ النصر الظاهر وأنه متحقق، ويقسم رسول الله ﷺ على ذلك، ولكنه لا يتحقق إلا بعد الثبات والصبر.

قال الحافظ ابن حجر: وليس في الحديث تصريح بأنه ﷺ لم يدع، بل يحتمل أنه دعا، وإنما قال: «قد كان من قبلكم...» الخ تسلية لهم وإشارة إلى الصبر حتى تنقضي المدة المقدورة، وإلى ذلك الإشارة بقوله في آخر الحديث: «ولكنكم تستعجلون».

فالمذموم من الحديث هو الاستعجال قبل الأوان وليس طلب النصرة.

وفي الصحيح:عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: «يستجاب لأحدكم مالم يعجل» قيل وكيف يعجل يا رسول الله؟ قال «يقول قد دعوت الله فلم يستجب الله لي». [رواه ابن ماجه ,والترمذي وقال: حسن صحيح ,وصححه الألباني].

الاستنصار بالضعفاء

ويستحب أن يستنصر بالضعفاء - أي بدعائهم والشفقة عليهم والإحسان إليهم، لما صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم». [صحيح البخاري: كتاب السير والجهاد - باب من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب].

وروي أن رسول الله ﷺ كان يستفتح بصعاليك المهاجرين ويستحب أن يدعو عند لقاء العدو.

وروى الحاكم في المستدرك عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كم من ضعيف متضعف ذي طمرين لو أقسم على الله لأبر قسمه، منهم البراء بن مالك» فإن البراء لقي زحفًا من المشركين وقد أوجع المشركون في المسلمين فقالوا: يا براء، إن رسول الله ﷺ قال: «إنك لو أقسمت على الله لأبرك، فاقسم على ربك»، فقال: أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم، ثم التقوا على قنطرة السوس فأوجعوا في المسلمين، فقالوا: له يا براء أقسم على ربك، فقال: أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم وألحقتني بنبيك ﷺ، فمنحوا أكتافهم وقتل البراء شهيداً.

فالدعاء من أعظم أسباب النصر على الأعداء لأن المؤمنين يعلمون يقيناً أن النصر بيد الله عز وجل وأنه سبحانه وتعالى ناصرهم على عدوهم متى أخذوا بأسباب النصر - والله المستعان.

وقد كتب أخونا عادل السيد كتاباً جديداً تحت هذا العنوان **الحاكمية والسياسة الشرعية - عند شيوخ جماعة أنصار السنة المحمدية أقوال ومواقف** - جمع فيه بعض مقالات شيوخ الجماعة منذ نشأتها وإلى يومنا هذا في باب السياسة الشرعية.

وأهم مقاصد الكتاب بيان منهج أنصار السنة المحمدية في معاملة ولاة الأمر وأنه عين منهج السلف الصالح المتمثل في وجوب طاعة أولي الأمر في المعروف ,والدعاء لهم بالصلاح والرشاد ,وعدم جواز الخروج عليهم بالسيف ولو جاروا.

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله،

وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فقديما كتب أحد الزنادقة أبياتًا من الشعر

يصور فيها العلاقة بين الإسلام والنصرانية فقال:

في الأرض قامت ضجة
ما بين أحمد والمسيح
هذا بناقوس يدق
وذا بمئذنة يصيح
كل يعظم دينه
يا ليت شعري ما الصحيح

لقد حاول هذا الزنديق الوقيعة بين أنبياء الله ورسله فصور العلاقة بين النبي محمد ﷺ وبين المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام على أنها علاقة صراع وصدام ,بينما ختم هذه الأبيات بما يؤكد سوء نيته وخبث طويته وفساد معتقده وبيان حيرته وشكه في الدين الصحيح.

وحديثا يحاول بعض أهل الضلال الوقيعة بين المسيح عيسى ابن مريم وبين نبينا محمد صلى الله عليهما وسلم ,وقد سبق أن كتبت مقالا بعنوان (من هو الأعظم) ردًا على هذه الافتراءات مبينا عقيدة المؤمن في أنبياء الله ورسله ,وقول الله تعالى «لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ» (البقرة: ١٣٦).

وفي الأسابيع الماضية أذاعت القناة العاشرة الإسرائيلية برنامجا طعنت فيه على المسيح عيسى ابن مريم وأمه وسبتهما سبا شنيعا ,ثم تناولت هذه القناة القذرة نبينا محمد ﷺ بالطعن والاستهزاء.

وقد عبر مجمع الفقه الإسلامى عن استنكاره لإساءات وسائل الإعلام الصهيونية لرسول الله عيسى ابن مريم عليه السلام وأمه مريم الصديقة.

جاء ذلك في بيان أصدره المجمع أوضح فيه أن أمانة مجمع الفقه الإسلامي الدولي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بتمثيله الواسع لعلماء الأمة وفقهائها من داخل العالم الإسلامي وخارجه تابعت ما تناقلته وسائل الإعلام المختلفة حول ما نشرته بعض وسائل الإعلام الصهيونية من إساءات للسيد المسيح وأمه السيدة مريم عليهما السلام.

وبين أن أي إساءة لأي نبي أو رسول يعد

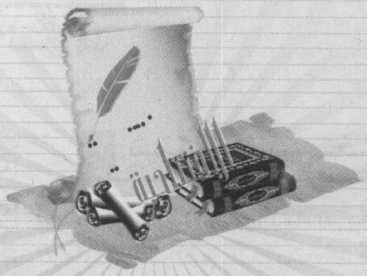

الإعلام الصهيوني والتطاول على أنبياء الله

د. جمال المراكبي
بقلم/ الرئيس العام
WWW.ELMARAKBY.COM

خروجاً للمسلم من الإسلام ولا يقبل صدوره من أي شخص بحال من الأحوال وذلك انطلاقاً من إيمان المسلمين بنبوة السيد المسيح وبرفعة منزلته رسولاً من عند الله سبحانه وتعالى وبعظيم مكانة أمه الصديقة عليها السلام وإيمانهم بجميع الأنبياء والمرسلين عليهم السلام.

وقال لا يصح الاختباء في هذا المجال وراء ما يسمى بحرية التعبير أو حرية الرأي، لأن مثل تلك الإساءات ليست من هذا الباب

كما استنكر الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي تجرؤ القناة على التطاول على مقام رسول الله ﷺ وإهانة مشاعر وعقيدة المسلمين.

قائلا: «هذا التطاول يؤكد الوجه الحقيقي العنصري للمؤسسة الإسرائيلية وسعيها الدءوب لخلق الفتن وإذكاء الصراعات».

وقال: لقد صدمت مشاعر المسلمين في أرجاء العالم الإسلامي من استمرار الحملة الشريرة التي تعرض لها الإسلام ونبيه عليه السلام حيث إن هذه الحملة المشينة قد تجاوزت كل المحرمات وأمعنت في قذف النبي الكريم بالسباب وازدراء دين سمح يتبعه ويدين به أكثر من مليار مسلم.

اليهود سبوا الله عز وجل ,وقتلوا أنبياء الله بغير حق

وليس هذا غريبًا على قوم سبوا الله عز وجل ,وقتلوا أنبياء الله بغير حق ,وحفل تاريخهم بكل نقيصة، ولعنهم أنبياء الله ورسله ,وقد سجل القرآن عليهم هذه الجرائم ,وتوعدهم بالعقاب الأليم.

قال الله تعالى: «لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاء بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ (١٨١) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ (١٨٢) الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ» (آل عمران: ١٨١ - ١٨٣).

وقال تعالى: «وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاء وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ من رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ» (المائدة: ٦٤).

وقال تعالى: «لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ من بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ» (المائدة: ٧٨، ٧٩).

اليهود آذوا موسى

قد يعتقد البعض أن هؤلاء المغضوب عليهم هم أتباع موسى عليه السلام ,ولكن الحقيقة أن موسى لم يسلم من تطاولهم.

قال الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا» (الأحزاب: ٦٩).

روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن موسى، عليه السلام، كان رجلا حَيِيا سِتِّيرا، لا يُرَى من جلده شَيء استحياء منه، فآذاه من آذاه من بني إسرائيل، فقالوا: ما يتستر هذا التستر إلا من عيب بجلده، إما برص وإما أدْرَة وإما آفة، وإن الله، عز وجل، أراد أن يُبرئَه مما قالوا، فخلا يوما وحده، فخلع ثيابه على حجر، ثم اغتسل، فلمَّا فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها، وإن الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر، فجعل يقول: ثوبي حَجَر، ثوبي حَجَر، حتى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل، فرأوه عُريانا أحسن ما خلق الله، عز وجل، وأبرأه مما يقولون، وقام الحجر، فأخذ ثوبَه فلبسه، وطَفِقَ بالحجر ضربًا بعصاه، فوالله إن بالحجر لَنَدَبًا من أثر ضربه ثلاثًا أو أربعًا أو خمسًا -قال: فذلك قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا» (الأحزاب: ٦٩).

وهذا الحديث من أفراد البخاري دون مسلم ,ورواه أحمد كذلك.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قسم رسول الله ﷺ ذات يوم قسما، فقال رجل من الأنصار: إن هذه القسمة ما أريد بها وجه الله. قال: فقلت: يا عدو الله، أما لأخبرن رسول الله ﷺ بما قلت. قال: فذكر ذلك للنبي ﷺ فاحمرَّ وجهه، ثم قال: «رحمة الله على موسى، فقد أوذي بأكثر من هذا فصبر». متفق عليه.

اليهود سبوا مريم

لم تسلم السيدة العذراء البتول مريم ابنة عمران من تطاول هؤلاء المغضوب عليهم ,والطعن عليها على مدى التاريخ.

قال تعالى: «فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاء بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً (١٥٥) وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا (١٥٦) وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا» (النساء: ١٥٥- ١٥٩).

قال أبو جعفر الطبري: يعني بذلك جل ثناؤه: وبكفر هؤلاء الذين وصف وقولهم على مريم بهتانًا عظيمًا.

يعني: بفريتهم عليها، ورميهم إياها بالزنا، وهو«البهتان العظيم»، لأنهم رموها بذلك، وهي مما رموها به بغير ثَبَتٍ ولا برهان بريئة، فبهتوها بالباطل من القول.ثم نقل هذا التفسير عن ابن عباس وغيره.

والحق المبين أن مريم سيدة نساء العالمين التي طهرها الله واصطفاها على نساء العالمين.

قال الله تعالى: «وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ (٤٢) يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ».

عن عبد الله بن جعفر قال سمعت عليا رضي الله عنه يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: «خير نسائها مريم ابنة عمران وخير نسائها خديجة». متفق عليه.

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام». متفق عليه.

وفي رواية خارج الصحيح: «كَمُلَ من الرجال كثير، ولم يكمُل من النساء إلا مريمُ بنتُ عمران، وآسيةُ امرأةُ فرعون، وخديجةُ بنتُ خويلد، وفاطمةُ بنت محمد، وفَضْلُ عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام».

بين أحمد والمسيح

النبي اولي الناس بعيسى ابن مريم

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة والأنبياء أخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد».

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ,رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ,قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيه وسَلَّم: «الأَنْبِيَاءُ أُخْوَةٌ لعَلاَّت، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ، فَأَنَا أَوْلَى النَّاس بِعِيسَى ابْن مَرْيَمَ، لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ نَازِلٌ فيكُمْ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَاعْرِفُوهُ، فَإِنَّهُ رَجُلٌ مَرْبُوعٌ إِلَى الْحُمْرَة وَالْبَيَاض، بَيْنَ مُمْصرَتَيْن، كَأَنَّ رَأْسَهُ تَقْطرُ وَلَمْ يُصِبْهُ بَلَلٌ، وَإِنَّهُ سَيَكْسرُ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، وَيَفِيضُ الْمَالُ، حَتَّى يُهْلِكَ اللَّهُ فِي زَمَانه الْمِلَلَ كُلَّهَا غَيْرَ الإِسْلاَمِ، وحَتَّى يُهْلِكَ اللَّهُ فِي زَمَانه مَسِيحَ الضَّلاَلَة الأَعْورَ الْكَذَّابَ، وَتَقَعُ الأَمَانَةُ فِي الأَرْضِ، حَتَّى يَرْعَى الأَسَدُ مَعَ الإِبِلِ، وَالنَّمِرُ مَعَ الْبَقَرِ، وَالذِّئَابُ مَعَ الْغَنَمِ، وَتَلْعَبُ الصِّبْيَانُ بِالْحَيَّاتِ، وَلاَ

يَضُرُّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَيَبْقَى فِي الأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً ثُمَّ يَمُوتُ، وَيُصَلَّى عَلَيْهِ وَيَدْفِنُونَهُ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ، وَاللَّفْظُ لَهُ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَأَبُو يَعْلَى الْمَوْصِلِيُّ، وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ.

قال الحافظ ابن حجر أي أقربهم إليه لأنه بشر بأن يأتي من بعده ولا منافاة بينه وبين قوله تعالى «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيِّ» (آل عمران: ٦٨) لأنه هو أولى الناس بإبراهيم من جهة الاقتداء وأولاهم بعيسى ابن مريم من جهة قرب العهد. انتهى.

لكن لا يخفى أن مجرد قرب العهد لا يلائمه قوله الأنبياء أخوة فالأولى أن الموجب لكونه أولى الناس بعيسى عليه الصلاة والسلام أنه كان أقرب المرسلين إليه وأن دينه متصل بدينه وأن عيسى كان مبشرا به ممهدا لقواعد دينه داعيا الخلق إلى تصديقه ثم قال وهذه الجملة استئناف فيه دليل على الحكم السابق كأن سائلا سأل عن المقتضي للأولوية فأجاب النبي بذلك وبين أن الأخوة التي بين الأنبياء ليست بينهم وبين سائر الناس جعل ذلك كالنسب الذي هو أقرب الأسباب ثم بقرب زمانه من زمانه واتصال دعوته بدعوته كما ستجيء الإشارة إليه والدلالة عليه بقوله وليس بيننا نبي.

الشهادة للمسيح بالنبوة والرسالة

عن عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- «مَنْ قَالَ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَابْنُ أَمَتِهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ مِنْ أَىِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ». متفق عليه.

وفي رواية: «أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ عَمَلٍ».

النهي عن إطراء النبي ﷺ وعيسى

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال سمعت عمر رضي الله عنه يقول على المنبر: سمعت النبي صلى الله عليه و سلم يقول: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده فقولوا عبد الله ورسوله».

الإطراء: هو الإفراط في المديح ومجاوزة الحد فيه وقيل هو المديح بالباطل والكذب فيه. كما أطرت النصارى ابن مريم أي بدعواهم فيه الألوهية وغير ذلك.

النبي ﷺ يتمثل مقالة المسيح يوم القيامة

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (تحشرون حفاة عراة غرلا ثم قرأ: «كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ». فأول من يكسى إبراهيم ثم يؤخذ برجال من أصحابي ذات اليمين وذات الشمال فأقول أصحابي فيقال إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم فأقول كما قال العبد الصالح عيسى ابن مريم «وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١١٧) إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» (المائدة: ١١٧، ١١٨). متفق عليه.

نزول المسيح عيسى ابن مريم

عن ابن شهاب أن سعيد بن المسيب سمع أبا هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خيرًا من الدنيا وما فيها). ثم يقول أبو هريرة واقرؤوا إن شئتم: «وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا».

والحمد لله رب العالمين

رأينا في اللقاء الماضي كيف طعن اليهود قديما وحديثا في الصديقة العذراء مريم وهي المبرأة المصطفاة علي نساء العالمين.

قال الله تعالى: «وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا» [النساء: ١٥٦].

والحقيقة أن مريم لم تسلم من طعن الغلاة من النصارى ,فبعضهم يراها أما للإله الواحد الأحد، وبعضهم يراها ثالث ثلاثة ويتخذها وابنها إلهين من دون الله، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

قال الله تعالى: «وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُواْ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١١٧) إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» [المائدة ١١٦: ١١٨]

فلما بعث الله محمداً بالهدى ودين الحق أنصف مريم وابنها عليهما السلام وبين لنا أنها مبرأة ومصطفاة على نساء العالمين ,وبين لنا الله تبارك وتعالى أن أمها نذرتها لله تعالى ,وأن الله تعالى تقبلها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً في كفالة نبي ورسول كريم ، وأعاذها الله من الشيطان الرجيم , وأرسل إليها الملائكة تبشرها أن الله اصطفاها وطهرها من كل رجس وسوء ,وتبشرها بولادة المسيح عيسى عليه السلام.

قال الله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٣) ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٣٤) إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٥) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٣٦) فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ

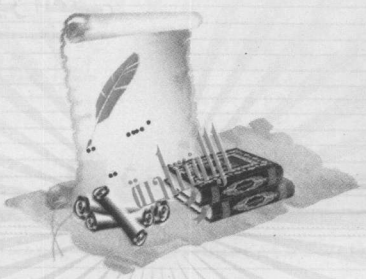

كمال المرأة في دينها

د. جمال المراكبي

بقلم/ الرئيس العام

WWW.ELMARAKBY.COM

حساب» [آل عمران ٣٣: ٣٧] ، «وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (٤٢) يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (٤٣) ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٤٤) إِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٥) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ (٤٦) قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ» [آل عمران ٤٢: ٤٧]

وهكذا أنصف القرآن الكريم مريم وجعلها وابنها آية للعالمين.

قال تعالى: «وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ» [الأنبياء: ٩١]

كما جعلها الله مثلاً للذين آمنوا فقال سبحانه: «وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١١) وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ» [التحريم ١١ - ١٢].

وكذلك مدح النبي الخاتم السيدة مريم مبيناً أنها خير النساء فقال: « خير نسائها مريم ابنة عمران وخير نسائها خديجة » متفق عليه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخًا من مس الشيطان إياه إلا مريم وابنها ». ثم يقول أبو هريرة واقرؤوا إن شئتم: «وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم» متفق عليه.

قال القرطبي هذا الطعن من الشيطان هو ابتداء التسليط فحفظ الله مريم وابنها منه ببركة دعوة أمها حيث قالت إني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ولم يكن لمريم ذرية غير عيسى.

وقال رسول الله ﷺ « كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » متفق عليه. وفي رواية خارج الصحيح « كَمُلَ من الرجال كثير، ولم يكمُل من النساء إلا مريمُ بنتُ عمران، وآسيَةُ امرأةُ فرعون، وخديجةُ بنتُ خويلد، وفاطمةُ بنت محمد، وفَضْلُ عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام ».

معنى الكمال

الكمال المطلق لله وحده فهو السيد الذي قد كمل في سؤدده والعظيم الذي قد كمل في عظمته والحليم الذي قد كمل في حلمه والعليم الذي قد كمل في علمه والحكيم الذي قد كمل في حكمته وهو الذي قد كمل في صفات الكمال، ولا تنبغي هذه الصفات لغير الملك الجليل القادر المقتدر الذي إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون، وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه على كل شيء قدير.

أما كمال الخلائق فبحسب ما وهبهم الله من الخصال المحمودة ,والأخلاق الحسنة وسعيهم في مرضاة الله عز وجل.

والكمال في أنبياء الله ورسله ثم في الصديقين والشهداء والصالحين من عباده كل منهم على حسب درجته وفضله ,وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ,وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وقد كمّل الله نبيه محمداً ﷺ بأنواع الكمال التي لم تجتمع في غيره فكيف إذا اجتمع مع ذلك ما حباه الله به من حبُّه لهداية الخلق وصلاحهم، ونجاتهم وفلاحهم.

لذلك كان حبُّه ﷺ في قلب كل مؤمن، بل في قلب كل منصف من غير المؤمنين ممن عرفوه على حقيقته، لا يملكون إلا تقديره واحترامه، وحبَّه لما أسداه للناس عامة من خير عظيم.

وقد كان فضله عليه الصلاة والسلام وإحسانه على أهل الملل الأخرى عظيماً، فقد بيَّن لهم الحق بأدلته التي عرفوها ووجدوها في كتبهم، وكان من دينه: أنَّه لا يصح الإيمان إلا بالإيمان بجميع أنبياء الله ورسله، ووجه جُلّ دعوته إلى أهل الكتاب، وجادلهم بالحسنى.

وكان حظ النصارى من فضله ﷺ أعظم من غيرهم، فقد أنصفهم بعد ما ظلمهم اليهود والوثنيون، حيث بُعث ﷺ وكان أهل الملل يتهمون مريم بالزنا، ويتهمون عيسى عليه السلام بأنه ابن زنا، ووجد النصارى يتشبهون باليهود والوثنيين فيدعون أن عيسى عليه السلام ابن الله، أو ثالث ثلاثة، أو هو الله، فجاء محمد ﷺ فوضع الأمور في نصابها، وبين أن مريم بنت عمران عذراء عفيفة، وأن الذي جاءها أمر من الله تعالى، وأن مثل عيسى عند الله كمثل آدم، قال الله تعالى: «إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن

تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ».

فاعترف المنصفون منهم بأن ما جاء به النبي محمد ﷺ هو الحق، وهو بشارة عيسى عليه السلام لأمته، وأن ما جاء به هو الحق الذي لا يزيد عما جاء به عيسى.

كمال الجنس وكمال النوع

جنس الملائكة أكمل من غيره من الأجناس، فإن الله خلقهم من نور وجبلهم على عبادته وطاعته، وجعلهم في الملأ الأعلى، وفضائلهم أجل من أن نحصيها في مثل هذا الموضع، وجنس الإنسان أكمل من غيره من الأجناس، قال الله تعالى: «ولقد كرمنا بني آدم» وقال: «الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس» ؛ والذكر أكمل من الأنثى، قال تعالى «وليس الذكر كالأنثى» وقال ﷺ: « كَمُلَ من الرجال كثير، ولم يكمُل من النساء إلا مريمُ بنتُ عمران، وآسيَةُ امرأةُ فرعون، وخديجةُ بنتُ خويلد، وفاطمةُ بنت محمد، وفَضْلُ عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام »، وقال ﷺ للنساء في خطبة العيد: « ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن » (صحيح البخاري ك الحيض ح ٢٩٨).

والكمال يكون في الذوات وفي الصفات، وفي الخلقة وفي الأخلاق، فالقوي أكمل من الضعيف، والجميل أكمل من القبيح، والسميع والبصير أكمل من الأصم والأعمى وهكذا ؛ والعبرة بالكمال في الدين، فقد يكمل الرجل في عقله وفي صبره وجلَده وحلو منطقه ويكون مع ذلك ناقص الإيمان أو ضعيف الإيمان كما بين ذلك الرسول ﷺ في حديث حذيفة في قبض الأمانة في آخر الزمان، قال ﷺ: « ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه... ويقال للرجل ما أعقله وما أظرفه وما أجلده وما في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان ». (صحيح البخاري ك الفتن ح ٦٦٧٥).

كمال المرأة في دينها

والنقص لازم في المرأة بالمقارنة بالرجل كما قال رسول الله ﷺ في الحديث: « ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن ». [رواه البخاري].

عن أبي سعيد الخدري قال: خرج رسول الله ﷺ في أضحى أو فطر إلى المصلى فمر على النساء فقال: «يا معشر النساء تصدقن فإني أريتكن أكثر أهل النار». فقلن: وبم يا رسول الله ؟ قال: «تكثرن اللعن وتكفرن العشير ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن». قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله ؟ قال: «أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل؟». قلن: بلى، قال: «فذلك من نقصان عقلها، أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم؟». قلن بلى قال: «فذلك من نقصان دينها».

وقد فسر النبي ﷺ نقص العقل بأن شهادتها على النصف من شهادة الرجل وهذا لغلبة العاطفة لديها وقلة خبرتها بأحوال المعاملات التي يبرع فيها الرجال، ووصَف نقص الدين بأنها إذا حاضت لم تصل ولم تصم، مع أنها تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة ومع أنها مأمورة بترك هذه العبادة حال الحيض، وقد قال النبي ﷺ لعائشة:« إن هذا أمر كتبه الله على بنات آدم ».

ومع أن المرأة غير ملومة ولا مفرطة ولا مقصرة في ترك الصلاة حال الحيض إلا أن الرجل الذي يحافظ على صلاته طيلة عمره يكون أكمل منها في تعبده، كما أنه أكمل منها في خبرات الحياة.

ونقص المرأة في هذين البابين إنما هو من فطرة الله التي فطرها عليها، فالمرأة بالعاطفة الجياشة تملأ البيت حناناً، وتحنو على الزوج والأولاد، ولا غنىً للأسرة وللمجتمع عن المرأة في ذلك، ولا يستطيع الرجل أن يقدم مثل الذي تقدمه المرأة في هذا الباب، فنقصها في هذا الباب كمال، وسبحان الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى.

ولكن العجيب هو كيف تكمل المرأة وتسمو على كثير من الرجال مع وجود هذا النقص الفطري في عقلها، والتعبدي في دينها ؟ أقول: تكمل المرأة إذا اقترن بعاطفتها الجياشة وحنوها على الزوج والولد عقل راجح، وكذلك تكمل في دينها مع أنها تقضي شطر عمرها لا تصلي إذا حرصت على القربات التي لا يمنعها الحيض من فعلها كالذكر المطلق وغيره من الطاعات، وقد قال النبي ﷺ لعائشة: « فاقضي ما يقضي الحاج غير أن لا تطوفي بالبيت ». صحيح البخاري.

فقضى ﷺ بأن حجها صحيح مع تلبسها بالحيض غير أنها لا تطوف بالبيت حتى تطهر، كما أنها لا تصوم حتى تطهر، وإنما خفف الله عنها فلم يلزمها بقضاء الصلوات بعد الطهر لأن ذلك يشق عليها.

هذا وقد رأينا ما في مريم من كمال في الدين ,أما كمال عقلها فيشهد له أنها كانت تخالط أكمل الرجال

في زمانها وهو الرسول الكريم زكريا عليه السلام ومع هذا لم تتعجب من البشارة كما تعجب زكريا ,ولم تطلب آية كما طلب زكريا ,وقالت عن الرزق الذى يأتيها هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب.

«هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٨) فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ (٣٩) قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (٤٠) قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيَ آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ»

قال القرطبي: خصَّ الله مريَم بما لم يؤته أحداً من النساء ؛ وذلك أن رُوحَ القدس كلَّمها، وظهر لها ونفخ في درْعها، ودنا منها للنفخة، وليس هذا لأحد من النساء، وصدَّقت بكلمات ربِّها، لم تَسأَلْ آيةً عندما بُشرت - كما سأل زكريا - من الآية، ولذلك سمَّاها الله - تعالى - في تنزيله: صدِّيقةً، قال « وأُمُّهُ صدِّيقَةٌ » وقال: «وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ» [التحريم: ١٢] فشهد لها بالصديقية وشهد لها بالتصديق بكلمات البشرى، وشهد لها بالقنوت ؛ ولما بُشِّرَ زكريا بالغلام لحظ إلى كِبَر سنِّه، وعقم رحم امرأته فقال: «قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ» [آل عمران: ٤٠]، فسأل آية. وبشرت مريم بالغلام فلحظت أنها بكر، ولم يَمْسَسْها بَشَر، فقيل لها كذلك قال ربُّك فاقتصرت على ذلك، وصدَّقت بكلمات ربها، ولم تسأل آية، فمن يَعْلم كُنه هذا الأمر، ومن لامرأة في جميع نساء العالمين من بنات آدمَ ما لها من هذه المناقب ؟ [اللباب في علوم الكتاب]

وسوف أضرب لكم أمثلة من الكمال في النساء في رجاحة العقل وكمال الدين، فهذه عائشة رضي الله عنها يأتيها مال كثير فتنفقه كله في سبيل الله.

عن هشام بن عروة أن معاوية اشترى من عائشة بيتًا بمائة ألف بعث بها إليها فما أمست وعندها منه درهم، وأفطرت على خبز وزيت وقالت لها مولاة لها: يا أم المؤمنين، لو كنت اشتريت لنا بدرهم لحمًا قالت: فهلا ذكرتيني أو قالت لو كنت ذكرتيني لفعلت. [حلية الأولياء]

وعندما نزل أمين الوحي جبريل عليه السلام على نبينا محمد ﷺ أول مرة في غار حراء، ورآه النبي صلﷺ على صورته التي خلقه الله عليها، وله ستمائة جناح، وقد سد بعظم خلقه الأفق، وضمه إليه وقال له اقرأ، حتى بلغ منه الجهد فرجع بها ترجف بوادره، حتى دخل ﷺ على خديجة رضي الله عنها، فقال: « زملوني زملوني » فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال ﷺ: « يا خديجة، ما لي » فأخبرها الخبر، وقال: « قد خشيت على نفسي » فقالت له: كلا أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، ثم انطلقت خديجة رضي الله عنها، حتى أتت ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي، وهو ابن عمها، وكان شيخًا كبيرًا قد عمي، فقالت له خديجة رضي الله عنها: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك محمد، فقال ورقة بن نوفل: هذا الناموس الذي أنزل على موسى عليه السلام.

فانظر أخي القارئ الكريم إلى رجاحة عقل خديجة رضي الله عنها وإلى عظم فعلها، وقارنه بما تفعله نساؤنا اليوم في الإسلام من ذهاب إلى الدجالين والعرافين.

وإليك مثلاً آخر يدل على كمال عقل خديجة رضي الله عنها، فقد جاء جبريل إلى النبي ﷺ وهو بحراء فقال: هذه خديجة قد جاءت بحيس فقل لها إن الله يقرئك السلام فلما جاءت قال لها النبي ﷺ: « يا خديجة هذا جبريل يقرئك السلام من ربك » فقالت: هو السلام ومنه السلام وعلى جبريل السلام.

وقد كان بعض الصحابة رضي الله عنهم بعد الهجرة يقولون في التشهد في نهاية الصلاة: السلام على الله من عباده، السلام على فلان، فعن عبد الله قال: كنا نقول في الصلاة: السلام على الله، السلام على فلان، السلام على فلان، فقال رسول الله ﷺ: « إن الله هو السلام، فقولوا: التحيات لله، والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ».

فانظر إلى رجاحة عقل خديجة وفقهها، كيف فطنت إلى ما خفي عن بعض الصحابة.

والحمد لله رب العالمين.

جنة الدنيا

إعداد: د/ جمال المراكبي
رئيس مجلس علماء الجماعة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

قال الله تعالى: «الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً» [الملك: ٢].

والناس في حياتهم يتقلبون بين النعم والنقم والابتلاءات، والمؤمن الموفق يعلم كيف يتعامل مع هذه الاختبارات، قال رسول الله ﷺ: «عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابه سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابه ضراء صبر فكان خيرًا له» [صحيح مسلم].

ونعيم الدنيا لا يخلو من شقاء وتعب ونصب، فنعيمها لا يبقى، فإما أن يتركه الإنسان ويموت، وإما أن يتركه وهو أحوج ما يكون إليه.

ونعيم الدنيا لا يشبع، فلو أن لابن آدم واديًا من ذهب لتمنى له اثنين، ولا يملأ عين ابن آدم إلا التراب.

ونعيم الدنيا لا يصفو، فهو لا يخلو من تعب ونصب.

تعبٌ كلها الحياة فواعجبًا مِن راغب في ازدياد

أرى الدنيا لمن هي في يديه
عذابًا كلما كثرت لديه
تهين المكرمين لها بصُغر
وتكرم كل من هانت عليه

والإنسان في الدنيا لا يشعر بالرضا أبدًا، وقد صدق القائل:

صغيرٌ يطلب الكبَر
وشيخٌ وَدَّ لو صَغر
وخالٍ يشتهي عملاً
وذو عملٍ به ضَجِرا
وربُّ المال في تَعَبٍ
وفي تعبٍ من افتقرا

وأجمل من هذا ما قاله ابن عبد البر، رحمه الله:

من ذا الذي قد نال راحة فكره
في عمره من عسره أو يسره

لقد كان رسول الله ﷺ يقول في دعائه: «اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق، أحيني ما علمت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيرًا لي، اللهم وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الحق في الرضى والغضب، وأسألك القصد في الفقر والغنى، وأسألك نعيمًا لا ينفد، وأسألك قرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضى بعد القضاء، وأسألك برد العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك، في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهديين» [رواه النسائي وصححه الألباني]. فالنعيم الذي لا ينفد هو نعيم الجنة ؛ لأن نعيم الدنيا لا بد وأن ينفد، وقرة العين التي لا تنقطع تكون في الجنة ؛ لأن سرور الدنيا لا يدوم، ولهذا قال رسول الله ﷺ: «وأسألك برد العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر إلى وجهك». وهذا كله لا يكون إلا في الجنة.

الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» (كتاب الزهد والرقائق (ح٢٩٥٦).

وروى البيهقي في الزهد الكبير عن فضيل بن عياض في معنى قول النبي ﷺ: «الدنيا سجن المؤمن». قال: هي سجن من ترك لذاتها وشهواتها، فأي سجن هي عليه؟

وروى أبو داود في الزهد عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، إن المؤمن إذا مات خلى له سربه يسرح في الجنة حيث شاء».

وروى ابن المبارك عن الحسن قال: والله إن أصبح مؤمن فيها إلا حزينًا، وكيف لا يحزن وقد أخبره الله أنه وارد جهنم، ولم يأته عن الله أنه صادر عنها، وليلقين أمراضًا ومصيبات وأمورًا عظيمة، وليُظلمن فيها فما ينتصر، يبتغي من ذلك الثواب من الله، وما يزال فيها حزينًا خائفًا حتى يفارقها، فإذا فارقها أفضى إلى الراحة والكرامة.

قال النووي في شرح الحديث: معناه أن المؤمن مسجون فيها ممنوع عن الشهوات المحرمة والمكروهة، ومكلف بفعل الطاعات الشاقة، فإذا مات استراح من هذا وانقلب إلى ما أعد الله له من النعيم الدائم والراحة الخالصة من المنغصات، وأما الكافر فإنما له من ذلك ما حصل في الدنيا مع قلته وتكديره بالمنغصات، فإذا مات انقلب إلى العذاب الدائم وشقاوة الأبد.

قُلْتُ: ويشهد لهذا قول النبي ﷺ لعمر رضي الله عنه لما قال: ادع الله يا رسول الله أن يوسع على أمتك فقد وسع على فارس والروم وهم لا يعبدون الله، فاستوى جالسًا وقال: «أفي شك أنت يا ابن الخطاب! أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا». فقلت: استغفر لي يا رسول الله. متفق عليه.

وقال المناوي في شرح الجامع الصغير: الدنيا سجن المؤمن بالنسبة لما أعد له في الآخرة من النعيم المقيم، وجنة الكافر بالنسبة لما أمامه من عذاب الجحيم. اهـ.

ومن عدل الله عز وجل أن نعم الله الدنيوية يستوفيها الكافر في الدنيا، وليس له في الآخرة نصيب.

مر الحافظ ابن حجر العسقلاني - قاضي قضاة مصر - برجل يهودي يبيع السمن والزيت، وكان ابن حجر يركب عربة تجرها والبغال الناس حوله، فاستوقفه اليهودي قائلاً: إن نبيكم يقول: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»، فكيف أكون أنا بهذه الحال، وأنت بهذه الحال؟ فقال ابن حجر: أنا في سجن بالنسبة لما أعده الله للمؤمنين في الآخرة، وأنت في جنة بالنسبة لما أعده الله للكافرين في الجحيم. فأسلم اليهودي.

والحقيقة أن الكافرين وإن استمتعوا بالدنيا، فإنهم في كرب وضيق لإعراضهم عن الله عز وجل، يقول الله تعالى: «وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا» [طه: ١٢٤].

ولهذا يُقدم أحدهم على قتل نفسه بسبب هذا الضنك.

إن ما يُعطى الكافر من نعيم في الدنيا إنما هو إمهال واستدارج، يقول تعالى: «سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ (١٨٢) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ» [الأعراف: ١٨٢-١٨٣]. وقال تعالى: «وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ» [البقرة: ١٢٦].

وقال تعالى: «لاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى» [طه: ١٣١].

وقال تعالى: «لاَ يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلاَدِ (١٩٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ» [آل عمران: ١٩٦، ١٩٧].

قال السعدي، رحمه الله: وهذه الآية المقصود منها التسلية عما يحصل للذين كفروا من متاع الدنيا، وتنعمهم فيها، وتقلبهم في البلاد بأنواع التجارات والمكاسب واللذات، وأنواع العز، والغلبة في بعض الأوقات، فإن هذا كله «متاع قليل» ليس له ثبوت ولا بقاء، بل يتمتعون به قليلاً ويعذبون عليه طويلاً، هذه أعلى حالة تكون للكافر، وقد رأيت ما تؤول إليه.

أما المتقون لربهم، المؤمنون به، فمع ما يحصل لهم من عز الدنيا ونعيمها «لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا».

فلو قدر أنهم في دار الدنيا، قد حصل لهم كل بؤس وشدة، وعناء ومشقة، لكان هذا بالنسبة إلى النعيم المقيم، والعيش السليم، والسرور والحبور، والبهجة نزرًا يسيرًا، ومنحة في صورة محنة، ولهذا قال تعالى: «وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلأَبْرَارِ»، وهم الذين برت قلوبهم، فبرت أقوالهم وأفعالهم، فأثابهم البر الرحيم من بره أجرًا عظيمًا، وعطاءً جسيمًا، وفوزًا دائمًا. اهـ.

ولأجل هذا يُكره للمؤمن الانغماس في لذات الدنيا والترفه فيها لأن هذا مما يُطغي ويُنسي، قال الله تعالى: «فَأَمَّا مَنْ طَغَى (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى» [النازعات: ٣٧ - ٤١].

عن سعد بن إبراهيم عن أبيه أن عبد الرحمن بن عوف أُتي بطعام وكان صائمًا، فقال: قتل مصعب بن عمير وهو خير مني، فكفن في بردة إن غطي رأسه بدت رجلاه، وإن غطي رجلاه بدا رأسه وأراه، قال: وقتل حمزة وهو خير مني، يعني فلم يوجد له ما يكفن فيه إلا بردة، ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط أو قال: أعطينا من الدنيا ما أعطينا وقد خشينا أن تكون حسناتنا عجلت لنا ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام. رواه البخاري.

جنة الدنيا

إذا رَضِيَ المؤمن بالله تعالى ربًا، وتذوق طعم الإيمان ووجد حلاوته ورضي عن الله تعالى في كل ما يفعله به ويقدره عليه، وجد في قلبه لذة لا تعادلها لذة، ألا وهي لذة الرضى بالله والأنس به والشوق إلى لقائه وحب هذا اللقاء، ومن أحب لقاء الله، أحب الله لقاءه، ولقد كان النبي ﷺ يسأل ربه لذة النظر إلى وجهه الكريم والشوق إلى لقائه، ولما خيره الله بين الدنيا وما فيها، وبين لقاء الله، اختار لقاء الله، وقال: «اللهم الرفيق الأعلى».

عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ذاق طعام الإيمان من رَضِيَ بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمدٍ رسولاً». رواه مسلم.

وعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال حين يمسي: رضيت بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيئًا، كان حقًا على الله أن يرضيه». رواه الترمذي وحسنه.

هذه الأمور الثلاثة التي تضمنتها هذه الأحاديث - وهي: الرضا بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ رسولاً، هي

الأصول الثلاثة التي بنى عليها الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله كتابه «الأصول الثلاثة وأدلتها»، وهي الأمور التي يسأل عنها في القبر، فالإنسان يسأل في قبره عن دينه وربه ونبيه محمد ﷺ.

ورد في «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح»: «ذاق طعم الإيمان» أي: حلاوة الإيمان ولذاته، «من رضي بالله ربًا»، قال صاحب التحرير: معنى رضيت بالشيء: قنعت به، واكتفيت به، ولم أطلب معه غيره، فمعنى الحديث: لم يطلب غير الله تعالى ولم يسع في غير طريق الإسلام ولم يسلك إلا ما يوافق شريعة محمد ﷺ، ولا شك أن من كانت هذه صفته فقد خلصت حلاوة الإيمان إلى قلبه وذاق طعمه.

وقال القاضي عياض: معنى الحديث: صح إيمانه واطمأنت به نفسه وخامر باطنه ؛ لأن رضاه بالمذكورات دليل لثبوت معرفته ونفاذ بصيرته ومخالطة بشاشته قلبه ؛ لأن من رضي أمرًا سهل عليه فكذا المؤمن إذا دخل قلبه الإيمان سهل عليه طاعات الله تعالى ولذت له.

وقال ابن القيم: فالرضى بإلهيته يتضمن الرضى بمحبته وحده وخوفه ورجائه والإنابة إليه والتبتل إليه، وانجذاب قوى الإرادة والحب كلها إليه، فعل الراضي بمحبوبه كل الرضى وذلك يتضمن عبادته والإخلاص له.

والرضى بربوبيته: يتضمن الرضى بتدبيره لعبده ويتضمن إفراده بالتوكل عليه والاستعانة به والثقة به والاعتماد عليه وأن يكون راضيًا بكل ما يفعل به.

فالأول: يتضمن رضاه بما يؤمر به، والثاني: يتضمن رضاه بما يقدر عليه.

وأما الرضى بنبيه رسولاً: فيتضمن كمال الانقياد له والتسليم المطلق إليه بحيث يكون أولى به من نفسه فلا يتلقى الهدى إلا من مواقع كلماته ولا يحاكم إلا إليه ولا يحكم عليه غيره ولا يرضى بحكم غيره البتة.

وأما الرضى بدينه: فإذا قال أو حكم أو أمر أو نهى: رضي كل الرضى ولم يبق في قلبه حرج من حكمه وسلم له تسليمًا ولو كان مخالفًا لمراد نفسه أو هواها أو قول شيخه وطائفته. «مدارج السالكين».

وقال في «الوابل الصيب»: وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - يقول: إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة.

وقال لي مرة: ما يصنع أعدائي بي ؟ أنا جنتي وبستاني في صدري، إن رحت فهي معي لا تفارقني، إن حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة.

وكان يقول في محبسه في القلعة: لو بذلت ملء هذه القلعة ذهبًا ما عدل عندي شكر هذه النعمة. أو قال: ما جزيتهم على ما تسببوا لي فيه من الخير، ونحو هذا.

وكان يقول في سجوده وهو محبوس: «اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، ما شاء الله».

وقال لي مرة: «المحبوس من حبس قلبه عن ربه، والمأسور من أسره هواه».

ولما دخل إلى القلعة وصار داخل سورها، نظر إليه وقال: «فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ».

وعلم الله ما رأيت أحدًا أطيب عيشًا منه قط، مع ما كان فيه من ضيق العيش وخلاف الرفاهية والنعيم بل ضدها، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشًا، وأشرحهم صدرًا، وأقواهم قلبًا، وأسرهم نفسًا، تلوح نضرة النعيم على وجهه، وكنا إذا اشتد بنا الخوف وساءت منا الظنون وضاقت بنا الأرض أتيناه، فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله وينقلب انشراحًا وقوة ويقينًا وطمأنينة.

فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل،

فآتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها.

وكان بعض العارفين يقول: لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف.

وقال آخر: مساكين أهل الدنيا، خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها، قيل: وما أطيب ما فيها ؟ قال: محبة الله تعالى ومعرفته وذكره. أو نحو هذا.

وقال آخر: إنه لتمر بي أوقات أقول فيها: إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب.

فمحبة الله تعالى ومعرفته ودوام ذكره والسكون إليه والطمأنينة إليه وإفراده بالحب والخوف والرجاء والتوكل والمعاملة بحيث يكون هو وحده المستولي على هموم العبد وعزماته وإرادته، هو جنة الدنيا والنعيم الذي لا يشبهه نعيم، وهو قرة عين المحبين، وحياة العارفين، وإنما تقر عيون الناس به على حسب قرة أعينهم بالله عز وجل، فمن قرت عينه بالله قرت به كل عين، ومن لم تقر عينه بالله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات.

قال الشيخ ابن عثيمين معلقًا على قول ابن تيمية: «جنتي في صدري»: ولعل هذا هو السر في قوله تبارك وتعالى: «لاَ يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الأُولَى» [الدخان: ٥٦]. يعني في الجنة لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى، ومعلوم أن الجنة لا موت فيها لا أولى ولا ثانية، لكن لما كان نعيم القلب ممتداً من الدنيا إلى دخوله الجنة، صارت كأن الدنيا والآخرة كلها جنة وليس فيها إلا موتة واحدة.

قال الله تعالى: «مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً»، فهذا في الدنيا، ثم قال: «وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»، فهذا في البرزخ والآخرة.

وقال تعالى: «وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ».

وقال تعالى: «وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ»، فهذا في الآخرة.

وقال تعالى: «قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ»، فهذه أربعة مواضيع ذكر الله تعالى فيها أنه يجزي المحسن بإحسانه جزاءين: جزاء في الدنيا وجزاء في الآخرة.

فالإحسان له جزاء معجل ولا بد، والإساءة لها جزاء معجل ولا بد، ولو لم يكن إلا ما يجازى به المحسن من انشراح صدره في انفساح قلبه وسروره ولذاته بمعاملة ربه عز وجل وطاعته وذكره ونعيم روحه بمحبته، وذكره وفرحه بربه سبحانه وتعالى أعظم مما يفرح القريب من السلطان الكريم عليه بسلطانه.

وما يجازى به المسيء من ضيق الصدر وقسوة القلب وتشتته وظلمته وغمه وهمه وحزنه وخوفه، وهذا أمر لا يكاد من له أدنى حسن وحياة يرتاب فيه، بل الغموم والهموم والأحزان والضيق عقوبات عاجلة ونار دنيوية وجهنم حاضرة، والإقبال على الله تعالى والإنابة إليه والرضا به وعنه، وامتلاء القلب من محبته واللهج بذكره والفرح والسرور بمعرفته ثواب عاجل وجنة وعيش لا نسبة لعيش الملوك إليه البتة.

اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل. وآخر داعونا أن الحمد لله رب العالمين.

ليلة القدر

خير من ألف شهر

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.. وبعد:

فلقد منَّ الله تبارك وتعالى على أمة محمد ﷺ بأن اختصها على غيرها من الأمم بخصائص عديدة، من هذه الخصائص: تلك الليلة المباركة التي هي خير ليالي العام على الإطلاق، والتي نزل فيها القرآن الكريم، ويُكتب فيها ما يكون في سنتها من موت وحياة ورزق ومطر، وقد جعل الله عز وجل العبادة فيها هي خير من عبادة ألف شهر، قال تعالى: «إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ» [سورة القدر].

إعداد: د/ جمال المراكبي
رئيس مجلس علماء الجماعة

فضل ليلة القدر

وفضائل ليلة القدر كثيرة وعظيمة من حُرم خيرها فهو المحروم حقاً، ومن وفقه الله عز وجل لقيامها فهو الفائز السعيد، ومن فضائل ليلة القدر:

أنها ليلة مباركة نزل فيها القرآن الكريم على النبي ﷺ، قال تعالى: «إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ» [الدخان٣، ٤]، وقال تعالى: «إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ» [القدر: ١].

فيها تكتب الآجال والمقادير، قال تعالى: «فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ».

وعن ربيعة بن كلثوم قال سأل رجل الحسن ونحن عنده فقال يا أبا سعيد أرأيت ليلة القدر أفي كل رمضان هي ؟ قال: إي والله الذي لا إله إلا هو إنها لفي كل شهر رمضان إنها ليلة يفرق فيها كل أمر حكيم فيها يقضي الله عز و جل كل خلق وأجل وعمل ورزق إلى مثلها. [الإبانة - لابن بطة].

وعن مجاهد في قوله تعالى: «يمحو الله ما يشاء ويثبت»، قال: إن الله ينزل كل شيء في ليلة القدر فيمحو ما يشاء من المقادير والآجال والأرزاق، إلا الشقاء والسعادة فإنه ثابت.

العمل فيها خير من عمل ألف شهر، قال تعالى: «لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ» [القدر: ٣].

أن قيام ليلها سبب لغفران الذنوب، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» [متفق عليه].

من حرمها فقد حُرم، فعن أنس بن مالك قال: دخل رمضان فقال رسول الله ﷺ: إن هذا الشهر قد حضركم وفيه ليلة خير من ألف شهر من حرمها فقد حرم الخير كله ولا يحرم خيرها إلا محروم [صحيح سنن ابن ماجه].

أن الملائكة تلك الليلة أكثر في الأرض من عدد الحصى.

يقبل الله التوبة فيها من كل تائب وتفتح فيها أبواب السماء وهي من غروب الشمس إلى طلوعها.

وعلى كل من الحائض والنفساء أن تحسن العمل طوال الشهر حتى يتقبل الله منهن، ولا يحرمهن فضل هذه الليلة، قال جويبر: قلت للضحاك: «أرأيت النفساء والحائض والمسافر والنائم لهم في ليلة القدر نصيب؟»، قال: «نعم، كل من تقبل الله عمله سيعطيه نصيبه من ليلة القدر».

شؤم المشاجرة والملاحاة

رفعت معرفة ليلة القدر بسبب الشجار والمخاصمة والتنازع فعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: أَخْبَرَنِي عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ لِيُخْبِرَنَا بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ، فَتَلاَحَى رَجُلاَنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، «فَقَالَ: إِنِّي خَرَجْتُ لأُخْبِرَكُمْ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ، فَتَلاَحَى فُلاَنٌ وَفُلاَنٌ، فَرُفِعَتْ، وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ، فَالْتَمِسُوهَا فِي التِّسْعِ وَالسَّبْعِ وَالخَمْسِ» فالتنازع والتشاجر سبب في رفع البركة وفي رفع الخير الذي يحدث لهذه الأمة.

الاختلاف في تحديد ليلة القدر

اختلف العلماء في ليلة القدر اختلافاً كثيراً، وقد أورد الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في الفتح أكثر من أربعين قولاً فيها، منها أنها رُفعت، ومنها أنها في جميع السنة، ومنها أنها في جميع ليالي رمضان، ومنها أنها أول ليلة من رمضان، وأنها ليلة النصف، وأنها ليلة إحدى وعشرين، وثلاث وعشرين، وسبع وعشرين وغير ذلك من الأقوال.

دليل من قال هي ليلة إحدى وعشرين

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه ، أَنَّهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْتَكِفُ العَشْرَ الوُسْطَى مِنْ رَمَضَانَ، فَاعْتَكَفَ عَامًا حَتَّى إِذَا كَانَتْ لَيْلَةُ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَهِيَ اللَّيْلَةُ الَّتِي يَخْرُجُ صُبْحَهَا مِنَ اعْتِكَافِهِ، قَالَ: مَنْ كَانَ اعْتَكَفَ مَعِي، فَلْيَعْتَكِفِ العَشْرَ الأَوَاخِرَ، وَقَدْ رَأَيْتُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ، ثُمَّ أُنْسِيتُهَا، وَقَدْ رَأَيْتُنِي أَسْجُدُ مِنْ صَبِيحَتِهَا فِي مَاءٍ وَطِينٍ، فَالتَمِسُوهَا فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ، وَالتَمِسُوهَا فِي كُلِّ وِتْرٍ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الخُدْرِيُّ: فَأَمْطَرَتِ السَّمَاءُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، وَكَانَ المَسْجِدُ عَلَى عَرِيشٍ، فَوَكَفَ المَسْجِدُ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ رضي الله عنه : فَأَبْصَرَتْ عَيْنَايَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ انْصَرَفَ عَلَيْنَا، وَعَلَى جَبْهَتِهِ وَأَنْفِهِ أَثَرُ المَاءِ وَالطِّينِ مِنْ صَبِيحَةِ لَيْلَةِ إِحْدَى.

ولهذا كان أبو سعيد يقول: إن ليلة القدر هي ليلة إحدى وعشرين استناداً إلى هذا الحديث عن النبي ﷺ.

دليل من قال هي ليلة ثلاث وعشرين

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ أُنَيْسٍ رضي الله عنه قلتُ لرسُولِ اللَّهِ ﷺ: إِنِّي أَكُونُ بِبَادِيَتِي، وَإِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ أُصَلِّي بِهِمْ، فَمُرْنِي بِلَيْلَةٍ مِنْ هَذَا الشَّهْرِ أَنْزِلُهَا إِلَى المَسْجِدِ، فَأُصَلِّيهَا فِيهِ، فَقَالَ: انْزِلْ لَيْلَةَ ثَلاَثٍ وَعِشْرِينَ، فَصَلِّهَا فيه، فَإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ تَسْتَتِمَّ آخِرَ الشَّهْرِ فَافْعَلْ، وَإِنْ أَحْبَبْتَ فَكُفَّ، قَالَ: فَكَانَ إِذَا صَلَّى العَصْرَ، دَخَلَ المَسْجِدَ، فَلَمْ يَخْرُجْ إِلا فِي حَاجَةٍ حَتَّى يُصَلِّيَ الصُّبْحَ، فَإِذَا صَلَّى الصُّبْحَ، كَانَتْ دَابَّتُهُ بِبَابِ المَسْجِدِ.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، قَالَ: تَذَاكَرْنَا لَيْلَةَ القَدْرِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَمْ مَضَى مِنَ الشَّهْرِ، قُلْنَا: اثْنَتَانِ وَعِشْرُونَ، وَبَقِيَ ثَمَانٍ، فَقَالَ: مَضَى اثْنَتَانِ وَعِشْرُونَ وَبَقِيَ سَبْعٌ، اطْلُبُوهَا اللَّيْلَةَ الشَّهْرُ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ».

دليل من قال هي ليلة سبع وعشرين

عَنْ زِرٍّ، قَالَ: قُلْتُ لأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه أَبَا المُنْذِرِ أَخْبِرْنَا عَنْ لَيْلَةِ القَدْرِ، قَالَ: فَإِنَّ ابْنَ أُمِّ عَبْدٍ، يَقُولُ: مَنْ يَقُمِ الحَوْلَ يُصِبْهَا، فَقَالَ: رَحِمَ اللَّهُ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَمَا إِنَّهُ قَدْ عَلِمَ أَنَّهَا فِي رَمَضَانَ، وَلَكِنْ كَرِهَ أَنْ يُخْبِرَكُمْ، فَتَتَّكِلُوا، هِيَ وَالَّذِي أَنْزَلَ القُرْآنَ عَلَى مُحَمَّدٍ لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ، فَقُلْنَا: يَا أَبَا المُنْذِرِ، أَنَّى عَلِمْتَ هَذَا ؟ قَالَ: بِالآيَةِ الَّتِي أَخْبَرَنَا النَّبِيُّ ﷺ، فَحَفِظْنَا وَعَدَدْنَا، هِيَ وَاللَّهِ لا نَسْتَثْنِي، قَالَ: قُلْنَا لِزِرٍّ: وَمَا الآيَةُ ؟ قَالَ: تَطْلُعُ الشَّمْسُ، كَأَنَّهَا طَاسٌ لَيْسَ لَهَا شُعَاعٌ.

هذا والراجح أنها في العشر الأواخر من رمضان فعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنهما، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُجَاوِرُ فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، وَيَقُولُ: «تَحَرَّوْا لَيْلَةَ القَدْرِ فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ».

وعَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «تَحَرَّوْا لَيْلَةَ القَدْرِ فِي الوِتْرِ مِنْ عَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -:

يَنْبَغِي أَنْ يَتَحَرَّاهَا المُؤْمِنُ فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ جميعها كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «تَحَرَّوْهَا فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ» وَتَكُونُ فِي السَّبْعِ الأَوَاخِرِ أَكْثَرَ. وَأَكْثَرُ مَا تَكُونُ لَيْلَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ كَمَا كَانَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ يَحْلِفُ أَنَّهَا لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ. اهـ

ولا شك أن الحكمة في إخفاء ليلة القدر: أن يحصل الاجتهاد فى التماسها وطلبها.

علامات ليلة القدر

ورد لليلة القدر علامات منها: أنها ليلة بلجة منيرة، وأنها ساكنة لا حارة ولا باردة، وأن الشمس تطلع في صبيحتها بيضاء مستوية ليس لها شعاع مثل القمر ليلة البدر.

طلب العفو والعافية في ليلة القدر

سألت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها النبي ﷺ: ماذا أقول إن وافقت ليلة القدر ؟ قال لها النبي ﷺ: «قولي: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني».

ولو تأملت أخي في جواب النبي ﷺ تجد أن هذه الكلمات تجمع للإنسان خيري الدنيا والآخرة، بأن يسلم من البلاء في الدنيا ومن العذاب في الآخرة، فإذا عوفي الإنسان في دنياه وآخرته كان

مآله إلى الجنة ولا بد.

فبالعافية تندفع عنك الأسقام ويقيك الله شرها ويرفعها عنك إن وقعت بك، وبالعافية يقيك الله شر ما لم ينزل من البلاء، وتستشعر نعمة الله عليك، وقد علمنا النبي ﷺ أن نقول عند رؤية المبتلى سواء في دينه أو في بدنه وأهله وماله (الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلا) وبين لنا أنها بمثابة المصل الواقي من طروء مثل هذا البلاء، فمن قالها عند أهل البلاء لم يصبه ذلك البلاء.

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه كان يسأل ربه العفو والعافية والستر والأمن والحفظ في كل يوم و ليلة.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لم يكن رسول الله ﷺ يدع هؤلاء الكلمات إذا أصبح وإذا أمسى «اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بعظمتك من أن أغتال من تحتي» [الأدب المفرد وسنن الترمذي، قال الشيخ الألباني: صحيح].

وأتى النبيَ ﷺ رجلٌ فقال: يا رسول الله أي الدعاء أفضل؟ قال: سل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة، ثم أتاه الغد فقال يا نبي الله؛ أي الدعاء أفضل قال سل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة فإذا أُعطيت العافية في الدنيا والآخرة، فقد أفلحت. [قال الشيخ الألباني: صحيح].

ليلة الإسراء وليلة القدر

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - عن رجل قال: ليلة الإسراء أفضل من ليلة القدر، وقال آخر: بل ليلة القدر أفضل فأيهما المصيب ؟

فأجاب: الحمد لله، أما القائل بأن ليلة الإسراء أفضل من ليلة القدر، فإن أراد أن تكون الليلة التي أسري فيها بالنبي ﷺ ونظائرها من كل عام، أفضل لأمة محمد ﷺ من ليلة القدر، بحيث يكون قيامها، والدعاء فيها أفضل منه في ليلة القدر فهذا باطل، لم يقله أحد من المسلمين، وهو معلوم الفساد بالاطراد من دين الإسلام، هذا إذا كانت ليلة الإسراء تعرف عينها، فكيف ولم يقم دليل معلوم لا على شهرها، ولا على عشرها، ولا على عينها، بل النقول في ذلك منقطعة مختلفة، ليس فيها ما يقطع به، ولا شرع للمسلمين تخصيص الليلة التي يظن أنها ليلة الإسراء بقيام ولا غيره، بخلاف ليلة القدر).

ليلة القدر وليلة النصف من شعبان

روي عن عكرمة -رحمه الله- أنه قال في تفسير قوله تعالى: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ × فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ»: أن هذه الليلة هي ليلة النصف من شعبان، يبرم فيها أمر السنة، وينسخ الأحياء من الأموات، ويكتب الحاج فلا يزاد فيهم أحد، ولا ينقص منهم أحد.

قال ابن كثير-رحمه الله- في تفسير قوله تعالى:«إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ»: يقول تعالى مخبراً عن القرآن العظيم أنه أنزله في ليلة مباركة، وهي ليلة القدر كما قال عز وجل:«إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ»، وكان ذلك في شهر رمضان كما قال تبارك وتعالى:«شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ».

ومن قال إنها ليلة النصف من شعبان كما روي عن عكرمة فقد أبعد النجعة، فإن نص القرآن في رمضان ا.هـ.

والحق أن هذه الليلة المبارك هي ليلة القدر، لا ليلة النصف من شعبان، لأن الله سبحانه وتعالى أجملها في قوله:«فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ». وبينها في سورة البقرة بقوله:«شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ» وبقوله تعالى:«إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ».

فدعوى أنها ليلة النصف من شعبان لاشك أنها دعوى باطلة، لمخالفتها النص القرآني الصريح، ولاشك أن كل ما خالف الحق فهو باطل، والأحاديث التي يوردها بعضهم في أنها من شعبان المخالفة لصريح القرآن لا أساس لها، ولا يصح سند شيء منها كما جزم به ابن العربي وغير واحد من المحققين، فالعجب كل العجب من مسلم يخالف نص القرآن الصريح بلا مستند من كتاب ولا سنة صحيحة.

عن ابن أبي مليكة قال قيل له أن زياداً النميري يقول إن ليلة النصف من شعبان أجرها كأجر ليلة القدر فقال ابن أبي مليكة: لو سمعته منه وبيدي عصا لضربته بها.

فعلى المسلم العاقل أن يطلب ليلة القدر، ويجتهد فيها قدر الإمكان حتى يحوز ذلك الفضل العظيم، فعن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «اطلبوا الخير دهركم كله، وتعرضوا لنفحات رحمة الله، فإن لله عز وجل نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده، وسلوا الله عز وجل أن يستر عوراتكم ويؤمن روعاتكم».

وعن محمد بن مسلمة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لربكم في أيام دهركم نفحات فتعرضوا له لعله أن يصيبكم نفحة منها فلا تشقون بعدها أبداً».

اللهم اجعلنا ممن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً، واجعلنا من عتقائها يا رب العالمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

الصبر طريق إلى

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

فرمضان شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة، قال تعالى: «وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ (٤٥) الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» [البقرة: ٤٥، ٤٦].

وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ» [البقرة: ١٥٣].

قال مجاهد: الصبر في هذه الآية هو الصوم ومنه قيل لرمضان شهر الصبر، فجاء الصوم والصلاة على هذا القول في الآية متناسباً في أن الصيام يكسر الشهوة ويزهد في الدنيا، والصلاة تورث الخشوع وتنفي الكبر وترغب في الآخرة.

وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: صم شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شهر.

إعداد: د/ جمال المراكبي

رئيس مجلس علماء الجماعة

ورمضان شهر الصبر؛ فإن الصائم يصبر فيه على الطاعة، ويصبر كذلك عن المعاصي، فيَكُفُّ نفسه عما كان يستمتع به من المباحات طاعة لله جل وعلا وتحقيقاً للتقوى، ويحبس نفسه عن المعاصي ويُلزمها بكثير من القربات من قيام وصدقة وصلة للأرحام وإطعام للطعام، ويصبر فيه على ألم الجوع والعطش.

وهو كذلك شهر الجهاد: والجهاد من الصبر، وقد غزا النبي ﷺ في شهر رمضان غزوتين، من أعظم غزواته جميعاً هما: غزوة بدر وغزوة الفتح.

ولقد كان الصحابة يعرفون أن رمضان شهر الصبر، وكان صبرهم عظيماً على أعباء الدعوة إلى الله، وعلى أعباء الجهاد، وعلى طاعة الله، وعن معصية الله، وعلى أقدار الله، فكان ﷺ وأصحابه يبلغون من الصبر غايته في شهر رمضان الذي هو شهر الصبر.

فهل استفدنا هذا الدرس من صوم رمضان وقيامه ؟!

جزاء الصابرين بغير حساب

لقد وصف الله تعالى جزاء الأعمال وجعل لها نهاية واحدة فقال: «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا» [الأنعام ١٦٠]، وجعل جزاء الصدقة في سبيل الله فوق هذا فقال: «مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ» [البقرة: ٢٦١].

لكنه جعل أجر الصابرين بغير حساب فقال: «إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ» [الزمر: ١٠] وقال: «وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ» [الشورى: ٤٣].

وقد قيل إن المراد بالصابرين في قوله «إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ» [الزمر: ١٠] أي الصائمون، لقوله تعالى في صحيح السنة عن النبي ﷺ: «الصيام لي وأنا أجزي به». فلم يذكر ثوابًا مقدرًا كما لم يذكره في الصبر والله اعلم.

جزاء الصابرين الجنة

أخبر الله سبحانه أن ملائكته تسلم علي الصابرين في الجنة بصبرهم كما قال تعالى:

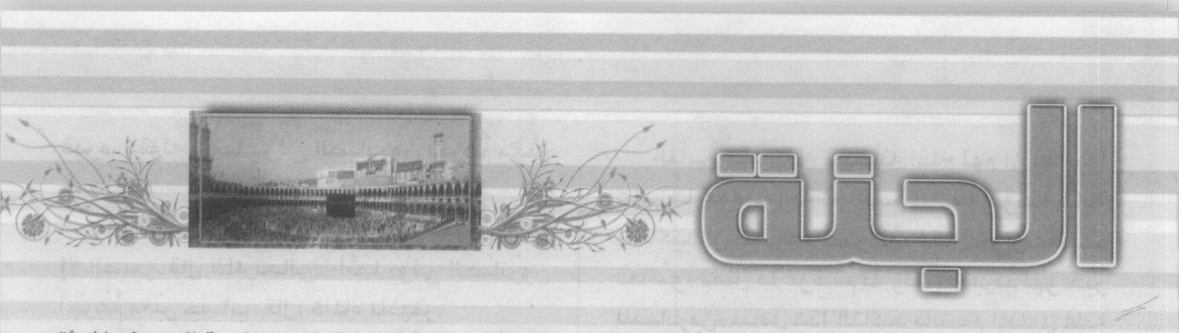

«وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلامٌ عَلَيْكُمْ، فَنِعْمَ عُقْبَى الدار».

وقال تعالى: «وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً».

وقال تعالى: «أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلاماً خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً».

وورد في سنن الترمذي ومسند الإمام أحمد وصحيح ابن حبان عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع فيقول: ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد).

- وفي صحيح البخاري من حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه ثم صبر عوضته منهما الجنة)، يريد عينيه.

وعند الترمذي في الحديث: (إذا أخذت كريمتي عبدي في الدنيا لم يكن له جزاء عندي إلا الجنة).

وفي الترمذي أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (يقول الله عز وجل: من أذهبت حبيبتيه فصبر واحتسب لم أرض له ثواباً دون الجنة).

- وفي سنن أبي داود من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يرضى الله لعبده المؤمن إذا ذهب بصفيه من أهل الأرض واحتسبه بثواب دون الجنة).

- وفي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (يقول الله عز وجل: ما لعبدي المؤمن جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة).

- وفي صحيحه أيضاً عن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس رضي الله عنهما: (ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إني أصرع واني أتكشف فادع الله لي، قال: إن شئت صبرت ولك الجنة وإن شئت دعوت الله تعالى أن يعافيك فقالت: أصبر، فقالت: إني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف، فدعا لها).

وعند البخاري في رواية عن عطاء «أنه رأى أم زفر تلك امرأة طويلة سوداء على ستر الكعبة».

وفي الموطأ من حديث عطاء بن يسار أن رسول الله ﷺ قال: (إذا مرض العبد بعث الله إليه ملكين، فقال: انظروا ماذا يقول لعواده؟ فإن هو إذ جاءاه حمد الله وأثنى عليه رفعا ذلك إلى الله وهو أعلم، فيقول: إن لعبدي عليَّ إن توفيته أن أدخله الجنة، وإن أنا شفيته أن أبدله لحماً خيراً من لحمه ودماً خيراً من دمه وأن أكفر عنه سيئاته).

الصبر في القرآن

قال ابن القيم في عدة الصابرين: قال الإمام أحمد رحمه الله: ذكر الله سبحانه الصبر في القرآن في تسعين موضعاً.

ونحن نذكر الأنواع التي سيق فيها الصبر وهي عدة أنواع:

أحدها: الأمر به كقوله: «وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ»، «وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ»، «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ».

الثاني: النهي عما يضاده كقوله: «وَلاَ تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ» وقوله: «وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا» وقوله: «وَلاَ تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ» وبالجملة فكل ما نهى عنه فإنه يضاد الصبر المأمور به.

الثالث: تعليق الفلاح به كقوله تعالى:«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ». فعلق الفلاح بمجموع هذه الأمور:

الرابع: الإخبار عن مضاعفة أجر الصابر على

غيره، كقوله:«إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ».

قال سليمان بن القاسم: كل عمل يعرف ثوابه إلا الصبر، قال الله تعالى: «إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ» قال: كالماء المنهمر.

الخامس: تعليق الإمامة في الدين به وباليقين قال الله تعالى: «وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ» فبالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين.

السادس: ظفرهم بمعية الله سبحانه لهم، قال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ» قال أبو علي الدقاق: (فاز الصابرون بعز الدارين لأنهم نالوا من الله معيته).

السابع: أنه جمع للصابرين ثلاثة أمور لم يجمعها لغيرهم وهي: الصلاة منه عليهم، ورحمته لهم، وهدايته إياهم.

قال تعالى: «وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ».

وقال بعض السلف وقد عُزِّيَ على مصيبة نالته فقال: مالي لا أصبر وقد وعدني الله على الصبر ثلاث خصال كل خصلة منها خير من الدنيا وما عليها.

الثامن: أنه سبحانه جعل الصبر عوناً وعدة، وأمر بالاستعانة به فقال: «وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ» (البقرة: ٤٥) فمن لا صبر له لا عون له.

التاسع: أنه سبحانه علق النصر بالصبر والتقوى فقال تعالى: «بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ» ولهذا قال النبي ﷺ: (واعلم أن النصر مع الصبر)

العاشر: أنه سبحانه جعل الصبرَ والتقوى جُنَّةً عظيمة من كيد العدو ومكره فما استجن العبد من ذلك بجنة أعظم منهما قال تعالى: «وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا».

الحادي عشر: أنه سبحانه أخبر أن ملائكته تسلم عليهم في الجنة بصبرهم كما قال: «وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ».

الثاني عشر: أنه سبحانه أباح لهم أن يعاقبوا على ما عوقبوا به ثم أقسم قسماً مؤكداً غاية التأكيد أن صبرهم خير لهم فقال: «وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ» فتأمل هذا التأكيد بالقسم المدلول عليه بالواو ثم باللام بعده ثم باللام التي في الجواب.

الثالث عشر: أنه سبحانه رتب المغفرة والأجر الكبير على الصبر والعمل الصالح فقال: «إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ» (هود: ١١).

الرابع عشر: أنه سبحانه جعل الصبر على المصائب من عزم الأمور أي مما يعزم من الأمور التي إنما يعزم على أجلِّها وأشرفها فقال: «وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ» (الشورى: ٤٣).

وقال لقمان لابنه: «وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ».

الخامس عشر: أنه سبحانه وعد المؤمنين بالنصر والظفر وهي كلمته التي سبقت لهم وهي الكلمة الحسنى وأخبر أنه إنما أنالهم ذلك بالصبر فقال تعالى: «وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا» (الأعراف: ١٣٧).

السادس عشر: أنه سبحانه علق محبته بالصبر وجعلها لأهله فقال: «وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ» (آل عمران: ١٤٦).

السابع عشر: أنه سبحانه أخبر عن خصال الخير أنه لا يلقاها إلا الصابرون في موضعين من كتابه في سورة القصص في قصة قارون وأن

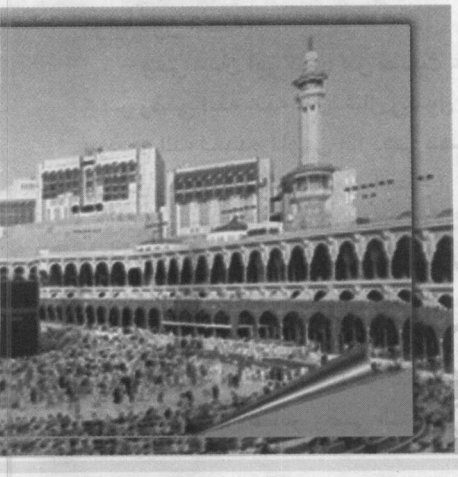

الذين أوتوا العلم قالوا للذين تمنوا مثل ما أوتي: «وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ» (القصص: ٨).

وفي سورة حم السجدة حيث أمر العبد أن يدفع بالتي هي أحسن، فإذا فعل ذلك صار الذي بينه وبينه عداوة كأنه حبيب قريب ثم قال: «وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ» (فصلت: ٣٥).

الثامن عشر: أنه سبحانه أخبر أنه إنما ينتفع بآياته ويتعظ بها الصبار الشكور فقال تعالى: «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ» (سبأ: ١٩).

وقال تعالى: «وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ (٣٢) إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ» (الشورى: ٣٢، ٣٣) فهذه تدل على أن آيات الرب إنما ينتفع بها أهل الصبر والشكر.

التاسع عشر: أنه أثنى على عبده أيوب بأحسن الثناء على صبره فقال: «إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ» (سورة ص: ٤٤) فأطلق عليه: نعم العبد بكونه وجده صابراً، وهذا يدل على أن من لم يصبر إذا ابتلى فإنه بئس العبد.

العشرون: أنه سبحانه حكم بالخسران حكماً عاماً على كل من لم يؤمن ولم يكن من أهل الحق والصبر، وهذا يدل على أنه لا رابح سواهم فقال تعالى: «وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ» ولهذا قال الشافعي: لو فكر الناس كلهم في هذه الآية لوسعتهم وذلك أن العبد كماله في تكميل قوتيه: قوة العلم وقوة العمل، وهما الإيمان والعمل الصالح، وكما هو محتاج إلى تكميل نفسه فهو محتاج إلى تكميل غيره وهو التواصي بالحق والتواصي بالصبر.

الحادي والعشرون: أنه سبحانه خص أهل الميمنة بأنهم أهل الصبر والمرحمة الذين قامت بهم هاتان الخصلتان ووصوا بهما غيرهما فقال تعالى: «ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (١٧) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ».

وهذا حصر لأصحاب الميمنة فيمن قام به هذان الوصفان والناس بالنسبة إليهما أربعة أقسام: هؤلاء خير الأقسام، وشرهم من لا صبر له ولا رحمة فيه ويليه من له صبر ولا رحمة عنده، ويليه القسم الرابع وهو من له رحمة ورقة ولكن لا صبر له.

الثاني والعشرون: أنه سبحانه قرن الصبر بأركان الإسلام ومقامات الإيمان كلها فقرنه بالصلاة كقوله: «وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ» (البقرة: ٤٥) وقرنه بالأعمال الصالحة عموماً كقوله: «إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» (هود: ١١) وجعله قرين التقوى كقوله: «إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ» (يوسف: ٩) وجعله قرين الشكر كقوله: «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ» (إبراهيم: ٥، لقمان: ٣، سبأ: ١٩، الشورى: ٣٣) وجعله قرين الحق وقرين المرحمة كقوله: «وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ» (البلد: ١٧) وجعله قرين اليقين كقوله: «لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ» (السجدة: ٢٤) وجعله قرين الصدق كقوله: «وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ» (الأحزاب: ٣٥) وجعله سبب محبته ومعيته ونصره وعونه وحسن جزائه ويكفي بعض ذلك شرفاً وفضلاً والله أعلم.

نسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يتقبل منا الصيام والقيام وسائر الأعمال وأن يلهمنا الصبر والصدق والإخلاص ويرزقنا الفردوس الأعلى من الجنة.

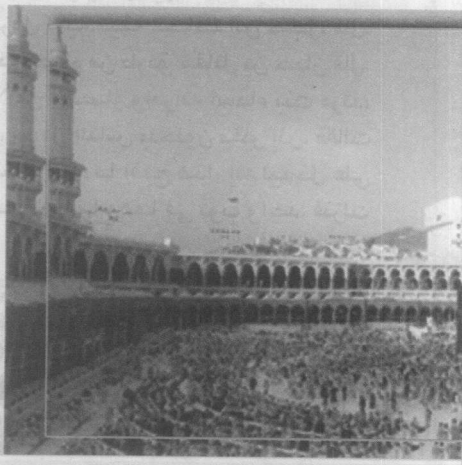

الطريق إلى

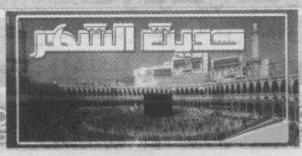

تكلمنا في اللقاء الماضي عن الصبر باعتباره طريق إلى الجنة وتكلمنا في حلقة سابقة عن الجنة ودرجاتها ومنازل أهلها بعنوان من يدخل الجنة .والسؤال الذي يطرح نفسه:

هل تصورنا الجنة ؟

هل تشوقنا وتشوقنا إلى الجنة ؟

ما هو الطريق الموصل إلى الجنة ؟

لقد تصور أصحاب النبي الجنة وسألوه عنها وعن الطريق الموصلة إليها مراراً وتكراراً.

عمل يدخل الجنة ويباعد من النار:

عن مُوسَى بْنُ طَلْحَةَ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو أَيُّوبَ أَنَّ أَعْرَابِيًّا عَرَضَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي سَفَرٍ. فَأَخَذَ بِخِطَامِ نَاقَتِهِ أَوْ بِزِمَامِهَا ثُمَّ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ - أَوْ يَا مُحَمَّدُ - أَخْبِرْنِي بِمَا يُقَرِّبُنِي مِنَ الْجَنَّةِ وَمَا يُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ. قَالَ فَكَفَّ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ نَظَرَ فِي أَصْحَابِهِ ثُمَّ قَالَ: «لَقَدْ وُفِّقَ - أَوْ لَقَدْ هُدِيَ - قَالَ كَيْفَ قُلْتَ». قَالَ فَأَعَادَ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «تَعْبُدُ اللَّهَ لاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ وَتَصِلُ الرَّحِمَ دَعِ النَّاقَةَ».

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ أَعْرَابِيًّا جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ. قَالَ: «تَعْبُدُ اللَّهَ لاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ الْمَكْتُوبَةَ وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ وَتَصُومُ رَمَضَانَ». قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ أَزِيدُ عَلَى هَذَا شَيْئًا أَبَدًا وَلاَ أَنْقُصُ مِنْهُ». فَلَمَّا وَلَّى قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا».

وعَنْ جَابِرٍ قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ النُّعْمَانُ بْنُ قَوْقَلٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِذَا صَلَّيْتُ الْمَكْتُوبَةَ وَحَرَّمْتُ الْحَرَامَ وَأَحْلَلْتُ الْحَلاَلَ أَأَدْخُلُ الْجَنَّةَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «نَعَمْ». وهذه الأحاديث كلها في الصحيحين أو أحدهما.

وعن معاذ بن جبل: قال كنت مع النبي ﷺ في سفر فاصبحت يوما قريباً منه ونحن نسير، فقلت يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار قال لقد سألتني عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت. ثم قال: ألا أدلك على أبواب الخير ؟ الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما تطفئ الماء النار، وصلاة الرجل من جوف الليل، قال: ثم تلا (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (١٦) فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [السجدة: ١٦-١٧] ثم قال: ألا أخبرك برأس الأمر كله وعموده وذروة سنامه ؟ قلت: بلى يا نبي الله. قال: رأس الأمر الاسلام ,وعموده الصلاة ,وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله. ثم قال: ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ قلت: بلى يا رسول الله فأخذ بلسانه و قال كف عليك هذا. فقلت يا نبي الله وإنا لمؤاخذون مما نتكلم به ؟ فقال ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم. [قال أبو عيسى الترمذي هذا حديث حسن صحيح - وقال الشيخ الألباني: صحيح]

الطريق إلى الجنة صراط مستقيم:

قال تعالى: (اهدنا الصراط المستقيم) وقال تعالي: (وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه) وقال تعالى (وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا (٦٦) وَإِذاً لآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْراً عَظِيمًا (٦٧) وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا (٦٨) وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ

الجنة

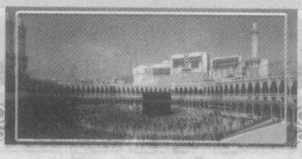

إعداد: د/ جمال المراكبي
رئيس مجلس علماء الجماعة

أُولَئِكَ رَفِيقًا) [النساء ٦٦: ٦٩]

عن النواس بن سمعان قال قال رسول الله ﷺ: ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً، وعلى كنفي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة وعلى الأبواب ستور مرخاة وعلى الصرط داع يدعو يقول: يا أيها الناس اسلكوا الصراط جميعا ولا تعوجوا وداع يدعو على الصراط فإذا أراد أحدكم فتح شيء من تلك الأبواب، قال: ويلك لا تفتحه فإنك إنه تفتحه تلجه.

فالصراط الإسلام والستور حدود الله والأبواب المفتحة محارم الله والداعي الذي على رأس الصراط كتاب الله والداعي من فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم.

أخرجه الحاكم وقال:هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لا أعرف له علة و لم يخرجاه. وقال الذهبي قي التلخيص: على شرط مسلم ولا علة له.

وزاد الترمذي: (والله يدعو إلى دار الإسلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم).

فضرب النبي ﷺ مثل الإسلام في هذا الحديث بصراط مستقيم وهو الطريق السهل الواسع الموصل سالكه إلى مطلوبه وهو مع هذا مستقيم لا عوج فيه فيقتضي ذلك قربه وسهولته وعلى جنبتي الصراط يمنة ويسرة سوران وهما حدود الله وكما أن السور يمنع من كان داخله من تعديه ومجاوزته فكذلك الإسلام يمنع من دخل فيه من الخروج عن حدوده ومجاوزتها وليس وراء ما حد الله من المأذون فيه إلا ما نهى عنه ولهذا مدح سبحانه الحافظين لحدوده وذم من لا يعرف حد الحلال من الحرام كما قال تعالى: (الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله) [التوبة]

حرص الصديق على الجنة والأسباب الموصلة اليها:

عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: من أصبح منكم اليوم صائما ؟ قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا. قال: فمن تبع منكم اليوم جنازة ؟ قال أبوبكر: أنا. قال: فمن أطعم منكم اليوم مسكينا ؟ قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا. قال: فمن عاد منكم اليوم مريضا ؟ قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا. فقال رسول الله ﷺ: ما اجتمعن في امرئ، إلا دخل الجنة.

وعن عبد الرحمن بن أبي بكر، رضي الله عنه، قال: رسول الله ﷺ صلاة الصبح ثم أقبل على أصحابه بوجهه فقال: هل فيكم أحد أصبح اليوم صائما ؟ فقال: عمر بن الخطاب: يا رسول الله لم أحدث نفسي بالصوم فأصبحت مفطرا، فقال أبو بكر: لكني حدثت نفسي بالصوم البارحة فأصبحت صائما. فقال رسول الله ﷺ: هل أحد منكم اليوم عاد مريضا ؟ فقال: يا رسول الله، صلينا ثم لم نبرح فكيف نعود المرضى ! فقال أبو بكر: بلغني أن أخي عبد الرحمن بن عوف شاكي، فجعلت طريقي عليه حين خرجت إلى المسجد. فقال رسول الله ﷺ: هل تصدّق أحد منكم اليوم بصدقة ؟ فقال عمر يا رسول الله صلينا ثم لم نبرح. فقال أبو بكر: دخلت المسجد فإذا أنا بسائل يسأل، فو جدت كسرة خبز شعير في يد عبد الرحمن، فأخذتها فدفعتها إليه. فقال رسول الله ﷺ: أنت فأبشر بالجنة. فتنفس عمر: أوّه، أوّه، أوّه للجنة) [أخرجه ابن أبي عاصم في " السنة "]

الإيمان بوابة الطريق ومدخلها الوحيد:

عنْ أَبِى جَمْرَةَ قَالَ كُنْتُ أُتَرْجِمُ بَيْنَ يَدَىِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَبَيْنَ النَّاسِ فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ تَسْأَلُهُ عَنْ نَبِيذِ الْجَرِّ فَقَالَ إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- «مَنِ الْوَفْدُ أَوْ مَنِ الْقَوْمُ». قَالُوا رَبِيعَةُ. قَالَ «مَرْحَبًا بِالْقَوْمِ أَوْ بِالْوَفْدِ غَيْرَ خَزَايَا وَلاَ النَّدَامَى». قَالَ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَأْتِيكَ مِنْ شُقَّةٍ بَعِيدَةٍ وَإِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ هَذَا الْحَىَّ مِنْ كُفَّارِ مُضَرَ وَإِنَّا لاَ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَأْتِيَكَ إِلاَّ فِى شَهْرِ الْحَرَامِ فَمُرْنَا بِأَمْرٍ فَصْلٍ نُخْبِرْ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا نَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ. قَالَ فَأَمَرَهُمْ بِأَرْبَعٍ وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ. قَالَ أَمَرَهُمْ بِالإِيمَانِ بِاللَّهِ وَحْدَهُ. وَقَالَ «هَلْ تَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللَّهِ». قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ «شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ

مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَإِقَامُ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ وَصَوْمُ رَمَضَانَ وَأَنْ تُؤَدُّوا خُمُسًا مِنَ الْمَغْنَمِ». وَنَهَاهُمْ عَنِ الدُّبَّاءِ وَالْحَنْتَمِ وَالْمُزَفَّتِ. قَالَ شُعْبَةُ وَرُبَّمَا قَالَ النَّقِيرِ. قَالَ شُعْبَةُ وَرُبَّمَا قَالَ الْمُقَيَّرِ.

ولا تكاد تجد للجنة ذكراً في كتاب الله عز وجل إلا وتجد البشرى لعباد الله المؤمنين المتقين الَّذين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ.

قال الله تعالى: (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) [البقرة: ٢٥]

وقال تعالى: (وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) [البقرة: ٨٢].

وقال تعالى: (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤) قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (١٥) الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٦) الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ) [آل عمران: ١٧]

وقال تعالى: (رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ (١٩٣) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (١٩٤) فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُواْ وَقُتِلُواْ لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّن عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ (١٩٥)»

وقال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا (٥٦) وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاً ظَلِيلاً (٥٧)» [النساء ٥٦-٥٧]

وقال تعالى: (وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً) [١٢٢]

وقال تعالى: (وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاَةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ) [المائدة: ١٢]

وقال تعالى: (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُواْ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ) [المائدة: ٧٢].

والأحاديث في هذا المعني كثيرة، ففي صحيح مسلم: باب مَنْ لَقِيَ اللَّهَ بِالإِيمَانِ وَهُوَ غَيْرُ شَاكٍّ فِيهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ

ثم ساق بالإسناد المتصل عَنْ جَابِرٍ قَالَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْمُوجِبَتَانِ فَقَالَ: «مَنْ مَاتَ لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ».

وفي صحيح مسلم أيضاً: باب بَيَانِ أَنَّهُ لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلاَّ الْمُؤْمِنُونَ وَأَنَّ مَحَبَّةَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الإِيمَانِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «لاَ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا.

أَوَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَىْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ».

وقد ثبت في الصحيح «أن النبي ﷺ أمر مناديا ينادي في بعض الغزوات: «أنه لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة»

ولما أمّر أبا بكر في الحج في السنة التاسعة من الهجرة أرسل معه مؤذنين يؤذنون منهم علي و أبو هريرة وغيره يؤذنون في الناس بأربع كلمات منها: «لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ولا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان له عهد فهو إلى عهده ومن لم يكن له عهد فهو إلى أربعة أشهر».

والحمد لله رب العالمين

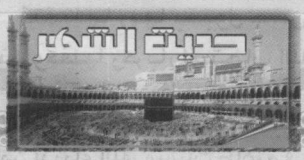

لا إله إلا الله

إذا كان الإيمان بوابة الطريق إلى الجنة، فإن التوحيد - وهو لبُّ الإيمان - مفتاح الجنة، وكلمة التوحيد لا إله إلا الله مفتاح الجنة.

ثبت عن النبيّ ﷺ، أنه قال: «من شهد أن لا إله إلا الله وجبت له الجنة». وهذا حديث متواتر تواترًا معنويًا، وقد أورده السيوطي في «الأزهار المتناثرة» من رواية أربعة وثلاثين نفسًا. لكن جاء في بعض رواياته «وجبت له الجنة» وفي بعضها «دخل الجنة»، وفي بعضها «حرَّم الله عليه النار» وكلها بمعنًى.

فقد روى مسلم في صحيحه في باب: أَوَّلُ الإِيمَانِ قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، عن سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلٍ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا عَمِّ، قُلْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ. كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ». فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ، أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ. فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ، وَيُعِيدُ لَهُ تِلْكَ الْمَقَالَةَ، حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ. وَأَبَى أَنْ يَقُولَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَا وَاللَّهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ». فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾. وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: ﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦] [البخاري ١٣٦٠، ومسلم: ٢٥].

فضل شهادة أن لا إله إلا الله

هذه الكلمة هي سبيل الفوز بالجنة، والنجاة من النار، قال الحكمي رحمه الله في سلم الوصول:

وقد حوته لفظة الشهاده
فهي سبيل الفوز والسعاده
من قالها معتقدًا معناها
وكان عاملاً بمقتضاها
في القول والفعل ومات مؤمنًا
يبعث يوم الحشر ناجٍ آمنًا

وقال الله عز وجل: ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

وهي سبيل السعادة في الدارين، لا وصول إليها إلا بهذه الكلمة، فهي الكلمة التي أرسل الله بها رسله، وأنزل بها كتبه، ولأجلها خُلقت الدنيا والآخرة، والجنة والنار، وفي شأنها تكون الشقاوة والسعادة، وبها تُؤخَذ الكتب باليمين أو الشمال، ويثقل الميزان أو يخفّ، وبها النجاة من النار بعد الورود، وبعدم التزامها البقاء في النار، وبها أخذ الله الميثاق، وعليها الجزاء والمحاسبة، وعنها السؤال يوم التلاق؛ إذ يقول تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ . عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢-٩٣].

وهي أعظم نعمة أنعم الله عز وجل بها على عباده أن هداهم إليها، ولهذا ذكرها في سورة النحل التي هي سورة التوحيد والنعم، فقدمها أولاً قبل كل نعمة فقال تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلاَ

مفتاح الجنة

إعداد: د/ جمال المراكبي
رئيس مجلس علماء الجماعة

تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ . يُنَزِّلُ الْمَلاَئِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاتَّقُونِ . خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ . خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ . وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ . وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ . وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ . وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ . وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النحل:١-٩].

وهي كلمة الشهادة، ومفتاح دار السعادة، وهي أصل الدين وأساسه، وبقية أركان الدين وفرائضه متفرعة عنها، متشعبة منها، مكملات لها، مقيدة بالتزام معناها والعمل بمقتضاها، وهي العروة الوثقى التي قال الله عز وجل فيها: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انْفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦] قاله سعيد بن جبير والضحاك.

وهي العهد الذي ذكر الله عز وجل؛ إذ يقول: ﴿لاَ يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ [مريم: ٨٧] قال ذلك عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال: هو شهادة أن لا إله إلا الله، والبراءة من الحول والقوة إلا بالله، وأن لا يرجو إلا الله عز وجل.

وهي الحسنى التي قال الله عز وجل: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى . وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى . فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ [الليل:٥-٧] الآيات، قاله أبو عبد الرحمن السلمي والضحاك، ورواه عطية العوفي عن ابن عباس.

وهي كلمة الحق التي ذكر الله عز وجل؛ إذ يقول تعالى: ﴿إِلاَّ مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٦٨] قال ذلك البغوي.

وهي كلمة التقوى التي ذكر الله عز وجل؛ إذ يقول: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ [الفتح: ٢٦] روى ذلك ابن جرير وعبد الله بن أحمد، والترمذي بأسانيدهم إلى أُبَيّ بن كعب رضي الله عنه عن النبي ﷺ.

وهي القول الثابت الذي ذكر الله عز وجل: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] أخرجاه في الصحيحين عن البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي ﷺ.

وهي الكلمة الطيبة المضروبة مثلاً قبل ذلك؛ إذ يقول تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم: ٢٤]، قاله علي بن طلحة عن ابن عباس: أصلها ثابت في قلب المؤمن، وفرعها العمل الصالح في السماء، صاعد إلى الله عز وجل، وكذا قال الضحاك وسعيد بن جبير، وعكرمة ومجاهد، وغير واحد.

وهي الحسنة التي ذكر الله عز وجل؛ إذ يقول: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الانعام: ١٦٠]، وقال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ [النمل:٨٩] قال ذلك زين العابدين وإبراهيم النخعي.

وعن أبي ذر مرفوعًا: «هي أحسن الحسنات، وهي تمحو الذنوب والخطايا».

وهي المثل الأعلى الذي ذكر الله عز وجل؛ إذ يقول: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم:٢٧] قال ذلك قتادة ومحمد بن جرير، ورواه مالك عن محمد بن المنكدر.

وهي سبب النجاة من النار كما في صحيح مسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالك قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّه ﷺ يُغِيرُ إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ، وَكَانَ يَسْتَمِعُ الأَذَانَ، فَإِنْ سَمِعَ أَذَانًا أَمْسَكَ، وَإِلاَّ أَغَارَ، فَسَمِعَ رَجُلاً يَقُولُ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ «عَلَى الْفِطْرَة». ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ «خَرَجْتَ مِنَ النَّارِ». فَنَظَرُوا فَإِذَا هُوَ رَاعِي مِعْزًى.

وفيه عَنِ الصُّنَابِحِيِّ قال: دخلت على عُبَادَةَ بْنِ الصَّامت وَهُوَ فِي الْمَوْت فَبَكَيْتُ، فَقَالَ: مَهْلاً لِمَ تَبْكِي فَوَاللَّه لَئِنِ اسْتُشْهِدْتُ لأَشْهَدَنَّ لَكَ، وَلَئِنْ شُفِّعْتُ لأَشْفَعَنَّ لَكَ، وَلَئِنِ اسْتَطَعْتُ لأَنْفَعَنَّكَ، ثُمَّ قَالَ: وَاللَّه مَا مِنْ حَدِيثٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّه ﷺ لَكُمْ فِيهِ خَيْرٌ إِلاَّ حَدَّثْتُكُمُوهُ إِلاَّ حَدِيثًا وَاحِدًا، وَسَوْفَ أُحَدِّثُكُمُوهُ الْيَوْمَ، وَقَدْ أُحِيطَ بِنَفْسِي، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّه؛ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ النَّارَ» [مسلم ٣٠].

وفيه أيضًا عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالك أَنَّ نَبِيَّ اللَّه ﷺ وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحْلِ، قَالَ: «يَا مُعَاذُ». قَالَ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّه وَسَعْدَيْكَ. قَالَ: «يَا مُعَاذُ». قَالَ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّه وَسَعْدَيْكَ. قَالَ: «يَا مُعَاذُ». قَالَ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّه وَسَعْدَيْكَ. قَالَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ إِلاَّ حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ». قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه أَفَلاَ أُخْبِرُ بِهَا النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا؟ قَالَ: «إِذًا يَتَّكِلُوا». فَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّمًا. [البخاري ١٢٨، ومسلم ٣٥].

وفي حديث الشفاعة الطويل: «أخرجوا من النار من قال لا إله إلا الله، وكان في قلبه مثقال ذرة من إيمان» [البخاري: ٧٤١٠]

وهي سبب دخول الجنة كما في الصحيحين عن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامت رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «مَنْ قَالَ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّه وَابْنُ أَمَتِه، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ». وفي رواية: «أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ عَمَلٍ» [مسلم ٣٠].

وعَنْ عُثْمَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ». [مسلم ٢٨].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي مَسِيرٍ -قَالَ- فَنَفِدَتْ أَزْوَادُ الْقَوْمِ قَالَ حَتَّى هَمَّ بِنَحْرِ بَعْضِ حَمَائِلِهِمْ -قَالَ- فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّه، لَوْ جَمَعْتَ مَا بَقِيَ مِنْ أَزْوَادِ الْقَوْمِ، فَدَعَوْتَ اللَّهَ عَلَيْهَا. قَالَ فَفَعَلَ -قَالَ- فَجَاءَ ذُو الْبُرِّ بِبُرِّهِ، وَذُو التَّمْرِ بِتَمْرِهِ -قَالَ: وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَذُو النَّوَاةِ بِنَوَاهُ- قُلْتُ: وَمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ بِالنَّوَى؟ قَالَ: كَانُوا يَمُصُّونَهُ وَيَشْرَبُونَ عَلَيْهِ الْمَاءَ. قَالَ فَدَعَا عَلَيْهَا -قَالَ- حَتَّى مَلأَ الْقَوْمُ أَزْوِدَتَهُمْ -قَالَ- فَقَالَ عِنْدَ ذَلِكَ: «أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّه، لاَ يَلْقَى اللَّهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا إِلاَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ» [مسلم ٢٩].

وفي رواية عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَوْ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ -شَكَّ الأَعْمَشُ- قَالَ: لَمَّا كَانَ غَزْوَةُ تَبُوكَ أَصَابَ النَّاسَ مَجَاعَةٌ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّه لَوْ أَذِنْتَ لَنَا فَنَحَرْنَا نَوَاضِحَنَا، فَأَكَلْنَا وَادَّهَنَّا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «افْعَلُوا». قَالَ: فَجَاءَ عُمَرُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه إِنْ فَعَلْتَ قَلَّ الظَّهْرُ، وَلَكِنِ ادْعُهُمْ بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ، ثُمَّ ادْعُ اللَّهَ لَهُمْ عَلَيْهَا بِالْبَرَكَةِ؛ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ فِي ذَلِكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «نَعَمْ». قَالَ فَدَعَا بِنِطَعٍ فَبَسَطَهُ، ثُمَّ دَعَا بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ -قَالَ-: فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِكَفِّ ذُرَةٍ -قَالَ-: وَيَجِيءُ الآخَرُ بِكَفِّ

عن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامت رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «مَنْ قَالَ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّه وَابْنُ أَمَتِه، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ»

تَمْرٍ - قَالَ- وَيَجِيءُ الآخَرُ بِكِسْرَةٍ، حَتَّى اجْتَمَعَ عَلَى النِّطَعِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ يَسِيرٌ -قَالَ-: فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِ بِالْبَرَكَةِ، ثُمَّ قَالَ: «خُذُوا فِي أَوْعِيَتِكُمْ». قَالَ فَأَخَذُوا فِي أَوْعِيَتِهِمْ حَتَّى مَا تَرَكُوا فِي الْعَسْكَرِ وِعَاءً إِلاَّ مَلأُوهُ -قَالَ-: فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، وَفَضَلَتْ فَضْلَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، لاَ يَلْقَى اللَّهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فَيُحْجَبَ عَنِ الْجَنَّةِ» [مسلم ٣٠].

وعن أبي هُرَيْرَةَ قَالَ: كُنَّا قُعُودًا حَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، مَعَنَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فِي نَفَرٍ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا، فَأَبْطَأَ عَلَيْنَا، وَخَشِينَا أَنْ يُقْتَطَعَ دُونَنَا، وَفَزِعْنَا فَقُمْنَا، فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ، فَخَرَجْتُ أَبْتَغِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى أَتَيْتُ حَائِطًا لِلأَنْصَارِ لِبَنِي النَّجَّارِ، فَدُرْتُ بِهِ، هَلْ أَجِدُ لَهُ بَابًا؟ فَلَمْ أَجِدْ، فَإِذَا رَبِيعٌ، يَدْخُلُ فِي جَوْفِ حَائِطٍ مِنْ بِئْرٍ خَارِجَةٍ، وَالرَّبِيعُ الْجَدْوَلُ، فَاحْتَفَزْتُ كَمَا يَحْتَفِزُ الثَّعْلَبُ، فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: أَبُو هُرَيْرَةَ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: مَا شَأْنُكَ؟ قُلْتُ: كُنْتَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، فَقُمْتَ فَأَبْطَأْتَ عَلَيْنَا، فَخَشِينَا أَنْ تُقْتَطَعَ دُونَنَا، فَفَزِعْنَا، فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ، فَأَتَيْتُ هَذَا الْحَائِطَ فَاحْتَفَزْتُ كَمَا يَحْتَفِزُ الثَّعْلَبُ، وَهَؤُلاَءِ النَّاسُ وَرَائِي، فَقَالَ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، وَأَعْطَانِي نَعْلَيْهِ، قَالَ: اذْهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ، فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ، يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ لَقِيتُ عُمَرُ، فَقَالَ: مَا هَاتَانِ النَّعْلاَنِ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ فَقُلْتُ: هَاتَانِ نَعْلاَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بَعَثَنِي بِهِمَا مَنْ لَقِيتُ، يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ بَشَّرْتُهُ بِالْجَنَّةِ، فَضَرَبَ عُمَرُ بِيَدِهِ بَيْنَ ثَدْيَيَّ، فَخَرَرْتُ لاِسْتِي، فَقَالَ: ارْجِعْ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَجْهَشْتُ بُكَاءً، وَرَكِبَنِي عُمَرُ، فَإِذَا هُوَ عَلَى أَثَرِي، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا لَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ قُلْتُ: لَقِيتُ عُمَرَ فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي بَعَثْتَنِي بِهِ، فَضَرَبَ بَيْنَ ثَدْيَيَّ ضَرْبَةً خَرَرْتُ لاِسْتِي، قَالَ: ارْجِعْ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ: يَا عُمَرُ، مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ؟ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، أَبَعَثْتَ أَبَا هُرَيْرَةَ بِنَعْلَيْكَ، «مَنْ لَقِيَ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ بَشَّرَهُ بِالْجَنَّةِ»، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَلاَ تَفْعَلْ، فَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَتَّكِلَ النَّاسُ عَلَيْهَا فَخَلِّهِمْ يَعْمَلُونَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَخَلِّهِمْ» [مسلم ٣٤].

وهي أفضل ما ذُكِرَ الله عز وجل به، وأثقل شيء في ميزان العبد يوم القيامة، كما في المسند عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: «إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ نُوحًا عليه السلام لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لابْنِهِ: إِنِّي قَاصٌّ عَلَيْكَ الْوَصِيَّةَ آمُرُكَ بِاثْنَتَيْنِ، وَأَنْهَاكَ عَنِ اثْنَتَيْنِ، آمُرُكَ بِلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، فَإِنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ، وَالأَرَضِينَ السَّبْعَ، لَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ، وَوُضِعَتْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ فِي كِفَّةٍ، رَجَحَتْ بِهِنَّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ، وَالأَرَضِينَ السَّبْعَ، كُنَّ حَلْقَةً مُبْهَمَةً، قَصَمَتْهُنَّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ» [أحمد ٦٥٤٧، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد ٤٢٦].

لا إله إلا الله هي أفضل ما ذُكر الله عز وجلّ به، وأثقل شيء في ميزان العبد يوم القيامة وهي أعلى شعب الإيمان

وفي المسند عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ اللَّهَ يَسْتَخْلِصُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلاَئِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلاًّ، كُلُّ سِجِلٍّ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَتْكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ قَالَ: لاَ، يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَلَكَ عُذْرٌ، أَوْ حَسَنَةٌ؟ فَيُبْهَتُ الرَّجُلُ، فَيَقُولُ: لاَ، يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً

وَاحِدَةً، لاَ ظُلْمَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ، فَتُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ، فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: أَحْضِرُوهُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلاَّتِ؟ فَيُقَالُ: إِنَّكَ لاَ تُظْلَمُ، قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلاَّتُ فِي كَفَّةٍ، قَالَ: فَطَاشَتْ السِّجِلاَّتُ، وَثَقُلَتْ الْبِطَاقَةُ، وَلاَ يَثْقُلُ شَيْءٌ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» [أحمد ٦٩٥٥، وصححه الألباني في صحيح الجامع ١٧٧٦].

وهي أعلى شعب الإيمان كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ، أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ» [البخاري: ٩، مسلم ٣٥].

ولهذا كان رسول الله يبدأ بها في الدعوة إلى الله، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ مُعَاذًا قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ؛ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ» [البخاري: ٢٤٤٨، مسلم ١٩]. وهي الكلمة التي أمر النبي بقتال من أباها ورفضها، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: «لَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَاسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَهُ، وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ الْعَرَبِ، قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لأَبِي بَكْرٍ: كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ؟ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ، حَتَّى يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، فَمَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي، مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلاَّ بِحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَاللَّهِ لأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ، وَاللَّهِ لَوْ مَنَعُونِي عِقَالاً، كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهِ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: فَوَاللَّهِ، مَا هُوَ إِلاَّ أَنْ رَأَيْتُ اللَّهَ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ» [البخاري: ١٣٩٩، مسلم ٢٠].

وعن سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، فَمَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلاَّ بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ» [البخاري ٢٩٤٦].

وعَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، فَإِذَا قَالُوا لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ». ثُمَّ قَرَأَ ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ﴾. [البخاري: ٢٩٤٦ مسلم ٢١].

وقد أمرنا رسول الله ﷺ أن نلقّن موتانا عند الاحتضار: لا إله إلا الله، فعن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله («لقنوا موتاكم لا إله إلا الله، فإنه من كان آخر كلامه: لا إله إلا الله دخل الجنة» [صححه الألباني في صحيح الجامع ٥٠٥١] نسأل الله العظيم رب العرش الكريم بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يجعلنا من أهلها والقائمين بحقوقها، وأن يحيينا عليها، ويتوفانا عليها، وأن يجمعنا بها مع خاصة أوليائه وأصفيائه من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا.

والحمد لله رب العالمين.

وقد أمرنا رسول الله ﷺ أن نلقّن موتانا عند الاحتضار: لا إله إلا الله، فعن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله «لقنوا موتاكم لا إله إلا الله، فإنه من كان آخر كلامه: لا إله إلا الله دخل الجنة»

حب سورة الإخلاص يوجب دخول الجنة

إعداد: د/ جمال المراكبي

رئيس مجلس علماء الجماعة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فقد تكلمنا عن الإيمان باعتباره بوابة الطريق إلى الجنة، ثم تكلمنا عن كلمة الإخلاص «لا إله إلا الله»، ومن كلمة الإخلاص ننتقل إلى سورة الإخلاص.

وسورة الإخلاص توجب دخول الجنة، وقد دلت على ذلك نصوص كثيرة، وقد قال رسول الله ﷺ لمن قرأها وجبت، قالوا وما وجبت؟ قال: الجنة، فقد روى الترمذي بإسناده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أقبلت مع رسول الله # فسمع رجلاً يقرأ « قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ. اللَّهُ الصَّمَدُ» فقال رسول الله ﷺ: «وجبت» قلت: ما وجبت؟ قال: «الجنة». [الترمذي ٢٨٩٧ وصححه الألباني].

حب سورة الإخلاص يوجب دخول الجنة

وعن أنس بن مالك قال: كان رجل من الأنصار يؤمهم في مسجد قباء، وكان كلما افتتح سورة يقرأ بها لهم في الصلاة مما يقرأ به، افتتح: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾. حتى يفرغ منها، ثم يقرأ بسورة أخرى معها، وكان يصنع ذلك في كل ركعة، فكلمه أصحابه فقالوا: إنك تقرأ بهذه السورة، ثم لا ترى أنها تجزئك حتى تقرأ بسورة بأخرى، فإما أن تقرأ بها وأما أن تدعها وتقرأ بسورة بأخرى، فقال: ما أنا بتاركها، إن أحببتم أن أؤمكم بها فعلت، وإن كرهتم تركتكم، وكانوا يرونه أفضلهم وكرهوا أن يؤمهم غيره، فلما أتاهم النبي ﷺ أخبروه الخبر، فقال: يا فلان ما يمنعك مما يأمر به أصحابك، وما يحملك أن تقرأ هذه السورة في كل ركعة؟ فقال: إني أحبها، فقال رسول الله ﷺ: «إن حبها أدخلك الجنة» [البخاري ٢٩٠١، والترمذي وقال: حسن].

وعن أنس أن رجلاً قال يا رسول الله إني أحب هذه السورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾. فقال «إن حبك إياها يدخلك الجنة ». [وحسنه الألباني في صفة الصلاة ١ / ٤٠١].

وفي حديث معاذ بن أنس: « من قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ عشر مرات بنى الله له بيتًا في الجنة». [صححه الألباني في صحيح الجامع ٦٤٧٢].

وفي الحديث: « من قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ حتى يختمها عشر مرات؛ بنى الله له قصرًا في الجنة». [صححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٥٨٩].

تضمنها الاسم الأعظم

عن عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: دَخَلْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَسْجِدَ، وَيَدِي فِي يَدِهِ، فَإِذَا رَجُلٌ يُصَلِّي، يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الأَحَدُ، الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: دَعَا اللَّهَ

> سميت هذه السورة سورة الإخلاص؛ لأنها أخلصت لوصف الله تعالى، ولأنها تخلص قارئها من الشرك العملي الاعتقادي، وكذلك لاختصاصها بحق الله تعالى في ذاته وصفاته من الوحدانية والصمدية، ولتضمنها نفي الولادة والولد، ونفي الكفء؛ وكلها صفات انفراد لله سبحانه وتعالى

بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، فَلَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الثَّانِيَةُ دَخَلْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَسْجِدَ، قَالَ: فَإِذَا ذَلِكَ الرَّجُلُ يَقْرَأُ، قَالَ: فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَتُرَاهُ مُرَائِيًا ثَلاثَ مَرَّاتٍ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بَلْ هُوَ مُؤْمِنٌ مُنِيبٌ، عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسٍ، أَوْ أَبُو مُوسَى أُوتِيَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ، قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَلا أُبَشِّرُهُ، قَالَ: بَلَى، فَبَشَّرْتُهُ، فَكَانَ لِي أَخًا. [أخرجه أحمد، وأبو داود برقم (١٤٩٣)، وصححه الألباني].

وعَنْ حَنْظَلَةَ بْنِ عَلِيٍّ أَنَّ مِحْجَنَ بْنَ الأَدْرَعِ حَدَّثَهُ قَالَ: دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَسْجِدَ فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَدْ قَضَى صَلاَتَهُ وَهُوَ يَتَشَهَّدُ، وَهُوَ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ يَا اللَّهُ الأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ أَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ. قَالَ فَقَالَ «قَدْ غُفِرَ لَهُ قَدْ غُفِرَ لَهُ». ثَلاَثًا. [أبو داود ٩٨٥، وصححه الألباني].

وهي صفة الرحمن وحبها يوجب محبة الله

لحديث عائشة - رضي الله عنها - في الصحيحين أن رسول الله ﷺ بَعَثَ رَجُلاً عَلَى سَرِيَّةٍ، وَكَانَ يَقْرَأُ لأَصْحَابِهِ فِي صَلاتِهِمْ فَيَخْتِمُ بِـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فَلَمَّا رَجَعُوا ذُكِرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «سَلُوهُ لأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟» فَسَأَلُوهُ فَقَالَ: لأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ، فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ» [متفق عليه].

التعوذ والاستشفاء بها

ثبت عن النبي ﷺ أنه كان يتعوذ بها مع المعوذتين:

فعن عائشة أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيهما قل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق سورة الفلق، وقل أعوذ برب الناس سورة الناس، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات». [البخاري ٥٠١٧].

وأخرج أحمد عن عقبة بن عامر أن النبي ﷺ قال: «يا عقبة بن عامر ألا أعلمك خير ثلاث سور أُنزلت في التوراة والإنجيل والزبور والفرقان العظيم؟ قال: قلت: بلى جعلني الله فداك، قال: فأقرأني قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس، ثم قال: «يا عقبة لا تنسهنَّ ولا تبت ليلة حتى تقرأهن».

وسميت هذه السورة سورة الإخلاص؛ لأنها أُخلصت لوصف الله تعالى، ولأنها تخلص قارئها من الشرك العملي الاعتقادي، وكذلك لاختصاصها بحق الله تعالى في ذاته وصفاته من الوحدانية والصمدية، ولتضمنها نفي الولادة والولد، ونفي الكفء؛ وكلها صفات انفراد لله سبحانه وتعالى.

تعدل ثلث القرآن

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَجُلاً سَمِعَ رَجُلاً يَقْرَأُ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ يُرَدِّدُهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، وَكَأَنَّ الرَّجُلَ يَتَقَالُّهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ» [البخاري ٦٦٤٣].

وعنه أيضاً قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ - ﷺ - لأَصْحَابِهِ «أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ». فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَقَالُوا: أَيُّنَا يُطِيقُ ذَلِكَ يَا

رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «اللَّهُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ ثُلُثُ الْقُرْآنِ» [البخاري ٥٠١٥].

قال السيوطي: «هذه السورة ليس فيها ذكر جنة ولا نار، ولا دنيا ولا آخرة، ولا حلال ولا حرام، انتسب الله إليها، فهي له خالصة من قرأها ثلاث مرات عدل بقراءة الوحي كله» [الدر المنثور].

وقد يقول قائل: لماذا كانت سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن؟

والجواب: لأن القرآن اشتمل على ثلاثة مقاصد أساسية:

أولاً علوم الأحكام والشرائع.

ثانيًا: ما فيه من قصص وأخبار عن أحوال الرسل مع أممهم.

ثالثًا: علوم التوحيد وما يجب على العبد معرفته من أسماء الله وصفاته، وهذا هو أشرفها وأجلّها، وهذه السورة تضمنت أصول هذا العلم، واشتملت عليها إجمالاً، فهذا وجه كونها تعدل ثلث القرآن، قال شيخ الإسلام - رحمه الله- في قصيدة له:

والعلم بالرحمن أول صاحب
وأهم فرض الله في مشروعه
وأخو الديانة طالب لمزيده
أبداً ولما ينهه بقطوعه
والمرأ فاقته إليه أشد من
فقر الغذاء لعلم حكم صنيعه
في كل وقت والطعام فإنما
يحتاجه في وقت شدة جوعه
وهو السبيل إلى المحاسن كلها
والصالحات فسوأة لمضيع

قال العلامة السعدي في تفسيره لسورة الإخلاص:

﴿قُلْ﴾ قولاً جازمًا به، معتقدًا له، عارفًا بمعناه، ﴿هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ أي: قد انحصرت فيه الأحدية، فهو الأحد المنفرد بالكمال، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات الكاملة العليا، والأفعال المقدسة، الذي لا نظير له ولا مثيل.

﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ أي: المقصود في جميع

قال السيوطي: «هذه السورة ليس فيها ذكر جنة ولا نار، ولا دنيا ولا آخرة، ولا حلال ولا حرام، انتسب الله إليها، فهي له خالصة من قرأها ثلاث مرات عدل بقراءة الوحي كله»

الحوائج. فأهل العالم العلوي والسفلي مفتقرون إليه غاية الافتقار، يسألونه حوائجهم، ويرغبون إليه في مهماتهم؛ لأنه الكامل في أوصافه، العليم الذي قد كمل في علمه، الحليم الذي قد كمل في حلمه، الرحيم الذي كمل في رحمته الذي وسعت رحمته كل شيء، وهكذا سائر أوصافه، ومن كماله أنه ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ لكمال غناه ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ لا في أسمائه ولا في أوصافه، ولا في أفعاله، تبارك وتعالى.

فهذه السورة مشتملة على توحيد الأسماء والصفات. اهـ

فاحرص أخي المسلم على قراءة هذه السورة، وتدبرها، والوقوف على معانيها، فلقد كان رسول الله ﷺ يقرأها إذا أصبح ثلاث مرات، وإذا أمسى ثلاث مرات، وعند نومه ثلاث مرات، ويقرأ بها دبر كل صلاة، وفي سنة الفجر وفي سنة الوتر، فلا نعلم سورة كان رسول الله ﷺ يحرص على قراءتها مثل هذه السورة العظيمة التي هي بحق تعدل ثلث القرآن.

والحمد لله رب العالمين.

التقوى

زادك إلى الجنة

إعداد: د/ جمال المراكبي
رئيس مجلس علماء الجماعة

لا يزال حديثنا موصولاً عن الجنة، والطريق الموصلة إليها، والذي لا شك فيه أن أكثر ما يُدخل الناس الجنة بعد الإيمان هو تقوى الله عز وجل، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ. فَقَالَ: «تَقْوَى اللَّهِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ» [اخرجه الترمذي، وصححه الألباني].

وآي القرآن الكريم وشواهده كثيرة في هذا الصدد، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ﴾ [الحجر: ٤٥-٤٦].

وقال جل وعلا: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ. وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاء فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [الزمر: ٧٣-٧٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ [الدخان: ٥١].

وقال جل وعلا: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الذاريات: ١٥].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ. فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ. كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ. مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الطور: ١٧-٢٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ. فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٤-٥٥].

وقال تبارك وتعالى: ﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وِظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ [الرعد: ٣٥].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [محمد: ١٥].

وعن أبي ذر ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ». [أبو داود والترمذي - وحسنه الألباني].

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي سِرِّ أَمْرِكَ وَعَلَانِيَتِهِ، وَإِذَا أَسَأْتَ فَأَحْسِنْ، وَلَا تَسْأَلَنَّ أَحَدًا شَيْئًا، وَإِنْ سَقَطَ سَوْطُكَ، وَلَا تَقْبِضْ أَمَانَةً، وَلَا تَقْضِ بَيْنَ اثْنَيْنِ». [صحيح الترغيب للألباني ٣١٦١].

ويدخل في هذا المعنى حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ. فَقَالَ: «تَقْوَى اللَّهِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ» [أخرجه الترمذي وحسنه الألباني].

حق الله على عباده أن يتقوه حق تقاته

التقوى هي وصية الله للأولين والآخرين، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

وأصل التقوى أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية تقيه منه؛ فتقوى العبد لربه أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه وسخطه وعقابه وقاية تقيه من ذلك، وذلك بفعل طاعته واجتناب معاصيه.

وتارة تُضاف التقوى إلى اسم الله عز وجل كقوله تبارك وتعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[البقرة: ١٨٩]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨]؛ فإذا أُضيفت التقوى إليه سبحانه؛ فالمعنى اتقوا سخطه وغضبه، وهو أعظم ما يُتقى، وعن ذلك ينشأ عقابه الدنيوي والأخروي، قال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثر: ٥٦].

فهو سبحانه أهلٌ لئن يُخشى ويُهاب، ويُجَلّ ويُعظَّم، في صدور عباده؛ حتى يعبدوه ويطيعوه؛ لما يستحقه من الإجلال والإكرام وصفات الكبرياء والعظمة، وقوة البطش، وشدة البأس.

وتارة تُضاف التقوى إلى عقاب الله، وإلى مكانه كالنار، أو إلى زمانه كيوم القيامة، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١].

وقال تبارك وتعالى: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤]، وقال سبحانه: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١]، وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لاَ تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ [البقرة: ١٢٣].

ويدخل في التقوى الكاملة: فعل الواجبات، وترك المحرمات والشبهات، وربما دخل فيها بعد ذلك فعل المندوبات، وترك المكروهات، وهي أعلى درجات التقوى، قال الله تبارك وتعالى: ﴿الم. ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ. الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ. وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ. أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١-٥].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «المتقون هم الذين يحذرون من الله عقوبته، ويرجون رحمته في التصديق بما جاء به».

وقال الحسن: «المتقون اتقوا ما حرم الله عليهم، وأدوا ما افترض الله عليهم».

وقال عمر بن عبدالعزيز: «ليس تقوى الله بصيام النهار، ولا بقيام الليل والتخليط فيما بين ذلك، ولكن تقوى الله تركُ ما حرَّم الله، وأداء ما افترض الله؛ فمن رُزق بعد ذلك خيرًا فهو خير إلى خير».

وقال طلق بن حبيب: «التقوى أن تعمل بطاعة الله، على نور من الله، ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله، على نور من الله تخاف عقاب الله».

وقال الحسن: «ما زالت التقوى بالمتقين حتى تركوا كثيرًا من الحلال مخافة الحرام».

وقال ميمون بن مهران: «المتقي أشد محاسبةً لنفسه من الشريك الشحيح لشريكه».

وقال ابن مسعود في قوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [آل عمران: ١٠٢] قال: «أن يُطاع فلا يُعصَى، وأن يُذكر فلا ينسى، وأن يُشكر فلا يُكفر».

وشكره يدخل فيه جميع فعل الطاعات، ومعنى ذكره فلا ينسى: ذكر العبد بقلبه لأوامر الله في حركاته وسكناته وكلماته؛ فيمتثلها، ولنواهيه في ذلك كله فيجتنبها.

وقد يغلب استعمال التقوى على اجتناب المحرمات، كما قال أبو هريرة وقد سُئل عن التقوى؛ فقال لسائله: هل أخذت طريقًا ذا شوك؟ قال: نعم. قال: فكيف صنعتَ؟ قال: إذا رأيت الشوك عزلت عنه، أو جاوزته أو قصرت عنه. قال: ذاك التقوى.

وأصل التقوى أن يعلم العبد ما يتقي، ثم يتقي، قال بعض السلف: «إذا كنت لا تحسن تتقي: أكلت

الربا، وإذا كنت لا تحسن تتقي لقيتك امرأة ولم تغض بصرك».

وفي الجملة؛ فالتقوى هي وصية الله لجميع خلقه، ووصية رسول الله ﷺ لأمته، فعن بُرَيْدَةَ بنِ الحصيب رضي الله عنه قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا بَعَثَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّةِ نَفْسِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَبِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا». [صحيح سنن ابن ماجه ٢٨٥٨].

ولما وعظ النبي ﷺ الناس، حتى قالوا له: كأنها موعظة مودع؛ فأوصاهم بتقوى الله؛ فعنِ الْعِرْبَاضِ بن سَارِيَةَ السُّلَمِيِّ، قَالَ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْعِظَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الأَعْيُنُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَأَوْصِنَا، قَالَ: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ..». [أخرجه أبو داود والترمذي وصححه الألباني].

ولم يزل السلف الصالح يتواصون بها، وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول في خطبه: «أما بعد؛ فإني أوصيكم بتقوى الله، وأن تثنوا عليه بما هو أهله، وأن تخلطوا الرغبة بالرهبة، وتجمعوا الإلحاف بالمسألة؛ فإن الله عز وجل أثنى على زكريا وأهل بيته؛ فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

ولما حضرته الوفاة وعهد إلى عمر دعاه فوصاه بوصيته، وأول ما قال له: «اتق الله يا عمر».

وكتب عمر بن الخطاب إلى ابنه عبدالله رضي الله عنهما: «أما بعد؛ فإني أوصيك بتقوى الله عز وجل؛ فإنه من اتقاه وقاه، ومن أقرضه جزاه، ومن شكره زاده، واجعل التقوى نُصب عينيك وجِلاء قلبك».

واستعمل علي بن أبي طالب رضي الله عنه رجلاً على سرية؛ فقال له: «أوصيك بتقوى الله عز وجل، الذي لا بُد لك من لقاه، ولا منتهى لك دونه، وهو يملك الدنيا والآخرة».

وكتب عمر بن عبدالعزيز رحمه الله إلى رجل: «أوصيك بتقوى الله عز وجل التي لا يقبل غيرها، ولا يرحم إلا أهلها، ولا يثيب إلا عليها؛ فإن الواعظين بها كثير، والعاملين بها قليل، جعلنا الله وإياك من المتقين».

ولما ولي خطب، فحمد الله، وأثنى عليه، وقال: «أوصيكم بتقوى الله عز وجل؛ فإن تقوى الله عز وجل خَلَف من كل شيء، وليس من تقوى الله خَلَف».

وقال رجل ليونس بن عبيد: أوصني. فقال: «أوصيك بتقوى الله والإحسان؛ فإنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ».

وقيل لرجل من التابعين عند موته: أوصنا. فقال: «أوصيكم بخاتمة سورة النحل: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

وكتب رجل من السلف إلى أخٍ له: «أوصيك بتقوى الله؛ فإنها من أكرم ما أسررتَ، وأزين ما أظهرتَ، وأفضل ما ادخرتَ؛ أعاننا الله وإياك عليها، وأوجب لنا ولك ثوابها».

وكتب رجل منهم إلى أخٍ له: «أوصيك ونفسي بالتقوى؛ فإنها خير زاد الآخرة والأولى، واجعلها إلى كل خير سبيلك، ومن كل شر مهربك؛ فقد تكفل الله عز وجل لأهلها بالنجاة مما يحذرون، والرزق من حيث لا يحتسبون».

وقال شعبة: «كنت إذا أردت الخروج قلت للحكم: ألك حاجةٌ؟ فقال: أوصيك بما أوصى به النبي ﷺ معاذ بن جبل: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ».

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه كان يقول في دعائه: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى، وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى». [مسلم ٧٠٧٩].

وكان وهب بن الورد يقول: «خفِ الله على قدر قدرته عليك، واستحِ منه على قدر قربه منك».

وقال له رجل: عظني. فقال له: «اتق الله أن يكون أهون الناظرين إليك».

وكان الإمام أحمد ينشد:

إذا ما خلوت الدهر يومًا فلا تقل
خلوتُ ولكن قل عليَّ رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة
ولا أن ما يخفى عليه يغيب

رزقنا الله وإياكم حسن التقوى، ووفقنا لما يحب ويرضى.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

وإلى لقاء في الحلقة القادمة إن شاء الله تعالى.

حديث الشهر

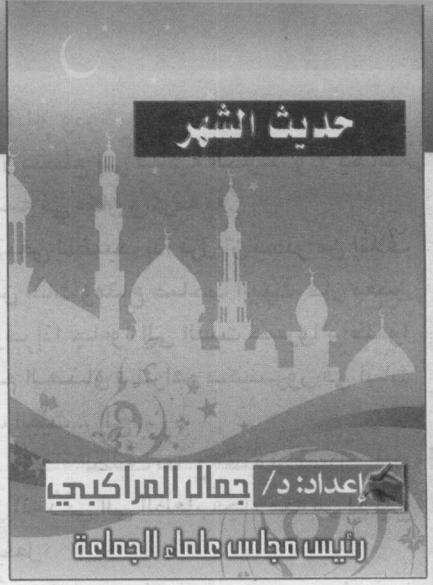

الحلقة الثانية

التقوى زادك إلى الجنة

إعداد: د/ جمال المراكبي
رئيس مجلس علماء الجماعة

الحمد لله رب العالمين والصلاة السلام على خاتم النبيين، أما بعد، فما يزال حديثنا موصولاً عن الجنة، والطريق الموصلة إليها، والذي لا شك فيه أن أكثر ما يُدخل الناس الجنة بعد الإيمان هو تقوى الله عز وجل، وإن للتقوى آثارًا في العاجل والآجل:

أولاً: الفوائد المترتبة على التقوى في الدنيا

١- التقوى سببٌ لتيسير أمور الإنسان: قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤]، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى. وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى. فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ [الليل: ٥-٧].

٢- التقوى سبب لحماية الإنسان من ضرر الشيطان: قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

٣- التقوى سبب لنيل البركات من السماء والأرض: قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

٤- التقوى سببٌ في توفيق العبد للفصل بين الحق والباطل، ومعرفة كل منهما: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الأنفال: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحديد:٢٨].

٥- التقوى سبب للخروج من الشدائد، وحصول الرزق، والسعة للمتقي من حيث لا يحتسب: قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا. وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق:٢،٣].

٦- التقوى سبب لنيل ولاية الله: فأولياء الله هم المتقون، كما قال تعالى: ﴿إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ﴾ [الأنفال:٣٤]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية:١٩].

٧- التقوى سبب لعدم الخوف من ضرر الكافرين وكيدهم: قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ [آل عمران:١٢٠].

٨- التقوى سبب لنزول المدد من السماء عند لقاء الأعداء: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ مُنْزَلِينَ. بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ

هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران:١٢٣-١٢٥].

٩- التقوى سبب لتحقيق الأمان: قال تعالى في قصة مريم: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا. قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ [مريم:١٧، ١٨].

١٠- التقوى سببٌ لتعظيم شعائر الله: قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج:٣٢].

١١- التقوى سببٌ لصلاح الأعمال وقبولها، ومغفرة الذنوب: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [الأحزاب:٧٠،٧١].

١٢- التقوى علامةٌ على تعظيم النبي ﷺ، وسبب لغض الصوت عند رسول الله: وسواء كان ذلك في حياته، أو بعد وفاته أو عند قبره، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الحجرات:٣].

١٣- التقوى سببٌ لنيل محبة الله عز وجل: وهذه المحبة تكون في الدنيا كما تكون في الآخرة، كما جاء في الحديث القدسي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ؛ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ». [البخاري ٦٥٠٢].

وقال تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:٧٦].

١٤- التقوى سبب لنيل العلم وتحصيله: قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة:٢٨٢].

١٥- التقوى سبب لسلوك الصراط المستقيم: قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥٣].

١٦- التقوى سبب لنيل رحمة الله: وهذه الرحمة تكون في الدنيا كما تكون في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:١٥٦].

١٧- التقوى سببٌ لنيل معية الله الخاصة: قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل:١٢٨]. وقال سبحانه: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:١٩٤].

١٨- التقوى سبب لحسن العاقبة والمآب، قال تعالى: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [طه:٤٦]، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾ [ص:٤٩]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود:٤٩].

١٩- التقوى سببٌ لحصول البشرى في الحياة الدنيا: سواء بالرؤيا الصالحة، أو بمحبة الناس له، والثناء عليه، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [يونس:٦٣،٦٤].

٢٠- التقوى سبب لعفة النساء: قال تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [الأحزاب:٣٢].

٢١- التقوى سببٌ لعدم الجور في الوصية: قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:١٨٠].

٢٢- التقوى سببٌ في إعطاء المطلقة متعتها الواجبة لها: قال تعالى: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:٢٤١].

٢٣- التقوى سببٌ في عدم ضياع الأجر في الدنيا والآخرة، قال تعالى بعد أن منَّ على يوسف عليه السلام بجمع شمله مع إخوته: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف:٩٠].

٢٤- التقوى سببٌ لحصول الهداية. قال تعالى: ﴿الم. ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:٢،١].

ثانياً: الفوائد المترتبة على التقوى في الآخرة

١- التقوى سببٌ للإكرام عند الله عز وجل: قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات:١١].

٢- التقوى سببٌ للفوز والفلاح: قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور:٥٢].

٣- التقوى سببٌ للنجاة يوم القيامة من عذاب الله: قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا. ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم:٧٢،٧١]. وقال تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾ [الليل:١٧].

٤- التقوى سببٌ لقبول الأعمال، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة:٢٧].

٥- التقوى سببٌ قويّ للفوز بميراث الجنة: قال تعالى: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم:٦٣].

٦- للمتقين في الجنة غُرفٌ مبنيةٌ من فوقها غُرف: قال تعالى: ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾ [الزمر:٢٠].

٧- المتقون فوق الذين كفروا يوم القيامة في محشرهم، ومنشرهم، ومسيرهم، ومأواهم، مستقرين في أعلى عليين، قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [البقرة:٢١٢].

٨- التقوى سببٌ في دخولهم الجنة: وذلك لأن الجنة أُعدت لهم، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣].

المتقون فوق الذين كفروا يوم القيامة في محشرهم، ومنشرهم، ومسيرهم، ومأواهم، مستقرين في أعلى عليين

٩- التقوى سببٌ لتكفير السيئات، والعفو عن الزلات: قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ [الطلاق:٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ [المائدة:٦٥].

١٠- التقوى سبب لنيل ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين: قال تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاؤُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾ [النحل:٣١].

١١- التقوى سبب لعدم الخوف والحزن

وعدم مساس أهلها بالسوء يوم القيامة: قال تعالى: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الزمر:٦١]، وقال تعالى: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ. الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس:٦٢،٦٣].

١٢- المتقون يحشرون يوم القيامة وفدًا إليه سبحانه وتعالى، والوفد: هم القادمون ركبانًا، وهم خير الوفود، قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ [مريم:٨٥].

١٣- الجنة تُقرَّب للمتقين، قال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الشعراء:٩٠]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [ق:٢١].

١٤- إن تفاوتهم سبب في عدم مساواتهم بالفجار والكفار: قال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص:٢٨].

١٥- كل صحبة وصداقة لغير الله؛ فإنها تنقلب يوم القيامة إلى عداوة إلا صحبة المتقين، قال تعالى: ﴿الأَخِلاَّء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف:٦٧].

١٦- للمتقين مقام أمين وجنات وعيون: قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ. فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الدخان: ٥١-٥٢].

١٧- للمتقين مقعد صدق عند مليك مقتدر، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ. فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر:٥٤،٥٥].

١٨- التقوى: سبب في ورود الأنهار المختلفة، فهذا نهر من ماء غير آسن، وذلك نهر من لبن لم يتغير طعمه، وذلك من عسل مصفى، وآخر من خمر لذة للشاربين، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [محمد:١٥].

وفي الحديث: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ؛ فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ؛ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، أُرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ» [البخاري ٢٧٩٠].

١٩- التقوى سبب السير تحت أشجار الجنة، والتنعم بظلالها: قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلالٍ وَعُيُونٍ. وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ. كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [المرسلات:٤١-٤٣].

٢٠- للمتقين البشرى في الآخرة.. فلا يحزنهم الفزع لأكبر، وتتلقاهم الملائكة، قال تعالى: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ. الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ. لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ [يونس:٦٢-٦٤].

قال ابن كثير: «وأما بشراهم في الآخرة فكما قال تعالى: ﴿لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء:١٠٣].

٢١- المتقون لهم نعم الدار، قال تعالى: ﴿وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ [النحل:٣٠].

رزقنا الله وإياكم حسن التقوى، ووفقنا لما يحب ويرضى.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

المتقون يحشرون يوم القيامة وفدا إليه سبحانه وتعالى، والوفد: هم القادمون ركبانا، وهم خير الوفود

الصدق

طريقك إلى الجنة

إعداد: د/ جمال المراكبي
رئيس مجلس علماء الجماعة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه، وبعد..

فقد أمر الله سبحانه وتعالى أهل الإيمان أن يكونوا مع الصادقين؛ فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة:١١٩].

وخص أهل نعمته ومنته بالنبيين والصديقين والشهداء والصالحين، فهم الرفيق الأعلى، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء:٦٩].

وهم أهل البر، فالصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة، قال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧]

وعن عَبْد الله بْن مَسْعُود رضي الله عنه، عَن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى البِرِّ، وَإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ، وإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ ويتحرى الصدق حَتَّى يُكْتَب عند الله صِدِّيقًا. وَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ ويتحرى الكذب حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ الله كَذَّابًا». [متفق عليه].

وهم أحسن الناس أخلاقًا؛ فالبر حسن الخلق.

وقسم الله سبحانه الناس إلى صادق ومنافق، قال تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:٢٤].

قال ابن القيم: «ومن منازل إياك نعبد وإياك نستعين: منزلة الصدق، وهي منزلة القوم الأعظم الذي منه تنشأ جميع منازل السالكين، والطريق الأقوم الذي من لم يسر عليه فهو من المنقطعين الهالكين، وبه تميز أهل النفاق من أهل الإيمان، وسكان الجنان من أهل النيران، وهو سيف الله في أرضه الذي ما وُضع على شيء إلا قطعه، ولا واجه باطلاً إلا أرداه وصرعه، من صال به لم تُرَدَّ صولته، ومن نطق به عَلَت على الخصوم كلمته، فهو روح الأعمال ومحك الأحوال، والحامل على اقتحام الأهوال، والباب الذي دخل منه الواصلون إلى حضرة ذي الجلال، وهو أساس بناء الدين، وعمود فسطاط اليقين، ودرجته تالية لدرجة النبوة التي هي أرفع درجات العالمين، ومن مساكنهم في الجنات: تجري العيون والأنهار إلى مساكن الصديقين، كما كان من قلوبهم إلى قلوبهم في هذه الدار مدد متصل ومعين». [مدارج السالكين].

وأعلى مراتب الصدق: مرتبة الصديقية، وهي كمال المتابعة للرسول مع كمال الإخلاص للمرسل. قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [الحديد: ١٩].

قال ابن كثير: وصف الله تعالى المؤمنين بالله ورسله بأنهم صديقون.

وقال السعدي: والإيمان عند أهل السنة: هو قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، فيشمل ذلك جميع شرائع الدين الظاهرة

والباطنة، فالذين جمعوا بين هذه الأمور هم الصديقون أي: الذين مرتبتهم فوق مرتبة عموم المؤمنين، ودون مرتبة الأنبياء.

فدلت هذه الآية على علو مرتبة الصديقين، وهم الكُمَّل من أهل الإيمان، فهم فوق الشهداء وسائر المؤمنين، ودون النبيين.

قال ابن القيم في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾: الصدق في قوله وعمله وحاله؛ فالصدق: في هذه الثلاثة: فالصدق في الأقوال: استواء اللسان على الأقوال كاستواء السنبلة على ساقها. والصدق في الأعمال: استواء الأفعال على الأمر والمتابعة كاستواء الرأس على الجسد. والصدق في الأحوال: استواء أعمال القلب والجوارح على الإخلاص، واستفراغ الوسع وبذل الطاقة؛ فبذلك يكون العبد من الذين جاءوا بالصدق، وبحسب كمال هذه الأمور فيه وقيامها به: تكون صديقيته، ولذلك كان لأبي بكر الصديق -رضي الله عنه وأرضاه- ذروة سنام الصديقية، سمي الصدِّيق على الإطلاق، والصدِّيق أبلغ من الصدوق، والصدوق أبلغ من الصادق.

وقد أمر الله تعالى رسوله: أن يسأله أن يجعل مدخله ومخرجه على الصدق؛ فقال: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٠] وأخبر عن خليله إبراهيم أنه سأله أن يهب له لسان صدق في الآخرين؛ فقال تبارك وتعالى: ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾، وبشر عباده بأن لهم عنده قدم صدق ومقعد صدق؛ فقال تبارك وتعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس: ٢]، وقال: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٤- ٥٥].

فهذه خمسة أشياء: مدخل الصدق، ومخرج الصدق، ولسان الصدق، وقدم الصدق، ومقعد الصدق.

وحقيقة الصدق في هذه الأشياء: هو الحق الثابت المتصل بالله، الموصل إلى الله، وهو ما كان به وله من الأقوال والأعمال، وجزاء ذلك في الدنيا والآخرة.

فمدخل الصدق ومخرج الصدق: أن يكون دخوله وخروجه حقًا ثابتًا بالله، وفي مرضاته بالظفر بالبُغية وحصول المطلوب ضد مخرج الكذب ومدخله، الذي لا غاية له يوصل إليها، ولا له ساق ثابتة يقوم عليها كمخرج أعدائه يوم بدر، ومخرج الصدق كمخرجه هو وأصحابه في تلك الغزوة.

وكذلك مدخله المدينة؛ كان مدخل صدق بالله ولله، وابتغاء مرضاة الله؛ فاتصل به التأييد والظفر والنصر، وإدراك ما طلبه في الدنيا والآخرة، بخلاف مدخل الكذب الذي رام أعداؤه أن يدخلوا به المدينة يوم الأحزاب؛ فإنه لم يكن بالله ولا لله، بل كان محادة لله ورسوله ﷺ، فلم يتصل به إلا الخذلان والبوار، وكذلك مدخل من دخل من اليهود المحاربين لرسول الله حصن بني قريظة؛ فإنه لما كان مدخل كذب أصابه معهم ما أصابهم.

فكل مدخل ومخرج كان بالله ولله وصاحبه ضامن على الله؛ فهو مدخل صدق، ومخرج صدق، وكان بعض السلف إذا خرج من داره رفع رأسه إلى السماء، وقال: اللهم إني أعوذ بك أن أخرج مخرجًا لا أكون فيه ضامنًا عليك؛ يريد أن لا يكون المخرج مخرج صدق، ولذلك فسر مدخل الصدق ومخرجه: بخروجه من مكة ودخوله المدينة، ولا ريب أن هذا على سبيل التمثيل فإن هذا المدخل والمخرج من أجلّ مداخله ومخارجه، وإلا فمداخله كلها مداخل صدق، ومخارجه مخارج صدق؛ إذ هي لله وبالله، وبأمره، ولابتغاء مرضاته.

وما خرج أحد من بيته ودخل سوقه أو مدخلاً آخر إلا بصدق أو بكذب، فمخرج كل واحد ومدخله لا يعدو الصدق والكذب، والله المستعان.

وأما لسان الصدق: فهو الثناء الحسن عليه من سائر الأمم بالصدق، ليس ثناء بالكذب، كما قال عن إبراهيم وذريته من الأنبياء والرسل عليهم صلوات الله وسلامه: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٠]، والمراد باللسان ههنا: الثناء الحسن، فلما كان الصدق باللسان وهو محله؛ أطلق الله سبحانه ألسنة العباد بالثناء على الصادق؛ جزاءً وفاقًا وعبَّر به عنه.

وأما قدم الصدق: فقُسِّر بالجنة، وقُسِّر بمحمد، وقُسِّر بالأعمال الصالحة.

وحقيقة القدم ما قدموه، وما يقدمون عليه يوم القيامة، وهم قدموا الأعمال والإيمان بمحمد ﷺ، ويقدمون على الجنة التي هي جزاء ذلك ,فمن فسره بها أراد ما يقدمون عليه، ومن فسره بالأعمال وبالنبي ﷺ فلأنهم قدموها، وقدموا الإيمان به بين أيديهم؛ فالثلاثة قدم صدق.

وأما مقعد الصدق: فهو الجنة عند الرب تبارك

وتعالى، ووَصْف ذلك كله بالصدق مستلزم لثبوته واستقراره، وأنه حق، ودوامه ونفعه وكمال عائدته؛ فإنه متصل بالحق سبحانه كائن به وله؛ فهو صدق غير كذب، وحق غير باطل، ودائم غير زائل، ونافع غير ضار، وما للباطل ومتعلقاته إليه سبيل ولا مدخل.

ومن علامات الصدق: طمأنينة القلب إليه، ومن علامات الكذب: حصول الريبة كما جاء عن الحسن بن علي رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «الصدق طمأنينة والكذب ريبة» [الترمذي ٢٥١٨، وصححه الألباني].

فجعل الصدق مفتاح الصديقية ومبدأها، وهي غايته، فلا ينال درجتها كاذب البتة، لا في قوله ولا في عمله، ولا في حاله، ولاسيما كاذب على الله في أسمائه وصفاته، ونفي ما أثبته، أو إثبات ما نفاه عن نفسه؛ فليس في هؤلاء صدِّيق أبدًا، وكذلك الكذب عليه في دينه وشرعه بتحليل ما حرَّمه، وتحريم ما لم يحرمه، وإسقاط ما أوجبه، وإيجاب ما لم يوجبه، وكراهة ما أحبه، واستحباب ما لم يحبه؛ كل ذلك منافٍ للصديقية.

وكذلك الكذب معه في الأعمال: بالتحلي بحلية الصادقين المخلصين، والزاهدين المتوكلين وليس في الحقيقة منهم.

فلذلك كانت الصديقية: كمال الإخلاص والانقياد والمتابعة للخبر والأمر ظاهرًا وباطنًا؛ حتى إن صدق المتبايعين يحل البركة في بيعهما وكذبهما يمحق بركة بيعهما، فعن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: قال رسول الله: «البيعان بالخيار ما لم يتفرقا؛ فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كذبا وكتما: محقت بركة بيعهما» [متفق عليه]. [التفسير القيم].

أفلح من صدق

عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ أَعْرَابِيًا جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؛ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ.

قَالَ: «تَعْبُدُ اللَّهَ لاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ الْمَكْتُوبَةَ، وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ».

قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ أَزِيدُ عَلَى هَذَا شَيْئًا أَبَدًا، وَلاَ أَنْقُصُ مِنْهُ.

فَلَمَّا وَلَّى قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا». وفي رواية: «دخل الجنة إن صدق». وفي أخرى: «أفلح إن صدق». [متفق عليه].

الصدق في الإيمان والتوحيد

عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه و سلم ومعاذ رديفه على الرحل قال: «يا معاذ بن جبل»، قال: لبيك يا رسول الله وسعديك قال: «يا معاذ»، قال: لبيك يا رسول الله وسعديك ثلاثاً؛ قال: «ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقًا من قلبه إلا حرمه الله على النار»، قال يا رسول الله: أفلا أخبر به الناس فيستبشروا؟ قال: «إذًا يتكلوا»، وأخبر بها معاذ عند موته تأثمًا. [متفق عليه].

فالصدق شرط من شروط كلمة الإخلاص يتميز به المؤمن من المنافق، الصادق من المدعي الكاذب، ولهذا عده أهل العلم من الشروط السبعة الواجب توافرها في كلمة التوحيد، وهي العلم واليقين، والقبول، والانقياد، والصدق، والإخلاص، والمحبة.

وقول النبي ﷺ : «إذاً يتكلوا» دليل على أن بعض الناس قد يكتفي بالقول دون العمل، ولو صدق الله تبارك وتعالى في عقيدته وتوحيده لصدَّق عملُه قولَه.

صدق النية في الجهاد

قال رسول الله ﷺ : « مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ» [مسلم ٥٠٣٩].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «غَزَا نَبِيٌّ مِنْ الأَنْبِيَاءِ، فَقَالَ لِقَوْمِهِ لا يَتْبَعْنِي رَجُلٌ مَلَكَ بُضْعَ امْرَأَةٍ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْنِيَ بِهَا، وَلَمَّا يَبْنِ بِهَا، وَلا أَحَدٌ بَنَى بُيُوتًا وَلَمْ يَرْفَعْ سُقُوفَهَا، وَلا أَحَدٌ اشْتَرَى غَنَمًا أَوْ خَلِفَاتٍ وَهُوَ يَنْتَظِرُ وِلادَهَا؛ فَغَزَا فَدَنَا مِنْ الْقَرْيَةِ صَلاةَ الْعَصْرِ أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ؛ فَقَالَ لِلشَّمْسِ: إِنَّكِ مَأْمُورَةٌ وَأَنَا مَأْمُورٌ، اللَّهُمَّ احْبِسْهَا عَلَيْنَا فَحُبِسَتْ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَجَمَعَ الْغَنَائِمَ فَجَاءَتْ يَعْنِي النَّارَ لِتَأْكُلَهَا فَلَمْ تَطْعَمْهَا؛ فَقَالَ: إِنَّ فِيكُمْ غُلُولاً فَلْيُبَايِعْنِي مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ رَجُلٌ، فَلَزِقَتْ يَدُ رَجُلٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: فِيكُمْ الْغُلُولُ، فَلْيُبَايِعْنِي قَبِيلَتُكَ فَلَزِقَتْ يَدُ رَجُلَيْنِ أَوْ ثَلاثَةٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: فِيكُمْ الْغُلُولُ، فَجَاءُوا بِرَأْسٍ مِثْلِ رَأْسِ بَقَرَةٍ مِنْ الذَّهَبِ فَوَضَعُوهَا، فَجَاءَتْ النَّارُ فَأَكَلَتْهَا، ثُمَّ أَحَلَّ اللَّهُ لَنَا الْغَنَائِمَ رَأَى ضَعْفَنَا وَعَجْزَنَا فَأَحَلَّهَا لَنَا» [متفق عليه].

فطلب هذا النبي ألا يخرج معه في الجهاد إلا صادق في ترك متاع الدنيا، راغب فيما عند الله في الآخرة، ومع هذا فقد خرج معه بعض مدعي

الصدق من الراغبين في الدنيا، الطامعين في حطامها الزائل، ولهذا سرقوا من الغنيمة.

الصدق في المعاملات

عن حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا أَوْ قَالَ: حَتَّى يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا». [متفق عليه].

فالمؤمن يعلم يقينًا أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين، وأن الإنسان لن يغادر الدنيا إلا بعد أن يستكمل الرزق المقسوم له؛ لذا فهو صادق في بيعه وشرائه وسائر تعاملاته، لا يخشى فوات الرزق، ولا يخاف دنو الأجل؛ لقول رسول الله ﷺ: « إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رَوْعِي أَنَّهُ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا فَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ. [البيهقي في شعب الإيمان (٢ / ٤٠٦ رقم ١١٤١) والحاكم في المستدرك (٢١٣٦) وصححه الألباني في الصحيحة ٢٨٦٦].

الصدق منجاة

عن كعب بن مالك -رضي الله عنه- في حديث التوبة الطويل: «... وَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا أَنْجَانِي بِالصِّدْقِ، وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لَا أُحَدِّثَ إِلَّا صِدْقًا مَا بَقِيتُ - قَالَ - فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ أَنَّ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَبْلَاهُ اللَّهُ فِي صِدْقِ الْحَدِيثِ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى يَوْمِي هَذَا أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلَانِي اللَّهُ بِهِ، وَاللَّهِ مَا تَعَمَّدْتُ كَذْبَةً مُنْذُ قُلْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى يَوْمِي هَذَا، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِيَ اللَّهُ فِيمَا بَقِيَ.

قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١١٧) وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾.

قَالَ كَعْبٌ: وَاللَّهِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ قَطُّ بَعْدَ إِذْ هَدَانِي اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ صِدْقِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ لَا أَكُونَ كَذَبْتُهُ فَأَهْلِكَ كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوا؛ إِنَّ اللَّهَ قَالَ لِلَّذِينَ كَذَبُوا حِينَ أَنْزَلَ الْوَحْيَ شَرَّ مَا قَالَ لِأَحَدٍ، وَقَالَ اللَّهُ: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٥) يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾. قَالَ كَعْبٌ: كُنَّا خُلِّفْنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ عَنْ أَمْرِ أُولَئِكَ الَّذِينَ قَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ حَلَفُوا لَهُ؛ فَبَايَعَهُمْ، وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَأَرْجَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَمْرَنَا حَتَّى قَضَى اللَّهُ فِيهِ؛ فَبِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾ وَلَيْسَ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ مِمَّا خُلِّفْنَا تَخَلُّفَنَا عَنِ الْغَزْوِ، وَإِنَّمَا هُوَ تَخْلِيفُهُ إِيَّانَا، وَإِرْجَاؤُهُ أَمْرَنَا عَمَّنْ حَلَفَ لَهُ، وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ فَقَبِلَ مِنْهُ. [متفق عليه].

قالوا عن الصدق

قال ابن عباس: أربع من كن فيه فقد ربح: الصدق، والحياء، وحسن الخلق والشكر.

وقال أحمد بن عاصم الأنطاكي: إذا جالستم أهل الصدق فجالسوهم بالصدق؛ فإنهم جواسيس القلوب، يدخلون في قلوبكم ويخرجون من حيث لا تحتسبون.

وكان الجنيد يومًا يتكلم على الناس؛ فوقف عليه شاب نصراني متنكرًا، فقال: أيها الشيخ ما معنى قول النبي: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله» [الطبراني في الكبير (٧ / ١٠٩ رقم ٦٣٦٩) وضعفه الألباني]؛ فأطرق الجنيد ثم رفع رأسه إليه وقال: أسلم فقد حان وقت إسلامك، فأسلم الغلام.

ويقال في بعض الكتب القديمة: إن الصدِّيق لا تخطئ فراسته.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يرزقنا وإياكم الصدق والإخلاص في القول والعمل، وفي السر والعلن، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

عزاء واجب

توفي يوم الأربعاء الموافق ١٠ / ٣ / ٢٠١٠م الأستاذ عبد الحميد حشيش، شقيق الشيخ علي حشيش، مدير إدارة الدعوة والإعلام بالمركز العام لجماعة أنصار السنة المحمدية، وأسرة مجلة التوحيد تتقدم بخالص العزاء للشيخ علي حشيش، داعين الله سبحانه أن يغفر له ويرحمه.

حديث الشهر

مفتاح الجنة الصلاة

إعداد: د/ جمال المراكبي
رئيس مجلس علماء الجماعة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلق الله، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد، فمما لا شك فيه أن الصلاة خير عمل يعمله العبد بعد توحيده لربه، ولذلك كانت من أهم مفاتيح الجنة.

عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «مفتاح الجنة الصلاة، ومفتاح الصلاة الوضوء» [الترمذي (٤)، وقال الألباني: الشطر الثاني صحيح لغيره].

إن أعظم نعمة امتن الله بها على عباده المؤمنين هي نعمة الإيمان بالله عز وجل، والخضوع لربوبيته ثم النعمة الأخرى ما افترض عليهم من الصلاة؛ خضوعًا لجلاله، وخشوعًا لعظمته، ولم يفترض عليهم بعد توحيده والتصديق برسله فريضة أعظم من الصلاة، وأخبر أن ذلك أمره لهم وللأنبياء والأمم من قبلهم.

قال تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [الحج: ٢٦].

وقال جل وعلا: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ (٣٥) رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣٦) رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (٣٧) رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ (٣٨) الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٩) رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ (٤٠) رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٣٥ - ٤١].

وقال سبحانه: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَبِيًّا (٥٤) وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ [مريم: ٥٤- ٥٥].

وقال تعالى عن الأنبياء من ذرية إبراهيم: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلاً جَعَلْنَا صَالِحِينَ (٧٢) وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٢-٧٣].

وقال تعالى لكليمه موسى: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤].

ولم يجد سحرة فرعون طاعة يرجعون بها إلى الله سبحانه وتعالى سوى السجود، وهو أعظم ما في الصلاة ﴿وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (١٢٠) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢١) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٠: ١٢٢].

وأمر الله موسى أن يصلي بمصر مع بني إسرائيل ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٨٧].

وقال المسيح عيسى ابن مريم -عليه السلام- في مهده: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣٠-٣١].

وقال عن زكريا -عليه السلام-: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٣٩].

فالصلاة عبادة الله في الأرض، ولو علم شيئًا أفضل من الصلاة ما قال: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾.

وقال عن مريم: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (٤٢) يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢-٤٣].

وقال عن داود -عليه السلام-: ﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤].

وقال سبحانه عن جميع الأنبياء: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم:٥٨].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «أحب الصلاة إلى الله صلاة داود، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه، وكان يصوم يومًا ويفطر يومًا». [متفق عليه].

الصلاة على مواقيتها تقود إلى الجنة

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ -رضي الله عنه- قَالَ: قُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَيُّ الأَعْمَالِ أَقْرَبُ إِلَى الْجَنَّةِ؟ قَالَ: «الصَّلاَةُ عَلَى مَوَاقِيتِهَا». قُلْتُ: وَمَاذَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ؟ قَالَ: «بِرُّ الْوَالِدَيْنِ». قُلْتُ وَمَاذَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ؟ قَالَ: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ». [مسلم: ٨٥].

وعن مُوسَى بْن طَلْحَةَ قَالَ حدثني أَبُو أَيُّوبَ -رضي الله عنه- أَنَّ أَعْرَابِيًا عَرَضَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي سَفَرٍ؛ فَأَخَذَ بِخِطَامِ نَاقَتِهِ أَوْ بِزِمَامِهَا، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ - أَوْ يَا مُحَمَّدُ - أَخْبِرْنِي بِمَا يُقَرِّبُنِي مِنَ الْجَنَّةِ وَمَا يُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ.

قَالَ: فَكَفَّ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ نَظَرَ فِي أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: «لَقَدْ وُفِّقَ - أَوْ لَقَدْ هُدِيَ - قَالَ كَيْفَ قُلْتَ؟». قَالَ فَأَعَادَ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «تَعْبُدُ اللَّهَ لاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ. دَعِ النَّاقَةَ». [مسلم: ١٣].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- أَنَّ أَعْرَابِيًا جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ.

قَالَ: «تَعْبُدُ اللَّهَ لاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ الْمَكْتُوبَةَ، وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ».

قَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ أَزِيدُ عَلَى هَذَا شَيْئًا أَبَدًا وَلاَ أَنْقُصُ مِنْهُ.

فَلَمَّا وَلَّى قَالَ النبي ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا». [متفق عليه].

وعَنْ جَابِرٍ -رضي الله عنه- قَالَ: أَتَى النبي ﷺ النُّعْمَانُ بْنُ قَوْقَلٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِذَا صَلَّيْتُ الْمَكْتُوبَةَ، وَحَرَّمْتُ الْحَرَامَ، وَأَحْلَلْتُ الْحَلاَلَ، أَأَدْخُلُ الْجَنَّةَ؟ فَقَالَ النبي ﷺ: «نَعَمْ». [مسلم: ١٥].

وعَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ -رضي الله عنه- قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، وَيُبَاعِدُنِي عَنِ النَّارِ. قَالَ: «لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، تَعْبُدُ اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ.

ثُمَّ قَالَ: أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ، وَصَلاَةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ قَالَ: ثُمَّ تَلاَ ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿يَعْمَلُونَ﴾، ثُمَّ قَالَ: أَلاَ أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ كُلِّهِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلاَمُ، وَعَمُودُهُ الصَّلاَةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ، ثُمَّ قَالَ أَلاَ أُخْبِرُكَ بِمَلاَكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا رسول اللَّهِ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ قَالَ: كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا. فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ» [الترمذي ٢٦١٦ وصححه الألباني].

وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَمْسٌ مَنْ جَاءَ بِهِنَّ مَعَ إِيمَانٍ دَخَلَ الْجَنَّةَ: مَنْ حَافَظَ عَلَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ عَلَى وُضُوئِهِنَّ وَرُكُوعِهِنَّ وَسُجُودِهِنَّ وَمَوَاقِيتِهِنَّ، وَصَامَ رَمَضَانَ، وَحَجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً، وَأَعْطَى الزَّكَاةَ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ، وَأَدَّى الأَمَانَةَ». قَالُوا: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ، وَمَا أَدَاءُ الأَمَانَةِ؟ قَالَ: الْغُسْلُ مِنَ الْجَنَابَةِ».

[أبو داود ٤٢٩ وصححه الألباني]. وعن أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه - أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ صَلَّى الْبَرْدَيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ». [متفق عليه].

ثناء الله على المصلين

أثنى الله -سبحانه وتعالى- على عباده المؤمنين، ووصفهم بأوصاف أعظمها -بعد الإيمان به- أنهم يقيمون الصلاة، قال تبارك وتعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة:٣].

وقال جل وعلا: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (٣٧) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٦- ٣٨].

وقال سبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١-١١]. وقال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٥) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦) كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١٨) وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (١٩) وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾ [الذاريات: ١٥-٢٠].

وقال جل في علاه: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ (٢٣) وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ (٢٤) لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (٢٥) وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (٢٦) وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ [المعارج: ١٩-٢٧].

صلاة النوافل

عن عقبة بن عامر الجهني -رضي الله عنه- أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ الْوُضُوءَ، وَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ يُقْبِلُ بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ عَلَيْهِمَا؛ إِلَّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ». [أبو داود ٩٠٦ وصححه الألباني].

وعَنْ عَائِشَةَ -رضي الله عنها- قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «مَنْ ثَابَرَ عَلَى ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً مِنَ السُّنَّةِ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ: أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ قَبْلَ الظُّهْرِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَهَا، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْعِشَاءِ، وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْفَجْرِ». [الترمذي ٤١٤ وصححه الألباني].

من حافظ على أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها:

عن أم حبيبة - رضي الله عنها - تقول: سمعتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ حَافَظَ عَلَى أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ قَبْلَ الظُّهْرِ، وَأَرْبَعٍ بَعْدَهَا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ». [الترمذي ٤٢٨ وصححه الألباني].

من صلى الضحى:

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: «أوصاني خليلي بثلاث: بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتي الضحى، وأن أوتر قبل أن أنام». [متفق عليه].

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ -ﷺ- أَنَّهُ قَالَ: «يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ؛ فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى». [مسلم ٧٢٠].

عقوبة تارك الصلاة

قال الله تبارك وتعالى عن الذين بدلوا وضيعوا: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم:٥٩].

وقال سبحانه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ [المدثر: ٣٨ - ٤٣].

وقال جل وعلا: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٤-٥].

وعن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ». [مسلم: ٨٢].

حسرة الشيطان

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي، يَقُولُ: يَا وَيْلَهُ - وَفِي رِوَايَةِ أَبِي كُرَيْبٍ يَا وَيْلِي - أُمِرَ ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الْجَنَّةُ، وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَأَبَيْتُ فَلِيَ النَّارُ». [مسلم ٨١].

والبقية في اللقاء القادم، والحمد لله رب العالمين.

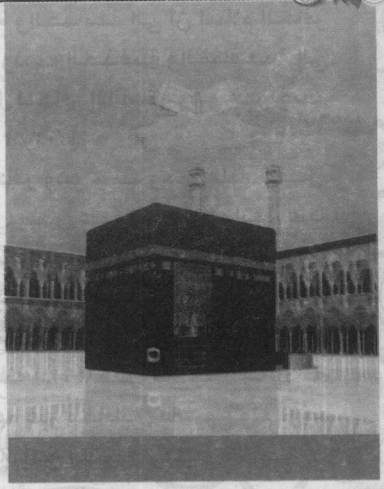

الاستعانة بالله

إعداد: د/ جمال المراكبي
رئيس مجلس علماء الجماعة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، أما بعد:

فإن الاستعانة بالله من أعظم أسباب الوصول إلى تحقيق المأمول، وقد سبق أن تكلمنا عن الاستعانة بالله على طاعته في رمضان، وذكرنا قول النبي ﷺ: احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، باعتباره عنوانًا على منهاج المؤمن الكيس الفطن الساعي إلى مرضاة الله عز وجل، وبلوغ الدرجات العاليات في الجنة.

لقد كان رسول الله ﷺ يقول في دعائه:

«ربِّ أعنّي ولا تعن عليّ، وانصرني ولا تنصر عليّ، وامكر لي ولا تمكر عليّ، اللّهمّ اجعلني لك شاكرًا، لك ذاكرًا، لك راهبًا، لك مطواعًا، إليك مخبتًا منيبًا، ربِّ تقبّل توبتي، واغسل حوبتي، وأجب دعوتي، وثبّت حجّتي، واهد قلبي، وسدّد لساني، واسلل سخيمة قلبي» [رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والحاكم وقال: صحيح ووافقه الذهبي، وكذلك قال فيه الترمذي: حسن صحيح].

وأوصى ابن عمه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن يستعين بالله وحده، فقال: «يا غلام، إنّي أعلّمك كلمات: احفظ اللّه يحفظك، احفظ اللّه تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل اللّه، وإذا استعنت فاستعن باللّه، واعلم أنّ الأمّة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه اللّه لك، ولو اجتمعوا على أن يضرّوك بشيء؛ لم يضرّوك إلا بشيء قد كتبه اللّه عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصّحف. [رواه الترمذي وصححه الألباني].

وإذا استعان العبد بالله على طاعته وعبادته؛ أعطاه الله ما سأل، فعن أبي هريرة - رضي اللّه عنه- قال: قال رسول اللّه ﷺ: «من صلّى صلاة لم يقرأ فيها بأمّ القرآن فهي خداج (ثلاثًا) غير تمام. فقيل لأبي هريرة: إنّا نكون وراء الإمام. فقال: اقرأ بها في نفسك، فإنّي سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «قال اللّه تعالى: قسمت الصّلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: الحمد للّه ربّ العالمين، قال اللّه تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال: الرّحمن الرّحيم، قال اللّه تعالى: أثنى عليّ عبدي، وإذا قال: مالك يوم الدّين، قال: مجّدني عبدي (وقال مرّة فوّض إليّ عبدي)، فإذا قال: إيّاك نعبد وإيّاك نستعين، قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، فإذا قال: اهدنا الصّراط المستقيم صراط الّذين

أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضّالّين قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل. [رواه أحمد ومسلم وابن خزيمة وابن حبان].

ولا شك أن أولى الناس بمعونة الله عز وجل من كانت غايته أشرف: فعن أبي هريرة - رضي اللّه عنه- قال: قال رسول اللّه ﷺ: «ثلاثة حقّ على اللّه عونهم: المجاهد في سبيل اللّه، والمكاتب الّذي يريد الأداء، والنّاكح الّذي يريد العفاف»[رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه والحاكم وحسنه الألباني].

فالمجاهد في سبيل الله غايته إعزاز دين الله، وطالب الزواج غايته العفة عن الحرام، والمكاتب غايته أن يكون حرًا من الانقياد للعبيد؛ فلا تكون عبوديته إلا لله وحده.

دعاء الاستخارة صورة من صور الاستعانة

لقد علمنا رسول اللّه ﷺ أن نستعين بالله في الأمور كلها، فنستخيره بعلمه، ونستقدره بقدرته، ونسأله من فضله العظيم؛ فعن جابر بن عبد اللّه- رضي اللّه عنهما- قال: كان رسول اللّه ﷺ يعلّمنا الاستخارة في الأمور كلّها كما يعلّمنا السّورة من القرآن، يقول: «إذا همّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثمّ يقول: اللّهمّ إنّي أستخيرك بعلمك، وأستعينك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنّك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللّهمّ إن كنت تعلم أنّ هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال: في عاجل أمري وآجله فاقدره لي، ويسّره لي، ثمّ بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أنّ هذا الأمر شرّ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال: في عاجل أمري وآجله فاصرفه عنّي، واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان ثمّ أرضني به» قال: ويسمّي حاجته. [رواه البخاري وأبو داود والترمذي وغيرهم].

الله في عون العبد مادام في عون أخيه

ومن كان في عون إخوانه المسلمين كان الله دائمًا معينًا له: عن أبي هريرة- رضي اللّه عنه- قال: قال رسول اللّه ﷺ: «من نفّس عن مؤمن كربة من كرب الدّنيا نفّس اللّه عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسّر على معسر، يسّر اللّه عليه في الدّنيا والآخرة، ومن ستر مسلمًا ستره اللّه في الدّنيا والآخرة، واللّه في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علما، سهّل اللّه له به طريقًا إلى الجنّة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت اللّه يتلون كتاب اللّه ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السّكينة وغشيتهم الرّحمة وحفّتهم الملائكة، وذكرهم اللّه فيمن عنده، ومن بطّأ به عمله لم يسرع به نسبه» [رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي وغيرهم].

قال ابن رجب- رحمه اللّه تعالى-: «العبد محتاج إلى الاستعانة باللّه في فعل المأمورات وترك المحظورات، والصّبر على المقدورات كلّها في الدّنيا وعند الموت وبعده من أهوال البرزخ ويوم القيامة، ولا يقدر على الإعانة على ذلك إلا اللّه- عزّ وجلّ-.

فمن حقّق الاستعانة بالله في ذلك كلّه أعانه اللّه، ومن ترك الاستعانة باللّه واستعان بغيره وكله اللّه إلى من استعان به، فصار مخذولاً، وهو كذلك في أمور الدّنيا؛ لأنّه عاجز عن الاستقلال بجلب مصالحه ودفع مضارّه، ولا معين له على مصالح دينه ودنياه جميعا إلا اللّه- عزّ وجلّ-؛ فمن أعانه اللّه فهو المعان، ومن خذله اللّه فهو المخذول. وهذا هو تحقيق معنى قول العبد «لا حول ولا قوّة إلا باللّه». والمعنى أنّ العبد لا يتحوّل حاله من حال إلى حال ولا قوّة له على ذلك إلا باللّه- عزّ وجلّ-».

وكتب الحسن البصريّ إلى عمر بن عبد العزيز: «لا تستعن بغير اللّه فيكلك اللّه إليه».

وصدق القائل:

من يتق الله يُحْمَد في عواقبه
ويكفه شر من عزوا ومن هانوا
من استعان بغير الله في طلب
فإن ناصره عجز وخذلان

استعانة الأنبياء والصالحين بالله تعالى

نبي الله يعقوب يستعين بالله على فقد يوسف عليهما السلام

﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨].

أي: فصبري صبر جميل، وهو الذي لا شكوى فيه لأحد سوى الله - تعالى - ولا رجاء معه إلا منه - سبحانه -.

ثم أضاف إلى ذلك قوله: ﴿والله المستعان على مَا تَصِفُونَ﴾ أي: والله - تعالى - هو الذي أستعين به على احتمال ما تصفون من أن ابني يوسف قد أكله الذئب.

أو المعنى: والله - تعالى - وحده هو المطلوب عونه على إظهار حقيقة ما تصفون، وإثبات كونه كذبًا، وأن يوسف ما يزال حيًا، وأنه - سبحانه - سيجمعني به في الوقت الذي يشاؤه. [الوسيط للشيخ طنطاوي، ص ٢٢٨٦].

﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ أي: أما أنا فوظيفتي التي أحرص على القيام بها، وهي أني أصبر على هذه المحنة صبرًا جميلاً سالمًا من السخط والتَّشكِّي إلى الخلق، وأستعين بالله على ذلك، لا على حولي وقوتي، فوعد من نفسه هذا الأمر وشكا إلى خالقه في قوله: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ لأن الشكوى إلى الخالق لا تنافي الصبر الجميل.

أم المؤمنين عائشة تستشهد بقول نبي الله يعقوب

في سياق حادثة الإفك تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَجَلَسَ وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مُنْ يَوْمٍ قِيلَ فِيَّ مَا قِيلَ قَبْلَهَا، وَقَدْ مَكَثَ شَهْرًا لاَ يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي شَيْءٌ، قَالَتْ: فَتَشَهَّدَ، ثُمَّ قَالَ يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا؛ فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيُبَرِّئُكِ اللَّهُ، وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ؛ فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ ثُمَّ تَابَ؛ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَالَتَهُ، قَلَصَ دَمْعِي حَتَّى مَا أُحِسُّ مِنْهُ قَطْرَةً وَقُلْتُ لأَبِي أَجِبْ عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ. قَالَ: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقُلْتُ لأُمِّي: أَجِيبِي عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِيمَا قَالَ. قَالَتْ: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَتْ وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ لاَ أَقْرَأُ كَثِيرًا مِنَ الْقُرْآنِ، فَقُلْتُ إِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكُمْ سَمِعْتُمْ مَا يَتَحَدَّثُ بِهِ النَّاسُ وَوَقَرَ فِي أَنْفُسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ، وَلَئِنْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي بَرِيئَةٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنِّي لَبَرِيئَةٌ لاَ تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ، وَلَئِنِ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ لَتُصَدِّقُنِّي وَاللَّهِ مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلاً إِلاَّ أَبَا يُوسُفَ إِذْ قَالَ ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ ثُمَّ تَحَوَّلْتُ عَلَى فِرَاشِي وَأَنَا أَرْجُو أَنْ يُبَرِّئَنِي اللَّهُ، وَلَكِنْ وَاللَّهِ مَا ظَنَنْتُ أَنْ يُنْزِلَ فِي شَأْنِي وَحْيًا وَلأَنَا أَحْقَرُ فِي نَفْسِي مِنْ أَنْ يُتَكَلَّمَ بِالْقُرْآنِ فِي أَمْرِي، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللَّهُ، فَوَاللَّهِ مَا رَامَ مَجْلِسَهُ وَلاَ خَرَجَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ حَتَّى أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبُرَحَاءِ حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ مِنَ الْعَرَقِ فِي يَوْمٍ شَاتٍ؛ فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَضْحَكُ فَكَانَ أَوَّلُ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ لِي يَا عَائِشَةُ احْمَدِي اللَّهَ فَقَدْ بَرَّأَكِ اللَّهُ فَقَالَتْ لِي أُمِّي قُومِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقُلْتُ: لاَ وَاللَّهِ لاَ أَقُومُ إِلَيْهِ وَلاَ أَحْمَدُ إِلاَّ اللَّهَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾ [رواه البخاري وغيره].

الكليم يوصي قومه بالصبر على أذى فرعون

وقد يبتلى العبد بالمصيبة فلا يعينه على تحملها إلا الله، ومن يتصبر يصبره الله كما حدث لبني إسرائيل مع موسى وفرعون.

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ (١٢٧) قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (١٢٨) قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٧ - ١٢٩].

الاستعانة بالله على أعباء الدعوة:

فقد أمر الله عز وجل نبيه ﷺ أن يستعين به على ما يبديه قومه من الشرك والإعراض عن الله تعالى، فيقول له: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٨) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ (١٠٩) إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ (١١٠) وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (١١١) قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٨ - ١١٢].

﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ أي: نسأل ربنا الرحمن، ونستعين به على ما تصفون، من قولكم سنظهر عليكم، وسيضمحل دينكم، فنحن في هذا لا نعجب بأنفسنا، ولا نتكل على حولنا وقوتنا، وإنما نستعين بالرحمن، الذي ناصية كل مخلوق بيده، ونرجوه أن يتم ما استعناه به من رحمته، وقد فعل، ولله الحمد. [تفسير السعدي ص ٥٣٢].

أمير المؤمنين عثمان يستعين بالله على بلواه

عن أبي موسى أنه كان مع النبي ﷺ في حائط

من حيطان المدينة وفي يد النبي ﷺ عود يضرب به بين الماء والطين، فجاء رجل يستفتح فقال النبي ﷺ: افتح له وبشره بالجنة، فذهبت فإذا أبو بكر رضي الله عنه ففتحت له وبشرته بالجنة، ثم استفتح رجل آخر فقال: افتح له وبشره بالجنة؛ فإذا عمر رضي الله عنه، ففتحت له وبشرته بالجنة، ثم استفتح رجل آخر، وكان متكئًا فجلس، وقال: افتح له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه أو تكون، فذهبت فإذا عثمان ففتحت له فأخبرته بالذي قال؛ قال: الله المستعان. [متفق عليه].

وفي رِوَايَة أَبِي عُثْمَان «فَحَمِدَ اللَّه ثُمَّ قَالَ: اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ» وَفِي رِوَايَة عِنْد أَحْمَد «فَجَعَلَ يَقُول: اللَّهُمَّ صَبْرًا، حَتَّى جَلَسَ» وَفِي رِوَايَة عَبْد الرَّحْمَن بْن حَرْمَلَة «فَدَخَلَ وَهُوَ يَحْمَد اللَّه وَيَقُول: اللَّهُمَّ صَبْرًا».

وَأَشَارَ ﷺ بِالْبَلْوَى الْمَذْكُورَة إِلَى مَا أَصَابَ عُثْمَان فِي آخِر خِلَافَته مِنْ الشَّهَادَة يَوْم الدَّار، وَقَدْ وَرَدَ عَنْهُ ﷺ أَصْرَح مِنْ هَذَا فَرَوَى أَحْمَد مِنْ طَرِيق كُلَيْب بْن وَائِل عَنْ ابْن عُمَر قَالَ: «ذَكَرَ رَسُول اللَّه ﷺ فِتْنَة، فَمَرَّ رَجُل فَقَالَ: يُقْتَل فِيهَا هَذَا يَوْمئِذ ظُلْمًا، قَالَ فَنَظَرْت فَإِذَا هُوَ عُثْمَان». إِسْنَاده صَحِيح. [فتح الباري لابن حجر ١٠ / ٤٦٩].

الزبير يوصي ولده أن يستعين بمولاه على قضاء دينه

عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال: لما وقف الزبير يوم الجمل دعاني فقمت إلى جنبه، فقال: يا بني إنه لا يُقتل اليوم إلا ظالم أو مظلوم، وإني لا أراني إلا سأقتل اليوم مظلومًا، وإن من أكبر همي لَدَيْني، أفترى يُبقي ديننا من مالنا شيئًا؟ فقال: يا بني، بع مالنا فاقض ديني، وأوصى بالثلث وثلثه لبنيه - يعني بني عبد الله بن الزبير - يقول ثلث الثلث؛ فإن فضل من مالنا فضل بعد قضاء الدين شيء فثلثه لولدك. قال هشام: وكان بعض ولد عبد الله قد وازى بعض بني الزبير خبيب وعباد وله يومئذ تسعة بنين وتسع بنات. قال عبد الله فجعل يوصيني بدينه ويقول يا بني إن عجزت عنه في شيء فاستعن عليه مولاي. قال فوالله ما دريت ما أراد حتى قلت: يا أبت من مولاك؟ قال: الله. قال فوالله ما وقعت في كربة من دينه إلا قلت يا مولى الزبير اقض عنه دَيْنه، فيقضيه؛ فقتل الزبير رضي الله عنه ولم يدع دينارًا ولا درهمًا إلا أرضين منها الغابة وإحدى عشرة دارًا بالمدينة ودارين بالبصرة ودارًا بالكوفة ودارًا بمصر، قال: إنما كان دينه الذي عليه أن الرجل كان يأتيه بالمال فيستودعه إياه، فيقول الزبير: لا، ولكنه سلف؛ فإني أخشى عليه الضيعة، وما ولي إمارة قط ولا جباية خراج، ولا شيئًا إلا أن يكون في غزوة مع النبي ﷺ أو مع أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم.

قال عبد الله بن الزبير فحسبت ما عليه من الدين فوجدته ألفي ألف ومائتي ألف، قال فلقي حكيم بن حزام عبد الله بن الزبير فقال يا ابن أخي كم على أخي من الدين؟ فكتمه فقال مائة ألف فقال حكيم: والله ما أرى أموالكم تسع لهذه، فقال له عبد الله أفرأيتك إن كانت ألفي ألف ومائتي ألف؟ قال ما أراكم تطيقون هذا؛ فإن عجزتم عن شيء منه فاستعينوا بي. قال: وكان الزبير اشترى الغابة بسبعين ومائة ألف فباعها عبد الله بألف ألف وستمائة ألف، ثم قام فقال: من كان له على الزبير حق فليوافنا بالغابة فأتاه عبد الله بن جعفر، وكان له على الزبير أربعمائة ألف، فقال لعبد الله: إن شئتم تركتها لكم. قال عبد الله: لا. قال: فإن شئتم جعلتموها فيما تؤخرون إن أخرتم، فقال عبد الله: لا. قال: فاقطعوا لي قطعة، فقال عبد الله لك من ها هنا إلى ها هنا قال: فباع منها فقضى دينه فأوفاه وبقي منها أربعة أسهم ونصف، فقدم على معاوية وعنده عمرو بن عثمان والمنذر بن الزبير وابن زمعة فقال له معاوية كم قومت الغابة؟ قال كل سهم مائة ألف، قال: فكم بقي؟ قال: أربعة أسهم ونصف قال المنذر بن الزبير: قد أخذت سهمًا بمائة ألف. قال عمرو بن عثمان: قد أخذت سهمًا بمائة ألف، وقال ابن زمعة قد أخذت سهمًا بمائة ألف، فقال معاوية كم بقي؟ فقال سهم ونصف قال أخذته بخمسين ومائة ألف. قال: وباع عبد الله بن جعفر نصيبه من معاوية بستمائة ألف فلما فرغ ابن الزبير من قضاء دينه. قال بنو الزبير: اقسم بيننا ميراثنا قال: لا والله لا أقسم بينكم حتى أنادي بالموسم أربع سنين، ألا من كان له على الزبير دين فليأتنا فلنقضه، قال فجعل كل سنة ينادي بالموسم، فلما مضى أربع سنين قسم بينهم قال: فكان للزبير أربع نسوة ورفع الثلث فأصاب كل امرأة ألف ألف ومائتا ألف فجميع ماله خمسون ألف ألف ومائتا ألف. [رواه البخاري].

نسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يعيننا على طاعته ومرضاته، وأن يبلغنا الدرجات العليا من الجنة بفضله ومنته وكرمه.

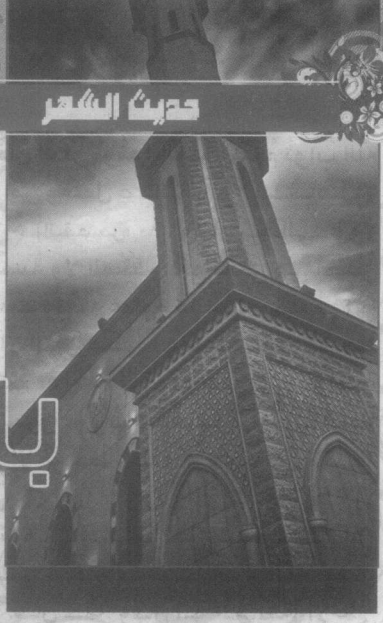

الاستعانة بالصبر والصلاة

إعداد: د/ جمال المراكبي
رئيس مجلس علماء الجماعة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، أما بعدُ:

قال الله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ (٤٥) الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ٤٥ - ٤٦].

قال الشيخ السعدي رحمه الله: أمرهم الله أن يستعينوا في أمورهم كلها بالصبر بجميع أنواعه، وهو الصبر على طاعة الله حتى يؤديها، والصبر عن معصية الله حتى يتركها، والصبر على أقدار الله المؤلمة فلا يتسخطها، فبالصبر وحبس النفس على ما أمر الله بالصبر عليه معونة عظيمة على كل أمر من الأمور، ومن يتصبر يصبره الله، وكذلك الصلاة التي هي ميزان الإيمان، وتنهى عن الفحشاء والمنكر، يستعان بها على كل أمر من الأمور ﴿وَإِنَّهَا﴾ أي: الصلاة ﴿لَكَبِيرَةٌ﴾ أي: شاقة ﴿إِلا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ فإنها سهلة عليهم خفيفة؛ لأن الخشوع، وخشية الله، ورجاء ما عنده يوجب له فعلها، منشرحًا صدره لترقبه للثواب، وخشيته من العقاب، بخلاف من لم يكن كذلك، فإنه لا داعي له يدعوه إليها، وإذا فعلها صارت من أثقل الأشياء عليه.

والخشوع هو: خضوع القلب وطمأنينته، وسكونه لله تعالى، وانكساره بين يديه، ذلاً وافتقارًا، وإيمانًا به وبلقائه.

ولهذا قال: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ أي: يستيقنون ﴿أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ﴾ فيجازيهم بأعمالهم ﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ فهذا الذي خفَّف عليهم العبادات وأوجب لهم التسلي في المصيبات، ونفَّس عنهم الكربات، وزجرهم عن فعل السيئات، فهؤلاء لهم النعيم المقيم في الغرفات العاليات، وأما من لم يؤمن بلقاء ربه، كانت الصلاة وغيرها من العبادات من أشق شيء عليه. [تفسير السعدي].

وقال مقاتل بن حيَّان في تفسير هذه الآية: استعينوا على طلب الآخرة بالصبر على الفرائض، والصلاة.

وقال مجاهد: الصبر في هذه الآية هو الصوم.

ومنه قيل لرمضان: شهر الصبر، فجاء الصوم والصلاة على هذا القول في الآية متناسبين في أن الصيام يكسر الشهوة ويزهّد في الدنيا، والصلاة تورث الخشوع وتنفي الكبر وترغّب في الآخرة.

وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: (صوم شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شهر). [رواه أحمد والبيهقي وصححه الألباني].

ورمضان شهر الصبر؛ فإن الصائم يصبر فيه على الطاعة، ويصبر كذلك عن المعاصي، فيَكُفُّ نفسه عما كان يستمتع به من المباحات طاعة لله جل وعلا وتحقيقاً للتقوى، ويحبس نفسه عن

المعاصي، ويُلزمها بكثير من القربات من قيام وصدقة وصلة للأرحام وإطعام للطعام، ويصبر فيه على ألم الجوع والعطش.

وهو كذلك شهر الجهاد: والجهاد من الصبر، وقد غزا النبي ﷺ في شهر رمضان غزوتين من أعظم غزواته جميعًا هما: غزوة بدر وغزوة الفتح، ولقد كان الصحابة يعرفون أن رمضان شهر الصبر، وكان صبرهم عظيمًا على أعباء الدعوة إلى الله، وعلى أعباء الجهاد، وعلى طاعة الله، وعن معصية الله، وعلى أقدار الله، فكان ﷺ وأصحابه يبلغون من الصبر غايته في شهر رمضان الذي هو شهر الصبر.

وقيل: المراد بالصبر الكف عن المعاصي؛ ولهذا قرنه بأداء العبادات وأعلاها: فعل الصلاة.

عن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، قال: الصبر صبران: صبر عند المصيبة حسن، وأحسن منه الصبر عن محارم الله.

وقال أبو العالية في قوله: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ على مرضاة الله، واعلموا أنها من طاعة الله.

وأما قوله: ﴿وَالصَّلَاةِ﴾ فإن الصلاة من أكبر العون على الثبات في الأمر، كما قال تعالى: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ الآية [العنكبوت: ٤٥].

قال حذيفة رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر صلى. [رواه أحمد وأبو داود وصححه الألباني].

وقال علي رضي الله عنه: لقد رأيتنا ليلة بدر وما فينا إلا نائم، غير رسول الله ﷺ يصلي ويدعو حتى أصبح.

وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما لما نُعي إليه أخوه قُثَم وهو في سفر، فاسترجع، ثم تنحَّى عن الطريق، فأناخ فصلى ركعتين أطال فيهما الجلوس، ثم قام يمشي إلى راحلته، وهو يقول: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾.

والضمير في قوله: ﴿وَإِنَّهَا﴾ عائد إلى الصلاة، نص عليه مجاهد، واختاره ابن جرير.

ويحتمل أن يكون عائدًا على ما يدل عليه الكلام، وهو الوصية بذلك، كقوله تعالى في قصة قارون: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ [القصص: ٨٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٤ - ٣٥] أي: وما يلقى هذه الوصية إلا الذين صبروا ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا﴾ أي: يؤتاها ويلهمها ﴿إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾، وعلى كل تقدير، فقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ أي: شاقة ثقيلة إلا على الخاشعين. قال ابن أبي طلحة، عن ابن عباس: يعني المصدقين بما أنزل الله. وقال مجاهد: المؤمنين حقًا. وقال أبو العالية: إلا على الخاشعين الخائفين، وقال مقاتل بن حيان: إلا على الخاشعين يعني به المتواضعين. وقال الضحاك: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ قال: إنها لثقيلة إلا على الخاضعين لطاعته، الخائفين سَطَوته، المصدقين بوعده ووعيده.

وهذا يشبه ما جاء في الحديث: «لقد سألت عن عظيم، وإنه ليسير على من يسره الله عليه». [رواه أحمد والترمذي وصححه والنسائي وصححه الألباني].

وعن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن أمه أم كلثوم بنت عقبة وكانت من المهاجرات الأول: في قول الله عز وجل: ﴿استعينوا بالصبر والصلاة﴾ قالت غشي على عبد الرحمن بن عوف غشية فظنوا أنه فاضت نفسه فيها؛ فخرجت امرأته أم كلثوم إلى المسجد تستعين بما أمرت به من الصبر والصلاة، فلما أفاق قال: أغشي عليَّ آنفًا؟ قالوا: نعم. قال: صدقتم إنه جاءني ملكان فقالا: انطلق نحاكمك إلى العزيز الأمين. فقال ملك آخر: ارجعاه، فإن هذا ممن كُتبت لهم السعادة وهم في بطون أمهاتهم ويستمتع به بنوه ما شاء الله، فعاش بعد ذلك شهرًا ثم مات. [رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي].

وقال عمر رضي الله عنه: نعم العِدْلان ونِعم العلاوة ﴿الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون (١٥٦) أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾ [البقرة: ١٥٦ - ١٥٧]. (رواه البخاري في الصحيح).

والعدلان: المثلان، ومراده بهما الصلوات والرحمة لمن صبر واحتسب عند المصيبة.

والعلاوة: ثناء الله تعالى عليهم بالهداية، والعدلان في الأصل ما يوضع على شقي الدابة من الحمل، والعلاوة ما يوضع عليه بعد تمام الحمل كالزاد وغيره.

وعن عبادة بن محمد بن عبادة بن الصامت: قال لما حضرت عبادة الوفاة قال: أخرجوا فراشي إلى الصحن يعني الدار، ثم قال اجمعوا إليّ موالي وخدمي وجيراني ومن كان يدخل عليّ فجُمعوا له، فقال: إن يومي هذا لا أراه إلا آخر يوم يأتي علي من الدنيا وأول ليلة من الآخرة، وإني لا أدري لعله قد فرط مني إليكم بيدي أو بلساني شيء وهو والذي نفسي بيده القصاص يوم القيامة، وأحرّج على أحد منكم في نفسه شيء من ذلك إلا اقتص مني قبل أن تخرج نفسي. قال فقالوا: بل كنت والدًا وكنت مؤدبًا. قال: وما قال لخادم سوءًا قط، فقال: أغفرتم لي ما كان من ذلك ؟ قالوا: نعم، قال: اللهم اشهد. فقال: أما لي فاحفظوا وصيتي، أحرّج على إنسان منكم يبكي، فإذا أخرجت نفسي فوضؤوا وأحسنوا الوضوء ثم ليدخل كل إنسان منكم مسجده فيصلي ثم يستغفر لي ولنفسه؛ فإن الله تبارك وتعالى قال: ﴿استعينوا بالصبر والصلاة﴾ ثم أسرعوا بي إلى حفرتي ولا تتبعني نار ولا تضعوا تحتي أرجوانا. [شعب الإيمان]. والأرجوانُ: الثيابُ الحُمْرُ عن ابن الأعرابي، والأُرْجُوان الأَحْمَر، وقال الزجاج الأُرجُوان صِبْغ أَحْمر شديد الحمرة [لسان العرب].

وقال السعدي: أمر الله تعالى المؤمنين، بالاستعانة على أمورهم الدينية والدنيوية ﴿بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ فالصبر هو: حبس النفس وكفها عما تكره، فهو ثلاثة أقسام: صبرها على طاعة الله حتى تؤديها، وعن معصية الله حتى تتركها، وعلى أقدار الله المؤلمة فلا تتسخطها، فالصبر هو المعونة العظيمة على كل أمر، فلا سبيل لغير الصابر أن يدرك مطلوبه، خصوصًا الطاعات الشاقة المستمرة، فإنها مفتقرة أشد الافتقار إلى تحمل الصبر؛ فعلمت أن الصبر محتاج إليه العبد، بل مضطر إليه في كل حال من أحواله، فلهذا أمر الله تعالى به، وأخبر أنه ﴿مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ أي: مع من كان الصبر لهم خلقًا وصفة وملكة بمعونته وتوفيقه، وتسديده، فهانت عليهم بذلك المشاق والمكاره، وسهل عليهم كل عظيم، وزالت عنهم كل صعوبة، وهذه معية خاصة، تقتضي محبته ومعونته، ونصره وقربه، وهذه منقبة عظيمة للصابرين، فلو لم يكن للصابرين فضيلة إلا أنهم فازوا بهذه المعية من الله، لكفى بها فضلاً وشرفًا، وأما المعية العامة فهي معية العلم والقدرة، كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ وهذه عامة للخلق.

وأمر تعالى بالاستعانة بالصلاة؛ لأن الصلاة هي عماد الدين، ونور المؤمنين، وهي الصلة بين العبد وبين ربه، فإذا كانت صلاة العبد صلاة كاملة، مجتمعًا فيها ما يلزم فيها، وما يُسن، وحصل فيها حضور القلب، الذي هو لبّها، فصار العبد إذا دخل فيها استشعر دخوله على ربه، ووقوفه بين يديه، موقف العبد الخادم المتأدب، مستحضرًا لكل ما يقوله وما يفعله، مستغرقًا بمناجاة ربه ودعائه، لا جرم أن هذه الصلاة من أكبر المعونة على جميع الأمور؛ فإن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولأن هذا الحضور الذي يكون في الصلاة، يوجب للعبد في قلبه، وصفًا، وداعيًا يدعوه إلى امتثال أوامر ربه، واجتناب نواهيه، هذه هي الصلاة التي أمر الله أن نستعين بها على كل شيء. [تفسير السعدي].

الاستعانة على طاعة الله بأوقات النشاط

عن أبي هريرة - رضي الله عنه- عن النّبيّ ﷺ: «إنّ هذا الدّين يسر، ولن يشادّ الدّين أحد إلا غلبه فسدّدوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والرّوحة وشيء من الدّلجة. [رواه أحمد والبخاري والنسائي وغيرهم].

ومعنى (واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة): استعينوا على مداومة العبادة بإيقاعها في الأوقات المنشطة كأول النهار وبعد الزوال وآخر الليل]

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: (لكل عامل فترة، ولكل فترة شرة؛ فمن كانت فترته إلى سنتي فقد أفلح).

والشرة: الحرص، والشره والشرهان الحريص. [التمهيد لابن عبد البر].

والى لقاء قادم إن شاء الله تعالى.

الحج المبرور طريق إلى الجنة

إعداد: د/ جمال المراكبي
رئيس مجلس علماء الجماعة
www.almarakby.com

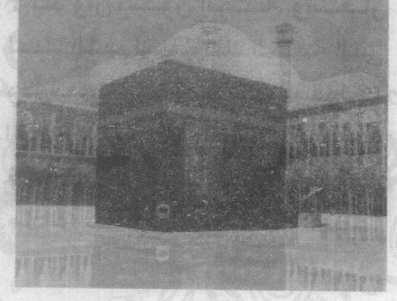

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

لا شك أن الحج من أفضل الأعمال بعد الإيمان، وأنه لون من ألوان الجهاد في سبيل الله.

روى البخاري في صحيحه بَاب فَضْلِ الْحَجِّ الْمَبْرُورِ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ: أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: جِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: حَجٌّ مَبْرُورٌ. [البخاري ٢٦].

وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: يا رسول الله نرى الجهادَ أفضلَ العمل، أفلا نجاهد؟ قال: «لا، ولكن أفضل الجهاد حج مبرور». وفي رواية: «لَكُنَّ أفضل الجهاد: حج مبرور». [رواه البخاري ١٥٢٠].

وبشر النبي ﷺ من حج واجتنب المحظورات ظاهرًا وباطنًا بغفران ذنوبه فقال «من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه». [البخاري ١٨٢٠].

وأخبرنا النبي ﷺ أَن الْعُمْرَةَ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلاَّ الْجَنَّةُ. [متفق عليه].

والحج المبرور هو المقبول الذي راعى فيه صاحبه شروط صحة العمل، وشروط قبوله من إخلاص العمل لله تعالى، ومتابعة هدي النبي ﷺ، واجتناب الآثام والأوزار والفسق والرفث.

ومن علامات هذا الحج المبرور أن يرجع الحاج خيرًا مما كان، وأن يترك ما كان عليه من التفريط والتقصير والمعاصي، وأن يتبدل بإخوانه البطالين، إخوانًا صالحين، وبمجالس اللهو والغفلة، مجالس الذكر واليقظة.

والإخلاص من أصعب الأحوال، وأشق الأعمال خاصة إذا كان العمل باديًا ظاهرًا لا يستطيع المرء أن يخفيه كالحج، فالمسلم قد يصوم يومًا في سبيل الله لا يشعر أحد من الناس بصومه، وقد يصلي في جوف الليل في بيته لا يشعر به أحد، ولكنه لا يستطيع أن يحج بيت الله الحرام دون أن يشعر به أحد، ومن هنا كان الجهد المبذول لتحقيق الإخلاص في الحج، وفي سائر الأعمال الظاهرة، مضاعفًا ممن وفَّقه الله وهداه، ولهذا كان ديدن الصالحين إظهار الزهد والتقشف في الحج، والتعبد لله عز وجل بالتذلل وإظهار الفاقة لله عز وجل، وقد أثر عن النبي ﷺ أنه حج على رحلٍ؛ روى البخاري في

صحيحه - بَابِ الْحَجِّ عَلَى الرَّحْلِ - عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ مَعَهَا أَخَاهَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ فَأَعْمَرَهَا مِنْ التَّنْعِيمِ وَحَمَلَهَا عَلَى قَتَبٍ. وهو رحل صغير على قدر سنام البعير. وَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: شُدُّوا الرِّحَالَ فِي الْحَجِّ فَإِنَّهُ أَحَدُ الْجِهَادَيْنِ.

وعَنْ ثُمَامَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَسٍ قَالَ: حَجَّ أَنَسٌ عَلَى رَحْلٍ وَلَمْ يَكُنْ شَحِيحًا، وَحَدَّثَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَجَّ عَلَى رَحْلٍ وَكَانَتْ زَامِلَتَهُ. [البخاري ١٥١٧].

وقوله: ولم يكن شحيحًا إشارة إلى أنه فعل ذلك تواضعًا منه واتباعًا، لا عن قلة، ولا عن بخل.

فأين هذا من الحج الذي تدعو إليه بعض شركات السياحة أو حج الفضائيات، وهو الذي يعرف بحج الخمس نجوم إشارة إلي قمة الترف والدعة والرفاهية.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: حج النبي ﷺ على رحل رثّ، وقطيفة تساوي أربعة دراهم أو لا تساوي، ثم قال: اللهم حجة لا رياء فيها ولا سمعة. [ابن ماجه وصححه الألباني في الصحيحة (٢٦١٧)، مختصر الشمائل (٢٨٨)].

كيف يكون الحج مبرورا؟

ورد البر في النصوص الشرعية بإطلاقين:

أولهما: فعل الطاعات كلها من الإيمان بالله واليوم الآخر، وإعطاء المال للفقراء والمساكين، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والوفاء بالعهود، والصبر على البلاء، كما في قول الله تعالى ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

والحاج يحتاج إلى هذه الأمور كلها؛ فإنه لا يصح حجه بدون الإيمان، ولا يكمل حجه ويكون مبرورًا بدون إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، فإن أركان الإسلام بعضها مرتبط ببعض، ولا يكمل بر الحج بدون الوفاء بالعهود التي يلتزم بها المسلم.

وكذلك يحتاج الحاج إلى الصبر على ما يصيبه من المشاق في سفر الحج؛ فلا يخرجه ذلك عن حسن الصحبة والعشرة لرفقائه.

ثانيهما: حسن الخلق، وقد ورد هذا مرفوعًا في صحيح مسلم أن النبي ﷺ سئل عن البر فقال: (البر حسن الخلق) [مسلم (٢٥٥٣)]، ولا شك أن حسن الخلق من تمام الإيمان وكماله ومن أفضل العمل الصالح الذي يفضي إلى الجنة، فأكمل المؤمنين إيمانًا أحاسنهم أخلاقًا.

وقد سئل النبي ﷺ عن بر الحج فقال: (إطعام الطعام، وطيب الكلام، وإفشاء السلام) [قال الألباني: حسن بمجموع طرقه. انظر السلسلة الصحيحة (١٢٦٤)]. وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: (إن البر شيء هين: وجه طليق وكلام لين) [أخرجه ابن عساكر (٣١ / ١٧٦) موقوفًا على ابن عمر رضي الله عنهما]. وبالجملة فإنه يشمل معاملة الناس بخلق حسن، وهذا يحتاج إليه الناس في الحج كثيرًا حتى قال بعضهم: (إنما سُمي السفر سفرًا؛ لأنه يُسْفِر عن أخلاق الرجال).

جزاء المستجيبين

لقد جعل الله تبارك وتعالى الحج سبيلاً إلى الجنة؛ لأن الحاج يحقق الاستجابة لله تعبدًا ومعتقدًا وسلوكًا وخلقًا، وجزاء المستجيبين لله ولرسوله لا بد وأن يكون الجنة، وشعار الحجيج: «لبيك اللهم لبيك» تلك الكلمة التي يرددونها ويرفعون بها أصواتهم، يقولها الإنسان إذا دعاه من يحب ويعظّم، فهي كلمة استجابة لمن تحب ومن ترغب وترهب وتعظم إذا دعاك أو ناداك، فتسارع بالإجابة قائلاً: لبيك.

أما إذا دعاك من لا تحب، ومن ليس له في قلبك مكانة فإنك تتثاقل عن إجابة دعائه، وربما تمتنع من إجابته.

وفي رحلة الحج دعانا من له في قلوبنا كل الحب والرغبة والرهبة، دعانا ذو الجلال والإكرام، فسارعنا ولبينا؛ لأنه سبحانه أحب إلينا مما سواه، وهذا من علامة الإيمان كما في الحديث «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُلقى في النار». [متفق عليه].

إن من جزاء المستجيبين أن يكفيهم الله ما أهمهم، وأن يدفع عنهم من السوء ما يخافون وما يحذرون، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٢) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران:١٧٢-١٧٤].

وإن من أعظم جزاء المستجيبين الهداية إلى الجنة، قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [الرعد:١٨].

إن أعظم ما في الحج أن يعتاد المسلم الاستجابة لله وللرسول عملاً بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال:٢٤].

ونماذج الاستجابة في الحج كثيرة: فربنا سبحانه وتعالى دعانا لترك الأوطان، والأهل فاستجبنا، دعانا للطواف بالبيت فاستجبنا، مع أن بيوت الله في الأرض كثيرة، ولكن تركنا كل البيوت قاصدين بيته الحرام.

دعانا لاستلام الحجر وتقبيله أو الإشارة إليه؛ فاستجبنا مع علمنا أنه حجر لا يضر ولا ينفع، ولكن لأن رسول الله استلمه وقبّله، وأشار إليه ففعلنا اقتداءً به.

دعانا للخروج إلى منى والمبيت بها يوم التروية، فتركنا البيت وتوجهنا إلى منى ملبين مستجيبين.

دعانا للوقوف بعرفة فلبينا، دعانا للمبيت بمزدلفة؛ فلبينا، دعانا لرمي الجمار والمبيت بمنى فلبينا، ثم دعانا للطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة فلبينا واستجبنا.

إن معظم هذه الأعمال لا يستشعر الحاج فيها معنى خاصًا سوى الاستجابة والتلبية لأمر الله عز وجل والاستسلام لحكمه، فهل نحن في سائر أعمالنا ملبون مستجيبون؟

دعانا لتجريد التوحيد ونبذ الشرك فهل نحن ملبون؟

دعانا للحفاظ على الصلوات فهل نحن ملبون مستجيبون؟

دعانا لبر الوالدين وصلة الأرحام وحسن الجوار وحسن العشرة والمعاملة، فهل نحن ملبون مستجيبون؟

دعانا لترك الحرام والفواحش ما ظهر منها وما بطن فهل نحن ملبون مستجيبون؟

إذا استجبت لله عز وجل في كل ما دعاك إليه فقد حققت بر الحج، ورجعت من ذنوبك كيوم ولدتك أمك، فهذا هو الحج المبرور الذي جعل الله ثوابه الجنة.

رزقنا الله وإياكم حج بيته الحرام، وأثابنا وإياكم الأجر الجزيل.

وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

القلوب والفتن

د. جمال المراكبي

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فلا شك أن الفتن من قدر الله المقدور؛ وذلك أن الله سبحانه خلق الدنيا وجعلها دارًا للبلاء والاختبار، وعرض الأمانة على الكائنات فأبينها وأشفقن منها وتحملها الإنسان فصار عرضة للبلاء والافتتان، قال الله تعالى: «تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ» [الملك: ١- ٢].

وقال سبحانه: «إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا» [الأحزاب: ٧٢- ٧٣].

وقال تبارك وتعالى: «أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ» [العنكبوت: ٢- ٣].

وكانت أولى الفتن بين أبي البشر آدم عليه السلام وبين إبليس فأبى إبليس أن يسجد لآدم وادعى أنه خير من آدم، ووسوس اللعين لآدم فأكل من الشجرة التي حرّمها الله عليه في الجنة فأهبط إلى الأرض ليبدأ هو وذريته سلسلة من الابتلاءات والرزايا والتردد بين الهدى والضلال.

ولقد قصّ الله علينا قصة الخلق والبلاء لنكون على استعداد لتحمل الأمانة العظيمة، ولنحذر من العدو المبين، قال الله تعالى: «وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» [البقرة: ٣٤- ٣٩].

وقال سبحانه: «وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ

بَرَنكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ » [الأعراف: ١١- ٢٧].

القلب عرضة للفتن:

القلب للإنسان هو موضع الإيمان ومستقر التصديق أو الكفران، فالقلب ملك الأعضاء، وكل الجوارح تبعٌ له، قال رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمَ: «... ألا وَإِنَّ في الجَسَد مُضْغَةً إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسدُ كُلُّه، وَإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّه، ألا وَهِيَ القَلْبُ»[صحيح البخاري: ٥٢].

فالقُلوبُ هيَ الأصْل في التَّقوَى وَالفُجُور، وصَلاحُ الجَوارح بصَلاح القلوب.

قال الله تعالى في الحديث القدسي: «... يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُم وَآخِرَكُم وَإِنسَكُم وَجِنَّكُم كَانُوا عَلَى أَتقَى قلب رَجُل وَاحِد منكُم، مَا زَادَ ذلكَ في مُلكي شيئًا، يَا عِبَادِي لَو أَنَّ أَوَّلَكُم وَآخِرَكُم وَإِنسَكُم وَجِنَّكُم كَانُوا عَلَى أَفْجَر قلب رَجُل وَاحِد، مَا نَقَصَ ذلكَ مِنْ مُلكي شيئًا» [صحيح مسلم ٢٥٧٧].

وَفي هَذا دَليلٌ عَلَى أَنَّ القُلُوب هيَ الأَصْل في التَّقوَى وَالفُجُور، فإذا بَرَّ القَلْبُ واتَّقَى بَرَّت الجَوَارِحُ، وإذا فَجَرَ القَلْبُ فَجَرَت الجَوَارِحُ.

وقال رَسولَ الله: التقوى هاهنا، وأشَار إلى موضع القلب.

وعَنْ أبي هُريرةَ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تَحَاسَدُوا، ولا تَنَاجَشوا، ولا تَبَاغَضُوا، ولا تَدَابَرُوا، ولا يَبِعْ بَعضُكُمْ على بَيع بَعض، وكُونُوا عبادَ اللَّه إخْوانًا، المُسلمُ أخُو المُسلم، لا يَظلمُهُ ولا يَخذُلُهُ، وَلا يَكذبُهُ، ولا يَحقرُهُ، التَّقوى هاهُنا، - ويُشيرُ إلى صدره ثلاثَ مرَّات - بحَسْب امرئٍ منَ الشرِّ أنْ يَحقرَ أخَاهُ المُسلمَ، كُلُّ المُسلم على المُسلم حرامٌ: دَمُهُ ومَالُهُ وعِرضُهُ. [صَحيح مسلم: ٢٥٦٤].

فالتَّقوى أصلُها في القلوب، كما قال تعالى: «ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ » [الحج: ٣٢].

لأجل هذا كانت القلوب هي الأصل في عرض الفتن، وهي محل الإيمان والكفر والنفاق، عَنْ حُذَيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيه وَسَلَّمَ: تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوب كَعَرْض الْحَصِير عُودا عُودا، فَأَيُّ قَلْب أُشْرِبَهَا نُكِتَت فيه نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْب أَنْكَرَهَا نُكِتَت فيه نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَعُودَ الْقُلُوبُ عَلَى قَلْبَيْن: قَلْب أَسْوَدَ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيا؛ لا يَعْرِفُ مَعْرُوفاً وَلا يُنْكِرُ مُنْكَرا؛ إِلا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ، وَقَلْب أَبْيَض، فَلا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْض. [صحيح مسلم: ٤٤].

والْقَلْبُ مَوْضِعُ نَظَر الرب تبارك وتَعَالَى، فالله مطلع عليه، وقلوب العباد بين يديه يقلبها كيف يشاء، «وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ » [الرعد: ٢٧- ٢٨].

وقال تعالى: « يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ » [إبراهيم: ٢٧].

وقال رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ لا يَنْظُرُ إِلى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ». [صحيح مسلم: ٢٥٦٤].

وقال رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمَ: «لا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ». [مسند أحمد ١٣٠٧١ وحسنه الألباني].

لقد نظر الله إلى قلوب الكافرين والمشركين فميّز بين الخبيث والطيب، فهدى الله الطيبين منهم إلى طاعته، ولو نظرنا إلى أهل بدر الذين كانوا مع رسول الله من المؤمنين الموفقين لوجدنا أنهم خير الناس سابقة وفضلاً، اطلع الله على قلوبهم فغفر لهم ما تقدم وما تأخر، وقال لهم: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم. [صحيح البخاري ٣٠٠٧].

أما قتلى بدر من المشركين فهم شر البرية، شرّ قتلى تحت أديم السماء، استجاب الله فيهم لنبيه حين دعا عليهم في مكة، «إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ » [الأنفال: ٢٢- ٢٣].

أما أسرى المشركين في بدر فكان من الممكن أن يلحقوا بإخوانهم من المقتولين على الشرك

والكفر لو قدر الله أن يثخن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيه وَسَلَّمَ في القتل، ولكن رحمة الله تعالى سبقت غضبه فدعاهم إلى التوبة والمغفرة بإذنه، فقال: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٠ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ» [الأنفال: ٧٠- ٧١].

وبهذا يتجلى لنا الفارق بين عمر الفاروق وعمرو بن هشام الطاغوت، فقد دعا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيه وَسَلَّمَ ربه عز وجل أن يعز الإسلام بأحب الرجلين إليه - كما في الترمذي بسند حسن - فقال اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك بعمرو بن هشام الملقب بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب وكان أحبهما إليه عمر بن الخطاب مع أنه كان مشركًا، وكان بعض الصحابة يستبعد إسلامه، فأيّ خير علمه الله عز وجل واطلع عليه من قلب عمر جعله يسبق أكثر السابقين إلى الإسلام؟!

القلبُ كثيرُ التقلُّبِ:

القلب في لغة العرب مصدر قلب يقلب قلبًا وانقلابا فهو منقلب، فالقلب سرعان ما يتقلب من حال إلى حال، وقد أحسن من قال:

مَا سُمِّيَ القلبُ إلا مِنْ تَقَلُّبِه
فاحْذَرْ عَلَى القَلْبِ مِنْ قَلْبٍ وَتَحْوِيلِ

عَنِ المِقْدَادِ بْنِ الأَسْوَدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَا أَقُولُ فِي رَجُلٍ خَيْرًا وَلَا شَرًّا، حَتَّى أَنْظُرَ مَا يُخْتَمُ لَهُ - يَعْنِي: بَعْدَ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيه وَسَلَّمَ - قِيلَ: وَمَا سَمِعْتَ؟ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَقَلْبُ ابْنِ آدَمَ أَشَدُّ انْقِلَابًا مِنَ القِدْرِ إِذَا اجْتَمَعَتْ غَلْيًا» [مسند أحمد ٢٣٨١٧، وصححه الألباني بطرقه في «الصحيحة»].

وَعَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيه وَسَلَّمَ: إِنَّ هَذَا القَلْبَ كَرِيشَةٍ بِفَلَاةٍ مِنَ الأَرْضِ، يُقِيمُهَا الرِّيحُ ظَهْرًا لِبَطْنٍ. [مسند أحمد (١٩٧٥٨) وصححه الألباني].

القلبُ هدفٌ للشيطان:

قال ابن القيم: «ولما علم عدو الله إبليس أن المدار على القلب والاعتماد عليه، أجلب عليه بالوساوس، وأقبل بوجوه الشهوات إليه، وزين له من الأقوال والأعمال ما يصدّه عن الطريق، وأمده من أسباب الغيّ بما يقطعه عن أسباب التوفيق، ونصب له من المصايد والحبائل ما إن سلم من الوقوع فيها لم يسلم من أن يحصل له بها التعويق، فلا نجاة من مصائده ومكائده إلا بدوام الاستعانة بالله تعالى، والتعرض لأسباب مرضاته، والتجاء القلب إليه، وإقباله عليه في حركاته وسكناته، والتحقق بذل العبودية الذي هو أولى ما تلبس به الإنسان ليحصل له الدخول في ضمان «إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ» [الحجر: ٤٢]، فهذه الإضافة هي القاطعة بين العبد وبين الشياطين، وحصولها يسبب تحقيق مقام العبودية لرب العالمين، فإذا أشرب القلب العبودية والإخلاص صار عند الله من المقربين، وشمله استثناء «إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ» [الحجر: ٤٠]. [انظر: إغاثة اللهفان: ٥/١].

اللهم طهّر قلوبنا ونقها من الشرك والكفر والنفاق ومن مساوئ الأخلاق، يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك واصرفها إلى طاعتك واملأها بمحبتك، وصلّ اللهم على النبي الأمين ورحمة الله للعالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تهنئة واجبة

تهنئ أسرة مجلة التوحيد فضيلة الشيخ الدكتور / عصام جاد رئيس مجلس إدارة جماعة أنصار السنة المحمدية ببورسعيد لحصوله علي درجة الدكتوراه في الحديث وعلومه من كلية أصول الدين جامعة الأزهر ، ونسأل الله عز وجل لفضيلته دوام التوفيق والسداد .. آمين.

القلوب والفتن

الحلقة الثانية

د. جمال المراكبي

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد: فقد رأينا في المقال السابق كيف تكون القلوب حال الفتن، وكيف تنقسم إلى قسمين: أبيض ناصع صلب وصلد قد عصمه الله تعالى لا تثنيه عن الحق فتنة.

وآخر أسود مرباد قد خالط بياضه سواد، اختلط عليه الحق والباطل فأصبح عاجزًا عن التمييز لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا إلا ما أُشرب من هواه.

وصدق رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمَ: «تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَعَرْضِ الْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَعُودَ الْقُلُوبُ عَلَى قَلْبَيْنِ: قَلْبٍ أَسْوَدَ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا؛ إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ، وَقَلْبٍ أَبْيَضَ، فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ» [صحيح مسلم: ١٤٤].

وهذه هي القسمة الثنائية للقلوب بعد عرض الفتن، ومدى تأثيرها على قلوب بني آدم.

وقد ذكر لنا ربنا تبارك وتعالى في القرآن قسمة أخرى للقلوب، وهي: قلب حي سليم مخبت لين واعٍ، وقلب يابس ميت قاس، والثالث مريضٌ، فإما إلى السلامة أدنى، وإما إلى العطب أدنى.

قال الله جل وعلا: «وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ» [الحج: ٥٢- ٥٤].

فجعل الله سبحانه وتعالى القلوبَ في هذه الآيات ثلاثة: قلبين مفتونين، وقلبًا ناجيًا. فالمفتونان: القلب الذي فيه مرض، والقلب القاسي. والناجي: القلب المؤمن المخبت إلى ربه المطمئن إليه، المستسلم المنقاد، ولهذا القلب سمات وأوصاف نتحدث عنها في هذا اللقاء.

سمات القلوب المؤمنة الناجية:

أولاً: قلوب سليمة: قال الله تعالى: «وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ» [الشعراء: ٨٧- ٨٩].

وقال تعالى: «وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ» [الصافات: ٨٣- ٨٤].

والقلب السليم هو المبرأ من الشرْك والكفر والنفاق والرياء، والدَّنس، والخَطَايا، وقَدْ أَخْلَصَ الإيمانَ لله، فآمَنَ إيمانًا صادقًا أنه لا إلهَ إلا اللهُ، وأنَّ السَّاعَةَ آتيةٌ لا رَيْبَ فيها، وأنَّ الله يَبْعَثُ مَنْ في القُبُورِ.

قال ابن كثير: «إلا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ» أي: سالم من الدَنس والشرك.

وقال محمد بن سيرين: القلب السليم الذي يعلم أن الله حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث مَنْ في القبور.

وقال ابن عباس: «إلا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ» حَيي يشهد أنْ لا إله إلا الله.

وقالَ مجاهد، والحسن، وغيرهما: «بِقَلْبٍ سَلِيمٍ» يعني: من الشرك.

وقال سعيد بن المسيب: القلب السليم: هو القلب الصحيح، وهو قلب المؤمن؛ لأن قلب الكافر والمنافق مريض، قال الله: «فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ» [البقرة: ١٠].

وقال أبو عثمان النيسابوري: هو القلب الخالي من البدعة، المطمئن إلى السنة.

ثانيا: قلوب منيبة

قال الله تعالى: «وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ» [ق: ٣١- ٣٣].

والقلب المنيب هو القلب السليم الخاضع لله المتواضع له الذي حقق الخشية من الله في السر والعلن والقول والعمل، فطوبى لمن كان له قلب مثل هذا القلب.

«مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ» أي: من خاف الله في سره؛ حيث لا يراه أحد إلا الله. كقوله عليه الصلاة والسلام: «ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه». (متفق عليه).

«وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ» أي: ولقي الله يوم القيامة بقلب سليم منيب إليه خاضع لديه.

ثالثا: قلوب مطمئنة

قال الله تعالى: «الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ» [الرعد: ٢٨- ٢٩].

قال الماوردي: فيه أربعة أوجه:

أحدها: بذكر الله بأفواههم، قاله قتادة.

الثاني: بنعمة الله عليهم. الثالث: بوعد الله لهم، ذكره ابن عيسى.

الرابع: بالقرآن، قاله مجاهد.

قال ابن القيم في مدارج السالكين: «الطمأنينة سكون القلب إلى الشيء وعدم اضطرابه وقلقه، ومنه الأثر المعروف: « الصدق طمأنينة والكذب ريبة»، أي: الصدق يطمئن إليه قلب السامع ويجد عنده سكونًا إليه، والكذب يوجب له اضطرابًا وارتيابًا، ومنه قوله: (البر ما اطمأن إليه القلب) أي: سكن إليه وزال عنه اضطرابه وقلقه. وفي ذكر الله ها هنا قولان: أحدهما: أنه ذكر العبد ربه فإنه يطمئن إليه قلبه ويسكن، فإذا اضطرب القلب وقلق فليس له ما يطمئن به سوى ذكر الله.

والقول الثاني: أن ذكر الله هاهنا القرآن وهو ذكره الذي أنزله على رسوله به طمأنينة قلوب المؤمنين، فإن القلب لا يطمئن إلا بالإيمان واليقين، ولا سبيل إلى حصول الإيمان واليقين إلا من القرآن؛ فإن سكون القلب وطمأنينته من يقينه، واضطرابه وقلقه من شكه، والقرآن هو المحصل لليقين، الدافع للشكوك والظنون والأوهام فلا تطمئن قلوب المؤمنين إلا به، وهذا القول هو المختار، وكذلك القولان أيضًا في قوله تعالى: «وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ» [الزخرف: ٣٦]، والصحيح: أن ذكره الذي أنزله على رسوله وهو كتابه من أعرض عنه: قيّض له شيطانًا يضله ويصده عن السبيل وهو يحسب أنه على هدى.

والقلب المطمئن بذكر الله عز وجل يورث النفس طمأنينة ورضى، قال الله تعالى «يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي» [الفجر: ٢٧- ٣٠].

رابعا: قلوب خاشعة تلين لذكر الله

قال تعالى: «أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ» [الزمر: ٢٢- ٢٣].

الخشوع في اللغة: السكون والطمأنينة والانخفاض.

والخشوع في الشرع: خشية من الله تداخل القلوب، فتظهر آثارها على الجوارح بالانخفاض والسكون، كما هو شأن الخائف.

وقوله تعالى: «لِذِكْرِ الله»، الأظهر منه أن المراد خشوع قلوبهم لأجل ذكر الله، وهذا المعنى دل عليه قوله تعالى: « إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ» [الأنفال: ٢] أي: خافت عند ذكر الله، فالوجل المذكور في آية الأنفال هذه، والخشية المذكورة هنا معناهما واحد.

وقال بعض العلماء: المراد بذكر الله: القرآن، وعليه فقوله: «وَمَا نَزَلَ مِنَ الحق» من عطف الشيء على نفسه مع اختلاف اللفظين، كقوله تعالى:« سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ» [الأعلى: ١ - ٣].

وعلى هذا القول، فالآية كقوله تعالى: « ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ» [الزمر: ٢٣]، فالاقشعرار المذكور، ولين الجلود والقلوب عند سماع هذا القرآن العظيم المعبر عنه بأحسن الحديث، يفسر معنى الخشوع لذكر الله، وما نزل من الحق هنا كما ذكر. (أضواء البيان).

والخشوع يكون في القلب، ويبدو أثره على البدن، في السمع والبصر والعظم والعصب، ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في ركوع الصلاة: (اللهم لك ركعت، وبك آمنت، ولك أسلمت، خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي). صحيح مسلم.

خامسًا: قلوب تقية مخبتة متواضعة لله:

قال الله تعالى: « وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ» [الحج: ٥٤].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: التقوى هاهنا، وأشار إلى صدره.

قال ابن عباس: المخبتون هم المتواضعون.

وقال مجاهد: المخبت المطمئن إلى الله عز وجل، قال: والخبت: المكان المطمئن من الأرض.

وقال الأخفش: الخاشعون.

وقال إبراهيم النخعي: المصلون المخلصون.

وقال الكلبي: هم الرقيقة قلوبهم.

وقد فسرت الآية المخبتين بما ورد بعدها أنهم: « ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ» [الحج: ٣٥].

سادسًا: قلوب وجلة:

قال الله تعالى: « إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ» [الأنفال: ٢- ٤].

قال مجاهد: «وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ» فرقت، أي: فزعت وخافت.

وهذه صفة المؤمن ، الذي إذا ذكر الله وجل قلبه، أي: خاف منه، ففعل أوامره، وترك زواجره. كقوله تعالى: « وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ» [آل عمران: ١٣٥]، وكقوله تعالى: « وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ» [النازعات: ٤٠، ٤١]، ولهذا قال سفيان الثوري: سمعت السدي يقول في قوله تعالى: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ» قال: هو الرجل يريد أن يظلم أو يهم بمعصية، فيقال له: اتق الله فيوجل قلبه.

والحمد لله رب العالمين.

إشهار

تشهد مديرية التضامن الاجتماعي بالشرقية، أنه قد تم إشهار فرع جمعية أنصار السنة المحمدية، بكفر صقر، تحت رقم (٣١٩٧) بتاريخ ٢٠١٤/١/٥م، وذلك طبقًا لأحكام القانون رقم ٨٤ لسنة ٢٠٠٢م ولائحته التنفيذية.

والله ولي التوفيق

القلوب والفتن

القلب القاسي

إعداد/ د. جمال المراكبي

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده:

وبعدُ، فما يزال الحديث متصلاً عن القلوب وأقسامها، ونتناول في هذا العدد الحديث عن القلب القاسي وسبل علاجه، والله نسأل أن يصلح لنا قلوبنا ونياتنا وأن يرزقنا الإخلاص في الأقوال والأعمال.

عندما يمرض القلب ويقسو إلى أن يتحجر، عندها تختل معايير الإنسانية، فيُقال: فلان ميت القلب ولا يعرف الرحمة، وأن ترتبط رقة القلب بالضعف الذي لا يليق بالرجال، وأن يقول البعض: كن قاسي القلب تعش في هناء، ويقول الآخر: نحن في زمن إذا قيل للحجر كن إنسانًا لقال: عذرًا لست قاسيا لهذه الدرجة، كل هذا بسبب اختلاف المعايير الإنسانية.

هنا تكمن المشكلة، فأبعد القلوب من الله القلب القاسي، فالقلب القاسي قلب نُزعت منه الرحمة.

قال مالك بن دينار: «ما ضُرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب، وما غضب الله عز وجل على قوم إلا نزع منهم الرحمة».

وعن عَائِشَةَ، رضي الله عنها، قَالَتْ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم؟ فَقَالَ: تُقَبِّلُونَ الصِّبْيَانَ فَمَا نُقَبِّلُهُمْ؟! فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «أَوَ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ» [صحيح البخاري ٥٩٩٨].

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَبَّلَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ، وَعِنْدَهُ الأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ، جَالِسًا فَقَالَ الأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، ثُمَّ قَالَ: «مَنْ لاَ يَرْحَمُ لاَ يُرْحَمُ» [صحيح البخاري ٥٩٩٧].

والقلب القاسي هو شر القلوب المفتونة بإغواء الشيطان.

قال الله تعالى: ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [الحج: ٥٣].

وقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الزمر: ٢٢].

وهو القلب الميت الذي لا حياة به، فهو لا يعرف ربه، ولا يعبده بأمره وما يحبه ويرضاه، بل هو واقف مع شهواته ولذاته؛ ولو كان فيها سخط ربه وغضبه، فهو لا يبالي إذا فاز بشهوته وحظه،

رضي ربه أم سخط، فهو متعبد لغير الله حبًا، وخوفًا، ورجاءً، ورضًا، وسخطًا، وتعظيمًا، وذلاً. إن أحب أحب لهواه، وإن أبغض أبغض لهواه، وإن أعطى أعطى لهواه، وإن منع منع لهواه. فهواه آثر عنده وأحب إليه من رضا مولاه. فالهوى إمامه، والشهوة قائده، والجهل سائقه، والغفلة مركبه. فهو بالفكر في تحصيل أغراضه الدنيوية مغمور، وبسكرة الهوى وحب العاجلة مخمور. يُنادَى إلى الله وإلى الدار الآخرة من مكان بعيد، فلا يستجيب للناصح، ويتبع كل شيطان مريد. الدنيا تُسخطه وتُرضيه. والهوى يصمّه عما سوى الباطل ويعميه، فالنار أولى به، وما خُلقت النار إلا لإذابة القلوب القاسية.

القلوب القاسية في آيات القرآن:

قال الله تعالى: (وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) [البقرة: ٧٢- ٧٤].

بعد أن ذكر الله قصة البقرة، وكيف أنهم قتلوا نفسًا، وتدافعوا التهمة فيما بينهم، فأوحى الله إلى كليمه موسى أن يأمرهم بذبح بقرة، وكان ما ذكره الله تعالى في قصة البقرة، وكشف شخص القاتل، وما في القصة من آيات باهرات، ومع ذلك قست القلوب من بعدما رأت الآيات فهي كالحجارة أو أشد قسوة.

ولم يبين الله هنا في هذا الموضع سبب قسوة قلوبهم، ولكنه أشار إلى ذلك في مواضع أخر كقوله تعالى: (فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) [المائدة: ١٣].

وقوله تعالى: (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) [الحديد: ١٦- ١٧].

قوله: (لِذكْرِ الله)، الأظهر منه أن المراد خشوع قلوبهم لأجل ذكر الله، وهذا المعنى دل عليه قوله تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ) [الأنفال: ٢] أي: خافت عند ذكر الله، فالوجل المذكور في آية الأنفال هذه، والخشية المذكورة هنا معناهما واحد.

وقيل: المراد بذكر الله القرآن، وعليه فقوله: (وَمَا نَزَلَ مِنَ الحق) من عطف الشيء على نفسه مع اختلاف اللفظين، وعلى هذا القول، فالآية كقوله تعالى: (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ) [الزمر: ٢٣]، فالاقشعرار المذكور، ولين الجلود والقلوب عند سماع هذا القرآن العظيم المعبر عنه بأحسن الحديث، يُفسر معنى الخشوع لذكر الله وما نزل من الحق هنا كما ذكر. [أضواء البيان للشنقيطي].

وقوله: (اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا) فيه إشارة إلى أنه تعالى، يلين القلوب بعد قسوتها، ويهدي الحيارى بعد ضلتها، ويفرّج الكروب بعد شدتها، فكما يحيي الأرض الميتة المجدبة الهامدة بالغيث الوابل، كذلك يهدي القلوب القاسية ببراهين القرآن والدلائل، ويولج إليها النور بعدما كانت مقفلة لا يصل إليها الواصل، فسبحان الهادي لمن يشاء بعد الإضلال، والمضل لمن أراد بعد الكمال، الذي هو لما يشاء فعّال، وهو الحكم العدل في جميع الفِعَال، اللطيف الخبير الكبير المتعال. [تفسير ابن كثير].

وقال الله تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) [الأنعام: ٤٢- ٤٥].

قوله تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ)، فكذبوا رسلنا، وجحدوا بآياتنا، (فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ) أي: بالفقر والمرض والآفات، والمصائب، رحمة منا بهم. (لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ) إلينا، ويلجأون عند الشدة إلينا.

(فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ) أي: تحجرت فلا تلين للحق. (وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) فظنوا أن ما هم عليه دين الحق، فتمتعوا في باطلهم برهة من الزمان، ولعب بعقولهم الشيطان.

(فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ) من الدنيا ولذاتها وغفلاتها. (حَتَّى إِذَا فَرِحُوا

بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ) أي: آيسون من كل خير، وهذا أشد ما يكون من العذاب، أن يؤخذوا على غرة، وغفلة وطمأنينة، ليكون أشد لعقوبتهم، وأعظم لمصيبتهم.

(فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ) أي: اصطُلموا بالعذاب، وتقطعت بهم الأسباب (وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ) على ما قضاه وقدَّره، من هلاك المكذبين. فإن بذلك تتبين آياته، وإكرامه لأوليائه، وإهانته لأعدائه، وصدق ما جاء به المرسلون. [تفسير السعدي].

فالآية الكريمة تصور لونًا من ألوان العلاج النفسي الذي عالج الله به الأمم التي تكفر بأنعمه، وتكذب أنبياءه ورسله؛ إذ إن الآلام والشدائد علاج للنفوس المغرورة بزخارف الدنيا ومتعها إن كانت صالحة للعلاج.

ولقد بيّن سبحانه أن تلك الأمم لم تعتبر بما أصابها من شدائد فقال: (فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ).

ولولا هنا للنفي، أي: أنهم ما خشعوا ولا تضرعوا وقت أن جاءهم بأسنا.

ثم بيّن -سبحانه- أن أمرين حالا بينهم وبين التوبة والتضرع عند نزول الشدائد بهم.

أما الأمر الأول: فهو قسوة قلوبهم، وقد عبّر -سبحانه- عن هذا الأمر الأول بقوله: (وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ) أي: غلظت وجمدت وصارت كالحجارة أو أشد قسوة.

وأما الأمر الثاني: فهو تزيين الشيطان لهم أعمالهم السيئة، بأن يوحي إليهم بأن ما هم عليه من كفر وشرك وعصيان هو عين الصواب، وأن ما أتاهم به أنبياؤهم ليس خيراً لأنه يتنافى مع ما كان عليه آباؤهم.

ثم بين - سبحانه - أنه قد ابتلاهم بالنعم بعد أن عالجهم بالشدائد فلم يرتدعوا فقال -تعالى-: (فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ).

والمعنى: فلما أعرضوا عن النذر والعظات التي وجّهها إليهم الرسل، فتحنا عليهم أبواب كل شيء من الرزق وأسباب القوة والجاه. حتى إذا اغتروا وبطروا بما أوتوا من ذلك أخذناهم بغتة فإذا هم متحسرون يائسون من النجاة.

وفي الحديث: «إذا رأيت الله يُعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فإنما هو استدراج» [مسند أحمد ١٧٣٤٩ وجود إسناده الألباني].

وقال الله تعالى: (أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٢٢ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ) [الزمر: ٢٢- ٢٣].

أفمن شرح الله - تعالى - صدره للإسلام، وجعله مستعدًا لقبول الحق فهو بمقتضى هذا الشرح والقبول صار على نور وهداية من ربه، كمن قسا قلبه وغلظ، وأصبح أسيرًا للظلمات والأوهام.

لاشك أنهما لا يستويان في عقل أيّ عاقل.

فالاستفهام للإنكار والنفي، و«من» اسم موصول مبتدأ، والخبر محذوف لدلالة قوله - تعالى -: (فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ الله) .

أي: فهلاك وخزي لأولئك المشركين الذين قست قلوبهم من أجل ذكر الله - تعالى -، الذي من شأنه أن تلين له القلوب، ولكن هؤلاء الكافرين إذا ما ذكر الله - تعالى -، اشمأزت قلوبهم، وقست نفوسهم، لانطماس بصائرهم، واستحواذ الشيطان عليهم.

ومنهم من جعل « من » في قوله (مِّن ذِكۡرِ الله) بمعنى عن. أي: فويل للقاسية قلوبهم عن قبول ذكر الله وطاعته وخشيته. [الوسيط لسيد طنطاوي].

كيف يستشعر المسلم قسوة قلبه وكيف يعالجها؟

هناك علامات لقسوة القلب:

منها: التكاسل والتثاقل عن الطاعات وأعمال الخير والبر:

كالصلاة المفروضة يتشاغل عنها ولا يستشعر الخشوع فيها فتكون مجرد حركات لا اطمئنان فيها، يضيق بها ويريد قضائها، ويتثاقل عن النوافل، ويرى الفرائض والواجبات التي فرضها الله عليه كأنها أثقال ينوء بها ظهره، ويرى الصدقة مكوسًا يسعى للتفلت منها ولا ينشرح لها صدره.

قال الله تعالى: (وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا) [النساء: ١٤٢].

وقال الله تعالى (مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ مِنۡهُمۡ نَفَقَٰتُهُمۡ إِلَّآ أَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمۡ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمۡ كَٰرِهُونَ) [التوبة: ٥٤].

وقال رَسُول الله صَلى الله عَلَيْه وَسَلَمَ: (مَثَلُ الْبَخِيلِ وَالْمُنْفِقِ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُبَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ مِنْ ثُدِيِّهِمَا إِلَى تَرَاقِيهِمَا، فَأَمَّا الْمُنْفِقُ فَلَا يُنْفِقُ إِلَّا سَبَغَتْ أَوْ وَفَرَتْ عَلَى جِلْدِهِ حَتَّى تُخْفِيَ بَنَانَهُ وَتَعْفُو

أَثَرَهُ، وَأَمَّا الْبَخِيلُ فَلَا يُرِيدُ أَنْ يُنْفِقَ شَيْئًا إِلَّا لَزِقَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَكَانَهَا فَهُوَ يُوَسِّعُهَا وَلَا تَتَّسِعُ) [صحيح البخاري ١٤٤٣].

ثانيًا: عدم التأثر بآيات القرآن الكريم والمواعظ والذكر:

فهو يسمع آيات الوعد والوعيد فلا يتأثر ولا يخشع قلبه، كما أنه يغفل عن قراءة القرآن، وعن سماعه ويجد ثقلاً وانصرافاً عنه، مع أن الله تعالى يقول: (فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ)، ومدح الله المؤمنين بقوله: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢].

وعاتب الله المؤمنين بقوله: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦].

ثالثًا: عدم تأثره بالحوادث كالموت والآيات الكونية:

فهو لا يتأثر بالموت ولا بالأموات يتساقطون من حوله، كأنه ضمن الخلود في الدنيا، ويمشي في المقابر وكأنه في الأسواق، وكفى بالموت واعظا.

وقال رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أكثروا ذكر هازم اللذات، يعني الموت» [سنن الترمذي ٢٣٠٧ وصححه الألباني].

وبكى على القبر وقال: «لمثل هذا فأعدوا» [سنن ابن ماجه ٤١٩٥ وحسنه الألباني].

رابعًا: زيادة ولعه بملذات الدنيا وإيثارها على الآخرة:

فتصبح الدنيا همه وشغله الشاغل، وتكون مصالحه الدنيوية ميزانا في حبه وبغضه وعلاقاته مع الناس، فيغرق في اللهو واللعب ويشغل قلبه الحقد والحسد والأنانية والبخل والشح.

خامسًا: يضعف في قلبه تعظيم الله جل جلاله:

وتذهب الغيرة، ولا يغضب إذا انتهكت محارم الله، فيرى المنكرات، ويسمع الموبقات وكأن شيئا لم يكن، لا يعرف معروفاً، ولا ينكر منكراً، ولا يبالي بالمعاصي والذنوب.

سادسًا: الوحشة وضيق الصدر والشعور بالقلق والضيق: لا يكاد يهنأ بعيش أو يشعر بطمأنينة؛ فيظل قلقاً متوتراً من كل شيء.

أسباب قسوة القلب:

أولاً: تعلق القلب بالدنيا وزخرفها:

قال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ كانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ غِناهُ في قَلْبِه، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيا وَهِيَ راغِمَةٌ، وَمَنْ كانَتِ الدُّنْيا هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيا إِلا مَا قُدِّرَ لَه». [سنن الترمذي ٢٤٦٥ وصححه الألباني].

ويقسو القلب من أشياء إذا جاوزت قدر الحاجة: الأكل والنوم والكلام والمخالطة، والجدل فيما لا يفيد والتعصب المذهبي.

ثانيًا: الغفلة عن ذكر الله:

قال الله تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ (النحل: ١٠٨).

قال بعض العلماء: لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فتقسو قلوبكم، فإن القلب القاسي بعيد عن الله عز وجل، ولا تنظروا إلى ذنوب العباد كأنكم أرباب وانظروا في ذنوبكم فإنكم عبيد، والناس رجلان مبتلى ومعافى، فارحموا أهل البلاء واحمدوا على العافية.

وقال ابن القيم: ومن تأمل حال أكثر الخلق وجدهم ممن غفلت قلوبهم عن ذكر الله تعالى، واتبعوا أهواءهم، وفرطوا فيما ينفعهم واشتغلوا بما لا ينفعهم بل يعود بالضرر عاجلاً وآجلاً، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

ثالثا: مصاحبة أصدقاء السوء، في الأجواء الفاسدة: فالإنسان سريع التأثر بمن حوله، فالشخص الذي يعيش في أوساط المعاصي والمنكرات، ويجالس أناساً أكثر حديثهم عن اللذات المحرمة والنساء، ويكثرون المزاح والضحك والنكات وسماع الغناء ورؤية المسلسلات، هذا الشخص لا بد أن يتأثر بهؤلاء الجلساء فيقسو قلبه ويغلظ، ويعتاد على هذه المنكرات.

رابعا: نسيان الموت وسكراته، والقبر وأهواله وعذابه ونعيمه، ووضع الموازين، ونشر الدواوين، والمرور على الصراط، ونسيان النار وما أعد الله فيها لأصحاب القلوب القاسية.

خامسا: الاشتغال بما يفسد القلب ويقسيه:

ومفسدات القلب كثيرة منها: كثرة الاختلاط، وركوب الأماني، والتعلق بغير الله، وكثرة الطعام، وكثرة النوم، والركون إلى الدنيا والإخلاد إلى الأرض.

نسأل الله أن يصلح قلوبنا ويهدي نفوسنا، ويصلح لنا أعمالنا وأخلاقنا، والحمد لله رب العالمين.

سبق أن تكلمنا عن القلب السليم المخبت الخاشع الوجل المطمئن إلى ذكر الله عز وجل ، والقلب الميت القاسي ، وبقي الحديث عن القلب الثالث وهو القلب المريض.

وقد جمع الله القلوب الثلاثة في موضع واحد في سورة الحج فقال:«وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٢ لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ٥٣ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ» [الحج: ٥٢ - ٥٤]

قال ابن القيم: فجعل الله سبحانه وتعالى القلوب في هذه الآيات ثلاثة: قلبين مفتونين، وقلباً ناجياً فالمفتونان: القلب الذي فيه مرض والقلب القاسي ، أمام القلب الناجي: القلب المؤمن المخبت إلى ربه وهو المطمئن إليه الخاضع له، المستسلم المنقاد.

القلب المريض

إعداد/ د. جمال المراكبي

وذلك: أن القلب وغيره من الأعضاء يراد منه أن يكون صحيحاً سليماً لا آفة به، يتأتى منه ما هُيىء له وخلق لأجله، وخروجه عن الاستقامة إما ليبسه وقساوته، وعدم التأتي لما يراد منه، كاليد الشلاء، واللسان الأخرس، والأنف الأخشم، وذكر العنين، والعين التي لا تبصر شيئاً، وإما لمرض وآفة فيه تمنعه من كمال هذه الأفعال ووقوعها على السداد، فلذلك انقسمت القلوب إلى هذه الأقسام الثلاثة.

فالقلب الصحيح السليم: ليس بينه وبين قبول الحق ومحبته وإيثاره سوى إدراكه، فهو صحيح الإدراك للحق، تام الانقياد والقبول له.

والقلب الميت القاسي: لا يقبل الحق ولا ينقاد له.

والقلب المريض: إن غلب عليه مرضه التحق بالميت القاسي. وإن غلبت عليه صحته التحق بالسليم.

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله تعريف القلب المريض فقال: هو قلب له حياة وبه علة. فله مادتان، تمده هذه مرة، وهذه أخرى. وهو لما غلب عليه منهما، ففيه من محبة الله تعالى والإيمان به والإخلاص له، والتوكل عليه ما هو مادة حياته، وفيه من محبة الشهوات وإيثارها والحرص على تحصيلها، والحسد والكبر والعجب، وحب العلو والفساد في الأرض بالرياسة ما هو مادة هلاكه وعطبه، وهو ممتحن بين داعيين: داع يدعوه إلى

ض القلوب

الله ورسوله والدار الآخرة، وداع يدعوه إلى العاجلة ، وهو إنما يجيب أقربهما منه بابا، وأدناهما إليه جواراً.

فما يلقيه الشيطان في الأسماع من الألفاظ، وفي القلوب من الشبه والشكوك: فتنة لهذين القلبين، وقوة للقلب الحي السليم، لأنه يردّ ذلك ويكرهه ويبغضه، ويعلم أن الحق في خلافه، فيخبت للحق ويطمئن وينقاد، ويعلم بطلان ما ألقاه الشيطان، فيزداد إيماناً بالحق ومحبة له وكفراً بالباطل وكراهة له. فلا يزال القلب المفتون في مِرْية من إلقاء الشيطان، وأما القلب الصحيح السليم فلا يضره ما يلقيه الشيطان أبدًا.

الأدلة من القرآن والسنة على مرض القلوب:

هذا وقد ذكر الله أمراض القلوب في مواضع من كتابه كقوله تعالى عن المنافقين:« وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ » [البقرة: ٨-١٠].

وقوله تعالى:« لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا » [الأحزاب: ٦٠، ٦١].

وقال تعالى:« وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ

فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا » [المدثر: ٣١]
«وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ» أي: شك ونفاق.
[تفسير البغوي].
وقال تعالى:«يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ »[المائدة: ٥١، ٥٢].
فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ: أي شك ونفاق - تفسير الماوردي النكت والعيون.
وقال تعالى: « يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ ۚ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا » [الأحزاب: ٣٢].
فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ: فيه قولان:
أحدهما: أنه شهوة الزنى والفجور، قاله عكرمة والسدي.
الثاني: أنه النفاق، قاله قتادة. وكان أكثر من تصيبه الحدود في زمان النبي صلى الله عليه وسلم المنافقون. النكت والعيون للماوردي
وقال تعالى:« وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا » [الأحزاب: ١٢].
فيه وجهان: أحدهما: أن المرض النفاق، قاله قتادة
الثاني: أنه الشرك، قاله الحسن.
وفي السنة النبوية، فقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب». متفق عليه.
وفساد القلب بمرضه وقسوته ، وصلاح القلب بوجله وخشوعه وإنابته وخشيته وطمأنينته وسلامته من الأمراض والآفات.
وعن عَبدُ اللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ وَمِنْ دُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ وَمِنْ عِلْمٍ لَا ينفع». رواه الترمذي وصححه الألباني.
فالقلب الذي لا يخشع قلب قاس أو قلب مريض.
قال الله تعالى:«أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ » [الحديد: ١٦].
وقال الله تعالى:«أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ » [الزمر: ٢٢، ٢٣].

أنواع القلب المريض

وقال ابن القيم: مرض القلب نوعان: نوع لا يتألم به صاحبه في الحال، كالجهل، ومرض الشبهات والشكوك، ومرض الشهوات، وهذا النوع من أعظم النوعين ألما ولكن لفساد القلب لا يحس بالألم، ولأن سكرة الجهل والهوى تحول بينه وبين إدراك الألم، وإلا فألمه حاضر فيه حاصل له، وهو متوارٍ عنه باشتغاله بضده، وهذا أخطر المرضين وأصعبهما.
والنوع الثاني: مرض مؤلم له في الحال كالهمّ والحزن والغيظ.
و قال شيخ الإسلام رحمه الله: وكذلك «مرض القلب» هو نوع فساد يحصل له، يفسد به تصوره، وإرادته. فتصوره: بالشبهات التي تعرض له حتى لا يرى الحق، أو يراه على خلاف ما هو عليه، وإرادته: بحيث يبغض الحق النافع ويحب الباطل الضار، فلهذا يفسر المرض تارة بالشك والريب، كما فسر مجاهد وقتادة قوله: فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ: أي شك.
وتارة يُفسر بشهوة الزنا كما فُسِّر به قوله تعالى: فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ.
والمرض دون الموت، فالقلب يموت بالجهل المطلق ويمرض بنوع من الجهل، فله موت

ومرض، وحياة وشفاء، وحياته وموته ومرضه وشفاؤه أعظم من حياة البدن وموته ومرضه وشفائه، فلهذا مرض القلب إذا ورد عليه شبهة أو شهوة قَوَّت مرضه، وإن حصلت له حكمة وموعظة كانت من أسباب صلاحه وشفائه. مجموع فتاوى ابن تيمية.

وقد بين شيخ الإسلام أن سبب مرض القلب ضعف الإيمان فقال: والمرض في القلب كالمرض في الجسد، فكما أن هذا هو إحالة عن الصحة والاعتدال من غير موت، فكذلك قد يكون في القلب مرض يحيله عن الصحة والاعتدال، من غير أن يموت القلب، سواء أفسد إحساس القلب وإدراكه، أو أفسد عمله وحركته وذلك من ضعف الإيمان، إما بضعف علم القلب واعتقاده، وإما بضعف عمله وحركته. فيدخل فيه من ضعف تصديقه، ومن غلب عليه الجبن والفزع، فإن أدواء القلب من الشهوة المحرمة والحسد والجبن والبخل وغير ذلك، كلها أمراض، وكذلك الجهل والشكوك والشبهات التي فيه

وإذا حصل في القلب مرض من الشبهات والشهوات أزيل ذلك بضده، ولا يحصل المرض إلا لنقص أسباب الصحة، كذلك القلب لا يمرض بالشهوات والشبهات إلا لنقص إيمانه وعبادته لربه.

وذكر رحمه الله أنواعاً من أمراض القلوب كالغيظ، والشك، والجهل، ومرض الشهوة، ومرض الشبهة ، فقال: ومرض القلب: ألمٌ يَحصل في القلب كالغيظ من عدو استولى عليك، فإن ذلك يؤلم القلب. قال الله تعالى:« ،وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ»، فشفاؤهمَ بزوال ما حصل في قلوبهم مِنَ الألم، ويقال: فلان شفى غيظه، وفي القود استشفاء أولياء المقتول، ونحو ذلك. فهذا شفاء من الغم والغيظ والحزن، وكل هذه آلام تحصل في النفس.

وكذلك الشك والجهل يؤلم القلب قال النبي صلى الله عليه وسلم: «هلا سألوا إذ لم يعلموا؟ فإن شفاء العي السؤال». والشاك في الشيء المرتاب فيه يتألم قلبه حتى يحصل له العلم واليقين ويقال للعالم الذي أجاب بما يبين الحق قد شفاني بالجواب.

والحمد لله رب العالمين.

اعتذار

يعتذر رئيس التحرير عن الكتابة هذا الشهر نظرًا لظروف يمر بها، نسألكم الدعاء، وعلى وعد بالكتابة الشهر القادم بإذن الله تعالى.

رئيس التحرير

عز واجب

تتقدم أسرة مجلة التوحيد بخالص العزاء للأخ الزميل عبد العزيز مصطفى، المراجع بالمجلة، لوفاة والدته، داعين الله عز وجل أن يرحمها رحمة واسعة، وأن يحشرها مع النبيين والصديقين والشهداء، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، فإنا لله وإنا إليه راجعين.

أمراض القلوب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه وبعد:

يتعرض القلب إلى الفتن بصورة دائمة ومتتابعة كعرض الحصير عوداً عوداً، فإذا تفاعل مع هذه الفتن وتشربها تغير لونه، وأصابه المرض المؤذن بالهلاك.

د/جمال المراكبي

أخرجَ مُسلم في كتاب الإيمان من حديث حُذيفة بن اليمان رضَي الله تعالى عنه: قال: قَالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «تُعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً، فأي قلب أشربها نُكت فيه نُكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نُكت فيه نُكتة بيضاء حتى تصير القلوب على قلبين: على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مرباداً كالكوز مجخياً لا يعرف مَعروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه» [صحيح مسلم: ١٤٤].

والفتن التي تصيب القلب نوعان: شبهات وشهوات.

أولاً: فتن الشبهات:

في زمن يفشو فيه الإلحاد، ولا يعترف بعضهم إلا بالمادة والمحسوسات يثير الكثيرون من المتشككين الشبهات التي تتعلق بالإيمان بالله واليوم الآخر، وهي شبهات يلقيها الشيطان في قلوب خاوية من الإيمان واليقين من قديم الزمان، وقد حدثنا ربنا تبارك وتعالى عن أصول هذه الشبهات التي ضل بها كثير من الناس، محذرًا إيانا من همزات الشيطان، وسقطات بعض بني الإنسان الذين استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله، «وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا» [النساء: ٣٨].

قال الله تعالى: «وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا» [النساء: ٨٣].

وقال الله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ» [البقرة: ١٦٨- ١٦٩].

وقال الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» [النور ٢١].

وهذه الشبهات كثيرة لا أبلغ إن قلت لا أستطيع أن أحصيها أو على الأقل لا أحصيها في هذا المقام فمنها ما يتعلق بالله تعالى مباشرة ومنها ما يتعلق بالملائكة و ما يتعلق بالكتب السماوية وما يتعلق برسل الله وما يتعلق باليوم الآخر وما يتعلق بالقدر وكلها

من أركان الإيمان ومنها ما يتفرع على هذه الأركان ، فالشيطان لا يدخر جهدا في إضلاله وأمر الناس أن يقولوا على الله مالا يعلمون وهذه بعض نماذج من شبهات هؤلاء :

أولا: ما يتعلق بالإيمان بالله عز وجل ، ومن ذلك:

١- الشك في الله تعالى وتكذيب المرسلين:

قال الله تعالى: «أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِيٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۝٩ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ » [إبراهيم: ٩- ١٠].

ذكر الله تبارك وتعالى في هذه الآية الكريمة أن الكفار صرحوا للرسل بأنهم كافرون بهم، وأنهم شاكون فيما جاءوهم به من الوحي، وقد نص تبارك وتعالى على بعضهم بالتعيين أنهم صرحوا بالكفر به، وأنهم شاكون فيما يدعوهم إليه كقول قوم صالح له: «أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ » [هود: ٦٢].

٢- الشك في اليوم الآخر والبعث بعد الموت:

قال الله تعالى: «قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ۝٦٥ بَلِ ادَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ۝٦٦ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ۝٦٧ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ الْأَوَّلِينَ »[النمل: ٦٥- ٦٨].

قال الشنقيطي في أضواء البيان عند قوله تعالى: « بَلِ ادَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ » [النمل: ٦٦]، قال: أظهر أقوال أهل العلم عندي في هذه الآية الكريمة أن المعنى: بل ادارك علمهم: أي تكامل علمهم في الآخرة، حين يعاينونها أي: يعلمون في الآخرة علما كاملا، ما كانوا يجهلونه في الدنيا، وقوله: «بَلِ ادارك عِلْمُهُمْ فِي الآخرة بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ» أي: في دار الدنيا، فهذا الذي كانوا يشكون فيه في دار الدنيا، ويعمون عنه مما جاءتهم به الرسل، يعلمونه في الآخرة علما كاملا لا يخالجه شك، عند معاينتهم لما كانوا ينكرونه من البعث، والجزاء . [أضواء البيان: ٦/ ١٢٣].

في زمن يفشو فيه الإلحاد، ولا يعترف بعضهم إلا بالمادة والمحسوسات يثير الكثيرون من المتشككين الشبهات التي تتعلق بالإيمان بالله وبرسوله وباليوم الآخر، وهي شبهات يلقيها الشيطان في قلوب خاوية من الإيمان واليقين من قديم الزمان.

٣- دعواهم أن شركهم إنما وقع بأمر الله، وأنهم ما كانوا مشركين:

قال الله تعالى: «وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ۝٢٢ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ۝٢٣ انظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ » [الأنعام: ٢٢- ٢٤].

قال السعدي في تفسيره: يخبر تعالى عن مآل أهل الشرك يوم القيامة، وأنهم يُسألون ويُوبَّخون فيُقال لهم «أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الذين كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ» أي: إن الله ليس له شريك، وإنما ذلك على وجه الزعم منهم والافتراء. «ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ» أي: لم يكن جوابهم حين يُفتنون ويُختبرون بذلك السؤال إلا إنكارهم لشركهم، وحلفهم أنهم ما كانوا مشركين. «انْظُرْ» متعجبًا منهم ومن أحوالهم «كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ» أي: كذبوا كذبًا عاد بالخسار على أنفسهم، وضرهم غاية الضرر «وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ» من الشركاء الذين زعموهم مع الله، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا. [تفسير السعدي، ص ٢٥٣].

وقال الله تعالى: «سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ

مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ١٤٨ قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ» [الأنعام: ١٤٨- ١٤٩].

هذا إخبار من الله أن المشركين سيحتجون على شركهم وتحريمهم ما أحل الله، بالقضاء والقدر، ويجعلون مشيئة الله الشاملة لكل شيء من الخير والشر حجة لهم في دفع اللوم عنهم.

وقد قالوا ما أخبر الله أنهم سيقولونه، كما قال في الآية الأخرى: «وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ» [النحل: ٣٥].

ولو كانت حجة صحيحة، لدفعت عنهم العقاب، ولما أحل الله بهم العذاب؛ لأنه لا يحل بأسه إلا بمن استحقه، فعُلم أنها حجة فاسدة، وشبهة كاسدة، وذلك لأسباب:

منها: ما ذكر الله من أنها لو كانت صحيحة، لم تحل بهم العقوبة.

ومنها: أن الحجة، لا بد أن تكون حجة مستندة إلى العلم والبرهان، فأما إذا كانت مستندة إلى مجرد الظن والخرص، الذي لا يغني من الحق شيئا، فإنها باطلة، ولهذا قال: «قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا» فلو كان لهم علم- وهم خصوم الداء- لأخرجوه، فلما لم يخرجوه علم أنه لا علم عندهم. «إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلا تَخْرُصُونَ» ومَنْ بنى حجَّه على الخَرْص والظن، فهو مبطل خاسر، فكيف إذا بناها على البغي والعناد والشر والفساد؟!

ومنها: أن الحجة البالغة هي التي اتفقت عليها الأنبياء والمرسلون، والكتب الإلهية، والآثار النبوية، والعقول الصحيحة، والفطر المستقيمة، والأخلاق القويمة، فعلم بذلك أن كل ما خالف هذه الأدلة القاطعة باطل؛ لأن نقيض الحق لا يكون إلا باطلا.

ومنها: أن الله تعالى أعطى كل مخلوق قدرة، وإرادة، يتمكن بها من فعل ما كُلف به، فلا أوجب الله على أحد ما لا يقدر على فعله، ولا حرم على أحد ما لا يتمكن من تركه، فالاحتجاج بعد هذا بالقضاء والقدر، ظلم محض وعناد صرف.

الله تعالى أعطى كل مخلوق قدرة، وإرادة، يتمكن بها من فعل ما كُلف به، فلا أوجب الله على أحد ما لا يقدر على فعله، ولا حرم على أحد ما لا يتمكن من تركه، فالاحتجاج بعد هذا بالقضاء والقدر، ظلم محض وعناد صرف.

ومنها: أن الله تعالى لم يجبر العباد على أفعالهم، بل جعل أفعالهم تبعًا لاختيارهم، فإن شاءوا فعلوا، وإن شاءوا كفوا. وهذا أمر مشاهد لا ينكره إلا من كابر، وأنكر المحسوسات، فإن كل أحد يفرق بين الحركة الاختيارية والحركة القسرية، وإن كان الجميع داخلاً في مشيئة الله، ومندرجًا تحت إرادته.

ومنها: أن المحتجين على المعاصي بالقضاء والقدر يتناقضون في ذلك؛ فإنهم لا يمكنهم أن يطردوا ذلك، بل لو أساء إليهم مسيء بضرب أو أخذ مال أو نحو ذلك، واحتج بالقضاء والقدر لما قبلوا منه هذا الاحتجاج، ولغضبوا من ذلك أشد الغضب.

فيا عجبًا كيف يحتجون به على معاصي الله ومساخطه ، ولا يرضون من أحد أن يحتج به في مقابلة مساخطهم؟!»

ومنها: أن احتجاجهم بالقضاء والقدر ليس مقصودا، ويعلمون أنه ليس بحجة، وإنما المقصود منه دفع الحق، ويرون أن الحق بمنزلة الصائل، فهم يدفعونه بكل ما يخطر ببالهم من الكلام وإن كانوا يعتقدونه خطأ. اهـ [ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٢٧٨].

ولقد حذرنا نبينا صلى الله عليه وسلم من

وساوس الشيطان وتلاعبه بالإنسان فقال: «لَا يَزَالُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حَتَّى يُقَالَ: هَذَا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ، فَمَنْ خَلَقَ اللَّهَ؟! فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَلْيَقُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ» [صحيح مسلم: ١٣٤].

وهنا قد يصل الحال بالإنسان أن يُصاب بحالة من الوسواس القهري المَرَضي لا يستطيع له دفعًا إلا بمعونة من الله أولًا، ثم بالعلاج ثانيًا، ولهؤلاء يقول الله عز وجل: (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) [البقرة: ٢٨٦].

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمْ» [صحيح البخاري ٥٢٦٩].

وعن أبي هريرة قال: جاء ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسألوه: إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به. قال: «وقد وجدتموه؟» قالوا: نعم. قال: «ذاك صريح الإيمان» [صحيح مسلم: ١٣٢].

ثانيا: ما يتعلق ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم وما جاء به :

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: نُهِينَا أَنْ نَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنْ شَيْءٍ فَكَانَ يُعْجِبُنَا أَنْ يَجِيءَ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ الْعَاقِلُ فَيَسْأَلَهُ وَنَحْنُ نَسْمَعُ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَتَانَا رَسُولُكَ فَزَعَمَ لَنَا أَنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَكَ؟ قَالَ: «صَدَقَ». قَالَ: فَمَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ؟ قَالَ: «اللَّهُ». قَالَ: فَمَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ؟ قَالَ: «اللَّهُ». قَالَ: فَمَنْ نَصَبَ هَذِهِ الْجِبَالَ وَجَعَلَ فِيهَا مَا جَعَلَ؟ قَالَ «اللَّهُ». قَالَ فَبِالَّذِي خَلَقَ السَّمَاءَ وَخَلَقَ الْأَرْضَ وَنَصَبَ هَذِهِ الْجِبَالَ آللَّهُ أَرْسَلَكَ؟ قَالَ: «نَعَمْ». قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِنَا وَلَيْلَتِنَا؟ قَالَ: «صَدَقَ». قَالَ فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ آللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: «نَعَمْ». قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا صَوْمَ شَهْرٍ رَمَضَانَ فِي سَنَتِنَا؟ قَالَ: «صَدَقَ». قَالَ: فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ آللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: «نَعَمْ». قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا حَجَّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا؟ قَالَ «صَدَقَ». قَالَ: ثُمَّ وَلَّى. قَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَزِيدُ عَلَيْهِنَّ وَلَا أَنْقُصُ مِنْهُنَّ. فَقَالَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم-: «لَئِنْ صَدَقَ لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ» [صحيح مسلم ١٢]. قلت : ومع أن هذا الرجل قد جاء شاكا في بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم وما جاء به إلا أنه قد هدى بعد لقائه بالنبي وسؤاله .

قال البيهقي- رحمه الله-: فهذا السائل كان قد سمع بمعجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانت مستفيضة في زمانه، ولعله أيضًا ما كان يتلوه من القرآن فاقتصر في إثبات الخالق ومعرفة خلقه على سؤاله وجوابه عنه، وقد طالبه بعض مَن لم يقف على معجزاته بأن يريه من آياته ما يدل على صدقه، فلما أراه ووقفه عليه آمن به وصدقه فيما جاء به من عند الله عز وجل.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: بِمَ أَعْرِفُ أَنَّكَ نَبِيٌّ؟ قَالَ: إِنْ دَعَوْتُ هَذَا الْعِذْقَ مِنْ هَذِهِ النَّخْلَةِ أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟ فَدَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَعَلَ يَنْزِلُ مِنَ النَّخْلَةِ حَتَّى سَقَطَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: ارْجِعْ فَعَادَ فَأَسْلَمَ الْأَعْرَابِيُّ. [سنن الترمذي ٣٦٢٨ وصححه الألباني].

أما عن الكلام عن فتن الشهوات ففي لقاء آخر إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

> الله تعالى لم يجبر العباد على أفعالهم، بل جعل أفعالهم تبعًا لاختيارهم، فإن شاءوا فعلوا، وإن شاءوا كفوا. وهذا أمر مشاهد لا ينكره إلا من كابر، وأنكر المحسوسات، فإن كل أحد يفرق بين الحركة الاختيارية والحركة القسرية، وإن كان الجميع داخلاً في مشيئة الله، ومندرجًا تحت إرادته.